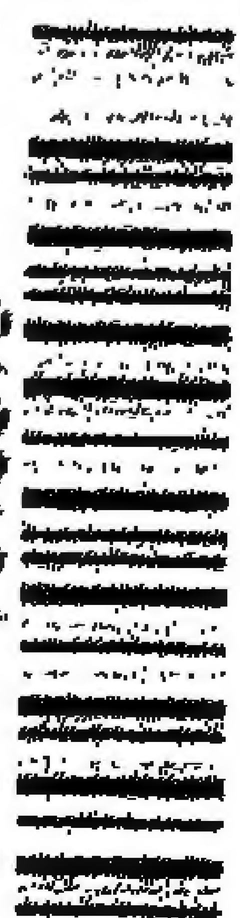
الجواب الفسيح

لما لفقه عبد المسيح

تأليف

الإمام الآلوسي البغدادي

دار البيان العربي
خلف الجامع الأزهر



الجواب الفسيح

لما لفقه عبد المسيح

تأليف

الإمام الآلوسي

جزءان في مجلدين

الجزء الأول

تحقيق الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السقا

ملتزم الطبع والنشر

دار البيان العربي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يطبع هذا الكتاب على النسخة الحجرية فى مكتبة الجامع الأزهر .

١٨ درب الأتراك خلف جامع الأزهر بالقاهرة .

الطبعة الأولى بالقاهرة

١٤٠٨/١/٢٠ هـ
١٩٨٧/٩/١٣ م

كلمة محقق الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « شهد الله : انه لا اله الا هو ، والملائكة ، وأولوا العلم ، قائما بالقسط ، لا اله الا هو ، العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام » . (٣ : ١٨ — ١٩)

اشهد أن لا اله الا الله ، الاله القائم بالقسط ، والناطق بالحق والعدل . واشهد ان محمدا عبد الله ورسوله ، بلغ ما انزل اليه من ربه . وأصلى واسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه أجمعين .

أمـا بعـد

فاسم هذا الكتاب : هو « الجواب الفسيح ، لما لفقه عبد المسيح »

واسم المؤلف : هو « نعمان بن محمد . الألوسى البغدادى » المولود سنة ١٢٥٢ هـ . والمتوفى سنة ١٣١٧ هـ . ابن مفسر القرآن الكريم .

وسبب تأليف هذا الكتاب أن النصارى : يقولون :

ان رجلا مسلما يسمى « عبد الله بن اسماعيل الهاشمى » الف رسالة فى محاسن دين الاسلام ، وبعث بها الى نصرانى يسمى « عبد المسيح ابن اسحق الكندى » فى زمان الخليفة « المأمون » — رضى الله عنه — ولما قرأها النصرانى ، رد عليها . وبين فى الرد محاسن النصرانية ، وانها الدين الذى ارتضاه الله لعباده ، ومن لا يدين به ، فانه يكون من الخاسرين فى الاخرة

ويقول المسلمون : ان نصارى البروتستانت هم الذين الفوا « رسالة » ونسبوها زورا الى « عبد الله بن اسماعيل الهاشمى » ثم الفوا ردا عليها ، ونسبوه زورا الى « عبد المسيح بن اسحق الكندى » .

وغرض النصارى من تزوير الرسالتين :

١ — ايهام الناس بمساواة المسلم بالذمى ، والمؤمن بالمشرك .

٢ — وبيان أن دين النصارى أفضل من دين الاسلام .

---

(١) توزيع مكتبة العرب بالقاهرة من سنة ١٩٢٩ م

والدليل على ذلك :

أولا : ما هو المكتوب فى أول الرسالة المزورة المنسوبة الى « عبد الله ابن اسماعيل الهاشمى » ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . فقد افتتحت كتابى هذا اليك بالسلام عليك والرحمة . تشبهـا بسيدى وسيد الأنبياء . محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فان ثقاتنا ذوى العدالة عندنا ، الصادقين الناطقين بالحق ، الناقلين الينا أخبـار نبينـا — عليه السلام — قد رووا لنـا عنه : أن هذه كانت عادته ، وانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا افتتح كلامه مع الناس ببادئهم بالسلام والرحمة فى مخاطبته اياهم . ولا يفرق بين الذمى والأمى ، ولا بين المؤمن والمشرك » أ هـ .

فقد أراد المزور ان يقنع المسلمين بأن الرسالة من تأليف مسـلم . بكتابته ان محمدا سيد الأنبياء وانه رسول الله ﷺ . ثم أراد أن يقنـع المسلمين بأنه لا فرق بين الذمى والأمى ولا بين المؤمن والمشرك . وهـذا هو غرض المزور ، على طريقة وضع السم فى العسل . فان الاسـلام فرض الجزية على أهل الكتاب ، ليمنع المساواة بين المسلم والكتـابى والدليل على انه كاذب فى قوله هذا : ان النبى ﷺ كان يفتتح كتبـه الشريفة بالسلام على من اتبع الهدى . لا بالسلام على اليهودى والنصرانى والمجوسى والمشرك .

ثانيا : ان المؤلف « عبد المسيح بن اسحق الكندى » يقول فى نهـاية رده على رسالة المسلم : ان المأمون — رضى الله عنه — لما بلغه خبر رسالة « عبد الله » ورده عليها ، علم أن دين النصارى دين صحيح . يقـول ما نصه : « بلغنا انه انتهى الأمر الى « المأمون » فى خبر الرسالتين ، فأمر باحضارهما ، وقرئتا عليه ، فلم يزل صائتا ، حتى جاء الى آخرهمـا . فقال : ما كان دعاه الى أن تعرض لما ليس من عمله . حتى أجاد كتـاب نفسه . فاما النصرانى فلا حجـة لنا عليـه ، لأن الأمر لو لم يكن عنده هكذا ، لـما أتام على دينه . والدين دينان : أحدهما : دين الدنيا ، والآخر : دين الآخرة . أما دين الدنيا فالدين المجوسى ، وما جاء به « زرادشت » وأما دين الآخرة فهو دين النصارى ، وما جاء به « المسيح » وأمـا الدين الصحيح فهو التوحيد الذى جاء به صاحبنا ، فانه الدين الجامع للدنيـا والآخـرة » أ هـ .

والمأمون — رضى الله عنه — برىء من هذا القول . والمسلمون لا يقرون بأن دين النصارى هو دين الآخرة . بل يقرون بأن المسيح عليـه السلام

ليس صاحب دين مستقل عن دين موسى بن عمران عليه السلام . لقول المسيح نفسه : « ما جئت لأنقض الناموس » (مت ٤ : ١٧) وأنه ماجاء الا مصدقا لما بين يديه من التوراة . ومبشرا برسول الله ﷺ ومن لا يؤمن بمحمد ﷺ الذى بشر به عيسى عليه السلام فانه لا يكون مسلما ولا مؤمنا . ولا ناجيا فى الاخرة .

★★★

ومما يدل على التزوير والافتراء : ان المؤلف اذا ذكر آية من آيات التوراة أو الانجيل يذكر بجوارها اسم السفر ورقم الأصحاح . والرقم الذى يذكره هو مطابق للرقم المذكور الان فى طبعات البروتستانت للكتاب المقدس . وهذا يدل على أن المؤلف من البروتستانت ، وأنه من العلماء المعاصرين .

ومثال ذلك : قوله عن ابراهيم عليه السلام : « فآمن بالرب ، فحسبه له برا » (تكوين ١٥ : ٦) وكتب بجواره : تكوين ١٥ أى أن هذا القول فى الأصحاح الخامس عشر من سفر التكوين . والتراجم القديمة قبل عصرنا هذا ، خالية من التقسيم المطابق لتقسيم هذا العصر . والتى كانت فى عهد الأمويين والعباسيين والماليك المصريين كذلك ، كانت خالية من ذكر الأصحاحات وأرقام الايات . ومما يدل أيضا على التزوير والافتراء : أنه كتب فى الجزء الأول أنه فى سنة نيف ومائتى سنة . والأحاديث التى استدل بها فى المعجزات الحسية مدونة بعد هذا التاريخ .

★★★

والمسلم الذى رد على كتاب « عبد المسيح بن اسحق الكندى » قال : ان كتابه من وضع البروتستانت . ومن المحتمل أن المزور ، لقى فى كتاب للبيرونى ، اسم « يعقوب بن اسحق الكندى » فنسب اليه زوره . وقال المسلم الذى رد على الكتاب : ان مصحح كتاب عبد المسيح يقول فى نهايته ان له نسخة فى « القسطنطينية » ونسخة فى « مصر » بدون تاريخ . ورد عليه بقوله : « لم لم يذكر اسم مكتبة القسطنطينية ومكتبة مصر ، حتى نرى فيهما هاتين النسختين » ؟

والمسلم الذى رد — واسمه « نعمان بن محمود الألوسى » وهو ابن مفسر القرآن الكريم المسمى بـ « روح المعانى » — وضع عبارات النصرانى بنصها . ثم عقب عليها بالنقد والرد . واستعان بكتب السابقين عليه فى نقد كتب أهل الكتاب ، ككتاب « اظهار الحق » و « هداية الحيارى » وغيرهما . وأجاد وأفاد ، وأتم غرضه الشريف — وهو هزيمة النصرانى —

بأسلوب سهل وحجج نقلية وعقلية جيدة . فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء ، وعفا عنه بمنه وفضله ورحمته .

وقد قرأت ما كتبه النصرانى كله ، وما كتبه المؤلف كله . وفهمت غرضهما — كما اظن — فهما جيدا . وشاركت المؤلف فى الرد والنقد والتصحيح والضبط . وذلك كله بالتعليق على ما كتبه .

★★★

وقد نقد عقائد النصارى كثيرون من المسلمين من قبلى . وينبغى أن يكون نقد المذهب النصرانى مسبوقا بنقد التوراة . فان من ينقد المذهب النصرانى ولا تكون له دراية بـ ا — التوراة ب — وأسفار الأنبياء ، فانه لا يكون ناقدا أصيلا ، ولا بصيرا . ومن يدرس النصرانية من قبل أن يدرس اليهودية ويتبحر فيها ، فانه لا يقدر أن يفهمها ولا أن ينقدها (١)

ومن ينقد اليهودية ولا ينقد النصرانية . فانه يكون ناقدا للنصرانية أيضا . ومن ينقد النصرانية ولا ينقد اليهودية ، فانه لا يكون ناقدا لليهودية ، ولا يكون أيضا مصيبا فى غرضه .

وذلك لأن موسى عليه السلام هو صاحب الشريعة فى بنى اسرائيل . وجميع الأنبياء من بعده كانوا على سنته . لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها ، وعيسى عليه السلام هو نبى يهودى . ولد فى « بيت لحم » ومشى فى الأرض المقدسة . ولم ينسخ سنة موسى ولم ينقضها . وانما كان يظهر تحريفات علماء بنى اسرائيل لمعانى مكتوبة فى التوراة ، ويندد بسوء سلوكهم ، ويبشر بمحمد ﷺ . فدليله على ذلك هو كل المكتوب فى ا — توراة موسى ب — وأسفار الأنبياء من أول سفر الى آخر سفر . وأسفار الأنبياء تسعة وثلاثون سفرا فى التوراة العبرانية ، وستة وأربعون فى التوراة

---

(١) « ان المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهدا جديدا يتميز عن العهد القديم . فقد كان العهدان شيئا واحدا متصلا . وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية . كان ينظر اليها جميعا ، باعتبارها اضافات صحيحة ، أو ملحق لما فى أسفار الناموس والأنبياء ، التى كانت تقرأ أسبوعيا فى المعبد اليهودى ، والكنيسة المسيحية . ان العهد الجديد كتاب غير متجانس . ذلك أنه شتات مجمع ، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله الى آخره ، لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة » (فردريك جرانت ص ١٢ — ١٣ — نقلا عن ص ٣٥ مناظرة بين الاسلام والنصرانية) .

اليونانية . وأسفار الأنبياء كلها محذوفة من التوراة السامرية . واتباع المسيح عيسى عليه السلام هم كسائر اليهود على دين موسى وسنته وشريعته . وذلك لقوله لهم : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » والنصارى الى يومنا هذا يقدسون التوراة وأسفار الأنبياء .

فلو أنك نقدت التوراة وهى معظمة ومقدسة عند النصارى ، تكون ناقدا للكتاب الأعظم عندهم ، وهو الكتاب الذى يقولون : انه كتاب العقائد والشرائع .

وانك لو نقدت التوراة ، تكون أيضا ناقدا للاناجيل والرسائل . وذلك لأن كتابها كتبوها على مثال آيات فى التوراة ، أقتبسوها واستشهدوا بها . فالاية التى اقتبسوها من التوراة ووضعوها فى الانجيل ، ليقولوا بها المعنى الذى يريدونه ، اذا أنت نقدتها ، تكون ناقدا للاناجيل ومخطئا الكتبة فى نقلها من التوراة الى الانجيل للاستشهاد بها .

ومثال ذلك : قول هوشع فى سفره : أن الله يقول عن يعقوب عليه السلام : انه لما كان غلاما أحبه ، ومن مصر دعا أولاده الى الخروج منها الى الأرض المقدسة .

يقول هوشع : ان الله دعا « أولاد يعقوب » وهم بنو اسرائيل وبنوهم وبنو بنيهم . وقد اقتبس متى هذا القول وكتبه فى انجيله « ومن مصر دعوت ابنى » وانه ليوجد فرق كبير بين « أولاد » كثيرين ، وبين (ابن) واحد . فمن منهما هو القائل بالصدق ؟ ان احدهما كاذب . اما التوراة . وأما الانجيل . فلو قلت : التوراة هى الكاذبه ، تكون هادما للكتاب المعظم عندهم . وان قلت الانجيل هو الكاذب ، تكون هادما للانجيل وأنه معظم أيضا عندهم . والانجيل هو الكاذب . وذلك لأن متى يهدف — أن كان هو الكاتب — الى أن يقول : ان نبوءة ابن الله عن المسيا المنتظر المذكورة فى المزمور الثانى لداود عليه السلام تنطبق على عيسى عليه السلام ، فيكون هو المسيا المنتظر . ولكى يطبقها على عيسى عليه السلام قال : ان هوشع عبر بابنى ليشير بالتعبير الى أن عيسى هو ابن الله الذى تنبأ داود عن مجيئه .

فانظر الى قول متى فى بدء انجيله : ان يسوع وأمه ويوسف النجار ذهبوا الى « مصر » ويسوع فى المهد ، ثم عادوا الى « أورشليم » أى دعاهم الله الى الأرض المقدسة من « مصر » وذلك لكى يتحقق قول هوشع ابن بئيرى عن الله تعالى : « ومن مصر دعوت ابنى » .

فلو أنك غير دارس لليهودية . ومررت على هذا النص فى انجيل متى . وفى نيتك نقد الانجيل برمته . فهل تقدر على نقد هذه الاية ؟ انك لا تقدر . واذ لا تقدر . فهل تكون بارعا فى النقد ؟ وهل تعد من كبار نقاد الأناجيل ؟ بالتـأكيد : لا .

وقد هدانى الله الى نقد الأناجيل بهذه الطريقة فى كتابنا « اقتباسـات كتاب الأناجيل من التوراة » .



والطريقة الثانية التى هدانى الله تعالى اليها فى نقد الأناجيل وقد بينتها فى كتابنا « نقد الانجيل » هى :

١ — انك تأتى بنص من التوراة .

٢ — ثم تأتى برأى عيسى — عليه السلام — نفسه فى النص .

٣ — ثم تذكر من الأناجيل والرسائل مخالفة كتاب الأناجيل والرسـائل لكلام عيسى نفسه المدون فى الأناجيل والرسائل . وهذه الطريقة قويـة جـدا فى الافحام والالزام ، ولا يعرفها الا دارسو كتب علماء بنى اسرئييل ومثالهـا :

١ — نصت توراة موسى على أن العمل واجب . وان مدار النجـاة فى الاخرة يكون على الايمان والعمل معا . وذلك فى سفر التثنية فى قولـه : ان هذه الوصية ليست بعيدة عنك . ليست فى لسماء حتى تقول من يصعد الى السماء ليأتينا بها ، لنعمل بها . ليست فى الارض حتى تقول من يهبط الى الأرض ليأتينا بها لنعمل بها . بل الوصية قريبة مئك جدا لتعمل بها . هذا فى سفر التثنية .

٢ — وعيسى عليه السلام استدل بما فى سفر التثنية عن العمل على أن الانسان مختار فى اكتساب أفعاله وليس بمجبور على فعل شىء ، وأن مدار النجاة على الايمان والعمل . وقال كما روى متى : أن من يسمع أقوالى هذه ويعل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر . واذ هبت الرياح لم تصدمه ، ومن لا يعمل بها اشبهه برجل جاهل لم يؤسس بيتـه على الصخر ، واذا هبت الرياح تصدمه ويسقط . ويكون سقوطه عظيمـا . وقال كما روى برنابا : ان وصية الله قريبة من الانسان ليعمل بها كمـا قال موسى : ان هذه الوصية .. الخ .

٣ — وبولس الذى كون النصرانية على حساب عيسى عليه السلام . الغى الأعمال من الايمان فى مسمى الشرع ، وجعل مـدار النجـاة على الايمان وحده . وأول نص سفر التثنية الذى استشهد به المسيح عيسى عليه السلام على حرية المرء ، أوله ليـدل على الجبر . قال : ان معنى أنها ليست فى السماء أى ليس المسيح فى السماء ، وان معنى أنها ليست فى الأرض ، أى ليس المسيح فى الأرض .

فانظر الى كلام موسى وانظر الى استشهاد المسيح به ، ثم أنظـر الى كلام بولس فى نفس النص . تجد أن أحد النصين كاذب . اما رواية متى عن المسيح .

واما كلام بولس . وكلاهما مدون فى ما يسمى بالانجيل . وكتاب فيـه المعنى وضده ، لا يصح تقديسه كله ، ولا رفضه كله .

وهاتان الطريقتان هما أقوى الطرق فى نقد نصوص التوراه والأنجيل .



أما طرق نقد عقائد النصارى فانها تكون كالاتى :

أولا : يجب على الناقد أن يذكر من التوراة وأسفار الأنبياء نصوصـا تـدل على أن الله تعالى هو الاله الخالق للعالم وحده ، وأنه تعالى ليس كمثله شىء . فاذا ذكر هذا وبين أن اليهود من دعـاة التوحيد والتنزيـه كالمسلمين — والفرق بينهما هو فى نبوة محمد ﷺ فاليهود يرفضونـه ، والمسلمون يقبلونه — يجب عليه .

ثانيا : أن يذكر رأى عيسى عليه السلام فى الاله الخالق للعالم هل هـو الله أم لا ؟ وانه لمكتوب فى انجيل مرقس وغيره : أن عيسى عليه السـلام كان على دين موسى ولم ينسخ منه شيئا . واذ يكون على دينه ؛ يكون مقرا بالله تعالى الذى نصت التوراة على أنه الخالق للعالم وحده . ففى سفر التثنية : « الرب الهنا رب واحد » ومكتوب فى الأصحاح الثانى عشر من انجيل مرقس ن عالما من علماء بنى اسرائيل سأل عيسى عليه السـلام عن الوصية العظمى فى الناموس . فأجاب بأن الوصية العظمى هى أن تحب الرب الهك من كل قلبك ... الخ . اى أن عيسى بن مريم قـرر فى الانجيل أن رب العالمين هو الله وحده . وقرر فى بدء انجيل يوحنا أن الله لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه ، كما قرر موسى فى سفر الخروج .

واذ ثبت أن عيسى بن مريم كان على دين موسى بن عمران ، وثبت أنه قرر عقيدة التوحيد على مثال ما عند علمـــاء بنى اسرائيل ، يثبت . أن عيسى بن مريم ليس هو الاله الخالق للعالم ، ويثبت أيضا أنه ليس هـــو الاله الثانى من الالهة الثلاثة التى هى الاب والابن والروح المقدس .

ثالثا : يبين الناقد : انه اذا كانت نصوص التوراة ونصوص الانجيــل لا تـــدل على التثليث لا من قريب ولا من بعيـــد . ولا تـــدل على أن الله تعالى يشبه الانسان او يظهر للناس فى صورة انسان لا من قريب ولا من بعيد . وبالتأكيد هى لا تـــدل . فان عقيدة التثليث وعقيدة تجســد الله تعـــالى فى اجسد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تكون عقيدة باطلة . واذا بين ذلك وانه لواضح وضوح الشمس فى رائعة النهار ، فانه يفترض كان سائلا يسأل ويقول : فلماذا قال النصارى بالأقانيم الثلاثة ؟ ولمـــاذا قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ؟ ويجيب بأن الرومان الذين كانوا يحتلون أرض فلسطين فى زمان عيسى عليه السلام الى زمان محمد ﷺ هم الذين أجبروا النصارى على القول بالتثليث وعلى أن الله انقلب الى انســـــان هو المسيح بن مريم .

رابعا : يبين الناقد عقيدة الكاثوليك على حدة ويشرحها شرحا وافيا. ثم يبين عقيدة الأرثوذكس على حدة ويشرحها شرحا وافيا . ثم ينقد كل مـــذهب على حـــدة .

فالكاثوليك والبروتستانت المنشقين عنهم يعتقدون أن اقنوم الاب هـــو غير اقنوم الابن ، وهما غير اقنوم الروح القدس . وأن كل اله مستقــل بذاته عن غيره . وهذا الاعتقاد باطل بما روى فى التوراة والانجيل من أن الله واحـــد ، وان عيسى نفسه قد اثر عنه فى الأناجيل انه كان يقول انى رسول الله ، وانه لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئا وكل ما يعمله فانه باذن الله وارادته . والمعجزات التى يعملها ليس يعملها بقدرته ، بل بقدرة الله ففى انجيل يوحنا : يقول المسيح : ان الله الذى أعطانى اياها ، هو أعظم من الكل ولا يقدر احد أن يخطف من يـــد الله .

والأرثوذكس يعتقدون أن الله رب العالمين . هو الــــذى انقلب الى انسان . كما انقلب جبرائيل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى . فهـــم لا يعتقدون بثلاثة آلهـــة ، بل باله واحد . وهم ليسوا مثلثين وانمـــا هم موحدون . والفرق بينهم وبين اليهود الموحدين والمسلمين الموحدين هو انهم قالوا : ان الله تجسد فى المسيح ، أى أن الله هـــو المسيح ، أى أن المسيح هو الله رب العالمين . واليهود والمسلمون يقولـــون : ان عيسى المسيح هو عبد من عباد الله وليس هو اله وقد حل فى المسيح . واعتقاد

الأرثوذكس باطل بما روى فى التوراة والانجيل من أن الله ليس كمثـــله شيء ، وأنه اله محتجب ، وأنه لا يرى — بضم الياء — وأنه لا يكـــل ولا يعـــيا وليس عن قدرته فحص ، وأن عيسى نفســـه قد أثر عنـــه فى الأناجيل انه قال للحواريين : أنظروا جسدى . وأخذ باصبع « تومـــا » ووضعها على جسده ، وأكل معهم شهداً وعسلا وسمكا . ثم وضح بأنه لا يقـــدر من ذاته ان يفعل شيئا ، وانمـــا يفعل ارادة الله .

ووضح للشيطان : أن المسجود لا يكون الا لله وحده . واستـــدل على قوله هذا للشيطان بآية من التوراة وهى « للرب الهك تسجد واياه وحده تعبـــد » وقال لتلاميذه : من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى. وقال لهم : انى صاعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم . وهذا وشبهه يـــدل على أن الله لم ينقلب الى المسيح . وأن المسيح غير الله الـــذى لا يـــرى ولا يقـــدر أحـــد أن يـــراه .

خامسا : يبين لناقد أن ألفاظ التوراة والانجيل فيها المحـــكم وفيهـــا المتشابه ، ويـــرد المتشابه الى المحكم . وذلك ليوضـــح تلاميذ من النصارى خداع أئمتهم لهم ويعلمهم ما يتعمـــد الأئمـــة اخفاؤه . ومثال ذلك : أن المحكم فى التوراة عن الله عز وجل هو « ليس مثل الله » فى آخر سفر التثنية . وأنه لم يلـــد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ، وأنـــه لم يظهر ذاته لموسى عليه السلام ، وان اشعياء قال عنه : « حقـــا انت الـــه محتجب يا اله اسرائيل » وأن مشايخ بنى اسرائيل لمـــا صعدوا الى جبل حوريب مع موسى عليه السلام سمعوا صوتا ولم يروا شـــخصا . وأن موسى حذرهم من تخيل الله وتمثله بأى شكل كان وذلك واضح من سفر الخـــروج .

وأن المتشابه فى التوراة هو مثل قوله لجميع بنى اسرائيل : « أنتم أولاد للرب الهكم » فلفظ الأولاد هنا هو لفظ متشابه يحتمل معنيين :

١ — الولد المتولد من نطفة الأبوين .

٢ — الولد على المجاز بمعنى القرب من الله ، وان الله فضله على غيره من خلقه ، كما يفضل الأب ولده على سائر أولاد الناس . والمتفق مـــع المحكم هو المعنى الثانى . فيكون هو مراد الله تعالى .

ومثاله أيضا لفظ « الاله » فانه على الحقيقة يدل على خالق العـــالم وحده ، وهو الله رب العالمين . وقد أتى فى التوراة وفى الانجيل ، بل وفى

القرآن (١) أيضا على معنى « السيد » ففى التوراة يقول الله لموسى : « انظر . أنا جعلتك الها لفرعون » وفى الزبور يقول الله لبنى اسرائيل : « أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم » أى سادة وقد فضلكم على سائر الشعوب فى زمانكم . وفى انجيل يوحنا يقول عيسى عليه السلام للحواريين: أنتم تدعوننى معلما وسيدا .

وحسنا تقولون ، لأنى أنا كذلك ، فقد اعترف بانه معلم ، واعترف بأنه سيد ، ولم يعترف بأنه الاله على مذهب الأرثونكس ، ولم يعترف بأنه اله على مذهب الكاثوليك ثم تواضع وغسل أرجل الحواريين . واستحيا « بطرس » وخجل من أن يغسل المسيح رجليه . وبعد أن فرغ من الغسل وحل المنشفة من على جسده . نظر الى الحواريين وقال : كما فعلت معكم تفعلون مع غيركم . وانه يتوجب عليكم أن يحب بعضكم بعضا . ومن كان هذا شأنه هل يكون الها ؟ لا . وانما يكون سيدا .

وقد فسر المسيح نفسه طبقا لرواية يوحنا لفظ « الاله » بالسيد . ورد عليهم بقوله : لو قلت عن نفسى اننى اله — مجازا — فهل أكون متعديا على الناس ؟ لا . لا أكون متعديا عليه .

وبيان ذلك : أن الله قال على لسان داود عليه السلام لكل بنى اسرائيل صالحين وأشرار : « أنا قلت انكم آلهة ، وبنو العلى كلكم » فقد قال عن الكل انهم آلهة . أى سادة ، وأنا من بنى اسرائيل . وقوله « آلهة » كما ينطبق عليهم ، ينطبق على . بل انطباقه على من باب أولى . وذلك لأننى رجل صالح ، وقد طهرنى الله من الخطايا . فلماذا لا تكرموننى ؟ ولماذا تقولون اننى أجدف على الله ؟ الذى قدسه الله وأرسله الى العالم لتقولون له : انك مجدف ؟ اليس مكتوبا فى ناموسكم : أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم . فاذا قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله — ولا يمكن ان ينقض المكتوب — فالذى قدسه الاب وارسله الى العالم اتقولون له : انك تجدف ؟

بمثل هذا يقول الناقد فى المحكم والمتشابه . ليعلم الأميين ويخزى العلماء .

---

(١) قال فرعون : « ما علمت لكم من اله غيرى » أى من سيد . وذلك لان أهله قالوا له : « أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك »؟ فقوله « وآلهتك » يدل على أن فرعون كان يعبد غيره ولا يعبد نفسه . وأن قومه ، كانوا يعبدون آلهة متعددة ، ليس منها فرعون نفسه . وقوله تعالى : « وقومها . لنا عابدون » (المؤمنون ٤٧) معناه خاضعين .

سادسا : يجب على ناقد أى شىء عند النصارى أن يبين قبل نقده :
أ ـــ الشىء المراد نقده ب ـــ والدافع الذى حدا بالنصارى الى القول به ت ـــ والنتائج التى تترتب على هذا الشىء ث ـــ وقول المخالفين له من النصارى . أى باختصار يستقصى الشىء من جميع جوانبه . وقبل أن ينقد يبحث فى كتب التوراة كلها عن ضد هذا الشىء . ثم ينقد بنصوص التوراة أولا . وبعد ذلك يثنى بنصوص الأناجيل ، ويستعمل العقل فى ترتيب الحجج والافصـــاح عنهـــا .

ومثال ذلك : أن النصارى لما قالوا : ان الله نزل من السماء وتجســد فى جسد يسوع المسيح . افترضوا كأن سائلا سأل : ولماذا نــــزل الله وتجسد . واهين بالقتل والصلب ؟ وأجابوا عنه : بأن آدم عليه الســلام قــد أخطأ بعصيان أمر الله وهو فى جنة الخلد . وأنه لخطئه صار مذنبا ؛ ويستحق الطرد من جنة الخلد ، وأن الله طرده لعصيانه أمره واهبطه الى الأرض بخطيئته . وأن خطيئته انتقلت الى بنيه وبنى بنيه كلهم . ومن يمت منهم ، يمت على خطيئة ابيه آدم . ولا يدخل الجنـــة . وقــد اقتضت رحمة الله رحمة العالمين فى زمان عيسى عليه السلام ومن اجلها قتل الاله نفسه ، ليكون كفارة عن آثام آدم وبنيه الى زمان عيسى عليه السلام وليكون كفارة لاثام من يدين بدين عيسى عليه السلام .

فالناقد وهو ينقد عقيدة التعدد ، أو عقيدة التجسد . لا يكتفى بقــول التوراة أن الله واحد وليس كمثله شىء ، ولا بقول الانجيل . وانما يذكر كل ما يتعلق بالشىء من جميع جوانبه . وفى هذا الشىء يبين : أن موسى عليه السلام بين فى سفر التثنية : أنه لا يقتل الاباء عن الابناء ، ولا تقتل الأبناء عن الاباء . كل انسان بخطيئته يؤخذ . وأن حزقيال بين فى سفره كما بين موسى . بل ان ابراهيم عليه السلام قال لملاك الله : أديان كل الأرض لا يصنع عدلا ؟ فاذا فرغ من التوراة ينتقل الى الانجيل وينقل منه قــول عيسى عليه السلام ابتعدوا عنى يا فاعلى الاثم . واذا فرغ منها . فليذكر أى حجة عقلية تكــون من قبيل التأكيد ، لا من قبيل الاستقلال بالحجة .

وذلك مثل أن يقول : أ ـــ اذا كان قد أخطأ آدم ، فان حواء قد أخطأت . فلماذا سرت فى أبناء آدم خطيئة آدم ، ولم تسر فيهم خطيئة حواء ؟ وهل سرت خطيئة آدم فى الذكور ، وسرت خطيئة حواء فى الاناث ؟

ب ـــ أنتم أيها النصارى تبعا لليهود لا تعترفون بالمســاءلة فى القبر ، ولا بالعذاب أو النعيم فيه . وليس فى الانجيل ولا فى التوراة من نصوص على عذاب فى القبر . فكل من مات من عهد آدم الى زمان يسوع ، لم يدخل فى عذاب ، سواء كان بخطيئة آدم أو بخطيئته هو . فما فائدة الفـــداء

وليس من عذاب قد تم وحصل ؟ واذا كان الفداء قد تم وحصل فما فائدة شفاعة القديسين ويسوع وأمه فى يوم الحساب ؟



أما عن مجادلة المسلم لليهودى أو النصرانى . فانها من فروض الكفاية على علماء المسلمين الراسخين فى العلم . وينبغى أن تكون بالحسنى . وذلك لقوله تعالى : ((**ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن . الا الذين ظلموا منهم**)) .

واذا بدأ المسلم بالمجادلة ، فليبدأ أول ما يبدأ بالنبى المنصوص عليه فى التوراة وفى الأنجيل . وليسأل هل هذا النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى بن عمران من بعده لينسخ شريعته ، وليسمع له بنو اسرائيل ويطيعون ، منصوص عليه فى التوراة أم لا ؟ وهل هو عيسى بن مريم أم لا ؟ وهل هو نبى لم يظهر الى الان أم ظهر ؟ وهل هو محمد أم لا ؟ هذا هو بدء الجدال . لأنه اذا ثبت أن النبى الذى ينتظره اليهود الى الان هو محمد ﷺ . فان اليهودى الذى سيؤمن به نبيا من الله ، سوف يترك كتابه بما فيه من حق وباطل ، وان النصرانى الذى سيؤمن به نبيا من الله ، سوف يترك التوراة والأناجيل والرسائل وكتب التقاليد بما فيهم من الحق والباطل .

ونص التوراة عن محمد ﷺ هو : « اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم . مثلك . واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . أنا أطالبه » (تثنية ١٨ : ١٨) .

وفى انجيل يوحنا أن علماء بنى اسرائيل أرسلوا وفدا ليحيى بن زكريا عليهما السلام ليسألوه فى مدينة « أورشليم » التى هى القدس عن النبى الذى قال عنه موسى عليه السلام : « اقيم لهم نبيا ... الخ » فانه لم يكن قد ظهر قبل عصر يحيى عليه السلام . وقد سأله الوفد قائلين : هل انت النبى الذى ننتظره أم لا ؟ فأجاب بالنفى وقال : « يأتى بعدى من هو اقوى منى الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه » وليس الاتى من بعده الا محمد ﷺ . وذلك لأن عيسى الذى يقول « بولس » ان يحيى يتكلم عنه . قد كان معاصرا ليحيى . وقال كما قال يحيى لبنى اسرائيل : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » .

ويقال لليهودى : انت الى هذا اليوم تنتظر هذا النبى . ولماذا تنتظره ؟ أليس قد بارك الله فى اسماعيل كما بارك فى اسحق ؟ ألم يقل الكتاب : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا واجعله لأمة كبيرة » ؟

انت تستدل على نبوة موسى ورسالته من التوراة بالمكتوب فيها عن بركة اسحق ، فاذا استدل المسلم على نبوة محمد ورسالته من التوراة بالمكتوب فيها عن بركة اسماعيل ، فهل يتوجه عليه لوم ؟

واذا سلم اليهودى والنصرانى بامكان انطباق النصـوص عـن النبى المنتظر فى التوراة عن محمد ﷺ . ثم سأل عن آياته الخارقة للعادة ، فانه ينبغى أن يكون القرآن هو الدال على الايات وحده ، وذلك لقوله تعالى : ((أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)) ؟
ولأن فى الأحاديث النبوية المروية بطريق الاحاد احاديث ضعيفة ، وضعتها الزنادقة ، وطعن بها المستشرقون فى نبوة محمد ﷺ . ومنهـا هــذا الحديث (١) : وهو أن رجلا من الصحابة الأجلاء كان يتردد على بيت النبى الذى فيه مارية القبطية أم المؤمنين — رضى الله عنها — وقد اتهمه الناس بهـا ، واتهموها به . فاستشاط النبى غضبا . وأمر عليا بن أبى طالب — رضى الله عنه وكرم الله وجهه — بأن يذهب الى بيت هذا الرجل ويقتله ، ليمنع قالة لسوء على امرأته . فأتاه على . فاذا هو فى ركى يتبرد فيها . فقال له : اخرج . فناوله الرجل يده وهو عريان . فأخرجه . فاذا هـو مقطوع الذكر . فلم يقتله الامام على رضى الله عنه ثم قال للنبى ﷺ : انه لمجبوب أى مقطوع الذكر . فتكون التهمة باطلة .

هذا الحديث الذى رواه كثيرون من اهل الحديث ، لا يمكن أن يجادل به مسلم فى اثبات النبوة لمحمد ﷺ . وذلك لأنه يطعن فى شرف أم المؤمنين « مارية » وفى شرف النبى أيضا . ولأنه يثبت أن للنبى طلب قتله بلا شهود أربعة . ويثبت أنه خالف القرآن فى حد القذف . اذ حد القذف ثمانين جلدة وهو يأمر عليا بأن يقتل الرجل — وهذا اذا كانت التهمة قذفا لا زنا ، والحديث لا يقول بالقذف —



فاذا عاند اليهود والنصارى بعد البيان والحجة ، فانه يجب على المسلمين قتالهم . واذا صفوا الصفوف للقتال ، وقال اليهودى أو النصرانى المسلم : دعنى ولا تقتلنى . وان أنت تركتنى وخليت سبيلى ، فانى سأسالمك ولن اصد الناس عن دينك ، لا بحرب ولا بالقاء شبه على الدين . ففى هـذه الحالة يجب على المسلم ان يأخذ منه الجزية (١) ، ولا يقتله . وان دفـع الجزية . فان المسلم يجب عليه ان يحسن معاملته ولا يسىء اليه . وذلك مستفاد من قوله تعالى : ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ،

---

(١) رواه مسـلم

(٢) لا تؤخذ الجزية من الكافر المسالم . انها تؤخذ من الكتابى فقط .

ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يـد وهم صاغرون » (التوبة ٢٩)

ومن قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين. انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .
(الممتحنة ٨ — ٩)

واذا دفع الكتابى الجزية ، ثم اعتدى عليه مسلم بالقتل العمد : فإن المسلم يقتل به ، واذا قتل مسلم كتابيا خطأ ، فانه يدفع الدية لأهله . ومقدارها كمقدار دية المسلم المقتول من المسلم خطأ . وذلك لقوله تعالى : « النفس بالنفس » وقد عصم الكتابى دمه وماله بالجزية . فصارت نفسه كنفس المسلم الذى عصم ماله ودمه بالاسلام . ولقول محمد بن الحسن صاحب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان : روى أهل المدينة : أن رسول الله ﷺ قتل مسلما بكافر . وقال : انا أحق من وفى بذمته .

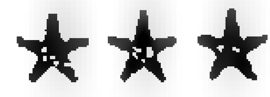
ويجب على المسلمين اكرام مساكين أهل الكتاب الواقعين تحت الجزية. فان معاملتهم بالحسنى تحببهم فى الاسلام وترغبهم فيه . ولكن ليس من مؤاخاة مع الاكرام . فان الاخوة لا تكون الا لأصحاب الدين الواحد . والمسلمون لأن دينهم واحد هم اخوة وذلك لقوله تعالى :

« انما المؤمنون اخوة » (الحجرات ١٠) ومن ينادى بالاخاء بين الكتابى والمسلم،معمنع الجزيةعنهم فانهلايكون مسلما، أو لايكونفاهما لدين الاسلام حق الفهم وذلك لأن معنىالاخاء:هو المساواة بين جميع المواطنينفىالحقوق والواجبات . ولو تساوى الكتابى بالمسلم ، لصار رئيسا ومرءوسا . أى رئيسا على مسلم ، ومرءوسا من مسلم . كما يترأس مدير فى شركة على عاملين فيها . أو عامل يترأس على عامل مثله اقل منه درجـــة . ودين الاسلام يمنع رئاسة الكتابى على المسلم أيا كان نوع الرئاسة . كضابط على جنود ، أو وزير على عاملين فى وزارته ، أو رئيس دولة على رعاياهـا الذين هم مسلمون وكتابيون . وهذا المنع مستفاد من أخذ الجزية منهم ، ومن تعليل أخذها بقوله تعالى : « عن يد . وهم صاغرون » .



ولأن المسلمين اليوم ضعفاء فى السلاح ، وأهل الكتاب أقوياء فيـه ، وقع كثيرون من المسلمين فى بلاد كثيرة تحت يد أهل الكتاب ، وحذرهم أهل الكتاب من الجهاد فى سبيل الله . وحذروهم أيضا من التعالى على الكتابيين

فى بلادهم .بل أجبروهم على أن يتساووا فى الحقوق والواجبات مع الكتابيين . واذا تساووا . فعلى أى دين يمشون ؟ انه اذا مشى المسلم على لقرآن ومشى غيره على كتابه . فان التفرقة تظهر بين المواطنين ، ولا تتحقق المساواة . واذا مشى الكتابى على كتابه ، ومشى المسلم على كتابه ، فان كتاب المسلم يلزمه بأن يكون رئيسا لا مرءوسا . وعندئذ تظهر التفرقة ولا تتحقق المساواة . وقد رأى أهل الكتاب لتحقيق المساواة والمؤاخاة : أن يجبروا المسلمين وغيرهم ، فى البلد الواحد ، على التخلى عن شرائع الدين . وأن يتحاكموا فيما بينهم على قوانين يكتبونها بأيديهم ، ويتواضعون عليها . ولطول الأيام التى هجر فيها المسلمون قوانين القرآن . ظهر لى من كثيرين منهم أنهم غير منتبهين الى حكم الجزية . وبعضهم صرح بأنهم منتبهين للحكم . ولكن الصبر ، حتى يأتى الفرج . وبعض المسلمين نادوا بالاخاء جهلا ، وبعضهم شرحوا به صدرا . وليتهم لم ينادوا ، وليتهم لم يشرحوا . فقد استحقوا اثما .



وليعلم أهل العالم : أن المسلمين اذا حكموا ، عدلوا ، واذا عاهدوا أوفوا ، واذا قالوا صدقوا . وذلك لأنهم خير أمة أخرجها الله للناس . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، لكان خيرا لهم . ولو سالموا المسلمين ودفعوا الجزية لهم ، لكان وجودهم تحت يد المسلمين خيرا لهم من وجودهم تحت يد الكفار من الشيوعيين وغيرهم ، وخيراً لهم من وجود بعضهم تحت يد بعض .

واذكر هذا الشاهد من التاريخ للتدليل على ما نقول :

يقول ناصر خسرو القباديانى المروزى فى سفر نامة عن « الحاكم بأمر الله » — رضى الله عنه — فى أرض « مصر » ما نصه :

أ — « وشرب الخمر محرم تحريما باتا ، ولم يسمع أحد ان انسانا جرأ على شرب الخمر فى أيام « الحاكم بأمر الله » ولم يكن يسمح للنساء بالخروج سافرات ، كما أن تخمير الزبيب كان محرما . بل ان « الحاكم » منع تداول الزبيب حتى لا يتخذ الناس منه الخمر ، ولم يكن يجرؤ أى انسان على شرب الخمور والأنبذة المسكرة . (ص ٩٥) .

ب — « وقد بنى المسجد — مسجد ابن طولون — أمير من أمراء

العباسيين كان يحكم مصر . ويقولون : انه فى أيام « الحاكم بأمر الله » جد السلطان الحالى ، جاء أبناء « طولون » صاحب المسجد ، وباعوا المسجد بثلاثين الف دينار مغربى ، لـ « الحاكم بأمر الله » وبعد زمن عادوا يدعون : أنهم لم يدخلوا منارة المسجد فى عقد البيع ، وشرعوا فى هدمها ، فارسل اليهم « الحاكم بأمر الله » أن قد بعتم المسجد لى ، فلم تهدمون المنارة ؟ فقالوا : نحن لم نبع المنارة ، وانما بعنا المسجد . فأمر لهم الحاكم بخمسة آلاف درهم ، ثمن المنارة » . (ص ١٠٤)

ت — « وقد اشترى « الحاكم بأمر الله الفاطمى » هذا المسجد — مسجد عمرو بن العاص — من احفاد « عمرو بن العاص » ويقال : ان احفاد « عمرو بن العاص » ذهبوا الى الحاكم ، وشكوا اليه فقرهم وحاجتهم ، وأن المسجد يتعلق بجدهم ، فاذا أذن لهم السلطان ، فانهم يهدمونه ، ويبيعون احجاره وأخشابه ، علهم يجدون ما يسد حاجتهم . فرثى السلطان لحالهم ، واشترى منهم المسجد واشهد كافة سكان مصر على تلك المبايعة» (ص ١٠٦)

ث — « ويشتهر الباعة فى « مصر » بالصدق فى المعاملات . واذا كذب أحد الباعة على المشترى ، فان المحتسب يعاقب البائع بأن يأمر باركابه على جمل ، واعلام جميع الناس بواسطة منادٍ ، فى يده جرس . يعلن على الناس سوء فعلته ، ويرغم البائع على الاعتراف بأنه ظلم المشترى ، بأن باع له بأكثر من السعر الرسمى المحدد . ويكرر المنادى : أن هذا جزاء كل من تسول له نفسه تطفيف الكيل وبخس الموازين » . (ص ١١٠)

ج — « ولقد رأيت فى « مصر » احد اغنياء النصارى ، وكان فى غاية الغنى ، يملك اسطولا من السفن ، تجول فى البحار ، وتصب الأموال فى خزائنه . ولا يعرف أى انسان حدود ثروته وغناه . وصادف أن النيل لم يف ذلك العام وغلا سعر المواد الغذائية ، وخيم شبح الجوع على وادى النيل . فاستدعاه الوزير الأعظم ، وأخبره بجلية الأمر ، وكيف أن خاطر السلطان متغير ، مما ألم برعيته من الجوع . وسأله الوزير عن القدر الذى يستطيع تقديمه من المواد الغذائية . ان بنقد وان اقرضا ؟

فأجاب التاجر النصرانى : أدام الله الوزير . اننى بفضل الله ، ثم بفضل سلطان « مصر » أملك من لغلال ما لو استمر القحط ستة أعوام ، فانا على استعداد لاطعام أهل « مصر » حبا فى السلطان » . (ص ١١١)

ح — « وقد بلغ الأمن وفراغ بال المصريين من وساوس اللصوص حدا

حمل البزازين والصيارفة على ترك دكاكينهم مفتوحة . وكانوا يكتفـون بوضع غطاء خفيف على أماكنهم أثناء انصرافهم للصلاة ، أو لقضاء الحاجة. ومع ذلك فلا تمتد يد الى بضائعهم .

وكان أحد اليهود يقيم فى « مصر » وهو من كبار تجار المجوهرات ، وكان من المقربين (١) للسلطان وكان فى غاية الغنى والوجاهة ، وكان يؤمـن احتياجات القصر من المجوهرات واعتدى عليه جند السلطان يوما وقتلوه . وعندما خاف جنـد السلطان من غضبه وانتقامه ركب عشرون ألف فارس من أولئك الجنـد ، واتجهوا الى قصر السلطان ، طلبا للشفاعة والعفو ، وعم الهرج والمرج بين سكان القاهرة ، وظل ذلك العدد الكبير من الجنـد بباب قصر السلطان لى أن انتصف النهار . فأطل عليهم أحد حجاب القصر قائلا : أيها الجنـد السلطان يسألكم : (هل ما زلتم فى طاعتـه أم لا) فأجابوا بصوت رجل واحد : نعم نحن عبيد السلطان وطوع بنانه . ولكننا ارتكبنا خطأ ونخشى عقاب مولانا السلطان . فطمأنهم الخادم أن السلطان قد عفى عنهم ، وأن عليهم أن يعودوا الى معسكرهم فتفرقوا .

واسم اليهودى المقتول أبو سعيد ، وكان له ابن أخ ، ويقـال ان مال اليهودى كان لا يقع تحت حصر ، ولا علم مقداره الا الله ، ويقولـون ان اليهودى كان يخبىء ثلاثمائة كيس من الفضة فى أعلى عمارته .

وكتب أخو اليهودى خطابا الى السلطان يعرض فيه التنازل عن مائتى ألف دينـار مغربى من مـال أخيـه المقتول مخافة أن يتعـرض ما بقى من المـال للنهب والسلب ، فأرسل السلطان الخطاب الى خارج القصر وأمر بتلاوته على الناس ، ثم أمر به فمزق ، وقال مخاطبا لأخ اليهودى : كن مطمئنا وارجع الى منزلك آمنا ، فلا يستطيع أحد أن ينالك بأذى ، وأنا لست طامعا فى مـال أخيك أو فى مالك .

وبعث السلطان لأخ اليهودى مالا كثيرا استرضاء له (أ. هـ (ص ١١٤ — ١١٥)

---

(١) ربما كان هذا اليهودى هو أبو سعد سهل بن هارون التسترى ، كان تاجرا يهوديا وكان مولى أم المستنصر الفاطمى ، وهى أمـة سوداء اشتراها الظاهر واستولدها المستنصر ، فلما أفضت الخلافة اليه استدنت أمه أبا سعد ورقته الى درجة علية ، وصار هو المتصرف فى شؤون البلاد حتى أصبح الوزير الفلاحى « صدقة بن يوسف » يأتمر بأمره (خطط المقريزى ج ٢ — ص ١٧٠) (كلام المحقق) .

التعليــق :

هذه شهادة تاريخية تــدل على أن الحاكم المسلم يلتزم بالحق وبالعدل ، أيا كان مذهبه فى العقائد شيعيا او سنيا أو فى الفقه جعفريا أو حنيفــا . ويلتزم باكرام اهل الذمة اذا أعطوا الجزية عن يــد وهم صاغرون . وهل يطلب اهل العالم الا هــذا ؟



ولنرجع الى بيان مذهبنا فى نقــد كتب أهل الكتاب . ونقول :

ان نقد الكتب المقدسة عند اهل الكتاب يتم على الطرق التالية :

الطريقة الأولى : بيان السند . أى عن فلان أو عن فلانة ، عن فلان ، الى موسى عليه السلام أو الى داود أو الى عيسى بن مريم . ثم يوثــق الشهود الذين نقلوا الخبر ، وهذا لا يعترف به اليهود ولا النصارى . ومن النكات المشهورة فى هذا الشــأن : أن ولــد رجل بخيل ، اقترض مــن كثيرين على أن يســدد بعــد موت أبيه الطاعن فى السن ، ولمــا طال الأجل بأبيه ، شــدد الدائنون على الابن . فما كان من الابن الا أن أوثق كتاف أبيه وأشاع خبر موته ، ووضعه فى النعش ، وحمله المشيعون الى المقبرة . فلما مــر النعش تحت قصر « تارقوش » صاح الرجل : اغثنى أيها الحاكم أنا حى . أنا لم امت . وتقلب فى النعش . فأمر « تارقوش » برفع غطاء النعش . فرفعوه . ثم نظر اليه قائلا : تقول انك حى . وهؤلاء المشيعون الذين يزيدون عن عشرة آلاف يشهد مشيهم خلف نعشك على أنك ميت . فهل أصدقك وأكذب هؤلاء المشيعين ؟ هل أصدق فردا وأكذب أمــة ؟ امضوا به الى القبر .

ولأنهم لا يعترفون به ، وان اعترفوا به ، فقــد يأتون بأسماء وهمية ويعدلون أصحابها . ونحن لا نقــدر على احياء الموتى ، لنسأل معاصريهم عنه . فلذلك تعــد هذه الطريقة غير مجدية فى النقد . ويكفينا فى عــدم جدواها اعتراف النصارى بفقــدان سند كتب الأناجيل الأربعة .

ففى دائرة المعارف البريطانية : « ان القول بأن متى ولوقا استخدمــا اناجيل مرقس ، أصبح على وجه العموم مسلما به . ولكن بجانب انجيــل مرقس ، فلا بــد أنهما استخدما وثيقة أخرى ، يشار اليها الآن بالحــرف كيــو (Q) والذى يرمز الى كلمــة المصدر ، كما استخرجت من الكلمة الألمانية التى تعطى هذا المعنى » (ص ٥٢٣ ج ٢ دائرة المعارف البريطانية)

وفى دائرة المعارف الأمريكية : « ان هناك مشكلة عامة وصعبه تنجم عن التناقض الذى يظهر فى نواح كثيرة بين الانجيل الرابع — وهو انجيل يوحنا — والثلاثة المتشابهة — وهى متى ومرقس ولوقا — باعتبارها صحيحة وموثوقا فيها ، فان ما يترتب على ذلك هو عدم صحة انجيل يوحنا» (ص ٧٣ ج ١٣ دائرة المعارف الأمريكية)

الطريقة الثانية : بيان المتن . وهو النص . ونقد النص هو المطلوب الأعظم للمسلمين من كتب أهل الكتاب . ولم يخل جيل من مسلمين نقدوه وبينوا زيفه . وذلك لأن سقوط النص عن الاستدلال يستتبعه سقوط المعنى الذى يدل عليه النص . واذا سقطت المعانى ، تسقط العقائد والتشريعات . ولا يكون لدينهم قداسة ولا احترام . وهذا هو مطلوبنا نحن المسلمين .

ولنورد أمثلة لذلك :

أولا : من توراة موسى : يقول الكاتب فى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : « فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موءاب ، حسب قول الرب . ودفنه فى الجواء . فى أرض موءاب » فهل موسى يكتب خبر موته من قبل أن يموت ؟

وفى توراة موسى حديث عن « ربة بنى عمون » التى استولى عليها داود عليه السلام . وكان بعد موسى بنحو خمسمائة عام تقريبا . وفيها أيضا: حديث عن سرير « عوج » ملك « باشان » ولم يستول على « باشان » بنو اسرائيل الا من بعد موت موسى بزمن طويل . هلك فيه القضاة المذكورة تواريخهم فى سفر القضاة .

واذا ظهر من المتن ما يدل على كلام لم يقله مؤلف السفر ، فان المتن يكون مشكوكا فيه واذا احتمل المتن الشك . فقل : على المعنى السلام .

ثانيا : من زبور داود : لقد كان داود عليه السلام بعد موسى بخمسمائة عام تقريبا . وقبل سبى بابل بخمسمائة عام تقريبا . وفى زبوره نصوص تدل على أن الكاتب قد كتبه فى مدينة « بابل » منها : على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف فى وسطها علقنا اعوادنا ... ان نسيتك يا أورشليم تنسانى يمينى ... الخ . (مزمور ١٣٧) .

ثالثا : من الاناجيل الأربعة : يقــول لوقا فى بــدء أنجيله ما نصــه : « اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا . كما سلمها الينا الذين كانوا منــذ البــدء معاينين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضــا اذ قــد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى اليك أيهــا العزيز « ثاو فيلوس . لتعرف صــحة الكلام الذى علمت بــه » (لــو ١ : ١ — ٤)

فلوقا يكتب عن سماع ، ولم يكتب عن رؤية . والسماع قد يخطىء فيه الناقل . وقــد ينقل عن كذابين لهم غرض فى التضليل واللبس والابهام .. ولا يعرف أنهم كذابين حــال النقل . بل ان الحواريين انفسهم الــذين شاهدوا عيسى عليه الســلام بأعينهم ، وسمعوا كلامه بآذانهم ، يخطئهم « بولس » ويقول عنهم انهم « لا شىء » واذا كان الحواريون المعتبــرون لا شىء عندهم . فمن هم هؤلاء الذين هم على شىء عندهم ؟

يقول بولس فى رسالته الى أهل غلاطية : « واما المعتبرون أنهم شىء . مهمــا كانــوا ..

لا فــرق عنــدى .

الله لا يأخــذ بوجه انسان .

فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشىء . بل بالعكس . اذ رأوا انى أؤتمنت على انجيل الغرلة ، كما بطرس على انجيل الختان ... الخ » . (غلا ٢ : ٦)

يريد أن يقول : اننى أسمح للامم الداخلة فى النصرانية بأن لا يختنــوا أولادهم ، ولا يختتنوا . واذا كان بطرس لا يسمح للامم الا أن يختنــوا ويختتنوا . فهذا هو رأيه . وليس رأيه شيئا عندى . فانى أرى عــدم الختان . هذا هو ما يريده بولس من عباراته . وانه لمخطىء . فان التوراة التى لم ينسخ المسيح عيسى أحكامها لقوله : « ما جئت لأنقض النامــوس » تلزم اليهودى والنصرانى بالختان . والمسيح عيسى نفسه قد اختتن كمــا قال لوقا فى انجيله .

فلوقا الذى يكتب عن سماع . عمن يكتب ؟ عمن يكتب اذا كان الحواريون انفسهم لا يوثق بهم . وهم الذين لزموا المسيح بن مريم عليه الســلام فى حــله وترحــاله ؟

والطريقة الثالثة : هى بيان تفسير اليهودى أو النصرانى للنص . ثم بيان نقـــده .

وهذه الطريقة قد مشى عليها كثيرون من المسلمين فى النقد . ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية — رضى الله عنه — فانه ربط بين أهـــل التصوف من المسلمين وبين النصارى فى ان الشيطان يظهر لهم ويضلهم .

ثم ذكر نصا من انجيل متى وذكر تفسيرهم له ، ثم نقده . وهو أن مريم العذراء تحبل وتلد ابنـــا . هو عيسى .

وذلك لتتحقق نبوءة فى سفر أشعياء تقول : ان عذراء ستحبل وتلد ابنا . فقد اقتبس متى قول أشعياء لو طبقه على العذراء وابنها . ليبين أن مجىء عيسى على هذه الصورة كان بوعد الهى على لسان أشعياء . وقد صرح أشعياء بأن اسم المولود هو « عمانوئيل » — وعيسى ليس اسمه «عمانوئيل» — ثم زاد متى من عنده : تفسير عمانوئيل بانه « الله معنا » أى أن « الله معنا » هو فى متى ، وليس فى أشعياء .

وقد رددت على متى فى كتابنا « أقانيم النصارى توضيح ونقد » شـــأن كلام أشعياء كان عن معجزة تجرى فى زمانه للملك « آحاز » وقـــد حدثت بالفعل فى زمـــانه . وأن العـــذراء فى اللغة العبـــرانية هى « علمه » وهى تفسر بالامرأة الشابة ، سواء كانت عذراء أو غير عذراء .



وهذا هو نص ما كتبه شيخ الاسلام فى الربط بـــين المتصوفين وبـــين النصارى وفى اظهار تفسير النصارى للنص ، ثم بيان نقده .

« وكثير منهم يتمثل له الشيطان (١) ويقول : أنا ربك فيخاطبه بظنه ربه ، وانمـــا هو الشيطان .

ومنهم : من يرى عرشا عليه نور ، أو يرى ما يظنـــه الملائكة وهـــم شياطين ، وذلك شيطان .

وكثير من هؤلاء يظن أنه أفضل من الأنبياء ، وأنه يدخل الى الله بلا اذن خلافا للانبياء ويكون ذلك الاله الذى يعتقده هو الشيطان ، والذين لا يتمثل

---

(١) للانسان قرين من الشيطان . وهذا القرين لا يولد مع الانســـان ، حال ولادة الانسان من بطن أمه . وانما هو يقترن بالانسان فى حالة بعـــد الانسان عن الله وهو كبير السن والعقل . لقوله : « ومن يعش عن ذكر الرحمن ، نقيض له شيطانا ، فهو له قرين » .

لهم الشيطان يخاطب احـــدهم من فى قلبه فتخاطبه تلك الصورة العلميــة ويقــدر انها تخاطبه ، ويظن ذلك مخاطبة الحق له .

وهذا كالرجل يذكر بعض اصحابه فيمثله فى قلبه ويخاطبه مخاطبة من يعاتبه أو يعتذر اليه ، ويقــدر خطاب تلك الصورة ، ويقــول قلت لك : كــذا ، وقلت لى : كــذا .

ونفس الشخص لا يكلمه ولا يسمع كلامه ، وانما هو المثال كمــا تلــد يصور صورة الانسان يخاطبها الانسان ويقــدر ذلك مخاطبــة لصــاحب الصورة والنصارى ادخل فى هذا من غيرهم ، فانهم يخاطبون الصور الممثلة فى الكنائس كصورة مريم والمسيح والقديسين ، ويقولون : انمــا نقصــد خطاب اصحاب تلك الصورة نتشفع بهم .

وهذا مما حرمه الله على السن جميع النبيين ولم يشرع لأحد أن يــدعو الملائكة ولا الأنبياء والصالحين الأموات ، فكيف بالصور الممثلة لهم كمــا قــد بسط فى موضع آخــر .

والمقصود هنا : أن كثيرا ما يوجد فى كلام الناس الانبياء وغيرهم مــن ذكر ظهور الله عز وجل ، والمراد به ظهوره فى قلوب عباده بالمعرفة والمحبة والــذكر .

ولهذا لــما كان يقصد بذكر اسمه ذكر المسمى صار يقول من يقول : ان الاسم هو المسمى اى ان المراد المقصود من الاسم هو المسمى لا أن نفس اللفظ هو المسمى . فان هذا لا يقوله عاقل وتنزيه الاسم وتسبيحه تنزيه للمسمى وتسبيح له .

كما قال تعــــالى : « **سبح اسم ربك الأعلى★الذى خلق فسوى** » (سورة الأعلى : ٢،١)
وقال : « **فسبح باسم ربك العظيم** » ، (سورة الواقعة : ٩٦) .
وقال : « **تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام** » ، (سورة الرحمن: ٧٨)

وجاء فى حديث : « لا تقوم القيامة حتى لا يعبد الله اسم » أى لا يعبد الله باسم من اسمائه ، فانه اذا قيل : دعوت الله وعبدته ، فانما فى اللفظ الاسم والمقصود هو المسمى .

وهذا الذى ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت فى المسيح وغيره بأن المراد ظهور ما فى القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهــداه وروحه ، هو مما يفسر به ذلك كثير من علماء النصارى ، فانهم يفسرون اتحاد اللاهوت بالناسوت بظهور اللاهوت فيه كظهور نقش الخــاتم فى الشمع والطين .

ومعلوم أن الحال فى الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا أن فى الشمع والطين شيئا من الخاتم ، بل ظهر فيه نقش الخاتم .

وكذلك يظهر نور الله وروحه فى الأنبياء والصالحين ، وهذا المعنى لا يختص به المسيح عليه السلام ، بل يشترك فيه وسائر الرسل ، بل وكل مؤمن له من هذا نصيب بحسب ايمانه .

فصل فى

معنى « عمانويل »

قالوا : وقال « اشعيا » النبى : (ها هى العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعى اسمه عمانويل) .
وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربى « الهنا معنا » فقد شهد النبى أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما .

فيقال : ليس فى هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت ، وانها ولدت خالق السموات والأرض ، بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض ، فانه قال : تلد ابنا .

وهذا نكرة فى الاثبات كما يقال فى سائر النساء : ان فلانة ولدت ابنا ، وهذا دليل على أنه ابن من البنين ليس هو خالق السموات والأرضين . ثم قال : ويدعى اسمه « عمانول » فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له ، ويسمى به كما يسمى الناس أبناءهم بأسماء الأعلام ، أو الصفات التى يسمونهم بها .

ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلا ارتجلوه .

ومنها ما يكون بجملة يحكونها ، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه عمانويل ، ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ، ويذكرون فى ذلك قصة جرت .

ومنهم من يقول : بل المراد مريم ، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين :

اما انه يريد ان الهنا معنا بالنصر والاعانة ، فان بنى اسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم ، فلما بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع

من اتبع المسيح والمسيح نفسه لم يبق معهم ، بل رفع الى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والاعانة .

كما قال تعالى : « **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** » ، (سورة الصف : ١٤) .

وقال تعالى : « **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة** » (سورة آل عمران : ٥٥) . وهذا أظهر .

واما أن يكون يسمى المسيح الها ، كما يقولون : انه يسمى موسى اله فرعون اى هو الامر الناهى له المسلط عليه ، وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة ، فقال : معناها الله معنا ، فقال من رد عليهم علمائهم يقال لهم : أهذا هو القائل أنا الرب ولا اله غيرى وانا اميت وانا احيى ، ام هو القائل لله : انك انت الاله الحق وحدك الذى أرسلت يسوع المسيح ؟ واذا كان الأول باطلا والثانى هو الذى شهد به الانجيل وجب تصديق الانجيل وتكذيب من كتب فى الانجيل أن « عمانويل » تأويله « الله معنا » بل تأويل عمانويل « معنا اله » وليس المسيح مخصوصا بهذا الاسم ، بل عمانويل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى .

وهذا موجود فى عصرنا هذا فى أهل الكتاب من سماه أبوه عمانويل معنى « شريف القدر » قال : وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانويل ، قلت : ومعلوم أن الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والاعانة ، ويقال للرجل فى الدعاء : الله معك فاذا سمى الرجل بقوله : « الله معك » كان هذا تبركا بمعنى هذا الاسم ، واذا قيل ان المسيح سمى الله معنا ، أو الهنا معنا ونحو ذلك ، كان ذلك دليلا على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به ، فيكون الله هاديه وناصره ومعينه (١) » أ.هـ

ثم خاطب شيخ الاسلام ابن تيمية — رضى الله عنه — طوائف النصارى قائلا :

« فان المسيح لم يسن لكم التثليث والقول بالأقانيم ، ولا القول بأنه رب العالمين ، ولا سن لكم استحلال الخنزير وغيره من المحرمات ، ولا ترك الختان ، ولا الصلاة الى المشرق ، ولا اتخاذ أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، ولا الشرك ، واتخاذ التماثيل والصليب ، ودعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وسؤالهم الحوائج ، ولا الرهبانية . وغير

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ٢١٠ — ٢١٣

ذلك من المنكرات التى أحدثتموها ، ولم يسنها لكم المسيح ، ولا ما انتم عليه هى السنة التى تسلمتموها من رسل المسيح ، بل عامة ما انتم عليه من السنين : اور محدثا مبتدعة بعد الحواريين ، كصومكم خمسين يوما زمن الربيع ، واتخاذكم عيدا يوم الخميس والجمعة والسبت ، فان هذا لم يسنه المسيح ولا أحد من لحواريين . وكذلك عيد الحواريين : الميلاد والغطاس . وغير ذلك من أعيادكم .

بل عيد الصليب انما ابتدعته « هيلانة » الحرانية الفندقانية ، أم قسطنطين ، فأنتم تقولون : انها هى التى أظهرت الصليب ، وصنعت لوقت ظهوره عيدا . وذلك بعد المسيح والحواريين بمدة طويلة فى زمن ملك « قسطنطين » بعد « المسيح » بأكثر من ثلثمائة سنة .

وفى ذلك الزمان أحدثتم « الأمانة » المخالفة لنصوص الأنبياء فى غير موضع ، واظهرتم استحلال الخنزير ، وعقوبة من (لا) يأكله ، وابتدعتم فى ذلك الزمان تعظيم الصليب ، وغير ذلك من بدعكم . وكذلك كتب القوانين التى عندكم التى جعلتموها سنة وشريعة (ليس) فيها شىء عن الأنبياء والحواريين ، وكثير مما فيها ابتدعه من بعدهم . لا ينقلونه لا عن المسيح ولا عن الحواريين . فكيف تدعون أنكم على السنة والشريعة ، التى كان عليها « المسيح » — عليه السلام — ؟ وهذامما يعلم بالاضطرار والتواتر : أنه كذب بين (١) » أ.هـ

رد اللغـــو

وقـد لغـا الذين كفروا من أهل الكتاب فى القرآن ، ليصدوا الناس عن معرفة معانيه . وأوردوا شبهات على النبى صلى الله عليه وسلم ليقولوا للناس : انه كاذب فى دعوى النبوة ، وليس هو النبى الذى أنبأ عنه موسى فى سفر التثنية فى قوله : يقيم لك الرب الهك نبيا من بين اخوتك مثلى له تسمعون واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه بـه ... الـخ .

ومن أبرز لغوهم وشبهاتهم ما يلى :

أولا : القتال فى سبيل الله :

يعيب الذين كفروا من أهل الكتاب دين الاسلام بأنه انتشر بالسيف . والرد عليهم : هو أن الاسلام يأمر غير المسلمين بالدخـول فيه . فان

---

(١) ص ٢٣٠ ج ٢ الجواب الصحيح لمن بـدل دين المسيح

رفضوا : يطلب منهم المسالمة وعـدم فتنة من يسلم . ودليل المسالمة من أهل الكتـاب : هو دفع الجزية . ومن غـير أهل الكتاب : هـو المسالمة وعدم فتنة من يسلم . وذلك لانه ليس عليهم من جزية . ومن يسـالم المسلمين فانه لا يحق لهم قتاله ولا أخذ ماله ولا سبى نسـائه . ومـا فى القرآن عن الجهاد ، كان فى التوراة وهو الان فى الانجيل . ولكن بنى اسرائيل فى سبى بابل حرفوا نص التوراة عن الجهاد(١) وجعلوا شريعة التوراة لبنى اسرائيل واستبعدو الأمم من الدخول فيها . وجعلوا النص عن الجهـاد كمـا يلى :

أ — كان المكتوب هو أنهم اذا قصدوا قرية لنشر الاسـلام فيهـا على دين موسى ، يدعون أهلها بالكلام الى الدخول فى الدين . فكتبوا : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها الى الصلح » أى يقصدون استعمارا لا نشر دين .

ب — وكان المكتوب انهم اذا دعوهم الى الدخول فى الدين وأجابـوا . يكون المجيبون واليهود أمام شريعة التوراة على حـد سواء . فكتبوا : ان أهل القرية اذا أجابـوا الى الصلح — لا الى الدين كمـا زعموا — فكل أهلها يكونون عبيدا لليهود « فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك » .

ت — وكان المكتوب أنهم اذا حاربوا أهل القرية لعدم استجابتهم للدخول فى الدين وكسروا شوكتهم ، فانهم يغنمون أموالهم ويسترقون نساءهم . والضعفاء الناجون من القتل لا يقتلون ، لأن المسالم لا يقتل . فكتبـوا : « وان لم تسالمك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها . واذا دفعهـا الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحـد السيف . وأما النسـاء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة . كل غنيمة فتغتنمها لنفسك ... الخ»

ث — والأمم الذين يعيشون بجوار قرى اليهود . كان المكتوب فى الحكم عنهم أنهم يدعون الى الاسلام . فان أجابوا والا سالموا أو قتلوا . كالبعيدين عنهم سواء بسواء . فكتبوا أن الامم المجاورة لها حكم خاص وهو أن يباد الناس كلهم ذكورا واناثا صغارا وكبارا « هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمهـا تحريما . الحثيين ، والأموريين ، والكنعانيين ، والفرزيين ، والحويين ، واليبوسيين ... الخ » .

---

(١) راجع تفسير القرطبى فى آخر سورة الشـورى — واعلام النبوة للماوردى — وفصل الدعوات العالمية السماوية فى كتاب نقد التوراة .

وقــد وبخهم عيسى عليه السلام على ترك الجهاد فى سبيل الله . وقال لهم : أخذتم مفتاح المعرفة . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم . ثم قال لأتباعه : من كان عنده ثوبان ، فليبع ثوبا ويشترى به سيفا . كمــا فى انجيــل لوقــا .

فاذا عابوا الاسلام على أنه شرع الجهاد فى سبيل الله . فان الجهــاد كان مشروعا عندهم . لقوله تعالى :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون فى سبيل الله . فيقتلون ويقتلون . وعــدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقــرآن » . (التوبــة ١١١)

ثانيــا : تعدد الزوجات فى الاسلام :

يطعن حساد المسلمين من أهل الكتاب على الشريعة الاسلامية بأنهــا تبيح تعدد الزوجات وتبيح تعــدد الجوارى . ويقولون : ان الحــكمة تقتضى الاقتصار على واحدة . وقــد جــاء فى تفاسير القــرآن : أن الله تعــالى اباح للرجل ان يجمع بين تسع نساء فى نكاح صحيح ، وأن يجمع معهن جوارى بلا عــدد . وجاء فى التفاسير : انه يحل الجمع بين أكثر من تسع نساء فى نكاح صحيح مع الجوارى بلا عدد . فالشافعى لم يبح الجمع بين أكثر من أربعة . وحكى عن طائفة من الشيعة أنهم يجوزون الجمع بين أكثر من أربع الى تسع . وقال بعضهم : بلا حصر . وقال ابن كثير فى تفسيره : « وقــد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمعــه بين أكثر من أربع الى تسع ، كما ثبت فى الصحيح . واما احدى عشرة كما جاء فى بعض ألفاظ البخارى . وقد علقه البخارى وقد روينا عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بخمس عشرة امراة ، ودخــل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده احدى عشرة ، ومات عن تسع (١) ».

والــرد عليهم : هو أن تعدد الزوجات مباح فى التوراة . وعيسى عليه السلام لم ينسخها لقوله : «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» (متى٥:١٧) وعيسى لم يتزوج لأنه كان من المنذورين لله تعالى من صغره . والنــذير لا يتزوج . وداود عليه السلام صاحب الزبور — الذى هو سفر المزامير — وكان على شريعة التوراة يدعو اليها ويجاهد بها فى سبيل الله ، وقد أتــم الله على يديــه فتح الأرض المقدسة ، ومكنه من نشر الدين فيهــا هــذا كان له نساء كثيرات . حرائر وجوارى . فقد تــزوج من : ميــكال — اخينوعم — أبيجايل — معكة — حجيث — أبيطال — عجلة . كمــا هــو مذكور فى سفر صموئيل الثانى (٢ صم : ٢ الخ)

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٥٠

سبعة نساء حرائر . وأما الجوارى ففى الكتاب المقدس هـذا النص عنهن : « وأخـذ داود أيضا سرارى ونساء من أورشليم ، بعد مجيئه من حبرون . فولد أيضا لداود بنون وبنات » (٢ صم : ٥ — ١٣)

وسليمان عليه السلام « كانت له سبعمائة من النســاء السيدات ، وثلثمائة من السرارى » (١ مل ١١ —)

ثالثـا : نسخ الشرائع :

يقول أعداء المسلمين من أهل الكتاب : ان التوراة شريعة كاملة تصلح كل زمان ومكان وأنها نازلة من السماء على يد موسى نبى الله ورسوله . فلمــاذا يدعى محمد نسخها ويأمرنا بغيرها . وقد مشت على التوراة أجيال وأجيــال ؟

والــرد عليهم : هو : أن التوراة فيها نصوص عن مجىء محمد لينسخها ويبطلها . فمن يعمل بالتوراة كلها . يلزمه الايمــان بمحمــد . لأن من تشريعاتها : أن يسمع له بنــو اسرائيل ويطيعون اذا جاء . ومن لايؤمن منهم به ، فانه يكون كافــرا ببعض نصوصها . والكفر ببعض الكتــاب كالكفر بكله . ففى سفر تثنية الاشتراع فى الأصحاح الثامن عشر : أن الله نهى بنى اسرائيل عن السماع من الكهان والعرافين والسحرة والمنجمين ، وأمر بنى اسرائيل أن يسمعوا من النبى الذى سيقيمه الله لهم ليبلغهم مراده فى حين من الدهر . ووصف هذا النبى بتسعة أوصــاف هى : ١ — نبى ٢ — من بنى اسماعيل ٣ — مثل موسى ٤ — ينســخ شريعة موسى ٥ — أمى لا يقــرأ ولا يكتب ٦ — أمين على الوحى الالهى ٧ — لايقتل بيــد أعدائه ٨ — يتحدث عن غيب ويقع الغيب كما قال ٩ — ينتصر على اليهود والنصارى .

ومن عبارات هذا النص : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمــه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الانسان الـذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . أنا أطالبه » .

وهــذا النص يــدل على نبى الاسلام ﷺ لأن لاسماعيل بركة منصوص عليها فى هذا النص : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره كثيرا جــدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » (تك ١٧) ولأن اسماعيل سكن فى فاران — وهى برية مكة — وفى التوراة عن فاران : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقــال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبــل

فاران ، وأتي من ربوات القدس . وعن يمينه نار شريعة لهـم . فأحب الشعب . جميع قديسيه فى يـدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلـون من أحكامك» (تث ٣٣ : ١ — ٤) فالتلالؤ من جبال فاران هو اشارة الى شريعة الهية تنزل على رجل فيه ، كما أن مجيء الرب من سيناء هو اشارة الى نزول التوراة فى جبل طور سيناء . وفى التوراة عن اسماعيل : انـه سكن فى برية فاران وانكحته أمه امرأة من أرض مصر .

فكيف مع هذه النصوص يستبعد أهل الكتاب نبوة محمد عليه السـلام وانهم لو أقاموا التوراة والانجيل لمـا تصح لهم اقامة الا بالايمـان به عليه السـلام ؟

واعلم : انه كان لبنى اسرائيل عادات من قبل أن تنزل التوراة . ولمـا نزلت التوراة مخالفة لها ، تركوها . فلماذا تركوها ؟ أليس الترك هـو النسخ ؟ فلنفرض انه كان لبنى اسرائيل عادات من قبل أن ينزل القرآن . ولمـا نزل القرآن مخالفا لها . فهل يتركوها أم لا ؟ انهم لـو تركوهـا كمـا تركوا عادات لهم من قبل أن تنزل التوراة . فهل يكونـون مخطئين بالتـرك ؟

لقـد تزوج « عمران » عمته « يوكابد » وحرم موسى عن أمر الله نكاح العمـة . وجمع يعقوب بين الأختين وهما ليئة وراحيل . وحرم الجمـع بين الأختين موسى . وكل الأطعمة كانت حـلا لبنى اسرائيل فحرم موسى الميتة والدم ولحم الخنزير وكثير من كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيـور .

ويقال للنصارى : انتم نسختم احكام التوراة . فقد قال بولس : « لأن جميع الذين هم من اعمال الناموس هم تحت لعنة ، لأنه مكتوب : ملعون كل من لا يثبت فى جميع كل ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ، ليعمل به . ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر ، لأن البار بالايمـان يحيـا . ولكن الناموس ليس من الايمان ، بل الانسان الذى يفعلهـا سيحيا بها . المسيح افتدانا من لعنة الناموس . اذ صار لعنة لأجلنـا » (غل ٣ : ٩ — ١٣) انتم نسختم أحكام التوراة مع أن المسيح عيسى بن مريم لم يأت لنسخها وانما جاء لاصلاحها . فلماذا تشاغبون فى النسخ وأنتم قـد أقررتم به ؟

وأما تفسير كلام بولس فهـو :

أن التوراة تنص على أن القاتل ، يقتل وتعلق جثته على خشبة . وهذا

القاتل لتعديه على شريعة الله يكون ملعونا . وعلى ذلك . فمن يلتزم بالناموس ولا يعمل به ، يكون ملعونا . ومن يلتزم بالناموس يكون تحت اللعنة ان لم يعمل به . وبولس يريد أن يلغى اللعنة ، سواء كانت للاهمال، أو لترقب الاهمال . فلذلك قال : اهجروا التوراة ولا تعملوا بها ، لئلا نكون واقعين تحت اللعنة ان لم نعمل . أى كونوا كالكفار الذين يجهلون الله . فالجاهل لا ذنب له ولا خطيئة له . وبالتالى لا لعنة له ولا غضب عليه .

ثم يخاطب النصارى قائلا : اهجروا التوراة ولا تعملوا باحكامها . فان خطاياكم قد غفرت بقتل المسيح وصلبه للتكفير عنها . وحيث أنها قد غفرت بدم المسيح على الصليب ، فلماذا تعملون ؟ انه كما أن القاتل تعلق على الخشبة جثته ليكون ملعونا ، كذلك المسيح قد علقت جثته على خشبة وصار ملعونا ، لا لاثم نفسه ، بل لاثم أتباعه وأنصاره فالايمان بالمسيح ربا مصلوبا ، يكفى فى دخول الجنة .

وقد أخطأ « بولس » خطأ فادحا بمخالفته لتعاليم المسيح عيسى عليه السلام . فان المسيح عيسى عليه السلام قد التزم بالتوراة وعمل بها وأمر أتباعه بالعمل بها الى أن يأتى محمد رسول الله .



ومما تقدم يتبين : ان الشبهات التى يثيرها أعداء المسلمين من أهل الكتاب على القرآن والنبى . يردها الراسخون فى العلم من المسلمين بكلام مكتوب فى كتبهم أنفسهم .

وهذه الطريقة مستفادة من القرآن الكريم ، من قوله تعالى :
« كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه . من قبل ان تنزل التوراة . قل : فأتوا بالتوراة فاتلوها . ان كنتم صادقين »
(آل عمران ٩٣)

والله أعلى واعلم ، وأعز واكرم . وصلى الله وبارك وسلم على النبى الأمى ، محمد . وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بخير الى يوم الدين .

د/ أحمد حجازى أحمد السقا

القاهرة فى
٢٠ من المحرم ١٤٠٨ هـ
١٣ من سبتمبر ١٩٨٧ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد ، المنزه عن الوالد والوالد ، الأول وليس قبله شيء ، القيوم الذى لا يشبهه أحد من ميت أو حى ، الذى أرسل رسلا مبشرين ومنذرين ، وأوضح المحجة بانزال كتب لهداية الانس والجن أجمعين « لئلا يكون للناس على الله حجة » فبدأهم بآدم عليه السلام ،

وختمهم بحبيبه سيد الأنام ، محمد الذى استضاءت من نوره الأصفياء ،

ما مضت فترة من الرسل الا بشرت قومها به الأنبياء

وصفيه أحمد المشفع يوم الزحام ، صاحب المقام المحمود المختص به من بين الرسل الكرام

وكل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

المصطفى الذى فتحت به عين العمياء ، وآمنت ببعثته كافة الأنبياء ،

واقتدت بحضرته العلية سادات الصلحاء

ومبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله الأمناء ، وأصحابه الذين

ما لموسى ولا عيسى حواريون فى فضلهم ولا نقباء

وعلى الأئمة التابعين لآثارهم المشيدين لأركانهم ، والعلماء الذين

فيضهم الله فى كل عصر ينفون عنــه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، ويزيلون شكوك المرتابين ، ويظهرون دسائس أعداء الدين ، ويذبــون بدهن أقلامهم افتراء المفترين ، وكذب الكذابين •

أما بعـــد :

فقــد رأيت فى السنة الرابعة بعد الثلثمائة وألف من هجرة النبى الأشرف أوراقا مطبوعة فى لندن سنة ١٨٨٠ م بالضلال والبهتان مشتملة على تقديم دين النصارى على سائر الأديان ، طاعنة دين الاسلام ، بكل قصير رمح وكليل سنان ، مزخرفة بالأكاذيب على الله تعالى ورسوله مما لم تسمعها الآذان •

مقدمة للتثليث ، منتحلة للصليب الظاهر بطلانه ظهور الشــمس للعيان الا على العميان ، منسوبة الى « عبد المسيح بن اسحق الكندى »

مجيبا بها فى زمن « المأمون العباسى » رســالة « عبد الله بن اسمعيل الهاشمى» حينما دعاه فيها الى دين الاسلام القوى الدعام وكلاهما فيما أظن «هى بن بى» وأن الصائغ لهما عصرى خدا الحى باللى ، أو زنديق متقدم العصر أراد ترويج الغى ، وأن ينسخ نور الشمس بالفىء • ولعمرى أن باطلها لا يخفى على ذى عينين ، وحديد كهامها يعرفه كل قين • ولقد قدمت رجلا وأخرت أخرى عن رد باطلها ، وبيان عاطلها ، واستعظمت أن أنطق ولو على طريقة النقل بكلماتها ، أو أحرر بقلمى على سبيل الرد قبيح هذاتها ، لأن ما فيها يحكى العواء على بدر السماء غير أن جهلة النصارى ربما يختلج فى أذهانهم عجز المسلمين عــن رد هذياناتهم ، فأسرعت لــرد الجواب ، واقتديت بمن قبلى من الأجــلة الداخلين فى هذا الباب ، الذين أتوا بالحكمة وفصل الخطاب ، وامتثلت ما ورد فى محكم الكتاب ، من قوله جل وعز « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم** (١) » •

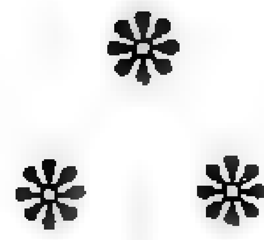
---

(١) العنكبــوت ٤٦

قال المفسرون « أى بالخصلة التى هى أحسن نثواب ، وذلك على سبيل الدعاء لهم الى الله سبحانه وتعالى والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء اجابتهم الى الاسلام لاعلى طريق الاغلاظ والمخاشنة ، ثم استثنى سبحانه « الاالذين ظلموا منهم » وهم المفرطون فى المجادلة الذين لم ينفع فيهم ، ولم يتأدبوا مع المسلمين ، فلا بأس بالاغلاظ عليهم ، كما كان المسيح عليه السلام يغلظ على الفريسيين، ولكتبة الكلام ٠

وقد نقل ذلك عنه أصحاب الأناجيل ، بعبارات لا تقبل التأويل حاكيا فى كتابى هذا قوله بحجره وبجره ورمته كما حكى الله سبحانه فى كتابه العزيز ما قاله الكفار للنبى عليه الصلاة والسلام وأمته ويجب على العلماء ولا سيما فى هذا الزمان اظهار علمهم كما ورد فى الخبر عن سيد الانس والجان ، فشرعت فيه طالبا للتوفيق والامداد ، متكلا على من تنزه عن الصاحبة والأولاد ، سائلا منه جل وعز الهداية والتيسير والحفظ من كيد الأعداء والحساد ، مسميا له بـ **« الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح »** ٠

فاقول :



(بـــدء كتـــاب النصـــرانى)

قال النصرانى « بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر رب تمم بالخير

الى فـــلان بن فـــلان أصغر عبيد المسيح

سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحل عليك خاصة وعلى جميع أهل العالم عامة بجوده وكرمه آمين .

أمـــا بعـــد : فقد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لى من رأى سيدى أمير المؤمنين ، ودعوت الله الذى لا يخيب داعيه اذا دعاه بنيـــة صادقة أن يطيل بقاء سيدنا أمير المؤمنين فى أسبغ النعم ، وأدوم الكرامة وأشمل العافية بمنه ورحمته ، وشكرت أكرمك الله ما ظهر لى من فضلك بالعناية ، وما كشفته من لطيف محبتك وخصصتنى بـــه من المودة ، فقد كان العهد قبلا عندى على هذا قديما وقد زاده تأكيـــدا ما تبين لى من شفقتك مستأنفا ، وشكرى يقصر عما فعلته ، ولم تتعد ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك ،وأنا أرغب الى الله جل اسمه الذى بيده الخير كله أن يتولى مكافأتك عنى بما هو واسع له ، فانه لا يعجز عن شىء ويحسن جزاءك عن نيتك فقد لعمرى أفرغت مجهودك والنصيحة عند نفسك ، ولم تبق غاية . ووجب شكرك على اذ كنت لم تأت بمـــا أتيت بـــه الا على الاخلاص من المـــودة .

وكان الذى حملك على ذلك فرط المحبة والألفة وفهمت — أفهمك الله كل خير وهداك الى سبيل الرشاد — اقتصصته فى كتابك وتعمقت فيه من الدعوة وشرحته من أمر ديانتك هذه ، التى أنت عليها ، وما دعوتنى الى الدخول اليه ورغبتنى فيه منها ، وقد علمت — أصلحك الله — علما حقيقيا أن الذى دعاك الى ذلك ما يوجبه لنا تفضلك من حق حرمتنا بك لمـــا يظهر من رأى سيدنا وسيدك وابن عمك أمير المؤمنين فينا .

فهذا أكرمك الله ما لا قوة لنا على شكرك عليه ولا عون لنـــا على

ذلك الا الله تبارك وتعالى ، فاننا نستعينه ونسأله مبتهلين طالبين اليه أن يشكرك عنا فانه أهل لذلك والقادر عليه •

فأما ما دعوتنى اليه من أمر دينك الذى تنتحله ومقالتك التى تعتقدها وهى الحنيفية وأنك على ملة أبينا ابراهيم وما قلت فيه انه « كان حنيفا مسلما » فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلص العالمين الذى وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح فى انجيله المقدس، حيث يقول « اذا قدمتم الى القضاة والحكام فلا تهتموا بما تقولون ولا بما تجيبون ، فانكم ستعطون فى ذلك الوقت وتلقنون ما تتكلمون وتدفعون عن أنفسكم به من الجواب والحجة (١) » فأنا واثق بما وعدنى بـه سيدى المسيح فى انجيله المقدس من انجازه وعده لى ، وأدخـل معك المعركة مستغيثا بالله متكلا عليه ، اذ كنت أنا العاجز عن كل شىء لا أتأخر عن دعوته المنيرة وعن دينه الأفضل •

وأفتتح كلامى بما يلقننى به من صلاح القول ويلهمنى من وثيق الحجة كعادته عند أوليائه وأرجو منه الظفر » •



الرد على كلام النصرانى :

فأقول غير خفى على المطلعين أن النزاع بين النصارى والمسلمين قائم على ساق من غابر السنين ، وقد لفق النصارى بعض الرسائل فى اثبات حقية دينهم ، وليس والله تحتها طـائل وألف المتقـدمون والمتأخرون من علماء الموحدين كتبا فى ردهم هى وأيم الله نور مبين للمستضيئين •

منها كتاب الحافظ الامام أبى العباس تقى الدين بن تيميـة المسمى بـ « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » أربعة أجـزاء وكتاب « هداية الحيارى لأجوبة اليهود والنصـارى (٢) » للعلامـة الشهير بابن قيم الجوزية وكتاب « دلائل النبوة » لافاضل الماوردى ،

(١) انجيل متى — الأصحاح العاشر

(٢) طبع بمعرفتنـا

ولابن كثير الفهامة الشهير ، وكتــاب « الأجوبة الفاخرة » للفاضــل القراف وكتاب « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » لعبد الله بن الترجمان الذى كان قسيسا فأسلم وكتاب « اظهار الحق » لصاحبنا العالم الفاضل المجاور فى بيت الله الحرام الشيخ « رحمت الله الهندى » أطال بقاءه المعيد المبدى وكتاب « تخجيل الأناجيل » للشيخ أبى البقاء صالح ، ومختصره للفاضل أبى الفضائل المالكى . ومنها كتاب «الرهاوى» بالراء المهملة ، وكتاب عمرو بن بحر الجاحظ ، وكتــــاب عبد الجبار المغربى ، ومقالة القاضى أبى بكر ، وكلام الجوينى ، وكتاب الطرطوسى وكتاب ابن عوض ، وكتاب خلف الدمياطى ، والنصيحة الايمانية (٤) والانتصارات الاسلامية (٥) والرد على اليهــود (٦) لعلاء الدين على بن محمد الباجى الشافعى .

وغير ذلك مما ألف فى التركية والهندية وغيرها .

وأما ما ألفه المهتدون الذين دخلوا فى دين الاســلام من أحبــار اليهود وقسيسى النصارى فى عصرنا هذا وقبله وبينوا فضائحهم ، فكثير جــدا والحمد لله تعالى .

وأعلم أنه وان كان يكفينا لردهم ما كتبه هؤلاء الأعلام وغيرهم(٧) من علماء الاسلام من الكتب المدونة وغيرها فى سائر العلوم ككتب العقائد والتفاسير والحديث . غير أن هذه الأوراق المنسوبة الى « عبد المسيح » مع رسالة « عبد الله بن اسماعيل الهاشمى العباسى » المــذكور التى طبعت فى « لندن » وان كان الظن الغالب أنهما مفتعلتان مختلفتان من بعض البروتستانتيين أو نحوهم على لسان هذين الرجلين ، اذ لم نعثر

(٣) طبع بمعرفتنـــا

(٤) طبع بمعرفتنـــا

(٥) طبع بمعرفتنـــا

(٦) طبع بمعرفتنـــا

(٧) مثل كتاب اقانيم النصارى ، وكتاب نقد التوراة — أسفار موسى الخمسة — وكتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل .

على ترجمة هذين الرجلين ، ولا وجدنا هاتين الرسالتين عند أحد من أهل الاسلام ولا فى مكتبة أحد من الأنام •

وفى رسالة « عبد المسيح » من اساءة الادب والكذب والتشنيع على دين الاسلام ما لم يكن فى غيرها وقد زخرف مفتريها كلامه ليروج على بعض ذوى الآراء القاصرة ، وسلك فيها مسلكا لم يسلكه غيره من اخوانه الشياطين الفاجرة •

لى حيلة فيمن ينم •:• وليس فى الكذاب حيلة
من كان يخلق مايقول •:• فحيلتى فيه قليلة

فلزم علينا عدم تركها من الجواب • وسيسمع بحوله ، سبحانه وقوته مفتعلها أجوبة يسلمها ذوو الألباب •

ومن جملة ما يشير الى أنها مختلقة :

أنه ذكر فى أول الرسالة التى نسبها الى « عبد الله ابن اسماعيل الهاشمى » ما نصه •• « بسم الله الرحمن الرحيم » ••

أما بعد :

فقد افتتحت كتابى اليك بالسلام عليك والرحمة تشبها بسيدى وسيد الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثقاتنا ذوى العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناقلين الينا أخبار نبينا عليه السلام قد رووا لنا عنه : أن هذه كانت عادته وأنه كان ﷺ اذا افتتح كلامه مع الناس يبادؤهم بالسلام والرحمة فى مخاطبته اياهم ، ولا يفرق بين الذمى والأمى ولا بين المؤمن والمشرك »

وأنت تعلم أن النبى عليه الصلاة والسلام انما كان يفتتح كتبه الشريفة بالسلام على من اتبع الهدى فمن ذلك كتابه الى هرقل بعد البسملة « من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى » ومن ذلك ما فى آخر كتابه الى النجاشى « فأقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى » وكتابه الى المقوقس « من محمد بن

عبد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى » •

وغير ذلك كثير •

ومن جملة دسائسها : أن مؤلفها النصرانى هـذا افتتح كتـابه بالبسملة ، مع أن النصارى ان افتتحوا يفتتحون قائلين « باسم الأب والابن وروح القدس اله واحد » •

ثم أعلم هداك الله تعالى ووفقنا للسداد أن « عبد المسيح » عـند طلب الدخول فى المعركة والنزال ومصارعة الأبـطال عند الخـلو مـن حضور الرجال ، فيصدق عليه قول الشاعر .

واذا ما خـلا الجبان بأرض ∴ طلب الحرب وحده والنزالا

وليت شعرى كيف يغلب فى المعركة من غـدا بعبد المسيح مسمى لمن غـدا عبدا الله الذى خلق المسيح ؟ •

أعباد المسيح يخاف صحبى ∴ ونحن عبيد من خلق المسيحا

وأما بقية كلماته فى هذه الأسطر المتقدمة ، فسيأتى الكلام عليها فى أماكنها ومحالها المناسبة لهـا ان شاء الله تعـالى •

★ ★ ★

قال النصرانى : « فأقول مجيبا لك قد علمت أبقاك الله اذ زعمت أنك قرأت كتب الله المنزلة ونظرت فى ديوان أسراره المقدسة التى هى الكتب العتيقة والحديثة أن التوراة التى أنزلهـا الله تعالى على موسى النبى وناجاه بجميع ما فيها وخبره أسراره مكتوب فى السفر الأول من أسفارها الخمسة وهو المعروف بسفر الخليقة أن ابراهيم كان نازلا مع آبائه بحران ، ، وأنها كانت مسكنا لهم وأن الله تبارك وتعالى تجـلى عليه بعد تسعين سنة وآمن به وحسب له ذلك بـرا • فقد علمنا يرحمك الله أن ابراهيم انما كان نازلا بحران مع آبائه تسعين سنة لم يعبـــد إلا الصنم المسمى « العزى » وهو المعروف بحران المتخذ على اسـم

القمر ، لأن أهل حران انما كانوا يعبدون هذا الصنم ، تلك البقية قائمة فيهم الى هذه الغاية لا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئا ، غير القرابين التى يتخذونها من الناس فان ذبح الناس لا يتهيأ لهم اليوم جهرا بل يحتالون فيه فيفعلونه سرا فكان ابراهيم يعبد الصنم حنيفا مع آبائه وأجداده وأهل بلده كما أقررت أنت أيها الحنيف ، وشهدت بذلك عليه الى أن تجلى الله عليه ، فلما آمن به وصدق موعده ، فحسب له ذلك برا(١) « تكوين ١٥ » زال عنه الحنيفية التى هى عبادة الأصنام وصار موحدا مؤمنا لأننا نجد الحنيفية فى كتب الله المنزلة اسما لعبادة الأصنام ، فورث ذلك التوحيد « اسحق » الذى هو ابن الموعد وهو الذى قربه لله ، ففداه الله بالكبش من الشجرة لأنه هكذا أمره الله وقال « اعمد الى ابنك ووحيدك الذى تحبه وهو اسحق فامض به حتى تقربه لى قربانا فى الموضع الذى أريكه » ومن نسل اسحق من سارة الحرة ، خرج المسيح مخلص العالم •

فلهذه الأسباب وغيرها ورثه ابراهيم أبوه التوحيد ، ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه ، الذى سماه الله اسرائيل ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطا ، فلم يزل ذلك التراث فى بنى اسرائيل حتى دخلوا أرض مصر أيام الفراعنة بسبب يوسف ، ثم لم يزل ذلك التراث ينتقص ويضعف قرنا بعد قرن حتى اضمحل كاضمحلاله الذى كان فى عصر نوح . اذ كان التوحيد أول من عرفه أبونا آدم ثم ورثا شيث ، ثم شيث ورثه أنوش ابنه فكان أنوش أول من أعلن ذكر التوحيد ودعا اليه ثم ورثه نوح ولده وولد ولده ، ثم اضمحل الى زمن ابراهيم فتجدده ذلك التراث لابراهيم ، فلم يزل يتجدد الى أن ولد يعقوب الذى هو اسرائيل الله ، ثم اضمحل حتى تجدد عند ما بعث الله موسى ، فان الله تجلى عليه بالنار فى العوسجة وقال له فى مناجاته اياه ومخاطبته له « انك

---

(١) « فآمن بالرب فحسبه برا » (تكوين ١٥ : ٦)

وقول النصرانى أن النص فى تكوين ١٥ يدل على أن المؤلف ليس عبد المسيح الكندى ، بل يدل على المؤلف نصرانى معاصر لأن التقسيم الى أصحاحات تقسيم حديث .

ترسلنى الى قوم غلف القلوب انهم ان سألونى وقالوا ما اسم الـذى وجهك الينا ؟ وبماذا وجهك حتى نصدقك ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله مجيبا : هكذا تقول لبنى اسرائيل الذين أنا مرسلك اليهم ، وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلت اليه (أهيه أشر اهيه اليذم) وتفسيره ذلك الأزلى الذى لم يزل اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقـوب أرسلنى اليكم » أهـ .



أقول وبالله التوفيق ان الكلام على هذه الكلمات فى فصول

الفصـــــل الأول

فى بيان ما فى بعض ألفاظه من الاصطلاحات ونحو ذلك .

منها قوله : زعمت . والزعم هو القول بغير دليل ، وقد يطلق على القول الحق كقوله :

ودعوتنى وزعمت أنك ناصـــح .. ولقد صدقت وكنت ثم أمينـــا

وقوله « فى ديوان أسراره » . الديوان كما فى القاموس بالكسر ويفتح : مجتمع الصحف ، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية وأول من وضعه عمر رضى الله عنه وجمعه دواوين ودياوين ، والمراد هنا المعنى الأول وقوله الكتب العتيقة أراد بها جميع رسائل الأنبياء عليهم السلام الآتى ذكرها التى كتبت قبل المسيح عليه السلام ، ويقال لهـــا العهد العتيق أيضا كالتوراة وقوله والحديثة أراد بهـــا ما كتب بعـــد المسيح عليه السلام ويقال لها العهد الجديد كالانجـــل ، فاليهـــود لا يعتقدون الا بالعتيق والنصارى يعتقدون بالعتيق والجديد معـــا .

وكتب العهد العتيق هى : سفر الخليقة ويقال لـــه ســـفر تكوين

الخلائق أيضا • وسفر الخروج وسفر الأحبار • وسفر العــدد وسفر الاستثناء • ثم صحيفة يشوع بن نون ، وسفر القضاة ، وكتاب راعوث، وصحائف صموئيل ، والملوك والأخبار وعزرا ونحميا وأستير وأيوب وزبور داوود وأمثال سليمان والجامعة ونشيد الانشاد وصحيفة أشعياء وارمياء ومراثيه ، وصحيفة حزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموض وعوبديا ويونس — المسمى عندهم يونان — وميخا وناحوم وحبقلوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخيا عليهم السلام (١) •

وكتب العهــد الجديد هى انجيـل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا وكتاب أخبار الرسل ورسالة بولس الى أهل رومية ورسالته الأولى الى أهل كورنثوس ورسالته الثانية الى أهل كورنثوس ورسالته الى أهل غلاطية ورسالته الى أهل أنسس ورسالته الى أهــل فيلبى ، ورسالته الى أهل كولوسى ورسالته الأولى الى أهل تسالونيكى ورسالته الثانية اليهم أيضا ورسالته الأولى الى تيموثاوس ، ورسالته الثانية أيضا اليه ورسالته الى تلميذه تيطس ورسالتــه الى فبليمون ورسالته الى العبرانيين ، ورسالة يعقوب الكاثوليكية ورســالة بطرس الكاثوليكية الأولى ورسالته الكاثوليكية الثانية ورسالة يوحنا الكاثوليكية الأولى ورسالته الثانية ورسالته الثالثة ورسالة يهوذا الكاثوليكية وكتاب رؤية يوحنا الانجيلى وهى الأبوكاليبسيس •

وسيأتيك ان شاء الله تعالى بيان اختلافهم فى بعض ذلك ، فانتظره ولا تغفــل •

تتمــة فى فائدتين :

الأولى : لا يخفى عليك أن النزاع بين فرقتى اليهود السامريــة وغير السامرية فى أمر التوراة مشهور ، وكذا هــو قائم بــين فرقــة البروتستانت وفرقة الكاثوليكيين وغيرهم فى أمر التوراة المنشورة الآن فى العالم ، فادعى البروتستنت أن التوراة الموجودة • فيهــا التحريف

(١) لقب عليهم السلام لا يصح أن يطلق الا على الأنبياء الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم •

الظاهر والزيادة والنقصان وادعى الكاثوليكيون أن البروتستنت كلما طبعوا نسخة حرفوا وبدلوا ، فلننقل لك بعض كلماتهم فى ردهم على البروتستنت من كتبهم المتعددة المنشورة ككتاب المحاورة بين البشير والتتر المطبوع فى بيروت . قال الكاثوليك : « لا يستطيع البروتستانت أن يثبتوا أن عندهم التوراة المقدسة أما أولا فانهم مجمعون على ترتيل التوراة الكاثوليكية ، ويلزم منه أيضا أن لا يكون عند الروم ولا عند السريان ولا عند الكلدان ولا عند الأرمن ولا عند الأقباط لانهم أخذوا التوراة من الكاثوليكيين ، فاذن لا توجد توراة صحيحة الا عند البروتستانت والتوراة لا تكون الا واحدة . والحال قد وجدت عند البروتستانت متعددة على قدر أعداد شيعهم ، أى قد بلغت أشكالها عددا لايحصر ولا يزال آخذا بالازدياد لأن كل ترجمة من التوراة ينشرها البروتستانت تختلف بدرجات مختلفة عن الترجمات السالفة ، وتأتى بنص جديد للكتاب المقدس ، ومنذ ظهور مذهبهم كان يدعى أحد زعمائهم المسمى « زونيكل » أن ترجمة التوراة التى ألفها « لوتير » أفسدت كلام الله وكانوا يرمون ترجمة « كلوين » بالكفر وحكم المعلم دى « مولين البروتستانتى » أن توراة « كلوين » تحتوى على زيادات ، ويرذلون أيضا الأسفار المعروفة بتثنية القانونية ، ومنها سفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر باروخ وسفر الحكمة وسفر ابن سيراخ وسفر المكابيين وغيرها .

وبالجملة فانهم لا يستطيعون بيان عدد أسفار التوراة ولا كمية فصولها وعدد آياتها » . انتهى ملخص ما يقول الكاثوليكيون فى كتبهم المطبوعة فى ردهم على البروتستانتيين وانت تعلم اذا نظرت أيضا الى التوراة التى طبعها الكاثوليك تراها أيضا متخالفة متغايرة وكل نسخة لا توافق الأخرى ، وكذا أناجيلهم وعهدهم الجديد لا توافق بين نسخها وطبعها . وهذا الحال مستمر فى جميع فرقهم على سائر الأزمان ، وظاهر ظهور الشمس للعيان ، فلا تغفل .

الثانية نذكر لك فيها بعض فرق اليهود والنصارى لتستعين بذلك

أيضا على رد بعض مقالات هذا النصرانى الآتية ، ونزيدك وقوفا على مختلف أقوال هاتين الأمتين اللتين هما أعظم الأمم الكتابية .

فاعلم أن اليهود تسموا بذلك لقـول موسى عليه السلام « انـا هدنا اليك » أى رجعنا وتضرعنا يقال هاد الرجل اذا رجع وتاب ، وقيل انهم عقب رجوعهم من سبى بابل فى زمان « عزرا » دعوا يهـودا من سبط يهوذا وكانوا يفتخرون بهذا الاسم لأن معناه الديانة الصحيحة . وهى التوحيد . وهم أولاد يعقـوب المدعو باسرائيل بن اسـحق بن ابراهيم . ويعقوب عليه السلام ولد له اثنى عشر ولدا ، ويقال لهـم الأسباط الاثنى عشر ، وقد اشتهر بين هؤلاء الأسباط لاوى الذى كان منه موسى عليه السلام وأخوه هرون ، وكان أكبر من موسى بثـلاث سنين .

وقد تفرقت اليهود فى آرائها الى فرق متعددة .

فمنها الفرقة الصدوقية أى الصـدوقيين . ومنهـم تناسـلت السامريون (١) وهم سكان السامرة ولم يتمسكوا الا بأسـفار موسى الخمسة فقط وهى المسماة بالتوراة ، ورفضوا ما عداها من أسفار العهد القديم ، وكان هيكلهم قرب مدينة نابلس ، وبينهم وبين غيرهم من اليهود عداوة شديدة . ومن فرقهم الصدوقيون نسبة الى رئيسـهم صادوق الكاهن على ماقيل ولم يقبلوا من العهـد القديم سوى الأسفار الخمسة أيضا وأنكروا قيامة الموتى . ومن فرقهم الفريسيون وهم أعظم طوائف اليهود وأقدمها . وهذه تسمية عبرانية ومعناها الافراز ، ويراد بذلك افرازهم عن الشعب باعتبار القداسة المنسوبة اليهم . ومن فرقهـم الكتبة ويقال لهم الناموسيون أيضا - ولم يكونوا من قبيلة مخصوصة ولكنهم كانوا ينسخون الكتب المقدسة ، ويميلون الى مطالعة العـلوم

---

(١) الصحيح : أن اليهود من قبل عيسى عليه السلام كانـوا سامريين وعبرانيين ، والعبرانيون فى زمان عيسى انقسموا الى صدوقيون وفريسيين ، ومن بعد زمانه صاروا ربانيين وقرائين .

والفنون . ويفسرون احكام الشريعه ويوافقون الفريسيين فى التدين . ومن فرقهم الأسينيون وهم فرع من الفريسيين . واذا أراد أحد أن يدخل فيهم يمتحنونه ثلاث سنين ، فاذا قبلوه اشترطوا عليه عبادة الله تعالى واستعمال العدل ، وأن لا يخفى شيئا من أسراره عن الجمعية ، ولا يظهر منها شيئا للغير ، ولو يخوف بالقتل وكانوا يحتقرون الأموال ويشاركون فى أمتعتهم ويؤمنون بالسعادة ، بعد الموت ، ولكنهم مرتابون القيامة .

ومن فرقهم الهيروديون وهم طائفة سياسية بين اليهود لا يتداخلون بأمر الديانة . ومن فرقهم الجليليون . ومن فرقهم السيرتيون . وقيل انه كان لهم مجمع مختص بهم فى أورشليم أى البيت المقدس ، ثم أنه بعد ميلاد المسيح باحدى وسبعين سنة غزا طيطس الرومانى بيت المقدس ، وأضرمت عساكره النار فى ذلك الهيكل العظيم ، وهدمته ، وقد تفرقت اليهود وتلاشت عباداتهم .

انتهى ملخصا من كتاب « سوسنة سليمان » لنوفل المسيحى .

وفى « الملل والنحل » للعلامة الشهرستانى : أن اليهود نيف وسبعون فرقة ، قال : « ونحن نذكر منها أشهرها ونترك الباقى ، فمن ذلك العنانية نسبوا الى رجل يقال له « عنان بن داود » يخالفون سائر اليهود فى السبت والأعياد ويختصرون على أكل الطير والظباء والسمك والجراد ويذبحون الحيوان على القفا ، ويصدقون عيسى عليه السلام فى مواعظه واشاراته ، ويقولون انه لم يخالف التوراة البتة بل قررها ودعا الناس اليها ، الا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته ، ومن هؤلاء من يقول انه لم يدع أنه نبى وأنه صاحب شريعة ناسخة . بل هو من أولياء الله تعالى ، والانجيل ليس كتابا منزلا عليه ، بل هو جميع أحواله من مبدئه الى كماله ، وانما جمعه أربعة من أصحابه ، فكيف يكون كتابا منزلا ؟

ومن ذلك العيسوية نسبوا الى أبى عيسى اسحق بن يعقوب

الأصفهانى ، وقيل اسمه عوفيد ألوهيم أى عابد الله ، كان فى زمــن « المنصور » واتبعه بشر كثير من اليهود . وزعم أنه نبى وأنه رسول المسيح المنتظر ، زعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله ، واحدا بعد واحد ، وأن الله وكله أن يخلص بنى اسرائيل من أيــــدى الأمم العاصين ، وحرم فى كتابه الذبائح كلها وأوجب عشر صلـــوات وخالف اليهود فى كثير من الأحكام وقتله وأصحابه عسكر المنصور بالرى .

ومن ذلك المقاربة واليوذعانية نسبوا الى «يوذعان» رجل من «همدان» وقيل : كان اسمه يهوذا يحث على الزهد ، وكان يزعم أن للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتأويلا . ومنهم الموسكانية أصحاب موسكا على مذهب يوزعان غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه ، فخرج وقتـــل مع أصحابه بناحية قم .

وذكر عن جماعة من الموسكانية أنهم أثبتوا نبوة نبينـــا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الى العرب وسائر الناس لأنهم أهـــل ملة وكتاب . ومن ذلك السامرية وهم قوم يسكنون بيت المقدس وقرى من أعمال مصر ، يتقشفون فى العبادة أكثر من تقشف سائر اليهود ، أثبتوا نبوة موسى وهرون ويوشع بن نون عليهم السلام وأنكروا نبـــوة من بعدهم رأسا الا نبيا واحدا ، وقالوا التوراة ما بشرت الا بنبى واحد يأتى من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة ، ويحكم بحكمها . فظهر فى السامرة رجل يقال له الألفان ادعى النبوة ، وزعم أنه هـــو الذى بشر به موسى ، وأنه هو الكوكب الذى ورد فى التوراة أنه يضىء ضوء القمر ، وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مـــائة ســـنة .

وافترقت السامرية الى دوستانية وهم الألفانية والى كوسانية . والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة ، والكوسانية معناها الجماعة الصادقة ، وبين الفريقين اختلاف فى الأحكام والشرائع والعقائد والقبلة ، انتهى باقتصار وتلخيص .

وأما النصارى فتسموا بذلك لأن المسيح خرج فى قرية الناصرة(١)، ومنها انتقل الى بيت المقدس ، وهم نيف وسبعون فرقة »، وفى كتاب موسوعة سليمان لنوفل بن نعمة الله بن جرجيس النصرانى المؤلف المطبوع سنة ١٨٤٤ أن المسيحيين ينقسمون الى ثلاثة فروع أصلية .

الأول الكنيسة الكاثوليكية ورتبها بابارومية ، الثانى الكنيسة الأرثوذكسية وهى الكنيسة اليونانية : الثالث الكنيسة الانجيلية ، وهى الكنيسة البروتستانية . والمراد من الكنيسة : العقيدة والمذهب والـدين .

قال : ويجمعهم فى الاعتقاد دستور ايمانهم المختص من الانجيل. وهو هـذا :

« نؤمن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض ، كـل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور ، اله حق من آله حق ، مولـود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ، الذى به كان كل شىء الذى من اجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس ، وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث ، على ما فى الكتب . وصـعد الى السماء وجلس عن يمين الآب . وأيضا : يأتى بمجد ليدين الأحيـاء والأموات الذى لا فناء لملكه ، وبالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن يسجد له وبمجد ، الناطق بالأنبيـاء وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . ونعترف بمعمودية واحـدة لمغفرة الخطايا ، ونترجى قيامة الموتى والحياة فى الدهر العتيد آمين».

ولا خلاف بين هذه الفروع الثلاثة المـذكورة فى مضامين هـذا الدستور ، سوى أن بين الكاثوليكيين والروم فى قضية انبثاق الـروح

الصحيح : أنهم سموا نصارى من الكلمة العبرانية « هانصرى » وذلك لأن الناصرة من نصيب سبط زبولون . وهو سبط لليهود السامريين . وعيسى عليه السلام من العبرانيين من قرى سبط يهوذا (البشارة بنبى الاسلام) .

القدس (اختلاف) فان الكاثوليكيين يقولون « المنبثق من الآب والابن، الذى هو مع الآب ، والابن يسجد له ويمجد » وأما الانجيليون فلا يتعرضون للمناكفة فى شىء من ذلك ، وانما يقولون : ان أصل الدستور الذى ألفه المجمع النيقاوى المسكونى . هذا فحواه : « نؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد مساو للآب فى الجوهر ، الذى به كان كل شىء ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا . نزل من السماء وتجسد وتأنس وصاب عنا على عهد بيلاطس البنطى • وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث ، وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب، وأيضا يأتى بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذى لا فناء لملكه ، وبالروح القدس الرب المحيى الذى هو مع الآب والابن ، يسجد له وبمجد ، الناطق بالأنبياء ، ونترجى قيامة الموتى والحياة فى الدهر العتيد آمين » • ولما كان هذا الدين لا يدعى بأنه جاء ناسخا أو مبطلا للديانة الموسوية وانما هو تكملة لها كان العهد الجديد لا يتعرض الى وضع شرائع وقوانين سياسية ، غير ما ورد فى العهد العتيق » انتهى •

قلت:أين هو من تبديل السبت والختان ، وأكل لحم الخنزير وغيره من الحيوانات المحرمة فى التوراة والاغتسال للجنابة وغيرها والطلاق والتزوج بأكثر من واحدة ، وغفران الخطايا وغير ذلك مما نبهناك عليه غير مرة ؟

قال النصرانى نوفل المذكور : « فصل فى البدع التى ظهرت بين المسيحيين ، وسبب انعقاد المجامع وانقسام الكنائس أى المذاهب •

وذلك أنهم لما اختلفوا فى التفاسير التى عولوا عليها ما أوجب صيرورة هذا الدين أيضا عرضة لآراء الناس ومجادلاتهم ، وسبب ظهور البدع (١) الآتى ذكرها التى ينوعها البعض الى خمسة أقسام

---

(١) يقول ول ديورانت فى كتابه قصة الحضارة ج ١١ ص ٤١٨، ما نصه :
«لما فتحت المسيحية«روما»انتقل الى الدين الجديد —اى الدين النصرانى— دماء الدين الوثنى القديم:لقب الحبر الأعظم،وعبادة الامم العظمى وعدد لايحصى=

متباينة : الأول بدع الفلسفة ، الثانى : بدع الأخلاق ، الثالث : البدع المتعلقة بطبيعتى المسيح ، الرابع : بدعة المجادلة ، الخامس : البدع الصورية أو العادية • ثم صارت هذه البدع سببا الى انعقاد المجامع ، وتعاليم المجامع سببا لانقسام الكنائس الحاضرة الى تقليدية وانجيلية، فبدع الفلسفة ظهرت فى عهد الرسل أى الحواريين ، وتولس •

فمنها أولا بدعة الغنوسيين ، فمزجت هذه الطائفة الفلسفة بأصول الدين ، حتى جعلوهما شيئا واحدا ، فرفضوا شريعة موسى ، وكانوا أهل رياضيات وكان كثير منهم يقول : ان المسيح الذى اعتبروه منبثقا من اللاهوت على الانسان يسوع عند معموديته ودام معه الى وقت صلبه ، وحينئذ تركه ورجع الى السماء ، وكثير منهم رفض جزء من الأسفار المقدسة •

ولما ظهر « مانى » الفارسى فى القرن الرابع بعد الميلاد ، وكان قد نشأ بين المجوس ودخل فى الدين المسيحى ، فزعم أنه « البار قليط»

= من الأرباب التى تبث الراحة والطمأنينة فى النفوس ، وتمتاز بوجود كائنات فى كل مكان ، لا تدركها الحواس . كل هذا انتقل الى المسيحية ، كما ينتقل دم الأم الى ولدها . وأسلمت الامبراطورة المحتضرة أزمة الفتح والمهارة الادارية الى البابوية القوية . وشحذ بقوة سحرها ما فقده السيف المسلول من قوته ، وحل مبشرو الكنيسة محل الدولة .

ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل ثبتتها . ذلك أن العقل اليونانى عاد الى الحياة فى صورة جديدة ، فى لاهوت الكنيسة وطقوسها ، ونقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القداس الرهيبة وجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم لحساب وأبدية الثواب والعقاب وخلود الانسان فى هذا أو ذاك ، ومن مصر جاءت عبادة الأم الطفل ، والاتصال الصوفى بالله ، ذلك الاتصال الذى أوجد الأفلوطنية واللاأدرية ، وطمس معالم العقيدة المسيحية ، ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع « المسيح » وحكمه الأرض لمدة ألف عام » أ.هـ

وهذا اعتراف منهم بأنهم « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم .

نزل من السماء ليكمل الدين الذى زعم أن المسيح تركه ناقصا ، ثم أخذ يفسر الانجيل بما تقتضيه عقيدته ، وجعل جماعته فرقتين نصارى كاملين ونصارى مستمعين وأن رئيس مذهبه يكون نائبا المسيح .

وأما بدع الأخلاق فمنها « النقولاويون » الذين ظهروا فى القرن الأول بعد الميلاد وكانوا يقربون الذبائح للأوثان ويتمرغون فى أقذر الفواحش لأنهم زعموا أن كل من عرف الله والمسيح يخلص . ومنها فرقة المونتانوسية نسبة الى رئيسهم « مونتانوس » زعم أنه بعث ليكمل للناس الآداب التى جاء بها المسيح فمنع الناس عن الزينة وتعلم الفنون ، وتبعه خلق كثيرون لما رأوا فيه من شعار الزهد ، منهم غير ذلك . وأما البدع المتعلقة بطبيعة المسيح كان منشأها البحث بين المسيحيين القدماء فى شأن التثليث ، فمنهم من نفى ألوهية الروح القدس كالمكدونيين ، ومنهم من جعل فى كل أقنوم خاصية تنافى الألوهية كسبليوس الذى ظهر فى القرن الثانى ، ومنهم من قال بوحدانية الذات الالهية كنوبتيوس ، وبولس السمسياطى الذى ظهر بعده .

ثم ظهر آريوس بعد ذلك فى أوائل القرن الرابع ، وأنكر ألوهية المسيح حيث قال انه ليس من ذات الله تعالى وانه مسبوق بالعدم ضرورة لأنه مولود وانه جائز الوجود وأن الحكمة فى وجوده هى لكى يكون واسطة لانقاذ العالم من الخطيئة ، فانعقد لذلك المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ مسيحية ، وحكم ببطلان مذهب هذا الشماس الاسكندرى ، وألف دستور الايمان الذى يجب على المسيحيين أن يتمسكوا به ، وقد سبقت تفاصيله فى ما مر .

ثم لما خطب أحد القسوس فى القسطنطينية يقال له «انستاسيوس» خطبة أنكر فيها على تلقيب العذراء المباركة بوالدة الاله ، وقال انما هى أم المسيح ، تابعه على ذلك البطريك « نسطوريوس » فانعقد بهذا السبب المجمع فى مدينة أفسس بواسطة « كيرلس » بطريك الاسكندرية وحكموا على النساطرة بالهرطقة ، أى الضلال . أما أساقفة المشرق

الذين كانوا فى المجمع المذكور فانهم اجتمعوا أيضا فى « أفسس » وحرموا « كيرلس » المذكور ، وكان ذلك فى القرن الخامس .

ومن ثم ظهر « افتنجيوس » فى القرن المذكور ، وأخذ يعلم بأن المسيح حين تجسد لم يكن له الا ذات واحدة وطبيعة واحدة . ثم أنه ظهر « يعقوب البراذعى » أسقف « أورفه » وأظهر هذا المذهب ، وتوفى سنة ٥٧٨ مسيحية واليه تنسب الطائفة اليعقوبية .

وذهب « اثناسيوس » زمن « هرقل » قيصر « القسطنطينية » الى أن المسيح من حين اتحد فيه اللاهوت والناسوت ، لم يبق له الا ارادة واحدة ، وتأثير واحد ، ناشىء عن تلك الارادة ، واستحسن ذلك « سرجيوس » بطريرك القسطنطينية و « كورش » بطريرك الاسكندرية و « اثناسيوس » بطريرك « انطاكية » والبابا « هنريوس » الأول ، أسقف « رومية » ولم يخالف فى ذلك الا « صفرونيوس » بطريرك « أورشليم » وعقد ضدهم مجمعا فى سنة ٥٧٤ ثم اجتمع مجمع آخر فى القسطنطينية سنة ٦٨٠ وحرموا تلك الطائفة والبابا المذكور أيضا .

واما بدع المجادلة :

منها البيلاجيون أصحاب « بيلاجيوس » البريطانى ورفيقه « سلستيوس » الارلندى ، وكانا كلاهما راهبين فى « رومية » وقد رأيا أن ممايمنع السعادة الأبدية القول بسريان الخطيئة الجسدية الى نسل آدم ، والاعتقاد بأن الانسان يحتاج الى تجديد القلب بنعمة من الله تعالى تمنعه من الاقدام على الخطيئة ، وتقبل به الى التوبة ، ومن ثم شرعا فى ابطال هاتين العقيدتين ، وعلما الناس بأن خطيئة آدم وحواء لا يؤاخذ بها أحد من ذريتهما ، وأن امتناع الانسان عن الخطيئة لايتوقف على تلك النعمة ، وأن الانسان موكول فى الأعمال الى اختياره ، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . ثم ان الذى جرى وتم بينهم النزاع فى اعتقادات أخر ، مبسوطة فى محلها .

ثم ان المؤلف « نوفل » قسم مجامع النصارى الى ثلاثة أقسام : وهى مجامع عامة . ويقال لها مسكونية . ومجامع ملية أى خاصة بطائفة دون غيرها . ومجامع اقليمية أى خاصة باقليم مخصوص ، ثم انه عدد عشرين مجمعا من المجامع العامة سواء صادق عليها الجميع أو أنكر بعضهم على بعضها . والاختلاف فى هذه المجامع واقع فى مسائل كثيرة . منها : أن بعضهم أضاف الى النصارى سنين قانونا وقد أقرها بعضهم وأنكرها آخرون ومنها : قول بعضهم ان الروح القدس ليس باله خلافا لبعضهم . ومنها : أن المسيح ذو جسد حقيقى ونفس حقيقية ، وانه اله تام وانسان . ومنها : ما زاده بعضهم فى دستور الايمان النيقاوى وهو لفظ الروح القدس المنبثق من الآب . ومنها : ما قال المجمع الأفسيسى وحكم بوجود اتحاد جوهرى بين الطبيعتين فى المسيح ، وبأن الاله والانسان فى المسيح هما واحد ، وبأن مريم والدة الاله . فخالفهم « نسطوريوس » وجماعة . ومنها : ما فى مجمع اللصوص . وحكمهم هو أن المسيح ذو طبيعة واحدة . ومنها : ما وقع فى المجمع الخلكيدونى المنعقد سنة ٤٥١ مسيحيه من أن الطبيعتين فى المسيح غير ممتزجتين وغير منفصلتين . وأن المسيح هو واحد فى طبيعتين ، وليس من طبيعتين . ومنها : ما وقع فى المجمع الواقع بين السادس والسابع سنة ٧٥٤ وحرموا فيه اتخاذ الصور والتماثيل فى العبادة والسجود لها وطلب الشفاعة من العذراء ، ثم انعقدت مجامع بعد ذلك فأباحت ذلك . ومنها : ما وقع فى المجمع المنعقد سنة ٨٧٩ وهو أن الانبثاق من الآب وحده . ومنها : ما وقع فى مجمع وهو منع البابا من بيع ورق الغفرانات لأصحاب الذنوب . ومنها : ما وقع فى مجمع آخر وهو تجويز بيع البابا للغفران . وآخر المجامع المنعقدة كان فى رومية سنة ١٨٦٩ ولم يزل مفتوحا الى الآن .

قال نوفل : والكنائس التقليدية تقسم الى عدة فروع كاللاتينية واليونانية واليعقوبية ، من أرمن وقبط وسريان . وطوائف أخر من نسطورية وكلدانية وغير ذلك . والكنائس الانجيلية أى البروتستانتية

تقسم الى ثلاثة فرق : وهى لوترانية وكلوبنية وانكليكانية ، وهـــم متفقون على اعتقاد ما فى الكتاب المقدس فقط فلا يخضعون لشىء من التقاليد التى لا يوجد فيها رسم أصلا ، ولا الى أقوال أحد من الآباء أى العلماء أو المجامع ، الا اذا كان موافقا لنصوصه لفظا ومعنى ، ولذا خالفوا بقية الفرق فى مسائل . كالانكار على الرئاسة العامة ، وعـدم التسليم بأسرار غير المعمودية ، والعشاء الربانى ، والانكــار على الاستحالة ، والرهبانية ، والصلاة الى القديسين ، وطلب شفاعتهم ، واتخاذ الصور والتماثيل ، والمطهر ، والغفرانات والصلاة لأجل الموتى، والتبرير بالأعمال الوفاتية والصلاة بلغة غير مفهومة . وأمثال ذلك مما تستعمله الكنائس التقليدية .

وبين هذه الفرق أيضا مخالفة فى مسائل . انتهى باختصار .

وبقى فيه تفصيل المجامع وغيرها تركناه خشية الملل . والمقصود بيان بعض فرقهم ، ونبذة من اعتقاداتهم وكيف كانت مجامعهم ، وتبرؤهم منها بين لاعن وملعون . كما ننقله لك أيضا فى كتابنا هذا من كـــلام العلامة ابن قيم الجوزية ، وانما نقلناه ليطابق ما نقله المسلمـــون ما اعترفت به النصارى المثلثون . والله سبحانه الهادى الى صـــوب الصـــواب .



الفصـــل الثـــانى

قوله ناقلا عن التوراة : ان ابراهيم عليه السلام كان نازلا مـــع اباثه بحران ، وأن الله سبحانه تجلى عليه بعد تسعين سنة وآمن به ، وأنه كان يعبد الصنم المسمى بعزى الى آخر ما نسبه الى ســـفر التكوين ، فهو كذب وتمويه على الجاهل بما فى التوراة : كما يتضح لك من عبادتها وهى : « وأخذ تارح أبرام ابنه ، ولوط ابن هاران ابن ابنه ، وساراى كنة امرأة أبرام ابنه ، وأخرجهم من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان وأتوا حتى الى حران ، وسكنوا هناك وصارت أيـــام

تارح مائتي وخمسة سنين ومات في حران ، وقال الرب لأبرام أخرج من أرضك ومن قبيلتك ومن بيت أبيك وتعـال الى الأرض التي أريك وأجعلك لشعب كبير ، وأباركك وأكبر اسمك وتكون مباركا • أبـارك مباركك وألعن لاعنيك ، وتتبارك بك جميع قبائل الأرض ، فخرج أبرام كما امره الرب وانطلق معه لوط • وكان أبرام ابن خمسة وسبعين سنة ، حين خرج من حران ، وأخذ ساراى امرأته ولوطا ابن أخيـه ، وكـل ما اقتنوا ، والأنفس التي عملوا بحران وخرجوا ليذهبـوا الى أرض كنعـان •

فلما أتوا اليها طاف أبرام الأرض حتى الى موضع شاخيم ، حتى الى لوطا الشهير ، وأما الكنعاني حينئذ كان في الأرض فاستعلن الرب لأبرام وقال له : نسلك أعطي هذه الأرض • وابتنى هناك أبرام مذبحا للرب الذي تراءى له ، وانتقل من ثم الى الجبل ممـا يلي شرقي بيت ايل ، فضرب هناك خباءه • وله من المغرب بيت ايل ، ومـن المشرق عاى ، وابتنى هناك مذبحا للرب ودعى باسمه » (انتهى بحروفه) •

وفي سفر التكوين أيضا ما نصه : « ولمـا صار أبرام ابن تسعة وتسعين سنة تراءى له الرب ، وقال له : أنا الله ضابط الكل ، فسر أمامي وكن تاما ، فاجعل ميثاقي بيني وبينك ، وأكثرك جدا جدا فسقط أبرام وخر على وجهه ، وقال له الله : أنا هو عهدي معك ، وستكون أبا لأمم كثيرة • ولا يدعى من بعد الآن اسمك أبرام ، ولكنك تدعى ابراهيم لأني أقمتك لأمم كثيرة ، وأجعلك تنمى جدا جدا ، واجعلك لأمم • وملـوك منك يخرجون » (انتهى بحروفه) •

ثم قال بعد أسطر ما نصه : « فقال الله لابراهيم ثانية : وأنت فاحفظ ميثاقي ونسلك من بعـدك في أجيالهم ، هذا ميثـاقي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك : فايختتن منكم كل ذكر وتختتنون لحم غرلتكم ، ليكون علامة الميثاق بيني وبينكم ، فالطفـل ابن ثمانية أيام يختتن بكم : كل ذكر في أجيالكم ، المولود في البيت ،

والمتباع ، فليختتن • وكل من لم يكن من نسلكم ، وسيكون ميثاقى فى لحمكم عهدا مؤبدا • والذكر الذى غرلته لا تكون مختونة ، فتباد تلك النفس من شعبها ، لأنها أبطلت ميثاقى • وقال أيضا الله لابراهيم . ساراى امرأتك لا تدعوها ساراى ، بل سارة وأباركها • ومنها أعطيك ابنا أنا أباركم ، ويكون لأمم وملوك الشعوب يخرجون منــه ، فخر ابراهيم على وجهه وضحك قائلا فى قلبه : أتظن أن يولد ابن لابن هــو ابن مائة سنة ؟ وسارة تلد وهى ابنة تسعين سنة ؟ وقال لله ليت اسماعيل يعيش بين يديك • فقال الله لابراهيم : سارة زوجتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق ، وأقيم له ميثاقى عهدا مؤبدا ، ولنسله من بعده • وعلى اسماعيل ، استجبت لك • هوذا أباركه وأكبره وأكثره جدا جدا ، وسيلد اثنى عشر رئيسا • وأجعله لشعب كبير » (انتهى بحروفه) •

وانمت سردناه لك على طوله ، لتقف على خيانــة هــذا المؤلف ودسائسه وزخرفته للباطل من وجوه عديدة ; منها عزوه لتــوراة فى سفر التكوين : أن ابراهيم كان يعبد الصنم • وهذه عبارات ســفر التكوين بعينها وليس فيها سوى بيان خروجه عليه السلام من «حران» ونسبته الى الكتب السماوية أن الحنيفية اسم معاذة الأصنام • والأمر بخلاف ذلك • قال الله تعالى « **ما كان ابراهيم يهوديــا ولا نصرانيــا ولكن كان حنيفا مسلما (١)** » وليس فى الكتب السماوية ما يقرب مــن قوله • ومنها قوله : « ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه الذى ســماه الله اسرائيل ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطا ، فانــه مخالف لمــا فى التوراة ، من قوله تعالى : « وعلى اسماعيل استجبت لك هوذا أبــاركه وأكبره وأكثره كثيرا جدا وسيلد اثنى عشر رئيسا واجعله لشعب كبير »

---

(١) قال الله تعالى : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » ومن ملته : أن يؤمن الناس بمحمد اذا جاء وذلك لدعاء ابراهيم : « ربنــا وابعث فيهم رسولا منهم » فمن لا يؤمن بمحمد لا يكون مؤمنا بابراهيم ، ومن يؤمن
بابراهيم فانه يؤمن بمحمد عليهما السلام .

فانظر أيها المنصف هذا المحرف كيف كتم من التوراة ما هو صريح فى حق اسماعيل المولود منه النبى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم والعرب الذين آمنوا به • وكانت فيهم الرؤساء المبشر بهم فى التوراة مع أن صراحة التوراة فى ذلك لا تخفى على من له قلب ولا يتكتمها الا من عمى الله عين بصيرته وأضله على علم •

ومنها : أن التوراة فى هذا السفر الذى نقله فيه أن الختان فرض على أبناء ابراهيم ومن يولد منه ، فوصى به الى يوم القيامة ، وأخذ الميثاق عليهم كما تقدم لك فى كلام التوراة مع أن المؤلف قد خان ميثاق الله سبحانه الذى أخذه عليهم مع اعترافه بأن التوراة حق ، وأنه متبع لها — على زعمه — ولم يختتن ولم يجوز الاختتان • فقد نبذ عهد الله وميثاقه وراء ظهره باعترافه • وهذا من غاية الضلال والتناقض الذى لا يخفى على الأطفال • وسنورد ان شاء الله تعالى زيادة على هذا فى محله •

ولنذكر هذا المؤلف بقوله تعالى : « **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** (١) » والمقصود هنا أن هذا المؤلف ادعى شيئا تكذبه فيه الكتب السماوية والعقول المرضية من عبادة ابراهيم للأصنام ، مع أنه كسرها وأدخل النار لذلك • فكانت عليه بردا وسلاما • فانظر كيف نسب الى التوراة قولا ليس فيها ، وكتم حكما صريحا • تدل التوراة عليه بظاهرها وخالفها فحمل لنفسه العزلة وصار بين المسلمين وبنى اسرائيل مثله • وسلك بهوى لم نر أحدا سلك مثله ، وما هذا عن الساجدين للصور ببعيد • فقد نسبوا الى غيره من الأنبياء أيضا الكفر والزنا وعبادة الأصنام — كما ستراه مع رده مفصلا فى محله من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى •

---

(١) لبس الحق بالباطل هو وضع كلمة باطلة فى النص الأصلى • وتحريف الكلم من بعد مواضعه هو رفع الكلمة الأصلية ووضع كلمة بدلها تحتمل معنى الكلمة الأصلية • وتحتمل المعنى الباطل • وتحريف الكلم من مواضعه هو تأويل النص تأويلا فاسدا • وهذا مبين فى كتابنا نقد التوراة — أسفار موسى الخمسة — نشر الكليات الأزهرية بالقاهرة •

؟ الفصـــل الثـــالث

فان قيل : ما حكى سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام عن سيدنا ابراهيم عليه السلام من قوله عز وجل : « **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربى** » .

وقوله : « لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » يـدل بحسب الظاهر أنه لم يعرف ربه ، وظن أن الكوكب ربه فانه لم يكـن مهتديا لقوله : « لئن لم يهدنى ربى » مع أنه قد تقدم أن ابراهيم وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكفر قبل النبـوة وبعدها . فما جوابكم عن ذلك ؟ قلنا : عن هذا أجوبة ظاهرة قوية مقنعة لمـن تدبرهـا :

أحـدها : أن هذا القول من ابراهيم كان قبل البلوغ والتكليف ، لأنه لمـا كان فى السرب(١) مع أمه مختفية به خوفا من «النمرود» لمـا أراد قتل جميع الأولاد — رأى من شق الصخرة الموضوعة على رأس السرب . وقيل : رآه لمـا أخرجه أبوه من السرب ، وكان وقت غيبوبة الشمس ، قيل : رأى المشترى ، وقيل : الزهرة . وهذا منه عند قصور النظر من الطفولية .

ثانيهـا : أن هذا القول بعد البلوغ قبل النبوة . والمقصد منه : قيام الحجة على قومه . كالحاكى لما هو عندهم ، وما يعتقدونه ؛ لأجل الزامهم . قال العلامة والدنا عليه الرحمة فى تفسير روح المعـانى : « وهذا القول من ابراهيم عليه السلام على سبيل الفرض وارخـاء العنان مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب

(١) نشأة ابراهيم فى السرب ليس عليها دليل من القرآن .

فان المستدل على فساد قول : يحكيه ثم يكر عليه بالابطال » • وهذا هو الحق الحقيق بالقبول •

ثالثهـا : ان فى الكلام استفهاما انكاريا محذوفا • وحذف اداة الاستفهام كثير فى كلامهم ، كما قال تعالى ((**أفان مت فهم الخالدون ؟**))

أى أفهم الخالدون وقال الشاعر :

ثم قالـوا تحبها قلت بهرا عـدد الرمل والحصى والتراب

رابعهـ : أنه مقول على سبيل الاستهزاء ، كما يقـال لذليل ساد قوما . هذا سيدكم •

خامسها : انه من باب الموافقة الظاهرة للقوم ، اذا أورد عليهـم الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم له أتم وانتفاعهم باستماعه أكمل •

وامـا طلب الهداية فجوابه : أن المـراد لئن لم يثبتنى على الهداية ويوفقنى للحجة ، وليس المراد أنه لم يكن مهتديا لأن كافـة الأنبياء عليهم السلام لم يزالوا على الهداية من أول الفطـرة • وفى الآيـة دليل على أن الهداية من الله تعالى لأن ابراهيم أضاف الهداية اليه سبحانه • وفى هذه الآيـة دليل من غير وجه على أن استدلاله عليه السلام لىس لنفسه بل كان محاجة لقومه ، وحمل هذا على أنـه عليه السلام استعجز نفسه فاستعان بربه عز وجل فى درك الحـق ، فقال : « لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » أى الـذين لا يهتدون الحق فيظلمون أنفسهم ويحرمونها حظها من الخير •

بقى شىء يلزم التنبيه عليه : وهو أن قولـه تعـالى :

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا » يعنى مكة شرفها الله تعـــالى **« آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب انهن أضـــللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفـــور رحيـــم »**. أى بعد التوبة أو بأن تنقله من الكفر الى الايمان عيقـــال : كيف طلب ابراهيم عليه السلام أن يبعد وبنيه عن عبادة الأصنام والأنبياء عليهم السلام جميعهم معصومون عن الكفر وعبادة غير الله تعالى ، ومن المعلوم أنه سبحانه يثبت الأنبياء عليهم السلام على الاجتناب ، وما الفائدة فى سؤال التثبيت •

فالجواب : أن المراد على ما قال الزجاج طلب الثبات والدوام على ذلك ، أى ثبتنا على ما نحن عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الأصنام •

وقال الفخر الرازى : « الصحيح فى الجواب أنه عليه السلام وان كان يعلم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام الا أنه ذكر ذلك هضما لنفسه واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى فى كل المطالب » •

وقال الوالد قدس سره فى تفسيره روح المعانى : « والجـــواب الصحيح عندى ما قيل ان عصمة الأنبياء عليهم السلام ليست لأمـــر طبيعى فيهم بل بمحض توفيق الله تعالى اياهم : وبفضله عليهم ، ولذلك صح طلبها • وفى بعض الآثار أن الله سبحانه قال لموسى عليه السلام يا موسى لا تأمن مكرى حتى تجوز الصراط • وأنت تعلم أن المبشرين بالجنة على لسان الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام كانوا كثيرا ما يسئلون الله تعالى الجنة مع أنهم مقطوع لهم بها •

ولعل منشأ ذلك ما قيل لموسى عليه السلام فتدبر ، والمتبادر من بنيه عليه السلام من كان من صلبه ، فلا يتوهم أن الله تعالى لم يستجب دعاءه ، لعبادة قريش الأصنام وهم من ذريته عليه السلام حتى يجاب

تما قاله بعضهم من أن المراد كل من كان موجودا حال الدعاء من أبنائه» ولا شك أن دعوته عليه السلام مجابة فيهم » (انتهى باقتصار) .

وستأتى ان شاء الله تعالى تتمة هذا البحث فى محلها . والمقصد هنا : أن هذا النصرانى كذب فى نقله عن التوراة ، وسوه فى كلماته ، وادعى أن التوحيد انتقل الى اسحق وهذا خلاف الواقع أيضا ، فانه كما انتقل اليه انتقل الى أخيه لأكبر اسماعيل ، لأنكم أيها النصـــارى معترفون بنبوة اسماعيل فقولك ان ابراهيم ورثة ابنه اســـحق ، أى لا اسماعيل كما يفهم من كلامه فباطل قطعا كسائر أراجيفه .

الفصـــل الـــرابع

وأما قوله : « فلهذه الأسباب وغيرها ورثه ابراهيم أبوه التوحيد ، ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سـبطا » الى آخره يريد أن التوحيد منحصر فى ابراهيم وابنه اسحق وابنــه يعقوب ، ثم اضمحل حتى تجدد عند بعثة موسى ، ثم تجــدد لأمــة عيسى .

فيقـــال لـــه :

أولا : كيف أخرجت اسماعيل من ذلك وهو الذى ورد فى التوراة أن الله تعالى بارك فيه وفى نسله ؟

وثانيا : كيف أثبت التوحيد ثم ردفته قريبا بعد أسطر بألوهيــة الابن الوحيد وجعلت الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا ، فصــار المســيح امــا الهــا كاملا ، أو جزء اله ؟ وليت شعرى التوحيد الذى ورثــه موسى عن ابراهيم واسحق ويعقوب ، هل كان كتوحيد المثلثين القائلين ان الرب يتولد من ذريتهم وخالقهم يكون من نسلهم ؟ وهل كانـــوا يعتقدون أن الههم سيحل فى بطن ابنتهم مريم ، ثم تلده ويكبر ويصلبه عباده ، مع أنه نزل ليخلصهم من الخطيئة وما شكروه بل أهانوه وصفعوه وقتلوه ثم قبر ، وبعد يومين حيى وصعد الى عرشه وجلس عن يمين أبيه ، أم ما كانوا يعتقدون ولا يعرفون ذلك ؟ فان قالوا عرفوه فلم لم يعلموا قومهم بما هنالك ؟ وان قالوا لم يعرفوا ولم يعتقدوا فكل منهم على زعم النصارى هالك .

ويعجبنى ما كتبه الشيخ عبد الله الترجمان الذى كان قسيســـا مشهورا عندهم ، وأسلم ، فى رسالته المسماة : تحفة الأريب فى رد أهل الصليب ما نصه : « ويلزم النصارى أشنع ما يكون عند جميع العقلاء :

وهو أن كان المسيح خالقا أزليا كما يعتقدون مع كونه لحما ودما ، فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزليا خالقا وبعضه محدثا لأن المسيح أقر بأنه لحم ودم بنص انجيلهم ، فاللحم والدم يتولدان من الأغذية والأشربة ، وهى من أجزاء الدنيا فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها هو جزء من أجزائها . ذلك الجزء هو خالق مخلوق أيضا ، لأنه جزء من الدنيا التى هى مخلوقة له ، وهذا أشنع ما يكون من دعاوى البهتان، وأبعد ما يتصور من معقولية الانسان . ويلزمهم أيضا : أن يكون بعض الدنيا هو خالق لجميع الدنيا ، وبعض الشىء لا يوجد الا بوجود كله ، وما ليس بموجود ولا معقول فليس بشىء ، فخالق الدنيا على قولهم معدوم غير موجود ، ومجهول غير معقول » .

ويقال لهم : قد نطق الانجيل الأول : أن المسيح قد قلم أظفاره وقص شعره ، ونما جسده طولا وعرضا . فان كان خالقا أزليا وقد بانت بعض أجزائه وصارت رميمة وتلاشت حتى لم يبق لها وجود ، فالخالق الأزلى على هذا قد فسد بعضه وتلاشى وبقى بعضه على خالقه ، ومن فسد بعضه فالفساد واصل الى كله ، ومن كان له كل وبعض فهو محتاج الى ما يحمله ويمده ، ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر ، وليس بغنى. والاله الخالق الأزلى ليس له شبيه ولا مثل ولا يحتاج شيئا من مخلوقاته ولا يلحقه نقص ولا تغير ولا تحول ، وهو القادر الغنى وجميع الخلق اليه فقراء ، وهو كما وصف سبحانه نفسه « **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** » انتهى وسيأتى الكلام مستوفى على ابطال التثليث قريبا فى محله ان شاء الله تعالى .

قوله « **وهو اسحق الذبيح** » اعلم : ان هذا مما حرفته اليهود فى التوراة كما سيتضح لك الحال قريبا ان شاء الله تعالى لأن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام لا اسحاق عليه السلام ولنذكر لك عبارة التوراة أولا ثم نكشف لك الحال بعون الملك المتعال . قال فى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين كما فى النسخ التى عندنا الآن

ما لفظه « امتحن الله ابراهيم وقال له ابراهيم ابراهيم • فأجاب : هوذا أنا • فقال له : خـذ ابنك الوحيد الذى تحبه اسحق وانطلق الى أرض الرؤيا ، وارفعه هناك وقودا على أحد الجبال الذى أريك • فقام ابراهيم ليلا وشد على حماره وأخذ معه غـلامين واسحق ابنه وشقق حطبـا للوقود ، ومضى الى الموضع الذى قال له الله • وفى اليوم الثالث رفع عينيه فنظر المكان من بعيد ، وقال لغلاميه امكثا هنا مع الحمار ، وأنا والصبى فاننا نمضى الى هناك مسرعين ، وبعد ما سجدنا نعود اليكما • فأخذ أيضا حطب الوقود ووضعه على اسحق ابنه ، وهو أخذ بيـده النار والسكين ومضى الاثنان جميعا • فقال اسحق لأبيه : أبتاه • قال: مالك يا ابنى • فقال له هو ذا النار والحطب ، فأين الذبيحة للوقود ؟ فقال ابراهيم : الله يرى له ذبيحة للوقود يا ابنى وانطلقا معا فبلغـا الموضع الذى أمره الله فابتنى به مذبحا وجعل عليه الحطب ، وربط اسحق ابنه فوضعه على المذبح فوق الحطب ، وبسط يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ، فاذا ملاك الرب ناداه من السماء قائلا : ابراهيم ابراهيم• وهو أجاب : أنا ذا فقال له : لا تمدد يدك على الغلام ولا تفعل به شيئا فالآن علمت أنك تخاف الله ، ولم تشفق على ابنك الوحيد من أجلى ، فرفع ابراهيم عينيه فرأى من ورائه كبشا بين الشوك موثقا بقرنيه ، وأخذه فرفعه وقودا عوض ابنه ، ودعى اسم ذلك المكان الرب يرى »

قال العلامة ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان فى بحث أن التوراة قد زيد فيها وغير بعض ألفاظها وأن أكثرها باق على ما أنزل عليه ، والتبديل فى يسير منها جدا : ان هذا القول هو الذى اختاره شيخه شيخ الاسلام فى كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، فانه قال : « وهـذا كما فى التوراة عندهم : أن الله سبحانه قال لابراهيم : اذبح ابنـك بكرك ووحيدك اسحق » فاسحق زيادة منهم فى لفظ التـوراة ، وهى باطلة قطعا من وجوه عشرة :

أحدهـا : ان بكره ووحيده هو اسماعيل باتفاق الملل الثلاث فالجمع بين كونه مأمورا بذبح بكره وتعيينه باسحق جمع بين النقيضين •

الثـــانى : ان الله سبحانه أمر ابراهيم أن ينقل هاجر وابنها اسماعيل عن سارة ، ويسكنها فى برية مكة ، لائلا تغير سارة ، فأمره بابعاد سريته وولدها عنها ، حفظا لقلبها ودفعا لأذى الغَيرة عنها • فكيف يأمر سبحانه بعد هذا بذبح ابن سارة ، وابقاء ابن السرية ؟ فهذا مما لا تقتضيه الحــكمة •

الثالث : ان قصة الذبح كانت بمكة قطعا ، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرابين بمكة ، تذكير اللأمة بما كان من قصة أبيهم ابراهيم مع ولــــده •

الـــرابع : ان الله سبحانه بشر سارة أم اسحق باسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب ، فبشرها بهما جميعا ، فكيف يأمر بعد ذلك بذبح اسحق وقد بشر أبويه بولد ولـــده • ؟

الخامس : ان الله عز وجل لمـــا ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه ، واقدام ابراهيم على ذبحه ، وفرغ من قصته قال بعدها أى فى القرآن العظيم « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين » فشكر الله تعـــالى له استسلامه لأمره وبذل ولده ، وجعل من اثباته على ذلك أن آتاه اسحق فنجى اسماعيل من الذبح وزاد عليه اسحق •

السادس : ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه سأل ربه الولد • فأجاب الله تعالى : دعاءه وبشره به ، فلما بلغ معه السعى أمـــره أن **يذبحه قال تعالى : « وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم»** فهذا دليل على أن هذا الولـــد انمـــا بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولدا • وهذا المبشر به هـــو المأمور بذبحه قطعا بنص القرآن ، واما اسحق فانه بشر به من غير دعوة منه ، بل على كبر السن ، وكون مثله لا يولد لـــه وانمـــا كانت البشارة لامرأته سارة • ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه •

قوله تعالى : « ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيد فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يويلتى أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ؟ ان هذا لشىء عجيب ، قالوا : أتعجبين من أمر الله » فتأمل سياق هذه البشارة وتلك ، تجدهما بشارتين متفاوتتين ، مخرج احداهما غير مخرج الأخرى • والبشارة الأولى كانت له والثانية كانت لها ، والبشارة الأولى هى التى أمر بذبح من بشر به فيها دون الثانية •

قلت : ما قاله هذان الشيخان ولا سيما هذا الوجه السادس هو الحق الموافق لعبارة التوراة • وقصة البشارتين فيها نحو ما فى القرآن الكريم وفيها : أن ابراهيم عليه السلام كان عمره حينما ولد له اسماعيل من هاجر ستا وثمانين سنة ، ولما بشر باسحق كان عمره مائة سنة ، وعمر سارة تسعين سنة ، وأنه اختتن حينما كان عمره تسعة وتسعين سنة ، وكان اسماعيل أكمل ثلاث عشر سنة • وفى ذلك اليوم اختتن اسماعيل أيضا ، وأنه بعد ختانهما بشر باسحق • وعبارة التوراة فى البشارة هكذا : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش بين يديك • فقال الله لابراهيم سارة زوجتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق وأقيم له ميثاقى ، عهدا مؤبدا ولنسله من بعده • وعلى اسماعيل استجبت لك•هوذا أباركه وأكبره وأكثره جدا جدا ، فيلد اثنى عشر رئيسا وأجعله لشعب كبير ، فأما ميثاقى أقيمه لاسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الحين فى السنة الأخرى » فاذا قرأت عبارة التوراة المفصلة فى بحث البشارة باسماعيل والبشارة باسحق ، ولا سيما هذه العبارة ، يتضح لك الحال : أن الذى ينبغى أن يكون مأمورا بذبحه هو اسماعيل لا اسحق • وقوله عليه الصلاة والسلام . « أنا ابن الذبيحين » مؤيد لما قلنا كما لا يخفى •

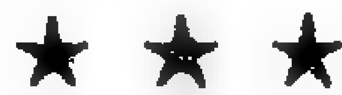
السابع : ان ابراهيم لم يقدم باسحق الى مكة البتة ، ولم يفرق

بينه وبين أمه ، وكيف يأمر • الله سبحانه أن يذهب بابن امرأته فيذبحه بموضع ضرتها وفى بلدها ، ويدع ابن ضرتها •

الثامن : ان الله تعالى لما اتخذ ابراهيم خليلا ، والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقا بربه وليس فيه سعة لغيره ، فلما سأله الولد ، وهبه اسماعيل فتعلق به شعبة ، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق ، فامتحنه بذبح ولده ، فلما أقدم على الامتثال خلصت له تلك الخلة ، وتمحضت لله وحده ، فنسخ الأمر بذبحه بحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال • ومن المعلوم : أن هذا انما يكون فى أول الأولاد ، لا فى آخرها • فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج فى الولد الآخر الى مثله ، فانه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر بذبح الأول • فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقره فى الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة ، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك • وهذا خلاف مقتضى الحكمة ، فتأمله •

التاسع : ان ابراهيم عليه السلام انما رزق اسحق على الكبر واسماعيل رزقه فى عنفوانه وقوته ، والعادة : أن القلب أعلق بأول الأولاد وهو اليه أميل وله أحب بخلاف من يرزقه على الكبر ، ومحل الولد على الكبر كمحل الشهوة للمرأة •

العاشر : أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يفتخر بقوله : « **أنا ابن الذبيحين** » يعنى أباه عبد الله وجده اسماعيل ، وانما زادت اليهود فى التوراة لفظ اسحاق افتخارا ، لأنه جدهم كما لا يخفى •



قوله : « وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلت عليه : أهيه أشر أهيه أرسلنى اليكم ، وتفسيره ••• الخ » •

اعلم : أن هذا النصرانى حرف هنا ما فى التوراة لفظا ومعنى •

وهذه الآيات من الأصحاح الثالث من سفر الخروج ولفظها : « فقال موسى لله : هوذا أنا أذهب الى بنى اسرائيل وأقول لهم : اله آبائكم أرسلنى اليكم وقال الله أيضا لموسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل : الرب لموسى : أهيه أشر أهيه وقال له هكذا تقول لبنى اسرائيل : أهيـــه أرسلنى اليكم وقال الله أيضا لموسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل : الرب الـــه آبائكم الـــه ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم ، هذا اسمى الى الدهر ، وهذا هو ذكرى الى جيل الأجيال فاذهب اجمع شيوخ بنى اسرائيل وقل لهم : الرب اله آبائكم استعان على » •

وفى الاصحاح التاسع منه أيضا :«فقال الرب لموسى ادخل الى فرعون وقــل له : هذا ما يقول الرب اله العبرانيين : سرح شعبى ليذبح لى»

وفى كلام هذا النصرانى غلط وتحريف فى الألفاظ والتأويل •

أمـــا تحريف الألفاظ فقد ظهر لك من نقلنا لعبارة التوراة •

وأمـــا تحريف المعنى والتأويل : فان معنى « أهيه أشر أهيه » الحى القيوم ، وأنا هو الذى أنا أو أنا كائن الذى أنا كائن على ما قـــال مفسروهم ، وليس معناهما ما اختلقه ، كما لا يخفى •

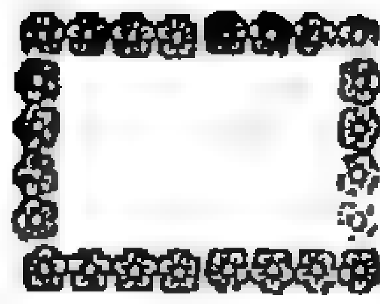
وتأويله لتكرار لفظ الاله بتعـــدد الآلهـــة لتكرره ســـذكر ابراهيم واسحق ويعقوب ، بطلانه أظهر من الشمس ، لأنه سبحانه قال أيضا : الرب الـــه العبرانيين • والعبرانيون كثيرون لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، فيقتضى أن تكون الآلهـــة متعددة بتعددهم •
وكذا قوله فى أول هذه الآيات : الـــه آبائكم أرسلنى • وآباؤهـــم متعـــددون أيضا • وستأتى تتمة لهذه الأبحاث المتقدمة • ان شاء الله تعالى فانتظرها ولا تغفل •

★★★

قـــال النصرانى : « فجدد فى هذا الموضع فى الظاهر ذكر التوحيـــد والغزعن سر الثالوث حيث قال الله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ،

فكرر بذلك القول ذكر الثلاثة الأقانيم بعد ذكر التوحيد كما كان قديما فهو واحد ذو ثلاثة أقانيم لا محالة لأنه أجمل فى قوله اله آبائكم ثم قال مكررا اسم الجلالة ثلاث مرات ، أفنقول : انها ثلاثة آلهة أم اله واحد مكرر ثلاث مرات ؟ فان قلنا : انها ثلاثة آلهة ، أشركنا وجئنا بأشنع القول وأمحله . وان قلنا : اله واحد مكررا ثلاث مرات، فنكون قد بخسنا ، الكتاب حقه ، لأنه كان قد يمكنه أن يقول : اله اباائكم ابراهيم واسحق ويعقوب . وانما كرر ذلك للاشارة بأن فى هذا الموضع سرا ، وهو أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم ، فثلاثة أقانيم اله واحد ، واله واحد ثلاثة أقانيم فأى دليل أوضح ، وأى نور أضوى من هذا ، الا لمن عاند الحق وأراد أن يغش نفسه ، ويعمى عين تمييزه ، ويصم سمع عقله عن استماع سر الله الذى أودعه فى كتبه التى أنزلها على أنبيائه ، وهى أكرمك الله فى أيادى أصحاب التوراة الى هذه الغاية ، لم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السر الذى هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وأفهمناه » .

أقول الكلام على هذه السطور فى فصول .



الفصـــل الأول

اعلم : أن هذه المسألة وهى التثليث مسألة شنيعة مغايرة للعقـل والنقل ، ولم يقبلها غير النصارى وهى أسوء — والعياذ بالله تعالى — من عقيدة المجوس ومشركى العرب والدهرية لأن كثيرا من المجـوس جعلوا الخالق واحدا ، وهو الله سبحانه وجعلوا النور والظلمة الهين بمعنى اسناد الحوادث اليهما كما تسندها الفلاسفة الى الحركة الدورية ، كما سنفصل ذلك فى محله • ان شاء الله تعالى •

والمشركون انما عبدوا الأصنام لتقربهم الى الله زلفى كما حكى الله تعالى ذلك عنهم ، والدهرية انما أنكروا البارى سبحانه وجعلوا الحوادث منسوبة الى شىء واحد ، ولم يعددوه ، فالعقول لا تقبل التجـــزو والاتحاد والحلول ، ولا يقول بها الا كافر أو جهول ، والنقل عن الكتب السماوية موافق لصحيح المعقول • وليت شعرى كيف يسوغ لعاقـل أن يتفـوه بالتثليث ، ويستدل على ذلك بأن الله سبحانه قال فى التوراة فى سفر الخروج مخاطبا لموسى عليه السلام « لأنه نوالى ههنا حـل الحذاء من رجليك من أجل أن المكان الذى أنت فيه قائم ، أرض مقدسة • وقال له : انى أنا الله اله آبائك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب • فغطى موسى وجهه من أجل أنه خشى أن ينظر نحو الله » • انتهى

ويجعل هذا النصرانى تكرار لفظ الاله دليلا على تعدد الآلهة ويجعلها أقانيم ثلاثة : ثم تكون الها واحدا • فهل هذا الا مكابرة للبديهيات ، ويقتضى على زعمه أنا اذا قلنا : زيد أب لبكر وأب لخالد وأب لعمرو وأب لبشر ، أن يتعدد زيد ويكون أربعة آباء • وعلى هذا كان اللازم فى التوراة عند خطابه لموسى وبنى اسرائيل بالهك والهكم أن يقول : آلهتكم بالجمع والتعديد • على أن التوراة مترجمة بالعربية وفى كثير من ترجمتها لحن مغاير لقواعد العربية ، بل وكثير منها محرف . على أن بعضهـا مروى بالمعنى • واذا رجعنا الى القواعد النحوية وأساليب العـربية

فيكون هذا التعبير مؤكدا لتوحيد الاله لا معــددا له • وعلى زعمه : أن البارى سبحانه رمز على التثليث بالتكرار ، فان كان التثليث هــو المطلوب من العباد ، فلم يلغز ويرمز ولم يصرح بهذه العقيدة المطلوبة؟ وكيف يلقى الحجة على عباده بالرمز دون التصريح ؟ فهل هذا الا ادعاء باطل ؟ على أنا ان سلمنا أن هذا لفظ التوراة المنزلة بعينه فأى دلالة فيه على تعدد الأقانيم ، وجعلها الها واحدا ؟ ولا يخلو الحال هنا من وجهين : اما خفاء ذلك على سيدنا الكليم عليه السلام واخوانه الرسل حتى جاء عبد المسيح وأمثاله بعد ألوف سنين ، وفهموا وعلموا من هذا الرمز ما لم يعلمه الكليم ، واما علمه واخفاء عن بنى اسرائيل فيكــون بلغ رسالته اليهم ناقصة ، بل كأنه لم يبلغ شيئا أصلا ، لأن معــرفة الرب سبحانه مقدمة على بيان الأحكام ، فاذا لم يعرفهم ان الاله مركب من ثلاثة أقانيم وهى الآب والابن وروح القدس ، وهى مع أنها ثلاثة فهى اله واحد ، فقــد خان الرسالة أو جهل الربوبية ولم يعرف الهه ، لأن عيسى جزء من الهه ، فاذا لم يعرف موسى الجزء فيصدق أنه ماعرف الكل ، أو عرف لقومه بعض الهه وترك بعضه وجزءه — تعالى الله عما يقول الظلمون ونبرء موسى عما يظنه الخراصون — ولا يستبعد هذا من النصــارى فكم وكم لهم هذيانات لا تقبلها العقول ، ويردها صريــح المنقــول •

ونحــو هذا مما يستأنسون به لأمر التثليث والاعتقــاد الخبيث : ما نقله الشيخ الامام والدنا عن العلامة محمد بن سعيد البوصيرى رحمهما الله تعالى — أن بعض النصارى انتصر لدينه وانتــزع عــن البسملة الشريفة دليلا على تقوية اعتقاده فى المسيح عليه السلام فقلب حروفها ، وأنكر معروفها وفرق مألوفها وقدم فيها وأخر وفكر وقدر • فقتل كيف قدر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال : قد انتظم من البسملة «المسيح بن الله المحرر(١)» فقلت له حيث رضيت البسملة بيننا

---

(١) المسيح ابن الله المحرر : هذه العبارة استدل بها بعض النصارى على أنها بحساب الجمل تساوى حروف البسملة بحســاب الجمــل . =

وبينك حكما وحرفت فيها أحكاما وحكما فلتتصرن البسملة منا الأخيار على الأشرار ولتفضلن أصحاب الجنة على أصحاب النــــار اذ قالت البسملة بلسان حالها : انما الله رب المسيح راحم ــ النحر لأمم لها المسيح

=والحساب هكذا فى البسملة :

ب = ٢	س = ٦٠	م = ٤٠	ا = ١
ل = ٣٠	ل = ٣٠	هـ = ٥	ا = ١
ل = ٣٠	ر = ٢٠٠	ح = ٨	م = ٤٠
ن = ٥٠	ا = ١	ل = ٣٠	ر = ٢٠٠
ح = ٨	ى = ١٠	م = ٤٠	فالمجموع =

والمسيح ابن الله المحرر هكذا :

ا = ١	ل = ٣٠	م = ٤٠	س = ٦٠
ى = ١٠	ح = ٨	ا = ١	ب = ٢
ن = ٥٠	ا = ١	ل = ٣٠	ل = ٣٠
هـ = ٥	ا = ١	ل = ٣٠	م = ٤٠
ح = ٨	ر = ٢٠٠ ر = ٢٠٠		فالمجموع =

وحســـاب الجمـــل هـــو :

ا = ١	ب = ٢	ج = ٣	د = ٤
هـ = ٥	و = ٦	ز = ٧	ح = ٨
ط = ٩	ى = ١٠	ك = ٢٠	ل = ٣٠
م = ٤٠	ن = ٥٠	س = ٦٠	ع = ٧٠
ف = ٨٠	ص = ٩٠	ق = ١٠٠	ر = ٢٠٠
ش = ٣٠٠	ت = ٤٠٠		

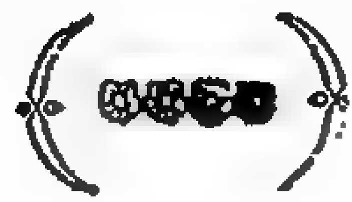
وقــد رد عليهم بعض المسلمين بجمل تفيد بحساب الجمــل انهم من اهــل النار . وحساب هذه الجمل مساوى لحساب (المسيح ابن الله المحرر) وقد يزيد أو ينقص قليلا : منها :

١ ــ انما الله رب المسيح راحم ٢ ــ النحر لأمم لها المسيح رب
٣ ــ ما برح الله راحم المسلمين ٤ ــ سل ابن مريم أحل له الحرام ؟
٥ ــ لا المسيح ابن الله محرر ٦ ــ لا مرحمة للئام ابن السحرة
٧ ــ رحم حر مسلم أناب الى الله ٨ لله نبى مسلم حرم الراح
٩ ــ ربح مال لحمه الايمان .

وقال المؤلف : ان جملة (ان مثل عيسى كآدم ليس لله من شريك) وجملة : « ولا أشرك بربى أحدا » وجملة « يهدى الله لنوره من يشاء » كل جملة تقارب جملة بسم الله الرحمن الرحيم فى العدد .

رب — ما برح الله راحم المسلمين — سل ابن مريم أحل له الحرام — لا المسيح ابن الله محرر — لا مرحمة للئام ابن السحرة — رحم حمر مسلم أناب الى الله — لله نبى مسلم حرم الراح — ربح رأس مال لحمله الايمان • ثم قال له : « ولا تحسبنى استحسنت كلمتك البـاردة ، فنسجت على منوالها ، وقابلت الواحدة بعشر أمثالها » بل أتيتك بمـا يغنيك ، فيبهتك • ويسمعك ما يصمك عن الاجابة فيصمتك • فتعلم أن هذه البسملة مستقر لسائر العلوم والفنون ، مستودع لجوهر سرهـا المكنون • ألا ترك أن البسملة اذا حصلت جملتها كان عددها سبعمائة وستة وثمانين ، فوافق جملها ان مثل عيسى كآدم ليس لله من شريك بحساب الألف التى بعد لامى الجلالة — ولا أشرك بربى أحـدا — يهدى الله لنوره من يشاء — باسقاط ألف الجلالة — فقد أجابتك البسملة بما لم نحط به خبرا ، وجاءك ما لم تستطع عليه صبرا » (انتهى باقتصار)

واستمع الآن ما نتلوه عليك فى الفصل الثانى :



الفصـــــل الثـــانى

قال الله تعالى : « يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد لهمافى السموات ومافىالأرض وكفىبالله وكيلا • لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله • وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » •

فاعلم : أن هذه الآية الكريمة خطاب للنصارى وزجر لهم عما هم عليه من الضلال البعيد كما ذهب اليه جماعة من المفسرين وعن الحسن أنـــه خطاب لهم ولليهود ، لأن الغلو — أى مجاوزة الحـــد والافراط المنهى عنه — وقع منهم جميعا •

أما النصارى : فقال بعضهم : عيسى عليه الصلاة والسلام — ابن الله عز وجل وبعضهم : أنه الله سبحانه — واخرون : ثالث ثلاثة •

وأما اليهود : فأكثرهم قالوا انه عليه السلام ولد لغير رشدة ونسبوه الى يوسف النجار ، فأمرهم الله سبحانه أن لا يقولوا على الله الا الحق دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والحلول واتخاذ الصاحبة والولد ، وبين لهم عز شأنه أن عيسى بن مريم رسول الله لا يتخطى رتبة الرسالة الى ما يقولون « وكلمته » أى حصل بكلمة كن من غير مادة معتادة كما فى آيــة أخرى : **« اذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منــه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين »** وقال الغزالى — قدس سره — لكل مولود سبب قريب وبعيد فالأول

المنى والثانى قول كن . ولما دل الدليل على عدم القريب فى حق عيسى عليه السلام أضافه الى البعيد وهو قول كن اشارة الى انتفاء القريب. وقال بعضهم : يجوز أن يكون الايجاد من منى الأنثى فقط أو بما ينضم اليه مما لا يعلمه الا الله تعالى بحالة تصلح أن تكون مادة . وقصارى ما يلزم من ذلك الاستبعاد . وهو لا يجدى نفعا فى أمثال هذه المقامات. ويجوز أيضا أن يقيم الله تعالى غير المنى مقام المنى ، وأى محال يلزم فى ذلك ؟ ألا ترى كيف أقيم التراب مقام المنى فى أصل النوع ؟ على أن كثيرا من الحيوانات تتولد بلا زوجين ، فهذا الذباب الذى نراه فى الفول والباقلاء ، والفأرة التى تتولد من الطين ، أعظم دليل على أن خلقة آدم وعيسى عليهما السلام بلا واسطة الزوجين .

وقال كثير من المفسرين : اطلاق الكلمة على من أطلقت عليه باعتبار أنه خلق من غير واسطة أب ، بل بواسطة كن فقط ، على خلاف أفراد بنى آدم فكان تأثير الكلمة فى حقه أظهر وأكمل ، فهو كقولك لمن غلب عليه الجود مثلا : محض الجود . وايدوا ذلك : بقوله تعالى : **« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »** وقيل : أطلق عليه ذلك ، لأن الله تعالى بشر به فى الكتب السالفة . ففى التوراة فى الفصل الثالث والثلاثين من السفر الخامس : « أقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران » وسيناء جبل التجلى لموسى ، وساعير جبل بيت المقدس ، وكان عيسى يتعبد فيه ، وفاران جبل مكة . وكان المتحنث فيه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا كقول من يخبر بالأمر اذا خرج موافقا لما أخبر به : قد جاء كلامى. وقيل : لأن الله تعالى يهدى بكلمته . وقيل يمكن أن يقال : انها لما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك فى علوق الولد فى رحمها لأن منى الرجل ليس الا لأجل العقد ، فاذا حصل الانعقاد لمنى المرأة بوجه آخر أمكن علوق الولد » انتهى

قال الوالد عليه الرحمة ليس بشىء . لأنه يعود بالنقص لحضرة البتول ، وأنها لتبرئتها عن مثل هذا التخيل كما لا يخفى فى جواب

هذه الطاهرة ليوسف النجار ما قلناه : فقد أخرج اسحق بن بشير وابن عساكر عن وهب أنه قال : لما استقر حمل مريم وبشرها جبريل وثقت بكرامة الله تعالى ، واطمأنت به نفسا ، وأول من اطلع على حملها ابن خال لها يقال له يوسف . واهتم لذلك وأحزنه وخشى البلية منه لأنه كان يخدمها ، فلما رأى تغير لونها وكبر بطنها ، عظم عليه ذلك فقال معرضا لها : هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت نعم . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قالت : ان الله خلق البذر الأول من غير نبات ، وأنبت الزرع الأول من غير بذر . ولعلك تقول : لم يقدر أن يخلق الزرع الأول الا بالبذر ، ولعلك تقول : لولا أن استعان الله عليه بالبذر لغلبه حتى لا يقدر على أن يخلقه ولا ينبته . قال يوسف : أعوذ بالله أن أقول ذلك . صدقت وقلت بالنور والحكم وكما قدر أن يخلق الزرع الأول وينبته من غير بذر ، يقدر أن يجعل زرعا من غير بذر . فأخبريني : هل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر ؟ قالت : ألم تعلم أن للبذر والماء والمطر والشجر خالقا واحدا ؟ فلعلك تقول : لولا الماء والمطر لم يقدر على أن ينبت الشجر ، قال : أعوذ بالله تعالى أن أقول ذلك ، قد صدقت ، فأخبريني خبرك . قالت : بشرني الله تعالى « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » الى قوله تعالى : « ومن الصالحين » فعلم يوسف أن ذلك أمر من الله تعالى بسبب خير ، أراده بمريم ، فسكت عنها . فلم تزل على ذلك ، حتى ضربها الطلق ، فنوديت : أن أخرجى من المحراب ، فخرجت .

وقوله تعالى : « وروح منه » قال المفسرون : انما سمى عليه السلام روحا لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى درع مريم عليها السلام بأمره سبحانه ، وجاء تسمية النفخ روحا . ومنه قول ذى الرمـــة .

فى نار واجها بروحك

ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح ، وهى لابتداء الغاية مجازا ، لا تبعيضية ، كما زعمت النصارى .

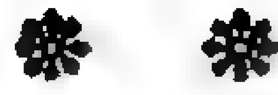
سبب قرر..

ويحكى أن طبيبا نصرانيا حاذقا للرشيد ناظـــر على بن الحسين الواقدى المروزى ذات يوم ، فقال له ان فى كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى . وتلا هذه الآيـة فقرأ الواقدى قـوله تعالى : **« وسخر لكم ما فى الســـموات وما فى الأرض جميعا منه »** فقال : اذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءا منه سبحانه وتعـالى علوا كبيرا ، فانقطع النصرانى ، فأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ، ووصل الواقدى بصلة فاخرة .

وقيل : سمى روحا لأن الناس يحيون به كما يحيـون بالأرواح . وقيل : الروح بمعنى الرحمة كما فى قوله تعالى : **« وأيدهم بروح منه »** على وجه . وقيل : أريد بالروح الوحى الذى أوحى الى مريم عليهـا السلام بالبشارة . وقيل : جرت العادة بأنهم اذا أرادوا وصف شىء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح ، فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح . وقيل : أريد بالروح السر كما يقال : روح هذه المسألة كذا أى أنه عليه الصلاة والسلام سر من أسرار الله تعالى وآية من آياته سبحانه . وقيل : المراد ذو روح على حذف المضاف . واستعمال الروح فى معنى ذى الروح والاضافة الى الله تعالى تشريف .

ونظير ذلك ما فى التوراة : أن موسى عليه السلام رجل الله ، وعصاه قضيب الله ، وأورشليم بيت الله . قال الوالد فى روح المعانى : « وعلى العلات لا حجة للنصارى على شىء مما زعموا فى تشريف عيسى عليه السلام بنسبة الروح اليه ، اذ لغيره عليه السلام مشاركة له فى ذلك . ففى انجيل لوقا قال يسوع لتلاميذه : « ان أباكم السماوى يعطى روح القدس للذين يسألونه » — وفى انجيل متى : « ان يوحنا المعمـدانى امتلأ من روح القدس وهو فى بطن أمه » — وفى التوراة : « قال الله تعالى لموسى اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التى عليهم فيحملوا عنك ثقل هذا النعت ، فأفاض عليهم من روحه فثبتـوا لساعتهم » — وفيها فى حق يوسف عليه السلام يقول الملك : « هـل

رأيتم مثل هذا الفتى الذى روح الله حال فيه » — وفيها أيضـا : ان روح الله تعالى حلت على دانيال ، الى غير ذلك • ولعل الروح فى جميع ذلك أمر قدسى وسر الهى يفيضه الله تعالى على من يشاء من عباده ، حسبما يشاء ، وفى أى وقت يشاء • واطـلاق ذلك على عيسى عليـه السلام من باب المبالغة ، على حد ما قيل زيد عدل • وليس المراد به الروح الذى به الحياة أصلا ، لاستحالة ذلك بالبداهة والضرورة • وقد يظهر ذلك بصورة كما يظهر الموت يوم القيامة بصورة الكبش ، ويذبح بين أهل الجنة وأهل النار • ويؤيد ذلك ما فى انجيل متى فى تمـام الكلام على تعميد عيسى عليه السلام : أن يسوع لما تعمد وخرج من المـاء انفتحت له أبواب السماء ونظر روح الله جاءت له فى صـفة حمامة ، واذا بصوت من السماء : هذا ابنى الحبيب الذى سرت بـه نفسى • فانه على تقدير صحته يهدم ما يزعمه النصارى من أنه عليه السلام تجسد بروح القدس فى بطن أمه • وما فيه من وصفه عليـه السلام بالنبوة سيأتى ان شاء الله تعالى الجواب عنه •



الفصـــل الثـالث

قوله تعالى : « ولا تقولوا ثلاثة » أى الآلهة ثلاثة الله سبحانه ، والمسيح ، ومريم . كما ينبىء عنه قوله تعالى : « ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله » ؟ اذ معناه : الهين غير الله ، فيكونان معه ثلاثة . أو الله سبحانه ثلاثة ، ان صح عنهم أنهم يقولـون : الله تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس ، وأنهم يريدون بالأول الذات أو الوجود ، وبالثانى العلم أى الكلمة ، وبالثالث الحياة . كذا قيل : قال الشيخ الامام الوالد عليـه الرحمة فى تفسيره : وتحقيق الكلام فى هذا المقام — على ما ذكـره بعض المحققين — أن النصارى اتفقوا على أن الله تعالى جوهر بمعنى قائم بنفسه غير متحيز ولا مختص بجهة ولا مقدر بقدر ولا يقبـل الحوادث بذاته ولا يتصور عليه الحدوث والعـدم . وأنه واحـد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية ، والأقانيم صفات للجوهر القديم ، وهى الوجود والعلم والحياة . وعبروا عن الوجود بالآب والحياة بـروح القدس ، والعلم بالكلمـة . ثم اختلفوا .

فذهب بعض الملكانية (١) أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها الى أن الأقانيم غير الجوهر القديم ، وأن كل واحد منها الـه ، وصرحوا باثبات التثليث . وقالوا ان الله ثالث ثلاثة — سبحانه وتعالى عما يشركون — وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ، وامتزجت به امتزاج المـاء بالخمر ، وانقلبت الكثرة وحـدة ، وأن

---

(١) الملكانية : هم اليوم الكاثوليك والبروتستانت . وهم الذين قـال الله عنهم : « لقـد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » وذلك لأنهـم يقولون : ان الله غير المسيح الابن . وهما غير الروح القدس .

واليعقوبية : هم اليوم الأرثوذكس . وهم الذين قال الله عنهم : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم » وقد بينت مذاهبهم فى كتابنا أقانيم النصارى — نشر دار الأنصار بالقاهرة .

المسيح ناسوت كلى لا جزئى وهو قديم أزلى وأن مريم ولدت الها أزليا، مع اختلافهم فى مريم أنها انسان كلى أو جزئى ؟ واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم ، وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا ، وأطلقوا لفظ الآب على الله تعالى ، والابن على عيسى عليه السلام .

وذهب نسطور(١) الحكيم فى زمان«المأمون»الى أن الله تعالى واحد ، والأقانيم الثلاثة ليست غير ذاته ، ولا نفس ذاته ، وان الكلمة اتحدت بجسد المسيح لا بمعنى الامتزاج أى أشرقت عليه كاشراق الشمس من كوة على بلور . ومن النسطورية من قال : ان كل واحد من الأقانيم الثلاثة حى ناطق موجود وصرحوا بالتثليث كالملكانية . ومنهم من منع ذلك . ومنهم من أثبت صفات أخر كالقدرة والارادة ونحوها . لكن لم يجعلوها أقانيم وزعموا أن الابن لم يزل متولدا من الآب . وانما تجسده وتوحده بجسد المسيح حين ولد . والحدوث راجع الى الناسوت ، فالمسيح اله تام وانسان تام ، وهما قديم وحادث ، والاتحاد غير مبطل لقدم القديم ولا لحدوث الحادث . وقالوا . ان الصلب ورد على الناسوت دون اللاهوت .

وذهب اليعقوبية الى أن الكلمة انقلبت لحما ودما فصار الاله هو المسيح وقالوا : ان الله هو المسيح عيسى بن مريم ، ورووا عن يوحنا الانجيلى أنه قال فى صدر انجيله : « الكلمة صارت جسدا وحلت فينا وقال : « فى المبدأ كانت الكلمة والكلمة عند الله تعالى والله تعالى هو الكلمة » ومنهم من قال : ظهر اللاهوت بالناسوت بحيث صار هو هو . وذلك كظهور الملك فى الصورة المشار اليه بقوله تعالى : « فتمثل لها بشرا سويا » ومنهم من قال : جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركبا تركب النفس الناطقة مع البدن وصارا جوهرا واحدا

---

(١) قال صاحب الكشف : ان هذا القول قديم نسطور المذكور ، الا انه أظهره ونصره فى أيام المأمون ، نسب اليه . فالتسمية متأخرة ، ومسماه متقدم . نقله الشهاب عند تفسير قصة أصحاب الكهف .

وهو المسيح وهو الاله ، ويقولون : صار الاله انسانا وان لم يصر الانسان الهاكما يقال فى الفحمة فى النار : صارت نارا ، ولا يقال : صارت النار فحمة ويقولون : ان اتحاد اللاهوت بالانسان الجزئى دون الكلى ، وأن مريم ولدت الهـا وأن القتل والصلب واقع على اللاهوت والناسوت جميعا ، اذ لو كان على أحدهما بطل الاتحاد • ومنهم من قال : المسيح مع اتحاد جوهره قديم من وجه ، محدث من وجه • ومن اليعقوبية من قال : ان الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا ، وانما مرت بها كمرور الماء بالميزاب • ومنهم من زعم : أن الكلمة كانت تداخل جسد المسيح فتصدر عنه الآيات التى كانت تظهر عنه وتفارقه تارة ، فتحمله الآفات والآلام •

ومن النصارى من زعم : أن معنى اتحاد اللاهوت بالناسوت : ظهور اللاهوت على الناسوت ، وان لم ينتقل من اللاهوت الى الناسوت شىء ولا حل فيه • وذلك كظهور النقش الطابع على الشمع ، والصورة المرئية فى المرآة •

ومنهم من قال ان الوجود والكلمة قديمان والجهات مخلوقة • ومنهم من قال : ان الله تعالى واحد ، وسماه أبا • وأن المسيح كلمة الله تعالى وابنه على طريق الاصطفاء ، وهو مخلوق قبل العالم ، وهو خالق الأشياء كلها •

وحكى المؤرخون وأصحاب النقل : أن « آريوس » أحد كبار النصارى كان يعتقد هو وطائفة : توحيد البارى ولا يشرك معه غيره ، ولا يرى فى المسيح ما يراه النصارى ، بل يعتقد رسالته ، وأنه مخلوق بجسمه وروحه • فشت مقالته فى النصرانية فتكاتبوا واجتمعوا بمدينة « نيقية » عند الملك « قسطنطين » وتناظروا فشرح (آريوس) مقالته فرد عليه « الأكصيدروس » بطريق الاسكندرية ، وشنع على مقالته عند الملك ، ثم تناظروا فطال تنازعهم ، فتعجب الملك من انتشار مقالتهم وكثرة اختلافهم ، وأقام لهم البترك وأمرهم أن يبحثوا عن القول

المرضى ، فاتفق رأيهم على شىء وحرروه وسموه بالأمانة ، وأكثرهم اليـــوم عليهـــا .

وهى : « نؤمن بالله تعـــالى الواحـــد الآب كل شىء مالك كــل شىء،صانع مايرى وما لايرى،وبالرب الواحد المسيح ابن الله تعالى الواحد بكر الخلائق كلها الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شىء . الذى من أجلنا معاشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومريم ، وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول ، واتجع وصلب أيام فيلاطس ، ودفن وقام فى اليوم الثالث ، كما هو مكتوب ، وصعد الى السماء وجلس على يمين أبيه ، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيــه وبمعموديــة واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية كاثوليكية ، وبالحياة الدائمة الى أبد الآبدين » .

وهذه جملة الأقاويل وما لهؤلاء الكفرة من الأباطيــل . وهى مــع مخالفتها للعقول ومزاحمتها للأصول مما لا مستند لها ولا معول لهــم فيها غير التقليد لأسلافهم ، والأخذ بظواهر الالفاظ التى لا يحيطــون بهـــا علمـــا .

على أن ما سموه أمانة لا أصل له فى شرع الانجيل ، ولا مأخوذ من قول المسيح ولا من أقوال تلاميذه وهو مع ذلك مضطرب متناقض متهافت يكذب بعضه بعضا ويعارضه ويناقضه .

واذ قد علمت ذلك فاسمع ما يتلى عليك فى ردهم :

أما قولهم بأن الله تعالى جوهر بالمعنى المذكور ، فلا نزاع لنا معهم فيه من جهة المعنى ، بل من جهـــة الاطلاق اللفظى سمعا . والأمر فيـــه هـــين .

وأما حصرهم الأقانيم فى ثلاثة صفة الوجود وصفة الحياة وصفة العلم فباطل ، لأنه بعد تسليم أن صفة الوجود زائدة لو طولبوا بدليل الحصر لم يجدوا اليه سبيلا ، سوى قولهم بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه

وهو غير يقيني كما لا يخفى • ثم هو باطل بما تحقق فى موضعه من وجوب صفة القدرة والارادة والسمع البصر والكلام • فان قالوا الأقانيم هى خواص الجوهر وصفات نفسه ، ومن حكمها أن تلزم الجوهر ولا تتعداه الى غيره وذلك متحقق فى الوجود والحياة : اذ لا تعلق لوجود الذات القديم وحياتها بغيرها ، وكذلك العلم اذ العلم مختص بالجوهر من حيث هو معلوم به ، وهذا بخلاف القدرة والارادة فانهما لا اختصاص لها بالذات القديمة ، بل يتعلقان بالغير • مما هو مقدور ، ومراد • والذات القديمة غير مقدورة ولا مرادة • وأيضا : فان الحياة تجزىء عن القدرة والارادة من حيث أن الحى لا يخلو عنهما بخلاف العلم ، فانه قد يخلو عنه ، ولأنه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاص الحياة بامتناع جريان المبالغة والتفضيل بخلاف العلم • قلنا : أما قولهم ان الوجود والحياة مختصة بذات القديم ولا تعلق لهما بغيره ، فمسلم ، ولكن يلزم عليه أن لا يكون العلم أقنوما لتعلقه بغير ذات القديم ، اذ هو معلوم به •

فلئن قالوا : العلم انما كان أقنوما من حيث كونه متعلقا بذات القديم لا من حيث كان متعلقا بغيره ، فيلزمهم أن يكون البصر أقنوما لتعلقه بذات القديم من حيث انه يرى نفسه ولم يقولوا به ، ويلزمهم من ذلك بقاء ذات الله تعالى أقنوما لاختصاص البقاء بنفسه وعدم تعلقه بغيره، كما فى الوجود والحياة • فلئن قالوا : البقاء هو نفس الوجود ، فيلزم أن يكون الموجود فى زمان حدوثه باقيا • وهو محال • وقولهم بأن الارادة تجزىء عن القدرة والارادة•أما أن يريدوا به أن القدرة والارادة نفس الحياة وأنهما خارجتان عنها لازمتان لها لا تفارقانها ، فان كان الأول فقد نقضوا مذهبهم حيث قالوا : ان الحياة أقنوم لاختصاصها بجوهر القديم ، والقدرة والارادة غير مختصين بذات القديم تعالى • وذلك مشعر بالمغايرة ولا اتحاد معها • وان قالوا انها لازمة لها مع المغايرة فهو ممنوع ، فانه كما يجوز خلو الحى عن العلم ، فكذلك قد يجوز خلوه عن القدرة والا[illegible] ، كما فى حالة النوم والاغماء • وقولهم:

انه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاصه بالمبالغة والتفضيل ، فيلزم منه أن لا تكون مجزية عن القدرة أيضا لاختصاصها بهذا النوع عن المبالغة والتفضيل •

وأما قولهم أن الكلمة حلت فى المسيح وتدرعت به ، فهو باطل من وجهين •

الأول : انه قد تحقق امتناع حلول صفة القديم فى غيره •

الثانى : انه ليس القول بحلول الكلمة أولى من القول بحلول الروح ، وهى الحياة •

ولئن قالوا : انما استدللنا على حلول العلم فيه لاختصاصه بعلوم لا يشاركه فيها غيره • قلنا : أولا : لا نسلم ذلك • فقد روى النصارى أنه عليه السلام سئل عن القيامة فلم يجب • وقال لا يعرفها الا الله تعالى وحده • وثانيا : سلمنا ، لكنه قد اختص عندكم باحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وبأمور لا يقدر عليها غيره من المخلوقين بزعمكم، والقدرة عندكم فى حكم الحياة اما بمعنى أنها عينها ، أو ملازمة لها ، فوجب أن يقال بحلول الحياة فيه • ولم يقولوا به •

وأما قول الملكانية بالتثليث فى الآلهة وأن كل أقنوم اله ، فلا يخلو اما أن يقولوا : ان كل واحد متصف بصفات الاله تعالى من الوجود والحياة والعلم والقدرة وغير ذلك من الصفات أو لا يقولوا به • فان قالوا به فهو خلاف أصلهم وهو مع ذلك ممتنع لقيام الأدلة على امتناع الهين • وأيضا : فانهم اما يقولوا بأن جوهر القديم أيضا اله ، أو لا يقولوا • فان كان الأول فقد أبطلوا مذهبهم ، فانهم مجمعون على الثالوث وبقولهم هذا يلزم التربيع ، وان كان الثانى لم يجدوا الى الفرق سبيلا ، مع أن جوهر القديم أصل والأقانيم صفات تابعة ، فكان أولى أن يكون الها • وان قالوا بالثانى فحاصله يرجع الى منازعة لفظية ، والمرجع فيها الى ورود الشرع بجواز اطلاق ذلك • ولا سبيل لهم اليه •

وأمـا قولهم ان الكلمة امتزجت بجسد المسيح ، فيبطله امتناع حلول صفات القديم بغير ذات الله تعالى ، ودعواهم الاتحاد ممتنعة من جهة الدلالة والالزام • أما الأول فانها عند الاتحـاد اما أن يبقيان ببقائهما أو بعدهما أو ببقاء أحدهما وعدم الآخر ، أما على الأول فهما اثنان كما كانا ، وان كان الثانى فالواحد الموجد غيرهما ، وان كان الثالث فلا اتحاد للاثنينية وعدم أحدهما •

وأما على التقدير الثانى فمن أربعة أوجه :

الأول : انه اذا جاز اتحاد أقنوم الجوهر القديم بالحادث ، فمـا المانع من اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم ؟ فلئن قالوا المانع أن اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم يوجب نقصه وهو ممتنع واتحاد صفة القديم بالحادث ، يوجب شرفه • وشرف الحادث بالقديم غير ممتنع • قلنا : فكما أن ذات القديم تنقص باتحاد صفة الحادث بها ، فالأقنوم القديم ينقص باتحاده بالناسوت الحادث ، فليكن ذلك ممتنعا•

الثـانى : انه قد وقع الاتفاق على امتناع أقنوم الجوهر القـديم بغير ناسوت المسيح ، فما الفرق بين ناسوت وناسوت ؟ فلئن قالـوا : انما اتحدت بالناسوت الكلى دون الجزئى • رددناه بما ستعلمه قريبا ان شاء الله تعـالى •

الثالث : أن مذهبهم أن الأقانيم زائدة على ذات الجوهر القديم مع اختصاصها به ، ولم يوجب قيامها به الاتحاد ، فان لا يوجب اتحـاد الأقنوم بالناسوت أولى •

الرابع : أن الاجماع منعقد على أن أقنوم الجوهر القديم مخالف للناسوت كما أن صفة نفس الجوهر مخالف نفس العرض ، وصفـة نفس العرض مخالف الجوهر ، فان قالوا بجواز اتحاد صفة الجوهر بالعرض أو صفة العرض بالجوهر حتى أنه يصير الجوهر فى حـكم العرض والعرض فى حكم الجوهر ، فقد التزموا محالا مخالفا لأصولهم•

وان قالوا بامتناع اتحاد صفة نفس الجوهر بالعرض ونفس العرض بالجوهر ، مع أن العرض والجوهر ، أقبل للتبدل والتغير ، فلأن يمتنع فى القديم والحادث أولى •

وقــولهم : ان المسيح انسان كلى باطل من أربعة وجوه :

الأول : ان الانسان الكلى لا اختصاص له بجزئى من الناس • وقد اتفقت النصارى على أن المسيح مولود من مريم — عليهما الصلاة والسلام — وعند ذلك فاما أن يقال : ان انسان مريم أيضا ، كلى كما حكى عن بعضهم أو جزئى • فان كان كليا فاما أن يكون هو عين انسان المسيح أو غيره ، فان كان عينه لزم أن يولد الشىء من نفسه • وهو محال • ثم يلزم أن يكون المسيح مريم ومريم المسيح • ولم يقل به أحد ، وان كان غيره فالانسان الكلى ما يكون عاما مشتركا بين جمع ، وطبيعته جزء من معنى كل انسان ، ويلزم من ذلك أن يكون انسان المسيح بطبيعته جزء من مفهوم انسان مريم وبالعكس • وذلك محال • وان كان انسان مريم جزئيا فمن ضرورة كون المسيح مـولودا عنهـا أن يكون الكلى الصالح لاشتراك الكثرة ، منحصرا فى الجــزئى الــذى لا يصلح لذاته وهو ممتنع •

الثانى : ان النصارى مجمعون على أن المسيح كان مرئيا ومشــار اليه ، والكلى ليس كذلك •

الثالث : انهم قائلون : ان الكلمة حلت فى المسيح اما بجهة الاتحاد أو لا بجهة الاتحاد ؟ فلو كان المسيح انسانا كليا فلم اختص به بعض أشخاص الناس دون البعض ؟ ولم كان المولود من مريم مختصا بحلول الكلمة دون غيره ؟ ولم يقولوا به •

الــرابع : ان الملكانية متفقون على أن القتل وقع على اللاهــوت والناسوت • ولو كان ناسوت المسيح كليا ، لمــا تصور وقوع الجزئى عليــــه •

وأما ما ذهب اليه نسطور من أن الأقانيم ثلاثة فالكلام معه فى الحصر على طرز ما تقدم •

وقوله : « ليست عين ذاته ولا غير ذاته » فان أراد بذلك ما أراد به الأشعرى (١) فى قوله ان الصفات لا عين ولا غير ، فهو حق • وان أراد غيره ، فغير مفهوم •

---

(١) أهل الحديث النبوى ينقسمون الى سلف على رأى ابن حنبل رضى الله عنه والى خلف على رأى الأشعرى . والسلف والخلف يقولون : ان صفات الله زائدة على ذاته . ومع زيادتها ليست جسما ، وليست الذات جسما ، لأن الله ليس كمثله شىء . ودليلهم هو :

أولا : قياس الغائب على الشاهد . فالله لأنه لا يرى بالعين ، يقولون : انه غائب . والانسان لأنه يرى بالعين ، يقولون : انه شاهد . والانسان مكون من ١ — ذات ٢ — وصفات متعددة ، فزيد اذا كان قادرا . تكون ذاته غير قدرته . واذا كان عالما مع القدرة ، يكون العلم غير القدرة . ومن كان قادرا وعالما ولا يكون سميعا وبصيرا . يكون غيره الذى يقدر ويعلم ويسمع ويبصر زائدا عليه فى الصفات . وهكذا . وعلى هذا فالله تعالى — وله المثل الأعلى — ذات . وله كل الصفات اللائقة بجلاله . وهى زائدة على ذاته .

ثانيا : قوله تعالى : « أنزله بعلمه » فقد نسب الانزال الى العلم وليس الى الذات . فدل ذلك على أن الصفة غير الموصوف . ومع هذا فانها غير منفكة عن الموصوف .

هذا كلام أهل الحديث سلفا وخلفا . وأما كلام المعتزلة فهو هكذا :

أولا : قياس الغائب على الشاهد — مع التنزيه لله عن الجسمية أو ما يوهم الجسمية — يقولون : اننا لو رأينا زيدا من الناس . لرأينا واحدا . فاذا نطق وصفناه بالكلام . واذ نطق يدل نطقه على انه كان قادرا على الكلام . وهكذا . ولكنا لا نقدر أن نقول بزيادة صفاته على ذاته . اذ لا نرى الا شخصا واحدا . ولا نرى قدرة هى جسم قد وضعت بازائه ، ولا علما قد زاد فى الحس على ذاته ، فكيف نقول بزيادة لا تدل عليها المشاهدة فى زيد ؟ . اننا نقول بذات موصوفة بصفات هى هى وليست زائدة عليها . وعلى هذا فالله تعالى — وله المثل الأعلى — ذات . وله كل الصفات اللائقة بجلاله . وهى ليست زائدة على ذاته .
هذا قول المعتزلة .

وأما تفسيره العلم بالكلمة فالنزاع معه فى هذا الاطلاق لفظى • ثم لا يخلو اما أن يريد بالكلمة الكلام النفسى ، أو الكلام اللسانى• والكلام فى ذلك معروف •

وقوله : « أن الكلمة اتحدت بالمسيح بمعنى أنها أشرقت عليه » لا حاصل له ، لأنه اما أن يريد باشراق الكلمة عليه عليه السلام ما هو مفهوم من مثاله ، وهو أن يكون مطرحا لشعاعها عليه أو يريد أنها متعلقة به كتعلق العلم القديم بالمعلومات أو يريد غير ذلك • فان كان الأول يلزم أن تكون الكلمة ذات شعاع وفى جهة من مطرح شعاعها ، ويلزم من ذلك أن تكون جسما وأن لا تكون صفة للجوهر القديم ، وهو محال • وان كان الثانى فهو حق غير أن تعلق الأقنوم بالمسيح بهذا التفسير لا يكون خاصة • وان كان الثالث فلابد من تصويره ليتكلم عليه•

وأما قول بعض النسطورية ان كل واحد من الأقانيم الثلاثة اله حى ناطق ، فهو باطل بأدلة ابطال التثليث •

ثانيا : ان قوله تعالى « أنزله بعلمه » لا يدل على انفصال العلم عن الذات ولا يدل على أن الانزال بصفة العلم وحدها . لأن الصفة غير مستقلة عن الموصوف . أى أن العلم وحده بدون الذات لا ينزل . فالذات والعلم معا مرتبطان غير منفكان . ومعنى « أنزله بعلمه » أى بمعرفته لا من اله آخر . كما يقول العربى كان هذا على علم منى . وشبهه .

يقول أبو الحسين الخياط : « ان الله تعالى لو كان عالما بعلم . فاما أن يكون ذلك العلم قديما أو يكون محدثا . ولا يمكن أن يكون قديما ؛ لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين . وهو تعدد . وهو قول فاسد . ولايمكن أن يكون علما محدثا ، لأنه لو كان كذلك يكون قد أحدثه الله . أما فى نفسه ، أو فى غيره ، أو لا فى محل . فان كان أحدثه الله فى نفسه ، أصبح محلا للحوادث ، وما كان محلا للحوادث فهو حادث . وهذا محال . وإذا أحدثه فى غيره ، كان ذلك الغير عالما ، بما حله منه دونه . كما أن من حله اللون ، فهو المتلون به دون غيره . ولا يعقل أن يكون احدثه لا فى محل ، لأن العلم عرض لا يقوم الا فى اجسم ، فلا يبقى الا حال واحد . وهو أن الله عالم بذاته » (ص ٨٢ — ٨٣ الانتصار)

وأما من أثبت منهم لله تعالى صفات أخر كالقدرة والارادة ونحوهما، فقد أصاب • خلا أن القول باخراجهما عن كونهما من الأقانيم مع أنها مشاركة لها فى كونها من الصفات تحكم بحت • والفرق الذى يستند اليه باطل ، كما علمت •

وأمـا قولهم : ان المسيح انسان تام واله تام وهما جوهران قديم وحادث • فطريق رده من وجهين :

الأول : التعرض لابطال كون الأقنوم المتحد بجسد المسيح الها • وذلك بأن يقال : أما أن يقولوا بأن ما اتحد بجسد المسيح هو اله فقط، أو أن كل أقنوم اله كما ذهب اليه الملكانية فان كان الأول فهو ممتنـع لعدم الأولوية ، وان كان الثانى فهو ممتنع أيضا لما تقـدم •

الثانى : انه اذا كان المسيح مشتملا على الأقنوم والناسوت الحادث فاما أن يقولوا بالاتحاد أو بحلول الأقنوم فى الناسوت أو حلـول الناسوت فى الأقنوم أو أنه لا حلول لاحدهما فى الآخر فان كان الأول فهو باطل بما سبق فى ابطال الاتحاد • وان كان الثانى فهو باطل بما يبطل حلول الصفة القديمة فى غير ذات الله تعالى وحلول الحـادث فى القديم • وان كان الثالث فاما أن يقال بتجاوزهما واتصالهما أولا • فان قيل بالأول فاما أن يقال بانفصال الأقنوم القديم من الجوهـر الحادث أو لا يقال به ، فان قيل بالانفصال فهو ممتنع لوجهين :

الأول : ما يدل على ابطال انتقال الصفة عن الموصوف •

الثانى : انه يلزم منه قيام صفة حال مجاورتها للناسوت بنفسها • وهو محال • وان لم يقل بانفصال الأقنوم عن الجوهر القديم ، يلزم منه أن يكون ذات الجوهر القديم متصلة بجسد المسيح ، ضرورة اتصال أقنومها به وعند ذلك فليس اتحاد الأقنوم بالناسوت أولى من اتحـاد الجوهر القديم به ، ولم يقولوا بذلك • وان لم يقـل بتجاورهمـا

واتصالهما فلا معنى للاتحاد بجسد المسيح ، وليس القول بالاتحاد مع عدم الاتصال بجسد المسيح أولى من العكس •

وأما قول من قال منهم ان الاله واحد وأن المسيح ولد من مريم وأنه عبد صالح مخلوق الا ان الله تعالى شرفه بتسميته ابنا • فهو كما يقول الموحدون • ولا خلاف معهم فى غير اطلاق اسم الابن •

وأما قول بعض اليعقوبية ان الكلمة لحما ودما وصار الاله هو المسيح • فهو أظهر بطلانا مما تقدم • وبيانه من وجهين :

الأول : انه لو جاز انقلاب الأقنوم لحما ودما مع اختلاف حقيقتهما، لجاز انقلاب المستحيل ممكنا ، والممكن مستحيلا ، والواجب ممكنا أو ممتنعا والممكن أو الممتنع واجبا ولم يبق وثوق بشىء من القضايا البديهية ، ولجاز انقلاب الجوهر عرضا والعرض جوهرا ، أو اللحم والدم أقنوما والقديم حادثا والحادث قديما • ولم يقل به أحد من العقلاء •

الثانى : لو انقلب الأقنوم(١) لحما ودما • فاما أن يكون هو عين الدم واللحم اللذين كانا للمسيح أو زائدا عليه منضما اليه ، والأول ظاهر الفساد والثانى لم يقولوا به •

وأما ما نقل عن يوحنا من قوله : « فى البدء كانت الكلمة والكلمة عند الله • والله هو الكلمة » فهو مما انفرد هو به ، ولم يوجد فى شىء من الأناجيل • والظاهر أنه كذب فانه بمنزلة قول القائل : الدينار عند الصيرفى ، والصيرفى هو الدينار • ولا يكاد يتفوه به عاقل • وكذا قوله : « ان الكلمة صارت جسدا وحلت فينا » غير مسلم الثبوت • وعلى تقدير تسليمه يحتمل التقديم والتأخير ، أى أن الجسد الذى صار بالتسمية حل فينا • وعنى بذلك الجسد عيسى عليه السلام •

ويحتمل أنه أشار بذلك الى « بطرس » كبير التلاميذ ، وصى المسيح•

---

(١) الأقنوم : هو الأصل .

فانه أقام بعده عليه السلام بتدبير دينه ، وكانت النصارى تفزع اليه على ما تشهد به كتبهم ، فكأنه يقول : ان ذهبت الكلمة أى عيسى الذى سماه الله تعالى بذلك من بيننا فانها لم تذهب حتى صارت جسدا وحل فينا ، يريد أن تدبيرها حاضر فى جسد بيننا ، وهو بطرس .

ومن الناس من خرج كلامه على اسقاط همزة الانكار عند اخراجه من العبرانى الى اللسان العربى . والمراد : أصارت ؟ وفيه بعد .

ومن العجب العجيب : أن يوحنا ذكر أن المسيح قال لتلاميذه : « ان لم تأكلوا جسدى وتشربوا دمى فلا حياة لكم بعدى ، لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . ومن يأكل جسدى ، ويشرب دمى ، يثبت فى وأثبت فيه . فلما سمع تلاميذه هذه الكلمة قالوا ما أصعبها من يطيق سماعها ؟ فرجع كثير منهم عن صحبته » فان هذا مع قوله ان الله سبحانه هو الكلمة ، والكلمة صارت جسدا فى غاية الاشكال. اذ فيه أمر الحادث بأكل الله تعالى القديم الأزلى وشربه والحق أن شيئا من الكلامين لم يثبت ، فلا نتحمل مؤنة التأويل .

وأما قولهم : ان اللاهوت ظهر بالناسوت فصار هو هو . فاما أن يريدوا به أن اللاهوت صار عين الناسوت ، كما يصرح به قولهم هو هو، فيرجع الى تجويز انقلاب الحقائق . وهو محال . كما علمت . واما أن يريدوا به أن اللاهوت اتصف بالناسوت . فهو أيضا محال ، لما ثبت من امتناع حلول الحادث بالقديم ، أو أن الناسوت اتصف باللاهوت . وهو أيضا محال ، لامتناع حلول القديم بالحادث .

وأما من قال منهم بأن جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث ، تركبا وصارا جوهرا واحدا هو المسيح فباطل من وجهين :

الأول : ما ذكر من ابطال الاتحاد .

والثانى : انه ليس جعل الناسوت لاهوتا بتركبه مع اللاهوت ، أولى

من جعل اللاهوت(١)ناسوتا من جهة تركبه مع الناسوت. ولم يقولوا به.

وأما جوهر الفحمة اذا ألقيت فى النار ، فلا نسلم أنه صار بعينه جوهر النار ، بل صار مجاورا لجوهر النار . وغايته أن بعض صفات جوهر الفحمة وأعراضها بطلت بمجاورة جوهر النار ، أما أن جوهر أحدهما صار جوهرا لآخر ، فلا .

وأما قولهم : ان الاتحاد بالناسوت الجزئى دون الكلى . فمحال لأدلة بطلان الاتحاد وحلول القديم بالحادث . وبذلك يبطل قولهم : ان مريم ولدت الها .

وقولهم : القتل وقع على اللاهوت والناسوت معا . على أنه يوجب موت الاله . هو بديهى البطلان .

وأما قول من قال : ان المسيح مع اتحاد جوهره قديم من وجه ، محدث من وجه . فباطل ، لأنه اذا كان جوهر المسيح متحدا لا كثرة فيه ، فالحدوث اما أن يكون ما قيل بقدمه أو لغيره . فان كان الأول فهو محال ، والا لكان الشىء الواحد قديما ، لا أول له حادثا له أول . وهو متناقض . وان كان الثانى فهو خلاف المفروض .

وأما قول من قال : ان الكلمة مرت بمريم كمرور الماء فى الميزاب ، فيلزم منه انتقال الكلمة وهو ممتنع كما لا يخفى . وبه يبطل قول من قال : ان الكلمة كانت تدخل جسد المسيح تارة وتفارقه أخرى .

وقولهم : ان ما ظهر من صورة المسيح فى الناسوت لم يكن جسما بل خيالا ، كالصورة المرئية فى المرآة ، فباطل ، لأن من أصلهم: أن المسيح انما أحيا الميت وأبرء الأكمه والأبرص بما فيه من اللاهوت ، فاذا كان ما ظهر فيه من اللاهوت لا حقيقة له بل هو خيال محض ، لا يصلح لحدوث ما حدث عن الاله عنه .

والقول بأن أقنوم الحياة مخلوق حادث ، ليس كذلك ، لقيام الأدلة

---

(١) [illegible]

قال : لاه يليه ليها تستتر وجوز سيبويه اشتقاق الجلالة منه ا . هـ منه .

على قدم الصفات ، فهو قديم أزلى . كيف وانه لو كان حادثا لكان الاله قبله ، غير حى ، ومن ليس بحى لا يكون عالما ولا ناطقا ؟

وقول من قال ان المسيح مخلوق قبل العالم وهو خالق لكل شيء ، باطل لقيام الأدلة على أنه كان الله تعالى ولا شيء غيره .

وأما الأمانة التى هم بها متقربون وبماحوته متعبدون .

فبيان اضطرابها وتناقضها وتهافتها من وجوه :

الأول : ان قولهم « نؤمن بالواحد الآب صانع كل شيء » يناقض قولهم « وبالرب الواحد المسيح » الخ مناقضة ، لا تكاد تخفى .

والثانى : قولهم ان يسوع المسيح ابن الله تعالى بكر الخلائق مشعر بحدوث المسيح ، اذ لا معنى لكونه ابنه الا تأخره عنه ، اذ الوالد والولد لا يكونان معا فى الوجود ، وكونهما معا مستحيل ببداهة العقول ، لأن الرب لا يخلو اما أن يكون ولد ولدا ، لم يزل أو لم يكن . فان قالوا : ولد ولدا لم يزل . قلنا : فما ولد شيئا ، اذ الابن لم يزل وان ولد شيئا لم يكن ، فالولد حادث مخلوق . وذلك مكذب لقولهم : « اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه وأنه أتقن العوالم بيده ، وخلق كل شيء » .

الثالث : ان قولهم « اله حق من اله حق من جوهر أبيه » يناقضه قول المسيح فى الانجيل ، وقد سئل عن يوم القيامة(١): فقال «لا أعرفه ولا يعرفه الا الآب وحده » فلو كان من جوهر الآب لعلم ما يعلمه الآب ، على أنه لو جاز أن يكون اله ثان من اله أول ، لجاز أن يكون اله ثالث من اله ثان . ولما وقف الأمر على غاية . وهو محال .

---

(١) سئل عن انتصار المسلمين على أهل الكتاب ودخولهم القدس فاتحين . كما بينا فى الجزء الثانى من كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل .

الـــرابع : ان قولهم : « ان يسوع أتقن العوالم بيده ، وخلق كل شيء» باطل مكذب لما فى الانجيل اذ يقول متى : « هذا مولد يسوع المسيح بن داود » وأيضا : خالق العالم لابد أن يكون سابقا عليه ، وأنى يسبق المسيح وقد ولدته مريم ؟ وأيضا فى الانجيل أن ابليس قال للمسيح : « أسجد لى وأعطيك جميع العالم ، وأملكك كل شيء » ولازال يسحبه من مكان الى مكان ، ويحول بينه وبين مراده ويطمع فى تعبده له فكيف يكون خالق العالم محصوراً فى يد بعض العالم ؟ نعوذ بالله تعـــالى من الضـــلال .

الخامس : ان قولهم « المسيح الاله الحق الذى نزل من السمـــاء لخلاص الناس ، وتجسد من روح القدس ، وصار انسانا وحبل بـــه وولـــد » فيه عدة مفاسد : منها : أن المسيح لا يخص مجرد الكلمة ولا مجرد الجسد ، بل هو اسم يخص هذا الجسد الذى ولدته مريم عليها السلام ، ولم تكن الكلمة فى الأزل مسيحا ، فبطل أن يكون هـــو الذى نزل من السماء . ومنها : أن الذى نزل من السماء لا يخلو اما أن يكون الكلمة أو الناسوت . فان زعموا : أن الذى نزل هو الناسوت، فكذب صراح ، لأن ناسوته من مريم ، وان زعموا أنه اللاهوت فيقال : لا يخلو اما أن يكون الذات أو العلم — المعبر عنه بالكلمة — فان كان الأول لزم لحوق النقائص للبارى عز اسمه ، وان كان الثانى لزم انتقال الصفة وبقاء البارى بلا علم ، وذلك باطل . ومنها : ان قولهم انمـــا نزل لخلاص معشر الناس ، يريدون به : أن آدم عليه السلام لما عصى أوثق سائر ذريته فى حبالة الشيطان ، وأوجب عليهم الخلود فى النار، فكان خلاصهم بقتل المسيح وصلبه والتنكيل بـــه . وذلك دعـــوى لا دلالة عليها .

هب أنا سلمناها لهم . لكن يقال : أخبرونا مم هذا الخلاص الذى تعنى الاله الأزلى له وفعل ما فعل بنفسه لأجله ؟ ولم خلصكم ؟ وممن خلصكم ؟ وكيف استقل بخلاصكم دون الآب والروح والربوبية بينهم ؟

وكيف ابتذل وامتهن فى خلاصكم دون الآب والروح ؟ فان زعموا :

أن الخلاص من تكاليف الدنيا وهمومها ، أكذبهم الحس • وان كان من تكاليف الشرع وأنهم قد حط عنهم الصلاة والصوم مثــلا ، أكذبهم المسيح والحواريون بما وضعوه عليهم من التكاليف • وان زعموا أنهم قد خلصوا من أحكام الدار الآخرة • فمن ارتكب محرما منهــم ، لم يؤاخذ ، أكذبهم الانجيل والنبوات ، اذ يقول المسيح فى الانجيـــل : « انى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وشمالى ، فأقول لأهل اليمين فعلتم كذا وكذا فاذهبوا الى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيـــا • وأقول لأهل الشمال : فعلتم كذا وكذا فاذهبوا الى العذاب المعــد لكم قبل تأسيس العالم » •

السادس : ان قولهم تجسد من روح القدس ، باطل ، بنص الانجيل، اذ يقول متى فى الاصحاح الثانى منه: ان يوحنا المعمدان حين عمد المسيح جاءت روح القدس اليه من السماء فى صفة حمامة ، وذلك بعد ثلاثين من عمــره •

السـابع : ان قولهم : ان المسيح نزل من السماء وحملت به مريم وسكن فى رحمها ، مكذب بقول لوقا الانجيلى اذ يقــول فى قصــص الحواريين فى الاصحاح الرابع عشر منه « أن الله تعالى هو خالق العالم بما فيه ، وهو رب السماء والأرض ، يسكن الهياكل ولا تناله أيدى الرجال ، ولا يحتاج الى شىء من الأشياء ، لأنه الذى أعطى النـــاس الحياة ، فوجودنا به وحياتنا وحركاتنا منه » فقد شهد لوقا بأن البارى وصفاته لا تسكن الهياكل ولا تناله الرجال بأيديها • وهذا ينافى كون الكلمة سكنت فى هيكل مريم ، وتحولت الى هيكل المسيح •

الثامن : أن قولهم بعد أن قتل وصلب ، قام من بين الأموات وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، هو من الكذب الفاحش المستلزم للحـــدوث •

التاســع : ان قولهم ان يسوع هذا الرب الذى صلب وقتل مستعد

للمجىء تارة أخرى ، لفصل القضاء بين الأموات والأحياء بمنــزلة قــول القائــل :

لا يغنينك بعد الموت تندبينى　　وفى حيــاتى مــا زودتنى زادا

واذ زعموا أنه فى المرة الأولى عجز عن خلاص نفسه ، حتى تم عليه من أعدائه ما تم فكيف يقــدر على خلاصهم بجملتهم فى المرة الثانية .

العاشر : أن قولهم : « ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الذنوب » فيه مناقضة لأصولهم . وذلك أن اعتقاد النصارى انه لم تغفر خطاياهم بدون قتل المسيح . ولذلك سموه حمل الله تعالى الذى يحمل عليــــه الخطايا ، ودعوه مخلص العالم من الخطيئة ، فاذا آمنوا بأن المعمودية الواحدة هى التى تغفر خطاياهم وتخلص من ذنوبهم ، فقد صرحــوا بأنه لا حاجة الى قتل المسيح ، لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة . وان كان التعميد كافيا للمغفرة فقد اعترفوا أن وقوع القتل عبث . وان كانت لا تحصل الا بقتله فما فائدة التعميد ؟ وما هذا الايمان ؟

فهذه عشرة وجوه كاملة فى رد تلك الأمانة واظهار مالهم فيهــا من الخيانة . ومن أمعن نظره ردها بأضعاف ذلك .

وقال أبو الفضل المــالكى بعــد كــلام

بطلت امــانتهم فمــن مضمونهــا　　ظهرت خيانتهــا خــلال سطورها
قالوا بأن الهــم عيسى الــــذى　　ذر الوجــود على الخليقــة كلها
بل كان محتاجــا لشرب لبانهــا　　أو أن يربى فى مــواطن حجرها
قالــوا وجاء من السماء عنايـــة　　لخــلاص آدم من لظــاه وحــرها
لو جــاء فى ظلل الغمام وحــوله　　شرفــا ملائكــة السماء بأسرهــا
ثم اجتبــاه محببــا ومفضـــلا　　ووقــاه من غى النفــوس وشرها
من غـــير أن يحتــاج فى تخليصه　　كل الخــلائق أن تبــوء بضرهــا
هذى امــانتهم وهــذا شرحهــا　　الله أكبــر من معــانى كفــرها
بدأوا بتوحيــد الاله وأشركــــوا　　عيسى به ، فالخلف فى تعبيرهـــا
خلق أمــه لقابــل الحلــول ببطنها　　ما كان اغنى ذاته عــن مثلهــا
جعلوه ربــا جوهــرا من جوهر　　ذهبوا لما لا يرتضيه اولـــو النهى
قــد تــاب آدم توبــة مقبــولة　　فضــلا لهم جعــل الفداء بغيرها

وفدي الذى بيديه احكم طبنة / بالعفو عن كل الأمور وسترها
كنتم تخلون الاله مقامه / فيما تراه نفوسكم من شركها
ويشينه الأعداء بما لا يرتضي / من كيدها وبما دهى من مكرها

ثم أعلم : أنه لا حجة للنصارى القائلين بالتثليث ، بما روى عن متى التلميذ أنه قال : أن المسيح عندما ودعهم قال : « اذهبوا وعمدوا الأمم باسم الآب والابن وروح القدس » ومن هنا جعلوا مفتتح الانجيل ذلك ، كما أن مفتتح القرآن « بسم الله الرحمن الرحيم » ويوهم كلام بعض منا : أن هذه التسمية نزلت من السماء ، كالبسملة عندنا . لأنا نقول على تقدير صحة الرواية — ودونها خرط القتاد — يحتمل أن يراد بالآب(١) المبدأ . فان القدماء كانوا يسمون البارى بالآباء ، ومن الابن الرسول . وسمى بذلك تشريفا وتكريما كما سمى ابراهيم عليه السلام خليلا ، أو باعتبار أنهم يسمون الآثار أبناء . وقد رووا عن المسيح عليه السلام أنه قال : « انى ذاهب الى أبى وأبيكم » وقال لا تعطوا صدقاتكم قدام الناس لتراؤهم ، فانه لا يكون لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماء» وربما يقال : ان الابن بمعنى الحبيب أو نحوه . ويشير الى ذلك ما رووه أنه عليه السلام قال عقيب وصية وصى بها الحواريين : « لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء ، وتكونوا تامين كما أن أباكم الذى فى السماء تام » ويراد بروح القدس جبرائيل عليه السلام والمعنى عمدوا ببركة الله تعالى ورسوله والملك المؤيد للأنبياء على تبليغ أوامر ربهم . ولعل لنا عودات كثيرة لرد التثليث بعبارات مختلفة النوع ، حيثما يكرر هذا النصرانى ذكره فانتظره ولا تغفل .



قال النصرانى : « فقد علمنا الآن أن ابراهيم كان منذ ولد الى أن أتت عليه تسعون سنة حنيفا عابد صنم ، ثم آمن بالله الى أن قبض فأنت — أصلحك الله — تدعونى الى دين ابراهيم وملته . فليت شعرى الى أى مذهبيه ودينيه تدعونى ؟ وفى أى حالتيه ترغبنى ؟ أحيث كان

(١) لنا تفسير لعبارة عمدوهم باسم الاب والابن ... الخ فى كتابنا اقانيم النصارى — نشر دار الأنصار بالقاهرة .

حنيفا يعبد الصنم المعروف بالعزى مع آبائه وأهل بيته وهو بحران ، أم حيث خرج عن الحنيفية ووحد الله وعبده وآمن به وانتهى الى أمره عندما أمره أن ينتقل عن بلده فانتقل طائعا عن «حران» دار الكفرة ومدينة أهل الضلالة ؟ فلا أظنك تستجيز فى عقلك وحسن تمييزك وجودة معرفتك التى زعمت بالكتب المنزلة ودراستك اياها أن تدعونى . انى مثل حال ابراهيم فى كفره وضلاله من عبادة الأصنام التى هى الحنيفية، وان كنت تدعونى الى حاله وقت ايمانه وما حسب له من البر وقت توحيده ، فاليهودى ابن ابراهيم أولى بهذه الدعوة ، لأنه هو صاحب تراث اسحق الذى ورث هذا التوحيد عن ابراهيم أبيه ، وهو أولى منك وأحق بهذا الأمر ، فمالك والظلم والحيف وطلب ما لم يجعله الله لك حقا ، فأنت دائما تنسب ذاتك الى العدل وتصفها بهذه الصفة ، وصاحبك يقرأ فى كتابه ويقول طائعا انه قيل له : « قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا أكونن من المشركين» (الأنعام١٤) — فلا ترى أنه أول من أظهر الاسلام ، وأن قبله ابراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين لأن صاحبك قد أقر بأنه أول من أسلم — وفى هذا الجواب لهذا الباب كفاية وأمر مقنع لذوى الألباب » .

أقول ومنه سبحانه التوفيق الى أقوم طريق : قد قدمنا آنفا كذبه فى نقله عن التوراة أن ابراهيم كان يعبد الصنم الى أن بلغ تسعين سنة ، ولنذكر الآن ان شاء الله تعالى حال ابراهيم عليه السلام ونبوته ووفاته وما يتعلق بأمره ليحيط علما من يطالع كتابنا هذا بأحواله عليه السلام ويتضح خلاف ما حرره هذا النصرانى لدى المنصف من الأنام.

اعلم : ان ابراهيم عليه السلام على ما ذكر أهل الأنساب والتواريخ هو ابن تارح(١) بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر

(١) اعلم : أن « آزر » هو الأب المباشر لابراهيم عليه السلام وليس هو عمه كما زعم بعض المفسرين وليس هو تارح كما التوراة .

ذلك لأن سلسلة النسب مشكوك فيها . للاختلاف فى أعمار الآباء من آدم الى نوح ومن نوح الى ابراهيم بين السامرية والعبرانية واليونانية . وفى اليونانية ذكر فى سلسلة النسب «قينان» ولم يذكر لا فى العبرانية ولا فى السامرية .

بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام • واختلف في الموضع الذى كان فيه والموضع الذى ولد فيه ، فقيل ولد بالسوس من أرض الأهواز وقيل ولد ببابل وقيل بكوثا(١) قريبها منها•وقيل بحران من بلاد الشام ، ولكن أباه نقله • قال أكثر أهل العلم : كان مولده في عهد نمروذبن كوش وكان ملكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها — على المشهور — وكان يبابل من أرض العراق فلما أراد الله تعالى : أن يبعث ابراهيم عليه السلام حجة على خلقه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما بينه وبين نوح عليه السلام الا هود وصالح ، فلما تقارب زمان ابراهيم أتى أصحاب النجوم « نمرود » فقالوا له : نجد غلاما يولد في قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا ، فلما دخلت السنة التى ذكروا حبس نمرود الحبالى عنده الا أم ابراهيم فانها لم يعلم بحبلها لأنه لم يظهر عليها أثره ، فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت ، فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها فولدت ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ، ثم سدت عليه المغارة ثم مضت الى بيتها راجعة ، ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل ، فكان يشب في اليوم ما يشب غيره في الشهر ، وكانت تجده حيا يمص ابهامه ، جعل الله تعالى رزقه فيها • وكان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما فمات • فصدقها وقيل : بل أعلم آزر بولادة ابراهيم وكتمه ، حتى نسى الملك ذكر ذلك • فقال آزر : ان لى ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك ان أنا جئت به ؟ فقالوا : لا • فانطلق فأخرجه من السرب ، فلما نظر الى الدواب والى الخلق ، ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه فجعل يسأل أباه عما يراه • فيقول أبوه : هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك • فقال : ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب • وكان خروجه بعد غروب الشمس ، فرفع رأسه الى السماء ، فاذا هو بالكوكب وهو المشترى • فقال هذا ربى • فلم يلبث أن غاب فقال « لا أحب الآفلين »

---

(١) آثار المعبد الذى حرق فيه ابراهيم بالنار في « كوثا » وهى الان ضمن حدود تركيا قرب الحدود مع العراق •

وكان خروجه فى آخر الشهر ، فلهذا رأى الكوكب قبل القمر .

وقيل : كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا . وقال لأمه وهو فى المغارة : أخرجينى أنظر فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكر فى خلق السموات والأرض وقال فى الكوكب ما تقدم ، فلما رأى القمر بازغا « قال هذا ربى » فلما غاب « قال لأن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » .

فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى فقال « هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم انى برىء مما تشركون». ثم رجع ابراهيم الى أبيه وقد عرف ربه وبرىء من دين قومه الا أنه لم ينادهم بذلك فاخبرته أمه بما كانت صنعت من كتمان حاله ، فسره ذلك . وكان آزر يصنع الأصنام التى يعبدونها ويعطيها ليبيعها ابراهيم، فكان ابراهيم عليه السلام يقول : من يشترى ما لا يضره ولا ينفعه ؟ فلا يشتريها منه أحد ، وكان يأخذها وينطلق بها الى نهر فيصوب رءوسها فيه . ويقول : اشربى استهزاء بقومه ، حتى فشا ذلك عنه فى قومه ، غير أنه لم يبلغ خبره « نمرود » . فلما بدا لابراهيم أن يدعو قومه الى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى التوحيد فلم يجبه ، ودعا قومه فقالوا : من تعبد أنت ؟ قال رب العالمين. قالوا : نمرود ؟ قال بل أعبد الذى خلقنى ، فظهر آمره وبلغ نمرود. أن ابراهيم أراد أن يرى قومه ضعف الأصنام التى يعبدونها ليلزمهم الحجة ، فجعل يتوقع فرصة ينتهى بها ليفعل بأصنامهم ذلك . وكان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه ، واذا عادوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ، ثم عادوا الى منازلهم ، فلما كان ذلك العيد قال آزر لابنه ابراهيم : لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا « فنظر نظرة فى النجوم فقال : انى سقيم » أى سأسقم لأن كل انسان لابد أن يصير سقيما فتخلف عن قومه وخالف الى أصنامهم وهو يقول : « تالله لأكيدن أصنامكم » وهى فى بهو عظيم بعضها الى جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو ، واذا هم

قد جعلوا طعاما بين يدى آلهتهم ، وقالوا نترك الآلهة الى حين نرجع فتأكله ، فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم من الطعام قال : «ألا تأكلون»؟فلما لم يجبه أحد قال:«مالكم لا تنطقون ؟ فراغ عليهم ضربا باليمين » فكسرها بفاس يده ، حتى اذا بقى أعظم صنم منها ربط الفاس بيده ، ثم تركهن . فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم، راعهم ذلك ، وأعظموه « وقالوا من فعل هذا بآلهتنا ، انه من الظالمين ؟» فقالوا « سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » يعنون يسبها ويعيبها . ولم نسمع ذلك من غيره . وهو الذى نظنه صنع بها هذا . وبلغ ذلك نمروذ وأشراف قومه ، فقالوا : « فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون » ما نفعل به وقيل يشهدون عليه كرهوا أن يأخذوه بغير بينة فلما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ . وقالوا « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون » غضب من أن تعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها فادعوا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه م نكسرها الى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال أو عرفوا أنها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » أى لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها . وما تبطش بالأيدى فنصدقك يقول الله تعالى : « ثم نكسوا على رءوسهم » فى الحجة عليهم لابراهيم فقال لهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء ينطقون : « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » .

ثم ان نمروذ قال لابراهيم : أرأيت الهك الذى تعبد وتدعو الى عبادته ما هو ؟ قال : « ربى الذى يحيى ويميت » قال نمروذ « أنا أحيى وأميت » قال ابراهيم : وكيف ذلك ؟ قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فأقتل أحدهما ، فأكون قد أمته ، وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته ، فقال ابراهيم : « ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت » عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيئا .

ثم أنه وأصحابه أجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا « أحرقوه وانصروا آلهتكم » قال عبد الله بن عمر أشار بتحريقه رجل من أعراب فارس قيل له وللفرس أعراب ؟ قال نعم الأكراد هم أعرابهم . قيل كان اسمه هيزن فخسف به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ، فأمر نمروذ بجمع الحطب من أصناف الخشب : حتى ان كانت المرأة لتنذر بأنها ان بلغت ما تطلب أن تحطب لنار ابراهيم حتى اذا أرادوا أن يلقوه فيها ، قدموه وأشعلوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها ، فلما أجمعوا لقذفه فيها صاحت السماء والأرض وما فيهما الا الثقلين الى الله تعالى صيحة واحدة : أى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك من يعبدك غيره ، يحرق بالنار فيك فأذن لنا فى نصره . قال الله تعالى : ان استغاث بشىء منكم فلينصره ، وان لم يدع غيرى فأنا له ، فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الأرض حسبى الله ونعم الوكيل . وعرض له جبريل وهو يوثق فقال : ألك حاجة يا ابراهيم ؟ قال : أما اليك فلا فقذفوه فى النار فناداها الله تعالى فقال : « يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » وقيل : ناداها جبريل فلو لم يتبع بردها سلام، لمات ابراهيم من شدة بردها . فلم يبق نار يومئذ الا طفئت ظنت أنها هى .

وبعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنبه يؤنسه ، فمكث نمروذ أياما لا يشك أن النار قد أكلت ابراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهى تحرق بعضها بعضا ، وابراهيم جالس الى جنبه رجل مثله ، فقال لقومه : لقد رأيت كأن ابراهيم حى ولقد شبه على ابنوا له صرحا يشرف بى على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى ابراهيم جالسا والى جانبه رجل فى صورته ، فناداه نمروذ يا ابراهيم ان الهك كبير . الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال : نعم . قال : أتخشى أن أقمت فيها ؟ قال : لا . فقام ابراهيم فخرج منها . فلما خرج قال له : يا ابراهيم من الرجل

الذى رأيت معك مثل صورتك ؟ قال : ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى ، قال نمروذ : انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت الا عبادته ، فقال ابراهيم : اذن لا يقبل الله تعالى منك ما كنت على شىء من دينك • فقال : يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى وقرب أربعة آلاف بقرة • وكف عن ابراهيم ومنعه الله تعالى منه ، وآمن مع ابراهيم رجال من قومه ، حين رأوا ما صنع الله تعالى به على خوف من نمروذ وملئهم ، وآمن له لوط بن هاران • وهو ابن أخى ابراهيم • وكان لهم أخ ثالث يقال له ناحور بن تارح وهو أبو بتوئيل وبتوئيل أبو لابان وأبو رفقا امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليا وراحيل زوجتى يعقوب •

وآمنت به سارة وهى ابنة عمه وهى سارة بنت هاران الأكبر عم ابراهيم وقيل : كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم •

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره ، أجمعوا على فراق قومهم فخرط مهاجرا حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سان بن علوان بن عيد بن عولج بن املاق بن لاوذ بن سام بن نوح • وقيل: كان أخا الضحاك استعمله على مصر ، وكانت سارة من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصى ابراهيم شيئا فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم فقال : من هذه التى معك ؟ قال أختى يعنى فى الاسلام وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله ، فقال له زينها وارسلها الى ، فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه ، فلما دخلت عليه أهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين أرسلها قام يصلى فلما أهوى اليها أخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل فأهوى اليها فأخذ أخذا شديدا فقال : ادعى الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ثم فعل ذلك الثالثة فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حجابه فقال : انك لم تأتنى بانسان وانك أتيتنى بشيطان أخرجها وأعطها هاجر ، ففعل فأقبلت بهاجر فلما أحس ابراهيم بها انفتل من صلاته فقال مهيم ؟ فقالت : كفى الله كيد الكافرين، وأخدم هاجر •

وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : تلك أمكم يا بنى ماء السماء لأن سارة وهبتها لزوجها ابراهيم عليه السلام وقالت له خذها لعل الله يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد ، حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت اسماعيل عليه السلام •

ولهذا قال النبى ﷺ « اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » يعنى ولادة هاجر فكان ابراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل « السبع » من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة • وهى من السبع مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا • وكان ابراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا ، فاذاه أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء ، فاتبعوه يسئلونه العودة ، فلم يفعل ، وأعطاهم سبعة أعنز ، وقال اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا ، فاشربوا منه ولا تغترف منه امرأة حائض ، فخرجوا بالأعنزة فلما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى أن غرفت منه امرأة طامث ، فعاد الماء الى الذى هو عليه اليوم •

وأقام ابراهيم بين الرملة وايلياء ببلد يقال له قط أو قط • قال فلما ولد اسماعيل عليه السلام حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله تعالى اسحق وعمرها سبعون سنة ، كما حكى الله سبحانه ذلك فى القرآن الكريم وعمر ابراهيم مائة وعشرون سنة فلما كبر اسماعيل واسحاق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة ، فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء • وقيل كان اسماعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح ، وقالت سارة لا تساكننى فى بلد فأوحى الله تعالى الى ابراهيم أن يأتى مكة وليس بها يومئذ نبت ، فجاء ابراهيم بابنه اسماعيل وأمه هاجر فوضعها بمكة بموضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس ؟ قال : ربى أمرنى قالت :

فانه لى يضيعنا • فلما ذهب قال : « ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن» يعنى من الحزن وقال : «رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم » •

فلما ظمأ اسماعيل جعل يدحض الأرض برجله فنبعت العين وهى زمزم وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى قالوا : ما لزمته الا وفيه ماء ، فجاؤا الى هاجر فقالوا لو شئت لكنا معك فآنسناك والماء ماءك قالت : نعم فكانوا معها حتى شب اسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج امرأة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده ، فهم العرب المتعربة واستأذن ابراهيم سارة أن يأتى هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل • فقدم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك قالت : ليس هنا ذهب يتصيد ، وكان اسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ، ثم يرجع • قال ابراهيم : هل عندك ضيافة ؟ قالت : ليس عندى ضيافة ، وما عندى أحد فقال ابراهيم : اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه وعاد ابراهيم وجاء اسماعيل فوجد ريح أبيه ، فقال لامرأته هل عندك أحد ؟ قالت : جاءنى شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه ، قال : فما قال لك ؟ قالت : قال اقرأى زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه ، فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور اسماعيل ، فأذنت له ، ثم بعد ذلك أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت الحرام فجعل ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة ، ثم لما فرغ من البناء أمره الله تعالى أن يؤذن فى الناس بالحج ، ولم يزل البيت على ما بناه ابراهيم الى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبى الكريم ﷺ •

وأنزلت عليه عشر صحائف وتوفى وهو ابن مائتى سنة •

واختلف السلف من المسلمين فى الذبيح من ولديه فقيل اسحق •

وقيل : اسماعيل عليهما السلام وهو الأصح كما قدمنا لك أدلة ذلك • ولما تزوج اسماعيل الامرأة الثانية وهى السيدة بنت مضاض الجرهمى، ولدت له اثنى عشر رجلا ، وعمر اسماعيل على ما قيل مائة وسبعاوثلاثين سنة ، ودفن عند قبر أمه هاجر فى الحجر ، ومن ولديه نابت وقيدار ، ابنى اسماعيل ، نشر الله تعالى العرب وكثر ذريته • كما قال فى التوراة خطابا لهاجر : « انى سأكثر نسلك اكثارا ولا يحصى من كثرته » وفى اية أخرى من التوراة«وعلى اسماعيل استجبت لك•هوذا أباركه وأكبره وأكثره كثيرا جدا • فسيلد اثنى عشر رئيسا وأجعله لشعب كبير » كمـــا تقـــدم •

وأمـــا قـــوله : « أن الحنيف هو الذى يعبد الصنم » الى آخره • فدعوى بلا دليل ، بل الدليل على خلافها • فقد ورد فى القرآن الكريم• اطلاق الحنيف على المسلم • ويؤيده : أن الجارود بن بشر من عبدالقيس وهو أشرف العرب بيتا — وكان نصرانيا — وقد مع المنذر بن ساوى فى وهو أشرف العرب بيتا • وكان نصرانيا فوفد مع المنذر بن ساوى فى جماعة من عبد القيس على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنة تسع أو سنة عشر ، وأسلم طوعا كجماعته • وقال شعرا :

شهدت بأن الله حق وسامحت ثبات فـــؤادى بالشهادة والنهض

فأبلغ رسول الله منى رسالة : بأنى حنيف حيث كنت من الأرض

فهذا كان نصرانيا عربيا بحتا ويعرف أن الحنيف هو المسلم لا عابد الصنم • وكان الجارود رضى الله تعالى عنه من أكابر النصارى ، وممن حسن اسلامه ، وصحبته ، وقد قدمنا لك فى رد كلامه هذا أيضا ماتزيدك مراجعته علما فراجعه وتفطن •

وأمـــا قـــوله : « فلا أظنك تستجيز فى عقلك أن تدعونى الى مثل حال ابراهيم فى كفره وضلاله من عبادة الأصنام التى هى الحنيفية ، وان كنت تدعونى الى حاله وقت توحيده ، فاليهـــودى أولى بهـــذه

الدعوة منك » • الى آخره •

فهذا مثل قول اخوانه الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله سبحانه :
« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ؟ وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده • أفلا تعقلون ؟ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون • ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما • وما كان من المشركين • ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » •

فقد أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنازعوا عنده • فقالت الأحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا • وقالت النصارى : ما كان ابراهيم الا نصرانيا ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية فما فى قوله تعالى : « لم » ؟ استفهامية والغرض الانكار والتعجب ، وحذفت ألفها لما دخل الجار للفرق بينها وبين الموصولة ، والكلام على حذف مضاف أى دين ابراهيم وشريعته، لأن الذوات لا مجادلة فيها • ورد الله سبحانه عليهم ادعاءهم أنه كان يهوديا أو نصرانيا بأن التوراة نزلت على موسى بعده ، وكان بينهما خمسمائة وخمس وستون سنة وقيل سبعمائة وقيل ألف سنة ، والانجيل على عيسى بعده ، وبينه وبين موسى عليهما السلام ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة وقيل ألفا سنة • فكيف يكون ابراهيم يهوديا أو نصرانيا ؟ فهو قول ظاهر البطلان وليس لدينه ذكر فى كتابكم ، ولا تعرض لكونه آمن بموسى وعيسى قبل بعثتيهما أصلا ولو كان الأمر كذلك كما قيل لما أوتى موسى عليه السلام التوراة ولا عيسى عليه السلام الانجيل ، بل كانا يؤمران بتبليغ صحف ابراهيم ، فابراهيم عليه السلام كان حنيفا أى مائلا عن العقائد الزائغة ، مسلما أى منقادا لطاعة الحق أو موحدا لأن الاسلام يرد بمعنى التوحيد أيضا • ويؤيده: **قوله تعالى : « وما كان من المشركين »** أى عبدة الأصنام كالعرب الذى كانوا يدعون أنهم على دينه أو سائر المشركين ليعم أيضا عبدة النار

كالمجوس وعبدة الكواكب كالصابئة وقيل : أراد بهم اليهود والنصارى لقول اليهود « عزير ابن الله » وقول النصارى « المسيح ابن الله » تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

فان قلت : هل يصح تفسير الاسلام هنا بالدين المحمدى • كما قاله بعضهم ؟ قلت : يرد عليه حينئذ أنه كان بعد ابراهيم بكثير ، فكيف يكون مسلما بهذا المعنى الاصطلاحى ؟ لئلا يكون كادعائهم تهوده وتنصره المردود بقوله تعالى : **« وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده »** فيرد عليه ما ورد عليهم ويشترك الالزام • وان أجاب بعض القائلين بالمعنى الاصطلاحى : أن الالزام غير مشترك ، لأن القرآن أخبر بأن ابراهيم كان مسلما • وليس فى التوراة والانجيل أنه عليه الصلاة والسلام كان يهوديا أو نصرانيا • فظهر الفرق •

قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره : فى الآية وجه آخر وهو أن أهل الكتاب لما تنازعوا ، فقالت اليهود ابراهيم منا ، وقالت النصارى انه منا ، أرادت كل طائفة أنه عليه السلام كان اذ ذاك على ما هم عليه الآن من الحال • وهو حال مخالف لما عليه نبيهم فى نفس الأمر ، موافق له زعما على معنى موافقة الأصول للأصول والموافقة فيما بعد فى العرف موافقة ، ولو لم تكن فى المعظم • فرد عليهم سبحانه بقوله : **« وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده »** أى وليسا مشتملين على ذلك • وهو من الحرى بالذكر لو كان • ثم أشار سبحانه الى ما هم عليه من الحماقة ، ثم صرح بما أشار أولا فقال : **« ما كان ابراهيم يهوديا »** أى من الطائفة اليهودية المخالفة لما جاء به موسى فى نفس الأمر **« ولا نصرانيا »** أى من الطائفة النصرانية المخالفة لما جاء به عيسى عليه السلام كذلك **« ولكن كان حنيفا مسلما »** أى على دين الاسلام الذى ليس عند الله دين مرضى سواه • وهو دين جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم • وفى ذلك اشارة الى أن أولئك اليهود والنصارى ليسوا من الدين فى شىء لمخالفتهم فى نفس الأمر لما عليه النبيان بل الأنبياء ، ثم أشار الى سبب ذلك بما عرض به من قوله

سبحانه : « وما كان من المشركين » فعلى هذا يكون المــراد بالمسلم
سبحانه : « وما كان من المشركين » فعلى هذا يكون المــراد بالمسلم
المؤمن • ولو من غير هذه الأمة أ • هـ •

وأمــا قــوله « فاليهودى بن ابراهيم أولى بهذه الدعوة منك ، لأنه هو صاحب تراث اسحق ، وارث هذا التوحيد عن ابراهيم أبيه » الى آخــره •

فقول صادر عن فهم سخيف ، ومجادلة بالباطل ، لأنه اذا كانت هذه الدعوة حقا ، فكل أحد من عباد الله الموحدين ، سواء فى ذلك • على أن العرب والنبى ﷺ سيدهم من ذرية ابراهيم من ولد ابنــه اسماعيل المبارك عليه فى التوراة فما الفرق بين ولد اسحق وولد أخيه الأكبــر اسماعيل بالدعوة الى توحيد الله تعالى ؟ فهؤلاء اليهود أولاد اسحق أيضا دعوكم الى التوحيد وعدم القول بالتثليث ، ونهوكم أن تجعلوا الآلهــة ثلاثة ، فماسمعتم وكذا أولاد عمكم اسماعيل يدعونكم الى ذلك • فما ارعويتم ، وأصررتم على هذه المقالة الشنعاء ، وجعلتم المسيح الهــا خالقــا للعالم ، وأكلتم لحمــه الحقيقى فى الصباح والمساء •

على أن متى قال فى انجيله فى الأصحاح الخامس ما نصه : « يا ذرية الأفاعى من دلكم على الهرب من الغضب الآتى ؟ اعملوا الآن ثمــرة تليق بالتوبة ، ولا تقولوا فى أنفسكم ان أبانا ابراهيم ، فأقول لكم : ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة بنين لابراهيم ، فانه قد وضع الفأس على أصول الشجر ، فكل شجرة لا تثمر ثمــرا صالحا تقطع وتلقى فى النار » •

فانظر يا من يدعى الانصاف كيف بين فى الانجيل أن أولاد ابراهيم اذا لم يعملوا صالحا يقيم بدلهم غيرهم ، ويجعلهم فى النار ، فقــد أقام الله ــ وله سبحانه الحمد ــ أمة من العرب والعجــم والتــرك وغيرهم يدعون الى الرشد ويأمرون بالمعروف وينهون عن تعديد الآلهة

وعن كافة المحرمات ، فهم أولى من ولد ابراهيم الذين قتلوا الههم — بزعمك — المارقين عن كتبهم وعن الدين ، المحرفين المبدلين والمثلثين ، فأولاد ابراهيم هم الصالحون وغيرهم وان كانوا من ذريته ، فهـم المبعدون . كما قال الله تعالى : « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا » ونحن والحمد لله سبحانه المؤمنـــون الموحدون ، وأنتم المثلثون الآكلون لحم البهائم ودمــه شاربــون . فانظر ما أنتم عليه وما عليه المسلمون ، وأنصف واعبد الله وحــده ولا تعبد ثلاثة وتقول : « انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتـــدون » .

وأمـــا قـــوله : « وصاحبك يقرأ فى كتابه ويقول طائعا انه قيل له « قل : انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين » : (الأنعام ١٤) . أفلا ترى أنه أول من اظهر الاسلام وان قبله ابراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين » .

اعلم : أن الاسلام فى اللغة : الانقياد ، يقال أسلم اذا انقاد وصار مسلما . وفى الشرع يأتى على ضربين : أحدهما : دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه تجرى على الناطق به أحكام المسلمين الظاهرة ، حصل الاعتقاد معه أو لم يحصل ، واياه قصد بقوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا . قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » .

والثانى : فوق الايمان . وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله تعالى فى جميع ما قضى وقدر كما ذكر عن ابراهيم عليه السلام فى قوله : « اذ قال له ربه أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين » . وقوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » وقوله تعالى : « توفنى مسلما » أى اجعلنى ممن استسلم لرضاك . وقوله تعالى : « ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » أى منقادون للحق مذعنون له . وقوله تعالى « يحكم بها النبيون الذين أسلمـــوا للذين هادوا » أى للذين انقادوا من الأنبياء الذين ليســـوا من أولى

العزم الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع • وهذه الآية تفسيره :
أن أكون أول من أسلم وجهه لله سبحانه مخلصا له لأن النبى عليه الصلاة والسلام مأمور بما شرعه الا ما كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم وهو امام أمته ومقتداهم ، وينبغى لكل آمر أن يكون هو العامل أولا بما أمر به ليكون أدعى للامتثال •

ومن ذلك : ما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام « سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » وقيل : انما ذكر للتحريض كما يأمر الملك رعيته بأمر ثم يقول : وأنا أول من يفعل ذلك ، ليحملهم على الامتثال • والا فلم يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم امتناع عن ذلك ، حتى يؤمر به ، وقوله سبحانه : « ولا تكونن من المشركين » أى فى أمر من أمور الدين • وفى الكلام قول مقدر ، أى وقيل لى : لا تكونن • وحاصل المعنى : أنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك •

وقال فى الفتح : « أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول للمشركين لما دعوه الى عبادة الأصنام : « قل أغير الله أتخذ وليا؟»
أى كيف أتخذ غير الله تعالى معبودا ؟ ثم أمره أن يقول لهم ثانيا : انه مأمور بأن يكون أول من أسلم وجهه لله من قومه ، وأخلص من أمته من حيث انه مرسل لنفسه ، يعنى يجب عليه الايمان برسالة نفسه ، وبما جاء من الشريعة والأحكام كما أنه مرسل لغيره ، وهو أول من انقاد لهذا الدين ، أو المعنى أول فريق أسلم • وأفرد الضمير فى « أسلم » باعتبار لفظ فريق أو باعتبار لفظ من • وقيل : معنى أسلم استسلم لأمر الله ثم نهاه عز وجل أن يكون من المشركين • والمعنى : أمرت بأن أكون أول من أسلم ونهيت عن الشرك ، أى يقول لهم ذلك» •

وعند السادة الصوفية أن المراد الأمر الكونى أى قل انى قيل لى : كن أول من أسلم ، فكنت • وذلك قبل ظهور هذه التعينات ، أى فى عالم الأرواح • ولا يبعد أيضا أن يراد بأول الأول النبى أى بالنسبة الى أمته عليه السلام ومن دعاه الى الاسلام كما أشير اليه فيما سبق •

فان قيل : قوله تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هـو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » يشعر ظاهره أن ابراهيم هو سمانا المسلمين ، مع أن قول الأكثر ان هذه التسمية غير مخصوصة بهذه الأمة •

قلنـا : قال المفسرون : الضمير فى الآية عائد الى الله تعالى كما ذهب اليه ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد والضحاك وقتادة وسفيان ويدل عليه قراءة أبى « **الله سماكم المسلين من قبل** » أى من قبل نزول القرآن • وذلك فى الكتب السماوية كالتوراة والانجيل الصحيحين • وقيل : الضمير عائد الى ابراهيم لقربه وتسميته اياهم بذلك من قبل فى قوله « **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** » •

واذا علمت : جميع ما تقدم من معانى الاسلام وما يـراد به على اختلاف موارده ، تبين لك كذب ما ادعاه هذا النصرانى من كفر ابراهيم عليه السلام وعبادته للأصنام قبل بعثته ، ولم يأت بدليل على ذلك • ومن أين علم أن الحنيفية كانت تطلق على عبادة الأصنام ؟ فهل هذا الا تحكم وبهتان ، مع أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها • لكن النصارى كاخوانهم اليهود يحرفون الكلم ، وينسبون الأنبياء عليهم السلام الى عبادة الأصنام والكفر بعد النبوة أيضا • كما رووا فى التوراة فى حق سليمان أنه عمل الأصنام لزوجاته فعبدتها — كما سيأتى تفصيل ذلك فى محله ان شاء الله تعالى — واتضح لك كفلق الصبح أن الاسلام يأتى فى القرآن فى المعنى اللغوى فى بعض الآيات الكريمة ، ويأتى فى بعضها بالمعنى العرفى الشرعى ، فلا تناقض فى الآيات ولا تدافع فى الكلمات • ولكل مقام مقال ، ولكل لفظ معنى يناسبه الحال ، عند من أنصف وترك باطل الجدال • وبالله سبحانه التوفيق ونعـوذ بالله من الغواية والضلال •



قـال النصرانى : « فان أبيت أصلحك الله الا الوكالة بالخصومة

والاحتجاج عن اليهود ، فأنت تعلم ما يجب لنا عليك فى الحكم اذا نحن طالبناك باقرار اليهودى بتوكيله اياك . فان ثبتت وكالتك له فبتمهلنا عليك ومسامحتنا لك فى هذا الموضع أن نأخذ منك اقرارك انك قد أقمت نفسك ونصبتها منصب الخصم عن اليهود .

وانا لا أرى لشرفك وحسبك أن أحلك هذا المحل ، وأقيمك هذا المقام، وان كنت أنت أحللت نفسه ، وانى أسألك عن هذا الواحد الذى دعوتنا الى الاقرار بوحدانيته ، كيف تفهمنا أنه واحد ؟ وعلى كم نحو يقال للواحد واحدا ؟ فاذا أنبأتنا بذلك علمنا أنك صادق فيما ادعيت من عبادة هذا الواحد ، وان ألفيت غير عالم ، فأين تبصرك ؟ ألا تعلم أن الواحد لا يقال واحدا الا على ثلاثة أوجه ، اما فى الجنس واما فى النوع واما فى العدد . ولست أرى أحدا يدعى غير هذا أو يقدر أن يجد غير هذه الأوجه الثلاثة ان كان ذا اب وادراك لما يقول . وانما أناجيك بهذه المناجات وأخاطبك بما يخاطب به ذو العقل والرأى الراسخ فى العلم الداخل فى الأمور بدراية وفهم لأنك — أيدك الله — لست عندى من الجهال الذين اذا أوردت عليهم مسألة غامضة تلطف عن غلظ طباعهم وجفاء أذهانهم عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن الاجابة عنها لقلة علمهم ، فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سبحان الله .

نعم سبحان الله أبدا حتى تنصرم الدنيا وما دامت الآخرة من كل لسان ناطق وشفة متحركة فعلى أى وجه تصف الله جل وعز واحدا من هذه الوجوه التى ذكرتها لك ؟ فى الجنس أم فى النوع أم فى العدد ؟ فان قلت : انه واحد فى الجنس صار واحدا عاما لأنواع شتى ، لأن حكم الواحد فى الجنس هو الذى يضم أنواعا كثيرة مختلفة ، وذلك مما لا يجوز فى الله تعالى . وان قلت : انه واحد فى النوع صار ذلك نوعا عاما لأقانيم شتى لأن حكم النوع يضم أقانيم كثيرة فى العدد .

وان قلت : انه واحد فى العدد ، كان ذلك نقضا لكلامك انه واحد فرد صمد لأنى لا أشك فى أنه او سألك سائل عن نفسك فقال لك :

كم أنت لا تقدر أن تجيبه بأنك واحد فرد ؟ فكيف يقبل عقلك هـذه الصفة التى لا تفضل الهك عن سائر خلقه ؟ وليتك مع وصفك اياه بالعدد كنت وصفته أيضا بالتبعيض ، أتراك لا تعلم أنت الرجل الذى متشت الكتب وقرأتها وناظرت أهل الملل المختلفة وفهمت اعتقاداتهم أن الواحد الفرد بعض العدد ، لأن كمال العدد ما عم جميع أنواع العدد فالواحد بعض العدد . وهذا نقض لكلامك .

فان قلت : انه واحد فى النوع . فللنوع ذوات شتى لا واحد فرد . وان قلت : واحد فى الجوهر وجب أن نسألك هل تخالف صفة الواحد فى النوع عندك صفة الواحد فى العدد ، وانما تعنى واحدا فى النوع واحدا فى العدد لأنه عام ؟

فان قلت : قد تخالف هذه تلك ، قلنا لك : حد الواحد فى النوع عند أهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق : اسم يعم أفرادا شتى وواحد الواحد ما لا يعم غير نفسه ، أفمقر أنت أن الله واحد فى الجوهر يعم أشخاصا شتى أو انما تصفه شخصا واحدا ؟ وان كان معنى قولك بأنه واحد فى النوع واحد فى العدد ، فانك لم تعرف الواحد فى النوع ما هو ؟ وكيف هو ؟ ورجعت الى كلامك الأول انه واحد فى العدد ، وهذه صفة المخلوقين كما قدمنا آنفا .

وان قلت : هل تقدر أنت أن تصف الله واحدا فى العـدد اذ كان كزعمك الواحد فى العدد بعضا وليس بكامل ؟ قلنـا لك : اننا نصفه واحدا كاملا فى الجوهر مثلثا فى العدد ، أى فى الأقانيم الثلاثة فقـد كملت صفته من الوجهين جميعا . اما وصفنا اياه واحدا فى الجـوهر فلاعتلائه جل وعز عن جميع خلقه وبريته محسوسـة كانت أو غـير محسوسة ، لا يشبهه شىء منها ولا يختلط فى غيره بسيط غير كثيف ، وروحانى غير جسمانى أب على كل شىء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب . وأما فى العدد فلأنه عام لجميع أنواع العدد ، لأن العدد لا يعدو أن تكن أنواعه نوعين زوجا وفردا فقد دخل هذان

النوعان فى هذه الثلاثة ، فبأى الأنحاء وصفناه ، لم نعـدل عن صفة الكمال شيئا كما يليق به ذلك ؛ لنعلم أنا وصفنا أنه واحـدا ليس على ما وصفته أنت — أكرمك الله — وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعا لك ، وللناظر فى كتابنا هذا اذا نظر بعين الانصاف ان شاء الله .

واعلم أصلحك الله : أنه كان يمكننا أن نعقد الكلام فى هذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع ، لكننا أحببنا أن يكون كلامنا سهلا يفهمه كل من قرأه واستملاً منه ، وكى لا تستثقله الأسـماع وينفر منه الذهن ، وينبغى لك — أصلحك الله — أن تعلم أن مناضلتنا فى هذا الأمر كمناضلة الاخوة المشتركين فى بضاعة واحدة ورثوهـا عن أبيهم ، فكل فيها مشترك ليس بعضهم فيها دون بعض ، فأنت ونحن فى الكلام سواء ، فما جاء من الجواب وكان فيه بعض مرارة توجب الحق ، فينبغى لك أن تعترف به ولا تنكره ، فانا لا ندع الاستقصاء وبلوغ الغاية القصوى فى الذب عن حقنا ودحض حجة من أراد ابطال حجتنا وأمرنا وحاول ظلمنا » .



أقـول : لا يخفى التناقض والتهافت وعدم الارتباط والتلبيس فى كلام هذا النصرانى ، على كل ذى لب وعقل . فانه قـد رد بكـلامه هذا على ما ذكره المسلم الموحد فى رسالته له من قوله : « أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له كفوا أحد » وهى الصفة التى وصف نفسـه جل وعز بها ، اذ كان ليس أحد من خلقه أعلم به من نفسه ، فدعونك الى عبادة هذا الاله الواحد الذى هذه صفته » .

فالمسلم الموحد ما أراد من الواحد الأحـد الا ما ذكـره النحويين والعلماء العارفون من معانيها التى نذكرها لك قريبا ان شاء الله تعالى.

والنصرانى تهافت كلامه وتناقض حيث بين بعض معانى الواحد ؛ وردها واختار أن الواحد هو الكامل فى الجوهر المثلث فى العدد ، أى فى الأقانيم الثلاثة ، فأى تناقض أعظم من هذا ؟ اذ كيف يكون واحدا

وهى ثلاثة أقانيم ؟ فأين الوحدة الحقيقية ؟ وأين تنزيه الربوبية عن عن مشابهة المخلوقين ، فى الوحدة التى اخترعها من عنده ، واختلقها من تلقاء نفسه وتناقض باثباتها تناقضا لا يخفى على الأطفال أو ربات الحجال ؟

فاستمع ما قاله العلماء واللغويون ليزول ما أورده من الاشكال قال : الراغب فى مفرداته : « الواحد فى الحقيقة هو الشيء الذى لا جزء له البتة ، ثم يطلق على كل موجود ، حتى انه ما من عدد الا ويصح وصفه به ، فيقال : عشرة واحدة ومائة واحدة . فالواحد لفظ مشترك يستعمل على ستة أوجه :

الأول : ما كا نواحدا فى الجنس أو فى النوع كقولنا : الانسان والفرس واحد فى الجنس وزيد وعمرو واحد فى النوع .

الثانى : ما كان واحدا بالاتصال ، اما من حيث الخلقة كقولك شخص واحد واما من حيث الصناعة كقولك حزمة واحدة .

الثالث : ما كان واحدا لعدم نظيره ، اما فى الخلقة كقولك الشمس واحدة ، واما فى دعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره كقولك نسيج وحده .

الرابع : ما كان واحدا ، لامتناع التجزىء فيه ، اما لصغره كالهباء واما لصلابته كالألماس .

الخامس : للمبدأ اما لمبدء العدد كقولك واحد اثنان ، واما لمبدء الخط كقولك النطقة واحدة . والوحدة فى كلها عارضة ، واذا وصف الله سبحانه وتعالى بالواحد فمعناه هو الذى لا يصح عليه التجزىء ولا التكثر ، ولصعوبة هذه الوحدة قال عز وجل « واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » والواحد المفرد ، ويوصف به غير الله تعالى والواحد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى .

وقال ابن الأثير فى النهاية : « الواحد فى أسماء الله تعالى هو الفرد الذى لم يزل وحده ولم يكن معه آخر قال الأزهرى : الفرق بين الواحد

والأحد : أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد . تقول : ما جاءنى أحد ، والواحد اسم بنى لمفتتح العدد تقول : جاءنى واحد من القوم ، ولا تقول جاءنى أحد . فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير ، والأحد منفرد بالمعنى . وقيل : الواحد هو الذى لا يتجزىء ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين الا الله تعالى .

قال العلامة سيف الدين أبو الحسن على الآمدى فى كتابه أبكار الأفكار بعد أن أورد بعض المعانى للواحد واعتراضا تها . ما نصه : « مسمى الواحد اما أن يكون غير منقسم أو هو منقسم ، فان كان غير منقسم فاما أن يكون قابلا للانقسام أولا . فان كان غير قابل للانقسام فهو الواحد بالعدد مطلقا ، كالجوهر الفرد ، وان كان قابلا للانقسام فأجزاؤه اما متشابهة أو غير متشابهة ، فان كان الأول فهو الواحد بالاتصال ، كالماء المتصل الأجزاء ، وان كان الثانى فيسمى الواحد بالتركيب كالواحد من الحيوانات والنبات ، واما أن يكون منقسما بالفعل ، فلابد أن تشترك أعداده فى معنى كلى يصح اطلاق اسم الواحد عليها باعتباره . والا فلا معنى لاطلاق الواحد عليها . وعلى حسب انقسام ذلك الكلى المشترك ، يكون أقسام هذا الواحد . فان كان الكلى المشترك جنسا قيل لما تحته من الأنواع انها واحدة بالجنس، كالانسان والفرس بالنسبة الى الحيوان . غير أن ما كان واحدا بالجنس فهو كثير بالنوع وان كان الكلى المشترك نوعا قيل للأعداد الداخلة انها واحدة بالنوع كزيد وعمرو بالنسبة الى الانسان . وان كان الكلى المشترك عرضا قيل لما تحته من الأعداد : انها واحدة بالعرض . ومن لواحق هذه الأقسام المجانسة . وهى الاتحاد فى الجنسية والمشاكلة ، وهى الاتحاد فى النوعية والمشابهة ، وهى الاتحاد فى الكيفية والمساواة ، وهى الاتحاد فى الكمية والموازاة ، وهى الاتحاد فى الوضع .

وعلى هذا فما كان واحدا بالعدد ، فقد يتفق أن يكون واحدا بمعنى

عدم النظير والشبيه — على ما تقدم — والبارى تعالى واحد بكلا الاعتبارين • أما أنه واحد بالعدد ، فعلى ما تقدم • وأما أنه واحد بالاعتبار الثانى ، فلما قامت عليه الأدلة من عدم وجود الهين ، لكل واحد منهما صفات الالهية ما للاخر » الى أن قال :

« وأما التوحيد فقد يطلق بالاشتراك على التفريق بين الشيئين بعد سادقه ، وقد يطلق على الاتيان بالفعل الواحد مفردا ، وقد يطلق ويراد به اعتقاد الوحدانية لله تعالى • وهذا هو المقصود من اطلاق لفظ التوحيد فى عرف المتكلمين ، وربما أطلق على الأخبار عن التوحيد وان جهل اخبار المخبر » •

قلت والتوحيد عند العلماء السلفيين ثلاثة أقسام توحيد الربوبية ، وهو أنه لا خالق ولا رازق ولا محيى ولا مميت الا هو • وتوحيد الألوهية وهو افراده سبحانه بالعبادة والتأله له والخضوع والحب والتوجه • وتوحيد الصفات وهو أن يصفه بما وصف به نفسه من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل • ولا بد للمؤمن أن يوحد الربوبية والألوهية كما هو مفصل فى محله •

وقال الوالد تغمده الله تعالى بغفرانه فى تفسيره : « الأحد : قالوا همزته مبدلة من الواو ، وأصله وحد ، وابدال الواو المفتوحة همزة قليل • ومنه قولهم : امرأة أناة يريدون وناة ، لأنه من الونى وهو الفتور وهذا بخلاف أحد الذى يلازم النفى ونحوه ، ويراد به العموم• كما فى قوله تعالى : « فما منكم من أحد عنه حاجزين » وقوله تعالى « هل تحس منهم من أحد » وقوله سبحانه : « فلا تدع مع الله أحدا » وقوله عز وجل : « وان أحد من المشركين استجارك » فان همزته أصلية ، وقيل الهمزة فيه أصلية كالهمزة فى الآخر •

والفرق بينهما : قال الراغب : أن المختص بالنفى منهما لاستغراق جنس الناطقين ، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق، نحو ما فى الدار أحد ، أى لا واحد ولا اثنان فصاعدا ، لا مجتمعين

ولا مفترقين • ولهذا لم يصح استعماله فى الاثبات ، لأن نفى المتضادين يصح ولا يصح اثباتهما • فلو قيل فى الدار أحد لكان فيه اثبات واحد منفرد مع اثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين وذلك ظاهر الاحالة• ولتناول ذلك ما فوق الواحد يصح أن يقال : ما من أحد فاضلين • وعليه الآيــة المذكورة آنفا • والمستعمل فى الاثبات على ثلاثة أوجه •

الأول : أن يضم الى العشرات نحو أحد عشر ، وأحد وعشرون •

والثانى : أن يستعمل مضافا أو مضافا اليه بمعنى الأول كمـا فى قوله تعالى : ((أما أحدكما فيسقى ربه خمرا)) وقولهم : يوم الأحــد أى يوم الأول •

والثالث : أن يستعمل مطلقا وصفا ، وليس ذلك الا فى وصف الله تعالى • وهو وان كان أصله وحدا الا أن وحدا يستعمــل فى غــيره سبحانه نحو قول النابغة :

كأن رحلى وقد زال النهار بنا   بــذى الجليل على مستأنس وحد

انتهى •

وقال مكى : أصل أحد وحد فأبدلوا الواو همزة • فاجتمع الفــان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت احداهما تخفيفا • وفرق« ثعلب » بين أحد وواحد بأن أحد لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحــد واثنان ، ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد • ولذلك اختص به سبحانه وتعالى • وفرق بعضهم بينهما أيضا بــأن الأحد فى النفى نص فى العموم بخلاف الواحد ، فانه محتمل للعموم وغيره ، فيقال : ما فى الدار أحد • ولا يقال بل اثنان • ويجــوز أن يقال : ما فى الدار واحد بل اثنان :

ونقل عن بعض الحنفية أنه قال فى التفرقة بينهما : أن الأحــدية لا تحتمل الجزئية والعددية بحال ، والواحدية تحتملهما ، لأنه يقال : مائة واحدة وألف واحد ولا يقال مائة أحد ولا ألف أحد • وبنى على ذلك مسألة الامام محمد بن الحسن التى ذكرها فى الجامــع الكبير ،

اذا كان لرجل أربع نسوة فقال : والله لا أقرب واحدة منكن صار موليا منهن جميعا ، ولم يجز أن يقرب واحدة منهن الا بكفارة • ولو قال : والله لا أقرب احداكن لم يصر موليا الا من احداهن ، والبيان اليه وفرق الامام الخطابى : أن الأحدية لتفرد الذات ، والواحدية لنفى المشاركة فى الصفات • ونقل عن المحققين • التفرقة بعكس ذلك • ولما لم ينفك فى شأنه تعالى أحد الأمرين من الآخر ، قيل : الواحد الأحد فى حكم اسم واحد ، وفسر الأحد هنا ابن عباس رضى الله عنه وأبو عبيدة رضى الله عنه بالواحد • وقال : بعض الأجلة : أن الواحد مقول على ماتحته بالتشكيك، فالمرآة به هنا حيث أطلق بالمتصف بالواحدية التى لا يمكن أن يكون أزيد منها ولا أكمل ، فهو ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد ، خارجا وذهنا • وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية وهو مأخوذ من كلام أبى على بن سينا فى تفسيره السورة الجليلة حيث قال : ان أحدا دال على أنه تعالى واحد من جميع الوجوه ، وأنه لا كثرة هناك أصلا• لا كثرة معنوية وهى كثرة المقومات والأجناس والفصول ، وكثرة الأجزاء الخارجية المتمايزة عقلا كما فى المادة والصورة ،والكثرة الحسية بالقوة أو بالفعل كما فى الجسم • وذلك يتضمن لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والأبعاض والأعضاء والأشكال والالوان وسائر ما يثلم الوحدة الكاملة والبساطة الحقة اللائقة بكرم وجهه عز وجل عن أن يشبهه شىء أو يساويه سبحانه شىء •

وقال ابن عقيل الحنبلى : « الذى يصح لنا من القول مع اثبات الصفات أنه تعالى واحد فى الهيته لا غير » وقال غيره من السلفيين كالحافظ ابن رجب : « هو سبحانه الواحد فى الهيته وربوبيته ، فلا معبود ولا رب سواه عز وجل » واختار بعد وصفه تعالى بما ورد له سبحانه من الصفات « أن المراد الواحدية الكاملة • وذلك على وجهين:

كون الضمير الذى فى قوله تعالى : « **قل هو الله أحد** » **للشأن وكونه** المسئول عنه ، ولا يصح أن يراد الواحد بالعدد أصلا ، اذ يخلو الكلام عليه من الفائدة .

ونقل الامام البيهقى عن الحليمى : أن الأحـــد هو الذى لاشبيه له ولا نظير ، كما أن الواحد هو الحى الذى لا شريك له ولا عديد . ولهذا سمى الله عز وجل نفسه بهذا الاسم لما وصف نفسه بأنه لم يلد ولم **يولد ولم يكن له كفوا أحد . فكان قوله عز وجــل « لم يلـــد ولم يولـــد » من تفسير قوله أحد** ، والمعنى لم يتفرع عنه شىء ولا يتفرع هو عن شىء كما يتفرع الولد عن أبيه وأمه ويتفرع عنهما الولد ، فاذا كان كذلك كما يدعوه المشركون الها من دونه لا يجوز أن يكون الهـــا اذ كانت أمارات الحدوث من التجزىء والتناهى قائمة فيه لازمة له ، والبارى سبحانه لا يتجزىء ولا يتناهى ، فهو اذن غير مشبه ابـــاه ولا مشارك له فى صفته .

وفى الصحيح قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم ينبغ له أن يكذبنى ، وشتمنى ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمنى، فأما تكذيبه اياى ، فقوله لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول خلقـــه بأهون على من اعادته ، واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا . وأنا **الله الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد** .

والصمد : قال ابن الانبارى : لا خلاف بين أهل اللغة انـــه السيد الذى ليس فوقه أحد ، الذى يصمد اليه الناس فى حوائجهم وأمورهم . وقال الزجاج هو الذى ينتهى اليه السؤدد ويصمد اليه أى يقصده كل شىء . وعن ابن عباس هو السيد الذى قد كمل فى سؤدده ، والشريف الذى قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد كمل أنواع الشرف والسؤ دد . وعن أبى هريرة: هو المستغنى عن كل أحد ، المحتاج اليه كل أحد . وعن ابن جبير **هو**

الكامل فى جميع صفاته وأفعاله • وعن الربيع : هو الذى لا تعتريه الآفات وعن مقاتل هو الذى لا عيب فيه • وعن قتادة هو الباقى بعد خلقه • وعن بريدة مرفوعا : الصمد الذى لا جوف له • وقيل هو الذى ليس له أحشاء • وقيل هو الذى لا يطعم • وعن الشعبى هــو الذى لا يأكل ولا يشرب • وعن طائفة منهم أبى بن كعب والربيع بن أنس أنه الذى لم يلد ولم يولد كأنهم جعلوا ما بعده تفسيرا له ، لأن المشركين قالوا : يا محمد أنسب لنا ربك • فأنزل الله عز وجل « قل هو الله أحد » الى آخر السورة ، لأنه ليس شىء مولود الا سيموت ، وليس شىء يموت الا سيورث ، وأنه تبارك وتعالى لا يموت ولا يورث « ولم يكن له كفوا أحد » لم يكن له شبه ولا عدل « ليس كمثله شىء » قال الوالد عليه الرحمة : « ونفى الولادة عنه سبحانه لأن الولادة تقتضى انفصال مادة منه سبحانه ، وذلك يقتضى التركيب المنافى للصمدية والأحــدية ولأن الولد من جنس أبيه • ولا بجانسه تعالى أحد لأنه سبحانه واجب وهو سبحانه دائم باق غير محتاج الى شىء من ذلك • ونفى المولودية عنه سبحانه لاقتضائها المادة ، فيلزم التركيب المنافى للغنــاء المطلق والأحدية الحقيقية ، أو لاقتضائها سبق العدم ، ولو بالــــذات ، أو لاقتضائها المجانسة المستحيلة على واجب الوجود •

وقدم نفى الولادة لأنه الأهم لان طائفة من الكفار توهموا خلافه بخلاف نفى المولودية أو لكثرة متوهمى خلاف الأول دون خلاف الثانى، بناء على أن النصارى يلزمهم بواسطة دعوى الاتحاد ، القول بالولادة والمولودية فيمن يعتقدونه الها • وذلك على ما تضمنته كتبهم أنهــم يقولون الآب هو الأقنوم الأول من الثالوث ، والابن هو الثانى الصادر منه صدورا أزليا مساويا بالأزلية له ، وروح القدس هو الثالث الصادر عنهما كذلك ، والطبيعة الالهية واحدة • وهى لكل من الثلاثة ، وكل منها متحد معها • ومع ذلك هم ثلاثة جواهر لا جوهر واحد ، فالآب ليس هو الابن والابن ليس هو الآب وروح القدس ليس هو الآب ولا الابن• وهما ليسا روح القدس • ومع ذاهم آله واحد ، اذ لهم لاهوت واحــد

وطبيعة واحدة وجوهر واحد وكل منهم متحد مع اللاهوت ، وان كان بينهم تمايز ، والأول هو الوجود الواجب الجوهرى ، والثانى هــو العقل الجوهرى ، ويقال له العلم ، والثالث هو الارادة الجوهرية ، ويقال لها المحبة . فالله ثلاثة أقانيم جوهرية ، وهى على تمايزها تمايزا حقيقيا . وقد يطلقون عليه آضافيا أى باضافة بعضها الى بعض جوهر وطبيعة واحدة هو الله ، وليس يوجد فيه غيره ، بل كل ما هو داخل فيه غير ذاته . ويقولون : ان فيه — تعــالى عما يقولون — أربع اضافات :

أولها : فاعلية التعقل فى الأقنوم الأول .

وثانيتها : مفعولية التعقل فى الأقنوم الثانى الذى هو صورة عقل الآب

ثالثتها : فاعلية الانبثاق فى الأقنوم الأول والثانى ، اللذين هما الارادة

رابعتها : مفعولية هذا الانبثاق فى الأقنوم الثالث الــذى هو حب الارادة الالهية التى للأقنوم الأول والثانى .

وزعموا أن التعبير فى الفاعلية والمفعولية فى الأقانيم الالهيــة على سبيل التوسع ، وليست الفاعلية فى الآب نحو الابن الا الأبوة وفيه وفى الابن ، نحو روح القدس ليست الا بدء صدوره منهما . وليست المفعولية فى الابن وروح القدس الا البنوة فى الابن والابتثــــان فى الروح ، ويقولون كل ذلك مما يجب الايمان به . وان كان فوق الطور البشرى . ويزعمون أن ذلك الأقانيم أســماء تلقوهــا من الحواريين فالأقنوم الأول فى الطبع الالهى يدعى أبا . والثانى ابنا وكلمة وتوحيد حكمة ونورا وضياء وشعاعا . والثالث روح القدس ويدعى معزيا وهو معنى قولهم باليونانية « فارقليط » وقالوا فى بيــان وجــه اطلاقات ذلك أن : الأقنوم الأول بمنزلة ينبوع ومبدأ على الاقنوم الثــــانى الصادر عنه بفعل يقتضى شبه فاعله . وهو فعل العقل طبيعية وجوهره كله حتى أن الاقنوم الثانى الذى هو صورة الأول الجوهرية الالهية مساو له كمال المساواة . وحد الايلاد وهو صدور حى من حى بالــة

ومبدأ مقارن يقتضى شبه طبيعته • وهنا كذلك بل أبلغ لأن الثـــانى الطبيعة الالهية نفسها فلا يدع اذا سمى الأول آبا والثانى ابنا •

وانما قيل للثانى كلمة لأن الايلاد ليس على نحو ، ايلاد الحيوان والنبات ، بل بفعل العقل أى بتصور الآب لاهوته وفهمه ذاته ، ولاشك أن تلك الصورة كلمة لأنها مفهومية العقل ونطقه وقيل لها حكمة لأنه كان مولودا من الآب بفعل عقله الالهى الذى هو حكمته ، وقيل له نورا وشعاعا وضياء لأنه حيث كان حكمة كان به معرفة حقائق الأشـــياء وانكشافها كالمذكورات •

وقيل للثالث روح القدس لأنه صادر من الآب والابن بفعل الارادة التى هى واحدة للاب ، والابن منبثق منهما بفعل هو كهيجان الارادة بالحب نحو محبوبها فهو حب الله ، والله نفسه هو الــروح الصرف ، والتقدس عينه ، ولكل من الأول والثانى وجه لأن يدعى روحا لمكان الاتحاد • لكن لمـــا دعى الاول باسم يدل على رتبته واضـــافته الى الثانى والثالث ، كذلك اختص الثالث بالاسم المشاع ولم يدع ابنا ، وان كان له طبيعة الآب وجوهره كالابن ، لأنه لم يصدر من الآب بفعل يقتضى شبه فاعله ، يعنى بفعل العقل بل صدر منه بفعل الارادة فالثانى من الأول كهابيل من آدم والثالث كحواء منه ، والكل حقيقة واحدة ، لكن يقال لهابيل ابن ولا يقال لها بنت ، وقيل له معزى لأنه كان عتيدا لأن يأتى الحواريين فيعزيهم لفقد المسيح عليه السلام •

وأمـــا الفاعلية والمفعولية فلأنهما غير موجودين حقيقة والأبـــوة والبنوة ههنا لا تقتضيهما كما فى المحدثات • ولذا لا يقال هنا للاب علة وسبب لابنه ، وان قيل هناك فالثلاثة متساوية فى الجوهـــر والــذات واستحقاق العبادة والفضل من كل وجه •

ثم انهم زعموا تجسد الأقنوم الثانى وهو الكلمة واتحاده بأشرف أجزاء البتول من الدم بقوة روح القدس ، فكان المسيح عليه السلام

المركب من الناسوت والكلمة ، والكلمة مع اتحادها لم تخرج عن بساطتها ولم تتغير ، لأنها الحق الذى ينتهى اليه الاتحاد ، فلا مانع من جهتها من الاتحاد ، وكذا لا مانع فى جانب الناسوت منه ، فلا يتعاصى على الله تعالى شىء •

وزعموا أن المسيح عليه السلام كان الها تاما وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيئتين قائمتين بأقنوم الهى ، وهو أقنوم الكلمة ، ومن ثم تحمل عليه الصفات الالهية والبشرية معا لكن من حيثيتين ثم انهم زادوا فى الطنبور رنة ، وقالوا ان المسيح أطعم يوما الحواريين خبزا وسقاهم خمرا وقال أكلتم لحمى وشربتم دمى ، فاتحدتم معى ، وأنا متحد مع الآب الى رنات أخر ، هى أشهر من أن تذكر •

ويعلم مما ذكرنا أنه لا فرق عندهم بين أن يقال ان الله تعالى هو المسيح ، وبين أن يقال ان المسيح ابنه وبين أن يقال انه سبحانه ثالث ثلاثة • ولذا جاء فى التنزيل كل من هذه الأقوال منسوبا اليهم ، ولا حاجة الى جعل كل قول لقوم منهم ، كما قال غير واحد من المفسرين والمتكلمين •

ثم لا يخفى منافاة ما ذكروه للأحدية والصمدية • وقولهم ان الأقانيم مع كونها ثلاث جواهر متمايزة تمايزا حقيقيا جوهر واحد لبداهة بطلانه لا يسمن ولا يغنى • وما يذكرونه من المثال لايضاح ذلك فهو عن الايضاح بمعزل ، وبعيد عن المقصود بألف ألف منزل » أ•هـ •

وسنقف ان شاء الله تعالى فى كتابنا هذا على متصل رد عقائدهم الزائفة التى ينقلها عنهم المتكلمون ، والتى يذكرها النصارى فى كتبهم ، وينتحلونها مذهبا لهم ، التى يذكرها هذا النصرانى عبد المسيح ببيان رجيح ، وقول معقول صحيح ، بحول الله تعالى وقوته وقد تبين لك مما تقدم معنى الواحد على ما قاله اللغويون ، وبطلان ما ادعاه النصرانى من معنى الواحد المتناقض ، حيث زعم أن الله سبحانه واحد بالجوهر مثلث بالأقانيم ، فهل هذا الا تناقض وتهافت لا يقنع الأطفال

فضلا عن كمل الرجال ؟ فنسأله سبحانه لحفظ من وساوس الشيطان ، والسلوك فى مسالك أولياء الرحمن ، انه الكريم المنان .



قال النصرانى : « وأما قولك انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد . فان أنت أبقاك الله أنصفتنا والانصاف أشبه بك وأولى كما ضمنت عن نفسك وعدلت فى القول وألزمتنا قانون الحق ، أقررت لى بهذا أن الذى ألزمه أن له خليلا وله حبيبا وله صفيا هو الذى شنع عليه وألزمه أن له صاحبة وأنه اتخذ ولدا ، وكان له أكفاء . وأما نحن — أصلحك الله — فلا نقول ان الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة ولا أنه اتخذ ولدا ، ولا أنه كان له كفوا أحد ، ولا تصف الله عز وجل بمثل هذه الرذائل والخسائس من صفات التشبيه ، وانما هذه شبهات لكم من قبل اليهود ، حيث أرادوا كيدكم بذلك . فلفقوا هذه القصص التى يقصونها على ظهر الطريق وفى الشوارع فيتكلمون بالعظائم وبكل شنيع من الكلام . والا فأنت تعلم اذ كنت ذا علم بالكتب أن ليس فى كتبنا المنزلة لهذا ذكرا فتقبله عقولنا ، أو نتكلم به ، وانما هو كتابك الذى أكثر التشنيع علينا ، وادعى على المسيح سيدنا محيى البشر الدعاوى التى لم يقلها قط ؛ مما أكره تطويل كتابى به ، وتعريف القصة فى تناقضه والأخبار بأسبابه ، وكيف كان ذلك من حلية وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكعب المعروف بالأحبار ، أولاد اليهود وكيدهم ونعتهم ، وكيف احتالوا فى ادخال ذلك وغيره من التشنيعات علينا بل وعليكم ، وان فحصت عن ذلك فى كتابك عرفت حقيقته » .

أقــول : لا يفيد عبد المسيح انكاره هنا قولهم بالصاحبة واتخاذ الولد له سبحانه وتستره عن ذلك بهذه الكلمات المبهرجة الستوقية ، لما عامت من أقواله المتقدمة والمتأخرة وأقوال أمثاله من النصارى الطافحة كتبهم بذكر الآب والابن وروح القدس ، وأن الله واحد ثلاثة وثلاثة واحد، وأن عيسى آله تولد من مريم من جوهر أبيه ، وأنه هو الله سبحانه ،

حتى خاطبها النصارى فى صلواتهم بألفاظ مطبوعة فى كتبهم من جملة صلواتهم التى يسمونها صلاة العذراء منها قولهم : يا خطيبة الله ، يا أم الله ، يا زوجة الله كما ستسمعه ان شاء الله تعالى مفصـــلا فى كتابنـــا هـــذا .

ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب ميزان الحق فى كتابه المذكور المطبوع المنشور ما نصه : « ثم اننا من الآيات التى أوردناها أعـــلاه نتحقق أيضا أن تسمية المسيح باله وبابن الله لا تطلق عليه على سبيل المجاز تعظيما واجلالا له بل على وجه الحقيقة بناء على ألوهيتـــه ، اذ كان متحدا بالله حقا بل هو الله لا محالة » .

وسنتكلم ان شاء الله تعالى على هذه الكلمات المزيفة بعد أن نذكر لك حال هؤلاء الأئمة الثلاثة الأعلام المطلعين على العهد القديم والجـــديد والكتاب المبين المنزل من العلام :

فأما عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه فقد روت أئمتنا الحفاظ النقاد الصادقون المعدلون المطلعون المثبتون لأحوال الصحابة والتابعين وغيرهما من غير محاباة فى شأنهم ولا كتم لصحيح سيرتهم وأمرهم ، أنه ابن الحارث الاسرائيلى،ثم الأنصارى،يكنى أبا يوسف وهو من ولد يوسف بن يعقوب — عليهما السلام— كان حليفا للأنصار ، وكان اسمه فى الجاهلية الحصين ،فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله . وهـــو أحد الأحبار أسلم طوعا حبا فى الاسلام اذ قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة ، روى الامام أبو عبد الله محمد البخارى فى صحيحه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال أقبل رسول الله ﷺ الى المدينة فقيل جاء نبى الله فاستشرفوا ينظرون اذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لأهله يخترف لهم منه ، فجعل أن يضع التى يخرف لهم فيها فجاء وهى معه ، فسمع من نبى الله ﷺ ثم رجع الى أهله فلما خلا نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم جـــاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبى الله حقا وأنك جئت بالحـــق ، ولقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم . فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فانهم أن يعلموا

أنى أسلمت قالوا فى ما ليس فى ، فأرسل نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق ، أسلموا قالوا : ما نعلمه فأعادها عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك ، قال أى رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال : أفرأيتم أن أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم ، فقال يا ابن سلام أخرج عليهم ، فخرج اليهم ، فقال يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالذى لا اله الا هو انكم تعلمون أنه رسول الله حقا ، وأنه جاء بالحق . فقالوا كذبت فأخرجهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

وفى صحيح البخارى أيضا : من حديث حميد عن أنس رضى الله عنه قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى أرض له فأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزل الولد الى أبيه أو الى أمه ؟ قال : أخبرنى بها جبرئيل آنفا قال : جبرئيل ؟ قال : نعم قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، ثم قرأ هذه الآية « **من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله** » ثم قال : أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق الى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزعت ، فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، ان اليهود قوم بهت ، وانهم ان يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى ، فجاءت اليهود اليه ، فقال أى رجل فيكم عبد الله ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال : أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا : أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله . فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله . قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال : هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله . وقال ابن القيم وفى رواية ابن اسحق

قال : كان من حديث عبد الله حين أسلم ، وكان حبرا عالما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرفت صفته واسمه وهيئته . والذى كنا نتوكف له ، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ، فلما قدم نزل معنا فى بنى عمرو بن عوف ، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخل لى أعمل فيها . وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعت الخبـر بقدوم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كبرت ، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زاد يعنى ان فعلت هذا . قال قلت لها : أى عمه هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، فقالت : يا ابن أخى أهو النبى الذى كنا نبشر به أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : قلت لها نعم . قالت فـذاك اذن .

قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلمت ، ثم رجعت الى أهل بيتى ، فأمرتهم فأسلموا وكتمت اسلامى من اليهود .

ثم ذكر قول اليهود السابق فى الرواية الأولى ثم قال : فأظهـرت اسلامى واسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمتى ابنـة الحارث فحسـن اسلامها . وفى مسند الامام أحمد وغيره قال عبد الله بن سلام خرجت فى جماعة من أهل المدينة لننظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حين دخوله المدينة ، فنظرت اليه وتأملت وجهه ، فعلمت أنه ليس بوجه كذاب . فكان أول شىء سمعته منه : « أيها الناس أفشـوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » وشهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنـة .

وروى أبو ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لعبد الله بن سلام انه عاشر عشرة فى الجنة قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : هو حديث

حسن الاسناد صحيح ، وشهد مع عمر رضى الله عنه فتح بيت المقدس . والجابية وذكره أبو عوانة فى البدريين وشهد الخندق فما بعدها . وتوفى بالمدينة سنة ثلاث وأربعين رضى الله تعالى عنه .

وأما كعب الأحبار والأفصح الحبر ، فهو التابعى الجليل ابن مانع الحميرى ، كان أعلم علماء أهل الكتاب ، أسلم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه متفق على حفظه وموثوقيته ، وصحة روايته .

وروى **العلامة ابن القيم فى هداية الحيارى** عن سعيد بن عبد الرحمن المعافرى عن أبيه أن كعبا رأى حبر اليهود يبكى . فقال : ما يبكيك ؟ فقال ذكر بعض الأمر فقال كعب : أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقنى ؟ قال : نعم ، قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : ربى انى أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول ، والكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، فاجعلهم أمتى : قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم . قال كعب : فأنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب انى أجد أمة هم الحمادون ، رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعله ان شاء الله تعالى ، فاجعلهم أمتى : قال : هم أمة محمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم ، قال كعب أفنشدك الله أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله ، واذا هبط حمد الله . الصعيد طهورهم ، والأرض لهم مسجد ، حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة ، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غرا محجلين من آثار الوضوء ، فاجعلهم أمتى . قال هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم . قال كعب : فأنشدك الله أتجد فى كتاب الله أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب انى أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب ، واصطفيتهم لنفسك فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق

بالخيرات ، فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى • قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر نعم : قال كعب : أنشدك الله أتجد فى كتاب الله أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم ، يصفون فى صلواتهم كصفوف الملائكـة ، أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل ، لا يدخل النار منهم أحد الا من برئ من الحسنات ، مثل ما برئ الحجر من ورق الشجر • قال موسى : فاجعلهم أمتى • قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم • فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمدا وأمته ، قال يا ليتنى من أصحاب محمد • فأوحى الله تعالى اليه ثلاث آيات يرضيه بهن : ((**يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى**)) **الآية ((وكتبنـا له فى الألواح)) الآية ((ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون))** قال فرضى كل الرضا •

قال الحافظ ابن القيم : وهذه الفصول بعضها فى هذه التوراة التى بأيديهم ، وبعضها فى نبوة أشعياء وبعضها فى نبوة غيره • والتـوراة أعم من التوراة المعينة ، ولا يقدح فى هذا النقل جهل أكثر أهل الكتاب به ، فلا زال فى العلم الموروث عن الأنبياء شئ مما لا يعرفه الا الآحاد من الناس ، أو الواحد • وهذه الأمة على قرب عهدها بنبيها فى العلم الموروث عنه ما لا يعرفه الا الأفراد القليلون جدا من أمته ، وسائر الناس منكر له وجاهل به •

وسمع كعب رجلا يقول : رأيت فى المنام كان الناس جمعوا للحساب ندعى الأنبياء ، فجاء مع كل نبى أمته ، ورأيت لكل نبى نورين ، ولكل من اتبعه نورا يمشى بين يديه ، فدعى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا لكل شعرة فى رأسه ووجهه نور ، ولكل من اتبعه نوران ، يمشى بهما • قال كعب من حدثك بهذا ؟ قال : رؤيا رأيتها فى منامى • قال : أنت رأيت هذا فى منامك ؟ قال : نعم • قال : والذى نفس كعب بيـده انما لصفة محمد وأمته وصفة الأنبياء وأممهم ، لكأنمـا قرأتهـا من كتاب الله تعالى • وقال أيضا : قال محمد بن سعد فى الطبقات :

حدثنا معن بن عيسى قال : حدثنا معاوية بن صالح عن أبى فروة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة ؟ قال : نجـده « محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة ويكون ملكه بالشـام ، ليس بفحاش ولا سخاب فى الأسواق ولا يكافىء بالسيئة السيئة ، ولكـن يعفو ويصفح » وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : حدثنا الحسن بن الربيع ، قال حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن أبى صالح قال : قال كعب : « نجد مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، وأمتـه الحمادون ، يكبرون الله على كل نجد ، ويحمدونه فى كل منزلة ، يأتزرون على أنصافهم ، ويوتضؤن على أطرافهم ، مناديهم ينـادى فى جـو السماء : صفهم فى القتال ، وصفهم فى الصلاة سواء ، لهم دوى كدوى النحل ، مولده بمكة ومهاجره بطابة ، ملكه بالشام » وتوفى كعب فى زمن خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وأما وهب بن منبه فهو أبو عبد الله اليمانى ذكر الحفاظ والمؤرخون وأصحاب السير أنه من أخيار علماء التابعـين وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمر ، وروى عنه عمرو بن دينار وغيره ، وكان ثقة صادقا كثير النقل من كتب الاسرائيليات ، وكان على قضاء صنعاء ، قال : مثى بن الصباح لوث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوء ، أى يصلى الصبح بوضوء العشاء . وقال أبو سنان : سمعت وهب بن منبه يقول : كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء ، فى كلها : « من جعل لنفسه شيئا من المشيئة فقـد كفر » فتركت قولى . قال أبو عاصم النبيل : حدثنا أبو سلام عن وهب قال : «العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقـل دليـله ، والصبر أمير جنـوده ، والرفق أبوه ، واللين أخوه » وتوفى سنة أربع عشرة ومائة رحمة الله تعالى عليه .

ولنرجع الى الكلام على خزعبلاته

فنقول : قوله : « ان الذى ألزمه أن له خليلا وله حبيبا وله صفيا

---

(١) المحبة والرضا والسخط والغضب والاستحياء والأسف والمكـــر والنسيان وشبه ذلك من لصفات التى نسبها الله تعالى الى نفسه . هى تليق بالمخلوقين ولا تليق به جل شأنه . ومنها قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » فقد جعل ابراهيم بالنسبة اليه — سبحانه — كالصديق بالنسبة لصديقه . والخلة اما بمعنى الفقر والحاجة ، واما بمعنى الخصلة والخلق . وقد طعن النصرانى « عبد المسيح » بالخلة فى القرآن . بقوله : ان الذى له خليل وله حبيب وله صفى ، يكون له زوجة وولد ، ويكون له أكفاء . فقوله بعد ذلك فى القرآن : انه « لم يلد ولم يولد » يكون متناقضا مع قوله : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » .

وقد اجاب مؤلف الجواب الفسيح عن هذه الشبهة بقوله :

أولا : ان علماء السلف يقولون فى مكر الله وغضبـــه وخلتـــه لابراهيم ونسيانه . وما أشبه ذلك بأنه من المتشـــابه الذى يجب الايمان به من غير بحث عن الكيفية ، مع تنزيه البارى — سبحانه — عن مشابهة المخلوقين .

ثانيا : ان علماء الخلف وهم الأشاعرة ، يقولون فى تلك الصفات : انها لا تراد على ظاهرها . بل تؤول على معنى يليق بجلال الله فخلة ابراهيم لا تراد على الظاهر بمعنى الصداقة ، بل تؤول بمعنى أن الله اصطفـــاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الصديق عند صديقه . أ.هـ

أما الاجابة الصحيحة فهى اجابة المعتزلة . وهى :

ان الله تعالى أكبر من الناس ، وليست طرق تفكيره كتفكيرهم . وهو اذ يريد مخاطبة الناس ، يصطفى نبيا من جنسهم ليستأنسوا به ، وهـــو يخاطب النبى عن نفسه ، كأن انسان يكلم انسانا حتى يقـــدر النبى على فهم مراده ، والنبى يبلغ مراد الله الى الناس بلغتهم وعلى قدر عقولهم . لكن الله عز وجل ليس انسانا . وليس كمثله شىء . ومن ذلك قوله تعالى: « قد يعلم ما أنتم عليه » فقد تحدث الى الناس كأنه انسان يعلم ولا يعلم. وذلك على طريقة مشاكلة فكره لفكرهم حتى يفهموا . أما هو فهـــو عالم الغيب والشهادة ، ومن ذلك قوله : (فلما آسفونا انتقمنا منهم » والأسف لا يليق الا بانسان ، ولكن الله عبر به فى حق نفسه ، ليفهم البشر مراده ، عن طريق لغـــة شبيهة بلغتهم . وهكذا .

أى ان القرآن تكلم عن الله بلسان بنى آدم . ويقول المعتزلة قال كثيرون من الأشاعرة .

والاجابة المعتزلة هذه . قد قررها اليهود فى كتبهم عن الله وصـــفاته

هو الذى شنع عليه وألزمه أن له صاحبة وأنه اتخذ ولدا . وكان لــه أكفاء » يريد عبد المسيح من هذا : أن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حكى عن النصارى هذا القول مع أنهم ليسوا قائلين له ، لكنه هو عليه الصلاة والسلام نسب لله سبحانه خليلا ، وهو ابراهيم ، وصفيا وهو آدم ، وحبيبا وهو هو عليهم الصلاة والسلام . وذلك غير جائــز ، يريد : أن الخــليل مشــتق من الخلة . وأنها مــودة تخــلل النفس وتخالطها مخالطة معنوية . قال الشاعر :

وقد تخللت مسلك الروح منى   ولــذا ســمى الخليل خليــلا

فاذا ما نطقت كنت حــديثى   واذا ما سكنت كنت الغليــلا

وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك .

ومثل هذا قول غيره من النصارى : انه اذا جاز عند المسلمين اطلاق الخليل على انسان تشريفا ، فلم لم يجز اطلاق الابن على آخر لذلك ؟

والجواب عن ذلك وذا : أن الخلة لا تقتضى الجنسية بخلاف البنوة فانها تقتضيها قطعا . والله سبحانه هو المنزه عن مجانسة المحدثات ، والخليل مشتق من الخلة بضم الخاء وهى اما من الخلال بكسر الخاء ، فانها مودة تتخلل النفس وتخالطها مخالطة معنوية ، فالخليل من بلغت مودته هذه المرتبة ، كما قال الشاعر السابق ، واما من الخلة بالفتح بمعنى الخصلة والخلق ، لأنهما يتوافقان فى الخصال والأخلاق ، أو بمعنى الفقر والحاجة ، واطلاقه على ابراهيم عليه السلام قيل : لأن محبته لله تعالى قد تخللت نفسه وخالطتها مخالطة تامة ، أو لتخلقه بأخلاقه تعالى . ومن هنا كان يكرم الضيف ويحسن اليه ، ولو كان كافرا فان من صفات الله تعالى الاحسان الى البر والفاجر ، وقيل : سمى خليلا لاظهاره الفقر والحاجة الى الله تعالى وانقطاعه اليه وعدم الالتفات الى من سواه ، كما يدل على ذلك قوله لجبريل عليه السلام حين قال له يوم ألقى فى النار : ألك حاجة ؟ قال : اما اليك فــلا . ثم

قال : حسبى الله ونعم الوكيل • وقيل غير ذلك • وأما ما كان فلا يريد المسلمون به الا المعنى اللائق به سبحانه وتعالى كما فى المحبة وهى البلوغ بالود الى حبة القلب ، من قولهم حببته اذا أصبت حبة قلبه ، واذا استعملت فى الله تعالى فالمراد بها مجرد الاحسان • وكذا الخلة ، فما جاز فى أحد اللفظين جاز فى الآخر ، فاما أن يراد بالحب حبة القلب وبالخلة التخلل ، فحاشا لله تعالى أن يراد فيه ذلك •

وذهب جمع من العلماء : الى أن قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » من باب الاستعارة التمثيلية ، لتنزهه تعالى عن صاحب وخليل• والمراد : اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله • وأما فى الخليل وحده فاستعارة تصريحية الا أنه صار بعد ذلك علما على ابراهيم عليه السلام • وعدم اطلاق الخليل على غيره من الأنبياء عليهم السلام • وان كان كل منهم خليلا بالمعنى المشهور عند العارفين اما لأن ثبوت ذلك المقام له عليه السلام على وجه لم يثبت لغيره ، واما لزيادة التشريف والتعظيم ولا يخفى عليك أن مذهب أكثر علماء المسلمين فى المتشابه : الايمان به من غير بحث عن الكيفية ، مع تنزيه البارى سبحانه عن مشابهة المخلوقين ، كالرحمن مثلا ، فانه مشتق من الرحمة هى دقة القلب ، وذلك فى حقه سبحانه محال • فالخلف وهم جملة من علماء الاسلام على أن المراد بها لازمها وغايتها وهى الاحسان والانعام ، والسلف وهم جمهور العلماء يؤمنون به ولا يكيفون ولا يمثلون ولا يشبهون ولا يعطلون • وكل ما ورد من أمثال ذلك يسلكون فيه أحسن المسالك كالخلة والمحبة والرحمة وغير ذلك ، مما ليس يذكر فى هذا المحل ، خشية من طول الكلام والخروج عن المرام • لأن اكمال البحث فيه يحتاج الى أسفار ضخام • على أنه قد ورد عندهم اطلاق الحبيب • ففى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ما لفظه : « وقال لبنيامين حبيب الرب يسكن بطمأنينة وينزل كأنه بالسرير » •

والعجب من النصارى أنهم يوردون مثل هذا على المسلمين وينسون

ما ورد عندهم فى التوراة والانجيل من ألفاظ تـدل — والعيـاذ بالله تعالى — على التجسيم وغيره . كما فى توراتهم : أن الله سبحانه نزل الى الأرض وغسل رجليه ابراهيم وأطعمه وتراءى لابراهيم حـالة كونه ثالث ثلاثة أشخاص ، كما استدل به عبد المسيح فى كتابه هذا على التثليث ، وانه ندم على خلق آدم ، وأنه اتحد بالمسيح وأن النصارى كل يوم يأكلونه حقيقة ، وأن الله خلق الانسـان على صـورته وعلى شبهه ، وأن له ذراعا ويمينا ، وأن عيسى جالس عن يمينه على العرش . وغير ذلك مما يضيق بنا لوقت عن تعداده وذكره . فاذا هم أولـوا المتشابه ولابـد ، فالمسلمون أولى بتأويل ما ورد عندهم من ذلك لأنهم بخلاف غيرهم ليسوا مجسمين ولا مشبهين ولا معطلين ، بل يؤمنـون بالكتاب من غير تشبيه رب الأرباب بمن خلق من منى وتراب .

وأمـا انكاره كون النصارى جعلوا لله سبحانه كفـوا . فمكابـرة وانكار للبديهى ، لأن النصارى — والمؤلف منهم — لما جعلوا الله سبحانه ثلاثة أقانيم ، وجعلوا أحد الأقانيم دخل فى بطن مريم وتولد منها ، ثم بعد ثلاثين سنة من عمره تعمد على يد يحيى عليه السلام وجاءه روح القدس مثل الحمامة ، ثم صلبته اليهود بعد الأذية والسخرية بين سارقين ، فمات وقبر ثم قام وصعد وجلس عن يمين أبيه ، وهـو الذى خلق أباه آدم وذريته ، ويرزقهم ويميتهم ويحييهم ويحاسبهم ويدخل الجنة من يريد منهم ، والنار من لم يؤمن بأنه الله ، وأنه مـع هذا كله كان يقول عند ارادتهم صـلبه : « ايلى ايلى لم شبقتنى أى الهى الهى لم تركتنى ؟ » فظهر من أقوالهم هذه :

ظهور نار القرى ليلا على علم

أنهم جعلوه لله كفوا بل أعظم من الكفو ، لأن عيسى عليه السلام مع اعترافهم أنه فى الاناجيل بن داود وابن الانسان ويستغيث بالله تعالى، يفعل أفعال الاله ، لأن رزق الخلق واحيائهم واماتتهم وحسابهم عليه، وتخليصهم من النار بدخوله فيها ، عائد اليه ، فكيف يقول هذا الملفق

انهم لم يجعلوه لله كفوا ؟ ويقولون : ويجلس عن يمين أبيه ، ويقول : لم نجعل له ولـــدا .

وكثيرون من النصارى يقولون المراد من الآب والابن وروح القدس: الله وعيسى ومريم . وأكثر فرقهم يقولون فى صلواتهم لمريم العــذراء من جملة كلام طويل نقلته لك فى كتابى هذا : « يا خطيبة الله يا ملكــة السماء التى جميع الملائكة يسجدون لها وكل شىء يسبحها ، يا أم الله ، يا ابنة الله يا سيدتنا ارحمينا . لك نسجد ، لك نرتل ، تسابيــح من صميم قلوبنا » الى آخر ما قالوه . فهل هذا يقال لغير الله ؟ وهل يجوز عندهم أن يسجد الانسان لغير الله ، وللصور المنقوشة ، مع ما ورد فى توراتهم : « لا تسجد لغير الهك » وهؤلاء قد جعلوا كل الملائكة تسجد لمريم ، وكل شىء يسبحها . فهل أزيد من هذا ما يكون كفؤا للبــارى سبحانه ؟ فليت شعرى ما يفيد «عبد المسيح» انكاره؟ لأن يجعل لله كفؤا بعد اقراره بالتثليث البديهى البطلان ، وما يجديه ذلك نفعا بعد اقرار اخوانه فى تأليفاتهم المطبوعة المنشورة : أن مريم خطيبته(١) ، أى زوجة الله ، وندائها بأم الله وابنة الله ؟ كما فى كتابهم لشــهير المسمى بأمجاد مريــم .

وانظر الى هذه الحماقة فبعد أن جعلوها بنت الله ، جعلوها خطيبته، وانظر الى هذه المتناقضات وأنصف . فقد حصحص الحق والحمد لله سبحانه . واذا علمت هذا تبين لك أيضا عدم صدق قوله : « ولا نصف الله عز وجل بمثل هذه الرذائل والخسائس من صفات التشبيه » ويقال له أيضا : فأى صفة خسيسة لم تصف بها خالقك سبحانه ؟ فانك قد جعلته ثلاثة أجزاء ، وجزء منه دخل فى مريم وتولد منها وأهين وصلب

---

(١) النصارى كلهم يقولون : ان عيسى اله ، على الحقيقة ، ويقولون : ان مريم الهة عى المجاز . فقوله تعالى : « أانت قلت للنــاس : اتخذونى وأمى الهين من دون الناس » ؟ يعنى بالهين المعنى الحقيقى على عيسى ، والمعنى المجازى على مريم كما فى التوراة عن موسى وهرون : « انا جعلتك الها لفرعون » أى سيدا .

ومات ، ثم قام من قبره ، وهو الآن يدبر أمر الخلائق ، وجعلت خطيئته مريم ، وجعلتها أم الله وبنت الله . وأن عيسى بعد أن جعلته الها متولدا جعلته وسميته خروف الله ، ليكون فداء الخلائق ومخلصهم ، ويدخل جهنم ويجد ألما وأنه تحمل اللعنة . فأى صفة رذيلة ام تسندها لخالقك بزعمك ؟ وأى وبال أعظم من تسلط مخلوقاته عليه . وهم اليهود ، خلقهم ثم صلبوه ، ولم يخلصه من أيديهم أبوه . ثم يدخل النار ويخلص مخلوقاته من الخطيئة والوبال .

فهذا يا عبد المسيح هو التناقض القبيح ، والقول الفضيح ، والتهافت الظاهر ، والسفسطة التى لا تخفى على الأصاغر والأكابر . وأما كتابنا فهو ناطق بالحق ولا يتجاوزه الصدق ، ولم يشنع عليكم الا ما قلتم ، ولم يحك عنكم الا ما اعتقدتم ، فأقوال فرقكم العديدة مطابقة لما نقل ، وصريح مذاهبكم ولازمها عندكم عليه العمل ، فرميك لعبد الله وكعب ووهب بالكيد والحيل ، صرف بهتان ، بل خبل ؛ لأن التوراة والأناجيل والكتب السماوية بأيدى المسلمين ، والتناقض الذى فيها من التحريف والتبديل لا يخفى على الموحدين جيلا بعد جيل . والبشارات بمجيء نبينا عليه الصلاة والسلام فها ظاهرة ، ومعجزاته التى رآها كل أحد باهرة ، ودلائل نبوته متظافرة ، وهؤلاء انما آمنوا بعد ما فشى الاسلام وانتشر فى الآفاق وراج ، ودخلت الأمم من اليهود والنصارى والمجوس فى دين الله أفواجا أفواجا . فما هؤلاء الثلاثة بالنسبة الى من دخل فى الاسلام الا كقطرة بالنسبة الى البحر الطمطام .

على أن كعبا أسلم — كما تقدم — فى خلافة الصديق — رضى الله عنه — ووهب من أجله التابعين . فأى شيء شنع هؤلاء على المسلمين ، فرميك لهم بالتشنيع علينا وعليكم كذب صراح ، وطير طائره عليكم مقصوص الجناح . فهم لم يغشوا الموحدين ، لكنهم رموا بنا ، لاصابة نحور أعداء الدين . فكلامك المتناقض المموه ، بينا — والحمد لله — زيفه ، وأخرجنا مثل الشمس لكل عارف منصف أراجيفه . وسنورد ان شاء الله تعالى هذه الأبحاث بعبارات مفصلة ، ونذكرها . بمحالها

من هذا الكتاب مكملة ، ونخجل ببيانها أهل التوراة والأناجيل • والله يقول الحق وهو يهدى السبيل • وأمـا قوله : « وكان ذلك من حينة وهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام وكعب الأحبار » الى اخره •
فهو مثل قول اخوانه الذين حكى قولهم العلامة ابن القيم فى كتابـه هداية الحيارى بما نصه : « قال السائل : ان قلتم : ان عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونحوهما شهدوا انا بذلك من كتبهم ، فهل أتى ابن سلام وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التى لهم كى تكون شاهدة لهم علينا » • **والجواب من وجوه :**

أحـدها : أن شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبى عليه الصلاة والسلام وصفته ، بل آياتها وشواهدها متنوعة متعددة جداً ، ونعته وصفته صلى الله تعالى عليه وسـلم فى الكتب المتقدمة فرد من أفرادها ، وجمهور أهل الأرض لم يكن اسلامهم عن الشواهد والأخبار التى فى كتبكم ، وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوها بل أسلموا للشواهد التى عاينوها ، والآيات التى شاهدوها ، وجـاءت تلك الشواهد التى عند أهل الكتاب مقوية وعاضدة ، من باب تقـوية البينة ، وقد تم النصاب بدونها • فهؤلاء العرب من أولهم الى آخرهم لم تتوقف على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد ، وان كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها كما كان الأنصـار يسمعون من اليهود صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعثـه ومخرجه ، فلما عاينوه وأبصروه ، عرفوه بالنعت الذى أخبرهم بـه اليهود ، فسبقوهم اليه ، فشرق أعداء الله تعالى بريقهم وغصوا بما يهمهم ، وقالوا ليس هو الذى كنا نعدكم به ، والعلم بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام والمسيح موسى — عليهما السلام — لا يتوقف على العلم بأن من قبلهم أخبر بهم وبشر بنبوتهم ، بل طرق العلم بها متعددة •

فاذا عرفت نبوة النبى بطريق من الطرق تثبت نبوته ووجب اتباعه ، وان لم يعلم أن من قبله بشر به • واذا علمت نبوته بمـا قـام عليها من البراهين فاما أن يكون تبشير من قبله به لازما لنبوته ، وامـا أن

يوقف تصديق النبى عليه ، أو يجب تصديقه بدونه ، فان كان لازما . علم قطعا أنه قد وقع • وعدم نقله الينا لا يدل على عدم وقوعه ، اذ لا يلزم من وجود الشىء نقله العام ولا الخـاص له • اذ ليس كـل ما أخبر به تعالى والمسيح وموسى وغيرهما من الأنبياء المتقدمين وصل الينا • وهذا مما يعلم بالاضطرار • فلو قدر أن البشارة بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ليست فى الكتب الموجودة بأيديكم ، لم يلزم أن لا يكون غيره بشر به ، اذ يمكن أن تكون فى كتب غير هذه المشهورة المتداولة بينكم ، فلم تزل عند كل أمة كتب لا يطلع عليهـا الا بعض خاصتهم ، فضلا عن جميع عامتهم ، ويمكن أنه كان فى بعضها فأزيل منه وبدل ، ونسخت النسخ من هذه التى قد غيرت واشتهرت بحيث لا تعرف غيرها ، وأخفى أمر تلك النسخ • الأولى • وهذا كله ممكن ، لاسيما من الأمة التى تواطئت على تبديل دين نبيها وشريعته ، هـذا كله على تقدير عدم وجدان البشارة به فى شىء من كتبهم أصلا • ونحن قد ذكرنا فى كتابنا هذا من البشارات به عليه الصلاة والسلام فى كتبهم مما لا يمكن من يعرفه منهم جحده والمكابرة فيه ، وان أمكنهم المغالطة بالتأويل عند رعائهم وجهالهم •

الوجه الثانى : ان عبد الله بن سلام قد قابل اليهود ووافقهم بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن ذكره ونعته وصفته فى كتبهم ، وأنهم يعلمون أنه رسول الله ، وقد شهدوا بأنه أعلمهم وابن أعلمهم ، وخيرهم وابن خيرهم ، فلم يضر قولهم له بعد ذلك : انـه شرهم وابن شرهم وجاهلهم وابن جاهلهم ، كما اذ شهد على رجـل شاهد عند الحاكم فسأله عنه فعد له ، وقال : انه مقبول الشهادة عدل رضى لا يشهد الا الحق ، وشهادته جائزة على ، فلما أدى الشهـادة قال : انه كاذب شاهد زور • ومعلوم أن هذا لا يقدح فى شهادته •

وأمـا كعب الأحبار فقد ملأ الدنيا من الأخبار بما فى النبـوات المتقدمة من البشارة به ، وصرح بها بين أظهر المسلمـين واليهـود والنصارى ، وأذن بها على رءوس المـلأ ، وصدقه بها مسلمو أهـل

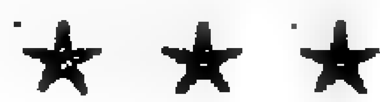
الكتاب عليها ، وأخبروا على ما أخبر به ، فانه كان أوســعهم علما • بما فى كتب الأنبياء وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يمتحنون ما ينقله ويدونه بما يعرفون صحته ، فيعلمون صدقه • وشهدوا لــه بأنه أصدق من يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم ، فهم ونحن اليوم ننوب عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهمــا ، وقــد أوجدناكم هذه البشارات فى كتبكم ، فهى شاهدة لنا عليكم ، والكتب بأيديكم فأتوا بها فاتلوها ان كنتم صادقين • وسنذكر ما فيها فى محله ان شاء الله تعالى • وعندنا ممن وفقه الله تعالى للاســلام منكم من يوافقكم ويقابلكم ويحاققكم عليها ، ولدينا كتبهم المطبوعة التى كتبوها فى الرد عليكم بعد أن أسلموا وبينوا فيها ما يبشر بنبوة نبينا محمــد صلى الله تعالى عليه وسلم فى العهد القديم والجديد ، وان لم تؤمنوا وتصدقوا فاشهدوا على أنفسكم بما شهد الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون من الكفر والتكذيب والجحد للحق الظاهر ، ومعاداة الله ورســوله •

الوجــه الثالث : أنه لو أتاكم عبد الله بن سلام بكل نسخة متضمنة لغاية البيان والصراحة لكان فى بهتكم وعنادكم وكذبكم ما يدفــع فى وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ما وجد اليه سبيلا ، فاذا جــاءكم ما لا قبل لكم به • قلتم ليس به • ولم يأت بعد ، وقلتم : نحن لا نفارق حكم التوراة والانجيل ولا نتبع نبى الأميين • وقد صرح أسلافكم الذين شاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاينوه أنه رسول الله حقا ، وأنه المبشر به الموعود به على ألسنة الأنبياء المتقدمين • وثم من قال له فى وجهه : نشهد أنك نبى • فقال : ما يمنعكما من أتباعى ؟ قالا : انا نخاف أن تقتلنا اليهود • وقد قال تعالى : « ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يــروا العــذاب الأليم » وقد جاءتكم آيات هى أعظم من بشارات الأنبياء وأظهــر بحيث أن كل اية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر ، فما زادكم ذلك الا نفورا وتكذيبا واباء لقبول الحق ، فلو أنزل الله سبحانه اليــكم ملائكته لغلبت عليكم الشقوة ، وصرتم الى ما سبق لكم فى أم الكتاب •

وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد الحسد من آيات الأنبياء ما رأوا ، وما زادهم ذلك الا تكذيبا وعنادا ، فأسلافكم وقدوتكم فى تكذيب الأنبياء من الأمم لا يحصيهم الا الله تعالى ، حتى كأنكم تواصيتم بذلك . أوصى به الأول للاخر ، واقتدى الآخر بالأول ، الا من وفقه الله تعالى لاتباع الحق فأسلم ، فهذا فرعون والنمرود وأمثالهما وبنو اسرائيل كل منهم رأى معجزات كثير من الأنبياء عليهم السلام فلم يؤمنوا بهم ومن أعظمهم عيسى عليه السلام مع أنه مكتوب عندهم ومبشر به فى نبواتهم ، وأنه الههم على زعم النصارى فقتلوه وأهانوه وصلبوه ، فاذا أنكرتم يا بنى اسرايل نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بعد البشارات التى علمتموها فى كتبكم ودرستموها فى صحفكم ورؤيه معجزاته الباهرة ، ودلائل صدقه الظاهرة ، فذلك منكم غير بعيد . وسنورد لكم ان شاء الله تعالى ما يذعن لله من أنصف ولم يكن جبارا عنيدا .



قال النصرانى : « فاما نحن فلم نقل قط ولا نقول أبدا : ان الله تبارك وتعالى اتخذ صاحبة ، وولد ولدا ، وليس قلنا : ان لله ابنا — وهو الكلمة الخالقة — قول من قال انه اتخذ ولدا . وأنت — حرسك الله — تعلم ما فى هذا الكلام من الشناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمته وروحه ، ونحن نقول : ان الله الأزلى بكلمته لم يزل عليما رؤفا ، وانما وصفناه تبارك وتعالى بالرحمة والرأفة والملك والعز والسلطان والجبروت والتدبير ، وما أشبه هذه الصفات لما يظهر لنا من أفعاله . وقد أخبرت عنها عقول الناس واشتقوها له اشتقاقا لأجل فعله اياها فاستوجبها جل وعز بالكمال والحقيقة ، كما استوجب جميع ما سمى به من أجل فعله له . فأما صفات ذاته تبارك وتعالى فجوهر ذو كلمة وروح أزلى لم يزل متعاليا مرتفعا عن جميع النعوت والأوصاف



ولننظر الآن فى هذه الصفات من حى وعالم ، أهى أسماء مفردة مرسلة ، أم أسماء مضافة تدل على اضافة شىء الى شىء ؟ ويجب

علينا ، أن نعلم ما الأسماء المضافة ؟ وما الأسماء المفردة المرسلة ؟ فأما لأسماء المرسلة فهي كقول القائل : أرض أو سماء أو نار أو ماء أو كل ما كان بما قيل شبيها مما لا يضاف الى غيره .

وأما الأسماء المضافة الى غيرها كالعالم والعلم والحكمة والحكيم وما أشبه ذلك . فالعالم عالم بعلمه ، والعلم علم عالم ، والحكمة حكمة حكيم . وهذا القول نظير لما وصفنا . ونقتصر عليه لئلا يخرج بنا اتساع الكلام الى الكثرة . فاذ بينا ما الأسماء المفردة وما الأسماء المضافة المنسوبة الى غيرها ، وجب أن نسألك عن الموصوف بهذه الصفة اللازمة أهي لجوهره فى أزليته أم اكتسبها له اكتسابا ، واستوجب الوصف بها من بعد ، كما استوجب أن يوصف له خليقة حيث خلق ؟ وسائر ذلك مع ما لم أذكر من أسماء يسمى بها صفات تجلى بها نفعله اياها . فاذا قيل : كما يوصف تعالى أنه كان ولا خلق حتى أتى على ذلك بالفعل ، كذلك يجوز أن يقال : انه كان ولا حياة له ولا علم ولا حكمة ، صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة . وهذا محال من الكلام أن يكون الله جل وعز طرفة عين خلوا من حياة وعلم .

وان قلت : ان الامر غير ما ظننت ووصفت ، لما يلزمك من الشنعة ، لأنه قد يوصف أن لله خليقة قبل أن يقارن شيئا منها بالفعال . قلنا : انما هما وجهان اما أن يكون الله وحده أزليا وما سواه محدثا ، أو أن تزعم أن البرية والخلائق أزلية أيضا غير محدثة ، فلا أحسبك الا ناقضا على من يصف الخلق بشيء من ذلك . فاذن لا محالة يقال : ان الله وله الحمد قد كان من غير أن يكون شيء من الخلائق موجودا فكيف جاز أن يوصف أن لله خليقة ، اذ لم يخلق بعد حتى أتى الوقت الذى فيه شاء أن يخلق ما خلق ، فخلق الا أنا نقول : من أجل أنه قادر على أن يخلق اذا أراد ، يجب أن يوصف له خلق بأنه لم يزل ، فليوصف اذن بأنه لم يزل ، قد أقام القيامة وأحيا الموتى وبعث من فى القبور . وقد أدخل الجنة جميع الأبرار ، وملأ جهنم بمن كان مستوجبا لذلك . مع أنى لا أظن أن أحدا من العقلاء يقول بهذه الصفة ، فينبغى أن ترجع أصلحك الله الى ما يوجبه العقل فى المناظرة ، وتعلم أن الصفات فى الله

تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان صفة طبيعيـــة ذاتيـــة لم يزل متصفا بها ، وصفة اكتسبها له اكتسابا وهى صفة فعله • فأما الصفات التى اكتسبها اكتسابا من أجل فعله فمثل رحيم وغفور ورءوف ، وأما الصفات المنزلة التى هى الطبيعية الذاتية التى لم يزل — جل وعز — متصفا بها فهى الحياة والعلم ، فان الله لم يزل حيا عالما • فالحياة والعلم اذن أزليان لا محالة •

فقد صحت نتيجة هذه المقدمات : ان الله واحد ذو كلمة وروح فى ثلاثة أقانيم قائمة بذاتها يعمها جوهر اللاهوت الواحد، فهذه صفة الواحد الثلاث الأقانيم الذى نعبده • وهذه الصفة التى ارتضاها لنفسه ، ودلنا على سرها فى كتب ديوانه المنزل على ألسن أنبيائه ورسله » أ • هـ



أقــول وبالله سبحانه التوفيق والهداية الى أقوم طريق : هذا الكلام وان كان بينه وبين سابقه ولا حقه تناقض وتهافت — وقفت على بيانهما فى كتابنا هذا ، وستأتيك زيادة بيان على ذلك ان شاء الله تعـــالى — وخلاصة مقصده هنا ان النصارى لم يجعلوا المسيح عليه السلام ابنا حقيقيا للبارى سبحانه ومتولدا منه ، بل مقصدهم من الآب الذات ، ومن الابن العلم الذى هو قائم بها ، ومن الروح القدس الحيـــاة اه• والكل أزلى قديم ، اذ هى صفات البارى تعالى ، فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، أى وكل ذلك حقيقى ، فالمسيح اله حقيقى وهذا وان أراد به ترقيع خرقهم الواسع والتستر بثوب لا يصلحه راقع ، فقد استجن به أيضا غيره ، ولم يتم فيه أمره •

ولنذكر ما نقله « القرافى » عن ذلك الغير ونرد ان شـــاء الله تعــالى الكلامين ، بما فيه الصلاح والخير •

قال : « لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن وروح القدس لما أنكروا علينا • فان مرادنا بالآب الذات ، والابن النطق الذى هو قائم بالذات ، وروح القدس الحياة ، والثلاثة اله واحد • وهذه الثلاثـــة يعتقدها المسلمون • ونحن لم نطلق ذلك من قبل أنفسنا ، بل فى الانجيل قال عيسى عليه السلام : « اذهبوا الى سائر الأمم وعمدوهم باســـم الآب والابن وروح القدس » وفى أول القرآن : بسم الله الرحمن الرحيم

فاقتصر على هذه الثلاث الآب والابن وروح القدس • ونريد بقولنا :
المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور : أنه لم يـزل
نطقا ، وأنه لم يزل الله تعالى ناطقا ، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير
مفارقة الآب الوالد كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص
الوالد له ، وكذلك يرسل الانسان كلامه الى غيره من غير مفارقة العقل
الوالد له ، فتجسم النطق انسانا من الروح القدس ، ومن مريم رضى
الله تعالى عنها ، وولد منها بالطبيعة البشرية لا بالالهية ، فاذا قلنـا :
المسيح ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية ، وأن له ولداً من صاحبته •
وقد أثبت القرآن : الولد بمعنى النطق ، بقوله تعالى : «ووالد وما ولد»
وتجسم كلمة الله تعالى انسانا : أن الله تعالى لا يخاطب الا بحجاب ،
لأن اللطائف لا تظهر الا فى الكثائف ، فظهر فى الانسان لأنـه أشرف
خلقه كما خاطب موسى عليه السلام من العوسجة ، ففعـل المعجـز
بلاهوته وأظهر المعجز بناسوته • والفعلان للمسيح ، كما يقال : زيـد
ميت بجسده باق بنفسه ، ولذلك صلب الناسوت دون اللاهوت ، كما
أن الحديدة المحماة يطرق حديدها وتقطع دون ناريتها • ولذلك سمى
القرآن عيسى : روح الله وكلمته ، واسمه عيسى ، فيكون الخالق واحدا
وهو الآب ونطقه وحياته • ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين • كما
تقول : الخياط خيط الثوب ، ويد الخياط خيطت الثوب •

ولا يلزم أن يقال خيط لثوب خياطان بل خياط واحد ، كذلك قولنا :
الله تعالى وروحه وكلمته اله واحد • ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة ، كما
لا يلزم اذا قلنا : عقل الانسان ونطقته وحياته ثلاثة أناسى » ا • هـ

وهذا الكعك من ذلك العجين • وكل منهم يشرب من ماء عين آسنة
غير معين •

اعلم أولا : أن فرق النصارى كثيرة حتى أنها تتوف على السبعين
كما ورد فى الحديث النبوى الشهير ، والآن المشهور منهم ما يقرب على
العشرة بل يزيدون • واختلفوا فيما بينهم بالمـراد من الأقانيم على
تسعة أقوال تأتيك فى محلها ان شاء الله •

فمنها : أنها أشخاص ، ومنها أنها خواص ، ومنها أنها صـفات ، ومنها أنها العقل والعاقل والمعقول ، ومنها أنها جهات ذهنية واعتبارات عقلية . واختلفوا أيضا فى الثلاثة فمنهم من قال : نعنى بأقنوم الآب الوجود وبأقنوم الابن العلم وبالثالث الحياة وهو روح القدس . ومنهم من قال : المراد بالابن النطق ، ومنهم من قال الحياة . واختلفوا أيضا فى تجسد المسيح من الكلمة ، فمنهم من قـال : اتحـد الابن الأزلى بانسان كلى مجرد عن الأقانيم فصار ذلك مسيحا واحداً الها تامـا وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيئتين ، وأقنوم واحد . ومنهم من قال اتحد الابن الأزلى بانسان جزئى شخص ذى أقنوم فصار بذلك مسيحا واحدا الها تاما وانسانا تاما ذا طبيعة من طبيعتين وأقنوم من أقنومين ومشيئة من مشيئتين .

ومنهم من قال : اتحد الابن الأزلى المولود من الآب قبل الدهـور والأعصار بالابن الزمنى المولود من مريم ، فصار بذلك مسيحا واحدا الها تاما وانسانا تاما ، ذا طبيعتين وأقنومين ومشيئة واحدة .

وأكثرهم من يعتقد العشاء الربانى أى أكل لحم المسيح بحقيقتـه فى كل يوم وفى كل كنيسة ويسجدون للصور المنقوشة المصنوعة بعمل أيديهم كصورة المسيح وأمه ويخاطبونها بقولهم : يا خطيبة الله يا أم الله يا ابنة الله ، لك نسجد ٥ وكثير منهم — كما قيل — يعتقـدون ان المعجزات التى ظهرت على يدى عيسى وامه عليهما السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها .

ومنهم الفرقة المريمية الذين كانوا يعتقدون فى مريم أنها اله .

وغير ذلك من عقائدهم الزائفة المخالفة للتوراة والأناجيل — كمـا هو مفصل فى كتابنا هذا فما حكاه الله سبحانه وتعالى فى بعض الآيات الكريمة عنهم هو قول بعض منهم ، وفى بعض اخر قول آخرين ، وحكاية دعواهم ألوهية مريم كدعواهم ألوهية عيسى عليه السلام كما قال تعالى:

« وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس : اتخذونى وأمى الهين من دون الله » •

فانهم وان أنكروا الآن القول بألوهيتهما لكن يلزمهم ذلك • لما مر ويأتى ، حيث يعتقدون أنه أحد الأقانيم ، فاذا قالوا الأقانيم ثلاثة والثلاثة واحد ، فيكون جزء الاله أو حل فيه الاله • وعلى كل يكونون قد اتخذوه الها ، فاذا كان الأمر كذلك فكأنهم نفوا الله سبحانه ، لأن الله ليس بالصفة التى يعتقدونها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون فجعلهم عيسى الها لازم لقولهم بالأقانيم وان أظهروا البراءة من القول بذلك • وسوف نكل الكلام على هذه الآية فى محله ان شاء الله تعالى .

ثم اعلم : أن الصفة هل هى نفس الموصوف أو غيره • فالذى ذهب اليه الشيخ أبو الحسن الأشعرى وعامة أصحابه : أن من الصفات ما هى عين الموصوف كالوجود ، ومنها ما هى غيره • وهى كل صفة أمكن مفارقتها للموصوف كصفات الأفعال من كونه خالقا ورازقا ونحوهما • ومنها ما لا يقال انها عين الموصوف ولا غيره ، وهى كل صفة امتنع القول بمفارقتها للموصوف بوجه ، كالعلم والقدرة والارادة وغير ذلك من الصفات النفسانية لله تعالى ، بناء على أن معنى المتغايرين كل موجودين يصح مفارقة أحدهما للاخر بجهة ما • وعلى هذا فكما أن الصفة التى لا تفارق ليست هى عين الموصوف ولا غيره ، فكذلك الصفات النفسانية بعضها مع بعض ، لما لم يصح انفكاك بعضها عن بعض ، فلا يقال : بعضها عين الصفة الأخرى ولا غيرها • أما أنها ليست هى هى ، فلأن المفهوم منها غير متحد قطعا • وأما أنها ليست غيرها فلعدم الانفكاك • وحاصل النزاع فى هذا لا يرجع الا الى اصطلاح لفظى لاحظ له فى المعنى • على ما قاله « الآمدى » •

ثم اعلم : أن البارى سبحانه له صفات سلبية مثل قولنا ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض أزلى ، أى لا أول له ، صمد أى لا جوف له وغير ذلك من الصفات السلبية المفصلة فى علم الكلام • وله سبحانه صفات

ثبوتية قائمة بذاته تعالى موجودة فى كافة الكتب السماوية ، وهى سبعة: العلم والارادة والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر ، ومنهـا فعلية خارجة عن ذاته جل وعز يستحيل قيامها به تعالى نحو الخلق فانه عز شأنه وصف بالخالق بعد أن صدر منه الخلق ،وكذلك صفات أخر فعليات كالرازق والغفار والمحيى والمميت والناصر وغير ذلك • وأمـا وأما الصفات السبع فهى أزلية أبدية سرمدية لأنه تعالى موصوف بها قبل أن يخلق شيئا ، لأنه لو لم يكن موصوفا بها ، لكان موصوفا بضدها• ومحال أن يوصف البارى سبحانه بأضدادها التى هى صفات نقص •

قال شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية فى شرح العقيدة الأصبهانية « الدليل على علمه سبحانه : ايجاده الأشـياء ، لاستحالة ايجـاده للأشياء مع الجهل • وهذا الدليل مشهور عند نظـار المسلمين أولهم وآخرهم ، والقرآن قد دل عليه كما فى قوله تعـالى : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟** » والمتفلسفة أيضا سلكوه • وبيانـه من وجــوه :

أحدها : أن ايجاده للأشياء هو بارادته — كما سيأتى — والارادة تستلزم تصور المراد قطعا ، وتصور المراد هو العلم فكان الايجـاد مستلزما للارادة والارادة مستلزمة للعـلم ، فالايجـاد مستلـزم للعـلم •

الثـانى : ان المخلوقات فيها من الاحكام والاتقان ما يستلزم علم الفاعل لها لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم •

ولهم طرق أخرى منها أن من المخلوقات ما هو عالم والعلم صـفة كمال ، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالما • وهذا له طريقان :

أحدهما : أن يقال : نحن نعلم بالضرورة : أن الخـالق أكمـل من المخلوق ، وأن الواجب أكمل من الممكن ، ونعلم ضرورة : أنا اذا فرضنا شيئين أحدهما عالم والآخر غير عالم ، كان العالم أكمل منه • فاذا لم

يكن الخالق سبحانه عالما ، يلزم أن يكون غير عالم أى جاهلا ٠ وهو ممتنع ٠

الثانى : أن يقال : كل علم فى الممكنات التى هى المخلوقات فهو منه٠ ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه ، بل هو أحق ٠ والله سبحانه — وله المثل الأعلى — لا يستوى هو والمخلوقات ، لا فى قياس تمثيل ولا قياس شمول ، بل كل ما أثبت لمخلوق فالخالق به أحق ، وكل نقص تنزه عن مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى ٠

والدليل على قدرته : ايجاده الأشياء ٠ وهو اما بالذات وهو محال ، والا لكان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما ٠ وهو باطل فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب ٠ والمختار انما يفعل بالقدرة ، اذ القادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ٠ فأما من يلزمه المفعول بدون ارادته ، فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذى تلزمه الحركات الطبيعية ، التى لا قدرة له على فعلها ولا تركها٠ والدليل على أنها هى علمه وقدرته : استحالة قيام العلم والقدرة بغير الحى ٠ وهذا دليل مشهور للنظار ، يقولون : قد علم أن من شرط العلم والقدرة : الحياة فان ما ليس بحى يمتنع أن يكون عالما ، اذ الموات لا يكون عالما ، والعلم بهذا ضرورى ، وقد يقولون : هذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ولا غائبا فتقدير عالم لا حياة به ، ممتنع بصريح العقل ، وكذلك قوله : والدلالة على ارادته : تخصيصه الأشياء لخصوصيات ، واستحالة المخصص من غير مخصص٠ فان هذا دليل مشهور للنظار ٠ ويقرر هذا : أن العالم فيه تخصيصات كثيرة مثل تخصيص كل شىء بما له من القدر والصفات والحركات كطوله وقصره وطعمه ولونه وريحه وحياته وقدرته وعلمه وسمعه وبصره ، وسائر ما فيه ٠ مع العلم الضرورى بأنه من الممكن أن يكون خلاف ذلك ، اذ ليس واجب الوجود بنفسه ، ومعلوم أن الذات المجردة التى لا ارادة لها لا تخصص ، وانما يكون التخصيص بالارادة ٠ ولو قيل : التخصيص بأسباب معلومة كالأرض والأشجار تكون مختلفة ،

فاذا سقيت بماء واحد اختلفت ثمارها لاختلاف القوابل كما أن الشمس تختلف آثارها بحسب القوابل ، كما تبيض الثوب وتسود وجه القصار وتلين اليابس الذى لم ينضج بما تجذبه اليه من الرطوبة ، وتجفف الرطب الذى كمل نضجه لانقطاع الرطوبة عنه •

قيل : هب أن الأمر كذلك ، فما الموجب لاختلاف القوابل حتى خصت هذه الشجرة وهذا الجسم بسبب آخر ؟ فلابد أن ينتهى الأمر الى سبب لا سبب فوقه •

فان قيل : هى شىء صدر عنه ، كما تقول المتفلسفة « لا يصدر عن الواحد الا واحد ، والصادر الأول هو العقل وصدر عن العقل عقل ونفس وفلك » فهذا باطل لأنه ان كان الصادر الأول واحدا من كل وجه ، لم يصدر عنه أيضا الا واحد ، وان كان فيه كثرة ، فقد صدر عن الواحد أكثر من واحد • وان قيل الكثرة عدمية ، لزم أن يصدر عن العدم وجود ، ثم يقال الفلك الثامن كثير الكواكب دون التاسع ، فما الموجب لكثرة كواكبه ؟ ثم قيل السبب الأول ان كان فيه اختصاص بصفة وقدر كان تخصيصه بالارادة ، لأن التخصيص بذات لا ارادة لها ، ممتنع فى صريح العقل • وان قيل ليس له اختصاص بصفة وقدر ، قيل هذا ، يقتضى أن يكون وجودا مطلقا • والمطلق لا يكون الا فى الأذهان لا فى الأعيان •

وأما قوله : والدليل على كونه متكلما : أنه آمر ناه ، لأنه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ، ولا معنى لكونه متكلما الا ذلك • وسلف الأئمة وغيرهم لهم فى اثبات كونه متكلما طريقان : سمعية وعقلية • فالطرق السمعية مبينة على مقدمتين احداها : أنه آمر ناه ، (والمقدمة الثانية) : ومن كان كذلك : فهو متكلم • والمقدمة الأولى مدلول عليها بأن الرسل بلغوا أمره ونهيه • وكل من المقدمتين واضحة • فان الكلام نوعان : انشاء واخبار والانشاء أمر ونهى واباحة ، فاذا ثبت له نوع الكلام ثبت مطلق الكلام ، فثبت : أنه متكلم ، وأما الثانية

فقد علم بالاضطرار من دين جميع الرسل أنهم يخبرون عن الله بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا ، فيلزم من ثبوت الرسالة ثبوت كلام الله تعالى • وجحد كون الله متكلما هو جحد لما بلغته عنه الرسل من الأمر والنهى •

فان قيل : فما الفرق بين هذا الطريق التى أثبت بها السمع والبصر وهو السمع ؟ قيل : هناك أثبت السمع والبصر بنفس الاخبار المنفصل مثل قوله تعالى : « وهو السميع البصير » وهنا أثبت تكلمه بمجرد ارسال الرسل من غير تعيين نص ، كقوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » •

وأما العقلية فمن وجوه : منها أن الحى اذا لم يتصف بالكلام لزم اتصافه بضده ، كالسكوت والخرس ، وهذه آفة ينزه الله تعالى عنها، فتعين اتصافه بالكلام • وهذا المسلك يسلكونه فى اثبات كونه سميعا بصيرا أيضا • ومنها : أن المخلوق ينقسم الى متكلم وغير متكلم ، والمتكلم أكمل من غير المتكلم ، وكل كمال ، هو فى المخلوق مستفاد من الخالق ، فالخالق أحق به وأولى • ومن جعله لا يتكلم فقد شبهه بالموات والجماد ، وذلك صفة نقص ، اذ المتكلم أكمل من غيره • قال تعالى فى ذم من يعبد من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر : « أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم نفعا ولا ضرا » •

والفرق بين هذا الوجه وبين الذى قبله : أن هذا استدلال بما فى المخلوق من الكمال على أن الخالق أحق به والأول أنه مستحق لصفات الكمال من حيث هى هى ، مع قطع النظر عن كونها ثابتة فى المخلوقات لامتناع النقص عليه بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى • والدليل على كونه سميعا بصيرا : طرق • منها السمع كقوله تعالى : « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى : لأن الله سبحانه فرق بين العلم وبين السمع والبصر ، وفرق بين السمع والبصر • ومنها : أنه لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف • بضد ذلك : وهو العمى والصمم • ومنها : أن السمع والبصر

من صفات الكمال ، فان الحى السميع البصير أكمل من حى ليس بسميع ولا بصير ، كما أن الموجود الحى أكمل من موجود ليس بحى ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم • وهذا معلوم بضرورة العقل ، واذا كانت صفة كمال ، فلو لم يتصف الرب بها ، لكان ناقصا • والله سبحانه منزه عن كل نقص •

وأيضا : فلو لم يتصف بهذا الكمال ، لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه • ومن المعلوم فى بدائه العقول : أن المخلوق لا يكون أكمل من الخالق اذ كل كمال فيه فانما استفاده من ربه وخالقه ، فاذا كان هو مبدعا للكمال وخالقا له ، كان من المعلوم بالاضطرار : أن معطى الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطى • ومنها : أن نفى هذه الصفات نقائص مطلقا ، سواء نفيت عن حى أو جماد ، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيئا ولا يخلقه ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعى ، كما قال الخليل « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ؟ » وقال تعالى : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ؟ اتخذوه وكانوا ظالمين » •

هذا • ومن المعلوم أن هذه الصفات فى البارى سبحانه لا تشبه صفات المخلوقين فلا يكون السمع كسمعنا بصماخ وأذنين ولا البصر بحدقة وعينين ، ولا الكلام بلهوات ورئة ولسان وشفتين ، ونحو ذلك من آلات كلامنا ، لأن هذه الصفات فينا حادثة ومحتاجة الى آلــة ، وفيه سبحانه قديمة غير محتاجة اليها ، فلا مشابهة بين رب الأرباب وبين من أصله من تراب • وهذا لا يخفى على ذوى البصائر والألباب؛ فلا تعطل صفات البارى كبعض المبتدعة ، ولا تجسم كبعض أهل الكتاب(١) • وهذا البحث وان كان استيفائه هنا يطول والسامع كالكاتب

---

(١) النصارى يجسمون الله ؟ ولا يصرحون بالجسمية • واليهود لا يجسمون الله (انظر كتابنا الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والاسلام) كتاب الانتصارات الاسلامية للطوفى •

ملول ، غير أنا ذكرنا الاشارات اللازمة الى ما نحن بصدده من بيـان الصفات منقولا ومعقولا . والله سبحانه الموفق الى اتباع الصواب ، والمسئول أن لا يجعل على قلوبنا غشاوة ولا بيننا وبين الحق حجب ، بمنـه وكرمـه آمين .

فصـــل

بعد ما ثبت لديك : أن الله سبحانه له الصفات السبع القديمة الأزلية الوجودية الزائدة على ذاته تعالى ، فانه سبحانه حي بحيـاة عـالم بعلم مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر ، كما هـو مذهب جمهور المسلمين من الأشاعرة وغيرهم ، خلافا للفلاسفة ونحوهم. وقد بسطت دلائل الأولين والآخرين فى الكتب الكلامية ، مما لا يسعنا تفصيله فى كتابنا هذا لئلا يخرج بنا الكلام الى خلاف المقصود الأهم (وهو أن) نبين لك أن قول النصارى : أن الله سبحانه ثلاثة أقانيم وان الصفات محصورة فى العلم والحياة والوجود باطل . لوجوه ذكرناها فيما سبق ، وان كان الكلام معهم فى هذه المسألة غير محتاج الى الأدلة، لأن هذه الطائفة النصرانية اعترفت بأن عقيدة التثليث أمر خارج عن ادراك العقول ، ومغاير للمشاهدة والمحسوسات والمعقول ، غير أنهم قالوه اتباعا لظاهر الأناجيل ، واعتقدوه ، وان عده العقل من المحالات والأباطيل ، كما صرح به النصرانى صاحب « الميزان » بقوله : «ولاريب بأن الانسان يعجز عن ادراك(١) هذه الحقيقة العويصة الغامضة . لأنها من الأسرار الالهية التى علمها مختص بالله وحده » الى أن قال : « ومن ثم من اعتمد على قياسات العقل البشرى العاجز ، وأنكـر ألوهيـة المسيح وكونه ابن الله أى حقيقته كما قال ، يهبط فى هاوية الغـرور والكفر » (انتهى من صحيفة ١٠٢) .

لكنـا نذكر بعضا مما أسلفناه من وجوه ما رددنا كلامهم بـه فى حصر الأقانيم لئلا يخلو كلامه عن جواب . فمن ذلك .

---

(١) كتاب ميزن الحق لفاندر موجود فى دار الكتب المصرية رقم ١ لاهوت

أنه بعد تسليم أن صفة الوجود زائدة لو طولبوا بدليل الحصر لم يجدوا اليه سبيلا ، سوى قولهم : بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه ، وهو غير يقينى كما لا يخفى • على أن هذا المؤلف ذكر فى كلامه الذى سقناه لك الحكمة مع الحياة والعلم ، فيلزم من كلامه أن تكون الحكمة أيضا أقنوما ، فتصير حينئذ الأقانيم أربعة : ومنه أيضا أنه تحقق فيما سبق من وجوب صفة القدرة والارادة والسمع والبصر والكلام • فيكون الحصر فى العلم والحياة غير صحيح قطعا • والذى أوقعهم فى هذه الورطة والغلط الفاحش والكفر الصراح : قول متى التلميذ ان المسيح عندما ودعهم « قال : اذهبوا وعمدوا الأمم باسم الآب والابن وروح القدس » وهذا ان صح عن متى أنه نقل ذلك فالمراد منه : ببركة الله ورسوله(١) والملك المؤيد للأنبياء على تبليغ أوامر ربهم ، كقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »، فهذه نتيجة التعميد ، وانما هى انخراطه فى سلك المطيعين الممتثلين أوامر ربهم ، والمتمسكين بالعروة الوثقى من اتباع نبيهم ، المؤمنين بما أتى به الملك الآتى للأنبياء بالوحى من خالقهم • فقوله عليه السلام: عمدوهم باسم الله ورسوله والآتى بالوحى منه لا يقتضى أن يكون مجموع ذلك هو المسيح • وأى دلالة تدل على ذلك ؟ بل الأدلة قائمة كما علمت على خلاف ما زعموه •

ومنها أن يقال لهم : انكم جعلتم معبودكم ثلاثة أقانيم الوجود والحياة والعلم ، فما الدليل على الحصر فى هذا العدد ؟ فان الدليل قائم على أن صفاته سبحانه أكثر من ذلك • ومنها القدرة فان قالوا : لا حاجة الى أقنوم القدرة اذ فى أقنوم العلم مندوحة عنها • قلنا : لا نسلم من حصوله حصولها ، اذ كيف يكون العالم قادرا ؟ لأن العلم كشف المعلوم ومعرفته على ما هو به ، والقدرة الاختراع والايجاد ، ولو جاز الاجزاء بالعلم عن القدرة ،

---

(١) الاب هو الله تعالى • والابن هو رسول الله محمد • والروح القدس هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بلغة أهل الكتاب • وهذا قد بيناه فى كتابنا أقانيم النصارى •

لجاز الاجزاء بالحياة عن العلم ، اذ لا يلزم من الحى أن يكون عالما ، والعلم يخلفه ضده وهو الجهل والقدرة يخلفها ضدها وهو العجز • واذا ثبت وصفه بالقدرة ، فقد ثبت وصفه بالارادة ، اذ حظ القدرة الاختراع والابداع ، والارادة التخصيص بالمقادير والأشكال والأزمان والاحوال •

وقول هذا المؤلف : ان لله ابنا ، وهو الكلمة الخالقة ، مقصده : أن الكلمة حلت فى المسيح كما تقدم فى بيان عقائدهم • وبطلانه من وجهين: الأول : انه قد تحقق امتناع حلول صفة القديم فى غيره • والثانى : انه ليس القول بحلول الكلمة أولى من القول بحلول الروح وهى الحياة ، وستأتى أيضا توضيحات وبراهين أخر فى محلها من هذا الكتاب لرد التثليث وحصر الأقانيم ان شاء الله تعالى • غير أنا نذكر عبارة من مختصر تخجيل الأناجيل من كلام طويل جليل ، فنقول : قال عليه الرحمة ما نصه : « اعلم أن النصارى مجمعون على الثالوث • وهو أن ربهم آب وابن وروح القدس ، فيعبرون بالآب عن الذات ، وبالابن عن النطق الذى هو الكلام ، وبالروح عن الحياة • ويزعمون أنه لا يصح لأحد توحيد دون أن يعتقد هذا ، ويزعمون أن الآب جوهر وأن له حياة وصفة نطق قالوا : فلا يكون الاله فاعلا حكيما الا بعد كونه حيا ناطقا ، فهل الحياة والنطق ذوات أو صفات ؟ اختلف فيه أكابرهم فمنهم من قال : ان الحياة والنطق صفات لجوهر الآب ، ومنهم من قال : بل هى ذوات بأنفسها • ومنهم من قال : بل هى خواص لذلك الجوهر •

وطريق البحث معهم فى ذلك أن يقال لهم : هل تنسبون اللاهوتية لكل واحد من الأقانيم الثلاثة أم تزعمون أن الجميع واحد ، أو تقولون ان الاله واحد من الثلاثة والباقى صفات له ؟ فان قلتم : أن الاله واحد والزائد صفات له ، فقد أبطلتم القول بالثالوث ، ووافقتمونا على قولنا بأن الاله واحد وله صفات من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والكلام ، وأن شيئا من هذه الصفات ليست الها وانما الاله ذات موصوفة بهذه الصفات ، وفارقتم حينئذ مشايخ

الأمانة ، اذ يقولون : ان الآب آله واحد وأن الابن اله واحـد ، وأن روح القدس اله ثالث ، وأفسـدتم صلواتكم ، حيث تقرعون فيهـا : « الملائكة يمجدونك وابنك نظيرك فى الابتداء وروح القدس مسـاويك فى الكرامـة » •

وان زعمتم : أن الجميع اله وأن واحدا من الثلاثة ليس باله على انفراده ، فقد تركتم القول بالتثليث وعبدتم الها واحدا مركبا من ثلاثة أقانيم • وهذا مفسد لما انطوت عليه الأمانة ، من أن كل واحد من الآب والابن والروح اله مستقل باللاهوتية ، وهدمتم أصل النصرانية ، اذ لا خلاف بينهم أن اللاهوت اتحد بالناسوت • واذا كان الاله عبارة عن الثلاثة ، فالآب والروح ما اتحد بالناسوت ، وانما اتحـد الابن الذى هو العلم أو النطق ، فاذا ما اتحد الاله بل أحد الأقانيم الثلاثة ، وذلك عند تجرده لا يسمى الها •

وفى أمانتهم الشهيرة : « المسيح اله حق وأنه أتقن العوالم بيده ، وخالق كل شيء ، وأنه نزل من السماء لخلاص الناس » وذلك مما يبطل هذا القسم • وذلك لأن الذى نزل انما هو فى زعمهم أقنوم الابن ، فان كان الاله هو مجموع الثلاثة ، بطل أن يكون الابن هو خالق الأشياء متقن العوالم ومخلص الناس ، اذ لا يوصف بذلك الا الاله الذى هو مجموع الثلاثة الآب والابن والروح القدس • وان زعمتم أن كل واحد من الأقانيم اله ومجموعها آله واحد • قلنا لكم : ان كل واحـد ، من الثلاثة اله حقيقة وتجوزا أو توسعا ، وأن الاله الحقيقى هو مجموعها؟ فان قالوا بهذا وصرفوه الى مجرد التسمية دون الحقيقـة ، تركـوا القول بالثالوث وأثبتوا الها واحدا له صفات ، ثم سموا صفاته آلهة تحكما وتخرصا بغير توقف ولا دلالة ، وهدموا قول الأمانة وهـو أن المسيح اله حق ، وقالوا بل هو اله تجوزا وأبطلوا عبادة المسيح حيث يقولون فى صلواتهم الهنا وردوا قول مشايخ الأمانة اذ يقولون : ان المسيح هو الاله الحق لا اله بالتسمية والتجوز ، وهذا الاله الحقيقى لم يتحد بجسد المسيح ؛ بل ما اتحد به ، الا اقنوم واحد • وقد يسمى الها على سبيل التجوز والاستعارة ، وان زعمـوا أن كل واحـد من

الأقانيم اله كامل على الحقيقة • اذ أفرد والجميع اله واحـد ، اذا جمعوا • وبهذا القول يقولون ، فهذه فى الدرجة العليا من الفساد • وذلك انما نقول لهم : أيجوز خلو الاله عن الحياة والعلم ؟ فان جوزوا ذلك ، قلنا لهم : فاذن لا حاجة الى الأقانيم اذ الاله مستغن عنها • **وان قالوا : لابد من الحياة والعلم • قلنـا : اذا قلتم : ان كل واحد** من الأقانيم الثلاثة اله حقيقة ، فلا بد له من الحياة والعلم ، وحينئذ تصير الأقانيم تسعة ، فيصير التثليث تاسوعا ، اذ حياة كل واحد من الأقانيم الثلاثة وعلمه أقنومان له • ثم كل واحد من التسعة أقانيم • ليس باله حقيقة ، وانما يصير الها حقيقة اذا ثبت وجوده وحياتـه وعلمه • اذ لا يجوز خلو الاله عن الحياة والعلم ، وحينئذ يتسلسل القول الى اثبات آلهة لا نهاية لها • فهذا يلزم من يقول : ان كل واحد من الأقانيم الثلاثة له حياة وعلم •

وان قالوا : لا يثبت هذا الوصف الا لواحد منها امتنع عليهم وصف الثانى والثالث بالألوهية حقيقة ، لما تقرر أن الاله يجب أن يكون حيا عالما ، وبطل عليهم القول بالثالوث على كل الوجوه • والله سبحانـه الهادى الى سواء السبيل » •



ولنرجع الى رد ما نقله « القرافى » من كلامهم تكملة لرد ما قاله « عبد المسيح » لأن دعواهما متحدة ودندنتهما الى شىء واحد مستندة•

فنقول : قولهم نريد بالآب الذات الخ • لا كفر فيه ، وانما الاطلاق منكر مغاير للاطلاقات الشرعية ، فهم عصاة بهذا الاطلاق ، كفار عنـد ارادة المعنى الحقيقى • وأمـا استدلاله بعبارة الانجيل ، فالجـواب عنها بوجهين : الأول : ان الأناجيل لا يعتمد عليها اذ جمعها وتحريرها بعد المسيح عليه السلام وفيهما التناقض والمحرف والمبـدل ، كمـا سيتضح ان شاء الله تعالى لك فى كتابنا هذا : الثانى ان لفظ الآب أطلق

أيضا فى العهد القديم والجديد على البارى — سبحانه — بالنسبة لى لغير عيسى من بنى اسرائيل ، وأطلق الابن أيضا على غيره منهم ، والروح القدس يطلق على جبريل أيضا كما سيمر عليك فى هذا الكتاب • وأما استدلاله على التثليث بالبسملة ، فاستدلال ساقط بالمرة لأن الرحمن الرحيم صفات له سبحانه فعليتان خارجتان عن ذاته سبحانه غير قائمتين بها لأن المراد منهما : أنه ذو الرحمة الكثيرة المحسن الى خلقه المنعم عليهم ، وليس المراد بهما : النطق والحياة — كما زعم —

قال القرافى : « وأما قولهم ان النطق موجد فغلط • انما الموجد القدرة ، لأن كل صفة من صفات الله جل وعز لها خاصية لا توجد لغيرها، فبالقدرة توجد الممكنات والارادة تخصص الممكن بزمانه وأحواله • والعلم يكشف الواجبات والممكنات والمستحيلات على ما هى عليه ، والسمع ادراك يختص بالكلام النفسانى والصوت الانسانى ، والبصر ادراك يختص بالموجود دون المعدوم بخلاف العلم ، فانه يعمها ، والكلام النفسى الذى هو النطق يكون منه الأمر والنهى والخبر والاستخبار دون التأثير ، ولا يجوز أن يعتقد الايجاد الا للقدرة ليس الا • والبراهين على هذا المطلب فى مطولات الكتب الكلامية ليس هذا موضعها » •

قلت : وأما الايجاد بلفظ كن كما تشعر به آية « كن فيكون » فهو تمثيل التأثير قدرته تعالى فى مراده ، فراجع روح المعانى • وأما قولهم : ونريد ببنوة المسيح وولادته بلا حدث قبل الدهور : أنه لم يزل الله تعالى ناطقا • فكلام غير معقول أصلا ، لأن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى ، وقد سلمتم ذلك فهو من المعانى لا من الأجسام ، بل هو كالعلم والحياة والارادة • فان أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذى يستحيل وقوعه فى زمن من الأزمان فضلا عن كونه لم يزل كذلك• كما يستحيل أن السواد يكون بياضا أو العلم يكون طعما أو الرائحة

لونا ، كذلك يستحيل أن كون النطق انسانا . فهذا التفسير غير معقول ولا مقصود بالبداهــة .

وان أردتم أنه لم يزل نطقا ، أى لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى عليه السلام فى أزله فهو صحيح مقصود ، لأن خبر الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء الموجودات والمعدومات الماضيات والحاضرات والمستقبلات . لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود ، فان خبر الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى عليه السلام يتعلق بوجود غيره من الأنام . ولم يزل كل واحد منهم نطقا بهذا التفسير ، فينبغى أن يكون كل واحد من اليهود وغيرهم ابن الله سبحانه ولا مزية لعيسى عليه السلام على واحد منهم فى ذلك .

وان أردتم تفسيرا ثالثا فقولوه حتى نعرفه ونجيب عنه ولا شـك أنكم لا تجدونه ولا تقولونه أبدا . وان أردتم أن الله تعالى خلق فى المسيح نطقا بما طلبه الله تعالى من العباد وأراده منهم ، فيقال : كذلك سائر الأنبياء عليهم السلام خلق الله تعالى فى نفوسهم الاخبــار عن أحكامه سبحانه ، بل العلماء كذلك ، وليس أحد منهم صار ابنا لله بذلك. فظهر أن قولكم لم يزل المسيح نطقا قول باطل غير معقول أو قــول لا يلزم منه ألوهية المسيح ولا اتحاده ولا الحلول .

وأما قولهم : ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة : غلط وخبط فاحش لأن الارسال يلزم منه مرسلا ومرسلا اليه ولأن ارسال الشىء اتصاله بغيره المباين له . وذلك غير معقول فى كل صفة من صفات النطق وغيره ، لأن الصفة أقامت بالموصوف فيستحيل ارسال الألوان والطعوم والروائح والعلوم . الا مع انتقال محالها . وأما بمفردها فمحـــال ببديهة العقل . ومن شك فى ذلك ، فليس بعاقل . ومحل هذا النطق يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال ، فانه ليس بجسم باتفاق الفريقين ، والصفات المذكورة فى البارى سبحانه قديمة كذاتــه التى ليست هى محــل الحــوادث .

وأمـا ارسال الشمس لضوئها الذى جعله تنظيرا لمـا ادعاه • فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير ، بل الله سبحانه يخـلق الأنوار والأضواء فى أجزاء الهواء الكائن بين السماء والارض عنـد بروز الشمس ، فالضوء الحاصل فى كل جزء من الهواء غير الضـوء الحاصل فى الجزء الآخر وغير الضوء القائم بجرم الشمس وعندنـا صفات عديدة وموصوفات كثيرة لم ترسل منها صفة واحدة ، بل كل صفةلازمة لمحلها لم تفارقه • والعجب تنظيرهم لما ادعوه بالشمس ، فان ضياء الشمس أو حرارتها اذا أثرا فى محل ، لا يقال لذلك المؤثر فيه انه صار شمسا أو حلت فيه الشمس ، أو اتحدت به كما هو ظاهر • فلم قالوا : ان جسد المسيح صار الها وهو الآن اله تام جالس عن يمين أبيه • فهل هذا الا خبط وخلط ، ولم يقله أحد ذوى العقول قط •

وأما ارسال الانسان كلامه لغيره عن فكره • فذلك اما بالكتابـة ، فالمرسل حينئذ أجسام ورقوم سود فى أجسام بيض ونطقـه القائم بنفسه لم يرسله بل أرسل ما يدل عليه • واما أن يوصى من يخبره بمقاصده مشافهة ، فهو صوت صدر على لسانه ، سـمعه ، رسـوله فقال ذلك الرسول أصواتا أخر لذلك الغير • ولا يقال ان الانسان أرسل كلامه النفسى واللفظى ، بل النفسى قائم بنفسه والصوتى سمـعه رسوله ، ولم يأخذه معه ولا يمكن تجسد ذلك المعنى القـائم بالنفس ولا اللفظ أيضا • كما هو ظاهر فهذا التمثيل غير مطابق للدعـوى بل جهل بالحقائق وأحكامها •

وتبين الخبط فى قولهم أيضا • فتجسم النطق انسانا من الـروح القدس ومن مريم الى آخره • اذ كيف يتخيل عاقل أن النطق يصير جسما ويولد ويأكل ويشرب ويقتل والحالة هذه : هذا أن النطق الـه كامل حقيقى ؟ وان ذلك كقول القائل : اللون صار جملا والطعم صار فرسا والرائحة صارت غزالا ، فمن قام به لون قام به جمل ، ومن قام به طعم قام به فرس ، ومن قام به رائحة قام به غزال •

وكيف يتخيل ذو لب أن المعانى تنقلب أجساما ، مع أن المعــانى مفتقرة للمحال لذاتها والأجسام مستغنية عن المحال لذاتهــا ؟ وذلك كانقلاب الممكن واجبا أو الزوج فردا أو الفرد زوجا أو السواد بياضا . فان كنتم تجوزون هذا كله وهو الظن بكم لصقاعة عقولكم سقط الكلام معكم . لأن الكلام مع من لا يعقل عبث . وان كنتم لا تجوزون ذلك فاتركوا التعصب والحمية الجاهلية وتقليدكم لأســلافكم واســتعدوا لآخرتكم ، ولا تقولوا : تجسم النطق الربانى فى عيسى ، وصار الالــه جسما مولودا مقهورا مقتولا ، واعترفوا ببطلان هذه البنوة وأثبتــوا له النبوة . ولا تقولوا : انه اله وانسان . اذ المبنى على الفاسد فاسد ، فلا يكون الاله حيوانا .

وأمــا قولهم : ان القرآن العظيم أثبت هذه النبوة بقوله سبحانه : « **ووالد وما ولد** » فهو افتراء على الله سبحانه وكتابه لأن المراد بذلك على ما هو المشهور عند أكثر المفسرين : آدم وذريته .

وقيــل : ابراهيم وولده اسماعيل والنبى عليه الصلاة والسلام . والعجب من النصارى : أنهم لم يكتفوا بتحريف كتبهم وتأويــلاتهم الفاسدة حتى تجرأوا على تأويل كتابنا الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بآرائهم الكاسدة .

وأمــا قولهم : وسبب تجسد الكلمة أن اللطيف لا يظهــر الا فى الكثيف كما خاطب الله تعالى موسى عليه السلام من العوسجة .

فجوابه : أن هذا تحكم اذ يجوز أن يخلق الله تعالى لنا علما ضروريا بكل لطيف على ما هو عليه من غير أن يحل ذلك اللطيف فى غيره ولا يتحد بسواه كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلية بــدلالة صنعته عليه ، قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث فى زمن عيسى عليه السلام . **ويلزم النصارى أن جميع الخلق قبل ظهوره لم يظهر لهم**

شيء من صفات الله تعالى وكمال ذاته ووحدانيته وألوهيته ، حتى ظهر عيسى عليـــه السلام . وهذا من المحال بمكان ، بل هذه دعوى ظاهرة البطـــلان .

وأمـا تمثيلهم ذلك بشجرة العوسج . فخطأ شنيع . وقد ذكر الله سبحانه هذه القصة فى القرآن الكريم فى ثلاث آيات : احداها : قـــوله ســـبحانه : « وهل أتاك حديث موسى اذ رآ نارا فقال لأهله : امكثوا انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما آتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى : اننى أنا الله لا اله الا أنـــا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » والثانية : قوله سبحانه : « اذ قـــال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم بخبر أو آتيكم بشهـــاب قبس لعلكم تصطلون . فلما جاءها نودى : أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . يا موسى انه أنا الله العـــزيز الحـــكيم » والثالثة قوله عز وجل : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا . فقال لأهله : امكثوا انا آنست نارا لعلى آتيكم منهـا بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما آتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين ، وأن الق عصاك » الآيات

وفى السفر الثانى من التوراة قوله : « وكان موسى يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم الى برية وجاء الى جبل الله بحوريب وتراءى له الرب بلهب النار من وسط العليقة ، فنظر الى العليقة تتوقد فيه النار وهى لم تحترق . فقال موسى : أنطلق وأنظر الى هذا المنظر العظيم لم لا تحترق العليقة ؟ ورأى الله أنه جاء لينظر فدعاه من جوف العليقة ، وقال : موسى موسى . فقال : ها أنا ذا . قال له : لا تدنـــوا الى ههنا . حل الحذاء من رجليك من أجل أن المكان الذى أنت فيه قائما ، أرض مقدسة . وقال له : انى أنا الله اله آبائك . اله ابراهيم والـــه

اسحاق واله يعقوب . فغطى موسى وجهه من أجل أنه خشى أن ينظر نحــو الله » .

وجوابه من أوجه أحدها : أن الكلام صفة قائمة بذاته تعالى . وقد أثبتنا فى ما تقدم استحالة مفارقة الصفة للموصوف ، فكيف ينتقل كلام الله سبحانه الى هذه الشجرة التى هى العناب أو السليقة أو العوسجة أو السمرة حتى يسمعه موسى عليه السلام ؟ ثانيها : ان لله ســبحانه كلام نفسى (١) لا لفظى كما هو قول كثيرين من المسلمين ومنهم الأئمة الأشعرى والغزالى والفخر الرازى . فالذى ســمعه موسى هـــو بلا صوت ولا حرف . وهذا كما أن ذاته سبحانه بلا كيف ولا كـم .

«(١) ان كلام الله تعالى لموسى فى طور سيناء ، هو محل خلاف بين المعتزلة وأهل الحديث سلفا وخلفا فالمعتزلة يقولون : قبل أن نتكلم فى كلام الله ، نحدد معنى الكلام ونبين حقيقته . وقد حددوه بأنه ما انتظم من حرفــين فصاعدا . أو هو ما له نظام من الحروف مخصوص . فهل الله تعالى تكلم بحــرف وصــوت ؟ فالمســلمون الا الســلف يقــولون : لا . هـــو لا يتكلم بحرف ولا صوت . اذ ليس كمثـــله شيء . فكيف كلم موسى ؟ والاجـــابة هى :

١ — اما أن ملاكا من ملائكة السماء تكلم نيابة عن الله .
٢ — واما أن الله الهم موسى فى قلبه كلاما واستيقن أنه كلام الله .
٣ — واما أنه خلق شيئا . اذا نظره الناظر يعرف منه مراد الله .
٤ — واما أنه خلق الكلام فى الشجرة . وهى التى كلمت موسى عليــه الســـلام .

وكل فريق من المسلمين غير السلف اختار من الاجابة ما اعتقد انه صحيح . ولكنهم اتفقوا على أن الله لم يتكلم بصوت ولا حرف . أما الكلام النفسى ، أى ما يجول فى خاطر الانسان ولم يتلفظ به . فهذا يسميه الأشاعرة كلام الله ، ولا يسميه المعتزلة كلاما . اذ هو ليس بحرف ولا بصوت .

وقد احتجت المعتزلة على قولهم بأن الله تعالى تكلم بكلام خلقه فى جسم بقوله تعالى : « من الشجرة » فان هذا صريح فى أن موسى — عليــه الســلام — سمع النــداء من الشجرة . والمتكلم بذلك النداء هو الله . وهو — تعالى — منزه أن يكون فى جسم . فثبت : أنه تعالى انمــا يكلم بخلق الكلام فى جسم » .

ثالثهـا : انه عليه السلام تلقى ذلك الكلام تلقيا روحانيا ، كما تتلقى الملائكة عليهم السلام كلامه تعالى : لا من جارحة ، ثم أفاضته الروح بواسطة قوة العقل على القوى النفسية ، ورسمته فى الحس المشترك بصور ألفاظ مخصوصة فصار لقوة تصوره كأنه يسمع من الخارج . وهذا كما يرى النائم أنه يكلم ويتكلم . رابعها : ان هذا الكلام الذى سمعه موسى حادث . وهو صوت خلقه الله تعالى فى الشجرة . وهو قول المعتزلة القائلين بأن كلام الله سبحانه مخلوق حادث ، وقـول أهل ما وراء النهرمن أهل السنة القائلين بقدم الكلام ، فيكون حينئذ قول الشجرة : انى أنا الله حكاية لكلام الله سبحانه ، كما يحكى جبريل كلام الله . خامسها : ان البارىء سبحانه لم يحل فى الشجرة ولم يتحـد بها — كما زعمه النصارى ، فى المسيح — بل ظهر النور على الشجرة أو النار . أو البارى لم يحل فى شىء من ذلك ، وكلم موسى بكلامـه اللفظى بحروف وأصوات كما هو مذهب السلف الصالح وكثيرون من أئمة المسلمين وأساتذة الصوفية منهم ، وسمع موسى ذلك الكلام اللفظى كما سمعه فى غير ما مرة . ولذلك يقال له : كليم الله . ولا يلزم منـه حلول البارىء سبحانه فى الشجرة ، كما تريد النصارى بحلوله بعيسى واتحاده ، كما يستفاد ما قلناه من التوراة أيضا .

وقد روى الامام أحمد وغيره عن وهب بن منبه أنه عليه السـلام لمـا رأى النار انطلق يسير حتى وقف منها قريبا ، فاذا هو بنار عظيمة تفور من ورق شجرة خضراء شديدة الخضرة ، يقال لهـا : العليق ، لا تزداد النار فيما يرى . الا عظما وتضرما ، ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق الا خضرة وحسنا ، فوقف ينظر لا يدرى على ما يضع أمرها الا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق وأوقد اليها بوقد ، فنالهـا فاحترقت ، وأنه انما يمنع النار شدة خضرتها وكثرة مائها وكثافة ورقها وعظم جذعها ، فوضع أمرها على هذا ، فوقف وهو يطمع أن يسـقط منها شىء ، فيقتبسه ، فلما طال عليه ذلك أهوى اليها بضغث فى يده ، وهو يريد ان يقتبس من لهبها . فلما فعل ذلك مالت نحوه كأنها تريده.

فاستأخر عنها وهاب ، ثم عاد فطاف بها . ولم تزل تطمعه ويطمع بها، ثم لم يكن شيء بأوشك من خمودها ، فاشتد عند ذلك عجبه وفكر في أمرها . فقال : هي نار ممتنعة لا يقتبس منها ، ولكنها تتضرم في جوف شجرة فلا تحرقها ، ثم خمودها على قدر عظمها ، في أوشك من طرفة عين . فلما رأى ذلك قال : ان لهذه لشأنا ، ثم وضع أمرها على أنها مأمورة أو مصنوعة لا يدرى من أمرها ولا بم أمرت ؟ ولا من صنعها ؟ ولا لم صنعت ؟

فوقف متحيرا لا يدرى أيرجع أم يقيم ؟ فبينما هو على ذلك إذ رمى بطرفه نحو فرعها فاذا أشد مما كان خضرة ساطعة في السماء ، ينظر اليها تغشى الظلام ، ثم لم تزل الخضرة تنور وتصفر وتبيض حتى صارت نورا ساطعا عمودا بين السماء والأرض ، عليه مثل شعاع الشمس تكل دونه الأبصار كلما نظر اليه يكاد يخطف بصره ، فعند ذلك اشتد خوفه وحزنه ، فرد يده على عينيه ولصق بالأرض ، وسمع حينئذ شيئا لم يسمع السامعون بمثله عظما .

فلما بلغ موسى عليه السلام الكرب واشتد عليه الهول ، نودى من الشجرة وقيل : يا موسى . فأجاب سريعا وما يدرى من دعاه ، وما كان سرعة اجابته الا استئناسا بالانس — فقال لبيك مرارا ، انى لأسمع صوتك وأحس حسك ، ولا أدرى مكانك ، فأين أنت ؟ قال : أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك من نفسك : فلما سمع هذا موسى عليه السلام أنه لا ينبغى ذلك الا لربه تعالى ، فأيقن به . فقال كذلك أنت يا الهى ، فكلامك أسمع أم رسولك ؟ قال : بل أنا الذى أكلمك . وروى أنه عليه السلام كان كلما قرب منها تباعدت فاذا أدبر اتبعته ، فأيقن أن هذا أمر من أمور الله تعالى الخارقة للعادة ، ووقف متحيرا وسمع من السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ، وكان ما كان .

وقال بعضهم انها لم تكن نارا بل هى نور من نور الرب تبارك وتعالى . وذكر بلفظ النار بناء على حسبان موسى عليه السلام . وروى

هذا عن ابن عباس رضى الله عنه أيضا • وقد روى أنه عليه السـلام كان يسمع من جميع الجهات بجميع أعضائه ، وأنه بذلك عرف أنه كلام الله تعـالى •

سادسها : يلزم النصارى اذا استدلوا على حلول كلمة الله تعـالى بعيسى بحلول كلمته فى العوسجة أن تكون العوسجة إلها لموسى عليه السلام كما لا يخفى • ولا أظنهم قائلين بذلك • والله أعلم •

وبما ذكرناه تبين : تزييف ما قالته النصارى : أن القـرآن الكريم ناطق بجواز الاتحاد ، اذ فيه أن الله تعالى كلم موسى من الشجرة • وقالت : أنا الله • واذا صح الاتحاد بالشجرة ، صح بذات عيسى عليه السـلام •

وفساد تنظيرهم بموت زيد وبقاء نفسه • واضح اذ أين هـذا من القول بأن الله القديم الذى ليس كمثله شىء الواحد من جميع الجهات، يحل فى عيسى ويتحد به • فيكون عيسى الها وابن الاله • وكذا تنظيرهم بالحديدة المحماة • فأين الحـديد الحادث المخلوق والنـار ، من الله الواحد القهار ، وكذا تنظيرهم بيد الخياط • فهل هذا الا قياس فاسد وخباط ؟ حتى أرسل هذا السؤال زعيم القسيسين المدعو « أوغشطين » ورسمه فى كتاب سماه «مصحف العالم» من طليطلة الى قرطبة(١) من بلاد الأندلس زاعما أنه وجد ما يلزم به المسلمين فى ردهم للاتحاد والحلول وألوهية عيسى على ما اقتضته عقيدة المثلثين : فتبين له بعد جـواب المسلمين : أن ذلك هباء أو سراب يظنه الظمان مـاء والحمـد لله رب العـالمين •

وأمـا استدلاله بتصريح القرآن الكريم : أن عيسى روح الله وكلمته• فقد بينا غير مرة المراد بذلك •

وأمـا قوله : الله وكلمته وروحه اله واحد ، فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة ، كما يقال : الانسان وعقله وحياته ثلاثة وهو انسان واحد •

---

(١) كلام أوغسطين ورد الامام القرطبى عليه ، مذكور فى كتاب الاعلام بمـا فى دين النصارى من الفسـاد والأوهام — نشر دار التراث العربى بالقـاهرة .

فيقال لهم : نعم يلزمكم ذلك ، لأنكم قلتم : الكلمة انتقلت للمسيح ، فاستحق العبادة لذاته ، فهو اله كامل وانسان كامل ، وقلتم فى أمانتكم: « نؤمن بالله الواحد الآب صانع كل شىء ، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، وخلق كل شىء ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومريم ، وصار انسانا وحبل به ، وولد من مريم البتول » الى آخر ما قلتم •

فهل يوجد فى كلام خبط وتناقض شرك وافر ، أزيد من هذا ؟ وهل يكون هذا كقولنا الانسان وعقله وحياته ثلاثة وهو انسان واحد لأن العقل والحياة صفتان له ولم تنتقل منه الى غيره ؟ فانظروا الى هذا القياس الفاسد والتنظير الكاسد ، فنعوذ من خذلانكم بالله الواحد •



فصـــل

اذا علمت جميع ما حررناه وتدبرت بالفكر الصائب ما دبرناه تبين لك أن قول النصارى فى بعض كتبهم ان اطلاقهم الآب والابن وروح القدس على الاله الواحد وجعلهم الاله ثلاثة • والثلاثة واحدا يكون كاطلاق اليد والعين والاستواء والنزول وغير ذلك من المتشابه عند المسلمين على الله تعالى ، مع أن أكثر المسلمين لا يعتقدون التجسيم ولا يريدون ظاهره البين البطلان وهو قول غير مطابق واحتجاج كاذب غير صادق لأن المتشابه الوارد عندنا وارد فى جميع الكتب السماوية وكافة الكتابيين يأولون ذلك بما يليق بجلال الله سبحانه وذاته العلية ، أو يؤمنون به من غير بحث عن الكيفية ولا يعتقدون التجسيم والتشبيه بمخلوقاته سبحانه وتعالى ، والمسلمون يقرءون الآيات كما وردت وبحروفها نزلت ، ولا يشبهون ولا يعطلون ، أو يأولون الآيات اللازم تأويلها تأويلا قريبا حسنا ، كما أن اليهود والنصارى يأولون الآيات المتشابهة عندهم ، ويعترفون بكثرة وقوع المجاز فى الكتب السماوية

كما ستعرفه أيضا من قول صاحب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين فى الفصل الثالث عشر من كتابه :

« وأما اصطلاح الكتاب المقدس فانه ذو استعارات وافرة غامضة وخاصة العهد العتيق » ثم قال : « واصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعارى جدا ، وخاصة مسامرات مخلصنا — أى المسيح — وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة ، لكون بعض معلمى النصارى شرحوها شرحا حرفيا ليس صوابا » .

وستأتيك تتمته ان شاء الله تعالى فى محلها . وقد ذكرنا فى كتابنا هذا كثيرا من الكلمات الواردة عند النصارى التى لا يراد بها ظاهرها فيأولونها . والمقصد هنا : أن المتشابه الوارد فى الكتب السماوية هم يأولونه ونحن نأوله تأويلا قريبا أولا نأوله ، ولا نقول : ان المراد منه هو المعنى الظاهر للفظ . لأن ظاهره محال بالنسبة الى البارىء سبحانه بل نمره كما ورد من غير تشبيه ولا تعطيل . فنحن وسائر أصحاب الكتب السماوية على ذلك . فأين هذا من تثليث النصارى والعشاء الربانى كما ورد عندهم بعض الكلمات الموهمة للتثليث وللعشاء بزعمهم ، مع أن آيات أخر ترد ذلك . وتصرح بأن عيسى ابن الانسان(١) وابن داود ، وأنه رسول الله . ويقول : « ايلى ايلى لما شبقتنى ، أى الهى الهى لم تركتنى » ؟ ويولد من مريم . ويأكل ويشرب ويتعلم من اليهود ويصلب ويجرى عليه من خلقه بزعمهم ما لا يجرى على غيره ، مع أن رواة الانجيل حالهم معلوم ، وكذا حال التوراة مفهوم لدينا ومرسوم ، كما ستحيط به خبرا فى محله ان شاء الله تعالى فكيف تقاس مسألة ورود المتشابه عندنا على المروى بالتوراة أنه كلام الله سبحانه كما سنثبته فى محله بحوله تعالى بورود مسألة التثليث ؟ وهل هذا الا قياس مع الفارق ؟ مع أنكم لم تقرأوا آية التعميد باسم الآب والابن

---

(١) لقب ابن الانسان فى الاناجيل هو لقب لمحمد صلى الله عليه وسلم اقتبسوه من سفر دانيال عنه . كما بينا فى كتابنا البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل — نشر دار البيان العربى بالقاهرة .

وروح القدس ، وتسكتوا ، بل أخذتم بظاهرها وحكمتم بأن عيسى اله تام من جوهر أبيه • فأين هذا من قولنا فى المتشابه الذى نأوله تأويلا حسنا أو نسكت عنه ، ونكل علمه الى الله تعالى ولا نشبه الله بخلقه ولا نعطله عن صفاته ؟ والفرق بيننا وبينكم فى ذلك كالفرق بين الذهب الخالص والتراب • لأنا لم نجعل أحدا مشابها أو ولدا لرب الأرباب• والحمد لله ملهم الصواب •



قال النصرانى : « فأول ذلك ما ناجى به موسى كليمه حيث أعلمه كيف خلق آدم • فقال فى السفر الأول من كتاب التوراة : « فى البدء الآلهة برأ السموات والأرض » • وبهذا يشير الكتاب المقدس الى تثليث الأقانيم ووحدة الطبيعة ، لأنه بقوله : « الآلهة » بصيغة الجمع يشير الى لاقانيم الالهية الثلاثة ، وبقوله « برأ » بضمير المفرد يشير الى وحدة الطبيعة والجوهر الذى هو للأقانيم الالهية الثلاثة • وقال أيضا فى هذا السفر : « أن الله قال عند خلقه آدم : لنصنعن انسانا يشبهنا وصورتنا » ولم يقل عز وجل : اصنع أو اعمل بصورتى وشبهى وقال تبارك وتعالى فى الأصحاح الثانى من هذا السفر عندما أراد أن يخلق حواء : « لا يجمل أن يكون آدم وحده ، فلنجعل له معينا مثله » ولم يقل : اجعل وقال جل وعز : « ان أدم قد صار كواحد منا » توبيخا له بذلك من أجل خطيئته ومعصيته الوصية فى أكله من ثمرة الشجرة التى أمره الله تعالى ألا يأكل منها فعصاه وأكل ، فورث بذلك موت الخطيئة ، ولم يقل تبارك وتعالى : « مثلى » وقال عز وجل فى موضع آخر أيضا من هذا السفر : « تعالوا ننزل فنبلبل هناك لسانهم» وذلك لأنهم اجتمعوا ليبنوا صرحا يكون رأسه فى السماء » فغرق الله ضعف رأيهم وقلة عقولهم فيما فكروا فيه من بناء صرح شامخ يصير لهم ملجأ ومهربا من الطوفان اذا جاءهم مرة أخرى • والله تبارك وتعالى عالم أنه قد كان عاهد نوحا أنه لا يأتى الطوفان مرة أخرى على وجه الأرض • وكان بناء هؤلاء والفكر فيه سخفا وسفها ، ففير ألسنتهم ليتعطلوا على انفاذ فكرهم الذى لا معنى له • ولم يقل : أنزل فأبلبل•

فهذا ما ناجى الله به موسى فخبرنا بهذا السر فى الأقانيم الثلاثة عن الله تبارك وتعالى • أفترى لنا ــ أصلحك الله ــ أن ندع كلام الله عز وجل والسر الذى أودعه موسى نجيه ، وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التى لا يمكن أحدا من الآدميين أن يأتى بمثلها وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له ، ونقبل قول صاحبك بلا حجة ولا آية ولا أعجوبة ولا دليل واضح ولا برهان ساطع ، حيث يقول : ان الله فرد صمد ، ثم يرجع فيناقض قوله ، ويقول : ان له روحا وكلمة • فهو قد وحد وثلث من حيث لم يعلم ، وما أظنك ترى ذلك صوابا اذا أنت أنصفتنا ؟ ودانيال النبى يخبرنا فى كتابه أن الله قال لبخت نصر : « لك نقول يا بخت نصر » ولم يقل : لك أقول • وفى كتابك أيضا شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى وهو: قلنا وخلقنا وأمرنا وأوحينا وأهلكنا ودمرنا ، مع نظائر لهذه كثيرة • أفيشك أحد يعقل فى أن هذا القول قول شتى لا قول فرد ؟

فان ادعيت : أن العرب قد أجازت هذا القول واستعماته فى كلامها ومخاطبتها تريد به التفخم • قلنا لك : أيها المفق للكلام انه لو كانت العرب وحدها هى التى ابتدعته كان لك فى كلامك تعلق • فأما اذ قد سبق العرب العبرانيون والسريانيون واليونانيون وغيرهم من ذوى الألسن المختلفة على غير تواطىء فليس ما وصفت من اجازة العرب ذلك حجة ، مع أنه من أين أجازت العرب هذا ؟ فان قلت : بلى قد أجازته حيث الرجل الواحد منهم : أمرنا وأرسلنا وقلنا ولقينا وما أشبه ذلك • نقول لك : ان ذلك صحيح جائز فى المؤلف من أشياء مختلفة ، والمركب من أعضاء غير متشابهة ، لأن الانسان واحد كثيرة أجزاؤه • فأول الأجزاء من الانسان : النفس والجسد • والجسد مبنى من أجزاء كثيرة وأعضاء شتى • فلذلك جاز له أن ينطق بما وصفت من قلنا وأمرنا وأوحينا اذ هو عدد واحد كما ذكرت •

فان قلت : ان ذلك تعظيم لله جل وعز واجلال له وتفخيم أن يقول : أرسلنا وأمرنا وأوحينا • قلنا لك : لعمرى لو لم يقل ذلك من ليس بمستحق للتعظيم ، لجاز قولك • ولكن الله سبحانه وتعالى ليعلمنا أنه

واحد ذو ثلاثة أقانيم قد نطق بكلتا الصيغتين من « أمرت وأمرنا وخلقت وخلقنا وأوحيت وأوحينا فان الأولى دليل على الوحدانية والثانية على تعـدد الأقانيم » •



فأقول الآن متكلما على هـذه العبـارات التى سردهـا النصرانى • وخلاصة مقصده منها : القول بالتثليث ، أى أن الله سبحانه ثلاثة حقيقة وواحد حقيقة على ما تقتضيه عقيدته الباطلة وعاقدا لابطالـه مقدمـة وثلاثة فصول وخاتمـة •

أمـا المقدمة ففى بيان أمور تفيد الناظر بصيرة فى الفصول :

الأمر الأول : ان كتب العهد العتيق ناطقة بأن الله تعالى واحـد أزلى أبدى لا يموت قادر يفعل ما يشاء ، ليس كمثله شىء لا فى الذات ولا فى الصفات ، برىء عن الجسم والشكل ، وهذا الأمر لشهرته وكثرته فى تلك الكتب غير محتاج الى نقل الشواهد هنا •

الأمر الثانى : ان عبادة غير الله سبحانه حرام وكفر ، وحرمتها مصرح بها فى مواضع شتى من التوراة ، مثل الأصحـــاح العشرين والرابع والثلاثين من سفر الخروج فقد قال فيه : « فان قام بينكم نبى أو من يقول انه نظر حلما وسبق وقال على آية أم عجيبة وحدث ما تكلم به ، وقال لك : لنذهب ونتبع آلهة أخرى لم تعرفها ، وتعبدها ، فلا تسمع قول ذلك النبى أو حالم الأحلام ، ان الرب الهك انما يبتليكم لبيان أنكم تحبونه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم أم لا ؟ الرب الهكم فاتبعوه ، واياه فاخشوا ووصاياه فاحفظوا واسمعوا صوته ، وله فاعبدوا ، وبه فاعتصموا ثم يقتل ذلك النبى أو ذلك حالم الأحلام أنه تكلم ليزيغكم عن الرب الهكم » وفى الأصحاح السابع عشر من السفر المذكور . أنـه لو ثبت على أحد عبادة غير الله تعالى يرجم ، رجلا كان أو امرأة •

الأمر الثالث : فى آيات متعددة كثيرة من العهـد العتيق ما ظاهـره التجسيم والشكل والأعضاء لله سبحانه وتعالى • مثلا فى الأصحاح الاول من سفر التكوين قوله : « فلنعمل انسانا على صورتنا ومثالنا » وقوله

فيه أيضا : « فخلق الله الانسان كصورته كصورة الله خلقه ذكرا وانثى ، وباركهما الله » . وفى الإصحاح التاسع منه أيضا : « لأن على صورة الله خلق الانسان » وفى الأصحاح التاسع والخمسين من سفر أشعياء : « ها هو ذا أن ليس يد الرب صغيرة عن الخلاص ولا أذنه ثقيلة عن السمع » وفى المزمور الثالث والأربعين قوله : « لكن يمينك وذراعك وضوء وجهك لأنك سررت بهم أنت هو ملكى والهى » وفى المزمور السابع عشر : « طأطأ السموات ونزل والضباب تحت رجليه » وفى المزمور العاشر : « أجفانه تفحص بنى البشر » وفى المزمور الثانى : « الرب قال لى : أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك » وفى الأصحاح الرابع من نبوة ارميا « يقول الرب طرقك وأفكارك فعلن عليك هذه هذا سوءك ، لأنه مر لأنه وصل الى قلبك . بطنى بطنى يوجعنى احساس قلبى ارتجفت بى ، لا أسكت » . وغير ذلك مما يدل على التجسيم .

والتنزيه فى التوراة آيتان(١) وهما : «فكلمكم الرب من جوف النار فسمعتم صوت كلامه ولم تروا الشبه البتة » وقوله : « فاحتفظوا بأنفسكم بحرص فانكم لم تروا شبيها يوم كلمكم الرب فى حوريب من جوف النار » ولما كان مضمون هاتين الآيتين مطابقا للبرهان العقلى فى تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسمية والتشبيه بخلقه ، وجب تاويل الآيات الغير محصورة والامساك عن القول بظواهرها الدالة على الجسم والشبه لا تأويلهما . وأهل الكتاب ههنا أيضا يوافقوننا على أن ليس المراد ظواهرها البينة البطلان لأن الجسمية محالة فى حقه تعالى ولا يرجحون تلك الآيات الكثيرة على هاتين الآيتين .

وكذلك يوجد فى الكتب المذكورة اثبات المكان لله سبحانه مثل قوله : « ونيصنعوا لى مقدسا وأحل بينهم » وفى المزمور التاسع : « رتلوا للرب الساكن فى صهيون » وفى المزمور العاشر : « الرب فى هيكل قدسه، فى السماء كرسيه ، عيناه الى البائس تنظران أجفانه تفحص بنى البشر» وفى المزمور الخامس والعشرين : « يارب أحببت جمال بيتك وموضع

---

(١) ذكرنا أكثر من الايتين فى تحقيقنا لكتاب أساس التقديس لشيخ الاسلام فخر الدين الرازى .

محلة مجدك » وفى المزمور السابع والستين : « الجبل الذى سر الله أن يسكن فيه الرب يسكن فيه الى الانتضاء ، مركبة الله بالربوات المضاعفة والألوف المخصبين ، الرب فيهم • فى سيناء القدوس » •

وفى المزمور الخامس والسبعين : « الله معروف فى يهوذا ، واسمه عظيم فى أسرائيل ، صار موضعه بسلام ومسكنه فى صهيون » وفى المزمور الثامن والتسعين : « الرب ملك فلتسخط الشعوب الجالس على الشاروبيم فلتتزلزل الأرض ، الرب عظيم فى صهيون » وفى المزمور المائة والرابع والثلاثين : « يا خالقى الرب باركو الرب مبارك الرب من صهيون الساكن فى أورشليم » وغير ذلك من الآيات الدالة على المكان له سبحانه •

ولا توجد فى العهد العتيق والجديد الآيات الدالة على تنزيه الله تعالى عن المكان الا آيات قليلة • مثل ما فى الأصحاح السادس والستين من سفر أشعياء قوله : « هكذا يقول الرب : السماء كرسى والأرض موطىء رجلى • فأى البيت الذى تبنون لى ، وأى المكان لراحتى ، جميع هذه عملتها يدى ، وصنعت جميع هذه » والآية الثامنة والأربعين من الأصحاح السابع من سفر أعمال الحواريين ، لكن لما كان مضمون هذه الآيات القليلة موافقا للبراهين أولت الآيات الكثيرة الغير محصورة الشعرة بالمكان لأن ظاهرها بالمعنى اللغوى بين البطلان ، ولم تزل هذه الآيات القليلة لموافقتها للعقل والبرهان •

وأهل الكتاب أيضا يوافقونا فى هذا التأويل ، فقد ظهر من هذا الأمر الثالث أن الآيات الكثيرة اذا كان منطوقها مخالفا للبراهين العقلية والنقلية ، يجب ارجاعها الى ذلك القليل الموافق للعقل ، ولا يعتد بكثرة المخالف ، فكيف اذا كان الكثير موافقا لصحيح العقول وصريح المنقول والقليل مخالفا لهما • فعدم اجرائه على ظاهره وتأويله أمر ضرورى بالبداهة كما لا يخفى •

الأمر الرابع : كما علمت فيما تقدم • أنه سبحانه ليس له شبه

وصورة • فاعلم أنه • قد صرح فى العهد الجديد أيضا أن رؤية الله تعالى فى الدنيا غير واقعة فى الآية الثامنة عشر من الأصحاح الأول من انجيل يوحنا من قوله « الله لم يره أحد قط » وفى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج من التوراة قوله : « الآن ان كانت لى عندك مرحمة فأرنى وجهك لأعرفك وأظفر منك برحمة ، فانظر الى شعبك هذا فهو جمع عظيم • فقال الرب : وجهى يسير أمامك فأريحك • قال موسى : ان أنت لم تسر أمامنا فلا تصعدنا من ههنا • فاننا بماذا نعرف أنا وشعبك أننا ظفرنا منك برحمة ، ان كنت لم تسر معنا لنكون أنا وشعبك مميزين معروفين من جميع الشعوب ، الذين على وجه الأرض ؟ وقال الرب لموسى : فقولك هذا الذى قلت أنا أفعل من أجل أنك لقيت عندى رحمة وعلمتك بالاسم • فقال له: أرنى مجدك • قال له : أنا أظهر جميع حسناتى قدامك وأدعو باسم الرب قدامك ، فأترحم على من أترحم وأتحنن على من أتحنن • وقال له أيضا : انك لا تقدر على النظر الى وجهى ، لأنه لا يرانى بشر فيحيا » •

وفى الآية السادسة عشر من الأصحاح السادس من الرسالة الأولى الى تيموثاوس : « لم يره أحد من الناس ولا يقدران يراه » وفى الآية الثانية عشر من الأصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى : « الله لم ينظره أحد قط » فثبت من هذه الآيات : أن من كان مرئيا لا يكون الها قط • ولو أطلق عليه فى كلام الله تعالى أو الأنبياء أو الحواريين لفظ الله ومثله •

فلا يغتر أحد بمجرد اطلاق مثل لفظ الله ولا يدعى أن التأويل مجاز فكيف يرتكب ؟ لأن المصير الى المجاز يجب عند القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة سيما اذا دل البرهان القطعى على المنع لأننا اذا قلنا : بنى الأمير المدينة أو المسجد فلا يشك عاقل أنه لم يبنها بنفسه وبيده ، بل لكونه الآمر نسب البناء له •

وقد أطلق لفظ الله ولفظ الرب فى الكتب السماوية على غير البارى سبحانه كما ستقف عليه قريبا ان شاء الله تعالى •

فمن ذلك ما فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين قوله : « ولما صار أبرام ابن تسعة وتسعين سنة ترآى له الرب ، وقال له : أنا الله ضابط الكل فسر أمامى وكن تاما » وقوله : « ولما فرغ الله من خطابه معه ، صعد عن ابراهيم » ومثله ما فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين من اطلاقه على الملك الذى ظهر على ابراهيم عليه السلام مع الملكين الآخرين اللذين بشرا ، بولادة اسحق ، وأخبره بهلاك قوم لوط . كما سيأتى ان شاء الله تعالى بقية الكلام عليه . ومن ذلك ما فى الأصحاح الثانى والثلاثين من لسفر المذكور قوله : « وتخلف هو وحده وهو ذا رجل فكان يصارعه الى انفجر ، وحين نظر أنه لا يقوى به فجس عرق وركه ولساعته ذبل ، وقال له : أطلقنى لأنه قد أسفر الصبح . وقال له : لا أطلقك أو تباركنى . فقال له : ما هو اسمك ؟ فقال : يعقوب . وقال : لا يدعى اسمك يعقوب بل اسرائيل يكون اسمك . من أجل أنك ان كنت قويت مع الله ، فكم بالحرى لك قوة فى الناس ، فسأله يعقوب وقال : عرفنى ما اسمك ؟ فقال له : لم تسأل عن اسمى وباركه فى ذلك المكان . فدعا يعقوب اسم ذلك المكان فنوئيل قائلا : رأيت الله (١) وجها لوجه وتخلصت نفسى » .

وهذا المصارع كان ملكا لما عرفت . واذا لم نقل ذلك يلزم أن يكون اله بنى اسرائيل فى غاية العجز والضعف ، حيث صارع يعقوب الذى هو مخلوقه الى الفجر ، ولم يغلب عليه بدون الحيلة . وقد أطلق لفظ الله والرب وأمثالهما فى أكثر من خمسة وعشرين موضعا من العهد القديم والجديد على غيره سبحانه ، وقد ذكر فى أكثر التراجم الهندية والفارسية كما نقله الفاضل الشيخ رحمت الله الهندى بدل لفظ الله لفظ فرشته الذى هو بالعربية الملك .

وقد أطلق لفظ الاله على موسى فى الأصحاح السابع من سفر الخروج وهو قوله : « فقال الرب لموسى : أنظر فانى قد جعلتك الها لفرعون وهارون أخوك يكون لك نبيا » ومن هنا يظهر ترجيح اليهود

---

(١) فى التوراة السامرية : ان المصارع ملاك الله ، وليس الله نفسه . وكذلك فى سفر هوشع .

على أهل الصليب فى هذه العقيدة ، لأنهم بعـــد سماعهم ما ذكــر ، ما أوصلوه الى رتبة الألوهية بل أبقوه على العبودية كما فعل النصارى بعيسى عليه السلام عند سماعهم بعض الكلمات الموهمة المأولة وجعلوه لـــه الهـــا •

وفى الأصحاح الثالث عشر من سفر الخروج قوله : « وكان الرب يسير أمامهم ليريهم الطريق فى النهار بعمود سحاب وفى الليل بعمود نار ليهديهم الطريق نهارا وليلا ، لم يزل قط عمود السحاب نهارا ولا عمود النـــار ليلا من قدام الشعب » فأطلق على الملك لفظ الرب كما هو مصرح به فى الأصحاح الرابع عشر من السفر المذكور فى قوله : « فانطلق ملاك الله الذى كان يسير قدام عسكر اسرائيل ومشى خلفهم وعمود الغمام أيضا معه فتحول من قدام وجوههم الى ورائهم » ومن ذلك المزمور الحادى والثمانون : « قام فى مجمع الآلهة وفى وسط الآلهة يحكم عليهم ، الى متى تقضون بالظلم وتأخذون بوجوه الخطاة ؟ أحكموا لليتيم والفقير انصفوا المسكين والبائس والفقير وخلصوهما من يد الخاطىء • لم يعلموا ولم يفهموا أنهم فى الظلمة يسلكون تتزلـزل كل أساســات الأرض انا قلت : انكم آلهة وبنو العلى كلكم ، فأنتم مثل النـــاس تموتون وكأحد الأراكنة تسقطون • قم يا ألله واحـكم فى الأرض لأنك أنت ترث جميع الأمم » فقد جاء فيه اطلاق الاله وأبناء الله على العوام فضلا عن الخواص •

وفى الأصحاح الرابع ن الرسالة الثانية لمار «بولس» الى أهل قورنثية قوله : « وان كان انجيلنا مستترا فانما انكتم عن الهالكين الذين فيهم اله العالم هذا ، قد أعمى قلوب الكافرين لئلا يظهر لهم نور الانجيل الذى لمجد المسيح » والمراد على ما زعم علماء البروتستنت الفرقـــة الغالبة من النصارى من اله الدهر : الشيطان • لئلا يلــزم نسبـــة الاعماء بزعمهم الى الله تعالى فيلزم كونه تعالى خالقا للشر ، فقـــد جاء مثل هذا الاطلاق على الشيطان الرجيـــم دون الانســـان على ما زعموه • وفى رســـالة بولس الى أهل فيلبى قوله فى الأصـــحاح

الثالث : « الذين عاقبتهم البوار أولئك الذين بطونهم آلهتهم ومدحتهم فى خزيهم » فأطلق مقدسهم لفظ الاله على البطن •

وفى الأصحاح الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا اطلاق لفظ الله على المحبة ولننقل كلامه وان كان فيه طول فانه لا يخلو ذكره عن فوائد فيما نحن بصدده • قال فى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٤١ م « أيها الأحباء ليحبب بعضنا بعضا لأن المحبة انما هى من قبل الله وكل مودود فهو مولود من الله • وهو يعرف الله ؛ من لم يكن ودود فلم يعرف الله لأن الله محبة ، فبهذا تبين محبة الله فينا أنه الله أرسل ابنه الوحيد الى العالم لنحيا به ، فبهذا هى المحبة ليس كأننا نحن أحببنا الله ، بل انه هو أحبنا أولا ، وأرسل ابنه غفرانا لخطايانا أيها الأحباء اذ كان الله قد أحبنا هكذا ، فبالواجب علينا أن نحب نحن أيضا بعضنا بعضا • أما الله فلم يره أحد قط ، وان نحن أحببنا بعضنا بعضا فان الله حال فينا ومحبته تكون فينا كاملة • بهذا نعلم أننا نحل فيه • وهو أيضا فينا لأنه أعطانا من روحه ونحن رأينا فنشهد بأن الآب أرسل ابنه للعالم مخلصا • وكل من يعترف أن يسوع هو ابن الله ، فان الله حال فيه وهو حال فى الله • ونحن قد عرفنا وآمنا بالمودة التى لله فينا أن الله هو محبة ؛ ومن حل فى المحبة فقد حل فى الله ، وقد حل الله فيه • وبهذا تتم محبة الله معنا كيما يكون لنا طمأنينة فى يوم الدين » •

واطلاق الآلهة على الأصنام كثير جدا فى الكتب السماوية فلا حاجة بنا الى نقل الشواهد ، وكذا اطلاق الرب على المخدوم والمعلم كثير أيضا • ومنه ما فى الأصحاح الأول من انجيل يوحنا : « فقالا ربى تفسيره يا معلم أين تسكن ؟ » •

اذا علمت ما ذكرناه فقد حصلت المعرفة التامة لك أنه لا يجوز ولا يصح لذى عقل أن يستدل باطلاق بعض هذه الألفاظ على بعض

الحوادث التى حدوثها وتغيرها وعجزها من المحسوسات أنه اله أو ابن الله وأن الله حل فى ذلك الحادث . وينبذ جميع البراهين العقلية القطعية وكذا البراهين النقلية وراء ظهره .

الأمر الخامس : ان وقوع المجاز فى غير المواضع التى مر ذكرها كثير ، مثل قوله لابراهيم فى الأصحاح الثالث عشر من سفر التكوين: « وأجعل نسلك مثل تراب الأرض ، فان استطاع أحد من الناس أن يحصى تراب الأرض فانه يستطيع أن يحصى نسلك » وقوله له أيضا: « أباركك وأكثر نسلك كنجوم السماء ومثل الرمل الذى على شاطىء البحر » وفى الأصحاح الثالث من سفر الخروج فى مدح الأرض التى كان لله قد وعد باعطائها قوله « يسيل فيها اللبن والعسل » مع أنه لا أرض فى الدنيا كذلك . وأمثال هذا كثير جداً .

وأهل الكتاب يأولون ذلك وأمثاله ويعترفون بكثرة وقوع المجاز والاستعارات فى الكتب السماوية . قال صاحب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين فى الفصل الثالث عشر من كتابه كما نقله صاحبنا العلامة الشيخ رحمت الله سلمه الله تعالى ما نصه : « واما اصطلاح الكتاب المقدس فانه ذو استعارات وافرة غامضة وبخاصة العهد العتيق » ثم قال : « واصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعارى جدا وخاصة مسامرات مخلصنا . وقد اشتهرت اراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمى النصارى شرحوها شرحا حرفيا ولأجل ذلك تتقدم بعض أمثال لنرى بها أن تأويل الاستعارات حرفيا ليس صوابا ، وذلك كقول المسيح عن هيرودس : « اذهبوا وقولوا لذلك الثعلب » فمن المعلوم أن المراد بلفظة الثعلب فى هذه العبارة جبار ظالم لأن ذلك الحيوان المدعو هكذا معروف بالحيلة والغدر وأيضا : قال ربنا لليهود « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، فكل من أكل من هذا الخبز يحيى الى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطيه هو جسدى سوف أعطيه لحياة العالم » من الأصحاح السادس من انجيل يوحنا . فاليهود الشهوانيون فهموا هذه العبارة بالمعنى الحرفى . وقالوا : كيف يقدر

هذا الرجل أن يأتينا جسده لنأكله ؟ ولم يلاحظوا أنه عنى بذلك ذبيحته التى وهبها كفارة لخطايا العالم •

وقد قال مخلصنا أيضا عن الخبز عند تعيينه العشاء السرى : « هذا هو جسدى » وعن الخمر « هذا هو دمى » من انجيل متى الأصحاح السادس والعشرين • فمنذ الدهر الثانى عشر جعلت الرومانيون الكاثوليكيون لهذا القول معنى آخر معكوسا ومغائرا لشواهد أخرى فى الكتب المقدسة وللدليل الصحيح ، وحتموا أن ينتجوا من ذلك تعليمهم عن الاستحالة أى تحويل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه الجوهريين عندما يلفظ الكاهن بكلمات التقديس الموهوم ، مع أنه قد يظهر لكل الحواس الخمسة أن الخبز والخمر باقيان على جوهرهما ولم يتغيرا فأما التأويل الصحيح لقول ربنا فهو أن الخبز يمثل جسده والخمر يمثل دمه » انتهى كلامه بلفظه

فاعترافه بين لا خفاء فيه أن التأويل واجب عند استحالة الظاهر ، وقد رد به على سائر اخوانه النصارى القائلين بأن من أكل هذا الخبز وشرب هذا الخمر فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه حقيقة ، وقدر فى الكلام مضافا • وهو لفظ مثل • وقد يقال هنا للبروتستان المجمعين على أن المراد من قول المسيح أكل لحمى وشرب دمى : ذبيحته التى وهبها كفارة لخطايا العالم ، وأن عقيدة الرومانيين الكاثوليكيين بحمل ذلك على ظاهره ظاهر البطلان بشهادة الحس والعقل فاجماعكم على التثليث وأن الأقانيم ثلاثة بحق وواحد بحق مثل عقيدة اخوانكم الرومانيين الكاثوليكيين الذين هم أكثر منكم عددا بمسألة الخبز والخمر ، واستحالتهما بعد أن يقرأ القسيس عليهما الى لحم المسيح الاله ودمه •

وحيث أن هذه المسألة من أغرب المسائل الاعتقادية للنصارى وموازنة لمسألة التثليث فى البطلان بالبداهة ، فلنستوف على شرحها وردها المقال ليتبين لكل ذى عقل ويتميز الحال • قال فى انجيل متى

فى الأصحاح السادس والعشرين : « ولما كان المسا اتكأ مع تلاميذه الاثنى عشر ، وفيما هم يأكلون • قال : الحق أقول لكم : ان واحـد منكم سيسلمنى فحزنوا جدا وبدوا كل واحد منهم يقول : لعلى أنـا هو يارب ؟ فأجاب وقال : ان الذى يجعل يده معى فى الصفحة هـو يسلمنى وابن الانسان سلمنى كما كتب من أجله ؛ أما الويـل لذلك الانسان الذى يسلم ابن الانسان • خير له لو لم يولد ذلك الانسان• فأجاب يهوذا مسلمه وقال : لعلى أنا هو يا معلم ؟ فقال له : أنت قلت• وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطى تلاميذه ، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم وقال : اشربوا من هذا كلكم لأن هذا : هو دمى عهدا جديـدا الذى يهراق عن كثير لمغفرة الخطايا • فأقول لكم : اننى لا أشرب من الآن من عصير الكرمة هذا الى ذلك اليوم الذى فيه شربه معكم جديدا فى ملكـوت أبى ، فسبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون » •

وفى الأصحاح السادس من انجيل يوحنا قوله : « الحق أقول لكم : انه من يؤمن بى له الحياة الدائمة أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن فى البرية ، وماتوا • هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ، حتى أن الذى يأكل منه لا يموت • أنا هو الخبز الحى الذى نزلت من السماء ، ومن أكل من هذا الخبز يحيا الى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطيه هـو جسدى من أجل حياة العالم ، فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله ؟ فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه ليست لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الدائمة ، وأنا اقيمه فى اليوم الآخر لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق ، من يأكـل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه ، كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى من أجل الآب • ومن يأكلنى فانه يحيا من أجلى • هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ، ليس كالذى أكل آباؤكم المن وماتوا • فمن يأكل هذا الخبز يعيش الى الأبد • قال هذا فى المجمع وهو يعلم فى كفـر ناحـوم » •

فأهل الصليب اذا قرأ القسيسون على الخبز والخمر وقدسوهما قسموها على ألوف من النصارى بزعم أن هذا الخبز والخمر قد استحال كل منهما الى لحم المسيح ودمه ، فمن أكل شيئا وشرب شيئا من ذلك فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه حقيقة يفعلون ذلك فى كل سنة وفى كل شهر ، وان أرادوا فى كل يوم غير الفرقة القليلة المعروفة ببيروتستنت الشهيرة ببيروتستانت فانهم لا يعتقدون الحقيقة فى ذلك كما تقدم آنفا •

وهذا الاعتقاد مع كونه بديهى البطلان ظاهر الفساد • لكل من له عينان ، نذكر لابطاله وجوها : **الوجه الأول : أن الأناجيل لم تنقل اليهم بالخبر المتواتر** ، واربعة فيها اختلاف كثير ، **وأن تراجمها** مختلفة جداً بالزيادة والنقصان ، وأن كثيرا منها قد حرف وبدل ، **وأنها** لم تجمع فى أيام المسيح ، وأن فيها ما هو واجب التأويل والحمل على المجاز والاستعارة والقول بظاهره محال ، كما مضى بعض ذلك ، وستأتى تتمة الكلام على هذا كله فى محلها ان شاء الله تعالى •

الثانى : ان الكنيسة الرومانية تزعم أن الخبز وحده يستحيل الى جسد المسيح ودمه ويصير مسيحا كاملا • فيقال لهم : اذا استحال على زعمكم مسيحا كاملا حيا بلاهوته وناسوته الذى أخذه من مريم ، فلابد أن يشاهد فيه عوارض الجسم الانسانى ويوجد فيه بعض اجزائه ، لكنها لا توجد فيه بل جميع عوارض الخبز باقية الآن كما كانت ، فاذا نظره أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحس شيئا غير الخبز ، واذا طرأ عليه الفساد يطرأ عليه الفساد الذى يطرأ على الخبز ، لا الفساد الذى يطرأ على اللحم والعظم والدم الانسانى • فلو ثبتت الاستحالة تكون استحالة المسيح خبزا لا استحالة الخبز مسيحا • فلو قال : ان المسيح استحال خبزا ، لكان أقل بعدا من هذا ، وان كان كل منهما باطلا بالبداهة •

الثالث : ان حضور المسيح بلاهوته فى أمكنة متعددة فى آن واحد •

ان كان ممكنا فى زعمهم فهو باعتبار ناســوته غير ممكن ، لأن اللحـم والدم راجعان الى الناسوت • والتعجب : أنه قبل عروجه ما وجـد بهذا الاعتبار فى مكانين فضلا عن الأماكن التى لا يمكن عدها • وكـذا بعد خروجه • فكيف يوجد بعد قرون عديدة بعد اختراع هذا الاعتقاد الباطل باعتبار المذكور فى أمكنة غير محصورة فى آن واحد ؟

الرابع : اذا فرضنا أن مليونات من الكهنة فى العالم قدسوا فى آن واحد ، وقرأ كل منهم على الخبز والخمر فاستحالا الى المسيح الذى تولد من مريم وهو ابن الانسان بنص الأناجيل • فلا يخلو اما أن يكون كل من هؤلاء المسيحيين الحادثين عين الآخر ، أو غيره • والثانى باطل على زعمهم • والأول باطل أيضا فى نفس الأمر بالبداهة ، لأن كل مادة غير مادة الآخر •

الخامس : اذا استحال الخبز مسيحا كاملا تحت يـد الكاهن فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة وأجزاء صغارا ، فلا يخلو اما أن ينقطع المسيح على عدد الكسرات والأجزاء أو تستحيل كل واحدة منها مسيحا كاملا أيضا • فعلى الأول لا يكون المتنـاول متناولا مسيحـا كاملا ، وعلى الثانى من أين جاءت هؤلاء المسـحاء ؟ لأنه ما حصـل بالتقدمة التى من التقسيس الا المسيح الواحد •

السادس : لو كان العشاء الربانى الذى كان قبل صـلبه بزمـان يسير ، نفس الذبيحة التى حصلت على الصليب ، لزم أن يكون كافيا لخلاص العالم ، فلا حاجة الى أن يصلبه اليهود مرة أخرى لأن المسيح على زعمهم ما جاء الى العالم الا ليخلص الناس بذبيحته مرة واحدة•وما أتى لكى يتألم مرارا كما تصرح به عبارة الأصحاح التاسع من الرسالة العبرانية ونصها : « ولم يدخل يسوع الى بيت قدس عملته الأيادى شبه الخلق بل الى السماء بعينها ليترايا الآن عنا قدام الله ، ولا ليقرب نفسه مرارا كثيرة كما كان رئيس الأحبار يدخل كل سنة الى القدس

بدم غيره ، ولولا ذلك لكان حقيقيا أن يألم مرارا كثيرة منذ بدء العالم ، ولكنه الآن فى انتهاء العالمين • بذبيحته ظهر مرة واحدة ليبطل الخطيئة، وكما حتم على الناس أن يموتوا مرة واحدة ، ثم من بعــد هذا هو الدائن ، هكذا المسيح قرب نفسه مرة واحدة ليرفع خطايا كثيرين ، وسيظهر المرة الثانية بلا خطيئة للذين يترجونه للخلاص » •

السابع : ذكر فى الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا قــول المسيح فى العشاء الربانى : « اصنعوا هذا لذكرى » فلو كان هــذا العشاء هو نفسى الذبيحة ، لما صح أن يكون تذكرة ، لأن الشىء لايكون تذكرة لنفسه •

الثامن : لو صحت دعواهم ، لزم أن يكون المسيحيــون أخبث من اليهود ، لأن اليهود ما آلموه الا مرة واحدة • وقد ترتب عليها تخليصه للعالم من الخطيئة ، وما أكلوا لحمــه ولا شربوا دمــه • وهــؤلاء النصارى يدعون أنه اله ويؤلمونه ويذبحونه ويأكلون لحمه ويشربون دمه كل يوم فى أماكن عديدة • فاذا كان القاتل للمسيح مرة واحدة ، بزعم أنه كذاب وغير نبى ، يكون كافرا وملعونا ، فما بال الذين يدعون أنه اله حق ، ويأكلون لحمه ويشربون دمه حقيقة لا يكونون كافرين ملعونين ؟ وليست شعرى كيف يكون الها من هو بهذه الدرجة من لضعف، ويستولى عليه اليهود ويصلبونه ؟ ثم النصارى فى كل يوم يأكلــون لحمه حقيقة ويشربون دمه الحقيقى ، ولا يقدر على خلاص نفسه ، وان صعد الى السماء •

فنسأل الله تعالى العفو والعافية والدوام على عقيــدة الاســلام الصافية ، ويحفظنا من أقوال هى أشبه بأقوال المجانين ، وخيــالات الممسوسين ، وفوق أقوال الكفرة المتقدمين والمتأخرين • آمين • ولعل لنا ان شــاء الله تعالى عودة الى ما يتعلق أيضا • بهذه العقيدة العجيبة التى هى على المثلثين أعظم مصيبة •

ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول :

الأمر السادس : كان الاجمال يوجد فى كثير من أقوال المسيح عليه السلام بحيث لا يفهمها معاصروه وتلاميذه فى كثير من الأحيان ، مالم يفسره لهم بنفسه • فما فسره منه فهموه ، وما لم يفسره منه فهموا بعضه بعد مدة مديدة ، وبقى البعض عليهم مبهما الى آخر الحيـــاة • وهـــو كثير •

وسنورد هنا ان شاء الله تعالى بعضه ليستدل الناظر فيه على غيره•

فمن ذلك ما فى الأصحاح الثانى من انجيل يوحنا عند مكالمة المسيح عليه السلام لليهود الذين كانوا يطلبون منه معجزة من قوله : « أجاب يسوع وقال لهم : انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه • فقالوا : فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل ، أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه ؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده • فلما قام من الأمـــوات تذكـــر تلاميذه أنه قال هذا • فآمنوا بالكتاب ، والكلام الذى قاله يسوع »•

فهاهنا لم يفهم التلاميذ فضلا عن اليهود ، ولكن فهم التلاميـــذ بعد ما قام من الأموات •

وفى الأصحاح الحادى عشر من انجيل يوحنا حينمـــا مـــات لعازر ما نصه : « قال لهم : لعازر حبيبنا قد نام • لكنى أذهب لأوقظه • فقال تلاميذه : يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى • وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم • فقال لهم يسوع حينئـــذ علانية : لعازر مات » • ثم ان المسيح أحياه من قبره بعد موته بأربعة أيام على ما فى انجيل يوحنا • فلم يفهم تلاميذ المسيح عليه الســـلام كلامه حتى صرح به • وفى الأصحاح السادس عشر من انجيل متى ما نصه : « وهو قال لهم : انظروا وتحـــرزوا من خمـــير الفريسيين والزنادقة أما هم فكانوا يفكرون فى نفوسهم قائلين : اننا لم نأخـــذ خبزا ، فعلم يسوع وقال ماذا تفكرون فى نفوسكم يا قليلى الايمان

انه ليس معكم خبز » الى أن قال : « فحينئذ فهموا أن يتحرزوا من تعليم الفريسيين والزنادقة » •

وههنا أيضا لم تفهم تلاميذه مقصوده قبل التنبيه • وأمثال هذا كثيرة جدا • ولو أردنا استقصائها لطال منا الكلام • وفى هذا كفـاية لذوى الأفهـام •

الأمر السابع : اذا تعارض القولان فلابد من اسقاطهما ان لم يمكن التأويل ، أو من تأويلهما ان أمكن ، ولابد أن يكون التـأويل بحيث لا يستلزم المحال أو الكذب • مثلا : الآيات الدالة على الشكل والجسمية تعارضت ببعض الآيات الدالة على التنزيه ، فيجب تأويلها • كمـا عرفت فى الأمر الثالث ، لكن لابد أن لا يكون التأويل بأن الله متصف بصفتين أعنى الجسمية والتنزيه ، وان لم تدرك عقولنا هذا الأمر ، فان هذا التأويل باطل محض ، كما قالوا لا يرفع التناقض ، حتى أن ما ورد فى القران الكريم من الآيات المتشابهات لا يراد بها ظاهرهـا من الجسمية والمكان ، بل تأول تأويلا مناسبا أو تفوض الكيفية الى عالمها البارى سبحانه ، ويؤمن المؤمن بها من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تكييف ولا تعطيل • كما قال سبحانه : « **ليس كمثله شىء وهـو السـميع البصـير** » فأول الآيـة رد على المشـبهة وآخرها رد على المعطلة • كما قال الجمهور • وهذه المسألة وان كانت يحتاج بسطهـا الى سفر كبير الا أنا نكتفى هنا بهذه الاشارة اكتفاء بالوشل عن الغدير

الأمر الثامن : أن العدد ، لما كان قسما من الكم لا يكون قائمـا بنفسه بل بالغير ، وكل موجود لابد أن يكون معروضا للوحدة أو الكثرة والذوات الموجودة الممتازة بالامتياز الحقيقى المتشخصـة بالتشخص تكون معروضة للكثرة الحقيقية ، فاذا صارت معروضة لها لا تكـون معروضة للوحدة الحقيقية ، والا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين • وهو محال كما لا يخفى •

الأمر التاسع : المنازعة بيننـا وبين أهل التثليث لا تتحقق ما لم

يقولوا : ان التوحيد والتثليث كليهما حقيقيان ، وان قالوا : التثليث حقيقى والتوحيد اعتبارى . فلا نزاع بيننا وبينهم فى ذلك ، لكنهم يقولون : ان كلا منهما حقيقى ، كما صرح به هذا النصرانى « عبد المسيح » فيما تقدم ، بقوله : « فهى ثلاثة بحق ، وواحد بحق » والنصرانى صاحب ميزان الحق أيضا فى الباب الأول من كتابه المسمى بحل الاشكال قال : « ان المسيحيين يحملون التوحيد والتثليث كليهما عن المعنى الحقيقى » .

الأمر العاشر : قال العلامة المقريزى فى كتابه المسمى بالخطط فى بيان الفرق المسيحية التى كانت فى عصره : « النصارى فرق كثيرة . الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبوذعانية والمرقولية . وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحى حران وغير هؤلاء » ثم قال : «والملكانية واليعقوبية والنسطورية كلهم متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم . وهذه الأقانيم الثلاثة هى واحد ، وهو جوهر قديم ، ومعناه آب وابن وروح القدس ، اله واحد » ثم قال : « قالوا الابن اتحد بانسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحدا ، وأن المسيح هو اله العباد وربهم . ثم اختلفوا فى صفة الاتحاد . فزعم بعضهم : أنه وقع بين جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى اتحاد ، ولم يخرج الاتحاد كل واحد منهما عن جوهريته وعنصره ، وأن المسيح انه معبود وأنه ابن مريم الذى حملته وولدته ، وأنه قتل وصلب . وزعم قوم : أن المسيح بعد الاتحاد جوهران أحدهما لاهوتى ، والآخر ناسوتى ، وأن القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، وأن مريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته . وهذا قول النسطورية ثم يقولون : ان المسيح بكماله اله معبود ، وأنه ابن الله — تعالى عن قولهم — وزعم قوم : أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتى وناسوتى . فالجوهر اللاهوتى بسيط غير منقسم ولا متجزىء . وزعم قوم : أن الاتحاد على جهة حلول الابن فى الجسد ، ومخالطته اياه . ومنهم من زعم أن الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش اذا وقع

على طين أو شمع ، وكظهور صورة الانسان فى المرآة •

الى غير ذلك من الاختلاف الذى لا يوجد مثله فى غيرهم • والملكانية تنسب الى ملك الروم وهم يقولون : ان أحدا اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد • واليعقوبية تقول : انه واحد قديم وانـــه كان لا جسم ولا انسان ثم تجسم وتأنس • والمرقولية قالـــوا : الله واحد ، علمه غيره قديم معه ، والمسيح ابنه على جهة الرحمة • كمـــا يقال : ابراهيم خليل الله » انتهى كلامه بلفظ

قال صاحبنا العلامة فى اظهار الحق : « فظهر لك أن آراءهم فى بيان علاقة الاتحاد بين أقنوم الابن وجسم المسيح كانت مختلفة فى غايـــة الاختلاف • ولذا ترى البراهين الموردة فى الكتب القديمة الاســـلامية مختلفة ، ولا نزاع لنا فى هذه لعقيدة مع المرقولية الا باعتبار اطلاق اللفظ الموهم وفرقة البروتستنت لما رأت أن بيان علاقة الاتحاد لايخلو عن الفساد البين ، تركوا آراء الأسلاف وعجزوا أنفسهم واختـــاروا السكوت عن بيانها ، وعن بيان العلاقة بين الأقانيم الثلاثة » •

الأمر الحادى عشر : أن عقيدة التثليث لم تكن فى أمـــة من الأمم السالفة من لدن ادم عليه السلام الى زمن رفع المسيح عليه الســـلام حتى جاءت النصارى وتمسكوا للتثليث بآيات من سفر التكوين وغيره لا تقوم بها الحجة ، لما علمت وتعلمه من التحريف للمعنى والألفاظ ، أو لبعد ما يقصدونه من الأغراض • وقد ثبت بالدلائل القطيعة المسلمة لدى الخصم أن مسألة التثليث لم تكن معلومة فى أمة من الأمم • ومن طالع التوراة علم أن هذه العقيدة • لم تكن فى بنى اسرائيل قطعا ، حتى أن يحيى عليه السلام كان الى أواخر عمره شاكا فى المسيح عليه السلام ، وأنه هل هو المسيح(١) الموعود به أم لا ؟ كمـــا صرح به فى الأصحاح الحادى عشر من انجيل متى ونصه : « وكان لمـــا أكمل يسوع

(١) المسيح الموعود به هو المسيا ، بلغة بنى اسرائيل • وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينا فى كتابنا المســـيا المنتظر — نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة •

أمره لتلاميذه الاثنى عشر ، انطلق من هناك ليعلم ويبشر فى مدنهم • فلما سمع يوحنا فى السجن بأعمال المسيح أرسل اليه اثنين من تلاميذه قائلا له : أنت هو الآتى أم نترجى آخر ؟ فأجاب يسوع وقال لهما : اذهبا وأخبرا يوحنا بما سمعتما ورأيتما : أن العميان يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون • وطوبى لمن لا يشك فى » •

فلو كان عيسى الها يلزم كفر يحيى عليه السلام اذ الشك فى الاله كفر ، وكيف يتصور أن النبى لا عرف الهه ، بل هو على ما فى هذا الأصحاح أشرف الأنبياء لشهادة المسيح له بقوله : « أقول لكم : لم يقم فى مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان » واذا لم يعرف الأفضل مع كونه معاصرا ، فعدم معرفة السابقين أولى •

ومن المعلوم أن ذات البارى سبحانه وصفاته الكمالية قديمة غير متغيرة موجودة أزلا وأبدا ، فلو كان التثليث حقا ، لكان الواجب على موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام أن يبينوه ويصرحوا به ، لان ذلك مدار النجاة على زعم المثلثين • والعجيب أيضا : أن عيسى لم يبين ذلك الى وقت عروجه ببيان واضح ، بأن يقول مثلا : ان الله ثلاثة أقانيم الآب والابن وروح القدس ، وأقنوم الابن تعلق بجسمى بعلاقة فلانية ، أو بعلاقة فهمها خارج عن ادراك عقولكم ، فاعلموا أنى أنا الله لا غير لأجل العلاقة المذكورة ، أو يقول : نحو هذا فيما يفيد المعنى صراحة ، وليس فى أيدى المثلثين من أقواله الا بعض أقوال متشابهة مأولة مطعون فى صحتها عنه ، كما أوضحناه سابقا ، وسنزيده بيانا ان شاء الله تعالى فى محله لاحقا •

وأجاب بعض النصارى عن عدم تصريحه بذلك بأجوبة أوهن من بيت العنكبوت وانه لأوهن البيوت • فمن ذلك : ما أجاب به النصرانى صاحب ميزان الحق فى كتابه المسمى بمفتاح الأسرار بقوله : « ان قلت لم لم يبين المسيح ألوهيته ببيان أوضح مما ذكر ؟ ولم لم يقل : واضحا

ومختصرا انى أنا الله لا غير ؟ قلنا : بانه ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة والوحدانية قبل قيامه يعنى من الأموات وعروجه ، فلو قال صراحة لفهموا أنه انه بحسب الجسم الانسانى . وهذا الأمر كان باطلا جزما ، فدرك هذا المطلب أيضا من المطالب التى قال فى حقها لتلاميذه : « ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذلك روح الحق(١) فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كما يسمع يتكلم ويخبركم بأمور آتية » ثم قال : ان كبار ملة اليهود أرادوا مرارا أن يأخذوه ويرجموه . والحال أنه ما كان بين ألوهيته بين أيديهم الا على طريق الألغاز » .

فعلم من كلامه عذران : **الأول** : عدم قدرة فهم أحد قبل العروج . والثانى : خوف اليهود . وكلاهما كحبال القمر .

أما الأول : فانه يكفى لدفع الشبهة أن يقول : ان علاقة الاتحاد التى بين جسمى وبين أقنوم الابن فهمها خارج عن وسعكم ، فاتركوا البحث عنها واعتقدوا بأنى لست الها باعتبار الجسم ، بل اله بعلاقة الاتحاد المذكور ، وأما نفس عدم القدرة على فهمها ، فباقية بعد العروج أيضا . حتى لم يعلم عالم من علمائهم الى هذا الوقت كيفية هذه العلاقة والوحدانية . ومن قال ما قال فقوله رجم بالغيب لا يخلو عن مفسدة عظيمة ومناقضات جسيمة . ولذا ترك علماء الفرقة البروتستانية بيانها بالكلية . وهذا القسيس يعترف فى مواضع من تصانيفه بأن هذا الأمر من الاسرار الخارجة عن درك العقول .

وأما الثانى : فلأن المسيح عليه السلام ما جاء عندهم الا ليكون كفارة لذنوب خلقه ويصلب بأيدى اليهود وكان يعلم أنهم يصلبونه ومتى يصلبونه ، فأى محل بقى للخوف فى بيان هذه العقيدة ؟

والعجب أن خالق الأرض والسماء والقادر على جميع ما يشاء ،

---

(١) روح الحق ، لقب لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يخاف من اليهود الذين هم أذل عباده ، ولا يبين هذه العقيدة التى هى مدار نجاة عباده من الأنبياء وغيرهم • وعبيده من الانبياء مثل ارمياء وأشعياء ويحيى عليهم السلام لا يخافون أحداً فى بيان الحق ، وينالون الايذاء الشديد ويقتل بعضهم لذلك • **وأعجب منه أن المسيح يخاف** منهم فى بيان هذه المسألة العظيمة ، ويشدد عليهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر غاية التشديد ، حتى أنه ينالهم منه السب بالمواجهة، والشتم بالمشافهة • ويخاطب الكتبة والفريسيين كما فى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى ونصه : « حينئذ كلم يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن مثل أعمالهم لا تصنعوا لأنهم يقولون ولا يفعلون • وكل أعمالهم يصنعونها لكى يتراءوا للناس ، ويعظمون أطراف ثيابهم ويحبون المتكأ الأول فى العشاء، وصدور المجالس فى المجامع ، والسلام فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدى ، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل بتطويل صلواتكم ، أيها العميان • الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل ، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون القبور المكلسة التى تتراءى للناس من خارجها حسنة ، من داخلها مملوءة عظام أموات وكل نجس ، كذلك أنتم تتراءون للناس من ظاهر صديقين ، فأما من داخل فأنتم مملوءون رياء واثما • أيها الحيات والأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ » •

ومثله فى انجيل لوقا وفيه : أن بعضهم قال له : « يا معلم اذا قلت هذا تشتمنا نحن أيضا ، فقال : وأنتم أيها لكتبة » فكيف يظن بالمسيح عليه السلام وحاشاه أن يترى بيان العقيدة التى هى مدار النجاة لأجل خوفه منهم ؟ فبين من أقوال علماء النصارى أن المسيح عليه السلام ما بين هذه المسألة لليهود قط الا بطريق الألغاز ، وأنهم كانوا ينكرون هذه العقيدة أشد الانكار حتى أنهم أرادوا رجمه عن هذا البيان الالغازى •

ولنرجع الى ابطال أصل المسألة المنعقدة لها الفصول • فنقول

الفصـــل الأول

فـــى

ابطال التثليث بالبراهين العقلية

البرهان الأول : لما كان التثليث والتوحيد حقيقيين عند المسيحيين ، وصرح به أيضا « عبد المسيح » فى كتابه هذا من قوله : « هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد ». وقوله : « فهى ثلاثة بحق وواحد بحق » كمـــا تقدم • فاذا وجد التثليث الحقيقى لابد من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضا • ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقى ، والا يلـــزم اجتماع الضدين الحقيقيين • وهو محال ، كما مر آنفا • فلزم تعـــدد الوجباء وفات التوحيد يقينا • فالقائل بالتثليث لا يمكن أن يكون موحدا لله سبحانه وتعالى بالتوحيد الحقيقى • والقول بأن التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى(١) : وان كانا ضدين حقيقيين فى غير الواجب تعالى، لكنهما فيه ليس كذلك : سـفسطة محضة لأنــه اذا ثبت أن الشيئين بالنظر الى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان فى نفس الأمر ، فلايمكن اجتماعهما فى أمر واحد شخصى فى زمان واحد من جهة واحدة ، واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب • كيف والواحـــد الحقيقى ليس له ثلث صحيح والثلاثة لها ثلث صحيح • وهو واحد ، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة ، والواحد الحقيقى ليس مجموع آحاد رأسا وأن الواحد الحقيقى جزء الثلاثة ، فلو اجتمعا فى محل واحد يلزم كون الجزء كلا والكل جزء ، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله تعالى مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل ، لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ، والكل مركب ، فكل جزء من أجزائه أيضا مركب من الأجزاء التى تكون عين هذا الجزء• وهلم جرا • وكون الشىء مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعا، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفســه والثلاثـــة ثلث

---

(١) لاحظ أن نصارى الارثوذكس يقولون بواحد ، انقلب الى مسيح • وراجع كتاب اقانيم النصارى فى هذا الموضوع •

الواحد ، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة . وهو باطل بالبداهة أيضا .

البرهان الثانى : لو وجد فى ذاته سبحانه ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى ، كما قالوا فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء ، يلزم أن لا يكون لله حقيقة محصلة ، بل مركبا اعتباريا فان التركيب الحقيقى لابد فيه من الافتقار بين الأجزاء . فان الحجر الموضوع بجنب الانسان لا يحصل منه أحدية ، ولا افتقار بين الواجبات لأنه من خواص الممكنات . فالواجب لا يفتقر الى الغير ، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره . وان كان داخلا فى المجموع . فاذا لم يفتقر بعض الأجزاء الى بعض اخر ، لم تتألف منها الذات الأحدية ، على أنه يكون الله سبحانه وتعالى فى الصورة المذكورة مركبا ، وكل مركب يفتقر فى الحقيقة الى تحقق كل واحد من أجزائه . والجزء عين الكل بالبداهة ، فكل مركب مفتقر الى غيره ، وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته ، فيلزم أن يكون الله سبحانه ممكنا لذاته . وهو باطل قطعا .

البرهان الثالث : اذا ثبت الامتياز الحقيقى بين الأقانيم . فالأمر الذى حصل به هذا الامتياز اما أن يكون من صفات الكمال ، أو لايكون. فعلى الشق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه بينهم ، وهو خلاف ما تقرر عندهم : أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال ، وعلى الشق الثانى فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال . وهذا نقصان يجب تنزيه البارى سبحانه عنه.

البرهان الرابع : الاتحاد بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى اذا كان حقيقيا ، لكان أقنوم الابن محدودا متناهيا . وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنا . وكل ما كان كذلك ، كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر . وكل ما كان كذلك ، فهو محدث ، فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثا ، ويستلزم حدوثه حدوث الله تعالى .

البرهان الخامس : مذهب اليعقوبية أنه واحد قديم ، وأنه كان

لا جسم ولا انسان ، ثم تجسم وتأنس بديهى البطلان لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحادث والمجرد بالمادى • وأما مذهب غيرهم القائلين باتحاد المختلفين بصفة ، فيقال فى ابطاله : ان هذا الاتحاد اما بالحلول أو بغيره فان كان الأول فهو باطل من وجوه ثلاثة على وفق عدد التثليث•

أمــا أولا : فلأن ذلك الحلول لا يخلو ما أن يكون كحلول ماء الورد فى الورد والدهن فى السمسم والنار فى الفحم • وهذا باطل ، لأنه انما يصح لو كان أقنوم الابن جسما • وهم وافقونا على أنه ليس بجسم• واما أن يكون كحصول اللون فى الجسم • وهذا أيضا باطل لأن المعقول من هذه التبعية حصول اللون فى الحيز لحصول محله فى هذا الحيز • وهذا أيضا انما يتصور فى الأجسام واما أن يكون كحصول الصفــات الاضافية للذوات • وهذا أيضا باطل ، لأن المعقول من هــذه التبعية الاحتياج فلو ثبت حلول أقنوم الابن لهذا المعنى فى شىء كان محتاجا ، فكان ممكنا ، فكان مفتقرا الى المؤثر وذلك محال •

واذا ثبت بطلان جميع التقادير امتنع اثباته •

وامــا ثانيا : فلأنا لو قطعنا النظر عن معنى الحلول نقول ان أقنوم الابن لو حل فى الجسم ، فذلك الحلول اما أن يكون على سبيل الوجوب أو على سبيل الجواز • لا سبيل الى الأول لأن ذاته اما أن تكون كافية فى اقتضاء هذا الحلول أو لا تكــون كافيــة فى ذلك • فان كان الأول استحال توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط ، فيلزم اما حدوث الله أو قدم المحل وكلاهما باطلان • وان كان الثانى كان كونه مقتضيا لذلك الحلول أمرا زائدا على ذاته حادثا فيه • فيلزم من حدوث الحلول حدوث شىء فيه ، فيكون قابلا للحوادث • وذلك محال ، لأنه لو كان كذلك لكانت تلك القابلية من لوازم ذاته ، وكانت حاصلة أزلا • وذلك محال : لأن وجود الحوادث فى الأزل محال • ولا سبيل الى الثانى لانه على هذا التقدير يكون ذلك الحلول زائدا على ذات الأقنوم • فاذا حل

فى الجسم وجب أن يحل فيه صفة محدثة ، وحلولها يستلزم كونه قابلا الحوادث • وهو باطل كما عرفت •

وأمـا ثالثا : فلأن أقنوم الابن اذا حل فى جسم عيسى عليه السلام فلا يخلو اما أن يكون باقيا فى ذات الله سبحانه أيضا أولا • فان كان الأول لزم أن يوجد الحال الشخصى فى محلين ، وان كان الثانى لزم أن يكون ذات الله تعالى خالية عنه ، فينتفى • لأن انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل ، وان كان ذلك الاتحاد بدون الحلول ، فنقول : ان أقنوم الابن اذا اتحد بالمسيح عليه السلام فهما فى حال الاتحاد ان كانـا موجودين فهما اثنان لا واحد ، فلا اتحاد ، وان عدما وحصل ثالث فهو أيضا لا يكون اتحادا ، بل عدم الشيئين وحصل شىء ثالث • وأن بقى أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود ، لأنه يستحيل أن يقال : المعدوم بعينه هو الموجود • فظهر أن الاتحاد محال • ومن قال : ان الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم اذا وقع على طين أو شمع أو كظهور صورة الانسان فى المرآة فقوله لا يثبت الاتحاد الحقيقى ، بل يثبت التغاير ، لأنه كما أن كتابة الخاتم الظاهرة على طين أو شمع ، غير الخاتم ، وصورة الانسان فى المرآة غير الانسان ، فكذلك يكون أقنوم الابن غير المسيح عليه السلام بل غاية ما يلـزم أن يكون ظهور أثر صفة الأقنوم فيه أكثر من ظهوره فى غيره ، كما أن ظهور تأثير شعاع الشمس فى بعض الأحجار التى تتولد منها الجواهر المعروفة أزيد من تأثيره فى الأحجار التى هى غير تلك الأحجار •

البرهان السادس : فرقة : البروتستنت ترد — كما تقـدم — على فرقة الكاثوليك فى استحالة الخبز الى المسـيح فى العشـاء الربانى بشهادة الحس ، وتستهزىء بها • فهذا الرد والهزؤ يرجعان اليهـا أيضا لأن الذى رأى المسيح ما رأى منه الا شخصا واحـدا انسانيا يأكل ويشرب وينمو ويتألم ، ولحقته جميع العوارض البشرية • وتكذيب أصدق الحواس الذى هو البصر عين السفسطة فى الضروريات ، فيكون القول به باطلا كالقول باستحالة الخبز الى المسيح والخمر الى دمه •

والجهلاء من المسيحيين من أية فرقة من فرق أهل التثليث قد ضلوا فى هذه العقيدة ضلالا بينا ولا يميزون بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى، كما يميز بحسب الظاهر علماؤهم ، بل يعتقـدون الوهية المسيح عليـه السلام باعتبار الجوهر الناسوتى ويخبطون خبطا عظيما .

وقد نقل « أنه تنصر من المجوس ثلاثة أشـخاص وعلمهـم بعض القسيسين العقائد الضرورية ، ولا سيما عقيدة التثليث أيضا . وكانوا عنده فجاءه صديق له وسأله عمن تنصر . فقال له : قد تنصر ثلاثـة أشخاص . فسأله : هل تعلموا من العقائد الضرورية شيئا ؟ فقال : نعم . ثم انه طلب واحدا منهم فسأله عن عقيدة التثليث فقال له : انك علمتنى أن الآلهة ثلاثة . أحدهم الذى هو فى السماء ، والثانى تولد من بطن مريم العذراء ، والثالث الذى نزل فى صورة الحمـام ، على الاله الثانى بعد ما صار ابن ثلاثين سنة . فغضب القسيس وطرده . وقال : هذا مجهول . ثم طلب الآخر منهم وسأله . فقال : انك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقى الهان . فغضب عليه أيضا وطرده . ثم طلب الثالث وكان ذكيا بالنسبة الى رفيقيه ، وحريصا على حفظ العقائد . فسأله . فقال : يا مولاى حفظت ما علمتنى حفظا جيدا ، وفهمته فهما كاملا بفضل الرب المسيح ، وعلمت : أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، وصلب واحد منهم ومات(١) . فمات الكل لاجل الأتحاد ، ولا اله الآن والا يلزم نفى الأتحاد »

وأنت تعلم أنه لا تقصير للمسؤلين فان هذه العقيدة يخبط فيهـا الجهلاء منهم هكذا ، يتحير فى تناقضها علمـاؤهم ويعترفـون بأنهم يعتقدون ذلك ولا يفهمون ويعجزون عن تصويرها وبيانها . ومن غير تصور يصدقون .

---

(١) هذه القصة من كتاب أظهار الحق للشـيخ رحمت الله الهندى المؤسس للمدرسة الصولتية فى مكة المكرمة ، والمدرس فى المسجد الحرام .

الفصـــــل الثـــانى

فـــى

ابطال التثليث بأقوال المسيح

وفيما سلم من التبديل من ألفاظ الانجيل
بما فيه الشهادة على عبوديته من الأدلة الواضحة
والاشارات اللائحة بما ساوى به الأنبياء والمرسلين
بشرائع رب العالمين

وذلك كثير جدا فلنقتصر على البعض ، فان المنصف يكتفى بشاهدين والمعاند لا يرضى بالثقلين ، فمنه ما فى الأصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا قول المسيح : « وهذه حياة الأبد أن يعرفوك أنت الاله الحق وحدك ، والذى أرسلته يسوع المسيح » فبين عيسى عليه السلام بهذا الكلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله سبحانه واحد حقيقى ، وأنه رسوله ، ولم يقل ان الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى ، وأن عيسى اله وانسان ، أو أن عيسى اله مجسم ، ولما كان هذا فى خطاب الله فى الدعاء حينما رفع رأسه الى السماء ، وقال: «قد حضرت الساعة وآمنوا أنك أرسلتنى» فلا احتمال هنا للخوف من اليهود ، ولا سيما وقد قال قد حضرت الساعة ، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينة ولما قال : « الاله الحق وحدك» ولما فرق بين المرسل والمرسل،واذا ثبت أن الحياة الأبديةهى اعتقاد التوحيد الحقيقى لله وحده ، واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدهما يكون موتا أبديا وضلالا سرمديا بالبداهة ، لأن التوحيد الحقيقى ضد التثليث الحقيقى ، كما عرفت سابقا ، وكون المسيح رسولا ضد لكونه الها لأن التغاير بين المرسل والمرسل اليه ضرورى ، فهذه الحياة الأبدية والحمد لله تعالى للمسلمين حيث قالوا : آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقالوا : المسيح عبد الله ورسوله ، وأما غيرهم

من ذوى الأديان والنحل فهم محرومون منها كالمجوس ومشركى الهند والصين ، لانتفاء الاعتقادين عنهم ، وأهل التثليث لانتفاء الاعتقاد الأول واليهود لانتفاء الاعتقاد الثانى منهم • فالحمد لله الذى جعلنا أمة وسطا بين المفرط والمفرط ، والمغالى والمنكر ، والمبغض والكافر ، لنكون شهداء على الناس ، ونتحامى عن وسواس كل خناس من الجنة والنــــاس •

ومنـــه ما فى الأصحاح الثانى عشر من انجيل مرقس قوله : « فجاء اليه واحد من الكتبة الذين كان سمعهم يتساءلون ، ونظر اجابته لهم حسنة • فسأله أى وصية أول الكل ؟ فأجابه يســـوع : ان أول كـــل الوصايا اسمع يا اسرائيل الرب الهنا اله واحد هو ، وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل نيتك ومن كل قوتك • هذه أولى الوصايا • والثانية هى مثلها أن تحب قريبك مثلك ليس وصية أخــرى أعظم من هاتين • فقال له الكاتب : جيدا يا معلم ، قلت بالحق أن الله واحد ، وليس آخر غيره » • فعلم أن أول الوصايا أن يعتقد الانسان أن الهه واحد حقيقى ، لا ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقى ، كمـــا زعمت النصارى • ومثل هذا كثير أيضا فى التوراة كما فى الأصحاح الرابع من سفر الاستثناء : « لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره • فاعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الاله فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من تحت وليس غيره » وفى الأصحاح السادس من السـفر المذكـــور : « اسمع يا اسرائيل أن الرب الهنا فانه رب واحد » وفى الأصحـــاح السادس والأربعين من سفر أشعياء « انى أنا الله وليس غيرى الها وليس لى شبيه » •

ومن أقوال المسيح أيضا : ما فى الأصحاح الثالث عشر من انجيـــل مرقس : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الأبن(١) الا الآب » • وهذا القول ظاهر فى بطلان

(١) المراد بالابن : نبوءة المزمور الثانى وقد وضحناها فى كتابنا اقانيم النصارى ـــ فصل اقنوم الابن •

التثليث لا يزيغ عنه الا أعمى البصيرة ، لأن المسيح خصص علم القيامة بالله سبحانه ونفى علمها عن نفسه ، كما نفى عن غيره • وهذا لا يمكن فى صورة كونه الها • ولا سيما اذا لاحظنا أن الكلمة ، وأقنوم الابن عبارتان عن علم الله تعالى وفرضنا اتحادهما بالمسيح وأخذنا هـذا الاتحاد على مذهب القائلين بالحلـول أو على مـذهب اليعقوبيـة القائلين بالانقلاب ، فانه يقتضى أن يكون الأمر بالعكس • ولا أقل أن يعلم الابن كما يعلم الآب • ولما لم يكن العلم من صفات الجسـد • فلا يجدى فيه عذرهم الفاسد المشهور وهو أنه نفى عن نفسه باعتبار جسميته • فظهر أنه ليس الها لا باعتبار الجسمية ولا باعتبار غيرهـا عند كل منصف لم يكابر نفسه ويفتح عينيه حتى يـرى من صـبح الهـدى شمسه •

ومن ذلك ما فى الأصحاح التاسع عشر من انجيل متى قوله : « واذا واحد تقدم • وقال له : أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحـا الا واحد • وهو الله » فهذا القول أظهر من الشمس فى رفع ظـلام التثليث • وانظر فانه عليه السلام ما رضى من تواضعه أن يطلق عليه لفظ الصالح ، فكيف يرضى أن يطلق عليه أنه الرب المعبود وخالق كل موجود ، ويخاطبه المثلثون فى صلواتهم بقولهم : « ياربنا والهنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيدك » ومنه ما فى الأصـحاح السـابع والعشرين من انجيل متى قوله : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلى ايلى لما شبقتنى أى الهى الهى لماذا تركتنى؟» الى أن قال متى : « وأما يسوع صاح بصوت عظيم وأسلم الروح » وفى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يديك أسـتودع روحى » وفى بعض النسخ المطبوعة : « وصاح يسوع بصوت عال • وقال : يا أبتاه فى يديك أسلم روحى » •

وهذا القول ينفى الوهبة المسيح رأسا • ولا سـيما على مذهب

الى اله آخر ولما جزع من الموت ، ولما سلم الروح الى اله آخر . وأنت تعلم أن تألم بدن الانسان لا يكون الا بواسطة الروح ، وروح المسيح بزعمهم لاهوتية ، ولما رأيناه قد تألم وصرخ على زعمهم علمنا : أنه ليس باله فقول قائلهم : ان الناسوت تألم ، وأما اللاهوت فلم يتألم قول باطل وجواب عاطل ، لا يجديهم نفعا كما لا يخفى .

والعجب من النصارى : أنهم لا يكتفون بموت الههم وصلبه حتى قالوا دخل جنهم وعذب بعد ما صلب ومات . وسيأتى بقية الكلام على هذه العقيدة فى محلها ان شاء الله تعالى .

ومنه ما فى الأصحاح الثالث والرابع من انجيل متى قوله : « حينئذ أتى يسوع من الجليل الى الأردن الى يوحنا ليعمده . فكان يوحنا يمنعه قائلا أنا المحتاج أن أتعمد منك وأنت تأتى الى ؟ فأجاب يسوع وقال له : دع الآن . فهكذا يجب لنا أن نكمل كل البر ، فحينئذ تركه ، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فها انفتحت له السموات ورأى روح الله نازلا كمثل حمامة وجائيا اليه ، واذا صوت من السموات قائلا: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت حينئذ أخرج يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس ، فلما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة . ثم جاع أخيرا ، تقدم المجرب وقال له : ان كنت أنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ، فأجابه وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . حينئذ أخذه الشيطان الى المدينة المقدسة واقامه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت أنت ابن الله فانطرح الى أسفل فانه مكتوب أنه أوصى ملائكته من أجلك ، ويحملونك على أيديهم ، لئلا تعثر بحجر رجلك . قال له يسوع : مكتوب أيضا : لا تجرب الرب الهك . فأخذه الشيطان أيضا الى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له : أعطيك هذه جميعها ان خررت لى ساجدا . حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد ، وله وحده تعبد » .

ففى هذا الكلام دلالات متعددة واضحة على عبوديته عليه السلام، ما عدا قوله : « هذا ابنى » وسنتكلم عليه فيما بعد ان شاء الله تعالى، كما تكلمنا عليه فيما سبق •

فمنها : **أنه متعبد بالعبادات ليكمل نفسه بالتعميد** ، فقد أتى الى يحيى بن زكريا عليهما السلام ليعمده بالماء أسوة بأمثاله • فهل يحسن بالرب أن يتعمد على يدى أنبيائه ويقصد للتبرك بعض أصفيائه ؟ وهل كان يحسن من نبى الله يحيى أن يجهل ربه ويعمده ؟ وكان يلزم منه أن يقول له : أنت ربى واحسانك بالنبوة على فلا ينبغى من أن يكون تعميدك على يدى • نعم ان يحيى قد تواضع على عادة أمثاله ، فقال أنا أحق بالتعمد منك ، وأنك أقوى ، فلم يقبل المسيح هذه الدعوى • وقال : جئت للتكميل •

وليت شعرى هل يحتاجه الرب الجليل ؟ واذا قالوا انه تعمد ليعلم الناس ذلك • فهو جواب كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، لأنه كان يمكنه التعليم باللسان فيما هنالك • ولقد أحسن أبو الفضائل فى قوله :

فلو كان ربا كما تزعمون — أيسعى ليحيى من الأردن ؟
ويحتاج للماء فى بره — ليكمل بالمورد الأحسن
ويجعل يحيى اماما له — ليعمده • فهو كالمحسن
اليه • وما كان من فعله — فتم لعيسى المقام السنى
فلو كان عيسى الها ، كما — زعمتم • لقد كان عنه غنى

ومنها **مجىء الروح أى الملك بصورة حمامة** • اليه بعد مضى ثلاثين سنة من عمره ، وبعد التعميد • ومنها : صيامه وجوعه وعبادته وقوله لابليس : « للرب الهك تسجد وله وحده تعبد » أى لا أسجد لك ولا أعبدك بل أعبد ربى وحده • فهل أظهر من هذا دلالة على عبوديته؟ والعجب أن ابليس عليه اللعنة الذى هو علمه بالله سبحانه معلوم ، ومعرفته بخالقه اثباتها فى الكتب السماوية مرسوم ، يجهل أن عيسى خالقه ثم يمتحنه بالأمور المتقدم ذكرها ولا يقول له عيسى أنا خالقك فكيف لا أقدر على هذه الأشياء ؟ وكيف أسجد لك وأنت قد سجدت لى قبل أن أخلق آدم والأرض والسماء ؟ فتأمل وأنصف •

الفصـــــل الثـــالث

فـــى

التأويل

واذ قـــد عـلمت بالبراهـــين العقليـــة القطعيـــة والنقليـــة أن التثليث الحقيقى ممتنع فى ذات الله سبحانه • فلو وجـد قـول من الأقـوال المسيحية دالا بحسب الظاهر على التثليث ، يجب تأويـله لأنه لا يخلو اما أن نعمل بكل واحد من دلالة البراهين ودلالة القول • واما أن نتركها ، واما أن نرجح النقل على العقـل ، واما أن نرجح العقل على النقل • والأول باطل قطعا • والا لزم كون الشىء الواحد ممتنعا وغير ممتنع فى نفس الأمر • والثانى أيضا محال ، والا يلزم ارتفاع النقيضين • والثالث أيضا لا يجوز ، لأن العقل أصل النقل ، فان ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجـود الصانع وعلمه وقدرتـه وكونه مرسلا للرسل وثبوتها بالدلائل العقلية فالقدح فى العقل قدح فى العقل والنقل معا ، فم يبق الا أن نقطع بصحة العقل ، ونشتغل بتأويل النقل • ولقد أحسن « أبو الفضائل المـالكى » فى قوله :

اذا ما النقل خـالف حكم عقـل   نأولـه • فنكســـبه رجـوعا
لأن العقـل أصـل النقـل مهما   يخالف أصـله ، سقطا جميعا

والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل ، لما عرفت فيما تقدم أنهم يأولون الآيات الكثيرة الدالة على جسمية الله سبحانه وشـكله بورود الآيتين(١) اللتين مضمونهما مطابق للبرهان العقلى•وكذلك يأولون الآيات الغير محصورة الدالة على المكان لله عز وجل لأجل الآيات القليلة الموافقة للبرهان •

والذى أوقعهم فى هذه المهاكة الوخيمة والورطة الجسيمة من القول

---

(١) يقصد آيتا نفى المثلية عن الله تعالى • وآيات نفى المثلية كثيرة فى التوراة وقد ذكرنا بعضها فى أساس التقديس للرازى •

بالأقانيم واتحاد المسيح بالرب العظيم : ما ورد موهما من ألفاظ الانجيل كالآب والابن والاله والرب والسجود والغفران . ونحو ذلك. فلم يحملوها على ما أريد منها وحملوها على ظاهرها وخصوصيتها بعيسى عليه السلام ، فضلوا وأضلوا كثيرا من جهة الأنام .

وسنفصل ان شاء الله تعالى المراد بها وما ورد مما يبطلها عن الكتب المتقدمة ، والمسيح عليه السلام .

فنقول : **اما لفظتا الآب والابن** ففى لغتهم يسمى الولى ابنا ويسمى المربى أبا . ويعبرون عن ذلك بأبوة النعمة وبنوة الخدمة . وذلك مشهور فى نبوة أنبيائهم . **وأما لفظتا الإله والرب .** فالرب هو المربى باللطف والاحسان العائد بالامتنان . وهاتان اللفظتان يستعملان فى حق التعظيم من الآدميين تجوزا وتوسعا . لكن على جهة التقييد لا على جهة الاطلاق . وهذه كتب القوم تشهد بأن المعلم والمدبر والقيم يسمى ربا كما أن الرجل رب منزله وماله . والاله هو المسلط والحاكم كما فى الأصحاح السابع من سفر الخروج من التوراة يقول الله تعالى لموسى عليه السلام : « جعلتك الها لفرعون وهارون أخوك يكون لك نبيا » وفيها : « قد جعلتك ربا لهارون » وأما السجود فذلك كان سلام القوم وتحيتهم فى الزمن الأول على أكابرهم . وأما السجود الذى هو غير التحية فهو خاص بالله سبحانه وتعالى .

وعلى ما فسرنا به الآب والرب وغيرهما : دلائل من العهد العتيق والجديد . منها ما فى الأصحاح الخامس من انجيل متى قوله : « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » وقوله فيه أيضا : « وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم ، أحسنوا الى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسبونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات » فأطلق على غير الله ابنا وعلى الله تعالى أبا . وما فى الأصحاح الثامن من انجيل يوحنا فى المكالمة التى وقعت بين اليهود والمسيح عليه السلام قوله : « أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له :

اننا لم نولد من زناء ، لنا أب واحد وهو الله فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم كنتم تحبونني » الى أن قال : « أنتم من أب هـو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا • ذاك كان قتالا للناس من البدء ، ولم يثبت فى الحق ، لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب ، فانمـا يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب » •

فاليهود ادعوا أن لنا أبا واحدا • هو الله • وقـال المسيح : لا بل أبوكم الشيطان • وظاهر أن الله ــ سبحانه ــ والشيطان ــ عليه اللعنة ــ ليسا أبا لهم بالمعنى الحقيقى ، فلابد من الحمل على المعنى المجازى • كما هو ظاهر ادى كل منصف •

ومنهـا : ما فى الأصحاح الرابع من سفر الخـروج من التوراة :
« هذا ما يقول الرب ابنى بكرى اسرائيل ، فقلت لك : أطـلق ابنى ليعبـدنى » •

ومنهـا ما فى الأصحاح الخمسين من سفر التكوين من التوراة فى قصة يوسف هكذا : « فالآن أعف عنا وتجاوز عن جهل عبيد اله أبيك • فبكى يوسف اذ قالوا له ذلك ، وعمد اخوته ، وخروا قدامه ساجدين • وقالوا له : ها نحن عبيد لك » •

ومنهـا الآية السابعة من الأصحاح الرابع من رسالة مار يوحنـا الرسول الأولى : « أيها الأحباء ليحب بعضنا بعضا لان المحبة انمـا هى من قبل الله • وكل ودود فهو مولود من الله ، وهو يعرف الله ومن لم يكون ودوداً ، فلم يعرف الله ، لأن الله محبة » •

ومنها ما فى أول رسالة ماربولس الى فيايمون قوله : « والسلام من الله أبينا ، ومن الرب يسوع المسيح » • وقوله أيضا فى أول رسالته **الى أهل** فيلبييوس : « والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح» ومثلـه أيضا فى أول رسالته الى أهل رومية • وقوله أيضا **فى رسالته** الى أهل أفسس : « اله واحد أب الكل • وهو على الكل وبالكل وفى **كلنا** » • وقوله أيضا **فى الأصحاح الثالث من رسالته الأولى الى أهل**

نسالونيكى : « والله أبونا وربنا يسوع المسيح يسهل سبيلنا اليكم » وقوله أيضا فى الأصحاح الثانى من رسالته الى أهل « فيلبيسيوس » « افعلوا كل شىء بلا دمدمة ولا مجادلة لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب » ومنها ما فى الأصحاح السابع من سفر صموئيل الثانى قول الله سبحانه فى سليمان : « وأنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنـا » ومنها ما فى المزمور الثامن والثمانين : « وجدت داود عبـدى فمسحته بدهن قدسى » الى أن قال : « هو يدعونى أنت هو أبى والهى وناصر خلاصى ، وأنا أيضا أجعله بكرا ، أعلى من كل ملوك الأرض » الى أن يقول : « وأعرضت عن مسيحك » •

ففى هذا اطلاق الأب على الله والابن على سليمان والمسيح • وفى الأصـحاح الحـادى والثلاثين من سـفر ارمياء قـول الله سبحانه : « لأن صرت أبا لاسرائيل ، وأفرايم هو بكرى » فأطلق لفظ ابن الله البكر على أفرايم ، فلو كان اطلاق مثل هذه الألفاظ موجبا للألوهيـة لكان اسرائيل وداوود وسليمان وأفرايم أحقاء بالألوهية ، بل أطلق الأبناء على كافة بنى اسرائيل كما فى الأصحاح الثالث والستين من سفر أشعياء قوله فى خطابه لله سبحانه : « فانك أنت أبـونا » وأمثال هـذا كثير كما تقدم • ولعل لنا عودة الى هذا ان شاء الله تعالى ، فافهم وأنصف•

خاتمـــة :

بقى ما استدلوا به على زعمهم من ألوهية عيسى عليه السلام وبنوته له سبحانه بكلمات من الانجيل وغيره • وقد تقدم جوابها اجمـــالا واشارة ، وان كنا لا نسلم بقاء الأناجيل سالمة من التحريف والتبديل ، كما سنثبته بحـوله تعالى بصحيح الأقاويل • غير أننـا نذكر ههنـا مماشاة للخصوم ، وليتبين من الأجوبة حالها لدى أربـاب المنطـوق والمفهوم ، ان شاء الله تعالى •

الأولى : اطلاق الابن عنيه • وهذا دليل واه مردود ، لأنه معارض بما تقدم من اطلاق لفظ الابن على غيره من بنى اسرائيل ، واطـلاق

ابن الانسان وابن داوود عليه السلام ولأن الابن لغة : من تولد من نطفة الأبوين ، وهذا محال فلابد من الحمل على المجاز المناسب لشأن المسيح ، وقد علم من الانجيل أن هذا اللفظ فى حقه بمعنى الصالـح كما فى الأصحاح الخامس عشر من انجيل مرقس هكذا ، « ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال : حقـا كان هذا الانسان ابن الله » ونقل لوقا فى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيله هكذا : « بالحقيقة كان هذا الانسان بارا » ففى انجيـل مرقس « ابن الله » وفى انجيل لوقا بدله لفظ « البار » واستعمل هذا اللفظ فى حق الصالح غير المسيح ، كما استعمل فى حق الطالح ، مثل ابن ابليس كما تقدم ،

الثانية : ما فى انجيل يوحنا فى الأصحاح الثامن قولـه : « أنتـم لا تطيقون المجىء الى ، حيث أذهب أنا فقال لهم : أنتم من أسـفل وأنا من فوق ، أنتم من هذا العالم وأنا لست من هذا العالم » يعنى على زعمهم : « أنه اله نزل من السماء وتجسم ، وهذا التأويل باطل لوجهـين ،

الأول : مخالفته للبراهين العقلية والنصوص القاطعة المتقدمـة ، والثانى : أن عيسى قال مثل ذلك فى حق تلاميذه أيضا ، كما فى الأصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « لأنهم ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم » ،

فسوى بينه وبينهم فى عدم الكون من هذا العالم ، فلو لزم من ذلك الألوهية ، لكانوا كلهم آلهة، بل المراد الواضح ، أنتم أيها اليهـود طالبون للدنيا ، وأنا لست كذلك ، وهذا كلام شائع للزهاد انهم ليسوا من الدنيـا ،

الثالثـة : ما فى الأصحاح العاشر من انجيل يوحنا : « ان أبى الذى

أعطانى هو أعظم من الكل ، ولن يقدر أحد أن يخطف من يد أبى ، أنا والآب واحـــد » .

قالوا : فهذا يدل على اتحاد المسيح بالله سبحانه ، وأنت تعلم أن هذا استدلال باطل ، لأن المسيح عندهم أيضا انسان ذو نفس ناطقة ، وليس بمتحد بهذا الاعتبار فلابد أن يحتاجوا الى التأويل فيقولون : كما أنه انسان كامل فكذلك اله كامل ، فبالاعتبـــار الأول مغـــاير . وبالاعتبار الثانى متحد . وقد تقدم لك بطلان هذا التأويل ، ولأن مثل هذا التعبير وقع فى شأن الحواريين كما فى الأصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا قوله : « ليكونوا بأجمعهم واحدا كما أنك يا أبتاه فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا فينا واحدا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا ، كمـــا نحن واحـــد أنا فيهم وأنت فى ، ليكونوا كاملين لواحد » .

فقوله : « ليكون الجميع واحدا » الى آخره يدل على اتحادهـــم ومساواة اتحاده بالله واتحاده معهم واتحادهم به ، وظاهر أن اتحادهم فيما بينهم ليس حقيقيا فكذا اتحاده بالله . والحق : أن المراد من ذلك اطاعة أحكامه واتباع أوامره والاجتناب عن منهياته . والحواريـــون وأهل الايمان متشاركون فى ذلك . وانما الفرق باعتبار القوة والضعف . والدليل على هذا : قول يوحنا فى الأصحاح الأول من رسالته الاولى وهو هكذا : « وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ، ونخبركم به : أن الله نور ، وليس فيه ظلمة البتة ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل بالحق ، ولكن ان سلكنا فى النور كما هـــو أيضا فى النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض » .

وفى التراجم الفارسية « متحد هستيم » فوقع فيها بدل لفظ الشركة لفظ الاتحاد فعلم أن الاتحاد بالله أو الشركة بالله عبارة عما قلنا . فتبين لك الجواب الثانى لمن تمسك بهذه الشبهة ولم يرد العذب الصافى .

الرابعـــة : ما فى الأصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا قولـــه :

« قال له فيلبس » يا سيد أرنا الآب وحسبنا . قال يسوع : أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفوني . يا فيلبس من رآني فقد رأى أيضا الآب . فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ أما تؤمنون أني في الآب والاب في ؟ الكلام الذي أتكلم لكم أنا به لست أتكلم به من عندي ، بل أبي الذي هو حال في ، هو يفعل الأعمال . أفلا تؤمنون أني أنا في الآب والآب هو في ؟ والا فآمنوا من أجل الأعمال بعينها . الحق الحق أقول لكم : أن من يؤمن بي فالأعمال التي أعملها أنا يعملها هو أيضا . فأفضل منها يصنع ، لأني ماض الى الآب . وكل شيء تسألون الآب باسمي لصنعه ليتمجد الرب بالابن ، وان سألتموني باسمي شيئا فافعله ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط(١) آخر ، ليثبت معكم الى الأبد روح الحق الذي ان يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه ؛ وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم ، لست أدعكم يتامى ، أني سوف أجيئكم عن قليل ، والعالم ليس يرونني ، وأنتم ترونني ، انني حي وأنتم تحبون . في ذلك اليوم تعلمون أنتم أني أنا في أبي وأنتم في ، وأنا فيكم » .

وقد استدلوا بهذا على اتحاد المسيح بالله سبحانه وهذا الكلام وان كان داخلا في جملة المحرف كما ستعرفه في محله ان شاء الله تعالى ، لكن نتنزل ونقول بصحة وروده وظهور تأويله ، وأنه ليس فيه عند كل ذي لب وانصاف مخالفة لما يقوله المسلمون في حقه من أنه عبد الله ورسوله .

فاعلم : أن هذا الاستدلال مردود من وجهين :

الأول : ان رؤية الله تعالى في الدنيا محالة عندهم أيضا كما تقدم . فلو كان هو الله ، كيف يرى ؟ فيأولونها بالمعرفة باعتبار الألوهية والحلول الذي وقع في الفصل الثاني والثالث واجب التأويل عند جمهور أهل التثليث . فيقولون : ان المراد بها الاتحاد الباطني . وبعد هذه التأويلات يقولون : أنه لما كان انسانا كاملا والها كاملا ، صحت أقواله

(١) الفيرقليط هي اسم أحمد صلى الله عليه وسلم في انجيل يوحنا . والنصارى حرفوها الى فاراقليط .

الثلاثة باعتبار الثانى ، وقد عرفت مرارا انه باطل ، لأن التأويل يجب أن لا يخالف البراهين والنصوص •

الثانى : ان قوله : « تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فى ، وأنا فيكم » يمنع من تأويلهم المذكور ، لأنه يلزم أن يكون الحواريـون بل أكثـر النصارى حالين فى المسيح ، والمسيح حالا فيهم ، لأن حال المحال حال فى محل الحال ، وقد تقدم أيضا فى الثالثة قوله : « أنا فيهم وأنت فى » وكذا قوله فى الأصحاح الرابع من الرسالة الى أهل افسس « اله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل ، وفى كلكم » فالحق : أن الأدنى اذا كان من أتباع الأعلى كأن يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريبه ، فالأمر المنسوب الى الأدنى من التعظيم والتحقير والمحبة وغيرها ينسب الى الأعلى مجازا ، ولذلك قال المسيح فى حق الحواريين : « من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » كما فى الأصحاح التاسع من انجيل لوقا • ولذلك قال الله تعالى على لسان ارميا : « أكلنى ابتلعنى بخت نصر ملك بابل ، جعلنى كاناء فارغ » كمـا هـو مصرح بـه فى الأصحاح الحادى والخمسين من سفر ارمياء ، فمعرفة المسيح بهـذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله تعالى •

وأما حلول الغير فى الله أو حلول الله سبحانه فيه وكذا حلول الغير فى المسيح أو حلول المسيح فيه ، فعبارة عن اطاعة أمرهمـا • ففى الأصحاح الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا قوله : « من يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه ، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الـروح الـذى أعطانا » ومثل هـذ المجـاز فى كلام العرب كثير ، حتى له فى القرآن العظيم نظير • ومنه قوله تعالى : « وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى » والعجب منهم : أنهم تصرفوا فى تأويل هذه الآيات المتقدمة على ما يقتضيه هوى أنفسهم فى الاتحاد ، مع أنه ظاهر البطلان • وأولوا الفارقليط بغير نبينا عليه الصلاة والسلام مع أن المراد به هو ، كمـا هو ظاهر لمن له عينان ، كما سنبينه فى موضعه ان شاء الله تعالى •

ثم اعلم : أنهم قد يتمسكون الألوهية ببعض حالاته ، فيستدلون

على ذلك تارة أنه بلا أب ، وتارة أنه أحيا الموتى ، وتارة بأقوال بعض الحواريين • وهذه كلها تمسكات واهية جدا ، فكونه بلا أب لا يفيده الألوهية ، فهذا العالم بأسره خلق ولم يك شيئا بذكر ، وآدم عليه السلام خلق بلا أب ولا أم ، وحواء خلقت من ضلع آدم • ونرى فى كل يوم حيوانات تخلق من التراب ونحوه بلا أب ولا أم • فان كان الخلق بلا أب موجبا للألوهية لكان آدم الها ، بل ولكان « ملكى صادق » الكاهن الذى هو معاصر لابراهيم عليه السلام كما فى الأصحاح السابع من الرسالة العبرانية فى بيان حاله هكذا : « بلا أب بلا أم بلا نسب ، لا بداية أيام له ولا نهاية حياة » يفوق المسيح فى كونه بلا أم ولا بداية له وأحيا الموتى فحز قيال — عليه السلام — أكثر منه كما فى الأصحاح السابع والثلاثين من سفره فهو أولى وأحيا ايلياء عليه السلام ميتا كما فى الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول ، وكذا اليسع كما فى الأصحاح الرابع من سفر الملوك الثانى • وصدرت هذه المعجزة عن اليسع بعد موته عند ما ألقى الميت فى قبر اليسع ، فحيى باذن الله تعالى ، كما فى الأصحاح الخامس من السفر المذكر • وأبرء الأبرص من برصه كما هو مصرح به فى الأصحاح الخامس من السفر المذكور •

وأما أقوال الحواريين فهى مأولة ان سلمنا ورودها ، والا فهى غير ثابتة كما ستعلمه فى محله ان شاء الله تعالى •

وعلى كل حال لا يقول باتحاد البارى سبحانه مع خلقه الا ذو خبال ، وكيف يسوى العاقل بين التراب ورب الأرباب ؟ فنعوذ بالله من كفر أهل الحلول والاتحاد ، الذين لم يسبقهم سابق الى هذا الضلال والعناد • ولقد أحسن القائل :

وحاشا المسيح النبى الكريم — من القول فى أنه خالق
ومن قبل جاءت به أمه — رسولا • وفى مهده ناطق
بأنى عبد أتانى الكتاب — وما عاقه بعد ذا عائق
فكيف يقول اذا ما استوى — أنا الله • والخالق الرازق ؟

تتمـــــة :

واذا أحطت خبرا بما دونا عليك ، وعلمت الجواب المفصل عنـدما قربناه اليك ، فلنكمل الرد بالتنقير فى كلماته ، والتنفير عن خزعبلاته وبيان أكاذيبه وتأويلاته الفاسدة ومحامله الكاسدة . فمن ذلك قوله : « فقال فى السفر الأول من التوراة فى البدء الآلهة براء السـموات والأرض » وهذا ليس له أصل فى التوراة . ففى التوراة التى بأيدينا المطبوعة فى لندن سنة ١٨٤١ مسيحية ما نصه : « سفر تكوين الخلائق الأصحاح الأول : فى البدء خلق الله السماء والارض ، وكانت الارض خاوية خالية ، وكانت الظلمة على وجه الغمر » فمن أين فيـه لفـظ الآلهة ؟ ومن أين فيه الاشارة الى ما ادعاه النصرانى من التثليث ؟ وكذا التوراة العبرانية ليس فيها هذا اللفظ . ونصـها : « براشيت براء ايلوهيم اث هشايم وايث هارص » وتعريبهـا : « أول خلق الله هذه السماء وهذه الأرض » وليس فيها لفظ الآلهة كما كذب المؤلف . وكذا قوله : « لنصنعن انسانا يشبهنا وصورتنا » فأى دليل فيه على أن عيسى اله ؟ فاذا قال اليهودى مثلا : ان المراد بذلك ألوهية موسى لا عيسى ، فبأى شىء يثبت أن المـراد به عيسى لا موسى ؟ فان أثبت بشىء مما تقدم من شبهكم ، فقد ردت عليكم وأبطلت بالبراهين العقلية والنقلية ، وقول اليهودى أن المراد به موسى أقرب من قولكم أنها تشير الى عيسى . لأن التوراة نزلت عليه ، فهو أولى بهـذه الاشـارة من عيسى ، لا سيما وقد خاطبه الاله سبحانه بقوله : « جعلتـك الهـا لفرعون » كما تقدم .

وأمـا قوله « يشبهنا وصورتنا » فهذا مثل قوله عليه الصـــلاة

---

(١) هذا حديث آحاد . وحـديث الاحاد ليس . بحجة فى العقائد . لأن الرواة ظهر فيهم مدلون من الزنادقة وغيرهم . وقد قال حجة الاسلام الغزالى : انـه قد كان يمكن أن يكون حجة ، لولا ما ظهر من كذب الرواة (راجع المستصفى) .

والسلام : « ان الله خلق آدم على صورته(١) » فهو من المتشابه الذى يأول عند الكل تأويلا حسنا ، أو يفوض علمه الى الله تعالى كما هو المشهور ، وقد ألفت فيه كتب مخصوصة ، فليكتف فيه هنا بهذه الاشارة •

وأما قوله : « ان نون الجمع ليس المراد بها فى هذه المواضع التعظيم ، بل الاشارة الى التثليث » الخ فهو كلام ساقط • لأن ارادة التعظيم أحق ممن له العظمة والكبرياء وايجاد الأرض والسماء اذ هو سبحانه الحقيق بالتعظيم واللائق بعظيم جلاله التبجيل والتكريم ، فكل لصفات العلية بالنسبة لى جنابه حقيقية ، وبالنسبة الى غيره مجازية •

ثم لا يخفى عليك ما فى باقى كلامه من التناقض والتهافت والمكابرة وصرف الألفاظ عن معانيها الظاهرة المرادة • مع هذا فسنأتيك أبحاث مفصلة لزيادة الرد عليها بحول الله تعالى وقوته •



قال النصرانى : « وبيان ذلك : قول موسى النبى عن الله تعالى فى التوراة التى أنزلها عليه « أن الله ترائى لابراهيم وهو فى موضع يعرف ببلوط ممرا جالسا على باب خبائه • • فى وقت استحرار النهار رفع ابراهيم عينيه فرأى ثلاثة رجال وقوفا بإزائه ، فبادر اليهم واستقبلهم قائلا : يا سيدى ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك ، فلا تتجاوزن عبدك» ألا ترى أن المنظور اليه من ابراهيم ثلاثة وأن المخاطبة مخاطبة شخص واحد ، فسماهم ربا واحدا وتضرع اليه سائلا طالبا أن ينزل عنده • فعدة الثلاثة سر الأقانيم الثلاثة وتسميته اياهم ربا واحدا لا أربابا ، سر لجوهر واحد • فهى ثلاثة بحق وواحد بحق كما وصفنا •

ثم ان موسى أخبر أن الله قال له : « اسمع يا اسرائيل الرب الهك رب

واحــد » معنى ذلك . أن الله الموصوف بثلاثة أقانيم هو رب واحد .
وداوود النبى يقول فى المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعالى : «بكلمة الله صنعت السموات وبروح فيه كل جنودها » فأفصح داوود وصرح بالثلاثة أقانيم ، حيث قال الله : « وكلمته وروحه » فهل زدنا فى وصفنا على ما قال داوود .

ثم انه قال فى موضع آخر من كتابه تحقيقا بأن كلمة الله اله حــق لكلمة الله « أسبح » فان كان داوود عندك يسبح لغير الله ، ما أظنك تقول هذا ؟ ثم أنه يقول فى موضع آخر من كتابه : « تبارك الله الهنا تبارك الله يوما فيوما يسهله الله علينا » افداوود كان يطلب أن يبارك عليه اله واحد أم آلهة ثلاثة ؟ ولكنه رمز فى كتابه التى ذكر للثلاثــة أقانيم أنها اله واحد . وقال أشعياء النبى المحمود من الله تعالى فى الأصحاح الثامن والأربعين « منذ البدء لم أتكلم فى الخفاء ، ومنــذ زمان قبل أن يكون ، أنا هناك ، والآن الرب الاله أرسلنى وروحه » وهذا هو قولنا ثلاثة أقانيم اله واحد ، ورب واحد ، لم نخرج عــن حدود كتب الله المنزلة ولم نزد فيها ولم ننقص منها شيئا ، ولا بدلناها ولا حرفناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ، ولسنا ندع مناظرتك فى التبديل والتحريف بما يعلم به العاقل اذا نظر فى كتابنا هذا أنك قد ظلمتنا فيه ، بل ظلمت الحق وادعيت علينا فعلا لم نكن نفعلــه . ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد ان شاء الله تعالى » .



أقول وبالله سبحانه التوفيق : فى هذا الكلام فصول :

الفصـــــل الأول

في قوله : « وبيان ذلك قول موسى الخ » فهذا النقل مع أنه محذوف الآخر ومغير بعض كلماته عن التوراة التي عندي المطبوعة في لنـدن سنة ١٨٤١ لا يجد به نفعا لمسألة التثليث كما سنبينــه ان شــاء الله تعالى ، فنذكر ذلك بحروفه أولا لكيلا يخفى تمويهه على كل منتقـد بصـــير •

قال في الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين من التوراة ما نصه:
« فتراءا الرب له في وطاء ممرا ، وهو جالس على باب خيمته في وقت الظهر ورفع عينيه ، فظهر له ثلاثة رجال قياما بقربه ، فلما نظرهـم أسرع للقائهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض • وقــال يا رب ان كنت قد وجدت نعمة أمامك فلا تتجاوز عندك غانى آتى بقليل مــاء وتغسلوا أرجلكم وتستريحوا تحت هذه الشجرة ، وأضع كسرة خبز واسندوا قلوبكم ثم تجوزون اذ أنتم ملتم الى عبدكم • فقالوا له : افعل كما قلت فأسرع ابراهيم الى الخباء الى سارة ، وقال لها : اسرعي اعجني ثلاثة أكيال دقيق ، واصنعيها ملة • وهو فأسرع الى البقـر وأخذ عجلا خصيا جيدا جدا وأعطاه لغلامه فصنعه سريعا وتنــاول سمنا ولبنا والعجل الذي عمله ووضع قدامهم وهو كان قائما بقربهم تحت الشجرة ، ولما أكلوا قالوا له أين سارة زوجتك ؟ فأجاب قائــلا ها هي ذي في الخيمة : فقال له : انى راجع اليك في هذا الوقت والحياة باقية ويكون لسارة زوجتك ابن • وسمعت سارة ذلك فضحكت ، وهي خلف باب الخيمة ، وكان اثناهما قد شاخا وقد طعنا في السن ، وكان قد انقطع عن سارة ما يكون للنساء • فضحكت سارة سرا قائلة في نفسها : أمن بعد ما طعنت بالسن وسيدي قد شاخ أن أعود الى التنعم؟ فقال الرب لابراهيم : لم ضحكت سارة قائلة أترى أني ألد بالحقيقة وأنا قد عجزت ؟ هل على الله أمر عسير ؟ » ا • هـ

فانظر أولا الى هذا التبديل والتغيير في ألفاظ التوراة فان النصراني

قال يعرف ببلوط ممرا وفى النسخة التى عندنا وطاء ممرا ، وقال جالسا وفى نسختنا وهو جالس ، وقال : استحرار النهار وفى نسختنا الظهر . وقال ورفع وفى نسختنا رفع ، وقال فرأى ثلاثة رجال وقوفا بإزائه فبادر اليهم واستقبلهم قائلا : يا سيدى ان كنت وفى نسختنا فظهر له ثلاثة رجال قياما بقربه ، فلما نظرهم أسرع لملقائهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض ، وقال يا رب ان كنت ، وقال النصرانى نعمة فى عينيك وفى نسختنا نعمة أمامك ، ثم انه حذف آخر الآيات التى فيها ان ابراهيم قال : آتى بقليل ماء وتغسلوا أرجلكم وتستريحوا تحت هذه الشجرة وأضع كسرة خبز واسندوا قلوبكم ، ثم تجوزون . ثم انه فعل بهم كما قال يعنى فغسل أرجلهم وأطعمهم .

فياليت شعرى كيف يكون للرب رجل تغسل من التعب ، وجوف يجوع ويمتلىء طعاما ؟ وكيف يكون الرب ثلاثة أشخاص وذا أجزاء ؟ وكيف كان للبارى سبحانه ستة أرجل وستة أيدى وثلاثة بطون وألسن ورءوس ، ثم كيف تكون الثلاثة الها واحدا ؟ فهل هذا الادعاء الا سفسطة وتناقض وهذيان وجنة . فنعوذ بالله من الخذلان . وكيف تكون هذه العبارة هى وأشباهها المنقولة من التوراة المحرفة المبدلة المغيرة المأولة دليلا على هذه المسألة العظمى العائدة الى ذات البارى سبحانه عما يقول الظالمون . على أنا سنذكر ونثبت تحريف التوراة والانجيل وتأويل ما ورد موهما للتجسيم والتثليث فى محله ان شاء الله تعالى .

واذا نظر العاقل بعين بصيرته دون عين هواه الى أمثال ذلك ، يجده كما قال المسلمون من تبديله وتأويله ، على أن ظاهر الكلام وباطنه ينادیان بضد ما ادعاه هذا النصرانى ، فكثيرا ما يطلق فى التوراة وغيرها مثل هذا الكلام ويراد به المجازاى ملائكة الرب سبحانه على نحو بنى الأمير المدينة ، وقوله تعالى : « واسأل القرية » . وهذا أكثر من أن يحصى على أنه ليس فى التوراة أن الرب جاء ، بل فيها كما تقدم فتراءا الرب له فى وطاء ممرا فظهر له ثلاثة رجال قياما بقربه .

فأى دلالة فى هذا أن الرب جاء وصار ثلاثة رجال ؟ وان صحت العبارة فيمكن حملها على أن الرب تجلى له أو أوحى له أو ترائى له ملائكة الرب ، وكيف يجهل ابراهيم أن ربه لا يأكل ، فاذا كان ابراهيم علم أن هذه الثلاثة آلهته ، وأنها اله واحد ، فكيف يعرض عليهم الأكل ؟

وهذه القصة قد حكاها البارى عز وجل فى كتابه الكريم فى سورة هود ، قال تعالى : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ، قالوا سلاما • قال : سلام • فما لبث أن جاء بعجل حينئذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة • قالوا : لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط • وامرأته قائمة فضحكت ، فبشرناها باسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب • قالت : يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ؟ ان هذا لشىء عجيب • قالوا : أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد •

فانظر أيها المنصف الفرق بين القران العظيم وبين عبارة التوراة فى هذه القصة الواحدة ، من قوة الألفاظ وصحة المعنى المقبول عقلا ونقلا • ففى القرآن الكريم أنهم ملائكة على صورة البشر ، وفيما نقله عن التوراة أنه الله سبحانه بزعمه وانقسم ثلاثة أشخاص وأنهم غسلوا أرجلهم وتعبوا وجاعوا وأكلوا وأسندوا قلوبهم بكسرة خبز فهل يقبل العقل والنقل ما نسبه للبارى سبحانه ؟ ولا بأس اذا تشكلت الملائكة بصورة البشر(١) وجرى عيها ما يجرى على البشر كما ورد فى التوراة فى أماكن كثيرة •

قال المفسرون : جاءت الملائكة الى ابراهيم على صورة الغلمان

---

(١) الملائكة يتصلون ببنى آدم للخير أو للشر • وهم الأجسام النورانية أما الجن المؤمن أو الكافر فلا صلة له البتة ببنى آدم • والذى له صلة بالوسوسة والظهور للادمى والتعاون معه على الشر هم الشياطين • ولا يحدث زواج بين بنى آدم والجن • لانه يحتاج الى اشهاد وثبوت نسب أولاد ، وحصانة الزوج أو الزوجة من الزنا ، وهذا يتعذر اثباته فى الجن • وقد امتن الله بقوله : « والله جعل لكم من انفسكم ازواجا » ولم يقل من انفس الجن أو الشياطين اما الزنا فانه واقع بين بنى آدم والشياطين • لا الجن •

فى غاية الحسن والبهجة وهم جبرائيل واسرافيل وميكائيل • وانما لم يسند اليهم الارسال بل أسند اليهم المجاء لأنهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط عليه السلام ، وانما جاءوه لداعية البشرى ، فما أبطأ ابراهيم أن جاء « بعجل » وهو ولد البقرة «حنيذ» أى سمين يقطر ودكه ، وقيل المشوى « فلما رأى » ابراهيم « أيديهم لا تصل اليه » أى لا يمدونها الى العجل المشوى كما يمد يده من يريد الأكل نكرهم ، أى وجدهم على غير ما يعهد لأن عادتهم أن الضيف اذا نزل عليهم ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه قد جاء بشر ولم يأت بخير « وأوجس منهم خيفة » أى أحس فى نفسه خوفا وفزعا ، وكأنه ظن أنهم قد نزلوا به لأمر ينكره أو لتعذيب قومه • « قالوا لا تخف » • فلعلهم استدلوا على خوفه بامارات كظهور أثره على وجهه ، ثم عللوا نهيه عن الخوف بقولهم : « انا أرسلنا الى قوم لوط » ولوط ابن أخيه هاران • وهو أول من آمن به ، وامرأته سارة ابنة عمه كانت قائمة عند تحاورهم وراء الستر تسمع كلامهم • وقيل كانت تخدم الملائكة — فضحكت متعجبة أو سرورا من البشارة بالولد ، وهى ابنة ثمان وتسعين سنة ، وابراهيم ابن مائة سنة أو أكثر فبشرته بأنها تعيش حتى ترى من وراء اسحق ولده يعقوب ، وقد رأته •

ثم قال تعالى : « فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى » أى بالولد أو بقولهم : لا تخف « يجادلنا فى قوم لوطا » أى يجادل رسلنا • ومجادلته لهم أنه سمع قولهم « انا مهلكو أهل هذه القرية » وهى قرية قوم لوط • قال أرأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : لا • قال : فأربعون ؟ قالوا : لا قال : فعشرون ؟ قالوا : لا • قال : فعشرة ؟ قالوا لا • قال : فخمسة ؟ قالوا لا • قال : فواحد؟ قالوا : لا • « قال : ان فيها لوطا » قالوا : « نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله » فهذا معنى مجادلته فى قوم لوط أى فى شأنهم لأن العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وان كان نبيا •

ثم ان العجب العجيب : استدلاله أيضا على الثلاثة أقانيم بقوله :

« ثم موسى أخبر أن الله قال له : اسمع يا اسرائيل الـــرب الهك رب واحد » قال : ان معنى ذلك أن الله الموصوف بثلاثة أقانيم هــو رب واحــــد »

فهو دليل عليه بالوحدانية لا بالتثليث • فكيف قلب الموضوع وجعل ما يكون دليلا عليه دليلا له ؟ فهل هذا الا من الخرافات والترهات فانه لو سمع هذا الكلام أجهل الناس لعلم منه أن المراد أن اله موسى واحد غير متعدد • وليت شعرى من أين علم أن الله ســبحانه أراد ذلك ؟ وكيف أتى بهذه الزيادة من تلقاء نفسه ؟ ولم لم يبينها موسى عليــه السلام لبنى اسرئيل حتى يأتى « عبد المسيح » فينشرها فى عــداد ما افترى من الأباطيل ؟ فأين هذا النصرانى عن أمره بالانصاف ثم يركب مطية العناد والاعتساف ويروق عباراته بالكلمات التى يدعى بها طلب النصفة ويألف أدلة شعارها التمويه ودثارها التكلفة ، ليروج كلامه على النصارى المساكين ، ويزخرف كتابه بالأكاذيب ، لظن أن يخفى على غير المطلعين ، ويبهرج افكه ليروج بزعمه على غير النقادين • ومن يضلل الله فليس له هاد من الناس أجمعين •

فصــــــل

وأمــا قوله : « وداوود النبى يقول فى المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعالى : « بكلمة الله صنعت السموات وبروح كل جنودها » فأفصح داوود وصرح بالثلاثة أقانيم حيث قال الله وكلمته وروحه » •

فهو وهم ظاهر لأن هذا فى المزمور الثانى والثــلاثين لا فى الثــالث والثلاثين • وفى النسخة التى عندنا ما نصه : « امتلأت الأرض كلهــا من رحمة الرب بكلمة الرب تشددت السموات ، وبروح فيه كل قوتها » الى أن يقول داوود فى هذا المزمور : « الذى هو وحده خلق قلوبهم وعلى اسمه القدوس اتكلنا » فأنظر الى حذفه ما هو عليــه وتغييره للألفاظ وسهوه فى المحل وخطأه الظاهر فى تعيين الأغراض ويقتضى على زعمه فى معنى كلام داوود عليه السلام : أن تكون الآلهة أربعــة بل

خمسة ، لأنه قال : رحمة الرب • وكلمة الرب وبروح فيه ، وعلى اسمه لقدوس اتكلت ، فالرحمة اله أول ، والرب اله ثان ، والكلمه اله ثالث ، والروح اله رابع ، والقدوس اله خامس • فصارت الأقانيم خمسة • وهذا لا يخفى على ذى عينين أو أحول يجعل الواحد اثنين • وأين تقلب هذا النصرانى عن قول داوود هنا « وحده خلق قلوبهم » ؟ واذ كان داوود علم أن الآلهة ثلاثة والثلاثة اله • فعيسى جزء من الآلهة، فلم لم يخبر بنى اسرائيل أن الههم وربهم متعدد ، وأن جزء الاله أو الواحد من الآلهة حامله اذ ذاك فى صلبه وأنه سيكون من ذريته ، لأن النصرانى مسلم أنه ابن مريم ، وأنها من ذرية داوود • فهل هذا القول عند كافة الخلق الا مذهب مردود مرذول لاتقبله ربات الحجول فضلا عن كاملى العقول ؟

ولعمرى ان رهبان النصارى وقسيسهم اذا أنصفوا ورجعوا الى أنفسهم بعد اطلاعهم على كلام هذا النصرانى الملفق المختلق وأدلته التى هى عندهم من أعظم الأدلة وليس عندهم غيرها ، وان كانت كحبال القمر ، فلا يسعهم ان ذكروا موقفهم عند الله سبحانه وسؤاله اياهم ، الا ترك اعتقاد التثليث واتباع النبى الأمين ﷺ وعلى سائر النبيين ، غير أن حب الرئاسة وشغفهم بالدنيا التى هى كالكناسة استوليا على قلوبهم ، وصار ذلك رانا على أفئدتهم حتى حجبهم عن الايمان بالقرآن العظيم وسيد الأكوان •

فصل

وأما قوله : « وقال أشعياء النبى المحمود من الله تعالى فى الأصحاح الثامن والأربعين » الى آخره • فهو كنظائره السابقة التى هى أوهن من بيت العنكبوت استدلالا وتغييرا • ولنذكره حسبما هو فى النسخة المطبوعة فى لندن قال ما نصه : « تقدموا الى واسمعوا هذا : انى أنا منذ البدء لست أتكلم فى الخفية ، منذ زمان ، قبل أن يكن • أنا فيه • والآن الرب الاله أرسلنى وروحه » •

فانظر الى اختلاف النسخ ، وان كان فى بعضها لا يختلف المعنى

باختلاف الألفاظ ، غير أن الاختلاف الجزئى يدل على وقوع الاختلاف الكلى ، الذى تختلف به المعانى المقصودة • وسنبين ان شاء الله تعالى تفصيل التحريف والتبديل الواقعين فى كتبهم •

وامـا استدلاله بما فى هذا الأصحاح على التثليث فهو تعلق بحبـال القمر كنظائره المتقدم ردها ، ويقتضى أن يكون الاله على زعمه أقنومين أيضا • ففى الأصحاح ما نصه : « فحكمى مع الرب وعلمى مع الهى ، والآن يقول الرب مصورى من البطن عبد الـه لأرجع يعقوب اليه ، واسرائيل لا يجتمع ، وتمجدت بعينى الرب ، والهى صار قوتى » وفى هذا الأصحاح أيضا: «هكذا يقول الرب الاله هأنذا أرفع الى الأمم يدى» • اذ ذكر الرب والاله فصار البارى تعالى أقنومين ، وفى نقله الأول على زعمه : كان ثلاثة لأنه قال الرب والاله وروحه فعجبا • كيف يكون مرة أقنومين ومرة ثلاثة أقانيم ، ومرة أقنوما واحدا ؟ حيث كثيرا ما يطلق فى كتبهم لفظ الاله فقط أو الرب فقط كما فى الأصـحاح الخمسين : « هكذا يقول الرب : ما هذا كتاب الطلاق ؟ » فهل هذه الأدلـة التى يذكرها الا أدلة عليه لا له ، عند كل ذى لب وانصاف ؟

وأمـا اسـتدلاله باطـلاق الكلمـة والـروح على عيسى عليـه السـلام فاستمع الجواب الشافى الكافى من أهل التوحيد والاسلام، والحمد لله الواحد الأحد العلام •

قال اللغويون والمفسرون : تطلق الكلمة على القول المفـرد كزيـد مثلا ، وعلى الجمل المفيدة المركبة كلا اله الا الله محمد رسول الله • فانها تسمى كلمة التوحيد وقوله تعالى : « واذ ابتلى ابراهيم ربـه بكلمات فأتمهن » هى الأشياء التى امتحن الله سبحانه ابراهيم بها من ذبح ولده والختان وغيرهما • وقوله تعالى : « وكلمتـه ألقاهـا الى مريم » وقوله تعالى : « يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه » سمى عيسى كلمة لكونه موجدا بكن فى قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون » وذلك لكونه على

خلاف أفراد بنى ادم ، فكان تأثير الكلمة فى حقه أظهر وأكمل ، فهو كقولك لمن غلب عليه الجود مثلا : محض الجود • وقيل : لاهتداء الناس به كاهتدائهم بكلمات الله • وقيل : سمى بها لما خصه الله تعالى له فى مهده فى صغره ، حيث قال وهو فى مهده : « انى عبد الله آتانى الكتاب » وقيل : أطلق عليه ذلك لأن الله تعالى بشر به فى الكتب السالفة ، ففى التوراة فى الأصحاح العشرين من السفر الخامس : « أقبل الله تعالى من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبل فاران » وسينا جبل التجلى لموسى ، وساعير جبل ببيت المقدس وكان يتعبد فيه عيسى ، وفاران جبل مكة وكان المتحنث فيه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا كقول من يخبر بالأمر اذا خرج موافقا لما أخبر به : قد جاء كلامى •

والروح : اسم للنفس وقوله تعالى : « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » فاضافته تعالى الى نفسه اضافة ملك ، وتخصيصه تشريف له وتعظيم ، كقوله سبحانه : « وطهر بيتى للطائفين » وسمى أشراف الملائكة أرواحا نحو قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » وقوله تعالى : « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم » وسمى جبرئيل عليه السلام روحا فى قوله تعالى : « نزل به الروح الأمين » و « أيدناه بروح القدس(١) » وسمى عيسى عليه السلام روحا فى قوله تعالى : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » وذلك لما كان من احيائه الأموات باذن الله تعالى • وسمى القرآن روحا فى قوله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » وذلك لكون القرآن سببا للحياة الأخروية الموصوفة فى قوله تعالى : « وان الدار الآخرة لهى الحيوان » •

تتمة وايضاح

قال العلامة ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح « ان الروح ورد فى

---

(١) المقصود بروح القدس — على رأى — هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح • لأن الانبياء كلهم مؤيدون بجبريل عليه السلام •

القرآن على عدة أوجه أحدها : الوحى كقوله تعالى « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » ثانيها : القوة والثبات والنصرة التى يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين ، كقوله تعالى : « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » ثالثها : **جبريل عليه السلام كقوله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك » وقوله تعالى :** « قل نزله روح القدس » رابعها : الروح التى سئل عنها اليهود فأجيبوا بأنها أمر من أمر الله تعالى على القول المشهور : كما سيجىء ان شاء الله تعالى ترجيحه عند تفسير هذه الآية حينما يعترض عليها هذا النصرانى . **رابعها : زمرة من الملائكة كقوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » خامسها : المسيح عليه السلام قال تعالى :** « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » .

فان قيل : اذا كان النفخ حصل فى مريم من جهة الملك كما ورد فى القرآن الكريم عندما تمثل لها بشر فكيف أضاف الروح اليه سبحانه فى قوله تعالى : « والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » ؟ وما خاصية المسيح اذا كان النفخ من الملك الذى ينفخ الأرواح فى سائر البشر ؟

وقوله تعالى فى آدم عليه السلام : « فاذ سويته ونفخت فيه من من روحى » ثم أضيفت الروح اليه سبحانه ، فهل تعلق الروح بآدم بواسطة نفخ هذا الروح الذى نفخها فيه بأذن الله تعالى كما نفخها فى مريم ، أم الرب تعالى هو الذى نفخها فى نفسه سبحانه .

فالجواب : أن الروح الذى نفخ فى مريم هو الروح المضاف الى الله تعالى ، وهو روح خاص من بين سائر الأرواح . وليس بالملك الموكل بالنفخ فى بطون الحوامل : فان نفخته لما دخلت فى فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأنثى من غير أن يكون هنالك وطء . وأما ما اختص به آدم فهو أنه لم يخلقه كخلقة المسيح من أم ولا كخلقة سائر النوع من أب وأم ، لا كان الذى نفخ الله تعالى فيه منه هو الملك الذى ينفخ

الروح فى سائر أولاده . فالنفخ الذى حصل فى فرج مريم مفعول من مفعولاته ، فاضافة الروح اليه سبحانه فى آية آدم وآية مريم ، من الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات ، لأن المضاف الى الله تعالى نوعان . صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة ونحوهما ، واضافة أعيان منفصلة كالبيت والعبد ونحوهما ، فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ، لكنها اضافة تقتضى تخصيصا أو تشريفا يتميز المضاف به عن غيره كبيت الله . وان كانت البيوت كلها ملكا له ، فالاضافة العامة تقتضى الخلق والايجاد ، والخاصة تقتضى الأختيار ، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه » .

اذا علمت جميع ما تقدم فاستدلال النصرانى على ألوهية عيسى عليه السلام من القرآن الكريم أو من الكتب السماوية باطلا ، الكلمة أو الروح استدلال باطل ، لأن الكلمة فى القرآن أطلقت على أشياء كثيرة كما مر آنفا فمنها ما فى قوله تعالى : «وكلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى » وقوله تعالى : « لا تبديل لكلمات الله » وكذا الروح التى فى آدم قال تعالى فيه : « ونفخت فيه من روحى » كما تقدم فما هذه الأدلة منه لاعداء الله تعالى عنه الا سراب وافتراء على رب الأرباب . ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى الى هذه الأبحاث زيادة فى الجواب فيما يناسب المحل من هذا الكتاب ، والله سبحانه الهادى الى صوب الصواب .

ثم أعلم : أن « المسيح » قيل اسمه لقوله تعالى : « اسمه المسيح عيسى ابن مريم » والمشهور : أنه لقبه . وهو من الألقاب المشرفة كالفاروق وأصاله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك . وعن عمرو بن العلاء الملك . وعيسى معرب يسوع . ومعناه السيد . وعن كثير من السلف : أن المسيح مشتق من المسح . واختلفوا فى وجه اطلاقه على عيسى عليه السلام فقيل : مسح بالبركة واليمن . وقيل لأنه كان يمسح عين الأكمه فيبصر باذن الله تعالى ، وقيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهة بيده الا برىء . وقيل : لأنه كان يمسح بدهن زيت بورك فيه ، وكان

الأنبياء تتمسح به • وقيل . لأن جبرئيل مسحه بجناحه وقت الولادة ليكون عوذه من الشيطان الرجيم • وقيل لأنه حين مسح الله تعالى ظهر آدم عليه السلام فاستخرج منه ذرات ذريته لم يردها الى مقامه ، كما فعل بباقى الذرات بل حفظه عنده حتى ألقاه الى مريم فكان قد بقى عليه اسم المسيح أى الممسوح • وقيل غير ذلك •

وهذه الأقوال تشعر بأن اللفظ عربى لا عبرى • وكثير من المحققين على الثانى • وأما المسيح الدجال فعربى اجماعا ، وسمى بــه لأنه ممسحت احدى عينيه ، أو لأنه يمسح الأرض أى يقطعها فى المـــدة القليـــلة(١) •



قال النصرانى : « ولنرجع الآن الى كلامنا ولا نخرج منـه حتى نستوفيه ونوفيك الشهادات من كتب الله المنزلة ، ومن ديوان أسراره المقدسة على صحة قولنا وحقنا الذى بأيدينا وصدق منهاجنا ، ونستعين بالله على ذلك ثم وصف أشعياء النبى أن الله عز وجل ترآى له والملائكة حافون به مقدسون له قائلين قدوس قدوس قدوس رب الجنــود ، مجده ملأ كل الأرض (أشعياء ص ٦ع١ — ٣) فتقديس الملائكة ثلاث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيـادة ولا نقصان سر لتقديسـهم الأقانيم الثلاثة الها واحدا وربا واحدا • وهذا شأنهم منذ خلقوا الى أبـد الآبدين بلا انقطاع لذلك ولا غاية ولا منتهى • ولـو شئت ن أمطر عليك الشهادات من الكتب المقدسة المنزلة بالتصريح والاجتهـاد فى القول فى أن الله جل وتعالى واحد ذو ثلاثـة أقانيم لفعلت ذلك . لكنى أكره التطويل ، فاقتصرت على ما كتبت •

ولما ذكرته فى كتابك من أنك درست كتب الله المنزلة حق دراستها •

---

(١) راجع فى هذا الموضوع موضوع لم سمى المسيح مسيحا ؟ كتابنا المسيا المنتظر نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

فان كنت قد درستها كما ذكرت ، فقد استدللت بيسير ما كتبت به اليك على كثير مما في كتب الله المنزلة من أسرار أقانيمه وتوحيده ، فأنا أبقاك الله أدعوك بعد هذا الشرح والبيان الذى قد أوضحته لك وكشفته بين يديك وصح عندك وفى ذكرك ورضى به عقلك الى عبادة هذا الواحد الذى قد شرحت لك ، كيف هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد وليس كدعائك اياى الى أمر مدغم مبهم • مجهول غير معقول ، فاستعمل أنت أبقاك الله عقلك وقلبك ما ضمنته عن نفسك ، فان الوفاء من الله بمكان وينبغى لك أصلحك الله ان تميز الكلام وتعلم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه ، وليس دعائى اياك الا الى الله الواحد الذى هو ثلاثة أقانيم كامل بكلمته وروحه ، واحد ثلاثة وثلاثة واحد • ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلاثة كما شنع فى القول علينا صاحبك اذ قال : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » (مائدة ٧٧و٧٨) •

فهذا قول صاحبك • ولقد كنت أحب أكرمك الله أن أعلم من هؤلاء الذين يقولون : ان الله ثالث ثلاثة آمن فرق النصرانية هم أم لا ؟ وأنت فقد ادعيت معرفة الفرق الثلاث • وهى لعمرى الفرق الظاهرة • فهل تعلم أن أحدا منهم يقول ان الله ثالث ثلاثة ؟ فما أظنك تعرفه ولا نحن نعرفه أيضا • اللهم الا أن يكون أراد صنفا يسمون المركونية فانهم يقولون بثلاثة أكوان يسمونها آلهة متفرقة ، فواحد عدل وآخر رحيم واخر شرير ، وليس أولئك نصارى ولا يسمون بهذا الاسم • فأما أهل النصرانية فكل من ينتحل هذا الاسم فهو برىء من هذه المقالة جاحد لها كافر بها • وانما قولهم ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق • وقد أقر صاحبك بهذا اذ حثكم على الايمان بالمسيح سيد العالم ومخلص البشر ، وأمركم بذلك ودعاكم اليه بقوله : « يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ،

فآمنوا بالله ورسله • ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، انما الله إله واحـــد » (نساء ١٦٩) •

فأفهم كيف أوجب أن الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح وصرح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت انسانا فهل يكون من البيان والشرح أو من الايضاح والتصريح أكثر من هذا ؟ ثم ختم بقوله : « ولا تقولوا ثلاثة » آلهة أو يتوهم ذلك عن الله جل وعز بل « انتهوا » عنه ، فانه لعمرى خير لكم ألا تقولوا بمقالة « مركيون » الكذب الجاهـــل انهـــا ثلاثة آلهة ، فقد شرحت لك أكرمك الله كيف مذهبنا ، ومعنى قولنا : ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلاثة أقانيم ، وقد أوضحته ايضاحا يكون فيه لك ولكل من نظر فى جوابنا كفاية ونفع ، اذا لطف النظر ، ودقق الذكر ، ونصح لنفسه ان شاء الله تعالى » •



فأقـــول : لما كان هذا النصرانى يكرر كلامـــه وشبهه الفاســـدة بلا فائدة فى ألوهية عيسى عليه السلام ويناقض عبارته فى ذلك حيث يقول الاله واحـــد ، ثم يقول : ثلاثة وكابر ويدعى انه هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد ، ورددناه فيما تقدم بحمد الله سبحانه ببراهين ترتضيها أصحاب العقول ، وتحرير مؤيد من الكتب السماوية مقبول ، لـــزم علينا أيضا أن نكرر ابطال التثليث بعبارات مختلفة الألفاظ متحـــدة المعانى والأغراض بعد الكـــلام على بعض كلمـــاته ، وتزييف سوء اشاراته : فأما قوله : « ثم وصف اشعياء النبى » الى آخره فيقال له : ان هذه رؤيا أشعياء وأنت قد موت بظاهر كلامك أن الله عز وجل تراآى له يقظة • وهى فى الأصحاح السادس من نبوة أشعياء بعد قص الرؤية ونصها : « وكان فى السنة التى مات فيها أو رؤيا الملك رأيت الرب جالسا على كرسى عال مرتفع ، وما كان من تحته يمنع الهيكل • والساروفيم قياما حوله ، ستة أجنحة الواحد ، وستة أجنحة الواحـــد ، بجناحـــين يستران وجهه ، وبجناحين يستران رجليه ، وبجناحين كانا يطـــيران

ويصرخان الواحد الى الآخر ويقولان : قدوس قدوس قدوس الرب اله الجنود كل الأرض مملوءة من مجده » •

على أن ذلك لو كان يقظة فأى دليل لك فيه على التثليث ؟ وهل يستدل به عاقل على ذلك ؟ وأى مناسبة بين تكرير لفظ التسبيح وبين تعديد الأقانيم ؟ على أن آخر الكلام دافع لهذا المرام ، اذ يقول : « الرب اله الجنود » أى لا غيره • وعيسى غيره بالبداهة وبالأدلة السابقة والآتية اللاحقة ، على أنه لو كان المراد ذلك لقال أشعياء لبنى اسرائيل : ان هذا التكرار اشارة وشهادة لعيسى الاله ابن داوود الذى يولد بعد سنين عديدة من مريم ويأكل ويشرب ويلحقه ما يلحق الانسان من العوارض ويضرب ويصلب ، فانه الهى ! والهكم واله آبائنا وآبائكم ، وهو الذى خلق اليهود ثم يصلبونه ، فان أشعياء لا يمكن أن يجهل ذلك ولا يمكنه بعد العلم الكتمان ولحذرهم أشعياء من قتل ربهم ورب آبائهم الأولين •

وأما قوله : « ولو شئت أن أسطر عليك الشهادات » الى آخره فيقال له أنت لم تأت بشاهد واحد واضح بالحق ، فكيف تسطر شهودا يشهدون ذلك على ما يناقض بعضه بعضا وتأباه العقول وينكره العيان والحس ؟ فكيف تأتى بشاهد يشهد أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة حتى يصير ضحكة للعقلاء ؟ مع أن الكتب السماوية والأناجيل ترد كلامك كما بيناه فى أماكن عديدة •

وأما قوله : « وليس كدعائك اياى الى أمر مدغم مبهم مجهول غير معقول » الى آخره • فقوله يوجب الأسف على القائل والضحك من جهة على ترهات هذا القائل ، اذ كيف يكون القول بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد أمرا معقولا بزعمه ، ويكون القول بأن الله سبحانه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا أول ولا آخر ولا معين ولا وزير ولا ناصر ولا شبيه له ولا مكان له ، ولا يحل به حادث ولا يمضى عليه زمان الحى القادر العليم المريد

المتكلم الخالق البارىء المصور عالم الغيب والشهادة الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، أمرا مدغما مجهولا غير معقول ؟ فهل هذا الذى ادعاه « عبد المسيح » الا امر لا يخفى بطلانه وتناقضه على ربات الحجول •

على أن النصارى صرحوا فى كتبهم أن التثليث أمر وراء طور العقول، وأنهم آمنوا به وان لم تتصوره عقولهم ، تسليما للمنقول • فقد قال النصرانى فى ميزان الحق بعد أن قال : ان المسيح اله وابن الله حقيقة ، بل هو الله لا محالة ما نصه : « ولعل معترضا يقول : هل الاعتقاد بألوهية المسيح لا يناقض الاعتقاد بوحدانية الله ؟ فنجيبه : اننا من الانجيل نستدل على أن ألوهية المسيح لا تناقض وحدانية الله الذى هو واحد لا شريك له ولا مثل له ، وأن الأعتقاد بها لا يخل بالاعتقاد بتلك ، ولا ريب بأن الأنسان يعجز عن ادراك هذه الحقيقة العويصة الغامضة لأنها من الأسرار الالهية التى علمها مختص بالله وحده جلت قدرته ، والعقل البشرى لا تمكنه الاحاطة بالأسرار الالهيــة » •

ثم العجيب منه أن يعترف بأن الله ثلاثة ثم يناقض قوله وينكر ذلك، مع ان كتب النصارى طافحة بتعدد الأشخاص • فقد نقل صاحبنا العلامة الشيخ رحمت الله الهندى سلمه الله تعالى فى كتابه اظهار الحق عن صاحب ميزان الحق أنه قال فى الصفحة الخامسة بعد المئة : «ونحن لا نقول : ان الله ثلاثة أشخاص أو شخص واحد ، بل نقول بثلاثة أقانيم فى الوحدة وبين الأقانيم الثلاثة وثلاثة أشخاص ، بعد السماء والأرض » قال : « وهذه مغالطة صرفة لأن الموجود لا يمكن أن يوجد بدون التشخيص ، فاذا فرض أن الأقانيم موجودون وممتازون بالامتياز الحقيقى ، كما صرح هو بنفسه فى كتبه ، فالقول بوجود الأقانيم الثلاثة هو بعينه القول بوجود الأشخاص الثلاثة ، على أنه وقع فى الصفحة التاسعة والعشرين من كتاب الصلاة الذى هو رائج فى كنيسة انكلترا ، وطبع هذا الكتاب فى لسان الأوردواى الهندى فى

سنة ١٨١٨ ع ما ترجمته : « أيها الثلاثة المقدسون والمباركون والعالون منزلة الذين هم واحد » يعنى ثلاثة أشخاص وانه واحدا « ارحـم عبيدنا المنتشرين المذنبين » فوقع فيه ثلاثة أشخاص صريحا .

وكذلك مملوءة بعبارات مصرحة بأن عيسى ابن الله ، وأنه الله ، وأن مريم أم الله ، وزوجة الله ، ويسجدون لها ولصورتها السجود المحـرم فى كتبهم لغير الله ، كما يسجدون لله . وهذه صوره صلواتهم لها من كتبهم نزيدك تقينا فيما قلناه عنهم ففى كتاب الثلاث عشر رسـالة المطبعة فى بيروت سنة ١٨٤٩ مسيحية فى الكتب الرومانية هذه الصلاة لمريم العذراء ونصها : « يا خطيبة مختارة من الله يا أيتها المستحقـة الاكرام فوق الجميع والمستحقة المحبة قبل الجميع ، يا باب السـماء يا من هى الخلاص والسعادة الحقيقية يا تعزية المحزونين ، يا ملكة السماء التى جميع الملائكة يسجدون لها ، وكل شىء يسبحها ويكرمها ، صلى لأجلنا خلصينا يا أيتها الملكة من كل شر من كل تجربة من غضب الله وسخطه ، من قطع الرجا . خلصينا من الكبر والبخـل والغضب والحسد ، خلصينا فى ساعة الموت وفى يوم الدين من عذابات جهنم الشديدة ، نتضرع اليـك ان تسرى وترضى بأن تحفظى الكنيسـة المقدسة وجميع الشعب المسيحى ، فاستمعينا يا أم الله يا ابنـة الله يا خطيبة الله ، يا سيدتنا ارحمينا واعطينـا السـلام الـدائم يا أم النعمة ! سرور البائسين الأشقياء بأنوار الكنيسة لك نسجد لك نرتل تسابيح من صميم قلوبنا انت خلاصنا وفرجنا فى وقت الضيق» .

وامثال هذا كثير فى كتابهم المسمى « بمزامير العذراء » فانظر الى صفاقتهم فمرة يجعلون مريم خطيبة الله أى زوجته ومرة يجعلونهـا امه ، ومرة ابنته ومرة يجعلونها الها لأنهم يسجدون لها . والسجود فى العهد القديم والجديد لا يجوز الا لله وكذا يجعلون كل شىء يسبحها . وما ذا الا تناقض وهذيان كتناقضهم فى المسيح أنه ابن الله وأنه الله

وأنه ابن داوود وأنه ابن الانسان فنسأله سبحانه وتعالى الحفظ ونعوذ به من الخذلان وتسويلات الشيطان آمين •

وأمـــا قولهم : « اللهم الا أن يكون أراد صنفا يسمون المرقونيـــة فانهم يقولون بثلاثة أكوان يسمونها آلهة متفرقه » الى آخره •

فاعلم أولا : أن المرقونية كما قال الشــــهر ستانى « أثبتوا أصلين قديميز متضادين أحدهما النور والثانى الظلمة ، وأثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المـــزاج ، فان المتنافـــرين المتضـــادين لا يمتزجان الا بجامع دون النور فى المرتبة وفوق الظلمة ، وحصل من الاجتماع وامتزاج هذا العالم • ومنهم من يقول: الامتزاج انما حصل بين الظلمة والمعدل • اذ هو قريب منهـــا فامتزج به ليتطيب ويلتذ بملاذه فبعث النور الى العالم الممتزج روحا مسيحية وهو روح الله وابنه »

وهذه الفرقة قريبة من المانوية أصحاب مانى الحكيم الذى أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية ومذهبه أن لعالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليـــان حساســـان سميعان بصـــيران •

ثم أن المرقونية زادت الأصل الثالث وجعـــلته روح الله • فظلمـــة كلامهم مساوية لظلمة كلام النصارى • وهذى الثنيانى كلها أخوات • فأى فرق فى البطلان بين من يجعل الله سبحانه حالا فى مريم ومتولدا منها وقد صلب بيد اليهود ومات ، ثم قام من قبره حيا وصـــعد الى السماء ثم نزل الى الحواريين ثم صعد ثم ينزل فى اخر الزمـــان وفى كل يوم يقتل مرات على لسان القسيسين فى أماكن عديدة ويأكل لحمه ويشرب دمه ألوف من النصارى فى كل لقمة خبز وشربة خمر ، وبين قول المرقونية ؟ بل المرقونية من جهة لا يخبطون هذا الخبط ولا يأكلون فى كل يوم الههم وخالقهم ولا يشربون دمه كالنصارى المثلثين •

فانظر أيها المنصف فى التثليثين فما أظنك تفوق بين هذين المتشابهين.

وأمــا قوله : « ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق . وقد أقر صاحبك بهذا فى قوله : « رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » الى آخره فنقال له : ان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام كماله وعقله وسداد رأيه مسلم عند المؤمن به والكافر به : وقد أتى بهـذا القرآن الكريم مدعيا على الناس أنه نزل عليه من الرب العظيم ، وقد ذكر فيه أن النصارى كفروا لأن منهم من جعل عيسى الها ومنهم من جعله ابن الله سبحانه ، ومنهم من جعل أمه أيضا الها ، ومنهم من جعل الآلهة ثلاثة ، ومنهم من جعل الواحد ثلاثة آلهة ، والثلاثة واحـدا . وقالوا : الآب والابن وروح القدس اله واحد . وقالوا : اتحد اللاهوت بالناسوت ، كما فصلنا ذلك مرارا عنهم . وذكر الله تعالى على لســان نبيه عليه الصلاة والسلام أيضا فى القرآن العظيم : ان عيسى ليس باله ولا تولد من اله ، بل هو عبد الله ورسوله ، ردا على النصارى . ولا هو ابن زنا وكذاب كما ادعت فيه اليهود والعياذ بالله تعـالى من القولين ، فكيف يناقض أقواله ويدعى أنه نـــزل عليـــه قـــرآن متباين فهل هذا الا عدم تدبر أو وقاحة وتدليس من هذا النصرانى . فالنبى عليه الصلاة والسلام بين اختلاف أقوال أهل الكتاب فى عيسى عليه السلام وردهم بقوله سبحانه : « يا أهل الكتاب » خطاب لليهود والنصارى « لا تغلوا فى دينكم » لأن النصارى غلوا بقولهم ثالث ثلاثة ونحوه ، واليهود قالوا : ولد لغير رشده « ولا تقولـــوا على الله الا الحق » أى لا تذكروا ولا تعتقدوا الا القول الحق دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والحلول واتخاذ الصاحبة والولـــد « انما المسيح » سمى مسيحا اما لمسحه الأرض أو لمسحه ذا العاهة فيبرأ أو لمثل ما ورد فى المزمور الثامن والثمانين : « وجدت داود عبدى فمسحته بدهن قدسى » وقوله تعالى : « عيسى ابن مريم » رد على من يقول انه ابن الله أى الذى يكون والدته مريم ، كيف يكون ولد الله سبحانه بل هو « رسول الله » أى كسائر الرسل عبد الله مبعوث الى عبيد الله

.. حانه « وكلمته » أى حصل بكلمته « كن » من غير مدة معتادة كما ذ..طناه سابقا « ألقاها الى مريم » أى أوصلها اليهـا جبريل عليـه السلام « وروح منه » وسمى روحا لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى درع مريم كما تقدم الكلام عليه مفصـلا « فآمنوا بالله » وخصوه بالألوهية وآمنوا أيضا برسله أجمعين ولا تخرجوا أحدا منهم الى ما يستحيل وصفه من الألوهية ولا تكذبوهم ولا تغلـوا فيهم ، فتجعلوا بعضهم آلهة « ولا تقولوا » آلهتنـا « ثلاثـة » كمـا قالت النصارى ، واتفقت على التثليث واختبطت اختباطا عظيما فى كيفيـة التثليث كما بينا لك غير مرة : فأمرهم الله تعالى بقوله « انتهوا » أى عن القول بالتثليث « خيرا لكم • انما الله اله واحـد » لا شريك لـه ولا صاحبة ولا ولد ولا يتجزىء ولا يحل فى غيره ، وليس له ممـاثل ولا شبيه « سبحانه » أى أسبحه تسبيحا عن أن يكون له ولد لأن الولد جزء من الأب وهو متعال عن التجزئة وصفات الحـدوث « لـه ما فى السموات وما فى الأرض » فما جعلتموه جزء منه وشريكا له • فهـو من جملة مماليكه ، كيف يكون ابنه أو شريكه أو مثله ؟ « وكفى بالله وكيلا » أى مستقلا بتدبير خلقه ، بكل الخلق أمورهم اليه فلا حاجة الى واحـد يعينه لأن الولد يعين أباه فى حياته ويقوم مقامه بعد وفاته • والله تعالى منزه عن كل هذا •

واذا علمت ذلك فما استدل به « عبد المسيح » على ألوهية عيسى بهذه الآية ، وأنه أطلق عليه كلمة وروح ، فاستدلال فاسد وتحريف لكتاب الله سبحانه كاسد ، كما بيناه غير مرة •

فأما اطلاق الكلمة على غير عيسى • فواردة فى غير موضع من الكتب السماوية • ففى المزمور الثانى والثلاثين : « لأن كلمة الرب مستقيمة وكل أعماله بالأمانة » وفيه أيضا : « بكلمة الرب تشددت السـموات وبروح فيه كل قواتها »

وأمـا نسبة الروح الى غيره • فكثير جدا من ذلك ما فى الأصحاح

الثالث من سفر القضاة من التوراة ما نصه : « وكانت روح الرب عليه » وفى انجيل لوقا : « قال يسوع لتلاميذه أن أباكم السماوى يعطى روح القدس للذين يسألونه » • وفى انجيل متى أن يوحنا المعمدان « امتلأ من روح القدس وهو فى بطن أمه » وفى التوراة : « روح الله تعالى حلت على دانيال » وفى الأصحاح التاسع من سفر نحميا : « وروحك الصالح أعطيتهم ليعلمهم » الى غير ذلك مما قدمناه لك فى محله •

وخلاصة القول : أنه ليس للنصارى دليل على ألوهية عيسى بكونه بلا أب ، لوجود غيره بلا أب وبلا أم ، كآدم • ووجود حيوانات متكونة بلا والد • ولا دليل لهم أيضا بورود بعض الألفاظ الموهمة فى حقه كالابن فقد ورد استعمال الابن فى غيره من بنى اسرائيل ، واطلاق لفظ الآب على الله سبحانه لا يجوز لهم ، كما نقلناه لك عن التوراة وغيرها •

ففى الأصحاح الرابع من سفر الخروج : « هذا ما يقول الرب : ابنى بكرى اسرائيل » وفى الاصحاح السابع من انجيل متى « أبوكم الذى فى السموات يعطى الخيرات » كما نقلنا لك ذلك وغيره فتذكر •

ولم يبق بأيديهم الا المعجزات التى صدرت عنه ، والمعجزات التى صدرت من موسى عليه السلام أعظم بكثير من معجزات عيسى عليه السلام اذ قلب العصا أعظم من احياء الموتى كما لا يخفى وفلق البحر وبقية معجزاته أعظم من ابراء الأكمه والأبرص ، فلم يبق عندهم ان أنصفوا ما يشعر بألوهيته أو اتحاد الاله به أو حلوله فيه — تعالى الله عما يقول المشركون — وثبت كما ورد فى القرآن الكريم أنه عبد الله ورسوله كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمه صديقه •

وأما قوله : « فقد شرحت لك أكرمك الله كيف مذهبنا ، ومعنى قولنا : ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلاثة أقانيم ، وقد

أوضحته ايضاحا يكون فيه لك ولكل من نظر فى جوابنـا كفايـة » الى اخـــره •

فلا يخفى عليك أنه قد تبين لك ، ولكل منصف زيف شرحـه ، وانهد — والله الحمد — خاوى صرحه ، ونشرح لك نحن فى فصـول مذهبه ، ونرد مطلبه لتعرف رصاصه أو ذهبه ، وان كنا ذكرنا فيمـا سبق رد أقاويله ، وزيف أباطيله ، غير أنه يكرر فنكرر عليه بالـرد فى عبارات متفقة المعانى ، مختلفة المبانى ، فى هذا الكتاب لئلا يخلو مكرر كلامه عن رد الجواب • فنقول :



الفصـــل الأول

فـى

بيــان بعض فرقهم المشهورة والموجودة •

وبيان بعض اعتقاداتهم المعروفة عنهم الآن •

فمنها النسطورية ، ويوجد أكثرهم الآن فى جبال العمارية بـين ديار بكر والموصل • ويقال لهم : النيارية • ومنهم اليعقوبية واليهم تنتهى السريان القديمة والأرمن القديمة والروم القديمـة ، وهـؤلاء متقاربون فى العقائد ، ويصلى بعضهم خلف بعض • وعقيدتهم : أن المسيح اله تام وانسان تام فى طبيعة واحدة متأنسـة ومتجسدة • وكلهم يعترفون للقس بذنوبهم ويعتقدون استحالة العشـاء الربانى الى لحم المسيح • ومنهم الكاثوليك يعتقدون أن المسيح الــه تـام وانســان تام ، من طبيعتين الهية وانسانية ، وكذلك يقولون بالعشاء الربانى ، ويعتقدون أن البابا الذى فى رومية وكيـل المسيح عليـه السلام ، ولا يخطىء أبـدا • وكذلك الأرمن الكاثوليك الحـديث ،

والـــروم الحـــديث الكاثوليك والسريان الحـــديث ، واللاتين كلهـــم يزعمون عصمة البابا فى جميع أقواله وما يشرعه لهم ويقولون بالعشاء الربـــانى •

ومنهـــم البروتستانت ويقال لهم برونستان أيضا ، وهم أغلب نصارى الهند الآن ومنهم تبعة الانكليز وغيرهم ، ولا يجوزون استحالة العشاء الربانى الى لحم المسيح ولا الخمر الى دمه ، ولا يسجـــدون للصور كغيرهم ، الساجدين لصورة المسيح وأمه ، ولا يقولون بعصمة البابا ، وبينهم وبين جماعة البابا ومن يتبعه عداوات ومجادلات وردود كثيرة • وكل منهم أظهر كفر الآخر ، وتفرقوا أيضا فـــرقا عديـــدة وظهورهم كان من مدة تزيد على أربعمائة سنة ولا يحكمون الا بانجيلهم ويقولون : ان جميع النصارى الآن يخالفون أحكام الانجيل ، مع أن اللازم العمل بمقتضى العهد الجديد ، يعنى الانجيل ورسائل الحواريين ونحوها ، لا بالرأى ولا بأقوال البابا والقسيسين • وللطـــرفين كتب مؤلفة عديدة فى رد بعضهم على بعض ، وتكفير كل فرقة للأخرى ، فهم كما وصفهم الله تعالى بقوله : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون » ولهم عقائد وأقوال أخر ذكرناها فى محلها ان شاء الله تعالى •

ثم اعلم : أن علماء المسلمين رحمهم الله تعالى ذكروا فى كتبهم أن النصارى قالوا الاله جوهر ثلاثة أقانيم آب وابن وروح القدس ، كل واحد منها اله تام والكل اله واحـــد ، خلا آريوس فى الابن فانه ينكر ألوهيته ، ومقدينوس فى روح القدس ، فانه ينـــكر الهيتـــه ، ويطلقون على مجموع الجوهر والأقانيم اسمى التثليث والتوحيد • ثم قالوا بأن الذى هو أحد الأقانيم وثانيها نزل الى الأرض وتجسد من مريم ومن روح القدس وولد صغيرا كغيره من الأولاد ، ونشـــأ وكبر الى أن بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا ، ثم ان اليهود صلبوه ومات وقبروه ثم قام من القبر فى اليوم الثالث وأكل السمك

وشرب الماء وظهر للحواريين ، ثم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الآب • وهو فى هذه الأحوال كلها اله تام وانسان تام ولا يزال كذلك الى أبـد الآباد • والايجاد انما كان من وقت بشارة الملائكـة لمريم قالوا : انما نزل الى الأرض وتجسد ليخلص الانسان من الخطيئة ، أى خطيئة آدم عليه السلام • وقد خلص • وسينزل مرة أخرى ويقيم الحق ويحاسب الخلق ، ويبعث بعثا الى النعيم ، وبعثا الى الجحيم • وأجمعوا على أن شريعة الانجيل ناسخة لشريعة التوراة ، رافعة لسنة السبت ، ثم انها لا تنسخ •

واختلفوا فى كيفية الاتحاد ، وفى الذى وقع فيه الاتحاد

فقالت الملكية : اتحد الابن الأزلى بانسان كلى مجرد عن الأقانيم فصار بذلك مسيحا واحدا ، الها تاما ، وانسانا تامـا ذا طبيعتـين ومشيئتين وأقنوم واحد •

وقالت اليعقوبية : اتحد الابن الأزلى بانسان جزئى ذى أقنوم ، فصار بذلك مسيحا واحدا الها تاما وانسانا تامـا ، ذا طبيعـة من طبيعتين ، وأقنوم من أقنومين ، ومشيئة من مشيئتين •

وقالت النسطورية : اتحد الابن الأزلى المولود من الآب قبـل الدهور والأعصار بالابن الزمنى المولود من مريم ، فصار بذلك مسيحا واحدا الها تاما وانسانا تاما ذا طبيعتين وأقنومين ومشيئة واحدة • فالاتحاد وقع عند الملكى فى اقنوم فقط ، وعند النسطورى فى المشيئة فقط ، وعند اليعقوبى فى الأقنوم والطبيعة والمشيئة • وهؤلاء أصول النصرانية وعمادها ومن سواهم من المرقونية والمارونية والآريوسـية والمقدونيسية والأرمن والروس وغيرهم يتطفلون على هؤلاء • وقـد سمعت آراءهم •

الفصـــل الثـــانى
فـــى
قولهم : الاله جوهر

قال بعض الأفاضل ان أرادوا بالجوهر المتحيز فهو محـــال ، لأن المتحيز اما أن لا يقبل القسمة وهو الجزء الـــذى لا يتجزىء لصغره وهو فى غاية من الصغر والاحتقار ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك باتفاق العقلاء . واما أن يقبلها وهو الجسم ، والجسم مركب عند الفلاسفة من الهيولى والصورة ، وعند المتكلمين من أجـــزاء لا تتجزىء وكل مركب محتاج الى مفرداته ، ومفرداته غيره . فكل مركب محتاج الى غيره ، فالبارى سبحانه لو كان جسما لكان مركبا ممن الهيولى والصـــورة ، أو من الأجزاء التى لا تتجزىء ، والمكـــان محتاجا الى غيره . لكن المحتاج اليـــه كل شىء لا يجـــوز أن يكـــون محتاجا الى شىء للزوم الدور أو التسلسل الباطلين ، فالبـــارى تعالى لا يجوز أن يكون جوهرا بمعنى أن لا يتجزىء لصغره وبمعنى أن يكون جسما . وان أرادوا بالجوهر الموجود الذى ليس فى موضوع كما تقول الفلاسفة فيلزمهم أن يقولوا ان وجوده نفس ماهيتـــه ، ويلزمهم ما يلزم الفلاسفة حيث قالوا ان الوجود مفهوم واحد بين جميـــع الموجودات الجزئيـــة ، مع أنه فى الواجب نفس ماهيته وفى الممكن عارض لماهيته ، والجمع بين كونه مفهوما واحدا وبين كـــونه فى الواجب مجردا وفى الممكن عارضا ممتنع .

وانما قلنا : الجمع بين هذين الأمرين ممتنع ، لأن الوجـــود من حيث هو هو ، اما أن يكون واجب التجرد ، فوجود الممكن واجب التجرد ، لأن لازم الحقيقة حاصل أينما حصلت واما أن يكون واجب العروض ، فوجود الواجب عارض للعلة التى ذكرناها ، وان لم يكن واجب التجرد ولا واجب العروض فالتجرد المتجرد وعروض العارض

كل واحد منهما ممكن ، وكل ممكن معلول ، فتجرد المتجـرد عن علة ، وعروض العارض عن علة ، فالوجود الواجبى معلول علة ، وهذا خلف ،

واما أن تقول النصارى ان وجوده عارض لماهيته ، وكل وجود عارض فهو معلول اما لمعروضه ، والعلة الموجبة للشيء يجب وجودها بالفعل قبل وجود المعلول ، فيلزم أن يكون المعروض الـذى هـو ماهيته موجودا قبل وجوده ، واما لغير معروضه ويلزم الدور أو التسلسل ، فالقول بكون البارى جوهرا قول محال ، ومن المعلـوم أيضا : أن الجوهر يفتقر فى وجوده الى عرض يقوم به وله قدر وكمية ، والقديم جل جلاله بخلاف ذلك ، فكيف يصح اطلاق لفظ الجوهر عليه سبحانه من غير توقيف ؟



الفصـــل الثـــالث

فـــى

الاقانيـــم

وهى جمع أقنوم ، وهى على ما فى كتاب المعربات الأصول : قيل رومية ، وقيل سريانية معناها الشخص ، ولهم فيها تسـعة أقوال : أحدها : بأنها أشخاص ، وثانيها : بأنها خواص ، وثالثها بأنها صفات ، ورابعها بأنها صفات ايجابية ، وخامسها بأنها صفات ايجابية جوهرية ، ومرادهم بالجوهرية أنها ليست اضـافية ولا معروض الاضافة ، وسادسها بأنها صفات لا بمفردها بل يكون كـل واحد منها مع الذات أقنوما ، وسابعها أنها أوصاف لا بمفردها بل كل واحد منها مع الذات يكـون أقنوما ، وثامنها أنهـا هى العقـل

والعاقل والمعقول • وتاسعها أنها جهات ذهنية واعتبارات عقلية •

أما أنها أشخاص فهو ظاهر البطلان ، لوجوب القول بثلاثة آلهة وامتناع ذلك • وأما أنها خواص فهو أيضا باطل لوجوب أن يكون أبا لنفسه ابنا لنفسه معلولا لنفسه ، ويلزم اجتماع المتقابلات فى محل واحد بالشخص ، ويلزم تقدم الشىء على نفسه وتأخره عن نفسه •

وأما أنها صفات فهو أيضا باطل •

أما أولا فلأنها سواء كانت صفات مطلقة أو ايجابية جوهرية ، فان صفات الجلال ونعوت الكمال فى كل قسم تزيد على ثلاثة • والأقانيم عندهم لا تزيد على ثلاثة • وأما ثانيا فلأن الابن معروض الاضافة فان صح تفسير الصفة الجوهرية ، فالابن لا يجوز أن يكون أقنوما فرجع الأقانيم الى أقنومين ، وان لم يصح يدخل القادر والمريد فى الأقانيم فتزيد الأقانيم على ثلاثة • والقولان باطلان عند النصارى •

وأما أنها صفات تكون كل واحدة منها مع الذات أقنوما ، فهو أيضا باطل لأن الابن اتحد بذاته وجوهره عند الملكى واليعقوبى ، فذاته ان كانت مغايرة لذات الآب ولذات روح القدس ، فيلزم القول بثلاثة آلهة ، وان لم تكن مغايرة لزم القول باتحاد الأقانيم الثلاثة والنصارى ينكرون القولين •

وأما أنها أوصاف يكون كل واحد منها مع الذات أقنوما ، فهو أيضا باطل ، لأن الأوصاف لا وجود لها فى ذات الموصوف • لأنها أقوال الواصفين • ويلزمهم أحد الأمرين • اما انكار الاتحاد ، أو

اتحـــاد الجـــوهر الذى هو الثالوث الجـــامع للأقانيـــم الثلاثـــة •
والنصارى ينكرون القولين •

وأما أنها هى العقل والعاقل والمعقـــول ، فهو أيضـــا باطل لأنها اضافات متلازمة ، فأيها اتحد لزم اتحاد الآخرين ، ويلزم رفع الاتحاد ، أو اتحاد الثلاثة • والنصارى ينكرون القولين • وفائدة العقل والعاقل والمعقول تسلموها من الفلاسفة ، وحسبهم تطفلهم على طائفةيعتقدون كفرهم ، مع أنهم ما نفعهم التطفل على ما بينا •

وأمـــا أنها جهات واعتبارات فهو أيضا باطل ، لأنه لا وجـــود لها فى الخارج • فالاتحاد لا وجود له فى الخارج • وكل من لا يقول بوجود الاتحاد فى الخارج فهو ليس بنصرانى عند النصارى •

فالأقوال المتسعة باطلة ، فلا يجوز اتصاف البارى سبحانه بشىء من الأقانيم طويل الذيل قليل النيل •

وأما قولهم كل واحد من الأقانيم اله تام وكلها اله واحد • لأنه اما لا تزيد كلها على كل واحد منها بشىء ، فلا فرق بين العـــدد وغير العدد • والمجنون لا يرضى بهذا القول •

وأما أن يزيد كلها على كل واحد منهـــا بشىء ، فتلك الزيـــادة أما أن لا تتم الالوهية الا بها فكل واحد منها ليس باله ، لخلـــوه عـــن تلك الزيـــادة •

واما أن تتم الالهية بدونها • فالأقانيم حشو ، لأنها ليست غـــير تلك الزيـــادة •

☆ ☆ ☆

الفصـــل الـــرابع

فـــى

النـــزول والاتحـــاد

أما النزول فنقول : نزل مجردا أو متحـــدا ؟ والأول باطل ، لأن النزول حركة ، والحركة هى الانتقال من حيز الى حيـــز ، وما ليس فى حيز يستحيل عليه الانتقال • فما نزل مجردا •

والثانى أيضا باطل ، لأن المتحد به وهو جسد المسيح والمتحـــد منه وهو مريم كلاهما أرضيان ، فلم ينزل متحدا • فالقول بالنـــزول باطـــــل •

وأما الاتحاد فهو ضرورة : ما هو أكثر من واحد بالعدد ، يكون واحدا بالعدد • فالمتحد والمتحد به ، ان كانا موجودين بعد الاتحاد ، فلا اتحـــاد لبقاء الكثرة على حالهـــا • وان كانا معدومين فلم يكن ذلك اتحادا ، بل اعداما • ويلزم أن لا يكون المسيح الهـــا ولا انسانا ، فضلا عن أن يكون الها وانسانا • وان كان أحدهما موجودا والآخـــر معدوما • فالمعدوم لا يكـــون نفس الموجـــود وبالعكس • وأيضـــا : فالموجود ان كان هو الانسان ، فالمسيح انسان فقط •
وان كان هو الاله فهو اله فقط • ويبطل أن يكـــون الهـــا وانسانا ، فالقول بالاتحاد باطل • واذا انتفى أصل الاتحاد انتفى الاتحاد الذى عند فـــريق فـــريق ، لأن فى انتفاء الحقيقة انتفـــاء أفرادهـــــا • لكننا لمـــا أوردنا أقوالهم فى الاتحاد ، احتجنا الى ابطال قول قول •

فأما قـــول الملكى فهو ظاهر البطلان لأن الانسان الكلى • أمـــا أن لا يكون موجودا فى الخارج فالابن اتحد بما لا وجود له فى الخارج فالمسيح انسان فقط وأما أن يكون موجودا فى الخارج والابن متحـــد

به ، فهو صادق على كل فرد من أفراد الناس ، والمتحد بالصادق على كل فرد من أفراد النـــاس صـــادق على كل فرد من أفراد النـــاس ، ومتحد به • فجميع أفراد الناس آلهة ومسحاء •

وأما قول اليعقوبى فهو أيضا باطل لأن كل فرد من كل روح من الطبيعتين والأقنومين والمشيئتين اما أن يمتاز عن الفرد الآخر فالكثرة على حالها فى الأمور لستة فلا تحاد ، واما ألا يمتاز ، فالالهية والانسانية تواردتا على محل واحد من جهة واحدة ويلزم أن لا يكون ذلك المحل الهـــا من جهة كونه انسانا ولا انسانا من جهة كـــونه الهـــا ويلزم من القول بكونه الها وانسانا الجمع بين النقيضين •

وأما قول النسطورى فهو أيضا باطل ، لأن مشيئة الأقانيم امـــا واحدة ، ويلزم القول باتحادها جميعها واما متعددة ويلزم القـــول بتعدد الآلهة فالقول بالاتحاد باطل مجملا ومفصلا ولا تنس ما حررناه لك سابقا ولاحقا فى أنواع التثليث فعض عليه بالنواجذ واطلبه الطلب الحثيث وقل الحمد لله الذى ميز الطيب عن الخبيث وهو يقول الحق ويهدى الســـبيل •



قال النصرانى « فلنرجع الآن الى الباب الآخر من كتابك ونجيبك عنـــــه •

فأقول قد فهمت مادعوتنى اليه من الشهادة لصاحبك والاقـــرار بنبوته ورسالته وما عظمت من أمـــره فأما تعظيمك اياه وتفخيـــمك أمره فلسنا نجادلك فيه ولا نرده عليك ، وليس عندنا فيه الا تسليمه لك والسكوت عنك ، اذ كنت أولى الناس بقرابتك ، وقرابتك أولى الناس بك وانما نحن مناظروك فيما دعوتنا اليه من الاقرار بنبوته بأن ذلك حق واجب فان كان ذلك حقا واجبا ، فليس ينبغى لنا ولا لأحد ذى عقل

أن يمتنع أو يمتعض من قبوله فانه لا يمتنع من الاقرار بالحق الا ظالم متعد أو جاهل بمعرفته قدر الحق وان كان ذلك غير الحق فلا ينبغى لك أن تقيم على غير الحق فكيف تدعونا اليه ؟ فانك اذا فعلت هذا كنت ظالما لنفسك أولا ، ثم متعديا على من تدعوه الى غير الحق •

فلنطرح الآن من بيننا العصبية ولنفحص عن أول قصة صاحبك هذا الذى تدعونا الى الاقرار له بالنبوة ونشرحها من أولها الى أخرها ونختبرها اختبارا شافيا ونتناظر فيها مناظرة انصاف كى لا تميل الى الهوى الذى يرى بعين الغرض والجور فان هذا أمر جليل الخطب عظيم القدر شريف المنزلة ، وعلى حسب ذلك يجب أن يكون النظر فيه والبحث عنه بتأن وترو •

ألست تعلم اكرمك الله ونحن معك أن هذا الرجل كان يتيما فى حجر عمه عبد مناف المعروف بأبى طالب وقد كفله عند موت أبيه ، وكان يعوله ويمنع عنه ، وكان يعبد الأصنام اللات والعزى مع عمومته وأهل بيته بمكة ، على ما حكى هو فى كتابه وأقربه على نفسه حيث قال « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى » (ضحى) افلا ترى أنه قد أوجب بهذا القول الاقرار بأنه كان يتيما فأواه وضالا فهداه ، وعائلا فأغناه ، ثم نشأ فى ذلك الأمر حتى صار فى خدمة عير لخديجة بنت خويلد يأمر فيها بأجره ، ويتردد بها الى الشام وغيرها الى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوجه اياها للسبب الذى تعرفه •

فلما قوته بحالها نازعته نفسه الى أن يدعى الملك والترؤس على عشيرته وأهل بلده ، فرأى ذلك غير منتظم له ولم يتبعه عليه الا قليل من الناس بعد لموازنة المجحفة وأنت أكرمك الله عالم بمرارة نفس قريش وشدة اباتها لمثل هذا وشبهه من الضيم ، فعندما أيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وأنه رسول » •

★ ★ ★

أقول الكلام على هـذه الأسطر وما يتعلق بهـا فى فصلين وتتمة وتـذييل .

★ ★ ★

الفصـل الأول

فـى

نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم

وبعض أحواله وسـيرته وابتداء أمـره

مقـــدمة :

أعـلم أولا أن المسلمين اخذوا كتاب ربهم عز وجل بعد ثبـوت النبوة والمعجزات من نبيهم صـلى الله تعالى عليه وسـلم بلا زيادة ولا نقصان بطريق التواتر جماعة عن جماعة يحيل العقل تواطئهم على الكذب ،وكتبوه وحفظوه فى صدورهم جيلا بعد جيل فى كل بلد وكل قبيل الى زمننا هذا وكذا أخذوا احاديث نبيهم عليه الصلاة والسـلام وأقواله وسيرته وأحواله الشريفة عن الصحابة الذين هم جم غفير ، وعن تابعيهم وتابعى تابعيهم طبقة بعد طبقة الذين هم ألوف لا يحصى عددهم الا الله سبحانه ، وكل من هؤلاء عرفت سيرتهم ودونت أحوالهم وأقوالهم بأسانيدها فى الكتب المعتبرة والأسفار المتعددة المحبرة .

وبين العلماء عدالة الراوى الصـادق منهم وعـدلوه ونبهوا على الضـعيف ويجرحوه والموضوع وطرحوه المطعون فتركوه واعتنـوا بالاسناد والرواية وغاصوا فى استخراج الصحيح بكامل الدراية(١) ،بحيث لم يسبقهم الى هذه الطريق سابق ، ولم يشق لهم غبار فى هذا الميدان

---

(١) يقول الحافظ ابن الصلاح فى المقدمة : وان أردت حديثا متواترا ، أعياك تطلبه .

من كافة الأمم لاحق ، اذ لولا الرواية لقـال من شاء ما شـاء والله سبحانه يختص برحمته من يشاء وهذا أمر يسلمه كل مطلع منصف من ذوى الملل ، ولا يختلف فيه صاحب عقل من أرباب النحل • وأما غيرهم من الأمم السالفة فليس عندهم اسناد ولا يحفظ كتبهم أحد من العباد ، ولم يسلكوا ما سلكه الموحدون ، بل سلكوا ضده • فهم للكتاب محرفون وفيه بالزيادة والتنقيص متصرفـون • وللقصص المردودة المتناقضـة ناقلون ، وللأحكام برأيهم مغيرون ، ولم يميزوا بين كلام ربهم وزيادة أحبارهم وشريعة الهم وشرع قسوسهم ، وأكاذيب رهبانهم فالـكل عندهم منزل من الله وكل ناقل لهم صادق أواه ورئيسهم البابا معصوم من الخطأ والزلل فجميع ما يقوله برأيه لا فرق بينه وبين ما به المسيح نزل كما سيتضح لك ان شاء الله تعالى ما قلناه فى محله ونثبته بصحيح النقـل ومفصـله •

واذا علمت ذلك واستحضرت هذه المقدمة فى بالك ، فاستمع مانذكره لك من أخبار النبى المصطفى المعظم ، وسيرته الصحيحة صلى الله تعالى عليه وسلم وما ورد من البشائر فى نبوته فى الكتب السماوية والأمارات الكونية واخبار الكهان من العرب ، والأحبار من اليهود والرهبان من النصـارى •

قال العلماء هو عليه أفضل الصلاة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب
من الخطأ والزلل فجميع ما يقوله برأيه لا فرق بينه وبين ما به المسيح
ابن لؤى بن غالب بن فهر — بكسر الفاء ، واسمه قريش — بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة — واسم مدركة عامر — بن الياس بن منصر ابن نزار — بكسر لنون — بن معد بن عدنان • قيل وعدنان بن أدد بن مقوم ابن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم

خليل الرحمن بن تارح(١) — وهو آزر — وبقية النسب الى آدم عليه السلام مذكور فى التوراة ، وفى كتب السير والأنساب .

وأمه عليه الصلاة والسلام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مـــرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر — واسمه قريش — فهو عليه الصلاة والسلام خير أهل الأرض نسبا على الاطلاق ، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شـــهد له به عدوه اذ ذاك أبو سفيان بين يدى ملك الروم كما سنذكر القصة فى محلها ان شاء الله تعالى . فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الأفخاذ فخذه اذ لا خلاف عند النسابين ان عـــدنان من ولد اسماعيل عليه السلام واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، كما تدل التوراة عليه أيضا فان فيها ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره ، وفى لفظ وحيده واسماعيل أكبر من اسحاق فهو الوحيد وأما القول بأنه اسحاق فقد بينا فساده فيما سبق فتــذكر .

ثم انه لا خلاف أنه ولد عليه الصلاة والسلام بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل مقدمة قدمها الله تعالى لنبيـــه وبيته والا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة اذ ذاك لأنهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه . اذ سلط الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ، ارهاصا وتقدمة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى خرج فى مكة وتعظيما للبيت الحرام .

واختلف فى وفات أبيه عبد الله . هل توفى ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل أو توفى بعد ولادته بسبعة أشهر ؟ على قولين أصحهما الأول ولا خلاف أن أمه ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ، ولم

---

(١) التوراة تنسب ابراهيم عليه الســـلام الى تارح . وليس فيهـــا اســـم آزر .

يستكمل اذ ذاك سبع سنين وكفله جده عبد المطلب وتوفى ولرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نحو ثمان سنين ، ثم كفله عمه أبو طالب واستمرت كفالته .

فلما بلغ اثنتى عشرة سنة خرج به عمه الى الشام ، فلما نزل الركب « بصرى » من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له وكان اليه علم أهل النصرانية وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريبا من صومعته رأى وهو فى صومعته رسول الله ﷺ وغمامة تظله من بين القوم ، ورأى أغصان شجرة نزلوا عندها تهصرت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين استظل تحتها فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وقد أمر بطعام ثم أرسل اليهم ، فقال انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فانا أحب أن تحضروا كلكم فقال له رجل منهم والله يابحيرا ان لك لشأنا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ قال له صدقت قد كان ما تقول لكنكم ضيف . وقد أحببت أن أكرمكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا القوم ولم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده . قال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى قالوا له يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك الا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف فى رحالنا فقال لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فاحضروه معهم فلما رآه بحيرا أجعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته ، حتى اذا فرغوا من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال ياغلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه وانما قال بحيرا ذلك لسماعه أن قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسألنى بهما شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال له سلنى عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله

من نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ماعند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه ، من صفته التى عنده فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال له بحيرا ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى . قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ،فأسرع به الى بلاده . فخرج به عمه سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

فشب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلؤه ويحفظه ويحوطاه من اقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة،وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وابعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما اسمه فى قومه الا الأمين لما جمع الله تعالى فيه من الأمور الصالحة .

قال ابن هشام وغيره ولما بلغ عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم اياه بشىء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج فى مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام وكان ميسرة يرى اذا اشتد الحر ملكين يظلانه من الشمس ، وهو يسير على بعيره ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها ، واشترى

ما اراد أن يشترى ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة فلما قدم على خديجة بمالها باعت ما جاء به بأضعف أو قريبا . وحدثها ميسرة عما كان يرى من اظلال الملكين اياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله تعالى بها من كرامة فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به وكانت تعلم حسن أخلاقه وكمال شرفه ، وكثيرا ما تسمع حسن الثناء عليه بصدقه وعفته واشتهار أمانته ، وكانت يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا موأكثرهن مالا ، وكل قومهاكان حريصا على ذلك منها ، لو يقدر عليه لأنها كانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة . وكانت تحت عتيق ابن عائذ المخزومى فولدت ثم مات وكان لها من العمر أربعون سنة فخطبها رسول الله ﷺ وتزوجها واصدقها عشرين بكرة وقيل أصدقها اثنتى عشرة أوقية ذهبا . وحضر العقد أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب وقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضضىء معد وعنصر مضر ، وجعلنا حضنه بيته وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به . فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته. وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى عشرين بكرة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل. فزوجها أبوها .

وهى أول امرأة تزوجها عليه الصلاة والسلام ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله تعالى عنها وولدت له الطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين أجمعين .

وروى البخارى أول ما بدء به رسول الله تعالى عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت

مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان بخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد(١) الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثها حتى جاءه لحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال أقرأ قال:ما أنا بقارىء قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد،ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال:«اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم » فرجع بها رسول ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى•فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقالت له خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا أنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به الى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرءا قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانى ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك • فقال رسول الله ﷺ أو مخرجى هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى •

ثم فتر الوحى قال عليه الصلاة والسلام بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى ، فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى

---

(١) التعبد هنا يعارض لقوله تعالى : « ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان » ويوافق ما روى من أن العرب كانوا على دين موسى عليه السلام • والمؤلف سيتحدث فى هذا •

زملونى ، فأنزل الله عز وجل: « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » فحمى الوحى وتواتر .

فصــل أما دعواه أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يعبد اللات والعزى مع عمومته(١) فكذب وبهتان ، واستدلاله بآية الضحى استدلال باطل من وجــوه .

---

(١) معنى كون النبى على دين قومه عند الامام فخر الدين الــرازى . صحيح . والمؤلف لم يفقه مراد الامام فخر الدين فى كون النبى محمــدا ﷺ على دين قومه .وما قاله الرازى قاله الماوردى فى أعلام النبــوة وبيــان ذلــك :

ان دعوة موسى عليه السلام كانت عامة للناس جميعا ، لبنى اسرائيــل وللامم . ولكن بنى اسرائيل جعلوها خاصة من زمان سبى بابل ابنىاسرائيل وحدهم من دون الناس . وامتنعوا عن هداية الناس الى معرفة الله تعالى. والعرب كانوا على دين موسى . واهل اليمن كانــوا على دين موسى من حين دخول ملكة سبأ فى الاسلام مع سليمان عليه السلام وظلــوا على اليهودية الى ان آمن اهل نجران — وكانوا على اليهودية — بكلام عيسى عليه السلام فحفر لهم « ذو نواس » اخدودا وأحرقهم فيه بالنار . وقد أشار الله تعالى فى القرآن الى ان العرب اهل مكة وما حولها من القرى ، كانوا على دين موسى فى قوله تعالى : « ولولا أن تصيبهم مصــيبة بمــا قدمت أيديهم . فيقولوا : ربنا لولا أرسلت الينا رســولا . فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ، فلما جاءهم الحق من عندنا قالــــوا : لولا أوتى مثــل ما أوتى موسى ، أو لم يكفــــروا بمــــا أوتــى مــــن موسى من قبــل ؟ قالــوا : سحران تظاهرا . وقالوا : انا بكل كافرون » .

ووجه الدليل : هو أن كفر العرب بكتاب موسى ، يــدل على انهم كانوا مكلفين به . واذا ثبت انهم كانوا مكلفين به ، يثبت أن موسى لم يكن خاصا ببنى اسرائيل . وقد وضحنا هذا فى كتابنا « نقد التوراة أســفار موسى الخمسة » ولذلك قال الامام الماوردى فى أعلام لنبوة : وقيل كان متعبــدا بدين موسى . وللقرطبى كلام طويل فى قوله تعالى : « ما كنت تــــدرى ما الكتاب ولا الايمان » ولأن اليهود من أيام سبى بابل منعوا الدعوة عن الأمم ، لم يظهروا طقوس اليهودية وشعائرها للعرب . واذا اظهــروا لهم التوحيد لله رب العالمين ، وأن نبيا سوف يظهر منهم لينسخ شريعــة موسى عليــه السلام .

وقد بين « ابن كثير » فى تفسيره فى أول آل عمران : ان دعوة موسى =

أحدها ان الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها؛ خلافا لما قال « عبد المسيح » سابقا ان ابراهيم كان يعبد الصنم قبل نبوته ، وخلافا لما قال اخوانه اليهود فى توراتهم ان سليمان عليه السلام عمل أصناما لزوجاته بعد النبوة وعبدوها نعم اختلف علماء الاسلام بعد أن اتفق جمهورهم على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكفر قبل النبوة وبعدها . هل الكفر غير جائز عليهم عقلا وسمعا أم لا ؟ فقالت الأشعرية انه غير ممنع عقلا لأنه جائز فى العقول

= عليه السلام كانت عامة فى زمانه ، وما كانت عامة الى زمان محمد ﷺ وقال فى سورة القصص : ان المخاطبين بـ « لولا أن تصيبهم ... الخ » هم العرب المخاطبون بـ « أن تقولوا : انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ... » وروى عن الحسن البصرى أنه فسر « سحران تظاهرا » أى تعاونا وتناصرا وصدق كل منهما الاخر : انهما موسى ومحمد عليهما السلام . وفسر « أهدى منهما » بالتوراة والقرآن وقد صح قوله فى تفسير سورة القصص . والقرآن يشهد بأن سليمان عليه السلام كان على دين موسى عليه السلام وكان يغزو فى سبيل الله — كما جاء فى الأحاديث أيضا — ويدعو الناس الى شريعة التوراة . وقد اسلمت على يديه ملكة سبأ وهى ليست يهودية . وهذا يدل على توالى العموم الى مجىء الناسخ لها وهو القرآن الكريم . وقد صرح فى التوراة بما نصه : « وقد علم بالضرورة لذوى الألباب : أن الله — تعالى — لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا اشمل ولا افصح ولا اعظم ولا اشرف من الكتاب الذى انزل على محمد ﷺ وهو القرآن ، وبعده فى الشرف والعظمة الكتاب الذى أنزله على موسى بن عمران — عليه السلام — وهو الكتاب الذى قال الله فيه : « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا . والربانيون والأحبار ، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » والانجيل انما أنزل متمما للتوراة ، ومحلا لبعض ما حرم على بنى اسرائيل » .

هذا نص كلامه فى سورة القصص . وليسأل هو : من موسى الى محمد — عليهما السلام — اذا كانت التوراة لبنى اسرائيل وحدهم . فما هى الشرائع التي كانت لغيرهم من أمم الأرض ؟

وقوله عن الانجيل : « انما انزل متمما » خطأ . والصواب : انما انزل مصدقا . لأن التتميم تشريع زائد على تشريع . وعيسى عليه السلام مصدق التوراة فقط غير مهيمن عليها . ومبشرا بمحمد ﷺ .

أن يكون الشخص كافرا فيرزقه الله تعالى الايمان ويكرمه بالنبوة الا أن الدليل السمعى . قام على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى « ما ضل صاحبكم وما غوى » وقالت المعتزلة ان هذا غير جائز عقلا لما فيه من التنفير . قاله الامام الرازى فى تفسيره .

الثانى : انه يثبت عندنا بالتواتر أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يعبد صنما ، وأنه كان أكثر ما يكره الأصنام ، وأنه عليه الصلاه والسلام كان يتعبد قبل البعثة بدين ابراهيم .

الثالث : أن النبى عليه الصلاة والسلام لو كان يعبد الأصنام لقال له كفار قريش حينما دعاهم لعبادة الله وحده انك كنت تعبد معنا هذه الآلهة الى بلوغ عمرك أربعين سنة فما بالك رجعت عنها وتنهانا عن عبادتها ؟ مع أنهم لم يقولوا له ذلك ولو قالوه لوصل الينا **كما وصلتنا بقية أقوالهم له . ومنها قولهم : « ساحر أو مجنون » وقولهم « أجعل الآلهة ألها واحدا » ونحو ذلك .**

الرابع : أن الانبياء لو لم يكونوا معصومين قبل النبوة من الشرك لما كان لنهيهم قومهم تأثير فى دعوتهم فالله سبحانه عصمهم ليكون لكلامهم وقع فى نفوس السامعين كما يحكم بذلك صاحب العقل السليم .

وأما استدلاله بآية الضحى فتفسيرها بخلاف ما يزعم لأنا لما حكمنا بعصمة الأنبياء فلابد من تأويل ما يوهم خلاف ذلك مما فى القرآن الكريم ، كما أول أهل الكتاب كثيرا مما ورد فى التوراة والانجيل كما قدمناه لك ومن ذلك قوله فى التوراة خطابا لموسى : « أنت آله فرعون وهرون نبيك » ومن ذلك تأويل البروتستنت العشاء الربانى كما سمعته سابقا فتأويل المسلمين وتفسير المفسرين لهذه الآية بأن المراد من الضلال الغفلة كما فى آية أخرى : « **لا يضل ربى ولا ينسى** » والمعنى : وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة أو ضالا لم تكن تدرى القرآن ولا الشرائع فهداك لذلك وليس المراد الانحراف عن الحق فهذا كقوله تعالى

« ما كنت تدرى ما الكتـــاب » وقوله سبحانه « وان كنت من قبله لمن الغافلـــين » فهداك الى ناهجها فى تضاعيف ما أوحى اليك من الكتـــاب المبين ، وعلمك ما لم تكن تعلم • وعلى هذا أكثر المفسرين •

وقال بعض المفسرين : وجدك فى قوم ضلال فهداهم الله تعـــالى بك ، أو فهداك الى ارشادهم أو ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك الله تعـــالى اليها • وقيل وجدك ضائعا فى قومك فهداك اليهم • وعن ابن عباس رضى الله عنهما وجدك بين الضـــالين ، فأستنقذك من ضلالتهم وقيل ضل فى صغره عن جده فى شعاب مكة فراه أبو جهـــل فرده لجده وهو متعلق بأستار الكعبة يتضرع الى الله تعالى فى أن يرد اليه محمدا وذكر له لمـــا رآه أناخ الناقة وأركبه من خلفه ، فأبت أن تقوم فأركبه أمامه فقامت ، فكأن الناقة تقول يا أحمق هو الامام فكيف يقوم خلف المقتدى ؟ وفى ارجاعه عليه الصلاة والسلام الى أهله على يد أبى جهل وقد علم سبحانه منه أنه فرعونه يشبه ارجاع موسى عليه السلام الى أمه على يد فرعون •

نعم ذكر الفخر الرازى فى تفسيره عن بعضهم أنه عليه الصلاة والسلام كان على دين قومه قبل النبـــوة ، لكنـــه خلاف قول الجمهور فهو قول مردود غير مقبول ، فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه هذا واذا أنصف كل عاقل لجزم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لابد أن يكونوا معصومين من الكفر قبل النبوة وبعدها ، وانهم لم يقع منهم ذلك وان ما يرد مما يوهم خلاف هذا فلابد أن يكون مأولا وغير مراد الظـــاهر المتبادر ، كما فعلت النصارى فى كثير من آيات التوراة والانجيـــل ، وأوجبت تأويلها ، لأن ظاهرها غير مراد،كما مر علاك ذلك غير مرة،فتذكر فما فى العهد من قدم •

ثم أنا لو فرضنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يعبد الأصنام قبل النبوة ، فأى بأس فى ذلك — على ما زعم هذا النصرانى — فى ابراهيم

عليه السلام فليكن بزعمه نبينا عليه الصلاة والسلام كأبى الأنبياء خليل الرحمن .

تتمة : اذا كان رمى الانبياء بعظائم الأمور مذكورا فى كتبهم بهتانا وزورا ، فليس ببدع اذا رمى سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام بعبادة الصنم قبل نبوته زورا وكذبا . اذ من المعلوم لدى أصحاب السير وغيرهم أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يعبد صنما قبل نبوته ، وكذا سائر اخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم معصومون من الكفر ونحوه قبل النبوة وبعدها . لقوله عليه الصلاة والسلام « ما كفر نبى قط » .

قال : الامام أبو محمد بن قتيبة فى كتابه شرح الأحاديث « ان العرب جميعا من اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله تعالى على نبينا وعليهما خلا «اليمن» ، لم يزالوا على بقايا من دين أبيهم.ومن ذلك حج البيت وزيارته والختان والنكاح وايقاع الطلاق اذا كان ثلاثا وللزوج الرجعة فى الوحداة والاثنين وتفريق الفراش فى وقت الحيض والغسل من الجنابة ودية النفس مائة من الابل والقصاص فى الجرح وقطع اليد فى السرقة ودفع الظلم ولزاوم لقتل لقاطع الطريق والرجم للزانى المحصن والزانية المحصنة ، واتباع الحكم فى المبال فى الخنثى وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر والنسب وهذه أمور مشهورة عندهم . وكانوا مع ذلك يؤمنون بالله تعالى ويوحدونه فى صفاته وأفعاله ويؤمنون بالملكين الكاتبين ، وكلهم أهل التوحيد فى الاعتقاد .

قال الأعشى وهو جاهلى .

فلا تحسبينى كافرا لك نعمة .:. على شاهدى ، يا شاهدا الله فأشهد

يريد على لسانى يا ملك الله فاشهد بما أقول . ويؤمن بعضهم بالبعث والحساب وآباء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأمهاته كلهم مؤمنون بالبعث والحساب وموحدون فى اعتقادهم . قال زهير بن أبى

سلمى — وهو جاهلى لم يلحق الاسلام — فى قصيدته المشهورة التى تعد من السبع •

يؤخر فيوضع فى كتاب ويدخر •:• ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وكانوا يقولون فى البلية وهى الناقة التى تعقل عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت أن صاحبها يجىء يوم القيامة راكبها وان لم يفعل أولياؤه ذلك بعده جاء حافيا راجلا فقد ذكر أبو زيد فقال:

كالبلايا رءوسها فى الولايا •:• مانحات السموم حر الخدود

والولايا البرادع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك الناقة وقال النابغة :

محلتهم ذات الاله ودينهم •:• قويم فما يرجون غير العواقب

يريد الجزاء بالأعمال وكان رسول ﷺ على دين قومه يعنى على دين اسماعيل وابراهيم عليهما السلام • وهو الاسلام يراد على ما كانوا عليه من الايمان بالله تعالى والعمل بشريعتهما فى تلك المذكورات وكان مع هذا لم يقرب من الأوثان ، فى صغره وكبره قبل الوحى ، وكان يعيبهم • وقال عليه الصلاة والسلام « بغضت الى » غير أنه كان لا يعرف فرائض الله تعالى والشرائع التى شرعها لعباده على لسانه حتى أوحى اليه • ولذلك قال تعالى : « **ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا فهدى** » يريد سبحانه ضالا عن تفصيل الأيمان ولأسلام وكذلك قوله عز وجل : « **ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان** » يريد سبحانه وتعالى ما كنت تدرى ما القرآن ولا شرائع الايمان ، ولم يرد بالايمان الذى هو الاقرار لأن اباءه الذين كانوا فى أفعالهم على الكفر والشرك كانوا فى اعتقادهم موحدين ، لأنهم يعرفون الله تعالى ويؤمنون به ويعبدون الله تعالى على شريعة ابراهيم عليه السلام ، لكن

يتخذون من دون الله آلهة يتقربون بها اليه تعالى ، وتقربهم فيما ذكروا منه ويتقون الظلم ويحذرون عواقبه ويتحالفون على أن لايبغى أحد على أحد ولا يظلم •

وقال عبد المطلب لملك الحبشة حين سأله حاجته فقال ابل ذهبت لى فعجب منه كيف لم يسأله الانصراف عن البيت ؟ فقال ان لهذا البيت من يمنع منه أو كما قال •

فهؤلاء كانوا يقرون بالله ويؤمنون به ، فكيف لا يكون الطيب المطهر قبل الوحى يؤمن بالله تعالى ؟ وهذا لا يخفى على أحد ولا يذهب عليه أن مراد الله تعالى فى قوله : « ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان » أن الايمان شرائع الايمان وهذا معنى قولهم انه كان على دين قومه أربعين سنة أنه عليه السلام كان على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقومه هؤلاء كذلك ، الا بنى أمية وعبد شمس وغيرهما من كفرة قريش كأبى جهل وغيره لأنه سبحانه حكى عن ابراهيم عليه السلام « فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم » وقال لنوح عليه السلام : « انه ليس من أهلك »يعنى ابنه لما كان على غير دينه » انتهى •

ثم أنى لأعجب : من قوله أن ابراهيم كان يعبد الأصنام وأن ابراهيم أبو داود وعيسى بن داود(١) ، فليت شعرى لم لم يقل عيسى لابراهيم وهو نطفة محمول فى صلب ابراهيم يا ابراهيم أنا ربك فى ظهرك فلا تسجد للأصنام بل اسجد لى لأنى خلقتك ، وأنا الآن فى صلبك ؟ وكيف يعق عيسى أباه ولم يرشده الى عبادته اياه ؟ فانا لله • ولا حول ولا قوة الا بالله •

تذييل : يقال لهذا النصرانى اذا سلمنا المحال وأن النبى عليه الصلاة والسلام كان قبل النبوة وحاشاه فى وادى الضلال

---

(١) الأصح : ان عيسى من نسل هرون عليه السلام •

فعندك أن الأنبياء عليهم السلام صدرت منهم الكبائر ككفر بعضهم وزناء بعضهم ، وليس ذلك مخلا بنبوتهم على زعمكم كما فصلناه غير مرة • على أن عيسى عليه السلام وهو الاله بزعمكم حكى عنه يوحنا فى انجيله فى الاصحاح الثامن أنه معترف بالذنوب والعطايا بما نصه :

« فقدم اليه الكتبة والفريسيون امرأة وجدت فى زنا وأوقفوها فى الوسط وقالوا له يا معلم هذه المرأة الآن أخذت فى زنا ، وموسى أمر فى ناموسه أن يرجم مثل هؤلاء • فماذا تقول أنت ؟ قالوا هذا ليجربوه ليكون لهم ما يشتكون به ، فأطرق يسوع وكتب باصبعه على الأرض • فلما استبطأوا سؤالهم اياه رفع رأسه قائلا لهم : من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها أولا بحجر ، ثم أطرق أيضا وكتب على الأرض ، فلما سمعوا طفقوا يخرجون واحدا واحدا • والشيوخ هم بدأوا ، وبقى يسوع وحده ، والمرأة واقفة فى الوسط ، فرفع يسوع رأسه وقال لها يا امرأة أين أولئك الذين يشتكونك فلا واحد دانك ؟ فقالت : ولا واحد يارب • قال لها يسوع : ولا أنا أيضا أدينك ـ اذهبى ومن الآن لا تعودى الى الخطيئة » انتهى •

فعلى هذا يلزم أن يكون عيسى عليه السلام مثل بقية الجمع له خطيئة ، فلا يقدر أن يدين الزانية ويرجمها وهذا أيضا فيه شيئان أحدهما : انه ما عمل بشريعة موسى • والثانى : أنه ليس فى شريعة موسى أن الخاطىء لا يرجم الزانية •

وقد تمحل مفسرهم « الخورى » وأراد صرف اللفظ عن ظاهره بما لفظه « كأنه يقول : انا وحدى معصوم من الاثم ، وأقامنى الله قاضيا للناس ، ولذا يحق لى ان أدينك ، لكنى لا أريد لأننى ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم » انتهى •

فلا يخفى أن لفظ أيضا يقتضى أنه مخطىء كما انهم مخطئون ، وان فى كلام هذا المفسر تناقضا ، وان المسيح مع كونه قاضيا وحاكما بما فى التوراة لم يجر مقتضى القضاء ، ولم يحكم بما فيها ، بل

حكم بضدها فبين قوله « يحق لى أن أدينك » وقوله « لاأريد » تناف .
وأيضا يلزم من هذا وأنه مخلص العالم عدم الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر ، واسقاط الحدود الشرعية عن القاتلين والسارقين والزانـين وغيرهم . ولو اعترفوا ، بل ويلزم منه عدم التكليفات الشرعية من صوم وصلاة وزكاة ونحوها ، لأنه جاء لتخليصهم من العذاب على ذنوبهم ، وقد خلصهم بدخوله الى جهنم وتحمل اللعنة بدلا عنهم على زعمهـم فليعملوا اذن ما شاؤا وهذا من الاعتقادات العجيبة .

والأعجب منه أن القسيسين أيضا مخلصون من يعترف لهم بخطيئة والأعجب منه أن البابوات معصومون والأنبياء غير معصومين والاعجب من هذا كله : أن المسيح اله مخلص العالم ، وانه لم يخلص نفسه من اليهود حتى قتلوه ، ولا النصارى حتى أكلوه . ومن العجيب أيضـا انهم نقلوا عنه عليه السـلام فى أناجيلهم : أن رجلا قال له يا صالح فنهاه وقال له لا تقل لى لأنه لا صالح الا الله . فانظروا يا ذوى الألباب هذه المحالات والمناقضات ، فليحفظ .



قال النصرانى : « فعندما أيس مما سولت له نفسه أدعى النبوة ، وأنه رسول مبعوث من رب العالمين . فـدخل عليهم من بـاب لطيف لا يعرفون عاقبته ماهى . ولا يفهمون كيف امتحان مثله . ولا ما يعود عليهم من ضرر منه . وانما هم قوم عرب أصحاب بدو ، لم يفهمـوا شروط الرسالة ، ولم يعرفوا علامات النبوة ، لانه لم يبعث فيهم نبى قط وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له الذى سنذكر اسمه وقصته فى غير هذا الموضع من كتابنا ، وكيف كان سببه » .

اقــول : كلامه هذا كل زور وبطلانه كشمس الضحى فى الظهور ، لأنه عليه الصلاة والسلام لمـا ادعى النبوة ، امتحنته الناس فظهرت على يديه المعجزات التى ظهر على أيدى اخوانه الأنبياء أمثالها وأخبر الرب سبحانه قبل بعثته فى كتبه عنه وعن صفته ومخرجه ونعته وتحدث

الكهـــان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى بأمره عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه لـــا تقارب من زمانه ، وآمن به من أهل الكتابين بالطوع من لا يحصى عددهم الا الله سبحانه وتعالى كما سنذكر منصل هذا كله قريبا ان شاء الله تعالى •

وأمـــا قوله : : « ولا ما يعود عليهم من ضرر منه » فيقال لهذا النصرانى ليت شعرى أى ضرر حصل للعرب بايمانهم بخاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعـين ، فقد كانوا قبل بعثتـه يعبدون الأحجار والأشجار فهداهم الى التوحيد ومحاسن الأعمـــال وصادق الأقوال وعمل الخيرات وترك الموبقات والايمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن لا يعبدوا الا اياه ولا يستعينوا الا به اذ لا خالق سواه والايمان بموسى وعيسى ، فأى ضرر حصل للعرب بذلك ، وأى مهلكة ترتبت على ما هنا لك ؟ ولعل النصرانى يزعم أن الضرر الذى أتاهم من حيث انه لم يقل لهم ان عيسى اله واحد وانه قد تولد من والدة والله له والد ولم يعلمهم أن من أكل من الخبز المقدس ، فقد أكل ربه ومن شرب من الخمر فقد شرب حقيقة دمه • ولم يقل لهم : ان من الأنبياء من عبد الأصنام قبل النبوة وبعدها وكفر ، ومنهم من زنـــى ببناته وسكر وفجر ، ولم يأمرهم بالسجود للصور المنقوشـــة فى الحيطان ولمريم خطيبة الرحمن ، ولم يأمرهم بأكل الخنزير والنجاســـات • فمن هذا جاء الضرر على العرب الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على زعم هذا النصرانى لأنهم لو اعتقدوا هذه العقائد الفاسدة وأمثالها لحصل لهم الهـــدى والرشاد ، لكنهم لـــا آمنوا به عليـــه الصلاة والسلام وبوحدانية الله سبحانه وسائر الأحـــكام الشرعية ، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث فقد عاد عليهم الضرر ، بزعم هـــذا المثلث •

قـــوله : « ولم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبى قط » •

قـــد ذكرنا لك آنفا : أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين أبيهم

اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وذكر « المـــاوردى » أن من الأنبياء خمسة من العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب وخاتمهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وروى عن ابن عباس رضى الله تعـــالى عنهما أن الله تعالى بعث الى أهل الرس نبيا منهم يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه ، فأوحى الله تعالى الى نبى كان مع بخت نصر يقال له ارمياء بن برخيا : مر « بخت نصر » ليغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم • وكذا بعث اليهم خالد بن سنان فالعرب كانوا يعرفون شروط الرسالة ، ولذا طلبوا المعجزات من النبى عليه الصلاة والسلام •

وفى كتاب المعارف لابن قتيبة عليـــه الرحمة كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة ، وكانت اليهودية فى حمير وبنى كنـــانة وبنى الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية فى تميم ومنهم زرارة ابن عدس التميمى وابنه حاجب بن زرارة • وكان تزوج ابنته • ثم قدم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسيا وأبو الأسود جد وكيع بن حسان كان مجوسيا • وكانت الزندقة فى قريش ، أخذوها من الحيرة • وكان بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية الهـــا من حيس ثم أصابهم مجاعة فأكلوه فقال رجل من بنى تميم •

أكلت ربها حنيفة من جوع قديم بها ومن أعواز •

وقـــال آخر :

أكلت حنيفة ربهـــا ०:० زمن التقحم والمجاعـــة

لم يحذروا من ربهـــم ०:० سوء العواقب والتباعـــة

وسيأتى كلام يتعلق بكلماته هذه أيضا حينما نعيـــده فانتظره •

وأما الرجل الذى عناه فى آخر كلامه فهو بحيرا الراهب وسنفصل حاله ان شاء الله تعالى اذا جئنا الى موضعه •

ولنفصـــل لك ما أشرنا اليه انفا مما يتعلق برسالته وحقيقة بعثته ، وأمارات نبوته عليه الصلاة والسلام بتفصـــول لا يبقى بعدها شـــك ولا ريب ولا ترديد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد •

الفصـــل الأول

فى اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام من الكتب السماوية وذكر بعض ما ورد فيها من البشارة به ونعته وصفته وصفة أمته .

غير انا نذكر أولا مقدمات تزيدك يقينا ووضوحا فى ورود ذلك :

الأولى : انه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الاخبار بهذا الأمر العظيم . الذى لم يطرق العالم من حين خلق الى قيام الساعة أمر أعظم منه ولا شأن أكبر منه فان العلم به طبق مشـــارق الأرض ومغاربها ، واستمر على تعاقب القرون والى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومثل هذا النبأ العظيم لابد أن تتطابق الرسل على الاخبار به .

والأنبياء الاسرائيلية . مثل أشـــعيا وارميا ودانيل وحزقيـــال(١) وعيسى عليهم السلام أخبروا عن الحوادث الآتية كحادثة بخت نصر وقورش واســـكندر وخلفائه وحـــوادث أرض الروم ومصر ونينـــوى وبابل ، فيبعد كل البعد أن لا يخبر أحد منهم بظهور النبى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم . واذا كان الدجال رجل كاذب يخرج فى آخر الزمان(٢) وبقاؤه فى الأرض أربعين يوما وقيل ستة أشهر قد تطابقت الرسل على الاخبار به وأنذر به كل نبى قومه من نوح الى خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام فكيف تتطابق الكتب الالهية من أولها الى آخرها على السكوت عن الاخبار بهذا الأمر العظيم الذى لم يطرق العـــالم أمـــر أعظم منه ولا يطرقه أبدا ؟ فهذا ما لا يسوغه عقل عاقل ، وتأباه حكمة أحكام الحاكمين ، بل الأمر بضد ذلك . فما بعث الله سبحانه نبيا الا أخذ عليه الميثاق بالايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتصديقه كما قال تعالى : « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لمـــا آتيتكم من كتـــاب

---

(١) حزقيال هو ذو الكفل .

(٢) الدجال : يقول النصارى : انه محمد رسول الله . وأخبار الدجال عندنا نحن المسلمين أخبار ظنية .

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ؟ قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » قال ابن عباس — رضى الله عنهما — ما بعث الله تعالى من نبى الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى لتؤمنن به ولتنصرنه • وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتابعنه •

الثانية : لا يخفى على من تدبر الكتب السماوية وسرد رسائلها الالهامية أنه لا يشترط أن يكون أخبار الأنبياء المتقدمين عن الأنبياء المتأخرين مفصلة بذكر أسمائهم وصفاتهم وأماكنهم وتعيين وقت ظهورهم بل يكون هذا الأخبار فى كثير من الأوقات مجملا واشارة عند العوام ، وأما عند الخواص فقد يكون جليا بواسطة القرائن ، وقد يبقى خفيا عليهم لا يظهر لهم الحال الا بعد دعوة النبى اللاحق وظهور صدقه ومعجزاته فالاخبارات بنبينا عليه الصلاة والسلام فى العهد القديم والجديد بعد التحريف والتبديل لم يبق منها الا القليل ، على أن الاشارات ببعثته فى الكتب السماوية ظاهرة لمن تدبرها نابذا للمكابرة والحمية الجاهلية كافية ببغية من طلب السعادة الأخروية •

على أنا لو فرضنا عدم وجود ذلك الآن فأى ثلم يعترى لرسالة من أقر برسالته الثقلان ، وتوالت معجزاته الثابتة كانشقاق القمر والايوان ، وتكليم الحجر وانقياد الشجر ونزول القرآن ، الذى هو معجزة باقية ما دام الملوان ؟ وغير ذلك من المعجزات التى سنذكرها ان شاء الله تعالى فى هذا الديوان والله المستعان •

الثالثة : ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أحرص الناس على تصديقه واتباعه واقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته ولا سيما أهل العلم والكتاب ، فان الاستدلال عليهم بما يعلمون بطلانه قطعا لا يفعله عاقل ، وهو بمنزلة من يقول لرجل علامة صدقى أنك فلان ابن فلان وصنعتك كيت وكيت ، وتعرف كيت وكيت ، ولم يكن الأمر كذلك بل بضده • فهذا لا يصدر ممن له مسكة عقل ولا يصدقه أحد على

ذلك ، ولا يتبعه ، بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه ، والعادة تحيل سكوته عن الطعن عليه ، والرد والتهجين لقوله . ومن المعلوم بالضرورة أن محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه نادى معلنا فى هاتين الأمتين اللتين هما أعلم الأمم فى الارض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم فى كتبهم ، وهو يتلو ذلك عليهم ليلا ونهارا ، سرا وجهارا، فى كل مجمع وكل ناد ، يدعوهم لذلك يعنى الى تصديقه والايمان به فمنهم من يصدقه ويؤمن به ويخبر بما فى كتبهم من نعته وصفته وذكره . كما سيمر بك ان شاء الله تعالى . وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ولكن لست أنت المراد به بل نبى اخر وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة . ولم تجده هذه المكابرة الا كشف عورته ، وابداء الفضيحة بالكذب والبهتان فان الصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو القذة بالقذة ، بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه سلمان ، وكما عرفه هرقل ، وكما عرفه عبد الله بن سلام وغيرهم بتلك العلامات المذكورة . كما قال هرقل : قل لأبى سفيان ان يكن ما تقول حقا ، فانه نبى ، وسيملك ما تحت قدمى هاتين قال ابن عباس — رضى الله عنهما — لما حضر أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بين يدى النجاشى وقرءوا القرآن ، سمع ذلك القسيسون والرهبان ، فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق . فقال الله تعالى : « **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون** » الآيات . وقال سعيد بن جبير : بعث النجاشى من أخيار أصحابه ثمانين رجلا الى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن فبكوا ورقوا وقالوا نعرف والله انه الحق . فأسلموا وذهبوا الى النجاشى فأخبروه ، فأسلم فانزل الله تعالى فيهم « **واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ؟ ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين .**

وأمثال هذا كثير جدا لوأردنا أن نستقصيه لخرجنا الى طول الكتـاب وسأمة المستمع • ولعلنا نذكر بعضا منه أيضا فى محال آخر ان شاء الله تعـالى •

ولنرجـع الى المقصود من نقل مافى الكتب السـماوية والزبـر النبوية من الآيات والبشائر فى الحضرة المحمدية(١) • وهى كثيرة جدا

(١) اذا وضعت نصوص نبوءات التوراة عن محمد صلى الله عليه وسلم تحت بعضها ، فانها تدل عليه بوضوح . وقد فرقها كاتب التـوراة فى « بابل » لئلا تدل عليه بوضوح • ومثل ذلك مثل الجسم بأعضائه ، اذا فصلت الأعضاء ووضعت كل عضو فى جهة من الجهات ، فانه يصعب عليك معرفة صاحب الجسم . ولكن اذا ضممت الأعضـاء ووضعتها فى أماكنها ؟ فانك تعرف صاحبه . والمسلمون الذين كتبوا فى هذا الموضوع ، تكلموا فى كل نبوءة على حدة . وطريقة الضم هكذا :

أولا : تضع النصوص الدالة على بركة لاسماعيل عليه السـلام . وتبين (أ) أن نبوة موسى لم تثبت الا من النص على بركة لاسحاق عليـه السلام . وحيث أن لاسماعيل بركة مسـاوية لبركة اسحاق . فان بركـه اسماعيل تدل على نبى يظهر منه مماثل لموسى (ب) أن اسم محمد عليـه السلام فى بركة اسماعيل هو « بماد ماد » و « لجوى جدول » بحساب الجمل وهو حساب أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت .

ثانيا : تضع بعد نص البركة مبـاشرة ، النص الدال على سـكنى اسماعيل فى « فاران » ثم تذكر النص الدال على تقسيم البركة بين سيناء وساعير وفاران .

ثالثا : تضع بعد نصوص البركة كلها النص على زوال الملك وزوال الشريعة من بنى اسرائيل الذين هم حاملوا بركة اسحق . وهو قـول اسرائيل : « لا يزول قضيب من يهوذا ... الخ » .

رابعا : تؤكد أن الأمة الغبية التى سيغيظ الله بها بنى اسرائيل هى أمة اسماعيل وأن الاغاظة هى بسبب الملك منهم والنبوة ، واعطائها لهم .

خامسا : تذكر النص عن النبى الأمى وهو : « يقيم لك الرب الهك نبيـا ... الخ » وتذكر معه قوله فى آخر التوراة : « لن يقوم نبى فى اسرائيل مثل موسى » هذه هى الطريقة الجيدة فى فهم النصوص والالزام بها.

واعلم : أن اليهود الى هذا اليوم يزعمون : أن النبى المنبأ عنه فى التوراة ، لم يظهر بعد والنصارى يزعمون أنه هو عيسى عليه السلام . مع أن التوراة وأسفار الأنبياء ليس فيهم من نص واحد على عيسى عليـه السلام . وكل النصوص انما هى عن محمد صلى الله عليه وسلم الاتى من غير بنى اسرائيل . وقد بينا تفسير هذا الكلام فى كتابنا « البشـارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » .

غير انا ننقل من الصريح فيها اثنى عشر بشارة على عـدد النقباء أو الحواريين لتكون مؤيدة للحق المبين •

البشـارة الأولى : ما فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء من التوراة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٤١ ما نصه : « فقال الرب لى جميع إما قالوا ، وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم ، وأجعل كلامى فى فمه ، ويكلمهم بكل شىء أمره به ، ومن لم يطع كلامه الذى أتكلم به بأسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك فاما النبى الذى يجترىء بالكبرياء ويتكلم فى اسمى ما لم امره به بأنه يقـوله أم باسم آلهة غـيرى ، فليقتـل •

فان أحببت وقلت فى قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فهذه تكون لك آية ن ما قاله ذلك النبى فى اسم الرب ولم يحدث ، فالرب لم يكن تكلم به ، بل ذلك النبى صوره فى تعظم نفسه ولذلك لا تخشاه » انتهى بحروفه •

فهذا نص لا يمكن لأحد منهم جحده وانكاره ، ولكن لأهل الكتاب فيه أربع طرق أحدها : حمله على المسيح • وهذه طريقة النصارى • وهو دليل يخالف معتقدهم فى المسيح لأنه اله • والاله لا يكون مثل عبيـده • وأما اليهود فلهم فيه ثلاث طرق • أحـدها : أنه على حذف أداة الاستفهام والتقدير : أأقيم لبنى اسرائيل ؟ أى لا أفعل هذا فهو استفهام انكار حذفت منه أداة الاستفهام • وبطلان هذا لايحتاج الى بيان(١) ، بل هو من جمة التحريف المـألوف منهم والهذيان • الثانى : أنه خبر ووعد ولكن ليس المراد به عيسى ، بل المراد شوئيل النبى ، فانه من بنى اسرائيل أو يوشع • والبشارة انما وقعت بنبى من اخوتهم ، واخوة القوم هم بنو أبيهم وهم بنو اسرائيل • الثـالث : أنه نبى يبعثه الله تعالى فى آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم ، وهـم ينتظرونه الآن ويسمونه المنتظر • وهذه كلها طرق مسدودة وأقـوال مردودة ، بل هذه بشارة بنبوة النبى الأمين ورسالة خاتم النبيين صلى

---

(١) وذلك لقوله فى أول النص : لا تسمعوا لكلام السحرة والعرافين • والسوف أرسل لكم نبيا يقيم الدين فاسمعوا له (تثنية ١٨) •

الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين • لما ستسمع الان من هذه الأجوبة والوجوه الحسان :

الوجه الأول : ان اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشرا به فى هذا الباب ، وكان هذا المبشر به عندهم غير المسيح ، فلا يكون هذا المبشر به شموئيل ويوشع ولا عيسى عليه السلام • ففى الاصحاح الأول من انجيل يوحنا ما نصه • « وهذه هى شهادة يوحنا حين ، أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين يسألونه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر أنى لست أنا المسيح فسألوه : اذا ماذا ؟ ايليا أنت ؟ فقال لست أنا • أفالنبى أنت ؟ فقال : كلا فقالوا له : فمن أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ قل : أنا صوت صارخ فى البرية قوموا طريق الرب ، كما قال أشعياء النبى • وكان المرسلون من الفريسيين ، فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبى ؟ » انتهى •

والألف واللام فى لفظ « النبى » للعهد • والمراد : النبى المعهود الذى أخبر عنه موسى فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء المتقدم ، وهو محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما لا يخفى •

الوجه الثانى : أنه وقع فى هذه البشارة لفظ « مثلك » ويوشع وعيسى عليه السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام أما أولا : فلأنهما من بنى اسرائيل ولا يجوز أن يقوم أحد من بنى اسرائيل مثل موسى ، كما تدل عليه الآية العاشرة من الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء وأما ثانيا : فكيف يكون يوشع مثله وهو على ما فى الاصحاح الأول من سفر يشوع بن نون أنه خادم موسى ؟ فكيف يتماثل الخادم والمخدوم ؟ وأيضا أن موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواهى ويوشع ليس كذلك ، بل هو متبع لشريعته • وكذا لا توجد المماثلة التامة بين موسى وعيسى عليهما السلام لأن عيسى يزعم النصارى كان الها وربا لموسى وهو عبده

وأن عيسى على زعمهم صار ملعونا لشفاعة الخلق كما صرح به بولس فى الاصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية بقوله : « فقد اشترانا المسيح من لعنة الناموس وصار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب : ملعون كل من يعلق على خشبة » وموسى ما صار ملعونا لشفاعتهم ، وأن عيسى دخل الجحيم بعد موته كما هو مصرح به فى عقائد أهل التثليث ، وموسى ما دخل الجحيم ، وأن عيسى صلب ليكون كفارة لأمته بالصلب بخلاف موسى ، وأن شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارة والمحرمات من المأكولات والمشروبات بخلاف شريعة عيسى ، فانها خالية عنها ، على ما تشهد به الأناجيل التى بأيديهم الآن . وأن موسى كان رئيسا مطاعا فى قومه وعيسى لم يكن كذلك ، فانتفت المماثلة(١) .

الوجه الثالث : انه وقع فى هذه البشارة لفظ « من بين اخوتهم » ولا شك أن الأسباط الاثنى عشرة كانوا موجودين فى هذا الوقت مع موسى عليه السلام : حاضرين عنده ، فلو كان المقصود كون النبى المبشر به منهم لقال : منهم لا من بين اخوتهم ، لأن الاستعمال الحقيقى لهذا اللفظ أن لا يكون المبشر به له علاقة الصلبية والبطنية ببنى اسرائيل كما لا يخفى على من عرف مواقع الكلام وأحاط خبرا بعبارات التوراة .

الوجه الرابع : ان التعبير بسوف أقيم دليل على أن المراد بالمبشر به غير يوشع،لأنه كان حاضرا عند موسى وداخلا فى بنى اسرائيل، نبيا فى ذلك الوقت فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟ كما هو ظاهر لكل ذى لب .

الوجه الخامس : ان قوله سبحانه « أجعل كلامى فى فمه » اشارة الى ان ذلك المبشر به نبى ينزل عليه كتاب ، والى كونه اميا حافظا

---

(١) مقارنة المؤلف بين شريعة موسى وشريعة عيسى ليس لها محل . فان عيسى عليه السلام لم ينسخ شريعة موسى عليه السلام . فهما معا أصحاب واحدة هى التوراة . والناسخ للتوراة هو محمد رسول الله ﷺ .

للكلام واعيا له فى صدره ضابطا له فى قلبه ، لا بواسطة لوح وأقلام • وهذا لا يصدق على يوشع لانتفاء كلا الأمرين فيه عليه السلام •

الوجه السـادس: انه سبحانه بين فى هذه الآيات علامة النبى الكاذب من أن اخباره عن المغيبات المستقبلة لا يكون صادقا • ويفهم منهـا : أن من أدعى النبوة وأظهر المعجزة واخبر بالمغيبات المستقبلة وكان الأمر كما أخبر فهو نبى صادق • فهذا صادق على نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث أظهر المعجزة وأخبر بالمغيبات وخرج الأمر كما ذكر ، كما سنذكر ذلك مفصلا فى محله آن شاء الله تعالى فهو النبى الصادق الذى لم يسبقه فى جميع كمالاته سابق •

بقى شىء : وهو أن علماء البر وتستنت اعترضوا على ما قلنـاه بشيئـين •

الأول : أنه وقع فى الآية الخامسـة عشر من الاصحاح الثـامن عشر من سفر الاستثناء هكذا : « فان الرب الهك يقيم من بينك من بين اخوتك » : الى أخره فلفظ « من بينك » يدل دلالة ظاهـرة على أن هذا النبى يكون من بنى اسرائيل لا من بنى اسماعيل •

الثـانى : ان عيسى عليه السلام نسب هذه البشارة الى نفسه • فقال فى الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا : أن موسى كتب فى حقى »•

فالجـواب عن الأول : ان هذا اللفظ وهو « من بينك » لا يوجد فيما نقله بطرس الحوارى ولا فى كلام موسى عليه السلام لمـا أعـاد هذا الوعد من كلام الله تعالى فى الآية الثامنة عشر • وكذا نقله استفانوس أيضا ولا يوجد فى نقله هذا اللفظ كما صرح به فى الاصحاح السابع من سفر الأعمال ونص عبارته هكذا : « هذا هـو موسى الذى قال لبنى اسرائيل نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون » انتهى فسـقوطه فى هذه المواضع واختلاف النسخ الموجودة الآن دليل على كونه غير مقصود • واذا سلمنا وروده فهو فى نية السقوط ، لأنـه حينئذ يكون قوله من بين اختك بدل اشتمال منه ، على رأى كثيرين من النحويين ، أو بدل آضراب على رأى بعضهم •

والجواب عن الثانى : ان آية الانجيل هكذا : « لأنكم لوكنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى » وليس فى هذا تصريح بأن موسى عليه السلام كتب فى حقه اللفظ الفلانى • والمحل الفلانى ، بل المفهوم منه أنه كتب فى حقه ما يخبر بنبوته وهذا أمر مسلم عندنا أن موسى أخبر فى التوراة بمجىء عيسى(١) بيا وبحمد رسولا عليهم الصلاة والسلام لكن ننكر أن تكون هذه البشارة فى شأن عيسى المكرم ، لمـا قدمناه من الأدلة انها فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم •

والعجـب : من النصارى كيف يستدلون بهذه الآية المتقدمة من التوراة على أنها فى حق عيسى عليه السـلام وموسى عبـده وعيسى معبوده ، وخالق الخاص والعام ؟ مع أن فيها المماثلة لموسى ، فكيف يماثله عيسى وهو الذى خلق موسى وكلمه وأنزل عليه التوراة وعلمه ؟ وكيف يكون له مماثلا وللبشر معادلا ولمشابهة عبده قابلا ؟ وكيف ينزل عليه هذا الكتاب ثم يقول له : يا عبدى سأكون مثلك نبيا وأحل بطـن مريم بعد أحقاب ؟ فليت شعرى على زعمهم من القائل لموسى هـذا الكلام ؟ وممن صار عيسى ونزل الى الأنام ؟ فهل هذه العقيدة الاسفسطة لا تقبلها ذو والأحلام ؟ والسلام •

البشارة الثانية : ما فى الاصحاح الثـالث والثلاثين من سـفر الاستثناء فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤١ ما نصه : « فهذه البركة التى بها بارك موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته وقال جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار : فى يمينه سنة من نار » انتهى •

قال أبو محمد بن قتيبة ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجىء الله من طور سيناء : انزاله التـوراة على موسى من طـور سيناء كالذى هو عند أهل الكتـاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكـون اشراقه من ساعير : انزاله الانجيل على المسيح • وكان المسيح من

---

(١) ليس فى التوراة آية نبوءات عن عيسى عليه السلام •

ساعير أرض الجليل بقرية تدعى ناصرة ، وبأسمها تسمى من اتبعه نصارى(١) . وكما وجب أن يكون اشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران : انزاله القران على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وجبال فاران هى جبال مكة » قال : « وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف فى أن فاران هى مكة . فان ادعوا أنها غير مكة وليس ينكر ذلك من تحريفهم وأفكهم ، قلنا : أليس فى التوراة أن ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ؟ . وقلنا لهم : دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبى الذى أنزل عليه كتابا بعد المسيح ؟ أو ليس استعلن . وعلن بمعنى واحد : وهما ظهر وانكشف . فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ فبينوه . وساعير جبل بالشام ومنه ظهور نبوة المسيح ، والى جانبه قرية بيت لحم القرية التى ولد فيها المسيح تسمى اليوم ساعير ، ولها جبال يسمى ساعير . وفى التوراة أن نسل العيص كانوا سكانا بساعير ، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم » .

قال شيخ الاسلام بن تيمية : « وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة ، حراء الذى ليس حول مكة أعلى منه ، وفيه ابتدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنزول الوحى عليه ، وحوله جبال كثيرة . وذلك المكان يسمى فاران . ولا يمكن أحدا أن يدعى أنه بعد المسيح نزل كتاب فى شىء من تلك الأماكن ولا بعث نبى فعلم أنه ليس المراد باستعلائه من جبال فاران الا ارسال محمد ﷺ وهو سبحانه ذكر هذا فى التوراة على الترتيب الزمانى . وهذه الكتب نور الله وهدايته . وقال فى الأول : جاء وفى الثانى أشرق ، وفى الثالث استعلن ، فكان مجىء التوراة مثل طلوع الفجر ، ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس ، ونزول القرآن مثل ظهور الشمس فى السماء .

---

(١) هم سموا نصارى من كلمة عبرانية هى « هانصرى » اطلقها اليهود على عيسى عليه السلام .

ونقل ابن القيم أن فى ترجمة نبوة حبقوق ما نصه « جاء الله من اليمن وظهر ببيت المقدس ، والقدوس على جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد ، وملك بيمينه رقاب الأمم وأنارت الارض لنوره ، وحملت خيله فى البحر » .

قـــال ابن قتيبة : « وزادنى بعض أهل الكتاب : « وستنزع فى قسيك اغراقا وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء » وهذا افصاح باسمه وصفاته . فان ادعوا أنه غيره فمن أحمد هذا الذى امتــلأت الأرض من تحميده ، والذى جاء من جبال فاران ، فملك رقاب الأمم .

ولننقل لك من النسخ الأخرى حتى تعرف اختلاف نسخهم أيضا :

قـــال :فى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٣٧ « فقال جــاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس . وعن يمينه نار شريعة لهـــم » انتهى . وهـــذه متضمنة للنبـــوات الثلاث نبوة موسى ونبـــوة عيسى ونبـــوة محمـــد عليهم الصلاة والسلام فمجيئه من سيناء وهو الجبـــل الذى كلم الله تعالى عليه موسى ونبأه عليه اخبار عن نبوته وتجليه من ساعير : هـــو مظهر المسيح من بيت المقدس ، وساعير جبل بالشام منه ظهور نبـــوة المسيح كما تقدم . وهذه بشارة بنبوة المسيح . وفاران هى مـــكة . وشبه سبحانه نبوة موسى بمجىء الصبح وفلقه ونبوة المسيح بعدها باشراقه وضيائه ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلان الشمس وظهور ضوئها فى الأفاق ، ووقع الأمر كما أخبر به سواء ، فان الله سبحانه صدع بنبوة موسى عليه السلام ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته ، وزاد الضياء والاشراق بنبوة المسيح ، وكمل الضياء واستطن وطبق الأرض بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

قـــال العلامة ابن القيم : « وذكر هذه النبوات الثـــلاث التى اشتملت عليها هذه البشارة ، نظير ذكرها فى أول سورة التين : « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمـــين » فذكر أمكنة هـــؤلاء الأنبياء وأرضهم التى خرجوا منها « والتين والزيتون » المراد بـــه : منبتهما وأرضهما وهى الأرض المقدسة التى هى مظهر المسيح عليـــه

السلام • « وطور سينين » الجبل الذى كلم الله سبحانه عليه موسى. فهو مظهر نبوته • « وهذا البلد الأمين » مكة حرم الله تعالى وأمنه ، التى هى مظهر نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء •

وقالت اليهود : فاران ليست أرض الحجاز بل هى أرض الشام • وقالت النصارى فى تفسير ساعير وفاران : جبلان بقرب جبل سيناء ، كانا بازاء بنى اسرائيل حين أتاهم موسى بلوحى الشريعة نازلا من جبل سيناء • قالوا فكان بنو اسرائيل يرون كأن الشريعة نزلت من جبل ساعير وفاران • وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم وانكارهم للبديهيات • وعندهم فى التوراة فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين فى بحث اسماعيل عليه السلام ما نصه : « وابن الأمة أيضا فانى سأجعله لشعب عظيم لأنه زرعك » الى ان قال : « وكان الله معه ، ونمى وسكن فى البرية ، وصار شابا يرمى بالسهام ، وسكن برية فران » انتهى •

ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكن لآل اسماعيل عليه السلام فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد اسماعيل ، وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملأوا السهل والجبل كما سنذكره ان شاء الله تعالى • ولم يبعد هذا شبهة أصلا أن هذه نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم التى نزلت بفاران ، على أشرف ولد اسماعيل حتى ملأت الأرض ضياء ونورا ، وملأ أتباعه السهل والجبل ، ولا يكثر على الشعب الذين نطقت التوراة بأنهم عادمو الرأى والفطانة أن ينقسموا الى جاهل بذلك وجاحد مكابر معاند • كما لفظ التوراة فيهم : « انهم لشعب عادمو الرأى وليس فيهم فطانة » ويقال لهؤلاء المكابرين : أى نبوة خرجت من الشام فاستعلنت استعلان ضياء الشمس وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها ؟ وهل هذا الا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من المشرق ، فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت من المغرب ؟ •

واعلم : انه لا يصح أن يراد أن النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير ومن فاران أيضا فانتشرت فى هذه المواضع كما لايخفى على كل ذى عقل سليم ، لأن الله سبحانه لو خلق نارا فى موضع لا يقال جاء الله من ذلك الموضع ، الا اذا اتبع تلك الواقعة وحى ينزل فى ذلك الموضع أو عقوبة أو ما اشبه ذلك وقد اعترفوا أن الوحى اتبع تلك فى طور سيناء ، فكذلك لا بد أن يكون فى ساعير وفاران ، بل هو فى فاران أعظم ، لأنه قال : استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار ، ولم يقل فى سيناء وساعير كذلك • ولا شك أن نبوة نبينا أشرف ، ودعوته أعظم ورسالته أعم وبعثته أتم صلى الله تعالى عليه وسلم •

البشارة الثالثة : ما فى الاصحاح السادس عشر والسابع عشر من سفر التكوين من التوراة وهو السفر الأول : ان الملك ظهر لهاجر أم اسماعيل فقال لها : « يا هاجر من أين أقبلت ؟ والى أين تريدين ؟ » ، فلما شرحت له الحال قال لها : « أرجعى ، وانى سأكثر نسلك اكثارا ، ولا يحصى من كثرته » وقال لها : « انك حامل وستلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع تعبدك ، وولدك يكون وحشى الناس وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطه اليه بالخضوع » وقال لابراهيم : « وعلى اسماعيل استجبت لك هو ذا أباركه وأكبره وأكثره جدا فسيلد اثنى عشر رئيسا ، وأجعله لشعب كبير » انتهى • وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد الخلائق وأن كلمته هى العليا وأن أيدى الخلق تحت يده فمن هو هذا الذى ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟ وقوله : « لشعب كبير » يشير الى نبينا أيضا لأنه لم يكن فى ولد اسماعيل من كان لشعب كبير غيره ، اذ المراد بهذا كله الخارج من نسل اسماعيل فانه هو الذى عظمه الله جدا وجدا ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمته ملأوا الآفاق وأربوا فى الكثرة على نسل اسحاق •

وقد قال الله تعالى ناقلا دعاء ابراهيم واسماعيل فى حقه عليهم

السلام فى كلامه المجيد أيضا : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » ومن تدبر هذه البشارات جزم بأن المراد بها رسول الله ﷺ لأن اسماعيل لم تكن يده فوق يد اسحاق قط ولا كانت يد اسحاق مبسوطة اليه بالخضوع ، وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك فى ولد اسرائيل والعيص(١) ، وهم أبناء اسحاق فاما بعث رسول الله ﷺ انتقلت النبوة الى ولد اسماعيل ودانت له الأمم وخضعت له الملوك شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، وجعل خلافة الملك الى أهل بيت اسماعيل وصارت أيديهم فوق الجميع مبسوطة اليهم بالخضوع .

البشارة الرابعة : ما فى الاصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٧٧٢ وسنة ١٨٤١ ما نصه : « ولا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه ، حتى يجىء الذى له الكل ، واياه تنتظر الأمم يربط بالكرمة جحشه ، يا ابنى . والى دالية الكرمة أتانه ، يغسل بالخمر حلته وبدم العنب ردائه ، عيناه من الخمر متباشرة ، وأسنانه أبيض من اللبن » انتهى بحروفه وفى الترجمة المطبوعة سنة ١٨٧٢ فى بيروت ما نصه : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب ، رابط بالكرامة جحشه ، وبالجفنة ابن أتانه . غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن » وفى الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا: «فلا يزول القضيب من يهوذا والراسم من تحت أمره الى أن يجىء الذى هو له ، واليه تجتمع الشعوب » . ولفظ « الذى له الكل » أو « الذى هوله » ترجمة لفظ « شيلون » وفى ترجمة هذا اللفظ اختلاف كثير فى ما بينهم . وفى الرسالة الهادية هكذا : « لا يزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجىء الذى له ، واليه تجتمع الشعوب » .

---

(١) المراد بالنبوة : النبوة التى تصحبها شريعة ، لا النبوة بدون شريعة . وموسى كان هو النبى المشرع فى بنى اسرائيل ومثله محمد فى بنى اسماعيل . ومن نسل عيصو ليس نبى مشرع .

وفى هذه الآية دلالة على مجىء سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تمام حكم موسى وعيسى لأن المراد من الحاكم هو موسى ، لأنه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة الى زمن موسى الا موسى عليه السلام ، والمراد من الراسم هو عيسى عليه السلام لأنه بعد موسى الى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة الا عيسى ، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة الا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام • فعلم أن المراد من قول يعقوب هذا : نبينا عليه الصلاة والسلام لدى من أنصف نفسه ولم يكابر حسه • وفى النسخة المصححة المعتبرة عند : الكاثوليك التى طبعت فى الموصل سنة ١٨٧٥ ما نصه : « لا يزول القضيب من يهوذا ، والمدبر من بين رجليه ، حتى يجىء الذى له وله يكون خضوع الشعوب ، يربط بالكرمة جحشه ، وبالجفنة ابن أتانه ، غسل بالخمر حلته ، وبدم العنب رداءه ، عيناه من الخمر مسودة وأسنانه مبيضة من اللبن » انتهى بحروفه •

وكتب علماء النصارى المصححون لهذه النسخة تفسير هذه الآيات تحتها • وذلك قولهم على قوله يربط الخ ما نصه : المعنى الحرفى هو عن يهوذا من حيث هو يكون كراما ماهرا ، والمعنى الرمزى : هو عن المسيح المذكور فى الآية السابقة من حيث يضم بالكرمة أى بكنيسة الشعوب • جحشه : أى أمة اليهود • وعلى قوله بدم العنب رداءه : أى خضب جسمه وفديت كنيسته بدمه والكلام على المسيح • وعلى قوله عيناه الخ أو عيناه أكثر سوادا من الخمر وأسنانه أكثر بياضا من اللبن • انتهى بحروفه •

فانظر الى اختلاف توراتهم التى يتمسكون بها • ففى كل نسخة من نسخهم المطبوعة خلاف ما فى النسخة الأخرى ولم تجتمع نسختان على كلام واحد ، مع أن هذه النسخ جميعها محرر فيها : أن هذه النسخة هى التى اجتمع العلماء على تصحيحها وما عداها محرف مغير بالزيادة والنقصان • وفى كل بلدة وسنة يطبعون فيها يغيرون ويبدلون حتى الآن وهذه الآيات التى حررتها لك بين يديك • فانظر فيها • فهل تجد نسخة توافق الأخرى ؟ ولا سيما لفظ « شيلون » الذى زيدوه فى

النسخة التى طبعت فى بيروت ، ليوهموا أنه المسيح ، مع أنه فى بقية النسخ المصححة عندهم ليس فيها شيلون • وانظر الى تفسيرهم المتقدم والخبط فيه • فان الآية الأولى التى قبل هذه الآيات ما نصه : « يهوذا لك يحمد اخوتك ويدك على قفا أعدائك يسجد لك بنو أبيك » انتهى • فقالوا فى تفسيرها تحتها مانصه : « بنو أبيك أى جميع اخوتك • وفى ذلك رمز الى يسوع المسيح الذى هو من نسل يهوذا ، الذى سجدت له كل القبائل والشعوب » انتهى •

فيقال لهم اذا كان المسيح من نسل يهوذا فكيف يكون هو المراد من الموعودية لأن معنى الآية كما هو ظاهر لكل من له عقل ان الحكم لا يزول من يهوذا ولا من الذى هو من نسله حتى يجىء الذى له الكل وله خضوع الشعوب ، أى فاذا جاء ذلك الشخص ، فحينئذ لا يكون المدبر والحاكم من نسل يهوذا ، وعيسى داخل فى انه لا يكون مدبرا حينئذ ، لأنه من نسل يهوذا(١) كما اعترف هؤلاء المفسرون بأن هـذا الاله المعبود من نسل يهوذا بن يعقوب •

وبقـى فى هذه الآية كلام طويل يقوى الاستدلال بها على نبوة نبينا عليه الصلاة والسـلام ، من أراده فليرجـع الى اظهار الحـق لصاحبنا العلامة سلمه الله تعالى •

البشـارة الخامسة : الآية الحادية والعشرون من الاصحاح الثـانى والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع المسمى أيضا بسفر الاستثناء من التوراة ما نصه : « هم أغارونى » بغير اله وأغضبونى بمعبوداتهـم

---

(١) اعلم : أن عيسى عليه السلام يهودى من جهة الأم • وأمه من نسل هرون • وهرون من سبط لاوى • وقد غير النصارى نسبه الشريف من هرون الى داود • ليقولوا : انه هو النبى المنتظر من آل داود • لأن العبرانيين زعموا ذلك من سبى بابل • وقد دل لوقا على هرون : اذ قال : ان مريم قريبة لا ليصابات واليصابات من بنات هرون • فلقرابتها لها تكون هارونية مثلها • لأن شريعة التوراة فى سفر العدد تلزم كل امرأة يهودية أن تتزوج فى سبطها اذا ارادت الزواج من يهودى • وقد بينا هذا فى كتابنـا « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » •

الباطلة ، وأنا أيضا اغيرهم بغير شعب ، وبشعب جاهل اغضبتهم » انتهى . اذ المراد — كما لا يخفى على كل نبيه عارف — أن المراد بالشعب الجاهل هم العرب ، لأنهم كانوا قبل الاسلام فى غاية الجهل والضلال ، وأهل البدو والجفاء ، وما كان عندهم من العلوم الشرعية ولا العلوم العقلية شيء يعتد به بالنسبة الى أهل الكتـــابين ، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام وكانت اليهود تستحقرهم لانهـــم من أولاد الجارية هاجر لأن اسمعايل منها ، وهم من أولاد ســـارة لان اسحاق منها وسارة ابنة(١) عم سيدنا ابراهيم عليه السلام .

والظاهر من الآية : أن بنى اسرائيل أغارونى بعبادة المعبودات الباطلة ، فأنا أغيرهم باصطفاء الذين هم عند بنى اسرائيل محقـــرون وجاهلون فأوفى سبحانه بما وعد وبعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبـــل لفى ضـــلال مبين .

وأمـــا من يزعم أن الشعب الجاهل هم اليونان ، فكـــلام ساقط عن الاعتبار كما لا يخفى على من سبر أحوال القوم وتتبع الأخبـــار من ذوى الأنظـــار .

البشارة السادسة : ما فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا المطبوع سنة ١٨٤١ فى لندن ما نصه : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم الى الأبدروح الحق الذى لن يطيق العـــالم أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه ، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم ، لست أدعكم يتامى ، انى سوف أجيئكم عن قليل ، والعالم ليس يروننى ، وأنتم تروننى ، اننى حى وأنتم تحيون . فى ذلك اليوم تعلمون أنتم أنى أنا فى أبى وانتم فى ، وانا فيكم . من كانت عنده وصاياى وحفظها . ذلك هو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنـــا أحبـــه واظهـــر له نفسى قال له يهـــوذا — وليس ذلك

---

(١) فى التوراة انها اخته . وكان نكاح الأخت جائزا الى زمان موسى عليـــه الســـلام .

الا سخريوطى — يا سيدى أى شىء كان انك تظهر لنا نفسك وليس للعالم ؟ أجاب يسوع وقال له من يحبنى يحفظ كلمتى وأبى يحبه واليه نأتى وعنده نصنع منزلا ، ومن لايحبنى ليس يحفظ كلامى • وكلمتى التى سمعتموها ليست لى ، بل للآب الذى أرسلنى ، كلمتكم بهذا مقيما عندكم ، والفار قليط روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو الذى يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم • السلام أستودعكم ، سلامى أعطيكم ، لست أعطيكم كما أمنح العالم ، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع • قد سمعتم أنى قلت لكم : اننى ماضى وآت اليكم • لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بمضيتى الى الآب،لأن الآب أعظم منى، والآن قد قلت لكم قبل أن يكون ، حتى اذا كان تؤمنوا،من الآن لاأكلمكم كثيرا ، لأن أركون هذا العالم يأتى وليس له فى شىء ، وليكن ليعلم العالم أننى أحب الآب • وكما أوصانى الآب كذلك أفعل قوموا ننطلق من ههنا » انتهى بحروفه •

وفى اخر الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا أيضا ما نصه : « فأما اذا جاء الفار قليط الذى أرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من الآب ينبثق ، هو يشهد لأجلى وأنتم تشهدون ، لأنكم معى من الابتداء » انتهى بحروفه •

وقال أيضا فى الاصحاح السادس عشر ما نصه : « والآن فانى منطلق الى من أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى الى أين تذهب ؟ بل لأنى قلت لكم هذه ، فالكآبة ملأت قلوبكم ، لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لأنى ان لم انطلق لم يأتكم الفار قليط • فأما ان انطلقت أرسلته اليكم ، فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم •

أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى • وأما على البر ، فلأنى منطلق الى الآب ، ولستم تروننى بعد •

وأما على الحكم ، فان أركون هذا العالم قد دين ، وان لى كلاما كثيرا أقوله لكم ، ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ، واذا جاء روح

الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبرم بما سيأتى ، وهو يمجدنى لأنه يأخذ مما هو لى ويخبركم ، جميع ما هو للاب فهو لى فمن أجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ ويخبركم • قليلا ولا تروننى وقليلا أيضا وتروننى ، لأننى منطلق الى الآب » انتهى بحروفه •

وهـذه الآيات الانجيلية بشارة صريحة فى الرسالة الأحمـدية ، وقبل شرحها نذكر شيئا يلزم التنبيه عليه :

أولا : هو أن أهل الكتابين قد حرفوا وبدلوا وأولوا فى الكتـب التى بأيديهم كما تحب نفوسهم وتشتهى أهواؤهم ، حتى أنهم كلمـا طبعوا شيئا من العهد القديم والجديد ، ترى تغيير الطبع الثانى عن الذى قبله بتنقيص وتزييد • كمـا يعرفه عنهم كل من تضلع فى مطالعه كتبهم وتتبع مختلف تراجمهم ومراجع دواوين الاسلام التى فى ردهم وسنبين كثيرا من ذلك فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى فى محله • ولم يكتفوا بجميع ذلك حتى خبطوا خبط عشواء فى تراجم الكتب السماوية ، لأن التوراة والانجيل وما يتبعهما كانت باللسان العبرانى ، فترجمت باليونانى ثم بالسريانى ثم بالعربية والفارسية والهندية والتركية وغير ذلك من الألسنة ، فتراهم كثيرا ما يترجمون الأسماء بما يظنونه مطابقا، ويوردون بدلها ما يقرب من معانيها ، ويزيدون تارة شيئا بطريق التفسير فى الكلام الذى هو كلام الله سبحانه بزعمهم ، ولا يشيرون الى تمييز كلامهم عن الكلام المنسوب للبارى سبحانه • وهذا الحال صار عندهم من الأمور العادية •

ولنذكر لك الآن مثالا واحـدا لتجعله ميزانا لمـا قلنا ومعيـار لمـا زبرنا • وذلك هذه البشارة التى ذكرناها لك آنفا التى نقلناها من انجيلهم المطبوع فى لندن سنة ١٨٤١ مسيحية • وبين ما أنقله لك الآن من النسخة التى طبعوها فى بيروت سنة ١٨٧٢ حتى تنظر الى الاختلاف الذى بين ها ين النسختين ، وتجعله مقياسا عاما • قال فى الاصحاح

الرابع عشر ما نصه : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم لا أترككم يتامى انى آتى اليكم • بعد قليل لا يرانى العالم أيضا • وأما أنتم فترونني ، انيأنا حى فأنتم ستحيون • فى ذلك اليوم تعلمون أنى اذا فى أبى وأنتم فى وأنا فيكم الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى • والذى يحبنى يحبه أبى وأنا احبه وأظهر له ذاتى • قال له يهوذا ليس الاسخريوطى ياسيد ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم ؟ أجاب يسوع وقال له : ان أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلا • الذى لا يحبنى لايحفظ كلامى • والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، واما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم ، سلاما أترك لكم ، ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا ، لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب • سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب ثم آتى اليكم • لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون ، لأنى قلت : أمضى الى الآب ، لأن أبى أعظم منى • وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون • لا أتكلم أيضا معكم كثيرا ، لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء ولكن ليفهم العالم أنى أحب الآب وكما أوصانى الآب هكذا أفعل•قوموا ننطلق من ههنا » انتهى بحروفه •

وفى آخر الاصحاح الخامس عشر ما نصه : « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » انتهى بحروفه •

وقد ساق الشيخ الفاضل رحمت الله شيئا كثيرا مما تصرفوا فيه بالتراجم المختلفة ، فمن أراد التفصيل فعليه بكتابه • ولعلنا ننقل شيئا منه فى محل يناسبه ان شاء الله تعالى •

فاذا كان الأمر كذلك فلا غزو اذا بدلوا شيئا من العبارات المصرحة ببعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأولوها على ما تشتهيه أهواؤهم • فمن ذلك أن اسم المبشر به : ترجم فى الانجيل باليونانى بحسب عادتهم ، ثم مترجمو العربية عربو اللفظ اليونانى بفارقليط • قال فى اظهار الحق : « وقد وصلت الى رسالة صغيرة فى لسان أوردواى الهند من رسائل القسيسين فى سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة • وكانت هذه الرسالة طبعت فى كلكتة على تحقيق لفظ فارقليط ، وادعى مؤلفها أن مقصوده تنبيه المسلمين على سبب وقوعهم فى الغلط من لفظ فارقليط•وملخص كلامه: أن هذا اللفظ معرب من لفظ يونانى • قال فان قلنا : ان هذا اللفظ اليونانى الأصل «باراكلى طوس» فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل•وان قلنا:ان اللفظ اليونانى الأصل « بيركلوطوس » فيكون قريبا من معنى محمد وأحمد • فمن استدل من علماء الاسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ اليونانى الأصل « بيركلوطوس » ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد • فادعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو احمد ، لكن الصحيح أنه « باراكلى طوس » انتهى ملخصا من كلامه •

وأنت تعلم أن هذا التفاوت بين هذين اللفظين يسير جدا ، وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة فتبديل « بيركلوطوس » بـ « باراكلى طوس » فى بعض النسخ من الكاتب قريب القياس •

ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على النسخ الأخر •

ومن علم بأحوال هذه الملة ونظر بنظر الانصاف ، اعتقد يقينا بأن تبديل هذا وتحريفه من عباد الصليب غير بعيد ، بل هو من الأمور التى تستحسنها أهل ديانتهم وتتقرب بها الى المسيح علماء ملتهم(١) •

قال أبو محمد ابن قتيبة : « وهذه الألفاظ على اختلافها متقاربة

---

(١) اعلم : ان عيسى عليه السلام كما روى عنه فى الأناجيل الأربعة وانجيل برنابا كان يذكر النص من نصوص نبوءات التوراة أو أسفار الأنبياء عن محمد صلى الله عليه وسلم ويستشهد به ويفسره على محمد ﷺ . كانت هذه هى طريقته : ذكر نص التوراة أو أسفار الأنبياء عن=

= النبى المنتظر ، ثم يقول هذا النص يدل على مجىء محمد رسول الله ، ثم يفسره التفسير الصحيح ، فيدل عليه .

والمسلمون لم ينتبهوا الى هذه الطريقة فقد اخذوا كل نص فى الانجيل على حده ، ولم يربطوه بمثيله ، ولم يربطوه بالتوراة : فخرج كلامهم عن حد الالزام والافحام .

وهذه هى طريقة عيسى عليه السلام :

أولا : أخذ نصا من سفر دانيال — وهو من اسفار الأنبياء — يدل عى قيام أربع ممالك على الأرض . وبعد المملكة الرابعة يقوم ملك الهى على الأرض . وهذا النص موجود فى الاصحاح الثانى والسابع . ثم قال لبنى اسرائيل : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » الذى أنبأ عن ظهوره دانيال بعد .

١ — بابل ٢ — وفارس ٣ — واليونان ٤ — والروم .

وهذه هى طريقة يحيى عليه السلام أيضا المسمى بيوحنا المعمدان . فقد قال كما قال عيسى بالحرف الواحد : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » .

ثم ان عيسى عليه السلام ذكر أمثلة كثيرة منها مثل ذكره الله فى القرآن الكريم فى سورة الفتح وهو موجود فى متى ومرقس ولوقا .

ثانيا : أخذ من مزامير داود عليه السلام نصوصا كثيرة وطبقها على محمد ﷺ منها : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » وهذا مذكور فى متى ومرقس ولوقا . ومنها قول داود عن محمد ﷺ : « مبارك الاتى باسم الرب » فى متى ومرقس ولوقا ومنها : « الحجر الذى رفضه البناءون قد صار راسا للزواية » فى متى ومرقس ولوقا .

ثالثا : أخذ من توراة موسى النص على بركة اسماعيل الموعود بها ابراهيم وطبقها على محمد ﷺ كما روى عنه برنابا .

رابعا : أخذ من سفر المزامير نبوءة المزمور الثانى وطبقها على محمد ﷺ كما روى عنه برنابا .

فعلى المسلمين أن يفعلوا هذه الطريقة فانها هى الملزمة لأهل الكتاب ، يهودا ونصارى .

وقد وضحتها فى الجزء الثانى من كتاب « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » وهى تدل على الانجيل الأصلى لعيسى عليه السلام . فقد كان كله فى هذه الطريقة ، مع وصايا وتفسيرات لآيات فى التوراة .

ثم أعلم : أن كثيرين من المسلمين قد أخطأوا فى تفسير عبارات من كتب أهل لكتاب ومرد الخطأ هو الى عدم اطلاعهم على كتبهم ، وعلى تفاسير كتبهم . وقد اجتهدت فى بيان الصواب دون أن أشير الى الخطأ . فاذا وجدت فرقا فى المعنى بين ما كتبته وما كتبه غيرى ؟ فانه يمكنك المراجعة على كتب أهل الكتاب وعلى تفاسير لتلك الكتب . ومثال ذلك : موضوع « المسيا المنتظر » فقد أفردت له كتابا ، ورتبت الكتابة فيه . وبينت أنه هو محمد رسول الله ﷺ . وفى نبوءة « بيركليت » هذه ، فسر المؤلف رئيس العالم بغير ما يفسره به النصارى فى كتبهم . فانهم يفسرونه بالشيطان . أما بيركليت فهى اسم « أحمد » .

وانما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح صلوات الله تعالى عليه وسلامه فى الانجيل من الحواريين عدة والفارقليط بلغتهم من ألفاظ الحمد ، اما أحمد أو محمد أو حامد • ونحو ذلك • وهو فى الانجيل الحبشى « برنقطيس » •

وقال ابن القيم : « وقد اختلف فى لغتهم — يعنى العبرانية — فذكروا فيه أقوالا ترجع الى ثلاثة : أحدها : أنه الحامد أو الحماد أو الحمد — كما تقدم — ورجحت طائفة هذا القول • قالوا الذى يقوم عليه البرهان فى لغتهم أنه الحمد والدليل عليه : قول يوشع : « من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد » أى حمد جيد — والقول الثانى — وعليه أكثر النصارى — أنه المخلص • والمسيح نفسه يسمونه المخلص • قالوا وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص قالوا وهو بالسريانية فاروق فجعل فارق • قالوا : وليط كلمة تزاد ، ومعناها كمعنى قول العرب رجل هو ، وحجر هو ، وفرس هو • قالوا : فكذلك معنى ليط فى السريانية وقالت طائفة أخرى من النصارى : معناه بالسريانية المعز • قالوا : وكذلك هو فى اللسان اليونانى •

ويعترض على هذين القولين بأن المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية • واجيب عن هذا بأنه تكلم بالعبرانية والانجيل انما أنزل باللغة العبرانية ، وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرها • وأكثر النصارى على أنه المخلص • والمسيح نفسه يسمونه المخلص •

وفى الانجيل الذى بأيديهم أنه قال « انما أتيت لأخلص العالم » والنصارى يقولون فى صلواتهم : لقد ولدت لنا مخلصا • ولما لم يمكن للنصارى انكار هذه النصوص ، حرفوها أنواعا من التحريف بحيث لا يخفى زيفة على من له أدنى تبصر وانتقاد ، وأقل فهم بمعانى الكلام وبسياقه المراد • فمنهم من قال : هو روح نزلت على الحواريين • ومنهم من قال : هو ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها

الآيات والعجائب • ومنهم من يزعم أنه المسيح نفسه ، لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوما أو كونه قام من قبره • ومنهم من قال : لا نعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه •

ومن تأمل ألفاظ الانجيل المتقدمة وسياقها ، أطلع على أن تفسيره بالروح باطل • وأبطل منه تفسيره بالألسن النارية ، وأبطل منه تفسيره بالمسيح ، فان روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده • وليست موصوفة بهذه الصفات • وقد قال الله تعالى : « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا اباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم • اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » •

وقال النبى عليه أفضل الصلاة والسلام لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين : « اللهم أيده بروح القدس » وأمثال هذا فى الكتب السماوية كما ستسمعه ان شاء الله تعالى •

ولنبين المراد بفارقليط وهو النبى المبشر به أعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لا غيره ولا الروح النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار الذى جاء ذكره فى الاصحاح الثانى من سفر الأعمال ونتكلم على هذه الآيات المتقدمة من انجيل يوحنا وظهور دلالتها على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق بذلك ، ونذكر ثانيا شبهات المسيحيين والجواب عنها بوجوه لا تخفى صحتها على كل منصف •

غير أنا نذكر أمام ذلك مقدمة • وهى أنه من الأمور المعلومة لدى العلماء المسيحيين ان غير واحد من الناس بعد عيسى قبل ظهور نبينا عليه الصلاة والسلام بمئات السنين أدعوا أنهم مصداق لفظ فارقليط الذى وعد عيسى عليه السلام • بمجيئه بعده • فمنهم منتس المسيحى

الذى كان فى القرن الثانى من الميلاد وكان كثير الرياضة فانه ادعى فى قرب سنة سبع وسبعين ومائة من الميلاد الرسالة • وقال : انى أنــا الفارقليط الموعود به الذى وعد بمجيئه عيسى عليه السلام وتبعه أناس كثيرون ، وذكر « وليم ميــور » حاله وحال متبعيه فى القسم الثانى من الباب الثالث من تاريخه فى لسان أورد والمطبوع سنة ١٨٧٨ من الميــلاد • وقال صاحب التواريخ : « ان اليهود والمسيحيين من معاصرى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا منتظرين لنبى فحصل لمحمــد من هذا الأمر نفع عظيم ، لأنه أدعى انه هو ذلك المنتظر » انتهى •

فعلم من كلامه أيضا أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبى فى زمان نبينا عليه الصلاة والسلام وهو الحــق الظاهر لأن النجاشى ملك الحبشة وكان نصرانيا لــا وصل اليه كتاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أشهد بالله أنه النبى الذى ينتظره أهل الكتاب وكتــب الجواب وأسلم وكذا المقوقس ملك القبط • قال : قد علمت أن نبيــا قد بقى • وكذا الجارود من علماء النصارى قال للنبى عليه الصــلاة والسلام قد بشر بك ابن البتول • وغير هؤلاء •

والمقصود : أن الناس من أهل الكتابين كانوا منتظرين بعثة نبى لــا علموه من ذكره فى كتبهم ، وأن الفارقليط سيأتى •

ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقــول : لما كان اللفظ العبــرانى الذى قاله عيسى عليه السلام مفقودا ، واللفظ اليونانى الموجود هو ترجمته فنترك البحث عن الأصل ، ونتكلم على هــذا اللفظ اليونانى • فنقول : ان كان اللفظ اليونانى الأصل « بيركلوطوس » فالأمر ظاهر ، وتكون اشارة المسيح فى حق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بلفظ هو قريب من محمد وأحمد كما تقدم • وهذا وان كان قريب القيــاس بمقتضى عادتهم ، لكنا نترك هذا الطرف الراجح تنزلا ومما شــاة لهم ، ونقول — كما يدعون — ان كان أصل هذا اللفظ اليونانى باراكلى طوس ، فهو أيضا لا ينافى الاستدلال على نبوة نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم لأن معناه المعزى والمعين والوكيل ، على ما ادعى صاحب الرسالة المتقدم آنفا أو الشافع كما هو فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وستة عشر مسيحية .

فكل هذه المعانى تصدق على نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عند كل ذى فهم ترك التعصب وتدبر هذه الآيات وعلم سيرة نبينا وما ظهر على يديه من متواتر المعجزات . ويدل على ذلك وجوه .

الأول : ان عيسى عليه السلام قال أولا « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » ثم أخبر عن فارقليط ولا شك أن مقصوده عليه السلام هو أن يعتقد السامعون بأن ما يلقيه بعد عليهم أمر ضرورى واجب الرعاية . فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار ، لما كانت الحاجة داعية الى هذه الفقرة لأنه لا يظن استبعاد الحواريين نزول الروح عليهم مرة أخرى ، لأنهم كانوا مستضيئين به من قبل أيضا ، لأنه اذا نزل على قلب أحد منهم وحل فيه يظهر أثره لا محالة ظهورا بينا فلا يتصور انكار المتأثر منه . وليس ظهوره عندهم فى صورة يكون فيه مظنة الاستبعاد ، فهو اذن عبارة عن النبى المبشر به . وحقيقة الأمر عند من له قلب يفقه به : أن المسيح عليه السلام لما علم بالتجربة لأحوال الناس ونظر بنور النبوة وأجرى القياس بأن أمته ربما ينكرون النبى المبشر به فى التوراة عند ظهوره ، أيقظهم لتلقى كلامه وأكد القبول لتعظيم مرامه بهذه الفقرة المحرضة على الحفظ والقبول . ثم أخبر عن مجىء ذلك لبنى اسرائيل .

الثانى : ان هذا الروح متحد بالآب مطلقا ، وبالابن نظرا الى لاهوته اتحادا حقيقيا ، فلا يصدق فى حقه فارقليط آخر بخلاف النبى المبشر به ، فانه يصدق فى حقه هذا القول بلا تكلف .

الثالث : ان الوكالة والشفاعة من خواص النبوة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله ، فلا يصدقان على الروح ، ويصدقان على النبى المبشر به بلا تكلف . كما هو ظاهر .

الرابـــع ان عيسى عليه السلام قال : « هو يذكركم كل ما قلتـــه لـــكم » ولم يثبت فى رسالة من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام وأن هذا الروح النازل يوم ذكـــرهم ايـــاه •

الخـــامس : ان عيسى عليه السلام قال : « هو يشـــهد لأجلى » وهذا الروح لم يشهد لأجله بين يدى أحد من التلاميذ وغيرهم • أمـــا التلاميذ الذين نزل عليهم فلم يكونوا محتاجين لشهادته ، لأنهم يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزول هذا الروح ، فأى فائدة بشهادته عندهم ؟ وأما غيرهم الذين هم منكرون ، فهم وان كانوا محتاجين للشـــهادة غير أن الروح لم يشهد عندهم كما هو المعلوم من الأناجيل ومســـلم لدى النصارى • فاذا أريد به سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مطابق للحال ، فانه شهد لأجل المسيح وصدقه برسالته وبرأه عن ادعاء الألوهية الذى هو أشد أنواع الكفر والضلال وبرء أمه عن تهمة اليهود لها بالزنا • كما جاء كل ذلك فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية •

الســـادس : أن عيسى عليه السلام قال : « وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » فلفظ « أيضا » موجود فى النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٤ كما تقدم وفى النسخة المطبوعة سنة ١٨٩٠ وفى التـــراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٤٤ وفى ترجمـــة أردو أى الهندية المطبوعة سنة ١٨١٤ فسقوطها من بعض النسخ اما عن سهو وأما عن تعمد،وهوالأقرب،لرداءة مقاصدهم لأن لفظ «أيضا»يدل دلالة ظاهرة على أن شهادة الحواريين غير شهادة فارقليط،فلو كان المراد به الروح لنازل يوم الدار ، لما وجدت مغايرة للشهادتين ، لأن الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة غير شهادة الحواريين ، لأن شهادته هى عين شهادتهم ، لأن هذا الروح مع كونه بزعمهم الها متحـــد بالله اتحادا حقيقيا بريا من النزول والحلول والاستقرار والشكل التى هى من عوارض الجسم والجسمانيات ، نزل مثل ريح عاصفة وظهر فى أشكال ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم يوم الدار ، فكان حالهم كحال من تلبس به الجن ، فكما أن قول الجن يكون

قوله فى تلك الحالة ، فكذلك كانت شهادة الروح هى عين شهادة الحواريين، فلا يصح حينئذ هذا القول ، بخلاف ما اذا كان المراد به النبى المبشر به ، فان شهادته غير شهادة الحواريين كما لايخفى ٠

السـابع : ان عيسى عليه السلام قال : « ان لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ٠ فأما ان انطلقت أرسله اليكم » فعلق مجيئه بذهابه ٠ وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين فى حضوره لما أرسلهم الى البلاد الاسرائيلية ، فلا يكون مرادا بالفرقليط ، بل المراد به شخص لم يستفض منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده ٠ وكان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى ٠ وما كان كذلك الا نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى عليه السلام لأن وجود رسولين ذوى شريعتين مستقلتين فى زمان واحد غير واقع وغير جائز ، بخلاف ما اذا كان الثانى حاكما بشريعة الأول أو كان كل من الرسل مطيعا لشريعة واحدة ، فانه اذ ذاك يجوز تعددهم ، كما وقع بين زمان موسى وعيسى عليهما السلام ٠

الثـامن : ان قول عيسى عليه السلام « يوبخ العالم » بمنزلة النص الجلى على نبوة نبينا خاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه كما هو معلوم وفى صحائف الأعصار مرسوم ، ولا ينكره الا متجاهل محروم ، قد وبخ العالم ٠ ولا سيما اليهود على عدم ايمانهم بعيسى ٠ رميهم له بما هو برئ منه وكذا توبيخه للنصارى على أقوالهم الباطلة فيه ٠ فهو صلى الله تعالى عليه وسلم الموبخ للأمم حتى يقوم ابنه المهدى(١) مع عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا كذلك الروح النازل يوم الدار ، فان توبيخه لم يسمع لأحد من المؤمنين بعيسى أو الكفار والحواريون لم يصدر منهم أيضا توبيخ بعد نزوله ، لأنهم كانوا يدعون الى الملة بالوعظ والترغيب ، كما هو مسلم عند كل ذى فهم لبيب ٠

ومما يضحك الأطفال ما قاله القسيس راتكين فى كتابه المسمى دافع البهتان الذى ألفه فى لسان الأردو : « ان لفظ التوبيخ لا يوجد فى

---

(١) نزول المهدى وعيسى آخر الزمان ثابت بأحاديث آحاد ٠

الانجيل ولا فى ترجمة من تراجمه • قال : وانما ذكره المسلمون ليصدق على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم صدقا بينا لأن محمدا وبخ وهدد كثيرا » انتهى •

فنسخ الانجيل المترجمة قد ملأت العالم ولفظ يوبخ أو يبكت موجود فيها • فكيف يقال : ان المسلمين تقولوا ذلك فهل هذا الا انكار للشمس فى رابعة النهار ؟ فهذه الترجمة المطبوعة فى رومية العظمى سنة ١٦٧١ والمطبوعة فى بيروت سنة ١٨٦٠ والمطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٧٥ وفى التراجم الفارسية المتعددة الطبع أيضا فانكار وجود يوبخ أو يبكت الذى هو بمعناه فى التراجم العربية وغيرها دليل على حماقة هذا القسيس ، لانكاره للبديهيات ، ولا عجب فى ذلك من علماء البروتستانت فكم وكم أنكروا البديهيات وحرفوا وبدلوا فى النسخ المطبوعات والآن كلما طبعوا شيئا من أناجيلهم وتوراتهم وسائر كتبهم غيروا وبدلوا وحرفوا وزيدوا ونقصوا ، كما نبهناك عليه غير مرة • وهذا شىء بالعيان لايمكن لأحد انكاره ، حتى أن فى هذه الأيام مترجمى العربية والفارسية وأوردوا تركو الفظ فارقليط من تراجمهم للانجيل لشهرته عند المسلمين فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم **« يريدون ليطفؤا نور الله بأفواهم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »** •

التاسع : قول عيسى عليه السلام : « أما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنو بى » وهذا يدل على أن فارقليط يظهر على منكرى عيسى موبخا لهم على عدم ايمانهم به ، والروح الذى نزل عن السماء يوم الدار لم يظهر للناس موبخا • كما لا يخفى •

العاشر : ان عيسى عليه السلام قال : « ان لى كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن » وهذا ينافى ارادة الروح النازل يوم الدار لانه مازاد حكما على أحكام عيسى ، لأنه على زعم

أهل التثليث كان قد أمر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة أهل العالم كله • فأى أمر حصل لهم أزيد من أقــواله التى قالها لهم الى زمــان صعوده ؟ نعم بعد نزول هذا الروح أسقطوا جميع أحكام التوراة التى هى ما عدا بعض الأحكام العشرة المذكورة فى الاصحاح المتمم عشرين من سفر الخروج ، وأحلوا جميع المحرمات • وهذا الأمر لا يجوز فى حقه أن يقال : انهم ما كانوا يستطيعون حمله ، لأنهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذى هو أعظم أحكام التوراة الذى كــان اليهود ينكرون كون عيسى عليه السلام مسيحا موعودا به ، لأجل عدم مراعاته هذا الحكم فقبول سقوط جميع الأحكام كان أهون عندهــم نعم قبول زيادة الأحكام لأجل ضعف الايمان وضعف القوة الى زمان صعوده كما يعترف به علماء البروتستنت كان خارجا عن استطاعتهم ، فظهر أن المراد بفارقليط نبى تزاد فى شريعته أحكام بالنسبة الى الشريعة العيسوية ، ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء ، وهو محمد صلى الله تعالى عليه وســلم •

الحــادى عشر : ان عيسى عليه السلام قال : « ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » وهذا يدل على أن فارقليط يكون بحيث يكذبه بنو اسرائيل ، فاحتاج عيسى عليه السلام أن يقرر حال صدقه ، فقبل هذا القول • ولا مجال لمظنــة التكذيب للروح النازل يوم الدار ، على أن هذا الروح عندهم عين الله • فلا معنى حينئذ لقوله : « بــل يتكلم بما يسمع » •

وأما اذا أريد به النبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مظنة التكذيب ، وليس هو عين الله تعالى • فلذا دافع ذلك بقوله : « ليس ينطق من عنده » الخ • أى فهو يتكلم بما يوحى اليه • كما قال سبحانه فى القرآن الكريم : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » وقال تعــالى : « قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، أن أتبع الا مــا يوحى الى » •

الثانى عشر ان عيسى عليه السلام قال : « انه يأخذ مما هو لى » وهـذا لا يصدق على الروح لأنه عند أهل التثليث قـديم وغير مخلوق وقادر مطلق ليس له كمال منتظر بل كل كمـال من كمالاته حاصـل له بالفعل ، فلابد أن يـكون الموعود بـه ن جنس الذى يكون له كمـال منتظر ، ولـما كان هذا الكلام موهما أن يكون هذا النبى مطيعا لشريعته، دفعه فيما بعد بقوله : « جميع ما للآب فهو لى فلأجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ » يعنى أن كل شىء يحصل لفارقليط من الله ، فلكنه يحصل منى • كما اشتهر : « من كان لله كـان الله له » فلأجل هـذا قلت : « ان مما هو لى يأخذ » انتهى من اظهار الحق ملخصا •

فصـل :

بل وصـل :

واذا علمت أن الفارقليط ليس هو الروح لوصفه بصفات لا تناسب هذا الروح ، وأنه ليس المراد به الألسن النـارية لبداهة فسـاده • ولا هو عيسى عليه السلام فاسمع ما قال ابن القيم : « انه أراد بـه نبينا عليه الصلاة والسلام لانه وصف الفارقليط بصفات تناسب رجلا يأتى بعده نظيرا له لأنه قال : « يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الأبـد » فقوله اخر دل على أنه ثان لأول كان قبله ، وأنه لم يـكن معهم فى حياة المسيح وانما يكون بعد ذهابه وتوليه عنهم •

وأيضا : فانه قال : « يثبت معكم الى الأبد » وهذا انما يـكون لـما يدوم ويبقى معهم الى آخر الدهر • ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته ، فعلم أنه بقاء شرعه وأمره •

والفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الأبد • وهـذا يبين ان الثانى صاحب شرع لا ينسخ ، بل يبقى الى الأبد بخـلاف الأول ، وهذا انما ينطبق عند كل ذى لب على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وأيضا فانه أخبر كما نقلناه فى الآيات المتقدمة أن هذا الفارقليط الذى أخبر به يشهد له ويعلمهم كل شىء ، وأنه يذكرهم كل

ما قال المسيح ، وأنه يوبخ العالم على خطيئته . فهذه الصفات والنعوت التى فى الآيات لا تطبق على أمر معنوى يكون فى قلب بعض النـــاس وانما تنطبق على من يسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ويعلمهم ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ويوبخ العالم ويرشد الناس الى الحق ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتى ، ويعرفهم جميــع ما للرب العالمين . وهذا لا يكون ملكا لا يراه أحد ولا يكون هدى وعلما فى قلب بعض الناس . لا يكون الا انسانا عظيم القدر يخاطب الناس بما أخبر به المسيح . وهذا لا يكون الا بشرا رسولا بل يكون أعظــم من المسيح ، فان المسيح أخبر أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ، ويخبر بكل ما يأتى وبما يستحقه الرب حيث قال : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن اذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم مما يأتى ، ويعرفكم جميع ما للأب » فلا يستريب عاقل أن هذه الصفات لا تنطبق الا على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لأن الاخبار عن الله تعالى بما هو متصف من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته ، وعما أعده فى الجنة لأوليائه وفى النار لأعدائه أمر لا يحتمل عقول أكثر الناس معرفته على التفصـــيل » .

وقـــال على كرم الله وجهه : « حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ » وقـــال ابن مسعود : « ما من رجل يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم » . فقال لهم المسيح : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ولكنـــكم لا تستطيعون حمله » وهو الصادق المصدوق . ولهذا ليس فى الانجيل من صفات الله تعالى وصفات ملكوته وصفات اليوم الآخر الا أمـــور مجملة ، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا أمور مجملة ، مع أن موسى عليه السلام كان قد مهد الأمر للمسيح ، ومع هذا فقد

قال لهم المسيح : « ان لى كلاما كثيرا أريـد أن أقوله لكـم ، ولكن لا تستطيعون حمله » ثم قال : « ولكن اذا جاء روح الحق فذلك الذى يرشدكم الى جميع الحق ، وأنه يخبركم بكل ما يأتى وجميع ما للرب » فدل هذا على أن الفارقليط هو الذى يفعل هذا دون المسيح ، وكذلك كان • فان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أرشد الناس الى جميع الحق ، حتى أكمل الله تعالى به الدين ، وأتم به النعمة • ولهـذا كان خاتم الانبياء ، فانه لم يبق شىء يأتى به غيره ، وأخبر محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما يأتى من أشراط الساعة والقيامة والحسـاب والصراط ووزن الأعمال والجنة وأنواع نعيمها والنار وأنواع عذابها ولهذا كان فى القرآن العظيم من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتى أمور كثيرة لا توجد فى التوراة ولا فى الانجيل ، وذلك تصديق قول المسيح : انه يخبر بكل ما يأتى • وذلك يتضمن صـدق المسيح وصدق محمد عليهما الصلاة والسلام •

وهذا معنى قوله تعالى : « أنهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون • ويقولون : ءأ لتاركوا آلهتنا لشـاعر مجنون ؟ بل جـاء بالحق وصدق المرسلين » أى مجيئه تصديق للرسل قبله ، فانهم أخبروا بمجيئه فجاء كما أخبروا به فتضمن مجيئه تصديقهم ، ثم شهد هـو بصدقهم ، فصدقهم بقوله ومجيئه صلى الله عليه وسلم ، فأخبـر من الأمور التى تأتى فى المستقبل بما لم يأت به نبى من الأنبياء كما نعته به المسيح حيث قال : « انه يخبركم بكل ما يأتى » ولا يوجد مثل هذا أصلا عن أحد من الأنبياء قبل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا عن أن يوجد فى شىء أنزل على قلب بعض الحواريين كما هو ظاهر لكل منصف ومطلع على الكتب السماوية •

وأيضا فانه قال : « ويعرفكم جميع ما للرب » فبين انه يعرف الناس جميع ما لله تعالى وذلك يتنـاول ما لله سبحانه من الاسـماء والصفات ، وما له من الحقوق وما يجب من الايمان به وملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون ما يأتى به جامعا لـما يستحقه الرب وهذا لم يأت

به غير نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه تضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة .

هذا كله وأيضا : فان المسيح قال : « اذا جاء الفارقليط الذى أرسله أبى فهو يشهد لى . قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به » فأخبر أنه شهد له . وهذه صفة نبى بشر به المسيح ، ويشهد للمسيح كما قال تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم : يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة وهذا أيضا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين ، فانهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه . فكيف يقول اذا جاء فانه يشهد لى ويوصيهم بالايمان به ؟ افترى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح ؟ فهذا من أعظم جهل النصارى وضلالهم .

وأيضا : فانه لم يوجد أحد وبخ العالم على الخطيئة الا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أنذر جميع العالم من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ، ولم يقتصر على مجرد الأمر والنهى ، بل وبخهم وقرعهم وتهددهم . وأيضا : فانه أخبر أنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع . وهذا اخبار بأن كل ما يتكلم به فهو شىء يسمعه ليس هو شيئا تعلمه من الناس أو عرفه باستنباطه . وهذه خاصة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما المسيح عليه السلام فكان عنده علم ما جاء به موسى قبله يشاركه به أهل الكتاب تلقاه عمن قبله ، ثم جاء وحى خاص من الله تعالى فوق ما كان عنده . قال تعالى : « ويعمله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » فأخبر سبحانه انه يعلمه التوراة وزاده تعليم الانجيل الذى اختص به والكتاب الذى هو الكتابة ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعلم قبل الوحى شيئا من ذلك البتة ، ولم يكن ينطق من تلقاء نفسه ، كما قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » وهذا

مطابق لقـول المسيح « انه لا يتكلم من تلقاء نفسه ، بل يتكلم بمـا يوحى اليه » فالله تعالى أمره أن يبلغ ما أنزل اليه وضمن له العصـمة فى تبليغ رسالاته ، فلهذا أرشد الناس الى جميع الحق ، وألقى الى الناس ما لم يكن غيره من الأنبياء القاه ، خوفا أن يقتله قومه •

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده وأنهم لا يطيقون حمله ، وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم اذا أخبرهم بحقائق الأمور وسيدنا محمد ﷺ أيده الله سبحانه وتعالى تأيدا لم يؤيده لغـيره ، فعصمه من الناس ، حتى لم يخف من شىء يقوله ، وأعطاه من البيان والعلم وعموم الرسالة ، ودخول الناس فى دينه أفواجا أفواجا بأقصر زمان ما لم يؤته غيره ، فالكتاب الذى بعث به : فيه من بيان حقائق الغيب ما ليس فى كتاب غيره وقد حفظ عن الزيادة والنقصان والتحريف، بخلاف غيره كما سنذكره مفصلا فى محله ان شاء الله تعالى ، وأيد أمته تأييد طاقت به حمل ما ألقاه اليوم ، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، ولا كاهـل الانجيل الذين قـال لهم المسيح : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، ولكن لا تستطيعون حمـله » •

ولا ريب أن أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل عقـولا وأعظم ايمانا وأتم تصديقا وجهادا • ولهذا كانت علومهم وأعمـالهم القلبية ، وايمانهم أعظم وكانت العبـادات البدنية لغيرهم أعظـم • وأيضا : فانه أخبر عن الفارقليط أنه يشهد له ، وانه يعلمهم كل شىء وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح • ومعلوم ان هذا لا يكون الا اذا شهد له بشهادة يسمعها الناس ، ولا يكون هذا فى قلب طائفة قليلة • ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله تعالى عله وسلم فانه أظهر أمر المسيح وشهد له عامة أهل الأرض وعلمـوا أنه صدق المسيح ونزهه عما افترته عليه اليهود وما غلت فيه النصارى • ولهذا لمـا سمع النجاشى من الصحابة ما شهد به محمد عليه الصلاة والسلام للمسيح ، قال لهم : ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود •

وجعل الله تعالى امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم شهداء على الناس شهدوا عليهم بما علموا من الحق ، اذ كانوا وسطا عدولا ، بخلاف شهادة اليهود والنصارى فى المسيح .

وأيضـا : فان معنى الفارقليط ان كان هو الحامد أو الحماد أو المحمود أو الحمد ، فهذا الوصف ظاهر فى نبينا محمد صلى الله تعـالى عليه وسلم فانه وأمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو صاحب لواء الحمد ، والحمد مفتاح خطبة ومفتاح صلواته ، ولما كان حمادا سمى بمثل وصفه محمدا ، على وزن مكرم ومقدس ومعظم ، وهو الذى يحمد أكثر مما يحمد غـيره ، ويستحق ذلك . فلمـا كان حمدا لله كان محمـدا .

وفى شعر حسان بن ثابت :

أغـــر عليـه للنبـــوة خاتـــم
من الله ميمـــون يلـــوح ويشـــهد
وشـــق لـــه من اســـمه ليجلـــه
فـــذو العرش محمود وهذا محمد
وضم الاله اسم النبى الى اسمه
اذا قال فى الخمس المؤذن : أشهد

وأما أحمد ، فهو أفعل التفضيل اذ هو أحمد من غـيره اى بأن يكون محمودا أكثر من غيره ، يقال : هذا أحمد من هذا أى هذا(١) أحق بأن يحمد من هذا ، فيكون فيه تفضيل على غيره فى كونه محمودا ، فلفظ محمد يقتضى زيادة فى الكمية ، ولفظ أحمد يقتضى زيادة فى الكيفية .

ومن الناس من يقول : معناه انه أكثر حمدا لله تعالى من غيره . وعلى هذا فيكون بمعنى الحامد والحماد وعلى الأول بمعنى المحمود . وان كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصـدر مبالغة فى كثرة

---

(١) أحمد ترجمـة بيراكليت . وأحمد بدل « ايلياء » فى سفر ملاخى وانجيل متى . فاسـم احمد قديم لا يخضـع للاشتقاق . وكذلك محمد فى سفر التكوين وفى انجيل برنابا . لا يخضع للاشتقاق . والعربية والعبرانية متشـــابهتان .

الحمـــد ، كما يقال رجل عدل ورضا ونظائر ذلك ، وبهـــذا يظهر سر ما أخبر به القرآن عن المسيح من قوله : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » فان هذا هو معنى الفارقليط كما تقدم .

وفى بعض نسخ التوراة القديمة ما ترجمته بالعربية : « وأما فى اسماعيل فقد قبلت دعاك . قد باركت فيه وأثمره . وأكثره بمأد مأد » ومـــأد على وزن عمرو ، قد اختلف فيه علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون : معناه جدا جدا ، أى كثيرا كثيرا ، فان كان هذا معناه فهـــو بشارة بمن عظم من بنيه كثيرا كثيرا . ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم محمد ﷺ وقالت طائفـــة أخرى بل هى صريح اســـم محمد . قالوا : ويدل عليه : أن ألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية فهى أقرب اللغات الى العربية ، فانهم يقولون لاسماعيل شماعيل ، ولموسى موشى وقد سك قد شخا .

وتأمل قوله فى التوراة : « نابى أقيم لا هيم مقارب آخهم كاموخاء الأوه يشماعون » . وان معناه : « نبيا أقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك له يسمعـــون » ونظائر ذلك أكثر من ان يذكر ، فاذا أخذت لفظ مؤد ، وجدتها أقرب شىء الى لفظ محمد ، واذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية ، ولذلك يقولون : اصبوع ألوهيم ، أى اصبع الله كتب له بها التوراة . ويدل على ذلك : أداة الباء فى قوله بمؤد مؤد . ولا يقال عظمه بجدا جدا ، بخلاف أعظمه بمحمد . وكذلك هو فانه عظم به وازداد به شرفا الى شرفه ، بل تعظيمه بمحمـــد ابنـــه صلى الله تعالى عليه وسلم فوق تعظيم كل والد بولده العظيم القدر ، فالله سبحانه كثره بمحمد صلى الله تعالى عليه وســـلم . وعلى التقديرين فالنص من أظهر البشارات به . أما على هذا التفسير فظاهر جدا جدا ، وأما على التفسير الأول فانه كثر اسماعيل وعظمه على اسحاق جـــدا جدا بابنه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا طابقت بين معنى الفارقليط ، ومعنى مؤد مؤد ، ومعنى محمد وأحمد ، ونظرت الى خصال الحمـــد التى فيه وتسميته أمته فالحمادين ، وافتتاح كتابه بالحمد ، وكثـــرة خصال الحمد التى فيه وفى أمته وفى دينه وفى كتابه ، وعرفت ما خلص

به العالم من أنواع الشرك والكفر والخطايا والبدع والقول على الله تعالى بلا علم ، وما أعز الله تعالى به الحق وأهله ، وقمع به الباطل وحزبه ، تيقنت أنه الفارقليط بالاعتبارات كلها . فمن هذا الذى هو روح الحق الذى لا يتكلم الا بما يوحى اليه ؟ ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به والمصدق له بمجيئه ؟ ومن الذى أخبرنا بالحوادث فى الأزمنة المستقبلة ؟ كخروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج ونزل المسيح بن مريم ، وظهور النار التى تحشر الناس وأضعاف أضعاف ذلك من الغيوب التى قبل يوم القيامة والغيوب الواقعة يوم القيامة من الصراط والميزان والحساب وأخذ الكتب بالايمان والشمائل وتفاصيل ما فى الجنة والنار ، مما لم يذكر فى التوراة والانجيل غير سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام . ومن الذى وبخ العالم على الخطايا سواه ؟ ومن الذى عرف الأمة ما ينبغى لله سبحانه حق التعريف غيره ؟ ومن الذى تكلم فى هذا الباب بما لم يطق أكثر العالم أن يقبلوه من غيره ، حتى عجزت عنه عقول كثير ممن صدقه وآمن به فساموه أنواع التحريف والتأويل، لعجز عقولهم عن حمله ، كما قال أخوه المسيح صلوات الله عليهما وسلامه ؟ ومن الذى أرسل الى جميع الخلق قولا وعملا واعتقادا فى معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وقضائه وقدره غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ومن هو أركون العالم الذى أتى بعد المسيح غيره اذ أركون العالم هو عظيم العالم وكبير العالم .

تأمل قول المسيح فى هذه البشارة التى لا ينكرونها : « أن أركون العالم سيأتى وليس لى من الأمر شىء » وفى نسخه : « ان رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء »(١) . كيف شهد بنبوة المسيح ونبوة

---

(١) يفسر النصارى رئيس هذا العالم بالشيطان الرجيم . والمعنى : ان عيسى عليه السلام يقول : ان الشيطان الذى أضل الناس وأبعدهم عن الحق وأقنع علماء بنى اسرائيل بتحريف التوراة عن محمد ﷺ . قد أظهرت للناس ضلالة ، وحذرتهم منه ، ووضحت لهم نبوءات التوراة عن محمد ﷺ حتى اذا ما ظهر لا يكون أمره خافيا ، بل يكون واضحا . ويكون الشيطان قد أخزى ، ويكون أتباعه قد أدينوا على رفضهم بسبب بيانى وتوضيحى .

محمد صلى الله تعالى عليه وسلم معا فانه لما جاء صار الأمر له دون المسيح فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لأمره وصار الأمر له حقيقة ، ولم يبق بأيدى النصارى الا دين ، باطله أضعاف أضعاف حقه وحقه منسوخ بما بعث الله تعالى به محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فطابق قول المسيح قول أخيه محمد عليه الصلاة والسلام «ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا فيحكم بكتاب ربكم(١)» وقوله فى اللفظ الآخر : « فأمكم بكتاب ربكم » فتطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول بالثانى ، وصدق الثانى الأول .

وتأمل قوله فى البشارة الأخرى : **« ألم تر الى الحجر الذى أخره البناؤن صار أسا للزاوية »** كيف تجده مطابقا لقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأتمها الا موضع لبنة منها فجل الناس يطيفون بها ويعجبون منها ، ويقولون : هلا وضعت تلك اللبنة ؟ فكنت أنا تلك اللبنة » .

وتأمل قول المسيح فى هذه البشارة : « أن ذلك عجيب فى أعيننا » وتأمل قوله فيها على ما فى كثير من نسخه التى لم يبدل فيها هذا **الكلام وهو : « أن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى » ومثله فى التوراة : « وأنا أغيرهم بشعب جاهل » كيف تجده مطابقا لقوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور » الآية . وتأمل قوله : « يعلمكم كل شىء » ولقوله سبحانه : « ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .**

واذا تأملت التوراة والانجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل(٢) لمجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها فهو حقيقة قول المسيح : « يعلمكم كل شىء » وقوله : « يعلمكم جميع الحق » وقوله على ما فى بعض نسخ الانجيل : « أجيئكم بالأمثال ويجيئكم بالتأويل ،

---

(١) نزول عيسى آخر الزمان ثابت بأحاديث آحاد .
(٢) شريعة القرآن سهلة ، وشريعة التوراة صعبة .

ويفسر لكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » واذا تأملت تفصيل ما أخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق الرسولين الكريمين ومطابقة الخبر المفصل من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للخبر المجمل من أخيه المسيح .

وتأمل قوله فى الفارقليط : « وهو يشهد لى كما شهدت له » منطبقا على محمد بن عبد الله وكيف تجده شاهدا بصدق الرسولين ؟ وكيف تجده صريحا فى رجل يأتى بعد المسيح يشهد له بأنه عبد الله ورسوله كما شهد له المسيح أنه يرسله الله تعالى وأنه يوبخ العالم ، وانه أركون العالم أى سيده وعظيمه ، وأنه يعلمهم كل شيء ، ويذكرهم بجميع ما قاله المسيح ، ولقد أذن المسيح بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أذانا لم يؤذنه نبى قبله ، وأعلن بتكبير ربه أن يكون له صاحبة أو ولد ، ثم رفع صوته بشهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا أحدا فردا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ثم أعلن بشهادة أن محمدا عبده ورسوله الشاهد له بنبوته المؤيد بروح الحق الذى لا يقول من تلقاء نفسه ، بل يتكلم بما يوحى اليه ويعلمهم كل شيء ، ويخبرهم بما أعد الله تعالى لهم ثم رفع صوته بحى على الفلاح باتباعه والايمان به وتصديقه ، وأنه ليس له من الأمر شيء ، وختم التأذين بأن ملكوت الله سيؤخذ ممن كذبه ويدفع الى أتباعه والمؤمنين به ، فهلك من هلك عن بينة ، وعاش من عاش عن بينة ، فاستجاب أتباع المسيح حقا لهذا التأذين وأباه الكافرون والجاحدون فقال تعالى « انى متوفيك ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم فيه تختلفون » وهذا بشارة بأن المسلمين لا يزالون فوق النصارى الى يوم القيامة فان المسلمين هم أتباع المسيح فى الحقيقة واتباع جميع الأنبياء لا أعداؤه عباد الصليب ، الذين رضوا أن يكون الها مصفوعا مصلوبا مقتولا بأيدى عبيده الذين ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، ولم يرضوا أن يكون نبيا عبد الله وجيها عنده ، مقربا

لديه • فهؤلاء أعداؤه حقا والمسلمون أتباعه حقا • والمقصود أن بشارة المسيح بالنبى ﷺ فوق كل بشارة ، لما كان أقرب الأنبياء اليه وأولاهم به وليس بينه وبينه نبى مرسل صاحب شريعة وكتاب •

وتأمل قوله : ان أركون العالم سيأتى • وفى بعض نسخهم التى بدلوها برئيس هذا العالم يأتى وليس له شىء • وعلى كل فهو سيد العالم وعظيمه • فمن الذى ساد العالم وأطاعه بعد المسيح غير النبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سئل : ما كان أول أمرك ؟ قال : « انا دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى » وطابق بين هذا وبين هذه البشارات التى ذكرها المسيح • فمن الذى ساد العالم باطنا وظاهرا وانقادت له القلوب والأجساد وأطيع فى السر والعلانية فى محياه وبعد مماته فى جميع الأعصار وأفضل الاقاليم والأمصار وسارت دعوته فى أيام قليلة سير الشمس فى الأقطار ، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار ، وخرت لمجيئه الأمم على الأذقان ، وبطلت به عبادة الاوثان وقامت به دعوة الرحمن ، واضمحلت به دعوة الشيطان ، وأذل الكافرين والجاحدين ، وأعز المؤمنين • وجاء بالحق وصدق المرسلين ، حتى أعلن بالتوحيد على رءوس الاشهاد وعبد الله وحده لا شريك فى كل حاضر وباد ، امتلأت به الأرض تحميدا لله وتهليلا وتسبيحا وتكبيرا واكتست به بعد الظلم والظلام عدلا ونورا •

تتمة : أعلمم أنه لم يسم قبل نبينا عليه أفضل الصلوات والسلام أحد بمحمد • وذلك لانه سبحانه سماه فى الكتب المقدمة بذلك وبشر به الأنبياء والأمم ، فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة ، الا أنه لما قرب زمنه عليه السلام وبشر أهل الكتب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك ، رجاء أن يكون هو هو صلى الله عليه وسلم والله أعلم حيث يجعل رسالته :

ما كل من زار الحمى سمع الندا
من أهله • أهلا بهذا الزائر

وقد سماه به جـده عبد المطلب • وذلك أنه لمـا قيل له : مـا سميت ولدك ؟ قال : محمد • فقيل له : كيف سميته باسم ليس لأحـد من آبائك وقومك ؟ فقال : لأنى ارجو أن يحمده الله تعـالى فى السماء ، ويحده أهل الأرض • وذلك لرؤيا كان رآها•وهى:ان عبد المطلب كان رأى فى المنام كأن سلسلة من فضت خرجت من ظهره ، لها طرف فى السماء وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب،ثم عادت مكانها شجرة،على كل ورقة منهـا نور • واذا اهل المشرق والمغـرب كأنهم يتعلقون بها فقصـها فعبرت بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهـل السماء والأرض فلذلك سماه محمـدا ، مع ما حدثته به أمـه آمنة بنت وهب من البشارات التى رأتها • ومنها أنـه قيل لهـا : فاذا وضعته فسميه محـمدا •

ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام أحمد ومحمود كما تقـدم ، فمحمد منقول من الصفة ، وهو الذى يحمد حمدا بعد حمد وأحمـد منقول أيضا من الصفة التى معناها التفضيل ، ومعناه أحمد الحامدين لربه ، ثم لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه ، فأنبأه وشرفه ، وذلك لأنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس • وقيل انه بمعنى أحمـد الناس أى احق الناس وأولاهم ان يحمد فهو بمعنى محمد • وبذلك ذكره موسى وعيسى عليهما السلام فيكون أحمد أيضا بمعنى اسـم المفعـول •

قـال الامام عياض : أحمد أكبر من حمد ، وأجل من حمد •

وقـال العلامة ابن القيم فى الفصل الثالث من جلاء الافهام فى معنى اسـم النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم محمـد واشتقاقه • ما ملخصه : ان هذا الاسم الشريف هو أشهر أسمائه عليه الصـلاة والسلام وهو اسم منقول من الحمد وهو فى الأصل اسم مفعول من الحمـد • وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته واجلاله وتعظيمه ، هذا هو حقيقة الحمد ، وبنى على زنة مفعل مثل معظم ومبجل لأن هذا

البناء موضوع للتكثير ، فان اشتق منه اسم فاعل فمعناه من كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة كمعلم ومفهم ومخلص وان اشتق منه اسم مفعول فمعناه من تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى ، اما استحقاقا أو وقوعا ٠ فمحمد هو الذى كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى ، أو الذى استحق أن يحمد مرة بعد أخرى ٠ قال حمد فهو محمد كما يقال علم فهو معلم ٠ وهذا علم وصفة اجتمع فيه الأمران فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان علما محضا فى حق كثير ممن تسمى به غيره ٠

وهذا شأن اسماء الرب تعالى وأسماء كتابه واسماء نبيه ٠ وهى أعلام دالة على معان هى بها أوصاف فلا تضاد فيها العلمية والوصف بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين ، فهو الله الخالق البارىء المصور الغفار ، فهذه أسماء دالة على معان هى صفاته ٠ وكذلك القرآن والفرقان والكتاب المبين ، وغير ذلك من أسمائه ٠ وكذلك أسماء النبى عليه الصلاة والسلام التى منها محمد وأحمد والماحى ٠ ولهذا قال حسان فى الأبيات السابقة ٠

وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

فتسميته ﷺ بهذا الاسم لما اشتمل عليه من مسماه ، وهو الحمد ، فانه عليه الصلاة والسلام محمود عند الله ، ومحمود عند ملائكته ، ومحمود عند اخوانه من المرسلين ، ومحمود عند أهل الأرض كلهم وان كفر به بعضهم ، فان ما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل ، وان كابر عقله جحودا وعنادا أو جهلا باتصافه بها ولو علم اتصافه بها لحمده ، فان من يحمد من اتصف بصفات الكمال ويجهل وجودها فيه فهو فى الحقيقة حامد له وهو ﷺ اختص من سمى الحمد بما لم يجتمع لغيره فان اسمه محمد وأحمد وأمته الحمادون يحمدون الله تعالى على السراء والضراء وصلاته وصلاة أمته مفتتحة بالحمد وخطبه مفتتحة بالحمد ، وكتابه مفتتح به ٠ هكذا كان عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ أن خلفاءه

وأصحابه يكتبون المصحف مفتتحا بالحمد ، وبيده عليه الصلاة والسلام لواء الحمد يوم القيامة •

ولما يسجد لربه عز وجل اذ ذاك للشفاعة ويؤذن له فيها ، يحمد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذ وهو صاحب المقام المحمود الذى يغبطه الأولون والآخرون • واذا قام فى ذلك المقام حمده حينئذ أهل الموقف كلهم ، مسلمهم وكافرهم وأولهم وآخرهم وهو محمود صلى الله تعالى عليه وسلم بما ملأ به الأرض من الهدى والايمان والعلم النافع والعمل الصالح ، وفتح به القلوب وكشف به الظلمة عن أهل الأرض واستنقذهم من أسر الشياطين ، ومن الشرك بالله تعالى والكفر به والجهل به ، حتى نال به أتباعه شرف الدنيا والآخرة ، فان رسالته افت أهل الأرض أحوج ما كانوا اليها فانهم كانوا بين عباد أوثان وعباد صلبان وعباد نيران وعباد الكواكب ومغضوب عليهم ، قد باءوا بغضب من الله ، وحيران لا يعرف ربا يعبده ولا بماذا يعبده • والناس يأكل بعضهم بعضا من استحسن شيئا دعا اليه من خالفه ، وليس فى الأرض موضع قدم مشرق بنور الرسالة •

وقد نظر الله سبحانه وتعالى حينئذ الى أهل ارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا على اثار من دين صحيح ، فأغاث الله تعالى به البلاد والعباد ، وكشف به تلك الظلم ، وأحيا به الخليقة بعد الموت ، فهدى به من الضلالة ، وعلم به من الجهالة وكثر به من القلة ، وأعز به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا •

فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة ، وأبدى وأعاد واختصر وأطنب فى ذكر أسمائه وصفاته وافعاله وأحكامه حتى تجلت معرفته سبحانه فى قلوب عباده المؤمنين ، وانجلت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة ابداره ، ولم يدع عليه الصلاة والسلام لأمته حاجة فى هذا التعريف لا الى من

قبله ولا الى من بعده ، بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم فى هذا الباب « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . ان فى ذلك **لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** » .

قال أبو ذر رضى الله تعالى عنه لقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم سبحانه أتم تعريف فكشف الأمر وأوضحه ولم يدع بابا من العلم النافع للعباد المقرب لهم الى ربهم الا فتحه ولا مشكلا الا بينـه وشرحه ، حتى هدى الله تعالى به القلوب من ضلالها وشفاها من أسقامها وأغاثها به من جهلها . فأى بشر أحق بأن يحمد منه ﷺ ؟ فجزاه عن أمته أفضل الجزاء .

وأصح القولين فى قوله تعالى : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » أنه على عمومه . وفيه على هذا التقدير وجهان :

أحدهما : أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته اما اتباعه عليه الصلاة والسلام فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة . وأما أعداؤه الكافرون بالله ورسوله المحاربون له عجل قتلهم وموتهم وهو خير لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة لهم فى تغليظ العذاب عليهم فى الدار الآخرة . وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم فى الكفر وأما المعاهدون له فعاشوا فى الدنيا تحت ظله وعهده وذمته . وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له . وأما المنافقون فحصل لهم باظهـار الايمان به عليه الصلاة والسلام حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم فى التوارث وغيره .

وأما الأمم النائية عنه فان الله سبحانه وتعالى رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض ، فأصاب كل العالمين النفع برسالته .

الوجه الثانى : انه عليه الصـلاة والسلام رحمـة لكل أحـد لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى والكفار ردوها فلم

يخرج بذلك عن ان يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال هذا دواء لهذا المرض فاذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض •

ومما يحمد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم فان من نظر فى أخلاقه وشيمه عليه الصلاة والسلام علم انها خير أخلاق وأكرم شمائل الخلق فانه ﷺ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثا واحلمهم واجودهم واسخاهم واشدهم احتمالا واعظمهم عفوا ومغفرة وكان عليه الصلاة والسلام لا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما أرحم الخلق وأرئفهم بهم ، وأعظم الخلق نفعا لهم فى دينهم وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرا عن المعانى الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد ، وأصبرهم فى مواطن الصبر ، وأصدقهم فى مواطن اللقاء ، وأكثرهم توكلا وأوفاهم بالعهد والذمة واعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه وأشدهم تواضعا وأعظمهم ايثارا على نفسه ، وأشد الخلق ذبا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعا عنهم ، وأقوم الخلق بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه وأوصل لخلق لرحمه •

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر كما جاءت أغلب هذه الأوصاف له فى التوراة كما رواه الامام البخارى فى صحيحه وكان عليه الصلاة والسلام قد جمع الخير كله بحذافيره ، وأودع فى صدره ، فهو أجود الناس صدرا ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، وأصدقهم لهجة حتى أن اعداءه اقرت له بذلك وقد حاربوه وليس أحد منهم يوما من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة صغيرة ولا كبيرة واذا كانوا يسمونه الأمين • ولما كذبه بعض كفار قريش بدعواه الرسالة حسدا وكبرا وعصبية جاهلية ، سلاه البارى سبحانه ليهون عليه قول أعدائه بقوله عزت كلمته « **قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون • ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله • ولقد جاءك من نبأ المرسلين** » انتهى •

فصـــل

وطابق بين قول المسيح « ان أركون العالم سيأتيكم » وقول أخيه محمد ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر • آدم فن دونه تحت لوائى وأنا خطيب الأنبيـاء اذا رفـدوا ، وامامهم اذا اجتمعـوا ، ومبشرهم اذا يئسوا » وفى قول المسيح فى هـذه البشارة « وليس له فى شىء » وفى بعضها « ليس له شىء » وفى بعضها « وليس لى من الأمر شىء » اشارة الى التوحيد وأن الأمر كله لله • فتضمنت هذه البشارة أصلى الدين : اثبات التوحيد ، واثبات النبوة •

وهذا الذى قاله المسيح مطابق لما جاء به أخوه محمد صـلى الله تعالى عليه وسلم من ربه سـبحانه من قوله **« ليس لك من الأمر شىء »** فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتهما ، وجدهما متوافقين متطابقين حذو القذة بالقذة ، لا يمكن التصديق بأحدهما مع التكذيب بالآخر البته • فان المكذب بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أشد تكذيبا للمسيح ، الذى هو ابن مريم عبد الله ورسوله ، وان آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود فهو من أبطل الباطل •

وقد قال يوحنا فى كتاب أخبار الحواريين « اياكم أن تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله من غيرها • واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانيا ، فهى من عند الله وكل روح لا تؤمن بأن المسيح قد جاء وكان جسدانيا ، فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب ، الذى هو الآن فى العالم » •

فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذى جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذى هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول • والنصارى انما تؤمن بمسيح دعا الى عبادة نفسه وأمه ، وأنه ثالث ثلاثة ، وأنه الله وابن الله وهذا هو أخو المسيح الكذاب ، لو كان له وجود ، فان المسيح الكذاب يزعم انه الله • والنصارى فى الحقيقة أتباع

هذا المسيح ، كما أن اليهود انما ينتظرون خروجه ، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبى الذى بشروا به فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الايمان به انتظار المسيح الدجال • وهذه طريقة الشيطان لما أعرض عن السجود لآدم كبرا أن يخضع له تعوض من ذلك ذل القيادة لكل فاسق ومجرم من بنيه ، فلا بتلك النخوة ولا بهذه الحرفة ، والنصارى لما أنفوا أن يكون المسيح عبد الله تعوضوا من هذه الأنفة بأن رضوا بجعله مصفعة لليهود ، ومصلوبهم الذى يسخرون منه ويهزؤن به ثم عقدوا له تاجا من الشوك بدل تاج الملك ، وساقوه فى حبل الى خشـبة الصليب ، يصفقون حوله ويرقصون حتى صلبوه بين لصين ، وهو ينادى « الهى الهى لم تركتنى »؟ فمات وقبر ثم قام وصعد الى أبيه وجلس عن يمينه •

ثم انهم الآن للحمة آكلون ولدمه حقيقة شاربون ، فلا بتلك الأنفة له من عبودية الله ولا بهذه النسبة له الى أعظم الذل والضيم والقهر ، فكيف صيروه الها وعبدوه ؟ ثم انهم أكلوه وشربوه ، ثم من المخرجين أخرجوه • وكذلك أنفوا أن يكون للبترك والراهب زوجة او ولد ، وجعلوا لله رب العالمين الولد والزوجة وكذلك أنفوا أن يعبد الله وحده لا شريك له ويطيعوا عبده ورسوله ، ثم رضوا بعبادة الصليب والصورة المصنوعة بالأيدى فى الحيطان والسجود لها وطاعة كل من يحرم عليهم ما شـاء ويحلل لهم ما شاء وشرع لهم من الدين ما شاء من تلقاء نفسه • فليتأمل العاقل كيف لعب بهم الشيطان ، حتى اعتقدوا أشياء تأباها ذوو العقول ، وغدت ظاهرة البطلان مخالفة للمنقول والمعقول •

* * *

فصـــل

وقول المسيح « اذا انطلقت أرسلته اليكم » معناه أنى أرســله بدعائى ربى وطلبى منه ، أن يرسله كما يطلب الطالب من ولى الأمر أن يرسل أحدا أو يولى نائبا أو يعطى احدا فيقول انا ارسلت هذا ووليته واعطيته اى كنت سببا فى ذلك فان الله سبحانه اذا قضى أن يكون الشىء فانه يقدر له أسبابا يكون بها ومن تلك الأسباب دعاء بعض عباده بأن يفعل ذلك فيكون فى ذلك من النعمة اجابة دعائه مضافا الى نعمته بايجاد ما قضى كونه •

ونبينا محمد ﷺ قد دعا به الخليل أبوه فقال : « **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم** » مع أنه سبحانه قد قضى بارساله قبلذلك ولا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل أخاه محمد الى العالم ، ويكون ذلك من أسباب ارساله ، إضافة الى دعوة ابراهيم •

وتأمل قول المسيح : « انى لست أدعكم أيتاما لأنى سآتيكم عن قريب » كيف هو مطابق لقول أخيه عليه الصلاة والسلام « ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية » وأوصى أمته أن يقراه السلام منه من لقيه منهم وفى حديث اخر « كيف تهلك أمة أنا فى أولها ، وعيسى فى آخرها » صلى الله تعالى عليه وسلم •

وبقيت فى الآيات وجوه لا تخفى على المتأمل ، تدل على أن المراد بها البشارة بأكرم الرسل ﷺ تركناها خشية التطويل ، وللظن الغالب ، أنها لا تخفى على كل متيقظ نبيل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

وأما الشبهات التى ذكرها علماء بروتستنت من النصارى فخمس :

الأولى : ان فارقليط جاء فى هذه العبارات مفسرا بروح القـدس وروح الحق وهما عبارتان عن الأقنوم الثالث ، فكيف يصح أن يراد به محمد ﷺ •

وجوابها : ان النصرانى صاحب « ميزان الحق » يدعى فى تأليفاته ان ألفاظ روح الله وروح القدس وروح الحق وروح الصدق وروح فم الله بمعنى واحد •

قال فى الفصل الأول من الباب الثانى من مفتاح الأسرار من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٥٠ : « ان لفظ روح الله ولفظ روح القـدس فى التوراة والانجيـل بمعنى واحـد » انتهى فادعى أن هذين اللفظين يستعملان بمعنى واحد فى العهدين • وقال فى حل الاشـكال فى جواب كشف الأستار : « من له شعور ما على التوراة والانجيل ، فهو يعرف أن ألفاظ روح القدس وروح الحق وروح فم الله وغيرها بمعنى روح الله • فلذلك ما رأيت اثباته ضروريا » انتهى •

فاذا عرفت هذا القول فنحن نقطع النظر عن صحة ادعائه وعدم صحته ههنا ، ونسلم ترادف هـذه الألفاظ على زعمـه • لكنا ننكر أن استعمالها فى كل موضع من مواضع العهدين بمعنى الأقنوم الثالث • ونقول كما قال من له شعور ما على كتب العهدين يعرف أن هذه الألفاظ تستعمل فى غير الأقنوم الثالث كثيرا كما فى الاصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال قول الله تعالى فى خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال عليه السلام ما نصه : « فأعطى فيكم روحى » انتهى فروح الله هنا بمعنى النفس الناطقة الانسانية لا بمعنى الأقنوم الثالث الذى هو عين الله على زعمهم •

وفى الاصحاح الرابع من الرسـالة الأولى ليوحنـا ما نصـه : « لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح ، هل هى من الله ؟ لأن الانبياء الكذبة كثيرون قد خرجوا الى العالم • بهذا تعرفون روح الله • كل روح يعرف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله » الى أن يقول :

« نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا ، من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال » انتهى •

وقد ترجموا فى الهندية وغيرها الروح بالواعظ من جانب الله وروح الحق بالواعظ الصادق • فتبين من كتبهم وتراجمهم : أنه ليس المراد بروح الله وروح الحق الأقنوم الثالث الذى هو بزعمهم عين الله سبحانه وهو المسيح • وهذا ظاهر لا يخفى على كل ذى عينين ، فتفسير الفارقليط بروح القدس وروح الحق لا يضرنا شيئا فى ما نحن بصـدده ، لأنهما بمعنى الواعظ الحق كما أن لفظ روح الحق وروح الله بهـذا المعنى فى الرسالة الأولى ليوحنا فيصح اطلاقهما على سيدنا محمد ﷺ بلا شك ولا ريب •

الشبهة الثانية : ان المخاطبين بلفظ « كم » هم الحواريون • واذا كان كذلك فلابد أن يظهر فارقليط فى عهدهم ، مع أن محمد عليه الصلاة والسلام ما ظهر الا بعدهم •

وجوابها : ان هذه شبهة أوهى من بيت العنكبوت ، لأنه ليس المراد أن المخاطبين بأنفسهم يكونون موجودين بأنفسهم وقت التذكير ووقت ارساله ووقت تعليمه • ألا ترى قول عيسى عليه السلام فى الاصحاح السادس والعشرين من انجيل متى فى خطاب رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع ما نصه : « وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسـان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء » • وهؤلاء المخاطبون قد ماتوا ومضت على مدتهم مـدة هى أزيد من ألف وثمانمائة سـنة وما رأوا آتيا على سحاب السماء•فكما أن المراد بالمخاطبين ههنا الموجودون من قومهم وقت نزوله من السماء ، فكذلك فيما نحن فيه ، اذ المراد الذين يوجدون وقت ظهور فارقليط كما لا يخفى •

الشبهة الثالثة : انه قال فى حق فارقليط : « أن العالم لا يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه » وهذا لا يصدق على محمد ﷺ لأن الناس رأوه وعرفوه •

وجوابها : ان النصارى أحوج الناس بتأويلا لهذا القول لأن روح لقدس عين الله عندهم ، وأهل العالم يعرفون الله سبحانه أكثر من معرفتهم لمحمد ﷺ فلابد أن يقولوا ان المراد بالمعرفة المعرفة الحقيقية الكاملة ، فاذا أولوا هذا القول لبـاطل مرادهم ، فنحن أولى بتويله . لصحيح مرادنا ويكون المقصود لا يعرفه معرفة حقيقية كاملة ، وأنتم تعرفونه معرفة حقيقية كاملة . والمراد بالرؤية المعرفة . ولذا لم يعد عيسى عليه السلام لفظ الرؤية بعد لفظ « أنتم » بل قال : « وأنتم تعرفونه » ولو حملنا الرؤية على الرؤية البصرية يكون نفى الرؤية محمولا على ما هو المراد فى قول الانجيل الأول فى الاصحاح الثالث عشر من انجيله وننقل عبارته عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ ما نصه : « فلذلك اضرب لهم الأمثال لأنهم ينظرون ولا يبصرون ويسمعون ولا يستمعون ولا يفهمون . وقد كمل فيهم تنبأ أشعياء حيث قال انكم تسمعون سـمعا ولا تفهمون وتنظرون نظرا ولا تبصرون » انتهى .

فلا اشكال أيضا وأمثال هذين الأمرين — وان كانت معانى مجازية — لكنها بمنزلة الحقيقة العرفية . ووقعت فى كلام عيسى كثيرا كما فى الاصحاح الحادى عشر من انجيل متى ما نصه : « وليس أحد يعرف الابن الا الآب ، ولا أحـد يعرف الآب الا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له » . وفى الاصحاح السابع من انجيل يوحنا ما نصه : « الذى أرسلنى حق الذى أنتم لستم تعرفونه » . وفى الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا ما نصه . « لستم تعرفوننى أنا ولا أبى ، لو عرفتمونى لعرفتم أبى ايضا ولستم تعرفونه » اى الله الى آخره .

وفى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا ما نصه : « لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه . قال له فيلبس يا سيد أرنا الأب وكفانا . قال له يسوع . أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس ؟ الذى رآنى فقد رأى الآب . فكيف تقول أنت أرنا الآب » انتهى .

فالمراد فى هذه الأقوال بالمعرفة المعرفة الكاملة وبالرؤية المعرفة

والا لا تصح هذه الأقوال يقينا لأن العـوام من الناس كانوا يعرفون عيسى عليه السلام فضلا عن رؤساء اليهود والكهنة والمشايخ والحواريين ورؤية الله تعالى بالبصر فى هذا العالم ممتنعة عند أهل التثليث أيضا •

الشبهة الرابعة : انه وقع فى حق فارقليط انه مقيم عندكم وثابت فيكم ، ويظهر من هذا القول أن فارقليط كان فى وقت الخطاب مقيما عند الحواريين وثابتا فيهم • فكيف يصدق على محمد ﷺ •

وجوابها : ان هذا القول فى التراجم الأخر كالترجمة المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥ هكذا : « لأنه مستقر معكم وسيكون فيكم » والتراجم الفارسية والهندية كلها موافقة لهذا • وفى النسخة المطبـوعة سـنة ١٨٢٢ التى نقلنا عبارتها أولا هكذا : « لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » فظهر أن المراد بقوله ثابت الثبوت الاستقبالى يقينا فلا اعتراض به بوجه من الوجوه •

بقى قوله : « مقيم عندكم » وجوابه : انه لا يصح حمل هذا القول على معنى هو مقيم عندكم الآن ، لأنه ينافى قوله : « أنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر » • وقوله : « قد قلت لكم قبل أن يكون ، حتى اذا كان تؤمنون » • وقوله : « ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط » واذا أول نقول انه بمعنى الاستقبال • كما أن القـول الذى بعـده بمعنى الاستقبال ومعناه يكون مقيما عندكم فى الاستقبال ، فلا خدشة فى صدقه أيضا على سيدنا محمد ﷺ •

والتعبير عن الاستقبال بالحال بل بالماضى فى الأمور المتيقنة كثير فى العهدين • ألا ترى أن حزقيال عليه السلام أخبر أولا عن خروج يأجوج ومأجوج فى الزمان المستقبل واهلاكهم حين وصولهم الى جبال اسرائيل • ثم قال فى الآية الثامنة من الاصحاح التاسع والثلاثين من سفره هكذا : « ها هو جاء وصار يقول الرب الاله ، هذا هو اليوم الذى قلت عنه » فانظر الى قوله : « ها هو جاء وصار فعبر عن الحال المستقبل بالماضى لكونه يقينا لا شك فيه ، وقد مضت مدة زيد من ألفين وأربعمائة وستين

سنة ، ولم يظهر خروجهم • وفى الآية الخامسة والعشرين من الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا ما نصه : « الحق الحق أقول لكم : انه تأتى ساعة ، وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» فانظر قوله : « وهى الآن » وقد مضت مدة أزيد من ألف وثمان مائة سنة ، ولم تجىء هذه الساعة والى الآن أيضا مجهولة لا يعرف أحــد متى تجىء •

الشبهة الخامسة : قال فى الاصحاح الأول من سفر الأعمال هكذا : « وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى ، لأن يوحنا عمــد بالماء ، وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ، ليس بعد هذه الأيام بكثير » وهذا يدل على أن فارقليط هو الروح النازل يوم الدار ، لأن المراد بوعد الآب هو فارقليط •

وجوابها : ان قولهم المراد بوعد الآب هو فارقليط غلط وفاســد للوجوه المتقدمة التى عرفتها انفا • والحق الظاهر للعيان الذى لا يخفى على من له عينان أن الاخبار عن مجىء فارقليط شىء ، والوعد بانزال الروح عليهم مرة أخرى شىء آخر • وقد وفى الله تعالى بالوعدين • وقد عبر بالوعد الأول بمجىء فارقليط وههنا بموعد الآب • غاية الأمران يوحنا نقل بشارة فارقليط ولم ينقلها الانجيليون الباقون ، ولوقا نقــل موعد نزول الروح الذى نزل يوم الدار ولم ينقله يوحنا ولا بأس فيه ، فانهم قد يتفقون فى نقل الأقوال الخسيسة كركوب عيسى عليه الســلام على الحمار وقت الذهاب الى أورشليم ، فقد اتفق على نقلها الأربعة ، وقد يتخالفون فى نقل الأحوال العظيمة • ألا ترى أن لوقا انفرد بذكر احياء ابن الأرملة من الاموات فى نايين ، وذكر ارسال عيسى عليه الســلام سبعين تلميذا ، وذكر ابرائه عشرة برص ، ولم يذكر هذه الحالات أحد من الانجيليين ، مع أنها من الحالات العظيمة ، وأن يوحنا انفرد بذكر وليمة العرس فى قانا الجليل ، وظهر من يسوع فيه معجزة تحويل الماء خمرا ، وهذه المعجزة أول معجزاته ، وســبب ظهور مجــده ، وايمان

التلاميذ به ، ويذكر ابرائه السقيم فى بيت صيدا فى أورشليم • وهــذه أيضا معجزة عظيمة ، والمريض كان مريضا من ثمان وثلاثين سنة ، ويذكر قصة امرأة أخذت فى زناء ، ويذكر ابراء الأكمة • وهذا أيضا من اعظم معجزاته وهى فى الاصحاح التاســع ، ويذكر احيــاء العازار من بين الأموات ، ولم يذكرها أحد من الانجيليين ، مع أنها حالات عظيمــة ، وهكذا حال متى ومرقس فانهما انفردا بذكر بعض المعجزات والحالات ، التى لم يذكرها غيرهما •

اذا علمت جميع ما زبرناه وتأملت بالانصاف ما حررناه ، تبين لك أن الفارقليط المبشر به هو محمد ﷺ وأن أركون العالم هو الرســول المصطفى المكرم بلا شك ولا اشتباه ، وهو رئيسه الثابتة رياسته فى مبدأ الكتاب ومنتهاه ، وأن شبههم المتقدمة كسراب وتأويلهم لهذه البشارة على مقتضى أهوائهم تأويل باطل كذاب • والحمد لله الذى نور وجــوه الموحدين بلامع الصواب وصلاته على المبشر به فى الكتب الالهية والآل والأصحاب وسلم تسليما فى البدأ والمآب آمين •



البشارة السابعة :ما فى المزمور الخــامس والأربعين ، وفى بعض نسخهم الرابع والأربعون ما نصه : « فاض قلبى كلمة صالحة أنا أقول أعمالى للملك ، لسانى قلم كاتب سريع الكتابة بهى فى الحسن أفضل من بنى البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله الى الدهر ، تقلد سيفك على فخذك ، أيها القوى بحسنك وجمالك • انجح واملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك ، نبلك مسنونة أيها القوى فى قلب أعداء الملك الشعوب تحتك يسقطون كرسيك يا الله الى دهر الداهرين ، عصا الاستقامة عصــا ملكك • أحببت البر وأبغضت الاثم ، لذلك مسحك الله الهك بدهن الفرح أفضل من أصــحابك • المر والميعة والسليخة من ثيابك • من منازلك الشريفة العاج التى أبهجتك ، بنات الملوك فى كرامتك ، قامت الملكة من عن يمينك ، مشتملة بثوب مذهب موشى •

اسمعى يا بنت وانظرى وانصتى بأذنيك وانسى شعبك وبيت أبيك ، فيشتهى الملك حسنك لأنه هو الرب الهك وله تسجدين ، بنات صور ، يأتينك بالهدايا لوجهك يصلى كل أغنياء الشعب كل مجد ابنة الملك ، من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى ، يبلغن الى الملك عذارى فى اثرها قريباتها • اليك يقدمن يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن الى هيكل الملك ويكون بنوك عوضا من آبائك ، ويقيمهم رؤساء على سائر الأرض سأذكر اسمك فى كل جيل وجيل ، من أجل ذلك تعترف لك الشعوب الى الى الدهر والى دهر الداهرين » انتهى بحروفه •

وهذا الكلام بشارة بنبى يأتى بعد داود كما هو مسلم به عند أهل الاسلام وأهل الكتاب ، فيكون زمانه بعد زمان داود عليه السلام ولم يظهر الى هذا الوقت نبى موصوف بهذه الصفات عند اليهود • ولعلهم يحملوه على المنتظر كما سبق فى آية التوراة فى الذى تنتظره الأمم وعلماء البروتستانت من النصارى يحملوه على عيسى عليه السلام ، وأنت تعلم أن هذه الأوصاف لا تنطبق الا على سيدنا محمد ﷺ كما يقوله أهل الأسلام سلفا وخلفا انه هو المراد من ذلك • وهذا مما لا يشك فيه من عرف سير النبيين وأوصافهم وتجنب عن التعصب ونصح نفسه •

فقد ذكر فى هذا المزمور من صفات النبى المبشر به سبعة عشر صفة وهى كونه حسنا وكونه أفضل البشر وكون النعمة منسكبة على شفتيه وكونه مباركا الى الدهر وكونه متقلد بالسيف وكونه قويا وكونه ذا حق ودعة وصدق وكونه هداية يمينه بالعجب وكونه نبله مسنونة وسقوط الشعب تحته ومحبا للبر ومبغضا للاثم ، وخدمة بنات الملوك واتيان الهدايا اليه وانقياد كل أغنياء الشعب له وكون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم وكون اسمه مذكورا جيلا بعد جيل ومدح الشعوب له الى دهر الداهرين • وهذه الأوصاف لم تجتمع على أكمل وجه فى نبى غير محمد ﷺ كما لا يخفى على كل ذى عقل وانصاف •

أما الأول : فهو متواتر فى روايات عديدة صحيحة ، منها ما قاله أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : « ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه ، واذا ضحك يتلألأ فى الجدار » •

وعن أم معبد رضى الله تعالى عنها قالت فى بعض ما وصفته به هو أجمل الناس من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب •

وأما الثانى : فلأن الله تعالى قال فى كتابه العزيز **« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » وقال المفسرون أراد سبحانه بقوله : « ورفع بعضهم درجات »** محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أى رفعه على سائر الأنبياء من وجوه متعددة ، ليس هذا محل ذكرها ، لئلا يخرج بناء الكلام الى خلاف المرام • ولعلنا نذكرها فى محلها ان شاء الله تعالى • وقال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » أى لا أقول ذلك مفتخرا بل تحدثا بنعمة ربى •

وأما الثالث : فلا يحتاج الى بيان • فقد أقر بفصاحته كل انسان من أهل الأديان •

وأما الرابع : فلأن الله سبحانه قال : **« ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا »** الآية ، فلا زال فى كل آن وزمان تصلى عليه من المشرق الى المغرب ألوف ألوف لا يحصى عددهم الا الله تعالى فى صلواتهم الخمس وفى غيرها •

وأما الخامس : فهو صاحب السيف كما هو مسلم به عند أهل الكتاب• وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا رسول الله بالسيف » كما سنفصل هذا فى محله ان شاء الله تعالى •

وأما السادس : فقد كانت قوته الجسمانية على أكمل حال ، فقد ثبت أن ركانة رضى الله تعالى عنه كان من الأقوياء والمصارعين المشهورين ، خلا مع رسول الله ﷺ فى بعض شعاب مكة قبل أن يسلم. فقال : « يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه ؟ » فقال : لو أعلم

ما تقول حقا لاتبعتك • فقال : « أرأيت ان صرعتك أتعلم ان ما اقول حق ؟ » قال : نعم • فلما بطش به ﷺ أضجعه لا يملك من أمره شيئا • ثم قال يا محمد عد فصرعه أيضا • فقال يا محمد ان ذا العجب • فقال عليه الصلاة والسلام: «وأعجب من ذلك ان شئت أن أريكه • ان اتقيت الله تعالى وتبعت أمرى » قال : ما هو ؟ قال : « أدعو لك لهـذه الشجرة » فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يديه ﷺ فقال لها : « ارجعى مكانك » فرجعت ثم رجع ركانة الى قومه ، فقال يا بنى عبد مناف ما رأيت أسحر منه ، ثم أخبرهم بما رأى •

وأما شجاعته فقد قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما رأيت أشجع ولا انجد ولا أجود من رسول الله ﷺ وقال على كرم الله وجهه : وانا كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا الى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا •

وأما السابع : فلأن الأمانة والصدق من صفاته المشهورة الجليلة كما قال النضر بن الحارث لقريش : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا وأعظمكم امانة ، حتى اذا رايتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر ؟ لا والله ما هو بساحر •

وسئل هرقل فى حديثه الطويل أبا سفيان عن حاله عليه الصلاة والسلام قبل أن يسلم ، وكان اذ ذاك أشد الناس عداوة له عليه الصلاة والسلام فقال له : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال له : لا •

وأما الثامن : فلأنه رمى يوم بدر وكذا يوم حنين وجوه الكفار بقبضة تراب فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وتمكن المسلمون منهم قتلا واسرا فأمثال هذه من هداية يمينه •

وأما التاسع : فلأن كون أولاد اسماعيل أصحاب النبل فى سالف الزمان غير محتاج الى البيـان ، حتى ورد فى الأحاديث الصـحيحة ، العديدة عنه عليه الصلاة والسلام الأمر بتعلم ذلك • وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله تعالى ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو باسمه » وكان يقول : « ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا » ويقول عليه الصلاة والسـلام : « من تعلم الرمى وتركه فليس منا » •

وأما العاشر : فلأن الناس دخلوا فى دينه أفواجا أفواجا فى مدة حياته عليه الصلاة والسلام •

وأما الحادى عشر : وهو كونه محبا للبر ومبغضا للاثم فأشهر من أن يذكر ولا يختلف فيه أحد حتى أن اعداءه شهدت له بذلك • والفضل ما شهدت به الأعداء فقد نقل « سيل » النصرانى عن « اسيان هميس » المسيحى فى ترجمة القرآن فى الصـفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٠٨٥ ما نصه : « انه كان حسن الوجه وزكيا وكانت طريقته مرضية، وكان الاحسان الى المساكين شيمته ، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن ، وكان شجاعا على الأعداء ، وكان يعظم اسم الله تعظيما عظيما ، وكان يشدد على المفترين والذين يرمون البرءاء والقاتلين ، وأهل الفضـول والطامعين ، وشهود الزور تشددا بليغا • وكانت كثرة وعظه فى الصبر والجود والرحم والبر والاحسـان وتعظيم الأبوين والكبار وتوقيرهم وتكريمهم وكان عابدا مرتاضا فى الغاية » انتهى كلامه •

وأما الثانى عشر : فقـد صارت بنـات الملوك والأمراء خادمات للمسلمين فى الطبقة الأولى ومنهن « شهربانو » بنت يزدجرد كسرى فارس ، كانت تحت الامام الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما •

وأما الثالث عشر والرابع عشر : فالنجاشى ملك الحبشة ، ومنذر ابن ساوى ملك البحرين وملك عمان انقادوا وأسلموا ، وهرقل قيصر الروم أرسل اليه بهدية ، والمقوقس ملك القبط أرسل اليه ثلاث جوارى وغلاما أسود وبغلة شهباء وحمارا أشهب وفرسا وثيابا وغير ذلك •

وأما الخامس عشر : فقد نال الخلافة والامارة والرئاسة من ذريته وشرفاء عترته رؤساء متعددون وأئمة من أهل بيته هادون مهديون فمنهم على كرم الله تعالى وجهه والحسن السبط رضى الله تعالى عنه وذريتـــه لازالت تتولاها فى كثير من الأقاليم كالحجـــاز واليمن ومصر والمغرب والشام وفارس والهند وغيرها ، ونال كثيرون من الفاطميين الســـلطنة والامارة فى مشارق الأرض ومغاربها ، حتى أن امارة الحجاز الى الآن فى نسله عليه الصلاة والسلام ، وكذا فى بعض بلاد اليمن والهنـــد لم تخرج الامارة والرياسة منهم ولا تخرج بالكلية منهم الى ظهور القائم المهدى(١) فيهم ، وهو من ذريته عليه الصلاة والسلام فيكون حينئذ خليفة الله تعالى فى الأرض ويحكم فيها بالطول والعرض ، حتى تقوم الساعة ويقرب الحساب والعرض .

وأما السادس عشر والســـابع عشر : فمن المعلوم أنه فى كل يوم ينادى على الأماكن العالية والمنابر ألوف ألوف جيلا بعد جيل فى مشارق المعمورة ومغاربها فى أوقات الصلوات الخمس : أشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله . ويصلى عليـــه فى الأوقات المذكورة بل وساعات النهار والليل من المصلين من لا يحصى عددهم الا الله سبحانه . ومع هذا فالقراء يحفظون منشوره . والمفسرون يفسرون فرقانه ومأثوره . والوعاظ يبلغون وعظه . والعلماء يبينون سننه وفرضه . والســـلاطين يقصدون مسجده . ويتشرفون بخدمة روضـــته وينالون أعظم الفخر بزيارته ، والكل يرجون عظيم شفاعته ، ويكتحلون بتراب عتبته .

وهذا كله لا يصدق على المسيح عليه الســـلام كما يدعيه علمـــاء البرتستانت أنها بشارة فى المسيح عليه السلام لأن فيها قوله « مسحك الله الهك بدهن الابتهاج » أو بدهن الفرح . والمسيح عندهم اله فكيف يمسحه الهه ؟ ولأن المسيح ليس له زوجة ولا ولد ، فكيف يصدق عليه أن يكون أبناءه رؤساء ولا دخول بنات الملوك فى بيته وليس له ســـيف

---

(١) كل مسلم يكون رئيسا على جماعة ، هو كالمسلم المنتسب الى أهل البيت لأن المسلمين كلهم أبوهم واحد .

ولا نبلة مسنونة ولا انقاد اليه الأغنياء ولا أرسلت له الهدايا ، بل هم على زعم النصارى أهانوه وقتلوه ، وكيف تصدق عليه هذه الأوصاف والنصارى يدعون أن الاصحاح الثالث والخمسين من سفر اشعياء مخبر ببشارة فيه ونصه : « ليس له منظر وجمال ، ورأيناه ولم يكن له منظر ، واشتهيناه مهانا • وآخر الرجال رجل الأوجاع مختبر بالأمراض وكان مكتوما وجهه ومرذولا ولم نحسبه ، ونحن حسبناه كأبرص ومضروبا من الله ومذلولا ومخضوعا • والرب شاء أن يسحقه » انتهى •

فهذه الأوصاف ضد الأوصاف التى فى الزبور المتقدمة آنفا كما لا يخفى على ذوى العقول الطالبين للحق المقبول •

البشارة الثامنة : ما فى الأصحاح الخامس والستين من سفر أشعياء ما نصه : « طلبنى الذين لم يسئلونى قبل ، ووجدنى الذين لم يطلبونى ، قلت ها أنا ذا الى الأمة الذين لم يدعوا باسمى ، بسطت يدى طول النهار الى شعب غير مؤمن ، الذى يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم ، الشعب الذى يغضبنى أمام وجهى دائما الذين يذبحون فى البساتين ويذبحون على الآجر واللبن ، الذين يسكنون فى القبور وفى مساجد الأوثان يرقدون ، الذين يأكلون لحم الخنزير والمرق المنجس فى آنيتهم ، الذين يقولون : أبعد عنى لا تقرب منى ، لأنك نجس • هؤلاء يكونون دخانا فى رجزى نارا متقدة طول النهار ، ها مكتوب قدامى لا أسكت بل أرد وأكافىء جزاء فى حضنهم » انتهى بحروفه •

ولا يخفى على كل فطن منصف أن المراد بقوله : الذين لم يسألونى والذين لم يطلبونى العرب ، لأنهم كانوا غير عارفين بذات الله سبحانه وصفاته وشرائعه ، فما كانوا سائلين عن الله تعالى ولا طالبين منه بالوجه اللائق به عز وجل ، كما قال تعالى فى سورة آل عمران : « **لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم**

ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » • وأنت تعلم أنه لا يمكن أن يراد بهذه الأمة اليونانيين كما تقدم فى البشارة الخامسة ، فتذكر فما فى العهد من تقدم • ثم ان الآية الثانية والثالثة تصدقان على كل من اليهود والنصارى ، والأوصاف المذكورة فى الآية الرابعة ألصق بحال النصارى كما أن الوصف المذكور فى الخامسة ألصق بحال اليهود ، فردهم البارى سبحانه واختار الأمة المحمدية المتصفة بضد هذه الأوصاف الردية ، والمتحلين بكل صفة حسنة مرضية •

البشارة التاسعة : ما فى الاصحاح العشرين من انجيل متى ونصه : « فان ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم ، وأرسلهم الى كرمه ، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما فى السوق بطالين • فقال لهم اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم ، فمضوا وخرج أيضا نحو الساعة السادسة والتاسعة ، وفعل كذلك • ثم الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين • فقال لهم : لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ؟ قالوا له : لأنا لم يستأجرنا أحد • قال لهم : اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم ، فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله : ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين الى الأولين ، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة ، وأخذوا دينارا دينارا ، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا ، وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة ، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ، فأجاب وقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتك • أما اتفقت معى على دينار ، فخذ الذى لك واذهب ، فانى أريد أن أعطى الأخير مثلك • أو ما يحل لى أن أفعل ما أريد بمالى ، ام عينك شريرة لأنى أنا صالح ؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين ، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » انتهى بحروفه •

ولا يخفى على كل منصف أن المراد بذلك انه محمــد ﷺ لأنهم الآخرون فهم يقدمون فى الأجر وهم الآخرون الأولون كما قال عليــه الصلاة والسلام : « نحن الآخرون السابقون » . وقال عليه الصــلاة والسلام : « ان الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى » . وقال سبحانه وتعالى : « **كنتم خــير أمة أخرجت للناس** » .

ويؤيد هذه البشارة .

البشارة العاشرة : قول المسيح أيضــا فى الاصــحاح الحــادى والعشرين من انجيل متى ما نصه : « اسمعوا مثلا آخر كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه الى كرامين وسافر ، ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضــا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ، ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل اليهم ابنه قائلا : يهابون ابنى . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه،فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين ، يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضــه البناءون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ؟ لذلك أقول لكم : أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل على أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه . ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم » انتهى بحروفه .

فرب البيت كما لا يخفى كناية عن الله تعــالى ، والكرم كناية عن الشريعة ، واحاطته بســياج وحفر المعصرة وبنــاء البرج كنايات عن

المحرمات والمباحات والأوامر والنواهى وأن الكرامين الطاغين كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون ، أنه تكلم عليهم ، والعبيد المرسلين كناية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والابن كناية عن عيسى عليه السلام ، وقد مر عليك مرارا أنه لا بأس باطلاق هذا اللفظ عليه ، لأنه مصطلح عليه فى زمانه ، حتى فى غيره عليه السلام • وقد قتله اليهود فى زعمهم أو لما طلبوا قتله وشبه لهم فكأنهم قتلوه • والحجر الذى رفضه البناءون كناية عن نبينا محمد ﷺ والأمة التى تعمل أثماره كناية عن أمته ﷺ • وهذا هو الحجر الذى كل من سقط عليه ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه •

وادعاء علماء النصارى أن هذا الحجر كناية عن المسيح ، فباطل من وجوه عديدة لا تخفى على متأمل •

منهـا : أن داود عليه السلام قال فى المزمور الثامن عشر بعد المائة ما نصه : « الحجر الذى رذله البناءون هو صار رأسا للزاوية ، من قبل الرب كانت هذه ، وهى عجيبة فى أعيننا » فلو كان هذا الحجر عبارة عن المسيح عليه السلام لم يتعجب منه ، لأنه من اليهود ، اذ هو من آل يهوذا من آل داود عليه السلام ، فلا يتعجب اليهود ولا داود من ذلك ، لأن المسيحيين يزعمون أن داود يعظم عيسى فى مزاميره غاية التعظيم ، بل ويعتقد ألوهيته ، فكيف يجعله حجرا يرذله البناءون ؟ وهذا بخلاف آل اسماعيل فان اليهود يحتقرونهم لأنهم أولاد هاجر ولم يتنبأ منهم أحد بعده ، فاذا صار واحد منهم رأسا للزاوية ، فذاك العجب عندهم •

ومنها : أنه وصف الحجر بأن من يسقط عليه يترضض ، وكل من يسقط هو عليه يسحقه ، وهذا لا يصدق على عيسى عليه السلام لأنه كما فى الاصحاح الثانى عشر من انجيل يوحنا قال : « ومن يسمع كلامى ولا يحفظه فأنا لا أدينه لانى ما أتيت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم • من أهاننى ولم يقبل كلامى ، فان له من يدينه ، الكلمة التى نطقت بها هى

تدينه فى اليوم الآخر ، لأنى أنا لم أتكلم من ذات نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى الوصية بما أقول » انتهى .

فصدقه على سيدنا محمد ﷺ غير محتاج الى برهان لأنه كان مأمورا بمقاتلة الفجار وزجر الأشرار والشدة على الفساق وعدم الرأفة بذوى الشقاق . فان سقطوا عليه ترضضوا ، وان سقط هو عليهم سحقوا .

ومنها : أن المتبادر الظاهر من كلام المسيح أن هذا الحجر غير الابن . ثم اعلم أن النبى ﷺ قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل قصر أحسن بنيانه ، ترك منه موضع لبنة ، فطاف به النظار ، يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة ، فختم بى البنيان وختم بى الرسل » فهو طبق ما قاله أخوه عيسى عليه السلام .

البشارة الحادية عشرة : فى الاصحاح الثانى من المشاهدات ما نصه: « ومن يغلب ويحفظ أعمالى الى النهاية ، فسأعطيه سلطانا على الأمم ، فيرعاها بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف ، كما أخذت أيضا من عند أبى ، وأعطيه كوكب الصبح . من له أذن فليسمع ما يقوله الروح بالكنائس » انتهى بحروفه .

ولا يخفى أن هذا الغالب الذى أعطى سلطانا على الأمم ويرعاهم بقضيب من حديد هو محمد ﷺ ويدل على هذا أيضا فى الاصحاح التاسع عشر من جملة رؤيا يوحنا الرسول ونصها : « ثم رأيت السماء مفتوحة واذا بفرس أبيض ، والراكب عليه يسمى الأمين الصديق ، وبالعدل يقضى ويجلب وكانت عيناه تشبه وقيد النار ، وأكاليل كثيرة على رأسه ، وله اسم مكتوب ليس يعرفه الا هو وحده ، وعليه ثوب مرشوش بدم ، ويدعى اسمه كلمة الله ، والأجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه بخيل شهب ، وعليهم ثياب من بز أبيض نقى ، ومن فمه يخرج سيف ذو حدين ، ليضرب الأمم به ، وهو يرعاهم بقضيب من حديد ، وهو يدرس

معصرة خمر برجز غضب الله ضابط الكل ومكتوب على ثوبه وفخذه ملك الملوك ورب الأرباب » انتهى بحروفه .

وفي بعض نسخهم : « خيل بيض ومن فمه يخرج سيف ماض وهو سيرعاهم بعصا من حديد » فليت شعرى كيف يسوغ للنصارى أن يصرفوا هاتين البشارتين عن نبينا ﷺ ؟ فهل غيره من عيسى الى زمنه عليه الصلاة والسلام رعى الناس بعصا من حديد ؟ وهل كان غيره يدعى أمينا ؟ وهل غيره أعطى سلطانا على الأمم كافة ؟ وهل غيره حارب ؟ وهل نزلت الملائكة على خيل شهب مع غيره ؟ وهل درس وأزال معصرة الخمر غيره ، وهل استولى على الملوك بأقصر زمن غيره وغير خلفائه ؟ فانكار هذا مكابرة وغش من المنكر لنفسه .

ومن الأخبار المشهورة : أن سطيح الكاهن سماه صاحب الهرواة أى العصا قبل بعثته عليه الصلاة والسلام فقد روى الثقات أن ليلة ولادته انشق ايوان كسرى أنو شيروان ، وسقط من ذلك أربع عشرة شرافة ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة بحيث يبست ورأى الموبذان فى نومه أن ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فخاف كسرى من حدوث هذه الأمور ، وأرسل عبد المسيح الى سطيح الكاهن وكان فى الشام ، ولما وصل عبد المسيح اليه وجده فى سكرات الموت فذكر له هذه الأمور ، فأجاب سطيح بقوله : اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات ، وكل آت هو آت ثم مات سطيح بعد زمن قليل ورجع عبد المسيح فأخبر كسرى أنو شيروان بما قال سطيح .

فقال كسرى : الى أن يملك أربعة عشر ملكا تكون أمور وأمور ، فملك منهم عشرة فى أربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه ، فملك آخرهم يزدجرد فى خلافته ، وكان عمر رضى الله تعالى

عنه قد استولى على بابل والعراق وغيره • والهراوة بكسر الهاء وهى العصا الغليظة وكوكب الصبح هــو القرآن العظيم كما قال تعـــالى : « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » وتشبيهه بكوكب الصبح لأنه لا ينزل بعده شيء ، ولا يبعث بعد النبى عليه الصـــلاة والسلام أحـــد ، لأنه نبى الســـاعة •

ونقل الفاضل عباس على الجاجموى الهندى فى كتابه صولة الضيغم على أعداء ابن مريم هذه البشارة ، ثم قال : قلت للقسيسين « وبت » و « وليم » عند مناظرتى لهما : ان صاحب القضيب هو محمـــد ﷺ فاضطربا لسماع ذلك • وقالا : ان عيسى حكم بهـــذه الكنيسة ثياتيرا ، فلابد أن يكون ظهور مثل هذا الشخص هناك ، ومحمـــد ما راح الى هناك • قلت : هذه الكنيسة فى أى ناحية كانت ؟ فراجعا كتب اللغة وقالا : كانت فى أرض الروم قريبة من « اسلامبول » قلت : قد ذهب أصحاب محمد ﷺ فى خلافة عمر الفاروق الأعظم رضى الله تعالى عنه الى تلك البلاد وفتحوها ، وبعد الصحابة كان المسلمون متسلطين عليها فى أكثر الأوقات • ثم تسلط سلاطين آل عثمان أدام الله تعالى سلطنتهم من مدة مديدة • وهم الى هذا الآن متسلطون عليها • فهذا الخبر اذن صريح فى حق محمد ﷺ انتهى •

قلت : ولا سيما وقد حفته القرائن القوية المتعددة ، فلا مجـــال للخصم الى انكارها الا العناد والمكابرة أو الجهـــل أو التجـــاهل والله سبحانه الموفق للرشاد •

البشارة الثانية عشرة : فى الأصحاح الثانى من سفر دانيال فى حال الرؤيا التى رآها بخت نصر ملك بابل ونسى ، ثم بين له دانيـــال عليه الســـلام تلك الرؤيا التى نسيها بطريق الوحى وفسرها له ما نصـــه : « فكنت أنت الملك ترى واذ تمثال واحد جسيم ، وكان التمثال عظيما ورفيع القامة واقفا قبالك ومنظره مخوفا • رأس هذا التمثال هـــو من ذهب ابريز ، والصدر والذراعان من فضـــة ، والبطن والفخـــذان من

نحاس ، والساقان من حديد ، وقسم منها من خزف • فكنت ترى هكذا حتى انقطع حجر من جبل لا بيدين وضرب التمثال فى قدميه من حديد ومن خزف فسحقهما ، فانسحق حينئذ معا الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب ، وصارت كغبار البيدر فى الصيف • فذرتها الريح ولم يوجد لها مكان • والحجر الذى قد ضرب التمثال صار جبلا عظيما وملأ الأرض بأسرها •

فهذا هو الحلم ، وتنبىء أيضا قدامك يا أيها الملك بتفسيره : أنت هو ملك الملوك واله السماء أعطاك الملك والقوة والسلطان والمجد وجميع ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل وأعطى بيدك طير السماء أيضا • وجعل جميع الأشياء تحت سلطانك • فأنت هـو الرأس من الذهب • وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك من فضة ، ومملكة ثالثـة أخرى من نحاس ، ومتسلط على جميع الأرض • والمملكة الرابعة تكون مثـل الحديد • كما أن الحديد يسحق ويغلب الجميع ، هكذا هى تسحق وتكسر جميع هذه • أما فيما رأيت قسم القدمين وأصابعهما من الخزف الفاخورى وقسما من حديد تكون المملكة مفتقرة وان كان يخرج من نصبة الحديد جسما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين ، وأصابع القدمين قسم من حديد وقسم من خزف ، فتكون المملكة بقسم صلبة وبقسم مسحوقة ، فبما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين ، أنهم يختلطون بزرع بشرى، بل لا يتلاصقون ، مثل ما ليس بممكن أن يمتزج الحديد بالخزف •

فأما فى أيام تلك الممالك يبعث اله السماء مملكة ، وهى لن تنقضى قط ، ملكها لا يعطى لشعب آخر ، وهى تسحق وتفنى جميع هذا الممالك أجمعين • وهى تثبت الى الأبد • وكما رأيت أن من جبل انقطـع حجر لابيدين وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب ، فالاله العظيم أظهر للملك ما سيأتى من بعد • والحلم هو حقيقى وتفسـيره صحيح يتبين » انتهى بحروفه •

فالمراد بالملكة الأولى سلطنة بخت نصر • وبالملكة الثانية سلطنة الماديين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصح بن بخت نصر كما هو مصرح به فى الاصحاح الخامس من السفر المذكور ، وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة الى سلطنة الكلدانيين • والمراد بالملكة الثالثة سلطنة الكلدانيين لأن قورش ملك ايران الذى هو بزعم القسيسين كيخسرو ، وتسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض • والمراد بالملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلوقش الرومى ، الذى تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلثمائة وثلاثين سنة ، فهذا السلطان كان فى القوة بمنزلة الحديد ، ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك ، فبقيت هذه السلطنة ضعيفة الى ظهور الساسانيين ، ثم صارت قوته بعد ظهورهم فكانت ضعيفة تارة وقوية تارة • وتلد فى عهد نو شيرو ان سدينا ونبينا محمد ﷺ وأعطاه الله تعالى السلطنة الظاهرية والباطنية ، وقد تسلط متبعوه فى مدة قليلة شرقا وغربا على جميع ديار فارس ، التى كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقين بها •

فهذه هى السلطنة الأبدية التى لا تنقضى ، وملكها لا يعطى لشعب آخر ، وسيظهر كمالها ودوامها فى زمن الامام المهدى رضى الله تعالى عنه الذى بشرنا به جده النبى المصطفى ﷺ ، لكن الوهن يقع قبل ظهوره بمدة قليلة كما تخبر بذلك الأحاديث النبوية الجليلة ، ثم فى أيامه يكون الدين كله لله وينزل موافقا له المسيح كلمة الله •

فهذا الحجر الذى انقطع لا بيدين من جبل وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب وصار جبلا عظيما ، وملأ الأرض بأسرها هو محمد المصطفى ، وحبيب الله المرتضى ﷺ •

وهذا يفهمه كل ذى لب وانصاف ويعلمه من كلام دانيال من له بالحق اعتراف وتوجيه ، يشهد لصحته شاهد الوقوع ويؤيده المنقول والمسموع •

هذا وقد بقيت بشائر كثيرة فى كتب العهدين ، تركنا ذكرها خشية التطويل والملل ، من أرادها فعليه باظهار الحق والأجوبة الفاخرة وهداية الحيارى ، ففيها ما يقر العينين ويفحم أرباب الجدل ، والله سبحانه المسئول أن يهدى للاسلام من أحبه من المال آمين • غير انى أذكر لك بشارتين لا توجدان الآن فى كتب النصارى المشهورة :

البشارة الأولى : نقلها القسيس « سيل » فى مقدمة ترجمته للقرآن العظيم من انجيل برنابا وطبعت سنة ١٨٥٤ وانتشرت ، ثم طبعوا الكتاب مرة ثانية فأخرجوها وحذفوها ، وهى ما نصها : « اعلم يا برنابا أن الذنب وان كان صغيرا يجزى الله عليه لأن الله غير راض عن الذنب ، ولما أحبتنى أمتى وتلاميذى لأجل الدنيا ، سخط الله لأجل هذا الامر ، وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم فى هذا العالم على هذه العقيدة الغير لائقة ، ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ، ولا يكون لهم أذية هناك • وانى وان كنت بريئا ، لكن بعض الناس لما قالوا فى حقى انه الله وابن الله كره الله هذا القول ، واقتضت مشيئته بأن لا تضحك الشياطين يوم القيامة على ، ولا يستهزءون بى ، فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته أن يكون الضحك والاستهزاء فى الدنيا بسبب موت يهوذا • ويظن كل شخص أنى صلبت • لكن هذه الاهانة والاستهزاء يبقيان الى أن يجىء محمد رسول الله • فاذا جاء فى الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط ، وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس » انتهت ترجمته بحروفها •

قال فى اظهار الحق : فان اعترضوا أن هذا الانجيل رده مجالس علمائهم • فنقول لا اعتبار لردهم • وهذا من الأناجيل القديمة ويوجد ذكره فى كتب القرن الثانى والثالث • فعلى هذا كتب قبل ظهور نبينا ﷺ بمائتى سنة ، ولا يقدر أحد أن يخبر بمثل هذا الأمر من غير الهام ، كما لا يخفى على ذوى الأفهام •

قال : والبشارة الثانية : قال الفاضل حيدر على القرشى فى كتابه المسمى خلاصة سيف المسلمين الذى هو فى لسان الأردواى الهندى فى

الصحيفة الثالثة والستين : « ان القسيس أوسكان الأرمنى ترجم سفر أشعياء باللسان الارمنى فى سنة ألف وستمائة وست وستين ، وطبعت سنة ١٧٣٣ وفيه فى الباب الثانى والأربعين هذه الفقرة ونصها : « سبحوا الله تسبيحا جديدا وآثر سلطنة على ظهره ، واسمه أحمد » انتهت .

وهذه الترجمة موجودة عند الأرامن فانظروا فيها . انتهى كلامه .

وقال العلامة ابن القيم فى هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى بعد أن كتب بشارات عديدة من التوراة والنبوات وغيرها مما هو موجود الآن فيها ومما هو محرف ومبدل أو محذوف منها ما لفظه : « والأخبار والبشارات بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام فى الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق :

أحدها : ما ذكرناه وهو قليل من كثير وغيض من فيض .

الثانى : اخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم وأنهم وعدوا به ، وأن الأنبياء عليهم السلام بشرت به ، واحتجاجه عليهم ذلك . ولو كان هذا لا وجود له البتة ، لكان مغريا لهم بتكذيبه منفرا لاتباعه محتجا على دعواه بما يشهد ببطلانها .

الثالث : ان هذه الأمتين معترفتان بأن الكتب القديمة بشرت بنبى عظيم الشأن يخرج فى آخر الزمان ، نعته كيت وكيت . وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى .

فأما المسلمون فلما جاءهم عليه الصلاة والسلام آمنوا به وصدقوه وعرفوا أنه الحق من ربهم . وأما اليهود فعلماؤهم عرفوه وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته ، وقال للأتباع : انه لم يخرج بعد . وأما النصارى فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التى بعدها على المسيح عليه السلام ولا ريب أن بعضها صريح فيه ، وبعضها ممتنع حمله ، وبعضها محتمل . وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين . واذا جاءهم

ما يستحيل انطباقه عليهم حرفوه أو سكتوا عنه ، وقالوا لا ندرى من المراد به » •

الرابع : اعتراف من أسلم منهم بذلك ، وأنه صريح فى كتبهم عن المسلمين الصادقين • ومنهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها ، مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها • وهذا يفيد القطع بصحتها ، ولو لم يقر بها أهل الكتاب ، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وانما يغالطون فى تأويلها ؟ وكل واحد من هذه الطرق الأربعة كاف فى العلم بصحة هذه البشارات • وقد قدمنا أن اقدامه ﷺ على اخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور فى كتبهم بنعته وصفته وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكرار ذلك عليهم مرة بعد مرة فى كل مجمع ، وتعريفهم بذلك وتوبيخهم والنداء عليهم به ، من أقوى الأدلة القطعية على وجوده من وجهين :

أحدهما : قيام الدليل القطعى على صدقه •

الثانى : دعوته لهم بذلك الى تصديقه • ولو لم يكن له وجود ، لكان ذلك من أعظم دواعى تكذيبه والتنفير عنه •

قال : وهذه الطريقة يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والانجيل ، ولم يبدلوا شيئا منها ، فيسلكها بعض نظار المسلمين معهم من غير تعرض الى التبديل والتحريف • وطائفة أخرى تزعم أنهم بدلوا وحرفوا كثيرا من ألفاظ الكتابين ، مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله ﷺ بكثير ، وأن البشارات لكثرتها لم يمكنهم اخفاؤها كلها وتبديلها • ففضحهم ما عجزوا عن كتمانه أو تبديله وكيف ينكر من الأمة الغضبية قتلة الأنبياء الذين رموهم بالعظائم أن يكتموا بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام وصفته • وقد جحدوا نبوة المسيح عليه السلام ورموه وأمه بالعظائم ونعته ، والبشارة به موجودة فى كتبهم ؟ ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته ، وانكار بشارة الأنبياء به ، ولم يفعل بهم ما فعله نبينا محمد

رسول الله ﷺ من القتل والسبى وغنيمة الأموال وتخريب الديار واجلائهم منها . فكيف تتواصى هذه الأمة بكتمان نعته وصفته وتبديله من كتبها ؟ .

وقد عاب الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك فى غير موضع من كتابه ولعنهم عليه .

ومن العجب أنهم والنصارى يقرون أن التوراة كانت طول مملكة بنى اسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده ، واليهود تقر أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة . وذلك بعد المسيح فى عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ، ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم . ومنهم من يقول على زمن بخت نصر حيث ألزمهم بكتابة التوراة لطائفة من جماعته حين أسكنهم بيت المقدس .

وعلى تقدير الروايتين فمن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله تعالى فلا يؤمن منه تحريف غيره . واليهود تقرأ أيضا أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا وزادوا ونقصوا ، والسامرة تدعى ذلك عليهم » انتهى .

وقد بسطنا وأثبتنا ذلك فى كتابنا هذا فراجعه ، فان فيه كفاية لكل منصف .

وأما الانجيل فقد ذكرنا لك أيضا : أن الذى بأيدى النصارى الآن منه أربعة كتب مختلفة من تأليف اربعة رجال بعد المسيح عليه السلام وهم يوحنا ومتى ومرقس ولوقا . فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف اليها ؟ كيف لا ونسخهم الموجودة المطبوعة فيها من مخالفة بعضها لبعض مالا يحصى ؟ كما مر عليك غير مرة . وعلى ما فيها من ذلك . فقد صرفهم الله تعالى عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بنبينا محمد ﷺ وازالته ، وان قدروا على كتمانه عن أتباعهم وجهالهم .

ثم انه نقل فى كتابه : عن الحـــاكم والبيهقى وغيرهما من حديث عبد الله بن ادريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبى أمامة عن هشام بن العاص قال : ذهبت أنا ورجل آخر من قريش الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فخرجنا حتى قدمنا الغوطة غوطة دمشق ، فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغسانى فدخلنا عليه ، فاذا هو على سرير له فأرسل الينا برسول نكلمه ، فقلنا : لا والله لا نكلم رسولا . انما بعثنا الى الملك ، فان أذن لنا كلمناه ، والا لم نكلم الرسول فرجع اليه الرسول فأخبره بذلك . قال : فأذن لنا . فقال : تكلموا . فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام واذا عليه ثياب سواد . فقال له هشام : ما هـــذه التى عليك ؟ فقال : لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام . قلنا : ومجلسك هذا فوالله لنأخذنه منك ولنأخذ ملك الملك الأعظم ، أخبرنا بذلك نبينا . فقال : لستم بهم ، بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأخبرناه . فملىء وجهه سوادا . فقال : قوموا وبعث معنا رسولا الى الملك ، فخرجنا حتى اذا كنا قريبا من المدينـــة ، قال لنا الذى معنا : ان دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك . فان شــئتم حملناكم على براذين وبغال . قلنا : والله لا ندخل الا عليها . فأرسلوا الى الملك أنهم يأبون ، فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا ، حتى انتهينا الى غرفة له ، فأنخنا فى أصلها ، وهو ينظر الينا . فقلنا : لا اله الا الله والله أكبر . والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق نصفقه الرياح ، فأرسل الينا ليس لكم أن تجهروا علنا بدينكم ، وأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا عليه ، وهو على فراش له وعنده بطارقته من الروم ، وكل شىء فى مجالسه أحمر ، وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة . فدنونا منه ، فضحك وقال : ما كان عليكم لو حييتمونى بتحيتكم فيمـــا بينكم ، واذا رجل فصيح بالعربية كثير الكلام . فقلنا ان تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التى تحيا بها لا يحل لنا أن نحييك بها . قال : كيف تحيتكم فيما بينكم ؟ فقلنا : السلام عليكم . قال : كيف تحيون ملككم ؟ قلنا : بها . قال : فكيف يرد عليكم ؟ قلنا : بها . قال : فما أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا اله الا الله والله أكبر . فلما تكلمنا بها والله يعلم

لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه اليها • قال : هـذه الكلمة التى قلتموها حيث انتفضت الغرفة كلما قلتموها فى بيوتكم تنتفض بيوتكم عليكم • قلنا لا ما رأيناها فعلت هذا قط الا عندك • قال : وددت أنكم كلما قلتموها ينتقض كل شىء عليكم ، فانى خرجت من نصف ملكى • قلنا : لم ؟ قال : لأنه يكون أيسر لشأنها وأجـدر أن لا تكون من أمر النبوة ، وأن تكون من حيل الناس • ثم سألنا عما أراد ، فأخبرناه •

ثم قال كيف صلواتكم وصومكم ؟ فأخبرناه • فقال : قوموا فقمنا ، فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثيرة ، فأقمنا ثلاثا فأرسل الينا ليلا فدخلنا عليه ، فاستعاد قولنا فأعدناه • ثم دعا بشىء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ، ففتح بيتا وقفلا واستخرج حريرة سوداء فنشرها • فاذا فيها صورة حمراء ، واذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول عنقه ، واذا ليست له لحية ، واذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله • قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا آدم عليه السلام واذا هو أكثر الناس شعرا ثم فتح بابا آخر واستخرج منه حريرة سوداء ، واذا فيها صورة بيضاء ، واذا له شعر قطط أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : نوح عليه السلام • ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، واذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد ، أبيض اللحية كأنه يبتسم ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا ابراهيم عليه السلام • ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة فاذا فيها صورة • واذا والله رسول الله ﷺ قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : نعم محمد رسول الله • قال : وبكينا قال : والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس ، وقال : والله انه لهو ؟ قلنا : نعم انه لهو كانما ننظر اليه ، فأمسك ساعة ينظر اليها ، ثم قال : أما انه كان آخر البيوت ولكنى عجلته لكم لأنظر ما عندكم •

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، فاذا فيها صورة أدماء سحماء واذا رجل جعـد قطط غائر العينين حديد النظـر عابس

متراكب الأسنان مفلس الشفة كأنه غضبان قال : هل تعرفون من هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا موسى بن عمران ، والى جنبه صورة تشبهه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا هارون . ثم فتح بابا آخر فاذا فيها صورة رجل أدم سبط ربعة كأنه غضبان . فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا لوط عليه السلام .

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أقنى الأنف حسن القامة يعلو وجهه نور ، يعرف فى وجهه الخشوع يضرب الى الحمرة فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا اسماعيل عليه السلام جد نبيكم . ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم كأن وجهه الشمس فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا يوسف . ثم فتح بابا آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل أحمر أحمش الساقين أخفش العينين ضخم البطن ، ربعة متقلد سيفا ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا داود . ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الاليتين طويل الرجلين راكب فرسا . فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا سليمان بن داود .

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ، واذا رجل شاب شديد سواد اللحية لين كثير الشعر حسن الوجه حسن العينين . فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا عيسى . قلنا : من أين لك هذه الصور . لأنها تعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء ، لأنا رأينا صورة نبينا مثله ؟ قال : ان آدم سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صورهم وكانوا فى خزانة آدم عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين ، فصارت الى دانيال ، ثم قال : أما والله ان نفسى طابت بالخروج من ملكى ، وأنى كنت عبدا كأسرائكم ملكه ، حتى أموت . ثم أجازنا وأحسن جائزتنا ، وسرحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق فأخبرناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا . فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : لو أراد الله تعالى به خيرا لفعل .

وأنت تعلم أن البشارات المحمدية التى بينها عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وبنيامين ومخيريق وبحيرا ونسطور الحبشى والأسقف الرومى الذى أسلم على يد دحية الكلبى أيام الرسالة وقتلوه ، والجارود والنجاشى والقسوس والرهبان الذين جاءوا مع جعفر بن أبى طالب وغيرهم من علماء النصارى ، واليهود الذين أسلموا طوعا سلفا وخلفا كثيرة جدا . وكل ذكر محرر فى كتب المسلمين وفى تأليفات المهتدين . وذلك عنك غير بعيد ، ويكفى من القلادة ما أحاط بالجيد . والله حسيب كل كفار عنيد .

قال النصرانى : « فعندما أيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وأنه رسول مبعوث من رب العالمين ، فدخل عليهم من باب لطيف لا يعرفون عاقبته ما هى ، ولا يفهمون كيف امتحان مثله ؟ ولا يعود عليهم من ضرر منه ، وانما هم قدم عرب أصحاب بيد ، ولم يفهموا شروط الرسالة ، ولم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبى قط ، وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له ، الذى سنذكر اسمه وقصته فى غير هذا الموضع من كتابنا . وكيف كان سببه » انتهى .

فأقول : ومنه سبحانه التوفيق والهداية الى أقوم طريق انى قد نقلت لك مقالته هذه آنفا وحررت مطلب تتعلق بردها ، غير أنى أعدتها بحروفها هنا لأزيدك أبحاثا نفيسة تتعلق أيضا بما نحن بصدده ، وليكون هذا فى نفسك أوقع ، ولحجاجه أدفع ، فاعلم أن هذا الكلام الذى أراد به عبد المسيح ابطال نبوة سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام مع كونه كذب ظاهر وبهتان صريح وكلام مزيف وكوثن مزخرف . ولا يخفى زوره وباطله على كل منصف عارف بسيرة النبى الأمين وأحوال الجاهلية فى زمنه من البدو والقاطنين ، وعالم بما قدمناه من البشارات السماوية برسالته وذكر صفاته بكتب العهدين ومدح أمته ، نذكر فى رده جملة فصول مطابقة للمنقول والمعقول :

★ ★ ★

فصل : فى قوله : « فعند ما أيس » الى آخره •

اعلم أولا : أن من أعظم دلائه النبوات المعجزات • وهى الخارقة للعادة ، اذا ظهرت ممن يدعى النبوة وكانت طبق ما يريد أو ما يراد منه ، كما وقع لابراهيم ولموسى وعيسى وغيرهم ، فما ثبتت به نبوة اخوانه المرسلين ثبتت بمثله أيضا نبوة النبى الصادق الأمين محمد بن عبد الله عليه أفضل صلاة المطين وأزكى سلام المسلمين • ولنذكر لك أولا ما يتعلق بأمر النبوات على العموم ، وبيان خلاف الفرق الضالة فيها ، والبراهين المثبتة لها ، لتزداد معرفة فيما نحن بصدده ، ثم نردف الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى باثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام أيضا التى هى الغرض الأصلى فى هذا الكتاب •

قال الامام أبو الحسن على الماوردى فى دلائله : « والأنبياء هم رسل الله تعالى الى عباده بأوامره ونواهيه ، زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها ، والزاما لما جوزته من مباحاتها ، لما أراده الله تعالى من كرامة العاقل ، وتشريف أفعاله ، واستقامة أحواله ، وانتظام مصالحه ، حين هيأه للحكمة ، وطبعه على المعرفة ، ليجعله حكيما وبالعواقب عليما ، لأن الناس بنظرهم لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ، ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم ، ولا ينزجرون مع اختلاف همومهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وأخبار القرون الماضين ، فتكون آداب الله تعالى فيهم مستعملة وحدوده فيهم متبعة وأوامره فيهم ممتثلة ، ووعده ووعيده فيهم زاجرا وقصص من غير من الأمم واعظا • فان الأخبار العجيبة اذا طرقت الأسماع والمعانى الغريبة اذا أيقظت الأذهان استمدتها العقول فزاد علمها وصح فهمها • وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما ، وأكثرهم علما أكثرهم عملا ، فلم يوجد عن بعثة الرسل معول ولا منهم فى انتظام الحق بدل •

وأنكر فريق من الأمم نبوات الرسل وهم فيها ثلاثة أصناف :

أحدها : ملحدة دهرية يقولون بقدم العالم وتدبير الطبائع ، فهم بانكار المرسل أجدر أن يقولوا بانكار الرسل •

والصنف الثانى : براهمة موحدة يقولون بحدوث العالم ويجحدون بعثة الرسل ، ويبطلون النبـوات • وهم المنسـوبون الى « بهرمن » صاحب مقالتهم • وشذ فريق منهم فادعى أنه آدم أبو البشر ومنهم من قال هو ابراهيم •

ومن قال من هذه الفرقة الشاذة منهم : انه أحد هذين ، أقر بنبوتهما وأنكر نبوة من سواهما • وجمهورهم على خلاف هذه المقالة فى اعتزائهم لصاحب مقالتهم ، وانكار جميع النبوات عموما •

والصنف الثالث : فلاسفة لا يتظاهرو بابطال النبوات فى الظاهر • وهم مبطلون فى تحقيق قولهم لأنهم يقولون : ان العلوم الربانية بعـد كمال العلوم الرياضية من الفلسفة والهندسة يضعها من كملت رياضته اذا كان عليها مطبوعا •

واختلف من أبطل النبوات فى علة ابطالها فذهب بعضهم الى أن العلة فى ابطالها : أن الله تعالى قد أغنى عنها بما دلت عليه العقول من لوازم ما يأتى به الرسل • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : انه لا يمنع ما دلت عليه العقول جواز ، أن يأتى به الرسل وجوبا • ولو كان العقل موجبا لما امتنع أن تأتى به الرسل ، تأكيدا كما تترادف دلائل العقول على التوحيد ، ولا يمنع وجود بعضها من وجود غيرها •

والثانى : انه لا تستغنى قضيا العقول عن بعثة الرسل من وجهين :
أحدهما : أن قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيـه أدلتها فانحسم ببعثة الرسل اختلافها •

والثانى : انه لا مدخل للعقول فيما تأتى به الرسل من الوعـد

والوعيد والجنة والنار ، وما يشرعونه من أوصاف التعبد الباعث على التأله ، فلم يغن عن بعثة الرسل .

وذهب آخرون منهم الى أن العلة فى ابطال النبوات : أن بعثة الرسل الى من يعلم من حالهم أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه اليهم عبث ، تمنع منه حكمة الله تعالى . وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أنه ليس بعبث أن يكون فيهم من لا يقبله ، كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل المعقول على توحيده عبثا ، وان كان فيهم من لا يستدل على توحيده ، كذلك بعثة الرسل .

والثانى : أن وجود من يقبله فيهم على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل . وهم يمنعون من ارسالهم الى من يقبل ولا يقبل فبطل به هذا التعليل .

وقال آخرون منهم : بل العلة فيه ما جاء به الرسل مختلف ينقض بعضه بعضا وينسخ المتأخر ما شرعه المتقدم ، وقضايا العقول لا تتناقض ، فلم ترتفع بما يختلف ويتناقض . وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن ما جاء به الرسل ضربان :

أحدهما : ما لا يجوز الا أن يكون على وجه واحد هو التوحيد وصفات الرب والمربوب ، فلم يختلفوا فيه وأقوالهم متناصرة عليه .

والضرب الثانى : مالا يجوز أن يكون من العبادات على وجه ، ويجوز أن يكون على خلافه ، ويجوز أن يكون فى وقت ، ولا يجوز أن يكون فى غيره . وهذا النوع هو الذى اختلف فيه الرسل لاختلاف أوقاتهم ، اما بحسب الأصلح ، واما بحسب الارادة . وهذا فى قضايا العقول جائز .

والوجه الثانى : ان قضايا العقول قد يختلف فيها العقلاء . ولا

يمنع ذلك أن تكون العقول دليلا • كذلك ما اختلف فيه الرسل لا يمنع أن يكون حجة •

وقال آخرون منهم : بل العلة فى ابطال النبوات أنه لا سبيل الى العلم بصحتها لعينها ، وأن ظهور ما ليس فى الطباع من معجزاتهم ممتنع بالطباع الدافعة لها • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن المعجزات من فعل الله تعالى فيهم ، فخرجت عن حكم طباعهم •

والثانى : انهم لما تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة ، تميزوا بما يخرج عن عرف الطباع من الاعجاز •

وقال آخرون منهم : بل العلة فى ابطال النبوات : ان ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة ، قد يوجد مثله فى أهل الشعبذة والمخرقة وأهل النارنجيات ، ليس ذلك من دلائل صدقهم ، فكذلك أحكام المعجزات • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن الشعبذة تظهر لذوى العقول وتدلس على الغر الجهول ، فخالفت المعجزة التى تذهل لها العقول •

والثانى : أن الشعبذة تستفاد بالتعليم ، فيتعلمها من لم يحسنها فيصير مكافئا لمن يحسنها ويعارضه بمثلها • والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ، ولا يعارضه أحد بمثلها • كما انقلبت عصا موسى حية تلقف ما أفكه السحرة فخروا له سجدا • ولئن كان فى ابطال هذه الشبهة دليل على اثباتها فيستدل على اثبات النبوات من خمسة أوجه ، وان اشتملت تلك الأجوبة على بعضها •

أحدها : أن الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم اليه من المصالح• ولما كان فى بعثة الرسل مالا تدركه العقول ، كان ارسالهم من عموم المصالح التى يكفل بها •

والثانى : أن فيما يأتى به الرسل من الجزاء ، بالجنة ثوابا ، يبعث على الرغبة فى فعل الخير ، وبالنار عقابا ، يبعث على الرهبة فى الكف عن الشر ، صار سببا لائتلاف الخلق وتعاطى الحق .

والثالث : ان فى غيوب المصالح مالا يعلم الا من جهـة الرسـل فاستفيد بهم مالا يستفيده بالعقل .

والرابع : ان التأله لا يخلص بالتدين والدين لا يصلح الا بالرسل المبلغين عن الله تعالى ما كلف .

والخامس : ان العقول بما استنكرت من موافقة الأفكار ، ومتابعة النظر ، فلم يجمعهم عليه الا طاعة المعبود ، فما أداه رسالة فصـارت المصالح بهم أعم والاتفاق بهم أتم ، والشمل بهم أجمع ، والتنازع بهم أمنع ، فيجوز اثبات التوحيد والنبوات بدقيق الاستدلال كما يجـوز بجليه ، فان ما دق فى العقول هو أبلغ فى الحكمة .

وقد تلوح لابن الرومى هذا المعنى فنظمه فى شعره فقال :

غموض الحـق حين يذب عنـه
تعـلل ناصر الخصـم المحـق
يجـل عن الدقيق عقـول قوم
فيقضى للمجـل على المـدى

★ ★ ★

فصــــل

فاذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات • فهم رسل الله تعالى الى خلقه بخطاب مسموع أو سفارة ملك منزل ؟ ومنع قوم من مثبتى النبوات أن تكون نبوتهم عن خطاب أو نزول ملك لانتفاء المخاطبة الجسمانية عنه ، لأنه ليس بجسم ، فالملائكة من العالم العلوى وهـو بسيط لا يهبط • كما أن العالم السفلى كثيف لا يعلو • واختلف من قال بهذا فيما جعلهم به أنبياء • فقال بعضهم : صـــاروا أنبيـــاء بالالهام لا بالوحى • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن ما بطل به الهام المعارف فى التوحيد ، كان ابطـــال المعارف به فى النبوة أحق •

والثانى : ان الالهام خفى غامض يدعيه المحق والمبطل ، فان ميزوا بينهما بطلب أمارة ، عدلوا عن الالهام الى دليل يبطل الالهام •

وقال آخرون منهم : انما صاروا أنبياء لأن لله تعالى فى العـــالم خواصا وأسرارا تخالف مجرى الطبائع • فمن أظفره الله تعالى بهما من خلقه ، استحق بهما النبوة •

وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : خفاها فيه عن غير دليل على صدقه •

والثانى : أن يكون نبيا عن نفسه لا عن ربه ، فصار كغيره •

وقال آخرون : بل صاروا أنبياء لأن الله تعالى خصهم من كمـــال العقول بما يتوصلون به الى حقائق الأمور ، فلا يشتبه عليهم منها ما يشتبه على غيرهم ، فصاروا أنبياء عن عقولهم لا عن ربهم • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن هذا يقتضى فضل العلم فى حقه ولا يقتضيه فى حق غيره •

والثانى : أنه ان أخبر عن نفسه لم يكن رسولا ، وان أخبر عن ربه كان كاذبا •

وقال آخرون : انما صاروا أنبياء لأن النور فيهم صفا ونما بالنور الأعظم الالهى الذى تخلص به الأفهام وتصح به الاوهام ، حتى ينتقلوا الى الطباع الروحانية فيزول عنهم كثير من الطباع البشرية ، فيخرجوا عن سنخ الكائنات بصفاء نورهم وخلاصهم • وهذا قول الثنوية • وهو فاسد من وجهين :

أحدهما : أنهم دفعوا أسهل الأمرين من بعثة الرسل الى أغلظهما من اعطاء نوره ، فأولى أن يدفعوا عن الأغلظ بما دفعوا عن الأسهل •

والثانى : انهم أثبتوا ممازجة البارى سبحانه فيما اختص بذاته ومخالفة الذات تمنع من ممازجته •

والجواب عما قالوه من امتناع المخاطبة الجسمانية عمن ليس بجسم من وجهين :

أحدهما : أنه لا يمتنع أن يظهر منه كخطاب الاجسام ، وان لم يكن جسما • كما يظهر منه كأفعال الأجسام ، وان لم يكن جسما •

والثانى : أن الله تعالى يجوز أن يودع خطابه فى الأسماع حتى تعيه الآذان وتفهمه القلوب بقدرته التى أخفاها عن خلقه •

والجواب عما ذكروه من أن جرم الملائكة علوى لا ينهبط من وجهين :

أحدهما : أنه ليس بممتنع أن ينتقل جرم سماوى لطيف الى جرم أرضى كثيف • اما بزيادة أو انقلاب كما يقولون فى العقل والنفس أنهما جرمان علويان هبطا الى الجسم ، فحلا فيه •

والثانى : أنهم يقولون بانقلاب الأجرام الطبيعيات ، يقولون ان الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت حرارته ببرودة صار ماء باردا وأن المـاء المركب من برودة ورطوبة اذا ارتفعت برودته بحرارة صار هواء ، وأن الهواء المركب من حرارة ورطوبة ، اذا ارتفعت رطوبته بيبوسة صار نارا فاذا جاز ذلك عندهم فى انقلاب الطبائع ، كان فى فعل الله تعالى أجوز وهو عليها أقدر •

ولا يمكن أن تدفع أقاويلهم الخارجة عن قوانين الشرع الا بمثلها ، وان خرج عن حجاج أمثالنا ، لتقض قولهم بقولهم ، لا يتدلس به باطل ولا يضل به جهول • فما يضل عن الدين الا قادح فى أصوله ومزر على أهله •



فصـــل

فاذا ثبت أن النبوة لا تصح الا ممن أرسله الله تعالى بوحيه اليه ، فصحتها فيه معتبرة بثلاثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته •

أحدها : أن يكون مدعى النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلا لها لصدق لهجته وظهور فضله وكمال حاله • وان اعتوره نقص أو ظهر منه كذب ، لم يجز أن يؤهل للنبوة من عدم آلتها وفقد أمانتها •

فقد بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بعض أحياء العرب يدعوهم الى الاسلام فقالوا : يا خالد صف لنا محمدا • قال بايجاز وباطناب ؟ قالوا : بايجاز • قال : هو رسول الله ، والرسول على قد المرسل •

والشرط الثانى : اظهار المعجز يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله ، لتكون مضاهية للأفعال الالهية وليعلم أنها منه فتصح دعوى رسالته لأنه لا يظهرها من كاذب عليه ، ويكون المعجز دليلا على صدقه ، وصدقه دليلا على صحة نبوته •

والشرط الثالث : أن يقترن بالمعجز دعوى النبوة • فان لم يقترن بالمعجز دعوى ، لم يصر بظهور المعجز نبيا ، لأن المعجز يدل على صدق الدعوى ، وكان صفة لها فلم يجزأن تثبت الصفة قبل وجود الموصف ، فان تقدم ظهور العجز على دعوى النبوة كان تأسيسا للنبوة ككلام عيسى عليه السلام فى المهد هو تأسيس للنبوة • واحتاج مع دعوى النبوة الى احداث معجز ، يقترن بها ليدل على صدقه فيها • وان تقدمت دعــوى النبوة على المعجز انتفى بحدوث المعجز بعدها عن اقترانه بهــا ، لأن استصحابه للدعوى مقترن بالمعجز ، فان ظهر المعجز المقترن بالدعوى لبعض النــاس دون جميعهم، نظر • فان كان عددا يتواتر بهم الخبر ويستفيض بهم الأثر كان الغائب عنهم محجوبا بالمشــاهدة له فى لزوم الاجابة والانقياد للطاعة ، كما يكون العصر الثــانى محجوبا بالعصر الأول ، وان كان المشاهد المعجز عددا لا يستفيض بهم الخبر ولا يتواتر بهم الأثر لامكان تواطئهم على الكذب أو يتوجه الى مثلهم الخطــأ أو الزلل ، كان المعجز حجة عليهم ، ولم يكن حجة على غيرهم ، حتى يشاهدوا من المعجزة ما يكونوا محجوجين به ، وسواء كان من جنس الأول أو من غير جنسه ، فان قصر من شاهد الأول عن عدد التواتر ، وقصر من شاهد الثانى عن عدد التواتر ، لم يكن فيهما حكم التواتر ، ولا فى واحد منهما ، لجواز الكذب على كل واحد من العددين •

☆ ☆ ☆

فصـــل

واذا كانت حجج الأنبياء على أممهم هى المعجز الدال على صدقهم فالمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا يستطاع الا بقدرة الهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقا على اختصاصه برسالته ، فيصير دليلا على صدقه فى ادعاء نبوته ، اذا وجد ذلك منه فى زمان التكليف . فاما عند قيام الساعة اذا سقطت فيه أحوال التكليف ، فقــد يظهر فيه من أشراطها ما يخرق العادة ، فلا يكون معجزا مدعى نبوة .

وانما اعتبر فى المعجز خرق العادة لأن المعتاد يشــمل الصـــادق والكاذب ، فاختص غير المعتاد بالصادق دون الكــاذب ، فاذا تقرر أن المعجز محدود بما ذكرناه من خرق العادة ، فقد ينقســم ما عرج عن العادة على عشرة أقسام :

أحدها : ما يخرج جنسه عن قدرة البشر كاختراع الأجسام وقلب الأعيان واحياء الموتى . فقليل هذا وكثيره معجز بخروج قليله عن القدرة كخروج كثيره به .

والقسم الثانى : ما يدخل جنسه فى قدرة البشر ، لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطى الأرض البعيدة فى المــدة القريبة ، فيكون معجزا لخرق العادة . واختلف المتكلمون فى المعجز منه . فعنــد بعضهم أن ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز خاصة لاختصاصه بالمعجز . وعند آخرين منهم : أن جميعه يكون معجزا لاتصاله بما لا يتميز منه .

والقسم الثالث : ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر كالاخبــار بحوادث الغيوب فيكون معجزا بشرطين :

أحدهما : أن يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق .

الثانى : أن يتجرد عن سبب يستدل به عليه .

والقسم الرابع : ما خرج نوعه ، عن مقدور البشر وان دخل جنسه فى مقدور البشر ، كالقرآن فى خروج أسلوبه عن أقسام الكلام ، فيكون معجزا لخروج نوعه عن القدرة فصار جنسا خارجا عن القدرة ، ويكون المعجز مع القدرة على آلته من الكلام أبلغ فى المعجز •

والقسم الخامس : ما يدخل فى أفعال البشر ويفضى الى خروجه عن مقدور البشر كالبرء الحادث عن المرض والزرع عن البذر ، فان برء المرض المزمن لوقته واستحصاد الزرع المتباقل قبل أوانه ، كان بخرق العادة معجزا لخروجه عن القدرة •

والقسم السادس : عدم القدرة عما كان داخلا فى القدرة ، كانذار الناطق بعجزه عن الكلام ، واخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة ، فيكون ذلك معجزا يخص العادة جزء ولا يتعداه ، لأنه على يقين من عجز نفسه وليس غيره على يقين من عجزه •

والقسم السابع : انطاق حيوان أو حركة جماد ، فان كان باستدعائه أو عن اشارته كان معجزا له ، وان ظهر بغير استدعاء ولا اشارة لم يكن معجزا يخص العادة جزء لا يتعداه ، لأنه على يقين من عجز نفسه وليس اختصاصه بغيره ، وكان من نذر الوقت وحوادثه •

والقسم الثامن : اظهار الشىء فى غير زمانه كاظهار فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف ، فان كان استبقاؤهما فى غير زمانهما ممكنا لم يكن معجزا وان لم يكن استبقاؤهما ممكنا كان معجزا سواء بدأ باظهاره أو طولب به •

القسم التاسع : انفجار الماء المنقطع أو قطع الماء المتفجر ، اذا لم يظهر بحدوثه من غيره فهو من معجزاته لخرق العادة •

والقسم العاشر : اشباع العدد الكثير من الطعام اليسير واروائهم من الماء القليل يكون معجزا فى حقهم وغير معجز فى حق غيرهم لما قدمناه

من التعليل ٠ فهذه الأقسام ونظائرها الداخلة فى حدود الاعجاز متساوية الأحكام فى ثبوت الاعجاز وتصديق مظهرها على ما ادعاه من النبوة ، وان تفاوت الاعجاز فيها وتباين ، كما أن التوحيد قد يختلف فى الخفاء والظهور وان كان فى كل منها دليل ٠ واما فعل ما يقدر البشر على تقاربه وان عجزوا عن مثله فليس بمعجز ، لأن الجنس مقدور عليه ، وانما الزيادة فضل حذق به كالصنائع التى يختلف أهلها فيها فلا يكون حذقهم بها معجزا ، يجوز أن يدعى بها النبوة ٠

فان قيل : فقد جاء زرادشت وبولس بآيات مبهرة ، ولم تدل على صدقهما فى دعوى النبوة ٠

قيل : لأنهما قد كذبا أنفسهما بما ادعياه فى الله تعالى مما يدل على جهلهما به ، لأن «بولس» يقول : ان عيسى عليه السلام ابن الله وهو الله وزعم زرادشت : أن الله تعالى كان وحده ولا شىء معه فحين طالت وحدته، فكر فتولد من فكره « أهرمن » وهو « ابليس » فلما مثل بين عينيه ، أراد قتله ، فامتنع منه فلما رأى امتنـــاعه وادعه الى مدته وسالمه الى غايته ٠ ومن قال بهذا فى الله تعالى ٠ ولم يعرفه لم يجز أن يكون رسولا ، ثم داعيا الى القبائح والأخلاق السيئة ، كما شرع زرادشت الوضـــوء بالبول وغشيان الأمهات وعبادة النيران ٠ وكذلك «بولس» و «مانى» فخذلهم الله تعالى ٠ ولو دعوا الى محاسن الأخلاق ، لكان الوثوق بهم أكثر ٠ ولكن الله تعالى عصم بالعقول من استرشدها ، وقاد الى الحق من يقظ بها ٠

☆ ☆ ☆

فصـــل

ولا يجوز أن يظهر الله تعالى المعجز ممن يجعله دليلا على صـــدقه فى غير النبوة ، وإن كان فيها مطبقا • لأن النبوة لا يوصل الى صدقه فيها الا بالمعجز ، لأنه مغيب لا يعلم الا منه ، فاضطر الى الاعجاز فى صدقه• وغير النبوة من أقواله وأفعاله قد يعلم صدقه فيها بالعيان والمشاهدة ، وتخرج عن صورة الاعجاز وان نفذت المشاهدة • ولئلا تشتبه معجزات الأنبياء بغيرها • فأما مدعى الربوبية اذا أظهر آيات باهرة ، فقد ذهب قوم الى أنها تكون معجزة وقد بطلت بكذبه ، فلم يمتنع لظهور بطلانها • أن تجد منه ، اذا كان كاذبا فى ادعاء النبوة ، لأنه لم يقترن بدعواه ما يبطلها كمدعى الربوبية • والذى عليه قول الجمهور : أنه لا يجوز أن يظهر المعجز عن مدعى الربوبية ، كما يجوز أن يظهر على مدعى النبوة لأن معصيته فى ادعاء الربوبية أغلظ وافكه فيها أعظم • وكان ذلك المعجز بأن لا يظهر عليه أجدر ، واذا استوضح ما أظهره مدعى الربوبية من الآيات ظهر فساده وبان اختلافها ، فخرجت عن الاعجاز الى سحر أو شعبذة •

★ ★ ★

فصــــل

ولما علم الله تعالى أن أكثر عباده لا يشهدون حجج رسله ولا يحضرون آيات أنبيائه ، اما لبعد الدار أو لتعاقب الأعصار ، وطبع كل فريق على الاخبار بما عاين ، فيعلمه الغائب من الحاضر ويعرفه المتأخر من المعاصر، وقد علم مع اختلاف الهمم أن خبر التواتر اذا انتفت عنه الريب حق لا يعترضه شك ، وصدق لا يشتبه بافك ، فصار وروده كالعيان فى وقوع العلم به اضطرارا ، فثبت به الحجة ، ولزم به العمل • وقد قال الطفيل الغنوى مع أعرابيته فى وقوع العلم باستفاضة الخبر ، ما دلته عليه الفطرة وقاده اليه الطبع :

تأوبنى هم من الليــل منصــب

وجاء من الاخبــار مالا يكــذب

تظاهرت حتى لم يكن لى ريبة

ولم يك عمــا أخبــروا متعتب

★ ★ ★

فصـــل

فاما ما يجوز لمدعى النبوة أن يدعى به النبوة فانه يقسـم ثلاثة أقســام :

أحدها : أن يكلمه الله تعالى بغير واسطة .

والثانى : أن يخاطبه بواسطة ملك .

والثالث : أن يكون عن رؤيا فى المنام .

فالقسم الأول : مثلا كلامه لموسى حين نودى من الشـجرة فيعلم اضطرارا ، أنه من الله تعالى . وفيما يقع به علم الاضطرار فى كلامه ، لأهل العلم فيه قولان :

أحدهما : انه يضطره الى العلم به .

والثانى : أنه يقترن بكلامه من الآيات ما تدل على أنه منه .

وأما القسم الثانى : فعلى الأنبياء معرفة الله تعالى قبل ملائكته فى رسالته . وطريق علمهم به الاستدلال ، ثم يصير بعـد نزول الملائكـة بمعجزاتهم القاهرة على اضطرار ، وعلى الملائكة اذا نزلوا بالوحى على الرسول اظهار معجزتهم له ، كما يلزم الرسول اظهار معجزته لأمته .

روى : أن جبريل **عليه السلام** لما تصدى لرسول الله ﷺ بمكة فى الوادى . قال له : قل يا محمد للشجرة أقبلى . فقال : لها ذلك فأقبلت . وقال له : قل لها أدبرى . فقال لها ذلك فأدبرت . فقال له رسول الله ﷺ : « حسبى » يعنى فى العلم بصدقك فيما آتيتنى به عن ربى . فتسـتدل الرسل بالمعجزات على تصديق الملائكة بالوحى ، وتستدل الأمم بمعجزات الأنبياء على تصديقهم بالرسالة .

واما القسم الثالث : أن يكون عن رؤيـــا منام ، فان لم يكن ممن تصدق رؤياه بكثرة أحلامه ، لم يجز أن يدعى به النبوة • وان كان ممن تصدق رؤياه فقد روى عن النبى ﷺ انه قال : « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا » لم يجز أن يدعى النبوة بأول رؤيا لجواز أن تكون من حديث النفس ، وأن الرؤيا قد تصح تارة وتبطل أخرى • وان تكررت رؤياه مرارا حتى قطع بصحتها ، ولم يخالجه شك فيها ، جاز أن يدعى النبوة بها فيما كان حفظا لما تقدمها من شرع وبعثا على العمل بها من بعد ، ولم يجز أن تتعبد بها فى نسخ شرع واستئناف تعبد • ويجوز أن يعمل على رؤيا نفسه فيما يلزمه من استئناف • ولا يجوز أن يعمل عليها فى نسخ ما لزمه من شرع ، ليكون بها ملزتما ولا يكون بها مسقطا • وهذا الذى ذكرناه لا يكون جائزا بعد نبينا ﷺ لأنه خاتم الأنبياء • فلا تغفل •



فصـــل

قال الماوردى : وأما نبوة نبينا محمد ﷺ فقد اختلف فيه مخالفوه من مثبتى النبوات على أقوال شتى ، فمنعت اليهود من نبوته لامتناعهم من نسخ الشرع • واختلفوا فى المانع من نســخه ، فمنع منه بعضهم بالعقل ، لأن نهى الله تعالى عما أمر به وأمره بما نهى عنه انما يكون لخفاء المصلحة عليه فى الابتداء وظهور حاله فى الانتهاء • والله تعالى عالم بها فى الحالين ، لتباين الضدين • ومنع بعضهم منه بالشرع ، وان جوزوه فى العقل بما نقلوه عن موسى عليه السلام وذكروه فى التوراة أنه قال : « تمسكوا بالسبت أبدا ، سنة الدهر » وكلا الوجهين فاسد من وجهين :

أحدهما : أن العقل لا يمنع من الأمر بالشىء فى زمان ، والنهى عنه فى غيره ، بحسب المصلحة فى قول من اعتبرها • ولا يكون مستقبحا من فعل حكيم كما يغنى من أفقر ، ويفقر من أغنى اما المصلحة أو بالارادة • ولا يكون ذلك لاستبهام المصلحة واشكال الارادة •

والثانى : ان موسى عليه السلام نسخ شرع من تقدمه ، لأن آدم زوج بنيه ببناته ، وجوز يعقوب الجمع بين الأختين ، ونكح ابراهيم بنت أخيه . وكل هذا عند موسى منسوخ بشرعه ، فجاز ان ينسخ شرعه بشرع غيره .

أقول : ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى لاستيفاء الكلام على هذه المسـألة .

وقال آخرون : محمد ﷺ نبى مبعوث الى قومه من العرب ، وليس نبى لغيرهم . وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أنه تخصيص بغير دليل .

والثانى : ان ثبوت نبوته عليه الصلاة والسـلام فى قومه موجب لصدقه . وقد قال : انه بعث الى كافة الخلق ، وأنه خاتم الأنبياء ، فلم يجز رد قوله مع ثبوت صدقه .

وقال آخرون : هو نبى مبعوث الى من لم يتمسك بشرع من عبدة الأوثان ، وليس بمبعوث الى من تمسك بشرع من اليهود والنصارى . وهذا فاسد من وجهين مع الوجهين المتقدمين :

أحدهما : أنه يدفع به عن نسخ الشرع . وقد دللنا على جوازه .

والثانى : أن من اعترف بالنبوات كانت ألزم له ممن جحدها .

وقال آخرون : ليس بنبى لأنه لم يأت بمعجزة قاهرة تضطر الى صدقه ، كمعجزة موسى وعيسى عليهما السلام وان جاز نسخ الشرائع بمثلها من الشرائع . وفى هذا يتعين اقامة الدليل على اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام . وهو معتبر بثلاثة شروط :

أحدهما : وصف المستدل .

والثانى : حكم المدلول عليه .

والثالث : صـفة الدليـل .

فأما الشرط الأول فى صفة المستدل : فقد اختلف فيه فذكر الجاحظ

أنه العقل لأنه المميز للحق • وقال الأكثرون : المستدل هو العاقل والعقل آلة استدلاله ليتوصل به الى صحة مدلوله •

وأما الشرط الثانى ففى حكم المدلول عليه • فعند فريق أنه اثبات نبوته ليعلم بها صدق قوله • وعند الأكثرين أنه اثبات صدقه ليعلم بقوله صحة نبوته •

وأما الشرط الثالث وهو الدليل ، فحجاج يتنوع أنواعا • لأن المستدل واحد ، والمدلول عليه واحد • والدليل يشتمل على أعداد متنوعة وشواهد مختلفة فرق الله تعالى بينهما لتكون الحجج متغايرة والبراهين متناصرة ، بحسب ما عليه علمه من المصلحة ورآه من أسباب الاجابة • كما قال تعالى : « وكذلك نصرف الآيات » أى نخالف بينها فى المعجزات ، فكان بعضها حجة قاطعة وبعضها أمارة لائحة ، تجرى عليها أحكام ما قاربها فيقوى بعد الضعف وتحج بعد الكشف • وان لم يكن الانذار بانفرادها من قواطع الحجج المغنية عن دليل يحج ، وهكذا القول فى نبوة غيره ، فلا يلزم تطابق حججهم كما لم يلزم اتفاق شرائعهم •

وقد قدمنا أقسام المعجزات ، فاذا ظهرت احداهن حجت ودلت على صحة النبوة • وقد ظهر فى نبوة نبينا محمد المصطفى ﷺ أكثرها مع ما تقدمها من انذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من أخبار ، فصارت أعم النبوات اعجازا ، وأوضحها طريقا وامتيازا ، وأكثرها تأييدا الهيا وتعبدا شرعيا ، تعتمد شواهدها من نافر وعاند ، وتحج دلائلها من ناكر وجاحد • ولم تزل أمارات النبوة لائحة فى رسول الله ﷺ حتى تدرج اليها وهو غافل عنها • وغير متصنع لها فنهض بأعبائها حين أتته وقام بحقوقها حين لزمته ، غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها ، الى أن تكامل به الشرع • هذا وهو أمى لم يقرأ كتابا ولا اكتسب علما فأوضح كل ملتبس وبين كل مشتبه ، حتى رجع كثير من الملل الى شريعته فى علم ما قصروا عنه من حقوق وعقود استوعب أقسامها وبين أحكامها • وما ذلك الا بعون الهى وتأييد لاهوتى • وحسبك بهذا شاهدا لو اقتصرنا عليه وحجاجا لو اكتفينا به •

ولكن سنذكر ان شاء الله تعالى قريبا من معجزاته القاهرة وبراهينه الواضحة ، ما يرد كل جاحد ويصد كل معاند من أنواع متغايرة وأخبار متواترة وآثار متظاهرة يصدق بعضها بعضا ، ليكن تغايرها جامعا لكل برهان ، وتظاهرها رافعا لكل بهتان .

فمنها ما تقدمه من نذير وبشير ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها ما تاريه من أقوال وأفعال صدرت منه واليه ، فلم يسبق من الآيات ما اخل به ولا من الأعلام ما ختر فيه وسنذكرها ان شاء الله تعالى فصولا مفصلة وأنواعا متميزة لتكون أصح بيانا وأوضح برهانا وأحقها بالسابقة والتقديم اعجاز القرآن الكريم لأنه أصل شرعه ومستودع رسالته لكنا نذكره فى محله من رد هذا الكتاب ، ليكون أقعد فى هذا الباب ان شاء الله تعالى .



فصـــل

فى معجزات(١) عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم

(١) المعجزات الحسية وردت فى كتب الأحاديث من طريق الاحاد ، لا المتواتر . وقد رد الراسخون فى العلم من المسلمين أحاديث الاحاد ، وطعنوا فى سندها ومتنها . وحذروا المسلمين من أن يأخذوا بها فى العقائد ، لكثرة المدسوسات فيها من اليهود والنصارى . وقالوا : ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تثبت بالقرآن الكريم لقوله تعالى : « أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ » ففى كتاب المغنى : لا يجوز قبول أخبار الاحاد فى ما طريقه العلم ، لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط . ولا يرجع اليها فى معرفة التوحيد والعدل وسائر أصول الدين . (المغنى ص ٢٢٥ ج ٤) .

وفى كتاب هموم داعية الشيخ محمد الغزالى : « هناك من يسوى بين الأخبار المتواترة ، وبين أخبار الاحاد فى افادة اليقين . وهذا غلو مرفوض . وهناك من يرحب بأخبار الاحاد دون تطبيق للشروط العلمية المقررة عن ضرورة خلوها من الشذوذ والعلل القوادح . وهناك من يقضى سحابة عمره فى دراسة السنن ، وصلته بالقرآن الكريم واهية ، وبصره بهداياته كليل . ولذلك لا يحسن وضع الأحاديث فى مواضعها العتيدة من كتاب الله ، ولا وضع النسب بين الأركان والنوافل والوسائل والغايات . ويتضح هذا =

أظهر الله تعالى لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام من أعلام نبوته ،

= المعنى قليلا ، اذا عرفنا أن علماء المذهب الحنفى يرون أن لا فرض الا بنص قاطع ، وأنه لا حرمة الا بنص قاطع ، وأن أخبار الاحاد لا تفيد القطع ، بل هى كما يرى الجمهور تفيد الظن العلمى أو العلم الظنى . ولنترك رأى الأحناف جانبا ، لنشرح ما نريد عن طريق ضرب الامثال . يقول الله تعالى فى جلالة كتابه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد » .

فهل وعى ذلك من قبل حديث الغرانيق . وقال : ان تظاهر الروايات يجعل له أصلا ما ؟ والقائل محدث كبير . وقد قبل فرية الغرانيق مدع للسلفية كبير ، ووضعها فى سيرة ألفها .

الحرث مكان الانبات باجماع أولى الالباب . فهل وعى ذلك من روى فى شرح الاية : « نساءكم حرث لكم » انه يجوز اتيان النساء فى غير مكان الحرث ؟ .

قتال العدوان مرفوض بنص القرآن الكريم . فهل درى ذلك من روى ، أو رأى جواز القتال دون دعوة الى الاسلام ، وبالتالى جواز أخذ الناس على غرة ؟ ! . هـ .

وروى الشيخ محمد الغزالى فى تفسير قوله تعالى : « وما خلق الذكر والأنثى » فى هموم داعية : « أن خبر الواحد تتلاشى صحته عندما يخالف المتواتر . والمسلمون على هذه القاعدة » أ . هـ والصواب ما قاله ههنا فى أخبار الاحاد . لا ما نقلته عنه من كتابه « من هنا نعلم » فى التقديم لهذا الكتاب فى موضوع المؤاخاة بين المسلمين وأهل الكتاب .

وأذكر فى سنة من السنين هى تقريبا سنة ١٩٧٩ م أن التقيت بطالب نصرانى من كلية اللاهوت بالقاهرة ، اسمه « مودى » كان قد كتب بحثا فى أحاديث الاحاد ، وطعن فى دين الاسلام . ولما اشتدت المنافسة بينى وبينه فى موضوع « المسيا المنتظر » وامتدت الى طوال الأيام التى كنت أتردد فيها على المكتبة . سألنى عن أحاديث الاحاد : ما منزلتها فى الدين عندكم ؟ وأجبته بشبه كلام الشيخ محمد الغزالى . فرد قائلا : هى ثابتة بالسند المتصل على شرط البخارى ومسلم الى نبيكم . فقلت له : هذا لا يمنع من ضعفها . لأن كتب الجرح والتعديل لم تكن قد دونت الا بعد تدوين المحدثين للحديث . ولأن البخارى روى معلقات فى كتابه ومعناها اسقاط اسم الراوى فى بدء الرواية — كما أذكر الان — فأطلعنى على ما كتب وقال : ما رأيك فيه ؟ فقلت له : قد أتعبت نفسك فى شىء لا طائل من ورائه . لأن المسلمين لا يأخذون بها على استقلال لا فى العقائد ولا فى الفقه . وانما يأخذون بالقرآن الذى قال الله فيه : « انا نحن نزلنا الذكر . وانا له لحافظون » .

بعد ثبوتها بمعجزات القرآن واستغنائه عما سـواه من البرهان ما جعله زيادة استبصار ، يحج بها من قلت فطنته ، ويذعن لها من ضعفت بصيرته ، ليكون اعجاز القرآن مدركا بالخواطر الثاقبة تفكرا واستدلالا واعجـاز العيان معلوما ببداءة الحواس احتياطا واستظهارا فيكون البليد مقهورا بوهمه وعنائه ، واللبيب محجوجا بفهمه وبيانه لأن لكل فريق من الناس طريقا هى عليهم أقرب ، ولهم أجذب • فكان بأجمع انقياد الفرق أوضح سبيلا وأعم دليلا •

فن معجزاته عصمته من أعدائه وهم الجم الغفير والعدد الكثير ، وهم على أتم حنق عليه وأشد طلبا لنفسـه وهو بينهم مسترسل قاهر ، ولهم مختلط ومكاثر ترمقه أبصارهم شزرا ، وترتد عنه أيديهم ذعرا وقد هاجر عنه أصحابه حذرا ، حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة ، ثم خرج عنهم سليما لم يكلم فى نفس ولا جسد • وما كان ذلك الا بعصـمة الهية وعده الله تعالى بها • فحققها حيث يقول « **والله يعصمك من الناس** » فعصـمه منهم •



فصـــــل

قد ذكرنا فيما سبق أن الأحاديث والأخبار التى يرويها المســلمون عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقبل منها الا ما رواه الثقاة المعدلون بالأسانيد الصحيحة ومن كان مجروحا غير معـدل أو مجهولا أو معلولا أو ضعيفا فحديثه غير مقبول ، حتى ألفوا فى أحوال الرجـال وسـيرتهم وأصول الحديث كتبا كثيرة جليلة • وهذا بخلاف غيرهم من أهل الكتابين ، وان الأحاديث التى تلقتها الأمة عن النبى عليه الصلاة والسلام انما عمل بها بعد استيفائها للشروط المعتبرة عندها المفصلة فى كتبها •

ومن ذلك ما ورد فى بيان دلائل نبوته ومعجزاته عليه الصلاة والسلام التى نحن بصـــدد ذكرها فانها قد روتها الائمة الحفاظ باسانيد معتبرة مصححة فى محالها من صحاحها ومسانيدها وســيرها كشروح الشـــفاء والمواهب اللدنية وشرحها وكسيرة ابن هشام وغيرها حتى أنها من حيث المجمــوع بلغت مبلغ التواتر بحيث يجزم العدل بان نقلتها لا يمكن أن يتواطئوا على الكذب وأنها مفيدة للعلم وقد بلغت فى الشهرة عند المسلمين بمحل استغنى عن أســماء الرواة والمخرجين ، فلذا ترانا لا نلتزم ذكر الأسانيد وعنعنة الراوين فيما سنرويه فى هذا المبحث ، حيث لم تمس الحاجة بنا الى ما هنالك •



فصــــــل

فمن ذلك أن قريشـــا اجتمعت فى دار الندوة وكـــان فيهم النضر بن الحارث من كنانة وكان زعيم القوم وســـاعده عبد الله بن الزبعرى وكان شاعر القوم ، فحضهم على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وســلم وقال لهم الموت خير لكم من الحياة فقال بعضهم كيف نصنع ؟ فقال أبو جهل لعنه الله تعالى هل محمد الا رجل واحد ؟ وهل بنو هاشم الا قبيلة من قبائل قريش؟فليس فيكم من يزهد فى الحياة فيقتل محمدا ويريح قومه؟وأطرق مليا • فقالوا : من فعل هذا ساد ؟ فقال أبو جهل ما محمد بأقوى من رجل منا وانى أقوم اليه فأشدخ رأسه بحجر فان قتلت أرحت قومى،وان بقيت فذاك الذى أوثر •

فخرجوا على ذلك فلما اجتمعوا فى الحطيم خرج عليهم رســول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا قد جاء فتقدم من الركن فقــام يصلى فنظروا اليه يطيل الركوع والسجود ، فقال أبو جهل : فانى أقوم فأريحكم منه فأخذ مهراسا عظيما ودنا : من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد لا يلتفت ولا يهابه ، وهو يراه فلما دنا منــه ارتعد وأرســل

الحجر على رجله ، فرجع وقد شدخت أصابعه وهو يرتعد وقد دوخت أوداجه ورسول الله صلى الله تعالى عله وسلم ساجد فقال أبو جهل لعنه الله تعالى لأصحابه خذونى اليكم فالتزموه وقد غشى عليه ساعة فلما أفاق قال له أصحابه ما الذى أصابك ؟ قال : لما دنوت منه أقبل على من رأسه فحل فاغر فاه • فحمل على أسنانه فلم أتمالك وانى أرمى محمدا محجوبا فقال له بعض أصحابه يا أبا الحكم رعبت وحببت الحياة ، ورجعت قال : ما تعسرونى عن نفسى •

قال النضر بن الحارث فان رجع غدا فأناله قالوا يا أبا سهم لئن فعلت هذا لتسودن فلما كان من اتغد اجتمعوا فى الحطيم منتظرين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أشرف عليهم قاموا بأجمعهم فواثبوه ، فأخذ حفنه من تراب ، وقال « شاهت الوجوه » وقال « حم لا يبصرون » فتفرقوا عنه • وهذا دفع الهى وثق به من الله تعالى فصبر عليه حتى وقاه الله تعالى وكان من أقوى شاهد على صدقه •

ومن أعلامه ﷺ أن معمر بن يزيد وكان من أشجع قومه استغاثت به قريش وشكوا اليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بنو كنانة تصدر عن رأيه وتطيع أمره فلما شكوا اليه قال لهم انى قادم الى ثلاث وأريحكم منه وعندى عشرون ألف نرج فلا أرى هذا الحى من بنى هاشم يقدر على حربى ، وان سألونى الدية أعطيهم عشر ديات ففى مالى سعة • وكان يتقلد بسيف طوله سبعة أشبار فى عرض شبر وشجاعته فى العرب مشهورة بالشجاعة والبأس ، فلبس يوم وعده قريشا سلاحه وظاهر بين درعين ، فوافقهم بالحطيم ورسول الله ﷺ فى الحجر يصلى وقد عرف ذلك • فما التفت ولا تزعزع ولا قصر فى صلاته فقيل له هذا محمد ساجد فاهوى اليه وقد سل سيفه وأقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه وعدا فلما صار الى باب الصفا عثر فى درعه فسقط فقام وقد أدمى وجهه بالحجارة يعدو كأشد العدو ، حتى بلغ البطحاء ما يلتفت الى خلف فاجتمعوا وغسلوا عن وجهه الدم وقالوا ماذا أصابك ؟ قال ويحكم المغرور من غررتموه قالوا ما شأنك ؟ قال ما رأيت كاليوم • دعونى

أرجع الى نفسى فتركده ساعة ، وقالوا : ما أصابك يا أبا ليث ؟ قال انى لما دنوت من محمد فأردت أن أهوى بسيفى اليه ، أهوى الى من عند رأسه شجاعان ينفخان بالنيران وتلمع من أبصارهما فعدوت فما كنت لأعود فى شىء من مساءة محمد .

ومن أعلامه أن كلدة بن أسد أبو الأشد وكان من القوة بمكان خاطر قريشا يوما فى قتل رسول الله ﷺ فأعظموا له العطاء ان هو كفاهم ، فرأى رسول الله ﷺ فى الطريق يريد المسجد ما بين دار عقيل وعقال ، فجاءه كلدة ومعه مزراق فأهوى نحوه ومعه المزراق فرجع المزراق فى صدره فرجع فزعا فقالت له قريش مالك يا أبا الأشد ؟ فقال ويحكم ما ترون الفحل خلفى ؟ قالوا ما نرى شيئا قال ويحكم انى أراه . فلم يزل يعدو حتى بلغ الطائف فاستهزئت به قريش . فقال أنا أعذركم لو رأيتم ما رأيت لهلكتم .

ومن أعلامه أن أبا لهب خرج يوما وقد اجتمعت قريش فقالوا له يا أبا عتبة انك سيدنا وأنت أولى بمحمد منا وان أبا طالب هو الحائل بيننا وبينه ولو قتلته لم ينكر أبو طالب ولا حمزة منك شيئا وأنت برىء من دمه ، فنؤدى نحن الدية وتسود قومك فقال فانى أكفيكم . ففرحوا بذلك ومدحته خطباؤهم فلما كان فى تلك الليلة وكان مشرفا عليه ، نزل أبو لهب وهو يصلى وتسلقت امرأته أم جميل الحائط حتى وقفت على رسول الله ﷺ وهو ساجد ، فصاح به أبو لهب فلم يلتفت اليه ، وهما كانا لا ينقلان قدما ولم يقدر على شىء حتى تفجر الصبح ، وفرغ رسول الله ﷺ فقال له أبو لهب يا محمد أطلق عنا فقال « ما كنت لأطلق عنكما أو تضمنا الى انكما لا تؤذيانى » قالا : قد فعلنا فدعا ربه فرجعا .

ومن أعلامه أن قريشا اجتمعوا فى الحطيم فخطبهم عتبة بن ربيعة ، فقال : ان هذا ابن عبد المطلب قد نغص علينا عيشنا ، وفرق جماعتنا وبدد شملنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا وكان فى القوم الوليد ابن المغيرة وأبو جهل بن هشام وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث ومنبه

ونبيه ابنا الحجاج وأمية وأبى ابنا خلف فى جماعة من صناديد قريش فقال له قل ما شئت فانا نطيعك • قال سأقوم فأكلمه فان هو رجع عن كلامه وعما يدعو اليه ، والا رأينا فيه رأينا فقالوا لله شأنك يا أبا عبد شمس • فقام فقدم الى النبى ﷺ وهو جالس وحده فقال : انعم صباحا يا محمد قال يا عبد شمس ان الله تعالى قد أبدلنا بهذا السلام تحية أهل الجنة قال يا ابن أخى انى جئتك من عند صناديد قريش لأعرض عليك أمورهم ان أنت قبلتها فلك الحظ فيها ، ولنــا فيها الفسحة •

ثم قال يا ابن عبد المطلب أنا زعيم قريش فيما قالت قال عليه الصلاة والسلام : قل قال : يا ابن عبد المطلب انك دعــوت العرب الى أمر مــا يعرفونه فاقبل منى ما أقول لك •

قال عليه الصلاة والسلام قل قال ان كان ما تدعو اليه تطلب بــه ملكا فانا نملكك علينا من غير تعب ، ونتوجك فارجع عن ذلك فسكت ثم قال له : وان كان ما تدعو اليه أمرا تريد امرأة حسناء فنحن نزوجك فقال عليه الصلاة والسلام : لا قوة الا بالله ثم قال له وان كان ما تتكلم بــه تريــد مالا أعطيناك من الأموال حتى تكون أغني رجل فى قريش ، فان ذلك أهون علينا من تشتت كلمتنا وتفريق جماعاتنا وان كان ما تدعو اليه جنونا داويناك لمــا تداوى قيس بن ثعلبة مجنونهم •

فسكت النبى ﷺ فقال يا محمد ما تقول ؟ ربما أرجع الى قريش ؟ فقال النبى ﷺ ((**حم تنزيل الكتاب من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشــيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون**)) حتى بلغ الى قوله تعالى ((**فان أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**)) قال عتبة فلما تكلم بهذا الكلام كأن الكعبة مالت حتى خفت أن تمس رأسى من أعجازها وقام فزعا يجر رداءه فرجع الى قريش وهو ينتفض انتفاض العصفور ، وقام النبى ﷺ يصلى ، فقالت قريش لقد ذهبت من عندنا نشــيطا ورجعت فزعا مرعوبا فما وراءك ؟ قال : ويحكم دعونى انه كلمنى بكلام لا أدرى منه شيئا ولقد وعرت على

الرعدة حتى خفت على نفسى ، وقلت الصاعقة قد أخذتنى فندموا على ذلك .

ومن أعلامه عليه الصلاة والسلام : أنه لما أراد الهجرة خرج من مكة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فدخل غارا فى جبل ثور ليستخفى من قريش ، وقد طلبته وبذلت لمن جاء به مائة ناقة حمراء ، فأعلنه الله تعالى باخفاء أثره وأنبت على باب الغار ثمامة ، وهى شجرة صغيرة وألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار نسيج سنين فى طرفة عين وما أحسن قول البوصيرى عليه الرحمة فى ذلك .

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على   خير البرية لم تنسج ولم تحم

ولسع أبو بكر رضى الله عنه هذه الليلة غير لسعة فخرق ثيابه وجعله فى الشقوق وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله ﷺ وأقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه فلقيه سراقة بن مالك بن جعشم وهو من جملة من توجه لطلبه فقال له أبو بكر رضى الله عنه : هذا سراقة قد قرب فقال رسول الله ﷺ « اللهم اكفنا سراقة » فأخذت الأرض قوائم فرسه الى ابطها . فقال سراقة يا محمد ادع الله أن يطلقنى ولك أن أرد من جاء بطلبك ولا أغير عليك أبدا فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم ان كان صادقا فاطلق عن فرسه » فأطلق الله تعالى عنه ، ثم أسلم سراقة وحسن اسلامه .

ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه عليه الصلاة والسلام انفرد فى غزوة ذى امر عن أصحابه واضطجع وحده فوقف عليه ذو عثور فسل سيفه وقال يا محمد من يمنعك منى ؟ فقال الله فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ثم قال له من يمنعك منى ؟ قال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وعاد الى قومه يدعوهم الى الاسلام .

ومن أعلامه أن الناس لما انهزموا عن رسول الله ﷺ يوم حنين ، وهو معتزل عنهم رآه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة فقال اليوم

أدرك ثأرى وأقتل محمدا لأن أباه قتل يوم أحد فى جماعة اخوته وأعمامه قال شيبة فلما أردت قتله أقبل شىء حتى تغشى فؤادى ، فلم أطق ذلك ، علمت أنه ممنوع .

ومن أعـلامه أن عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ، وهو أخو لبيد ابن ربيعة الشاعر لأمه وفدا على رسول الله ﷺ فى قومهما بنى عامر ، فقال عامر لأربد اذا قدمنا على محمد ، فانى شاغل عنك وجهه . فاعله أنت بالسيف حتى تقتله . فقال أربد أفعله .

ثم أقبل عامر يمشى وكان رجلا جميلا حتى قام على رأس رسول الله ﷺ فقال : يا محمد مالى ان أسلمت ؟ فقال « لك ما للاسلام وعليك ما على الاسلام » . فقال : ألا تجعلنى الولى من بعدك ؟ قال : « ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنة الخيل تغزو بها » قال أو ليست لى اليوم ؟ ولكن اجعل لى ولك المدر . قال « ليس ذلك لك » فقـال : قم يا محمد الى ههنا فقام اليه ، فوضع عامر يده بين منكبيه ، ثم أومأ الى أربد أن أضرب . فسل أربد سيفه قريبا من ذراع ثم أمسك الله يده فلم يستطع أن يسله ولا يغمده فالتفت رسول الله ﷺ الى أربد فرآه على ما هو عليه . فقال : « اللهم اكفنيهما بما شـئت ، اللهم اهد بنى عامر ، وأعز الدين عن عامر » فانطلقا وعامر يقول والله لأملأنها عليك خيلا دهما وورداً . فقال : عليه الصلاة والسلام : « يأبى الله ذلك وأبناء قيلة يعنى الأنصار » ثم قال عامر لأربد ويلك لم أمسكت عنـه ؟ فقال والله ما هممت بـه مرة الا رأيتك ولا أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ .

وسار فأما عامر فطرح الله تعالى عليه الطاعون فى عنقه فقتله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول :

أغدة كغدة البكر .
فى بيت امرأة من بنى سلول .
وركب فرسه فركضه حتى مات .

وأما أربد فقادم على قومه فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : والله لقـد

دعانا الى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بنبلى هـذا حتى أقتله • ثم خرج بعد مقالته بيوم ومعه جمال له تتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جماعته صاعقة أحرقتهم • وقيل نزلت فى صاعقته قوله تعالى : « وهو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا » يعنى خوفا من الصواعق وطمعا فى المطر وفيه يقول لبيد بن ربيعة :

أخشى على مربد الحتوف ولا ... ارهب نوء السماك والأسد
كل بنى حرة مصيرهم ... قل وان أكثرت من العدد
أفجعنى الرعد والصواعق بالفا ... رس يوم الكريهة النجد
ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا ... يوما يصيروا للهلك والنكد



فصل

فى ما شوهد من معجزات أفعاله عليه الصلاة والسلام

قال أبو الحسن الماوردى : ان الله تعالى قدر لعبادة أفعالا كما قدر لهم أجساما وآجالا انتهى الى غاية أعجزهم عن تجاوزها لتكون أفعالهم مقصورة على عرف مألوف وحد معروف ، يتوصلون بها الى مصالحهم ، فيعلموا أن ما تجاوزها أو خرج عن عرفها أنه من أفعال الله تعالى فيهم لا من أفعالهم فان أظهرها فى أحدهم دل على اختصاصه بالله تعالى دونهم ، فكان بها ممتازا ، واليه تعالى منحازا ليخص بطاعة الهية كما اختص بأفعال لاهوتية فلذلك صارت الافعال المعجزة شاهدة على صحة النبوة •

ومن أعلامه : ما رواه البخارى عن عبد الرحمن بن أيمن عن أبيه قال : قلت لجابر بن عبد الله حدثنى بحديث عن رسول الله ﷺ سمعت منه أرويه عنك • فقال جابر كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاما ولا نقدر عليه ، فعرضت فى الخندق

كدية ، فجئت الى رسول الله ﷺ فقلت : هذه كدية قد عرضت فى الخندق، ورششنا عليها الماء ، فقام وبطنه معصب بالحجر فأخذ المعول والمسحاة ثم سمى ثلاثا ثم ضرب فعاد كثيبا . فلما رأيت ذلك منه قلت : يا رسول الله ائذن لى . فأذن لى ، فجئت الى امرأتى فقلت : ثكلتك أمك انى رأيت من رسول الله ﷺ ما لا صبر لى عليه ، فما عندك ؟ قالت : عندى صاع من شعير وعناق . قال : فطحنا الشعير وذبحنا العناق وطبخناها وجعلناها فى البرمة وعجنا العجين .

ثم رجعت الى رسول الله ﷺ : فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية ، فأذن لى فجئت . فاذا بالعجين قد أمكن فأمرتها بالخبز ، وجعلت القدر على الاثاف ، ثم جئت الى رسول الله ﷺ فساررته وقلت : عندنا طعيم لنا . فان رأيت أن تقوم معى أنت ورجل أو رجلان معك . فعلت . فقال : « ما هو ؟ وكم هو » قلت : صاع من شعير وعناق . فقال : ارجع الى أهلك . فقل لها : « لا تنزعى البرمة عن الاثاف ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتى » ثم قال للناس « قوموا الى بيت جابر » فاستحييت حياء لا يعلمه الا الله تعالى فقلت لامرأتى : قد جاء رسول الله ﷺ بأصحابه أجمعين فقالت : أكان سألك كم الطعام ؟ قلت : نعم قالت : الله ورسوله أعلم ، قد أخبرته بما كان عندنا فذهب عنى ما أجده وقلت لها صدقت وجاء رسول الله ﷺ ودخل ثم قال لأصحابه لا تضاغطوا ثم برك على التنور والبرمة ، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ من البرمة اللحم فنثرد ونغرف ونقرب اليهم فقال رسول الله ﷺ ليجلس على الصحفة سبعة أو ثمانية ، فلما أكلوا كشفنا التنور والبرمة فاذا هما قد عادا الى أملأ مما كانا عليه ، حتى شبع المسلمون كلهم ، وبقيت طائفة من الطعام فقال : أنا رسول الله ﷺ « ان الناس قد أصابتهم مخمصة فكلوا وأطعموا » فلم نزل يومنا نأكل ونطعم . قال : فأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة ، أو قال : مئين أقل من الثمانمائة وهذا نظير معجزة عيسى عليه السلام فى المائدة .

ومن أعلامه : ما رواه مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه عن

اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم أرسلتنى الى رسول الله ﷺ فوجدته فى المسجد ، معه الناس فقمت عليه فقال لى رسول الله ﷺ « أرسلك أبو طلحة ؟ » قلت نعم . قال : قال « للطعام ؟ » قلت : نعم فقال لمن معه « قوموا » فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته . فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ ومعه أصحابه ، وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ وأقبل معه حتى دخلا . فقال رسول الله ﷺ : « يا أم سليم هلمى ما عندك » فجاءت بذلك الخبر ، فأمر به ففت وعصرت أم سليم عكة لها . ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم . فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى أكل القوم وشبعوا وخرجوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

والمعجز فيه مع اطعام العدد الكثير من الطعام اليسير : ما أخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه فقد قال عليه الصلاة والسلام : « أرسلك أبو طلحة للطعام » .

ومن أعلامه : ما رواه أنيس بن أبى يحيى عن اسحق بن سالم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال لى : «ادع لى أصحابك » يعنى أصحاب الصفة . قال : فجعلت أتبعهم رجلا رجلا أوقظهم ، حتى جمعتهم فجئنا باب رسول الله ﷺ فاستأذنا ، فأذن لنا . ووضعت بين أيدينا صحفة أظن فيها صنيعا قدر مد من الشعير ، فوضع رسول الله ﷺ يده . فقال « خذوا باسم الله » فأكلنا ما شئنا ، ثم رفعنا أيدينا . فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحفة « والذى نفس محمد بيده ما أمسى فى آل محمد طعام غير شيء ترونه »

فقيل لابى هريرة قدر كم كانت حين فرغتم ؟ قال : مثلها حين وضعت : الا أن فيها أثر الأصابع .

ومن أعلامه : أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما حصل بالحديبية وهى جافة . قال للناس : انزلوا . فقالوا : يا رسول الله ما بالوادى ماء ننزل عليه . فأخرج سهما من كنانته فدفعه الى البراء ابن عازب ، وقيل الى ناجية بن جندب ، وقال : « اغرس هذا السهم فى قليب من بعض القلب وهى جافة » ففعل فجاش الماء ونادى الناس بعضهم بعضا من أراد الماء فليأت . فقال أبو سفيان : قد ظهر فى الحديبية قليب فيه ماء ثم قال لسهيل بن عمرو قم بنا الى ما فعل محمد فأشرفا على القليب والعيون تحت السهم ، فقالا : ما رأينا كاليوم قط . وهذا من سحر محمد قليل .

فلما أمر رسول الله ﷺ بالرحيل قال للناس خذوا حاجتكم من الماء ثم قال للبراء : « اذهب فرد السهم » فلما فرغوا وارتحلوا أخذ البراء السهم ، فجف الماء كأنه لم يكن هناك ماء . وهذا نظيره ما أعطى موسى عليه السلام من الحجر الذى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا .

ومثل ما روى أنه فى غزوة بنى المصطلق دعا بركوة جافة ثم تفل فيها ثم قلبها فتفجرت من بين أصابعه عيون حتى شربت الخيل والابل وملىء كل سقاء .

ومن أعلامه : أن قوما شكوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ملوحة مائهم فقام بأصحابه حتى أشرف على بئرهم فتفل فيها . ثم انصرف فانفجرت بالماء الزلال وكانت غائرة وأنها على حالها الى اليوم يتوارثها أهلها يعدونها من أعظم مفاخرهم ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة الكذاب ، سألوه مثلها فتفل فيها فصار ماؤها أجاجا كبول الحمار وهى الى اليوم على حالها .

ونظير هذا : أنه جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم امرأة بصبى لها قد تمعط شعره فمسح رأسه بيده ، فاستوى شعره ، فبلغ ذلك قوم مسيلمة فأتوه بصبى مثله فمسح رأسه فصلع ، وبقى نسله صلعا الى وقتنا هذا قاله الماوردى .

ومن أعلامه : صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه . قال لما غزونا خيبر ومعنا من يهود فدك جماعة فلما أشرفنا على القاع اذا نحن بالوادى والماء يقلع الأشجار ويهد الجبال ، فقدرنا الماء فاذا هو أربع عشرة قامة فقال بعض الناس : يا رسول الله العدو من ورائنا ، والوادى قدامنا فنزل رسول الله ﷺ فسجد ودعا . ثم قال سيروا على اسم الله فعبرت الخيل والابل والرجال فكان الفتح والغلبة له . وهذا نظير فلق البحر لموسى عليه السلام .



فصل

فى

نوع آخر

ومن أعلامه عليه الصلاة والسلام : ما روى الحسن أن رجلا جاء الى النبى ﷺ فقال : انى قدمت من سفرتى فاذا بنت خماسية تدرج حولى فى وصيفها وحليها أخذت بيدها فانطلقت بها الى وادى فلان فطرحتها فيه . فقال النبى ﷺ « انطلق معى ، فأرنى الوادى » فانطلق معه الى الوادى . فقال النبى ﷺ لأبيها : « ما كان اسمها ؟ » فقال : فلانة فقال النبى ﷺ : « يا فلانة أحيى باذن الله تعالى » فخرجت الصبية ، وهى تقول : لبيك يا رسول الله وسعديك . فقال

لها : « ان أبويك قد أساءا فان أحببت أن اردك عليهما » فقالت : لا حاجة لى فيهما ، وجدت الله خيرا لى منهما • وهذا نظير ما فعله عيسى عليه السلام من احياء الموتى •

ومن أعـــلامه : أن الطفيل العامرى جاء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاشكى اليه الجذام ، فدعا بركوة ثم تفل فيها وأمره أن يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحا • وأتاه حسان بن عمرو الخزاعى مجذوما ، فدعا له بماء فتفل فيه ، ثم أمره فصبه على نفسه ، فخرج من علتـــه ، كأن لم تكن به قط • فرجع ودعا قومـــه الى الاســـلام فأسـلموا عن آخرهم • وأتاه قيس اللخمى وهو من سادات قومه وبه برص ، فتفل عليه ، فما بقى عليه الا مقدار الحبـــة وهذا نظير ما كـــان من عيسى ابن مريم •

ولقد أحسن البوصيرى عليه الرحمة بقوله :

وكل آى أتى الرســـل الكرام بها ... فانما اتصـلت من نوره بهم

ومن أعـــلامه : ما رواه ســعيد بن أبى ســـعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعـــالى عنـــه أن النبى صلى الله تعـــالى عليـــه وســـلم انصرف ليـــلة من العشـــاء فأضـــاءت له برقـــة ، فنظـــر الى قتـــادة ابن النعمـــان فعـــرفه • فقـــال : يـــا نبى الله كـــانت ليـــلة مطيرة فأحببت أن أصلى معك ، فأعطاه عرجونا • وقال : « خذ هذا ليضىء لك ليلتك فاذا أتيت بيتك فان الشيطان قـــد خلفك ، فانظر فى الزاوية على يسارك فدخلت فنظرت حيث قال فاذا أنا بسواد ، فعلق به حتى سبقنى »

وفى هذا الخبر معجزات من قول وفعل •

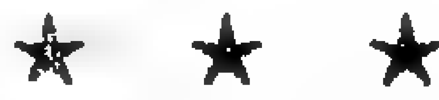
ومن أعـــلامه : أن أبا قتادة بن ربعى جاءه يوم أحد وقد انقلعت احدى عينيه وتعلقت على وجهه • فقال : يا رسول الله صلى الله عليك ان لى امرأة وأخشى أن ينقصنى هذا عندنا فردها رســـول الله ﷺ الى

موضعها فكانت أحسن عينيه • ومثله : ما رواه عورة بن الزبير أن زبيرة أسلمت فأصيب بصرها • فقالوا لها : أصابك اللات والعزى • فرد الله تعالى عليها بصرها • فقالت عظماء قريش : لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زبيرة فأنزل الله تعالى قوله : « **وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيرا ما سبقونا اليه** » •

ومن أعلامه : أن جرهدا أتى رسول الله ﷺ وبين يديه طبق ، فأدنى يده الشمال ليأكل وكانت اليمنى مصابة • فنفث عليها فما اشتكاها بعد الى ساعته وأبصر عليه السلام رجلا يأكل بشماله فقال : « كل بيمينك » فقال لا أستطيع • فقال : « لا استطعت فما وصلت الى فيه بعد • كلما رفع اللقمة الى فيه ذهبت فى شق آخر •

ومن أعلامه : شاة أم معبد الخزاعية وكانت مجهودة عجفاء وضراء ، فمسح رسول الله ﷺ ضرعها فدرت لبنا وامتلأت سمنا ، وبقيت على حالها الى أن وافاها أجلها • وأهدت له أم شريك عكة فيها سمن ، فأخذ منه شيئا ورد العكة عليها فلم تزل العكة تصب سمنا مدة طويلة •

الى أمثال هذا ونظائره •



فصل

فى ما سمع من معجزات أقواله عليه أفضل الصلاة والسلام

قال الماوردى والمعجز من القول هو الاخبار عن غائب لا يعلم به غير مخبره فيكون على صدقه دليلا لأن الخبر ما احتمل الصدق والكذب وحقيقة الخبر ما كان عن ماض • فأما المستقبل فيطلق اسم الخبر عليه مجازا فان أضيف المستقبل الى فعل المخبر ، كان وعدا ، يصح من نبى وغير نبى ، وان أضيف الى فعل غيره كان من الغيوب

المعجزة ولا يصح الا من نبى مبعوث ، وعن وحى منزل ، اذا تكرر عاريا عن الأسباب المنذرة ولئن ظهر خبر من غير نبى فهو بالاتفاق عن حدس وفراسة ، ان صح فى خبر لم يصح فى كل خبر •

قال المــاوردى : فان قيل : فليس فى ذكر ما كان ويكون اعجاز نبوة تقهر ولا آية رسالة تظهر ، لأن المنجمين يخبرون بذلك ، فلا يكون من اعجاز الانبياء وآيات ، الرسل •

فعنــه ثلاثة أجوبة :

احــدها : أن المنجم يعمل على حســاب ويرجع الى اســتدلال ولا يبتكر قولا الا بعدهما • واخبار الرسل عن بديهة تخلو من أسباب وتعرى عن استدلال •

والثــانى : ان من خلا من علم النجوم لم يصح منــه الاخبــار عنها ، ولم يتعاط نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم علم النجوم ولا خالط أهلها فيكون مخبرا عنها ، فبطل أن يخبر بها الا عن علام الغيوب المطلع على ضمائر القلوب •

والثالث : أن المنجم يصيب فى الأقل ويخطىء فى الأكثر ويستحسن منه الصواب ، ولا يستقبح منه الخطأ ، وإخبار الرســل كلها صــدق ولا يتخلله كذب ، وصواب لا يعتوره زلل ، لأن الوحى من الله تعــالى المحيط بعلم الغيوب • كما قال لنبيه « **قل لا أقول لكم عنــدى خزائن الله ولا أعــلم الغيب ، ولا أقول لكم : انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الأعمى والبصــير ؟ أفلا تتفكرون ؟** » وفى خزائن الله ههنا تأويلان :

احــدهما : خزائن الرزق فأغنى وأفقر •

والثانى : خزائن العذاب فاعجل وأؤخر وفى قوله «ولا أعلم الغيب» تأويــلان :

احـــدهما : علم الخزائن على ما مضى من التأويلين .

الثـــانى : عـــلم ما غاب عن ماض ومســـتقبل الا أن المســـتقبل لا يعلمه الا الله تعالى ، ومن أطلعه عليه من أنبيائه كما قال تعـــالى : **« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول » وقال سبحانه : « لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير »** وأما المـــاضى فقد يعلمه المخلوقون من أحد وجهين : اما من مخلوق معاين أو من خالق مخبر ، فكانت الأخبار المستقبلة من آيات الله تعالى المعجزة فأما المـــاضية فان علم بها المخبر لم تكن معجزة ، وان لم يعلم بها أحد كانت آيات معجزة . وفى قوله **« ولا أقـــول لكم انى ملـــك »** تأويلان :

أحـــدهما انه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد ، وان قدرت عليه المـــلائكة .

والثـــانى : انـــه من البشر وليس بملك ، لينفى عن نفســـه غلو النصارى فى المسيح ، أو أنه ليس بملك فى الســـماء فيعلم الغيب الذى تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر وان كان البشر أفضـــل وفى قوله : **« ان اتبع الا ما يوحى »** تأويلان أيضـــا .

احـــدهما : ان أخبركم الا بما يطلعنى الله تعالى عليه .

والثـــانى : ان أفعـــل الا ما أمرنى الله ســـبحانه به وقـــوله : « هل يستوى الأعمى والبصير » ؟ فايه تأويلان أيضـــا :

احـــدهما : العالم والجاهل .

والثـــانى : المؤمن والكافر . فثبت بما قررناه : أن فى الأقـــوال معجزة كالأفعال فكانت من أعلام النبوة وآيات الرسل ونحن نذكر منها ان شاء الله تعالى ما اختص بقول الرسول ﷺ دون ما تضمنه القرآن ، لأن القرآن معجزة فى الخبر وغير الخبر .

فصــــل

قد صح بروايات عديدة وطرق سديدة أنه عليه الصلاة والسلام قام مقاما أخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة • وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن ونحوها ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه وقد ثبت أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله ﷺ بما يحدث من الفتن بعده ، حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا اليه • وثبت فى الصحيح وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التى تموج كموج البحر فقال : ان بينك وبينها بابا • فقال عمر : هل يفتح أو يكسر ؟ فقال : بل يكسر • فعلم عمر أنه الباب وان كسره قتله • كما فى الحديث الصحيح المعروف أنه قيل لحذيفة : هل كان عمر يعلم ذلك ؟ فقال : نعم كما يعلم أن دون غد الليلة وكذلك ما ثبت من اخباره عليه الصلاة والسلام لأبى ذر بما يحدث له ومن وفاته بالربذة واخباره لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بأخبار كثيرة منها قتل أشقى الآخرين له ، وخبر ذى الثدية ، وحرب صفين والجمل وقتل عمار بن ياسر وقتل الحسين ونهيه له عن الصلاة ببابل ، فانها ملعونة ، وملك بنى أمية ومروان وما صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها» فصدق الله تعالى خبره وحقق ما ذكره وملكت أمته اقطار الأرض ، حتى دان له بشرعه من فى المشرق والمغرب ، بأقصر زمن وأقل مدة • وقال عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم : لا يمنعك من هذا الدين ما ترى من جهد أهله وضعف أصحابه ، فكأنهم ببيضاء المدائن قد فتحت عليهم ، ولكأنهم بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتى مكة بغير خفارة ، لاتخاف الا الله فأبصر عدى ذلك كله •

وغير ذلك مما لو جمع لبلغ مصنفا كبيرا مستقلا وسنذكر بعضه قريبا ان شاء الله تعالى ، وهذا لا يكون الا من اطلاع الله تعالى له على غيبه وتحقيقه لوعده • فى قوله سبحانه : ((**ليظهره على الدين كله**))

ومن أعــلامه : ما رواه البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة عظيمة لا يأخذ فيهــا المعول ، فأخذ المعول ٠ وقال : بســم الله وضرب ضربة ٠ فكسر ثلثها ٠ وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ٠ فصدق الله تعالى قوله وأعطاه ما فتح له ٠

وروى كعب بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم رحما وذمــة ، يعنى أن هاجرأم اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام كانت منهم ٠

ومن أعــلامه : أنــه عليه الصلاة والسلام كتب الى كسرى كتابا يدعوه الى الاسلام وبدأ باسمه قبل اسمه ٠ فلما قرأه أنف لنفسه من ابتدائه باسمه ، فمزق كتابه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « تمزق ملكه » ثم كتب كسرى فى الوقت الى عامله باليمن باذان ، ويكنى أبا مهران أن احمل الى هذا الذى يذكر أنه نبى ، وبدأ باسمه ودعانى الى غير دينى ، فبعث إليه فيروز الديلمى مع جماعة من أصحابه وكتب معهم كتابا يذكر فيه ما كتب به كسرى ، فأتاه فيروز بمن معه ٠ وقــال له : ان ربى — يعنى كسرى — أمرنى أن أحملك اليه ، فاستنظره ليلة فلما كان من الغد حضر فيروز مستحيا فقال له رسول الله ﷺ : أخبرنى ربى أنه قتل ربك البارحة ، سلط عليه ابنه شيرويه على سبع ســاعات من الليل ، فأمسك ريثما يأتيك الخبر ، فراع ذلك فيروز وهاله ٠ وعــاد فيروز الى باذان فأخبره فقال له باذان كيف وجدت نفسك حين دخلت اليه ، فقال : والله ما هبت أحدا قط كهيبة هذا الرجل ٠ فقال باذان : ان كان ما قال حقا فهو نبى ، فلم يرعه الا ورود الخبر عليه بقتله فى تلك الليلة من تلك الساعة فأسلم باذان وفيروز ومن معهم من الأبناء ٠

وظهر العنسى بما افتراه من الكذب ، فأرسل الى فيروز أن اقتله

قتله الله فقتله وفى الخبر من آيـات الغيوب ما لا يعلمه الا الله تعالى أو من أطلعه عليه •

ومن أعـلامه : أنه رأى ذراعى سراقة بن مالك بن جشعم دقيقين أشعرين • فقال : كيف بك اذا لبست بعدى سوارى كسرى ؟ فلمـا فتحت فارس دعاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وألبسه سوارى كسرى • وقال له : قل الحمـد لله الذى سـلبها من كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن جشعم •

ومن أعـلامه : ما رواه جابر بن عبد الله قال : صلى بنا رسـول الله ﷺ ثم قال ان النجاشى أصحمة قد توفى هذه السـاعة ، فاخرجوا بنا الى المصلى نصلى عليه • فصلى عليه وكبر أربعا فقـال المنافقون : انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط ، فأنزل الله تعالى : **« وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم »** الآية • ثم ما جاء الخبر بموت النجاشى الا من تجار وردوا من المدينة •

ومثـله ما روى أن ريحا هبت بتبوك • فقال رسـول الله ﷺ : هـذا لموت منافق عظيم ، فقدموا المدينة فوجدوا منافقا عظيم النفاق قد مات فى ذلك الوقت •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه : اليوم نصرت العرب على العجم وبى نصروا » فجاء خبر الوقعة بذى قار • وما أدال الله تعالى فيه العرب من العجم ، حين قتلت فيه بنو شيبان وبكر بن وائل من الفرس من قتلوا • وكان أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ، وجاءهم الخبر أنه كان فى الساعة من اليوم الذى أخبر بـه رسـول الله ﷺ •

ومن أعـلامه : أن كشف الله تعالى له ما غاب عنه فى جيش مؤتة • فقال لأصحابه : أخذ الراية زيد بن حارثة وتقدم فقتل شهيدا ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبى طالب وتقدم فقتل ومضى شهيدا ، ووقف وقفة •

ثم قال : وأخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة وتقدم فقتل ومضى شهيدا لأن عبد الله بن رواحة توقف عن أخذ الراية بعد قتل جعفر زمانا • ثم أخذها • قال : ثم ارتضى المسلمون خالد بن الوليد ، فكشف العدو عنهم ، حتى خلصوا ثم مال الى بيت جعفر بن أبى طالب فاستخرج ولده ودمعت عيناه • ونعى جعفر الى أهله • وجاءت الأخبار بأنهم قتلوا فى ذلك اليوم على ما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم •

ومن أعلامه : قوله عليه الصلاة والسلام فى ليلة الاسراء حين أصبح ، مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما واذا اناء فيه ماء ، وقد غطوا عليه ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ورددت الغطاء كما كان وآية ذلك : أن عيرهم الآن تقبل من البيضا ثنية التنعيم ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والأخرى ورقاء ، فابتدر القوم الثنية ، فوجدوا ما وصف وسألوهم عن الاناء فوجدوا الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام رأى عليا كرم الله تعالى وجهه فى غزاة العشيرة على التراب ، ومعه عمار • فقال لهما : ألا أخبركم بأشقى الناس ؟ قالا بلى قال : أشقى الناس أحمر ثمود عاقر الناقة ، والذى يخضب يا على هذه من هذا • واشار الى لحيته من رأسه • وقال لعمار : تقتلك الفئة الباغية وآخر زادك من الدنيا صاع من ابن فكان من قتل ابن ملجم لعنه الله تعالى لعلى رضى الله تعالى عنه ما كان • وقتل عمار يوم صفين فلما ذكر الخبر لمعاوية لم ينكره ودفعه عن نفسه ، بان قال : انما قتله من جاء به •

ومثله ما روى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر زيد بن صوحان فقال : زيد وما زيد ؟ يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده يوم نهاوند فى سبيل الله عز وجل •

نوع آخر من أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام نزل بجيشه فى غزوة تبوك على غير ماء ، وهم العدد الكثير فعطشوا فشكوا ذلك اليه

عليه الصلاة والسلام فبعث أبا قتادة وأبا طلحة وسماك بن حرشة وسعد بن عبادة يلتمسون الماء ، فغابوا الى قائم الظهيرة ثم رجعوا ولم يجدوا شيئا وبلغ العطش من الناس والخيل والدواب فصلى باصحابه متيمما فلما فرغ شكوا اليه العطش فبعث أسيد بن حضير وأسامة يلتمسان الماء من الأعراب • فقال المنافقون ان محمدا يخبرنا بأخبار السماء وهو لا يدرى الطريق الى الماء فأتاه جبرائيل عليه السلام فأخبره بقولهم وسماهم له ، فشكا ذلك الى سعد بن عبادة • فقال سعد : ان شئت ضربت أعناقهم • فقال : لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا ثم قال لابن الهيثم ابن التيهان وأبى قتادة وسهيل بن بيضاء يستعرضون الطريق ويأخذون على الخبيث فتقفوا ساعة ، فان عجوزا من الاعراب تمر بكم ، على ناقة لها سقاء من ماء ، فاطعموها واشتروا منها بما عز وهان ، وجيئوا بها مع الماء • فبلغوا الموضع الذى وصف لهم فاذا بالمرأة • قالوا تبيعينا هذا الماء ؟ قالت : أنا وأهلى أحوج الى الماء منكم • فطلبوا منها أن تأتى الى رسول الله ﷺ مع الماء ، فأتت وقالت ان هذا لساحر وبخير الأشياء أن لا أراه فشدوها وثاقا حتى جاءوا بها مع الماء فلما وقفت بين يدى رسول الله ﷺ قال : خلوا عنها • وقال لها : تبيعين هذا الماء ؟ قالت ان أهلى أحوج اليه منكم قال : فأذنى لنا فيه وليعزبن كما جئت به قالت شأنكم • قال لأبى قتادة : هات الميضاة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضاة ماء قليلا ظننا أنه نصف الميضاة فوضع يده فيه ، ثم قال : ادنوا فخذوا فجعل الماء يزيد والناس يأخذون ، حتى ما أبقوا معهم شيئا الا ملأوه ورواهم وخليهم وابلهم والميضاة ملئى ثم رد رسول الله ﷺ السقاء حتى ملأه وبقى فى الميضاة ثلثاه ثم توضأوا كلهم حين أصبحوا وهو يزيد ولا ينقص •

ومن أعلامه : أن ناقة له ضلت فى توجهه الى تبوك ، فتفرق الناس فى طلبها وكان عنده عمارة بن حزم وكان فى رحل عمارة زيد بن اللصيت • وكان يهوديا قد أسلم ونافق • فقال زيد فى رحل عمارة بن

حزم : يزعم محمد أنه نبى يوحى اليه يخبركم خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته • فقال رسول الله ﷺ ان منافقا يقول أليس محمد يزعم أنه نبى ويخبركم بخبر السماء ولا يدرى أين ناقته • والله لا أعلم الا ما علمنى ربى وقد أعلمنى أنها فى الوادى فى شعب كذا ، حبستها سمرة بزمامها فبادر الناس فوجدوها كذلك ، فأتوه بها فرجع عمارة بن حزم الى رحله ، وقال : لقد عجبت مما ذكر رسول الله ﷺ فقال رجل كان فى رحله مع زيد بن اللصيت ان زيدا قال : هذا قبل أن تطلع علينا فوجأ عمارة زيدا فى عنقه • وقال : انك لداهية فى رحلى اخرج يا عدو الله منه • ولأجل مالقيه فى غزاة تبوك من الجهد قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه ألا أبشركم ؟ قالوا بلى يا رسول الله • قال ان الله أعطانى الليلة الكنزين فارس والروم ، وأمدنى بالملوك ملوك حمير يجاهدون فى سبيل الله ، ويأكلون فى الله • فكان ذلك •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام بعث خالد بن الوليد من تبوك فى أربعمائة وعشرين فارسا الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل من كندة • فقال خالد يا رسول الله كيف لى به وسط بلاد كلب ، وانما أنا فى عدد يسير ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ستجده يصيد البقر فتأخذه ، فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين فى ليلة قمرة صائفة ، وهو على سطح له من شدة الحر ، مع امرأته • فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن ، فقال اكيدر : والله ما رأيت بقرا جاءتنا ليلا غير هذه الليلة • لقد كنت أضمر له الخيل اذا أردتها شهرا أو أكثر ، ثم نزل فركب بالرجال والآلة فلما فصلوا من الحصن وخيل خالد تنتظر اليهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك • فساعة فصل أخذته الخيل فاستأسر أكيدر •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام قاضى سهيل بن عمرو بالحديبية حين صدته قريش عن العمرة ، وكتب بينه وبينه القضية قال لعلى رضى الله تعالى عنه : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو • فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما صددتك ولكن

اكتب محمد بن عبد الله • فقال : يا على امح رسول الله • فقال على : أنا لا أستطيع أن امحو اسمك من النبوة فمد رسول الله ﷺ يده الى الموضع فمحاه • وقال لعلى كرم الله وجهه ستسام مثلها فتجيب • فقيل له مثلها يوم الحكمين ، حين ذكر فى كتاب التحكيم : هذا ما تحاكم عليه على أمير المؤمنين • فقال له عمرو بن العاص : لو سلمنا أنك أمير المؤمنين ما نازعناك • فمحا أمير المؤمنين • ولما قال سهيل ذلك قال عمر يا رسول الله دعنى انزع ثنتى سهيل ، ليلثغ لسانه ، فلا يقوم علينا خطيبا أبدا • وكان سهيل أعلم الشفة السفلى • وكان خطيبا نبيها • فقال رسول الله ﷺ : دعه يا عمر فعسى أن يقوم لك مقاما تحمده • فكان من حسن قيامه بمكة حين هاج أهلها بموت رسول الله ﷺ واستخفى عتاب بن أسيد ما حمد أمره •

ومن أعلامه : ما حكى السدى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان • فأتاه الخطيم بن هند البكرى وحده وخلف خيله خارجة عن المدينة ، فدعاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : الى ما تدعو ؟ فأخبره • فقال : أنظرنى فلى من أشاوره • فخرج من عنده • فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لقد دخل بوجه كافر ، وخرج بعقب غادر ، فمر بسرح من سرح المدينة فاستاق وانطلق مرتجزا يقول :

قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم
باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم
خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم أقبل عام قابل حاجا قد قلد الهدى فاراد رسول الله ﷺ أن يبعث اليه فنزل عليه : « **لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام**

ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام » فقال له ناس من أصحابه هذا صاحبنا خل بيننا وبينه • فقال : انه قد قلد •

ومن أعلامه ما روى عاصم بن عمرو بن قتادة لما رجع المشركون الى مكة من بدر ، قال عمير بن وهب الجمحى : قبح الله العيش بعد قتلى بدر • ووالله لولا دين على لا أجد له قضاء وعيال لا أدع لهم شيئا لدخلت الى محمد حتى أقتله • ان ملأت عينى منه قتلته ، فانه بلغنى أنه يطوف فى الأسواق • فقال له صفوان : دينك على وعيالك أسوة عيالى ، فأعمد لشأنك ، فجهزه وحمله على بعير مشحذ عمير سيفه وسمه ، وسار الى المدينة فدخلها متقلدا ، فبصر به عمر فوثب اليه ووضع حمائل سيفه فى عنقه وأدخله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : هذا عدو الله عمير بن وهب • فقال : تأخر عنه يا عمر ، وقال له : ما أقدمك ؟ فقال : لفداء أسيرى عندكم • فقال عليه الصلاة والسلام : فما بال السيف ؟ فقال : وقبحها الله وهل أغنت من شىء وانما نسيته حين نزلت وهو فى رقبتى ، فقال : وما شرطت لصفوان بن أمية فى الحجر ؟ ففزع عمير وقال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحملت له بقتلى على أن يقضى دينك ويعول عيالك • والله حائل بينك وبين ذلك • فقال عمير : أشهد أنك لرسول الله وأنك صادق ، وشهد أن لا اله الا الله كنا نكذبك بالوحى من السماء • وهذا الحديث كان سرا بينى وبين صفوان • كما قلت لم يطلع عليه أحد غيرى وغيره ، فقال عمر : والله لخنزير كان أحب الى منه حين طلع ، وهو الساعة أحب الى من بعض ولدى • فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره • فقال عمير: انى كنت جاهدا فى اطفاء نور الله ، وقد هدانى الله تعالى فله الحمد ، فأذن لى فالحق قريشا فأدعوهم الى الله والى الاسلام فأذن عليه الصلاة والسلام له ، فلحق بمكة ودعاهم الى الاسلام فأسلم معه بشر كثير ، وحلف صفوان أن لا يكلمه أبدا •

ومن أعلامه : ما حكاه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة قال :

ما كان أحد أبغض الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف لا يكون كذلك ، وقد قتل منا ثمانمائة كل منهم يحمل اللواء ؟ فلما فتح الله تعالى مكة أنسيت ما كنت أتمناه من قبله ، وقلت فى نفسى : قد دخلت العرب فى دينه ، فمتى أدرك ثأرى منه ؟ فلما اجتمعت هوازن بخيبر قصدتهم لأجد منه غرة ، فأقتله • فلما انهزم الناس عنه وبقى من ثبت معه جئت من ورائه ، فرفعت السيف ، حتى اذا كدت أحطه ، غشينى فؤادى ، فرفع لى شواظ من نار فلم أطلق ذلك • فعلمت : أنه ممنوع • فالتفت الى • وقال لى : ادن ما شئت ، فقاتل • ووضع يده فى صدرى ، فصار أحب الناس الى ، وتقدمت فقاتلت بين يديه • ولو عرض لى أبى لقتلته فى نصرته • فلما انقضى القتال ، دخلت عليه ، فقال لى الذى أراد الله بك خير مما أردته لنفسك وحدثنى بجميع ما زورته فى نفسى • فقلت : ما اطلع على هذا أحد الا الله • فأسلمت •

ومن أعلامه : ما رواه ابراهيم عن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال : كان النضر بن الحارث بن كلدة يصف عداوته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقتله لأخيه نضر بن الحارث صبرا قال : وكنت شهدت بدرا فرأيت قلة من المسلمين وكثرة قريش ، فلما نشب القتال رأيت المسلمين أضعاف قريش فانهزمت قريش ، ورأيت يومئذ رجالا على خيل باق بين السماء والأرض معلمين ، يأسرون ويغلبون ، فهربت مذعورا • ثم خرجت معه يوم الفتح الى هوازن لأصيب منه غرة ، فلما انهزم المسلمون صمدت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو فى وجه العدو واقف على بغلة شهباء حوله رجال بيض الوجوه، فأقبلت عامدا اليه • وصاحوا بى : اليك • فرعب فؤادى وارتعدت جوارحى • فقلت : هذا مثل يوم بدر ، وان الرجل لنبى حق ، وأنه معصوم • فأدخل الله تعالى فى قلبى الاسلام ، ثم التقيت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد رجوعه من الطائف • وحين رآنى قال : النضير ؟ قلت : لبيك قال وهذا خير لك مما أردت يوم حنين مما حال الله تعالى بينك وبينه •

من أعــلامه : أنه قال لعمه العباس وقد أسر يوم بدر : افد نفسك وابنى أخيك عقيلا ونوفلا وحليفك ، فانك ذو مال • فقال : يا رســول الله انى كنت مسلما وأخرجت مكرها • فقــال عليه الصلاة والسلام : الله أعلم باسلامك • فأين المــال الذى وضعته • بمكة عند أم الفضل حين خرجت وليس معكما أحد وقلت ان اصبت فى سفرى فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعثمان كذا ؟ فقال : والذى بعثك ما علم بهذا أحد غيرى وغيرها وانى لأعلم أنك لرسول الله • ففدى نفسه وابنى أخيه وحليفه • فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله سيعوضك خيرا ان كان ما قلته من اسلامك حقا • فعوضه الله تعالى مالا جما •

ومن أعــلامه : عليه الصلاة والسلام : ما روى أنه عليه السلام كان اذا أراد الذهاب الى أم فروة الأنصارية قال لأصحابه : انطلقوا بنا الى الشهيدة نزورها وأمر أن يؤذن لها ويقام ، وان تأم لأهل دارها فى الفرائض فقتلها فى أيام عمر غــلام وجارية كانا لهــا فصابهما عمر رضى الله تعالى عنه فكانا أول من صلبا فى الاسلام فقال عمر صــدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول : انطلقوا بنــا نزور الشــهيدة •

ومن أعلامه : ما روى عن عبد الله بن الزبير قال : أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال : يا عبد الله اذهب بهــذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما برز عنه عهد الى الدم فحساه ، فلما رجع قال يا عبد الله ما صنعت ؟ قال جعلته فى أخفى مكــان ظننت أنه خاف عن الناس • فقــال : شربت الدم ؟ قلت : نعم قــال : ويل للناس منك • وويل لك من الناس •

الى أمثال ذلك من نظائره التى يطــول الكتاب بذكرها حتى كان المنافقون لا يخوضون فى شىء من أمره عليه الصلاة والسلام الا أطلعه الله جل وعز عليه ، فكان يخبرهم به ، حتى كان بعضهم يقول لصاحبه : اسكت وكف فو الله لو لم يكن عنده الا الحجارة لأخبرته حجارة البطحاء•

فصـــــل

فيما أكرم به من اجابة أدعيته عليه الصلاة والسلام

اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما فضل الأنبياء على جميع خلقه بما فرض اليهم من القيام بحقه تميزوا بطلب المصلحة فخصوا باجابة الأدعية ليكون عونا على ما كلفهم وآية على من أنكرهم ، فدخل بهذا الامتياز فى أقسام الاعجاز ٠

فان قيل : اجابة الأدعية لا تكون معجزة للنبوة لأنه قد تجاب دعوة غير الأنبياء قيل : أدعية الأنبياء مجابة على العموم فى جميعها وأدعية غيرهم ان أجيبت فهى على الخصوص فى بعضها ، لأن الأنبياء ينطقون بالحق ، وغيرهم ينطقون بالحق وبغيره ٠ فان أجيبت أدعيتهم فهى تفضيل تقف على مشيئة الله تعالى ٠ قاله الماوردى ٠

ومن أعلامه : أن النبى ﷺ لما تلا « والنجم اذا هوى » قال عتبة بن أبى لهب كفرت برب النجم ٠ فقال النبى ﷺ سلط عليه كلبا من كلابك ، يعنى الأسد فخرج عتبة مع أصحابه فى عير الى الشام ، حتى اذا كانوا فى طريقهم رأى الأسد فجعلت فرائص عتبة ترتعد فقال له أصحابه : من أى شىء ترعد فو الله ما نحن وأنت الا سواء ؟ فقال ان محمدا دعا على وما ترد له دعوة ولا أصدق منه لهجة فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا ٠ فجاء الأسد يستشم رءوسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه ، فهشمه هشمة فقال وهو بآخر رمق : ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ؟ ٠

ومن أعلامه : ﷺ ان المستهزئين به من قريش سبعة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى والأسود بن عبد يغوث الزهرى وفكيهة بن عامر الفهرى والحارث بن الطلاطلة والأسود بن الحارث وابن عيطلة ٠ كانوا يكثرون منه عليه الصلاة والسلام الاستهزاء

ويواصلون عليه الأذى وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقرأ الا مستترا ولا يدعو الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » أى لا تجهر بها فيؤذون ولا تخافت بها عن أصحابك فلا يسمعون ، وابتغ بين الجهر والاسرار سبيلا • فأذن عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين اشتد بهم الأذى فى الهجرة الى أرض الحبشة لأن ملكها كان منصفا ورغب الى الله أن يكفيه أمرهم ، فنزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين » فاصدع أى شق جماعاتهم بالتوحيد والصدع الصبح فى كلامهم ، أى امض لما تؤمر به من ابطال الشرك ولا تهتم باستهزائهم « انا كفيناك المستهزئين » يعنى بما عجله سبحانه من هلاكهم •

أما الوليد فانه ارتدى فعلق بردائه شوك فذهب يجلس عليه فقطع أكحله فنزف فمات لوقته •

وأما العاص فوطىء على شوكة فتساقط لحمه من عظامه فمات من يومه • وأما الأسود فقد كان رسول الله ﷺ دعا اليه بالعمى وثكل ولده ، فأتى بعض شوك فأصاب عينه ، فسالت حدقته على وجهه وقتل ولده زمعة يوم بدر ، فأعمى الله بصره وأثكله ولده • وأما فكيهة فخرج يريد الطائف ففقد فلم يوجد • وأما الحارث فانه خرج لبعض حوائجه فضربه السموم فى الطريق فاسود وجهه ومات • وأما الاسود بن الحارث فأكل حوتا مملوحا فأصابه عطش فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق بطنه ومات • وأما عيطلة فاستسقى فمات •

ومثله ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ نصلى فى ظل الكعبة وناس من قريش وأبو جهل قد نحروا جزورا فى ناحية مكة ، فبعثوا فجاءوا بسلاها فطرحوه بين كتفى النبى ﷺ فجاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها فطرحت عنه ، فلما انصرف عليه الصلاة

والسلام قال : اللهم عليك بقريش اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة ووليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط • قـــال عبد الله بن مسعود : فلقد رأيتهم قتلى فى قليب بدر •

ومن أعـــلامه : عليه الصلاة والسلام : أن النضر بن الحارث لمـــا كتب الصحيفة التى علقها المشركون فى الكعبة على بنى هاشم ، وتعاقدوا على أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، دعا عليه النبى ﷺ فشل بعض أصابعه التى كتب بها •

ومن أعـــلامه : عليه الصلاة والسلام : أن خباب بن الأرت أتاه حين اشتد الأذى من قريش ، فقال : يا رســـول الله ادع لنـــا ربك أن يستنصر لنا على مضر ، فقال : انكم تعجلون • لقد كان الرجل من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد حتى يخلص الى ما دون عظمه من لحم أو عصب ويشق بالمنشار ولا يرده ذلك عن دينه ، وانكم لتعجلون • والله ليمضى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صـــنعاء الى حضر موت لا يخاف الا الله ، أو الذئب على غنمه • ثم دعا عليهم فقال : اللهم اشدد وطأتك على مصر واجعلها عليهم سنين كسنى يوســـف فقطع الله عنهم المطر ، حتى مات الشجر ، وذهب الثمر وأجدبت الأرض ، وماتت المواشى ، واشتروا القد وأكلوا العلهز ، فلما انتهت بهم الموعظة استعطفوه ، فعطف ورغب الى الله تعالى فمطروا •

ومن أعـــلامه : صلى الله تعالى عليه وســـلم : ما رواه ابن عباس قال : قيل لعمر حدثنا عن شبان جيش العسرة فقال عمر رضى الله تعالى عنه : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد ، حتى خشـــينا أن تنقطع ركابنا • فكـــان الرجل يذهب ليلتمس المـــاء ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى كان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى على صدره ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا ، فادع الله لنا •

قال : أتحب ذلك ؟ قال : نعم • فرفع رسول الله ﷺ يده فلم يرجعها حتى مالت السحاب ، فأظلت وأمطرت ، ثم مطرت فحملوا بما معهم ، فذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر •

ومن أعلامه : ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال : أتى أعرابى الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبى يصطبح ، ثم أنشد •

أتيناك والعذراء تدمى لبانها ... وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
وألقى بكفيه الصبى استكانة ... من الجوع ضعفا ما يمر ، وما يحلى
ولا شىء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامى والعلهز الغشل
وليس لنا الا اليك فرارنا ... وأين فرار الناس الا الى الرسل؟

فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه ، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا سريحا طبقا غير رائث ينبت به الزرع ويملأ به الضرع ، ويحيى به الأرض بعد موتها « وكذلك تخرجون » فما استمر الدعاء ، حتى ألقت السماء بأودقها فجاء أهل البطانة يضجون يا رسول الله الغرق • فقال : حوالينا ولا علينا • فانجاب السحاب عن المدينة كالاكليل فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه• وقال : لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذى ينشدنا شعره؟ فقام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يدمى محمد ... ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقام رجل من كنانة وأنشد :

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبى المطر

دعـــا الله خـالقـه دعـــــوة ... وأشـخص منـه اليـه البصر
فلم يـك الا كالقـــاء الـرداء ... وأسرع حتى رأينـــا الـدرر
وفـاق العـزالى جـم النفـاق ... أغـاث بـه الله علينـا مضر
وكـان كمـــا قـــاله عمـــه ... أبـو طـالب أبيضـا ذا غـرر
بـه الله يسـقى صـوب الغمام ... وهـذا العيـان لذاك الخبـر

فقال رسول الله ﷺ : ان يك شاعر يحسن فقد أحسنت •

ومن شبه هذا : ما أظهره الله تعالى من كرامته فى عمه العبـاس رضى الله تعالى عنه • حين استسقى به عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فدعا العباس وأمنت الصحابة والنـاس فامطرت السـماء مطرا عظيمـا •

ومن أعـلامه : صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى أن أسـماء بنت عميس قالت لفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها : ان على بن أبى طالب كان عند النبى ﷺ ، وقـد أوحى اليه فجلله بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس أو كادت تغيب ، ثم انه سرى عن رسول الله ﷺ فقال : أصليت يا على ؟ قال : لا قال : اللهم رد على على الشمس فرجعت الشـمس أو وقفت ، حتى صـلى على كرم الله تعالى وجهـه

وهذه مثل ما وقع ليوشع بن نون •

ومن أعـلامه : عليه الصلاة والسلام : ما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن ، فقلت : يا رسول الله تبعثنى وأنا حـدث السـن لا علم لى بالقضاء ؟ قال : انطلق ، فان الله يهدى قلبك ويثبت لسانك • قال على رضى الله تعالى عنه : فما شككت فى قضاء بين اثنين ولذا قـال ﷺ : « أقضاكم على » .

ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضى الله تعالى عنهما

وهو يومئذ غلام : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، فخرج أفقه الناس فى الدين وأعلمهم بالتأويل حتى سمى البحر لسعة علمه .

ومن أعلامه : ما رواه أبو العالية عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ بتميرات فقلت : ادع لى بالبركة فيهن فوضعهن على يدى ثم دعا بالبركة فيهن ، ثم قال : أجولهن فى المزود ، فاذا أردت شيئا فأدخل يدك فيه ولا تنثره ، قال قال أبو هريرة : فلقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا فى سبيل الله تعالى ، وكنا نأكل منه ونطعم ، وكان لا يفارق حقوى ، فلما كان يوم قتل عثمان انقطع فذهب

ومن أعلامه : ما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أو أبى سعيد بالشك أنهم كانوا مع النبى ﷺ فى غزاة تبوك فأصابتهم مجاعة ، فدعا النبى ﷺ بنطع ، فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجىء بكف ذرة ، وجعل الآخر يجىء بكف تمر ، وجعل الآخر يجىء بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شىء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : خذوا فى أوعيتكم . فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء الا ملأوه ، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة . فقال رسول الله ﷺ أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة .

ومن أعلامه : ما رواه جعيل الأشجعى قال : غزوت مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته . فقال : سر يا صاحب الفرس . فقلت : يا رسول الله هى عجفاء ضعيفة فدفع مخفقة فى يده فضربها بها . وقال : اللهم بارك له فيها . فلقد رأيتنى ما أمسك رأسها أن تقدم الناس ، ولقد بعت من بطنها الجم الكثير .

ومن أعلامه : ما روت عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى أوبأ أرض فيه . فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وصححها لنا وبارك فى صاعها ومدها وانقل حماها الى الجحفة . فصارت كذلك .

ومن أعـلامه عليه الصلاة والسلام : ما ذكره شيخ الاسلام فى اقتضاء الصراط المستقيم أنه دعا لأنس بن مالك أن يكثر الله تعالى ماله وولده فكان نخله يحمل فى السنة مرتين خلاف عادة بلده ورأى من ولده وولد ولده أكثر من مائة فان مثل هذا الحادث يعلم أنه كان بسبب ذلك الدعـاء .

ومن أعـلامه : انه عليه الصلاة والسلام أخـذ يوم بدر كفا من حصى وتراب ورمى به فى وجوه القوم ، وقال : شاهت الوجوه فتفرق الحصى فى المشركين ، ولم يصب ذلك الحصى والتراب أحـدا الا قتل أو أسر ، وفيه نزل قوله سـبحانه « **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** » .

ومن أعـلامه أن الطفيل بن عمرو الدوسى قدم مكة وكان شاعرا لبيبا فقالت قريش له : احذر محمدا فان قوله كالسحر يفرق بين المرء وزوجه . فأتاه فى بيته وقال يا محمد أعرض أمرك ، فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم وقال : يا رسول الله انى امرؤ مطاع فى قومى ، وانى راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام ، فادع الله تعالى أن يجعل لى آية تكون عونا عليهم . فقال اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذا كنت بالثنية وقع نور بين عينى مثل المصباح ، فقلت : اللهم فى غير وجهى ، أخشى أن يظنوا بى أنها مثلة ، فتحول فوقع فى رأس سوطى فجعـل الحاضرون يرون ذلك النـور فى سـوطى كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط من الثنية ، ثم دعوت رؤساء قومى الى الاسلام فأبطأوا فجئت رسول الله ﷺ بمكة . فقلت : يا رسول الله انهم قد غلبونى على دوس ، فادع الله تعالى عليهم فقال : اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم الى الله تعالى وارفق بهم ، فرجعت اليهم فلم أزل بأرض دوس أدعـوهم حتى أسـلموا .

ومن أعـلامه : مـا رواه أبو نهيك الأزدى عن عمرو بن اخطب

استسقى رسول الله ﷺ فأتيته باناء فيه ماء وفيــه شــعرة فرفعتها فناولته ثم قال : اللهم جمله • قال : فرأيته بعد ثلاث وتســعين ما فى رأسه ولحيته شعرة بيضاء ، ونهى رســول لله ﷺ أن يعقص الرجل شعره فى الصلاة فرأى رجلا عقص شعره فى الصلاة • فقال : قبح الله شعرك • فصلح مكانه •



فصــــــل

فى انذاره عليه الصلاة والسلام بما يحدث بعده

روى فضالة بن أبى فضالة الأنصارى قال : خرجت مع أبى الى ينبع عائدا لعلى رضى الله تعالى عنــه وكان بها مريضا فقال له أبى : يا أبا الحسن ما يقيمك بهــذا البلد ؟ لا آمن أن يصــيبك أجلك ، ولا يكن أحد يليك الا أعراب جهينة ، فان احتملت الى المدينة ، فان أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك • فقال : يا أبا فضالة أخبرنى حبيبى وابن عمى رسول الله ﷺ أنى لا أموت حتى أؤمر ولا أموت حتى أقتل الفئة الباغية ، ولا أموت حتى تخضب هذه من هذا الدم ، وضرب على لحيته وهامته قضاء مقضيا وعهدا معهودا وقد خاب من افترى •

ومن انــذاره : ما رواه أبو سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ بمارية القبطية فى بيت حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنه • ، فوجدتها معه تضاحكه • فقالت : يا رسول الله فى بيتى من دون بيوت نسائك ؟ قال : فانها على حرام أن أمســها • ثم قال لها يا حفصة ألا أبشرك ؟ قالت : بلى بأبى أنت وأمى • قال : يلى هذا الأمر من بعدى أبو بكر ثم يليه من بعد أبى بكر أبوك • اكتمى هــذا على ، فخرجت حتى دخلت على عائشــة فقالت لها : ألا أبشرك

يا ابنة أبى بكر ، فقالت : بماذا ؟ فذكرت ذلك لها • وقالت : قد استكتمتنى فاكتميه ، فأنزل جـل وعز « **يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟** » ولعل لنا عودة الى الكلام على هذه الآية الكريمة فى محله أيضا ان شاء الله تعالى فلا تغفل •

ومن انـذاره : ماروأه عبد الله بن عباس رضى الله تعـالى عنهما قال : كنت قاعدا عند رسول الله ﷺ اذ أقبل عثمان فلما دنا منـه • قال : يا عثمان تقتل وأنت تقرأ ســورة البقرة تقع قطرة من دمك على « فسيكفيكهم الله » يغبطك أهل المشرق والمغرب ، وتبعث يوم القيامة أميرا على كل مخذول •

ومن انـذاره : ما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : من أحب أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر الى طلحة ابن عبيـد الله •

ومن أنـذاره عليه الصلاة والسلام أنه قال لفاطمة رضى الله تعالى عنها : انك أول أهل بيتى لحاقا بى • ونعم السلف أنالك ، فكانت أول من مات بعده من أهل بيته •

ومن انـذاره : ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لنسـائه : ليت شعرى أيتكن راكبة الجمل الأريب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها ويســارها قتلى كثير ، تنجو بعد ما كادت تقتل ، فقيل ان عائشة رضى الله تعالى عنها وصلت الى مياه بنى عامر ليلا فنبحتها كلاب • فقالت : ما هذا ؟ قالوا الحوأب • قالت : ما أظننى راجعــة ان رسول الله ﷺ قال لنا ذات يــوم كيف باحداكن اذ نبح عليها كلاب الحوأب •

ومن انذاره ما رواه ثابت عن الحسن البصرى قال : كان الحسن بن على

رضى الله عنهما يجىء ورسول الله ﷺ ساجد فيجلس على عنقه فاذا أراد أن يرفع رأسه أخذه فوضعه فى حجره ، ثم قال : ان ابنى هذا سيد ، وان الله تعالى سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فكان الأمر كذلك •

ومن انذاره : ما رواه عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : دخل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما على رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره • فقال جبرائيل : يا محمد ان امتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأتاه بتربة بيضاء ، فقال : فى هذه الأرض يقتل ابنك • هذا اسمها الطف ، فلما ذهب جبرائيل عليه السلام خرج رسول الله ﷺ الى أصحابه والتربة فى يده ، وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وحذيفة وعمار وأبو ذر رضى الله عنهم وهو يبكى فقالوا : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرنى بجبرئيل أن ابنى الحسين يقتل من بعدى بارض الطف فجاءنى بهذه التربة وأخبر أن فيها مضجعه •

ومن انذاره عليه الصلاة والسلام : ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما دخل على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما فقال لها : ان أمير المؤمنين أوصانى بك فهل لك من حاجة ؟ قالت : مالى من حاجة لكن انتظرنى حتى أحدثك شيئا سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول : يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، أما الكذاب فقد رأيناه تعنى المختار ، وأما المبير فأنت • فقال الحجاج : أنا مبير المنافقين •

ومن انذاره : ما رواه عبد الملك بن عمير قال : قال معاوية رضى الله تعالى عنه والله ما حملنى على الخلافة الا قول رسول الله ﷺ يا معاوية اذا وليت فأحسن •

ومن انذاره ما : رواه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما

عن أبيه أن النبى ﷺ نظر اليه مقبلا فقال : هـذا عمى أبو الخلفاء الأربعين أجود قريش كفاران من ولده السفاح والمنصور والمهدى ، يا عم بى فتح الله تعالى هذا الأمر ويدخل فى ولدك ٠

الى أكثر من نظائر هذا تركناه خشية السآمة ٠



فصـــل

فـى

معجزة ما ظهر من البهائم

اذا كان الاعجاز خارقا للعادة لم يمتنع فيه ظهور ما خالفها ، واذا كانت البهائم مسلوبة الأفهام مفقودة الكلام ، فليس بمستنكر اذ أراد الله تعالى بها اظهار معجزات يعطيها من المعرفة أن تنطق بما ألهمها وتخبر بما علمها ثم يسلبها ذلك ، فتعود الى طبعها كمعجزة موسى عليه السلام فى العصا ، أن صارت حية تسعى لتكون باهر الآيات قاهر المعجزات ٠

فمن آياتـه : أن رجلا كان فى غنمه يرعاها فعلفها ساعة فغفل عنها ساعة من نهاره فخاتله ذئب فأخذ منها شاة فأقبل يلهف فطرح الذئب الشاة ثم كلمه بكلام فصيح فقال الرجل : تا لله ما رأيت كاليوم عجبا فكلمه الذئب وقال أنتم أعجب وفى شأنكم عبرة ، ، هـذا محمد يدعو الى الحق ببطن مكة وأنتم لاهون عنه ؟ فهدى الرجل لرشده وأقبل حتى أسلم وحدث القوم بقصته وبقى لعقبه شرف يفتخرون به على العرب ، ويقول مفتخرهم : أنا ابن مكلم الذئب ٠

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه أبو سعيد

الخدرى رضى الله تعالى عنه قـال : بينا راع يرعى فى الحيرة اذ جاء ذئب الى شـاة من غنمه فانتهزها فحال الراعى بين الذئب والشـاة ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال للراعى : ألا تتقى الله ؟ تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى ؟ فقال الراعى العجب من ذئب يقعى على ذنبـه يكلمنى بكلام الانس ، فقال له الذئب لا أحدثك بأعجب من هذا ؟ هذا رسول الله بين الحيرتين يحدث الناس بأنباء ما سـبق ، فأخذ الراعى الشاة فأتى بها المدينة وأتى الى رسول الله ﷺ فأخبره ، فخرج الى الناس وقال للراعى : قم وحدثهم • فقام فحدثهم فقال صدق الراعى وكان اسمه عمير الطائى ، فسمى بمكلم الذئب •

أقول : لعله يختلج فى ذهن نصرانى وشبهه ان هذه الرواية ونحوها يمكن اختلاقها ، ويمكن أن ذلك تعليم لهذا الراعى أن يقول كذا ، فنقول له : ان هذا الاختلاج من أبعد ما يكـون لأن هـذه الروايات المتعددها يقوى بعضها بعضا ، فهى من حيث المجموع مفيدة للتواتر المفيد للعلم ، فانكارها مكابرة وكذا مظنة التعليم والمواطأة كما لا يخفى على كل منصف وهذا عيسى عليه السلام لم يأتنا بخبر معجزاته بعد القرآن الا آحاد ممن اتبعه ، كأصحاب الأناجيل فقط • وحـال أناجيلهم معلومة وأكثر رواياتها عن امرأة أو عن رجل واحد ، مع أن اليهـود قالوا ان ابراءه للمقعد ونحوه لم يكن صـحيحا ، بل كان مواطأة وتعليم لشـخص أن يظهر حاله كذلك ، ثم يأتيه ويقول له : قم فيقوم ، فترى الناس أنـه أبرأه • فكل من أنكر معجزات الرسل يتشبث بمثل هذه الظنون الواهية والاحتمالات البعيدة العاطلة ، فنعوذ بالله تعالى من الخذلان ونسـأله سبحانه دوام كامل الايمان آمين •

ومن آياتـه : ما روى ابن عمر عن أبيه رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه اذ جاء أعرابى قد صاد ضبا وجعله فى كمه ليذهب به فيأكله ، فلما رأى الجماعة قال : ما هـذا ؟ قالوا النبى ﷺ فجاء يشق الناس وقال واللات والعزى ما أحد أبغض

الى منك ، ولولا أن تسميني قومى عجولا لعجلت فقتلتك . فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله دعنى أقوم فأقتله . فقال : يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا . ثم قال للأعرابى : ما حملك على ما قلت ؟ فقال واللات والعزى لا أؤمن بك حتى يؤمن بك هذا الضب . فأخرج الضب من كمه فطرحه بين يدى رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : يا ضب . فأجابه الضب بلسان عربى مبين يسمعه القوم جميعا : لبيك وسعديك يا زين من يوافى يوم القيامة . قال : من تعبد ؟ قال : الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه . قال رسول الله ﷺ : فمن أنا يا ضب ؟ قال : أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك . فقال الأعرابى لا أتبع أثرا بعد عين ، والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أحدا أبغض الى منك ، وانك اليوم أحب الى من نفسى ومن ولدى ووالدى ، وانى لأحبك بداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى ، أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله . فقال النبى ﷺ : الحمد لله الذى هداك بى ، ان هذا الدين يعلو ولا يعلى فرجع الأعرابى الى قومه ، فأخبرهم بالقصة ، وكان من بنى سليم ، فأتى رسول الله ﷺ ألف انسان منهم فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد بن الوليد ، ولم يؤمن من العرب ألف فى وقت واحد غيرهم . هذه واقعة مشهورة لا ينكرها الا مكابر .

ومن آياته عليه الصلاة والسلام : ما رواه أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ حائطا للأنصار ومعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه وغيره ، وفى الحائط — أى البستان — عنز فسجدت له ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه العنز فقال : أنه لا ينبغى أن يسجد أحد لأحد ، ولو جاز السجود لغير الله تعالى لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

ومن آياته ما رواه عبد الله بن أبى أوفى قال : بينما نحن قعود عند رسول الله ﷺ اذ أتاه آت فقال يا رسول الله ناضح بنى فلان قد

دبر عليهم • قال : فنهض ونهضنا معه • فقلنا : يا رسول الله لا تقربه فانا نخاف عليك ، فدنا من البعير ، فلما رآه البعير سـجد له ، فوضع يده على رأس البعير ، وقال : هات السكان فوضـعه فى رأسه وأوصى بـه خيرا •

ومن آياته : أنه عليه الصلاة والسلام بينما هو جالس فى أصحابه اذا هو بجمل قد أقبل له رغاء ، فوقف • فقال رسول الله ﷺ : أتدرون **ما يقول هذا ؟ انه ليقول :** انى الآل فلان لحى من الخزرج استعملونى وكدونى حتى كبرت وضعفت ، فلما لم يجدوا فى حيلة يريدون ذبحى ، فأنا أستغيث بك منهم ، فأوقفه رسول الله ﷺ وبعث اليهم فاستوهبه منهم فوهبوه وخلاه فى الحى •

ومن آياتـه : ما روى جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه قال : كنا جلوسا عند صنم لنا قبل أن يبعث رسـول الله ﷺ بشهر فنحرنا جزورا فسمعنا صائحا يصيح : اسمعوا الى العجب ذهب استراق السمع للنبى بمكة اسمه أحمد ، مهاجرته الى يثرب • فكان هذا الأمر من الآيات المنذرة والآثار المبشرة به ﷺ •

ومن آياتـه صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه برذة عن مكحول رضى الله عنـه قـال : بينا أهل ذريح حى من العرب عرب اليمن فى مجلسهم اذ أقبل عجل فتبسم فقال : أهل ذريح ، أمر نجيح ، ببطن مكة يصيح ، بلسان فصيح ، شهادة أن لا اله الا الله • فأجيبوه •

فان قيل : فيجوز أن يكون ما يسـمع من كلام البهائم كالصـدى يحكى كلام المتكلم فيظنه السامع كلام الصـدى • وهو كلام المتكلم ويكون بقوة يحدثها الله تعـالى فى المتهيىء لذلك يخفى عن الأسـماع والأبصـار •

فعنـه جـوابات :

أحـدها : أن الصدى يحكى كلاما مسموعا اذا قابله قبل صوته

فحكاه وليس كلام البهيمة مقابلا لكلام يحكيه فامتنع التشاكل .

والثـانى : أن القوة المهيأة لذلك ليست من جنس قـوى البشر فلا يكون فى التفاضل اعجاز ، وانما هى خارجة عن جنس قواهم فخرج عن قدرتهم ، وما خرج عن قـدرة البشر كان معجزا ، لو صح هـذا الاعتراض لبطل به الاعتراض .



فصـــل

فـى

ظهور معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشجر والجماد

ولئن كانت المعارف من الجمادات أبعد ، والكلام منها أغرب فليس بمستبعد ولا مستغرب أن يحـدث الله تعالى فيهـا من الآيات الخارجة عن العادة ما يحج الله سبحانه به من استبصر ويمد به من استنصر .

فمن آياتـه صلى الله تعالى عليه وسلم : ما حكاه أهل النقل عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه خطب على الناس خطبته المعروفة بالفاضحة فقـال فيها : الحمد لله الذى هو العـالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب ، أيها الناس اتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ، ولا تطيعوا أسـاس الفسـوق وأحلاس العقوق ، فان الله تعالى مختبر عباده المستكبرين فى أنفسـهم بأوليائه المستضعفين فى أعينهم ، ألا ترون أنـه اختبر الأولين من لدن آدم الى الآخرين من هذا العالم بأنواع الشدائد وتعبدهم بألوان المجاهد ليجعل ذلك أبوابا ، فتحا الى فضله وأسبابا ذللا لعفوه ، فاحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال ، أن تكونوا أمثالهم .

فلقد كانوا على أحوال مضطربة وأيدى مختلفة وجماعة متفرقة فى بلاء أزلى واطباق جهل ، من بنات موءودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة • فانظر الى مواقع نعم الله تعالى عليهم حين بعث اليهم رسولا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها وأسالت لهم جداول نعيمها ، فهم حكام على العالمين وملوك فى أطراف الأرضين ، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ، ويمضون الأحكام على من كان يمضيها فيهم ولقد كنت مع رسول الله ﷺ وقد أتاه الملأ من قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم تدعه آباؤك ولا أحد من أهل بيتك ونحن نسألك أمرا ان أجبتنا اليه وأريتناه علمنا انك نبى ورسول ، وان لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب • قال لهم وما تسألون ؟ قالوا : تدع لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك • فقال ﷺ : ان الله على كل شىء قدير ، فان فعل الله ذلك لكم أتؤمنون وتشهدون بالحق ؟ قالوا : نعم • قال : فانى سأريكم ما تطلبون وانى لأعلم أنكم لا تفيئون الى خير وان منكم من يطرح فى القليب ومن يحزب الأحزاب •

ثم قال عليه الصلاة والسلام : يا أيتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أنى رسول الله فتنقلعى بعروقك حتى تقفى بين يدى باذن الله تعالى •

قال على كرم الله تعالى وجهه : فو الذى بعثه بالحق لقد انقلعت بعروقها وجاءت ولها دوى شديد حتى وقفت بين يدى رسول الله ﷺ مرفرفة وألقت بغصنها الأعلى عليه وببعض أغصانها على منكبى وكنت عن يمينه فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا : فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها • فأمرها بذلك فأقبل نصفها كأعجب ما يكون اقبالا وأشده دويا فكادت تلتف برسول الله ﷺ فقالوا كفرا وعتوا : فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان ، فأمره فرجع ، فقلت لا اله الا الله أنا أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من آمن بأن الشجرة فعلت بأمر

الله تصديقا لنبوتك واجلالا لكلمتك • فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب عجيب السحر ، وهل يصدقك الا مثل هذا ؟ يعنونى •

وهذا حكاه خطيبا على الأشهاد ، وقل أن يخلو جمع مثله ممن يعرف حق ذلك من باطله • فكانوا بالموافقة مجمعين على صحته ، ولولاه لظهر الرد وان ندر ، وهذا من أبلغ آياته واظهار اعجاز له عليه الصلاة والسلام •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه عبد الله بن بريدة عن أبيه قال جاء أعرابى الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد هل من آية فيما تدعو اليه ؟ قال : نعم ائت تلك الشجرة فقل لها رسول الله يدعوك • فمالت عن يمينها ويسارها وبين يديها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض حتى وقفت بين يديه ، فقال الأعرابى : مرها فلترجع الى منبتها فأمرها فرجعت الى منبتها وقال الأعرابى : ائذن لى اسجد لك فقال : لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لى أن أقبل يديك ورجليك فأذن له •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه يعلى بن شبابة قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى سير فأراد أن يقضى حاجته فأمر ودتين فانضمت احداهما الى الأخرى ثم أمرهما بعد قضاء حاجته ان يرجعا الى منبتهما فرجعتا •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى مكة فخرج فى بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : **أنه مر فى غزوة الطائف** فى كثيف من طلح ، فمشى وهو وسن من النوم ، فاعترضته سدرة

فانفرجت السدرة له نصفين ، فمر بين نصفيها • قال الماوردى : وبقيت السدرة منفرجة على ساقين الى قريب من أعصارنا هذه • وكانت معروفة بذلك فى مكانها ، ويسمونها سدرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم •

ومن آياتـه عليه الصلاة والسلام : ما رواه سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : صعد النبى ﷺ حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن والزبير وطلحة وسعيد ، فتحرك الجبل • فقال النبى ﷺ : اسكن حراء ، فليس عليك الا نبى أو صديق أو شهيد فسكن الجبل •

ومن آياتـه صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه جابر بن عبد الله قال : كان فى رسول الله ﷺ خصال لم يكن يمر فى طريق فيتبعه أحد الا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه ، ولم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له •

ومن آياتـه صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأخذ كفا من حصى فسبحن فى يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن فى يد أبى بكر فسبحن فى يده ، حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن فى أيدينا ، ، فما سبحن فى أيدينا •

ومن آياته عليه الصلاة والسلام : ما رواه جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على •

ومن آياتـه عليه الصلاة والسلام : أن عكاشة بن محصن انقطع سيفه بيده يوم بدر ، فدفع اليه رسول الله ﷺ قطعة من خشب ، وقال : قاتل بها الكفار يا عكاشة فتحولت سيفا فى يده فكان يقاتل به •

ومن آياتـه صلى الله تعالى عليه وسلم : جذع كان يستند اليه

فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع اليه فحن اليه الجذع حتى ضمه اليه ، فسكن • وهذا أمر مشهور بين الصحابة •

ومن آياته عليه الصلاة والسلام : أن مكرزا العامرى أتاه فقال : هل عندك من برهان نعرف به أنك رسول الله ؟ فدعا بسبع حصيات فسبحن فى يده ، فسمع نغماتها من جمودتها • وهذا أبلغ من احياء عيسى عليه السلام للموتى •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : أنه لما حاصر الطائف سموا له جذعة ، فكلمه منها الذراع ، فقالت لا تأكلنى فانى مسمومة وهذا أمر شهير • وهو نظير احياء الموتى وسيأتى أيضا الكلام عليه فى محله ان شاء الله تعالى •

ومن آياته : أنه عليه الصلاة والسلام أول ما أوحى اليه لم يمر بحجر ولا مدر الا سلم عليه بالنبوة • وهذا نظير قوله تعالى لداود : **« يا جبال أوبى معه والطير »** •

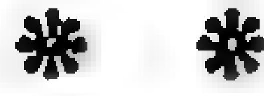
ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه حمزة بن عمرو الأسلمى قال : نفرنا مع رسول الله ﷺ فى ليلة ظلماء فأضاءت أصابعه •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : انكم تعدون الآيات عذابا وانا كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ بركة ، لقد كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام •

قال الماوردى : فان قيل : يجوز أن يتخيل ذلك الناظر كما يتخيل لراكب السفينة سير النخل والشجر • فعنه جوابان : احدهما : أنه وان تخيل ذلك لراكب السفينة فهو غير متخيل لغيره من قائم وقاعد • وهذا متحقق عند كل شاهد على اختلاف أحواله • والثانى : ان راكب السفينة يعلم أنه الخيل له غير معلوم ، وهذا معلوم • وان قيل : فقد يجوز أن

يكون فى خواص الجواهر ما يجذب النخل والشجر كما فى خاص حجر المغناطيس • فعنه جوابان : أحـدهما لو كان لظهـر ، ولو كان ذلك موجودا ، لكان الملوك عليـه أقـدر ، ولكان مدخورا فى خزائنهم ، كادخار كل مستغرب ومستظرف ، ولجاز ادعاء مثله فى قلب الأعيان وابطال الحقائق والثانى : انه لو كان ذلك لخاصية الجوهر كان بظهوره جاذبا وبملاقاته للنخل والشجر فاعلا ولما انتقل اليه عن غيره ، وعنه الى غيره • وكل هذا فيه معدوم وان كان فى حجر المغناطيس موجودا •

انتهى •



فصـــل
فـى
هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو من آيات نبوته فان كان قبل مبعثه كان من نذر آياته الصادرة عن الهام فمن هتوفها بنبوته عليه الصلاة والسلام ما حكاه ابراهيم ابن سلامة عن اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عبـاس رضى الله تعالى عنهما أنـه كان يحدث عن رجل من خثعم قال : كانت خثعم لا تحل حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد أصناما فبينا نحن عند صنم ذات ليلة نتقاضى اليه فى أمر قد شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صـائح فقال :

يا ايهـا الركب ذوو الأحكـام
هـذا نبى سـيد الأنـام
قـد طهـر النـاس من الاثام
ما انتم وطـائش الأحـلام ؟
اعـدل ذى حكم من الأحكـام
ومسـندو الحكم الى الأصنام

ويتبـع النـور على الظـلام
يصـدع بالحـق وبالاسـلام
سـيعلن فى البـلد الحـرام

قال الخثعمى ففزعنا منه وخرجت الى مكة وأسلمت مع النبى ﷺ

ومن بشائر هتوفهم : ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له : أتعرف هذا المـار يا أمير المؤمنين ؟ قـال : ومن هو ؟ قالوا ابن قارب رجل من أهل اليمن وكان له رئى من الجن ، فأرسل اليه عمر فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين. فقال : أنت الذى أتاك رئيك بظهور النبى ﷺ ؟ قـال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النـائم واليقظان ، اذ أتانى رئيى من الجن فضربنى برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب ، فاسـمع مقالى واعقل ان كنت تعقل ، انه قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب ، يدعو الى الله تعالى والى عبادته ، وأنشأ يقول :

عجبـت للجـن وتطـلابهـا   وشـدها العيـس باقتابهـا
تهـوى الى مكـة يبـغى الهـدى   مـا صـادق الجـن ككذابهـا
فارحل الى الصـفوة من هاشـم   ليـس قـداماهـا كاذنـابهـا

فقلت له دعنى فانى أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسـا . فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله ، وقال : قم يا سـواد ابن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب ، يدعو الى الله تعالى والى عبادته وأنشأ يقول :

عجبـت للجـن وتخبـارها   وشـدها العيـس باكوارهـا
فارحل الى الصـفوة من هاشـم   بـين روابيهـا واحجـارهـا
تهـوى الى مكـة تبغى الهـدى   مـا مؤمنـوا الجـن ككفارهـا ؟

فقلت دعنى فقد أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسـا فلمـا كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله . وقال : قم يا سواد بن قارب

فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل ، قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته • وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها — وشدها العيس بأحلاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم — واسم بعينيك الى راسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى — ما خير الجن كأنجاسها

قال : فاصبحت وقد امتحن الله قلبى للاسلام فرحلت ناقتى وأتيت المدينة ، فاذا رسول الله ﷺ وأصحابه فقلت : اسمع مقالتى يا رسول الله • قال : هات فأنشأت :

ثلاث ليال قوله كل ليلة — أتاك رسول الله من لؤى بن غالب
فاشهد ان الله لا رب غيره — وانك مأمون على كل غالب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى — وان كان فى ما جاء شيب الذوائب
أتانى نجيى بين هدو ورقدة — ولم أك فيما قد نجوت بكاذب
فشمرت عن ذيل الازار ووسطت — بى الذعلب الوجناء بين السباسب
وانك ادنى المرسلين وسيلة — الى الله يا ابن الأكرمين الاطائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة — سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتى فرحا شديدا حتى رؤى الفرح فى وجوههم ، قال فوثب اليه عمر رضى الله تعالى عنه فالتزمه وقال : قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث • فهل يأتيك رئيك اليوم ؟ فقال : مذ قرأت القرآن فلا • ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن •

ومن بشائر هتوفهم : ما رواه ابراهيم بن سلامة عن اسماعيل ابن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حدث يوما فى مجلس بعد رسول الله ﷺ فقال : خرجنا قبل مظهر النبى ﷺ بشهرين الى ابطح بمكة معنا عجل نريد ذبحه ، ونحن نفر ، فلما ذبحناه وتصاب دمه ومات ، اذ صاح من جوفه صائح يقول يا ذريح يا ذريح صائح يصيح بصوت فصيح نبى يظهر الحق بفيح يقول لا اله الا الله • فصاح كذلك ثلاث مرات ثم هدأ صوته وتفرقنا ورعبنا منه ، فلم يلبث النبى ﷺ أن ظهر •

فقال رجل من القوم : ما تعجب يا أمير المؤمنين ، خرجت وأصحاب لى فى تجارة لنا ونحن أربعة نفر نريد الشام حتى اذا كنا ببعض أودية الشام ، قرمنا الى اللحم قرما شديدا قبل مظهر النبى ﷺ فاذا بظبية قد عرضت لنا مكسورة القرن فلم نزل نختلها حتى أخذناها . قال : فو الله اننا نتوامر بذبحها ، اذ هتف هاتف فقال :

يا أيها الركب السراع الأربعة خلوا سبيل الظبية المروعة
فانها لطفلة ذات دعة خلو عن العضباء قدامى سعة

ثم قال : خلوا عنها فوالله لقد رأيت هذا الوادى وما يمر فيه أقل من خمسين رجلا حتى كنتم به ، قال : فارسلناها فلما أمسينا أخذنا بأزمة رواحلنا ، حتى أتى بنا الى حاضر لجب كثير الأهل فأطعمنا من الثريد ما أذهب قرمنا ثم عرجنا حتى قضى الله تعالى تجارتنا فصحبنا رجل من يهود ، فلما كن بذلك الوادى هتف هاتف فقال :

اياك لا تعجل وخذها موبقة فان شر السير سير الحقحقة
قد لاح نجم فاستوى فى مشرقه يكشف عن ظلما عبوس موبقه
يدعو الى ظل جنان مذهقه

فقال اليهودى : تدرون ما يقول هذا الصارخ ؟ قلنا : ما يقول ؟ قال : يخبر أن نبيا قد ظهر خلافكم بمكة ، فقدمنا فوجدنا النبى صلى الله تعالى عليه سلم بمكة .

ومن بشائرهتوفهم : ما حكاه أبو عيسى قال : سمعت قريش فى الليل هاتفا على أبى قبيس يقول :

ان يسلم السعدان يضح بمكة محمد لا يخشى خلاف المخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السعدان ؟ سعد بكر وسعد تميم ؟ فلما كان فى الليلة الثانية سمعوه يقول :

يا سعد سعد الأمس كن انت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف
أجيبا الى داعى الهدى وتمنيا على الله فى الفردوس منية عارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبـادة •

ومن بشـائر هتوفهم : ما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن أسماء بنت أبى بكر قالت : ما علم المشركون من أهل مكة أين توجه رسول الله ﷺ حين هاجر الى المدينـة ، حتى هتف هاتف بعـد ذلك بأيـام فقـال :

جزى الله خـيرا والجزاء بفضـله … رفيقـين حـلا خيمـتى أم معبـد
هما نخلاها بالهـدى واهتـدى به … ومقعـدها للمسـلمين بمرصـد
ليهـن بنى كعـب محـل فتـاتهم … فأفـلح مـن أمسى رفيـق محمـد

وقالت أسماء رضى الله تعالى عنها : ما علم المشركون من أهل مكة بوقعة بدر حتى هتف هاتف من جبال مكة وفتيان يسمرون بمكة فقال :

أزال الحنيفيـون بـدرا بوقعـة … سينقض منهـا ملك كسرى وقيصرا
الا ويـح من أمسى عـدو محمـد … لقـد ذاق حزنا فى الحيـاة وحسرا
أصـاب رجـالا من لؤى وجردت … واصـبح فى هامى العجـاج معفرا
حـرائر يضربن التـرائب حسـرا … تناوبـه الطـير الجيـاع وتنفـرا

فعلموا بذلك وظهر الخبر من الغد ولئن كانت هذه الهتوف أخبار آحاد عمن لا يرى شخصه ولا يحتج بقوله فخروجه عن العـادة نذير ، وتأثيره فى النفوس بشير ، وقد قبلها السامعون وقبول الأخبار يؤكـد صحتها ويؤيد حجتها •

فان قيل : ان كانت هتوف الجن من دلائل النبوة ، جاز أن تكون دليلا على صحة الكهانة •

فعنه جوابان : أحدهما : ان دلائل النبـوة غيرها • وانما هى من البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة •

والثانى ان الكهانة عن مغيب ، والبشارة عن معين • فالعيان معلوم والغائب موهوم •

بقى شىء يحسن التنبيه عليه : وهو كما قال المـــاوردى عليــه الرحمة : ان قوما أنكروا خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية ، وقــد قهرتهم براهين العقول وحجج القياس ، لأن الله تعالى أنشأ خلق العالم من أربعة أجرام جعلها أصولا لمـــا خلق من العالم الحى ، وهى الأرض والمـــاء والهواء والنار • والعالم نوعان اتفاقا علوى وسفلى • فالعالم السفلى نوعان خلقهما من جرمين أحدهما : من الأرض وهو ما عليهـــا من الحيوان • والثانى من المـــاء وهو ما فيه من السموك وهما هابطان لهبوط الأرض والمـــاء وظاهران لظهور أصلهما واستمر القياس فيهمـــا وبقى العالم العلوى جرمان الهواء والنار • وقد استقر خلق الملائكة من الهواء فاقتضى معقول القياس أن يكون خلق الجن من النار لتكـــون الأجرام الأربعة أصولا لخلق أجناس أربعة ، ولعلو الهواء ما كان عالمه من المـــلائكة علويا ، ولخفائه ما كان خفيـــا لا يهبط الا عن أمر الهى ولا يعاين الا بمعونة الهية ، ولعلو النار فى أصل هابط ما كان لعالمه من الجن علوا وهبوطا ولخفاء مكونها خفى عالمها عن العيان ، الا بمعونة الهية فصار أصلان من الأربعة محسوسين بالعيان • وهما على الأرض فى المـــاء ، وأصلان معقولين بالقياس وهما الملائكة والجن ، ولولا أن دافع ذلك عادل عن الدلائل الشرعية ، لمـــا عـــدلنا عنهـــا الى هـــذا الاستدلال الخارج عن البراهين الشرعية • انتهى •



فصـــــــل

فى ما هجست به النفوس من الهام العقول بنبوته عليه أفضل الصـــلاة والســـلام

قال المـــاوردى : العقل الهى ركبه الله تعالى فى النفوس الناطقة فهو ينذر بالخواص الكائنة حدسا ، ويعلم بعد الوجود حســـا ، فقلَّ حادث الا تقدم نذيره ، ويحسب خاطره يكون تأثيره ، ولا حادث أعظم

مما جدده الله بنبوة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فاقتضى أن يكون بشائر بنبوته أشهر ، وشواهد آياته أظهر •

فمن الهواجس بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم : أن كعب بن لؤى بن غالب كان يجتمع اليه الناس فى كل جمعة ، وكان يوم الجمعة يسمى فى الجاهلية يوم العروبة فسماه كعب يوم الجمعة ، وكان يخطب فيه الناس ، ويقول بعد خطبته : حرمكم عظوه وتمسكوا به ، فسيأتى له بناء عظيم ، وسيخرج به نبى كريم ، والله لو كنت فيه ذا سمع وبصر ويد ورجل ، لتنصبت تنصب الخيل ولارقلت ارقال الفحل ، ثم يقول :

ياليتنى شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

ومن هواجس الالهام : ما حكاه ابن قتيبة أن أبا كرب بن أسعد الحميرى آمن بالنبى ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال :

شهدت على احمد انه رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

ومن هواجس الالهام ، ما حكاه عبيد الجرهمى وكان كبير السن عالما بأخبار الأمم أن تبعا الأصغر وهو تبع بن حسان بن تبع ساير بيثرب أى مدينة الرسول ﷺ فنزل فى سفح أحد ، وذهب الى اليهود فقتل منهم ثلثمائة وخمسين رجلا صبرا وأراد خرابها • فقام اليه رجل من اليهود كبير السن ، فقال أيها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ، ولا يقبل قول الزور ، أمرك أعظم من أن يظن بك رق ، أو تصريح بك لجاج ، فانك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية ، قال : ولم ؟ قال : لأنها مهاجرنبى من ولد اسماعيل ، يخرج من هذه الثنية — يعنى البيت الحرام — فكف تبع ومضى الى مكة ومعه هذا اليهودى ورجل آخر عالم من اليهود فكسا البيت ونحر عنده ستة آلاف جزور ، وأطعم الناس وقال :

قد كسونا البيت الذى حرم الله ملاء منضدا وبرودا

وقيل : انه ملك ثلاثمائة وعشرين سنة وسيأتى ان شاء الله تعالى فى بحث المدينة بما هو أطول من هذا ٠

ومن هواجس الالهام : ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان يهودى يسكن مكة ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ حضر مجلس قريش ، فقال : يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال : القوم والله ما نعلم ٠ قال : الله أكبر أما اذا أخطأكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقول لكم ، ولد فى هذه الليلة نبى بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات ، كأنها عرف فرس ، فتصارع القوم عن مجلسهم وهم متعجبون من قوله ، فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله ، فقالوا : ولد لعبد الله ابن عبد المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم الى اليهودى فأخبروه ٠ فقال : اذهبوا بى حتى أنظر اليه ، فأدخلوه على آمنة وقالوا : اخرجى الينا ابنك ، فأخرجته وكشفوا عن ظهره ، فرأى اليهودى تلك الشامة فوقع مغشيا عليه ٠ فلما أفاق قالوا له : مالك ؟ قال : ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل ، يا معشر قريش ٠ والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب ، وكان فى القوم الذين أخبرهم اليهودى بذلك هشام بن لمغيرة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة بن ربيعة ، فعصمه الله تعالى منهم ٠

ومثله : أنه كان لقريش فى الجاهلية عيد يجتمع فيه النساء دون الرجال ، فاجتمعوا فيه فوقف عليهن يهودى ، وفيهن خديجة رضى الله عنهما فقال لهن يا معشر نساء قريش يوشك أن يبعث فيكن نبى ، فأيتكن استطاعت أن تكون له أرضا فلتفعل ، فحصبنه ووقر ذلك فى نفس خديجة حتى حققه الله تعالى لها ، فكانت أول من آمن به ٠

ومثله : أن جماعة من النصارى قدموا من الشام تجارا الى مكة ، فنزلوا بين الصفا والمروة ، فرأوه وهو ابن سبع سنين ، فعرفه بعضهم بصفته فى كتبهم ، وسمته فى فراستهم ، فقال له : من أنت ؟ وابن من

أنت ؟ فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب • فقال له : من رب هذه ؟ وأشار الى الجبال • فقال الله ربها لا شريك له • فقال له : من رب هذه ؟ وأشار الى السماء فقال الله ربها لا شريك له ؟ فقال له النصرانى : فهل له رب غيره ؟ فقال : لا تشككنى فى الله ؟ ما له شريك ولا ضد • فقام عليه الصلاة والسلام بالتوحيد فى صغره ، وفصح النصرانى بخبره ، وأنذر بنبوته •

ومثاله : قصة بحيرا الراهب • وقد تقدمت •

ومن هواجس الالهام : ما نقله الماوردى قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن على عن عمر بن حماد الفقيه قال حدثنا عمر بن محمد أن بحيرا السمرقندى قال حدثنا أحمد بن عبد ربه الضبى قال أخبرنا عبد الرحمن ابن نوح بن عبيد قال حدثنا عمر بن بكير قال حدثنى أحمد بن القاسم عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبى ﷺ بسنين أتى وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته ومدحه ، وذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه ، فأتاه وفد من قريش وفيهم عبد المطلب ابن هاشم وأمية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وأسد بن خويلد ابن عبد العزى فى ناس من أشراف قريش ، فلما قدموا عليه اذا هو فى رأس قصر يقال له غمدان • وهو الذى يقول فيه أمية بن أبى الصلت:

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا ... فى رأس غمدان دار منك محلالا

قال : فاستأذنوا عليه ، فأذن لهم فدخلوا عليه فاذا الملك مضمخ بالعبير يرى وبيص الطيب من مفرقه عليه بردان متزرا بأحدهما مرتد بالآخر ، سيفه بين يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك والمقاول • قال : فدنا عبد المطلب واستأذن فى الكلام • فقال : ان كنت ممن تكلم بين يدى الملك فتكلم فقد أذنا لك • فقال عبد المطلب : ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه فى أكرم موطن وأطيب معدن وأنت أبيت اللعن ملك العرب وربيعها الذى به يخصب ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذى

الذي تنقاد عمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى تلجأ اليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا اليك الذى أبهجنا لكشف الكرب الذى فرحنا ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزأة فقال ابن ذى يزن : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم.قال : ابن أختنا.قال : نعم ابن أختكم. قال : ادن فأدناه على القوم وعليه ، فقال : مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا ، يعطى عطاء جزلا . قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل وأهل النهار لكم الكرامة ما أقمتم ، والحباية اذا ظعنتم ، قال : ثم استنهضه الى دار الضيافة والوفود،فأقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف قال : ثم انتبه انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأخلاه وأدنى مجلسه ، وقال : يا عبد المطلب انى مفوض اليك من سر علمى ما لو كان غيرك لم أبح له ، ولكن رأيتك معدنه وأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ فيه أمره انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيره،خبرا عظيما وخطرا جسيما ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ، ولرهطك كافة ولك خاصة .

قال عبد المطلب أيها الملك فمثلك من سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر ؟ قال : اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ، ولكم بالزعامة الى يوم القيامة . فقال له عبد المطلب أبيت اللعن لقد أتيت بخبر ما أتى بمثله وافد ، فلولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من بشارته اياى ما ازداد به سرورا .

قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذى يولد فيه ، أو قد ولد ، اسمه أحمد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، قد ولدناه مرارا ، والله باعثه جهارا وجاعل منا له أنصارا ،يعز بهم أولياؤه ويذل بهم أعداؤه ، يضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الأرض يكسر الأوثان .

ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان • قوله فصـل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ، قال عبد المطلب : أيها الملك عز جدك وعلا عقبك وطاب ملكك وطال عمرك ، فهل الملك سارى بافصاح فقد أوضح بعد الايضاح ؟ فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على النصب ، انك يا عبد المطلب لجده غير الكذب • قال : فخر عبد المطلب ساجدا • فقال ابن ذى يزن : ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟ قال : نعم أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجبا رفيقا أو رقيقا فزوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، فأتت بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة ، وفيه كل ما ذكرت من علامة ، قال ابن ذى يزن : ان الذى قلت لك لكما قلت لك ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود ، فانهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، فاطو ما ذكرته دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فانى لست آمن أن بداخلهم النفاسة من أن تكون لك الرئاسة ، فيبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل ، وهم فاعلون • وأبناؤهم • ولولا أنى أعلم أن الموت يجتاحنى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكى ، فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أنى أقيه الآيات وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنه ذكره ، وأوطئت أسنان العرب عقبه ، ولكنى صارف ذلك اليه بغير تقصير مما معك ، ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد وعشرة اماء سود ، وحلتين من حلل البرود ، وخمسة أرطال ذهب ، وعشرة أرطال فضة وكرشا مملوءة عنبرا ولعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك • وقال له : اذا حال الحول فأتنى بأمره وما يكون من خبره قال : فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول • قال : فكان عبد المطلب كثيرا يقول : يا معشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ، وان كان كثيرا فانه الى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره وشرفه ، فاذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول لكم ولو بعد حين •

ومن هواجس الالهام : ما حكاه عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد ابن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبيا من ولد اسماعيل من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه وأنا أومن به وأصدقه واشهد انه نبى ، فان طالت بك مدة فرأيته فاقرأه منى السلام وسأخبرك ما نعتــه حتى لا يخفى عليك . قلت : هلم . قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليس يفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد . وهــذا البلد مولده ، ثم يخرجه قومه منهــا ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر الى يثرب فيظهر أمره ، فاياك أن تخدع عنه ، فانى طفت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم فكل من أسئل عنــه من اليهود والنصــارى والمجوس يقولون هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعت لك ويقولون : لم يبق نبى غيره قال عامر : فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ بقول زيد وأقرأته منه السلام ، فرد عليه السلام وترحم عليه ، وقال عليه الصلاة والسلام : قد رأيتــه فى الجنة يسحب الذيول .

ومن هواجس الالهام : ما رواه الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قــال : بعث الله تعالى الى كسرى ملكا وهو فى بيت ايوانه الذى لا يدخل عليه فيه ، فلم يرعه الا به قائما على رأسه فى يده عصا بالهاجرة من ساعته التى كان يقيل فيها . فقال : يا كسرى أتســلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل ، فانصرف عنه ، فدعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، فقال : من أدخل هذا الرجل ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحد ولا رأيناه ، حتى اذا كــان العــام القابل أتاه فى الساعة التى أتاه فيها فقال له كما قال ، ثم قال : أتســلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل بهل ثلاثا فخرج عنه ، فدعا كسرى حراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، وقال لهم كما قال لهم أول مرة ، فقالوا : ما رأينا أحدا دخل عليك ، حتى اذا كان فى العام الثالث أتاه فى الســاعة التى أتاه فيها ، فقال له كما قال ، ثم أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال :

بهل بهل فكسرها • ثم خرج فلم يزن الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس على قتله حتى قتلوه •

ومن هواجس المنام : ما حكاه ابن قتيبة أن كسرى أبرويز هرمز كان سائرا ذات يوم فهوم على مركبه وطال حتى استغفل فأيقظه بعض قواده ، فانتبه مذعورا لرؤيا رآها قطعها عليه الموقظ له • فقال : رأيت قائلا لى انكم غيرتم فغيرناكم ، وننقل الملك الى أحمد ، وقيل له : سلم ما بيدك الى صاحب الهراوة ، الى أن ورد عليه كتاب النعمان بن المنذر يخبر فيه أن خارجا نجم بتهامة ، يخبر أنه رسول الله اله السماء والأرض الى أهل الأرض كافة فارتاع لذلك وأكبره وعلم أنه الذى رآه فى منامه ، وكان يتوقعه •

ومن هواجس المنام : ما رواه عروة بن مفرس عن مخرمة بن نوفل عن أمة رقيقة بنت أبى ضبعى بن هاشم قالت : تتابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأدقت العظم ، فبينا أنا نائمة لاهم أو مهمومة ، فاذا هاتف يصرخ بصوت صخب يقول يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه ، وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحياء والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا جسيما أبيض بضا أوطف الأهداب سهل الخدين أشم العرنين له فخر يلظم عليه وسند يهدى اليه ، فليخلص هو وولده وليهبط اليه من كل بطن رجل فليستنوا من الماء وليمسوا من الطيب ، ثم ليستلموا الركن ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل ، وليؤم القوم ، فغثتم ما شئتم فأصبحت علم الله مذعورة • قد اقشعر جلدى ووله عقلى واقتصصت رؤياى • فوالحرمة والحرم ما بقى بها أبطحى الا قال : هذا شيبة الحمد • يعنون عبد المطلب ، فتتامت اليه رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل فسنوا ومنوا واستلموا ثم ارتقوا أبا قبيس وطبقوا جانبيه ما يبلغ سعيهم مهلة ، حتى استووا بذروة الجبل • فقام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام حين أيفع أو قرب فقال : اللهم ساد الخلة وكاشف

الكربة أنت معلم غير معلم ومسئول غير مبخل . وهذه عبادك واماؤك بغورات حرمك يشكون اليك سنتهم اذهبت الخف والظلف ، اللهم فأمطر علينا غيثا معرفا مريعا . فوالكعبة ما راحوا حتى تفجرت السماء بمائها والتط الوادى بثجيجه فسمعت شيخين من قريش وجلتها عبد الله ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء أى عاش بك أهل البطحاء .

وفى ذلك يقول رفيقه :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا	لما فقدنا الحيا واجلوذ المطر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به	ما فى الأنام له عدل ولا خطر
فجاد بالماء جونى له سبل	سحا فعاشت به الأنعام والشجر

ومن هواجس الانذار والالهام والمنام : ما رواه أبو أيوب يعلى ابن عمران النحلى عن مخزوم بن هانىء المخزومى عن أبيه وأتت له مائة وخمسون سنة قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس ايوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة . فأنزع ذلك كسرى فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ومرازبته ؛ وأخبرهم برؤياه فقال الموبذان : وأنا أصلح الله تعالى الملك قد رأيت فى هذه الليلة ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادنا . فقال : أى شىء هذا يا موبذان ؟ فقال : حادثة تكون من ناحية العرب ، فكتب الى النعمان بن المنذر أن أبعث الى برجل عالم أسأله عما أريد ، فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى ، فلما قدم عليه أخبره . فقال : أيها الملك علم ذلك عند خال لى يسكن مشارق الشام يقال له سطيح ، قال : فأته فاسأله عما أخبرتك به ثم ائتنى بجوابه ، فركب عبد المسيح راحلته حتى ورد على سطيح ، وقد أشفى على الموت فسلم عليه وحياه فلم يحر سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول :

اصم ام يسمع غطريف اليمن
ابيض فضفاض الرداء والبدن
يا فاصل الخطة أعتب من ومن
رسول قيل العجم سيرى للوسن
آمال شيخ الحي من آل سنن
وامه من آل ذئب بن حجن

فرفع سطيح رأسه ، وقال عبد المسيح على جمل فسيح وافى الى سطيح وقد أوفى به الى الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان ، رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ثم قال يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبعث من تهامة صاحب الهراوة وغاض وادى السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ، يملك منهم ملك وملكات بعدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت . ثم قضى سطيح فصار عبد المسيح على راحلته وهو يقول :

شمر فانك ماضى الهم شمير — ولا يعرفك تفريق وتغيير
فربما اصبحوا يوما بمنزلة — تهاب صولهم الأسد المهاصير
والناس اولاد علات فمن علموا — ان قد اقل فمهجور ومحقور
والخير والشر مقرونان فى قرن — فالخير متبع والشر محذور
ان ليس ملك بنى ساسان لفرطهم — فان ذا الدهر أطوار ، دهارير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته — والهرمزان وشابور وسابور
وهم بنو الام الا ان يروا نشبا — فذاك بالغيب محفوظ ومنصور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره قال كسرى : الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور ، فملك منهم عشرة ملوك فى أربع سنين ، وزال ملكهم عن يزدجرد الرابع عشر بعد اثنتى عشرة سنة .

فان قيل : فهذا قول كاهن قد أبطلته النبوة فلم يقبل قوله فى اثبات النبوة . فعنه جوابان :

أحدهما : أنه تأويل رؤيا تحققت خرج بها عن حكم الكهنة .

والثانى : أنه علميا بنقل الجن كهتوف الجن كما قـال تعـالى : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم » فاذا الخبر ما اختلف طرقه وتغاير وصفه خرج عن القلة الى التكاثر ، وعن الآحاد الى التواتر ، فصار الظن معلوما والتوهم محتوما . انتهى .



تتمــــة

قال الامام الرازى فى كتابه « المطالب العالية » :

الفصـل الرابع فى بيان أن محمد ﷺ أفضل من جميع الأنبياء والرسل : أعلم أنا بينا أن الرسول هو الذى يعـالج الأرواح البشرية وينقلها من الاشتغال بغير الله تعالى الى الاشـتغال بعبادته ولمـا كان المراد من الرسالة والنبوة هو هذا المعنى ، فكل من كانـ صدور هذه الفوائد عنه أكثر وأكمل ، وجب القطع بأن رسالته أعظم وأكمل .

=

اذا عرفت هذا فنقول : ان تأثير دعوة موسى عليه السلام كانت مقصورة على بنى اسرائيل فقط ، أما دعوة عيسى عليه السـلام فكأنه لم يظهر لها تأثير الا فى أقل القليل . وذلك لأنا نقطع بأنه ما دعا الى الدين الذى يقول به هؤلاء النصارى لأن القول بالآب والابن (وروح القدس . وهو) التثليث أقبح أنواع الكفر وأفحش أقسـام الجهل ومثل هذا لا يليق بأجهل الناس فضلا عن الرسول المعظم المعصوم . فعلمنا : أنه ما كانت دعوته البتة الى هذا الدين الخبيث ، انمـا كانت دعوته الى التوحيد والتنزيه .

ثم تلك الدعوة ما ظهرت البتة بل بقيت مطوية غير مروية .

فثبت أنه لم يظهر لدعوته الى الحق أثر البتة .

أما دعوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى التوحيد والتنزيه :
فقد وصلت الى أكثر بلاد المعمورة والنـــاس قبل وصـــولها كانوا على الأديان الباطلة فعبدة الأصنام كانوا مشتغلين بعبادة الحجر والخشب، واليهـــود كانوا فى دين التشـــبيه وصـــنعة التزوير وترويج الأكاذيب والمجوس كانوا فى عبادة الالهين ونكاح الأمهات والبنات ، والنصارى كانوا فى التثليث . والصابئة كانوا فى عبـــادة الكواكب ، فكأن كل أهل العالم معرضين عن الدين الحق والمذهب الصدق ، فلما أرسله الله عز وجل الى هذا العالم بطلت الأديان الخبيثة ، وزالت المقالات الفاسدة وطلعت شموس التوحيد وأقمار التنزيه من قلب كل أحد وانتشرت تلك الأنوار فى بـــلاد العالم .

فثبت : أن تأثير دين محمد ﷺ فى علاج القلوب المريضة والنفوس الظلمانية كان أتم وأكمل من تأثير دعوة ســـائر الأنبياء فوجب القطع بأنه أفضل من جميع الأنبياء والرسل فى كل ما يتعلق بالنبوة والرسالة وهذا برهان ظاهر من باب البرهان اللمى ، فانا بحثنا عن حقيقة النبوة والرسالة ثم بينا أن كمال تلك المـــاهية ما حصلت لأحـــد من الأنبياء كما حصلت لنبينا محمد ﷺ .

واعلم : أن اثبات النبوة بهذا الطريق أقـــوى وأكمل من اثباتها بالمعجزات(١) . واعلم أن التمسك بطريق المعجزات هو من باب البرهان

---

(١) قول الامام فخر الدين الرازى : « ان اثبات النبوة بهـــذا الطريق اقوى وأكمل من اثباتها بالمعجزات » يقصد بالطريق : أن النبى الذى يقدر على الكمال فى نفســـه ، ويقدر على تكميل الناقصين بابعادهم عن الرذائل يكون صادقا فى دعوى النبوة . وقوله : « أقوى وأكمل من اثباتها بالمعجزات » يحتمل بالمعجزات الحسية ، ويحتمل بمعجزة القرآن وحدها . وهو يقصد — والله أعلم — المعجزات الحسية . أى قدرة محمد ﷺ على الكمال فى نفسه — وقد قدر حقا — وقدرته على تكميل الناقصين — وقـــد أكمل اتباعه بتزكية نفوسهم — هى أقوى فى اثبات نبوته ، من المعجزات الحسية ، لأن أتباعه كلهم لم يروها . وانما رأوا اثر هدايتـــه فيهم . وان كان يقصـــد عمـــوم المعجزات . فانه يكون مناقضا لنفسه ، فقد ذكر فى تفسير سورة البقرة =

الأنى وهو الاستدلال بالأثر المؤثر على سبيل الاجمال ، فانا نعرفه بظهور المعجز عليه كونه مشرفا عند الله تعالى على الاجمال من غير أن نعرف كيفية ذلك الشرف . وأما هذا الطريق الثانى فهو من باب برهان اللمى وذلك لأنا بينا أن الأمراض الروحانية غالبة على أكثر النفوس ، فلابد لهم من طبيب ، ونشاهد أن النبى ﷺ معالج يؤثر علاجه ويفيد الصحة بقدر الامكان ، فهذا يدل على كونه طبيبا حاذقا فى هذا الباب ، وحينئذ يظهر أنه عليه الصلاة والسلام لا حاجة به فى معرفته الى أن يكون عالما بدقائق المنطق والطب والهندسة والحساب ، بل كونه عالما بها مشتغلا باستنباط دقائقها مما يضره فى كونه مستغرقا فى معرفة الله تعالى ، وعند هذا تزول جملة الشبهات المذكورة فى باب نفى النبوات ، فانه دلت المشاهدة على أنه عليه الصلاة والسلام كان طبيبا حاذقا فى علاج هذه الأمراض كما بيناه ، بل كان روحه قدرت على قلب طبائع أهل الدنيا ، فنقلهم عن الباطل الى الحق ، ومن الكذب الى الصدق ، ومن الأديان الفاسدة الى العقائد الصحيحة ، بقدر الامكان انتهى نقله الوزير راغب باشا فى سفينته .



فصل

ولنرجع الى الكلام أيضا على بعض كلماته الباطلة التى ذكرناها آنفا .

فنقول : قوله « فعندما أيس مما سولت له نفسه أدعى النبوة » الى آخره .

فكلام زور لا يخفى على من له أدنى علم بسيرته ﷺ لأنه عليه

= وسورة الصف كثيرا من نصوص نبوءات التوراة والانجيل عن محمد ﷺ وأحسن تفسيرها . وقال فى كتابه محصل أفكار المتقدمين : ان نبوة محمد لا تثبت الا بالقرآن وحده .

الصلاة والسلام لو كان طالبا للملك وحاشاه كما زعم هـذا النصرانى لظهر بعد النبوة ما أضمره من ذلك اذ كما قيل :

ان التخلق يأتى دونه الخلق

لأنه وأرواحنا له الفداء لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات كسائر اخوانه عليهم الصلاة والسلام وتبعه الناس من اليهود والنصارى ومشركو العرب والمجوس ، ودخلوا فى دينه أفواجا أفواجا وجاهدوا معه وفدوه بأنفسهم وأولادهم وأموالهم ، لم يجعل نفسه الشريفة ملكا ولا سلطانا ولا لبس كما يلبس المترفهون و لاأكل كما يأكل المتمولون ، ولم يشبع من خبز كما شبع المتسلطون ، ولم يدخر من حطام الدنيا بل ولم يترك لأهل بيته شيئا ولم يرض بتعظيمه كتعظيم الملوك ، ولم يترفع على أحد من غنى وصعلوك ، وكذلك حال أصحابه المقتدين بأفعاله وأقواله • وهذا وغيره من سيرته عليه الصلاة والسلام أمر مشهور متواتر ، لا يخفى على الأكابر والأصاغر ، ولو أردنا أن نسرد ذلك هنا لأطنبنا فى الكتاب ولأفضى الى ملل السامعين •

على أنا سنذكر بعضه فى محله ان شاء الله تعالى ومن له أدنى دراية وانصاف أو عقل ، يعرف صدق ما قلناه • والله سبحانه الهادى الى سواء السبيل •

قوله « **ولا يفهمون كيف امتحان مثله** » الى آخره • فكلام يكذبه أيضا ما سمعته آنفا من امتحانهم له عليه أفضل الصلاة والسلام حتى أظهر لهم المعجزات من تكليم الحيوانات وتمشية النباتات ونطق الجمادات ، وشهادات العجماوات وتظاهر العلامات وأخبار أهل الملل والكتب المنزلة من السموات وغير ذلك مما ذكرناه سابقا • ولا حاجة بنا الى اعادة ، وهذا مع ما يعرفونه من صدقه وأمانته وعفته ورحمته ورأفته بخلق ربه سبحانه ، حتى أنهم كانوا يدعونه الأمين قبل نبوته ، فالعرب يعرفون شروط النبوة وامتحنوه فأيده الله تعالى وصدقه بما أجرى على يديه من شروطها لديهم ، فآمنت عند ذلك العرب وغيرهم •

ويقال لهذا النصرانى : اذا كانت العرب آمنت به عليه الصلاة والسلام لعدم علمهم بشروط النبوة كما تزعم ، فما بال النصارى واليهود والمجوس آمنوا به طوعا من حين دعوته حتى دخلوا فى دينه أفواجا أفواجا ؟ ولا زال أهل الملل كافة الى يومنا هذا يدخلون فى دينه طوعا فى كل يوم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وجميع أقطارها ، واستقام دينه وأمره الى هذا الآن ، بل الى نهاية الدوران فلو لم يكن نبيا كما تزعم ، لانهد هذا البنيان ولانطفىء نوره فى أقل زمان ، فدخول أهل الأديان وغيرهم فى دينه واستقامة ذلك وتزايده ، من أقوى الدلائل على صدقه ﷺ فيما ادعاه وكل من له خبرة بأحوال الأزمنة الماضية والأنبياء وأحوال المتنبئين الكذبة ، وعدم استقامة أمرهم وتبين أحوالهم لدى الشاهد والغائب يعلم ويجزم أن نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام من النبوات الالهية ، ورسالته حقة صمدية وسيرته رحمانية ومعجزاته قدسية وتأيداته سماوية ولا ينكر ذلك الا من استولى الران على قلبه ولعب الشيطان بلبه والله الهادى لأتباع حزبه .

قوله : « ولم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبى قط »

أقول : لو سلمنا أنه لم يبعث نبى قط ، فهم يعرفون شروطها لاختلاطهم بأهل الكتاب ومجاورتهم لهم وسماعهم منهم معجزات الأنبياء السالفين عليهم السلام وأحوالهم . والأدلة على ذلك كثيرة . منها ما تقدم من طلبهم منه عليه السلام المعجزات واتيانه بها واخبار أهل الكتاب لهم ، واسلامهم بعدها على أنا نقول : هذه المسألة وهى عدم بعثة نبى الى العرب أصلا قبل نبينا ﷺ وهو ظاهر قوله تعالى : **« وما كنت بجانب الغربى اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون» لكنه غير مراد ، للاتفاق . على أن اسماعيل عليه السلام كان مرسلا اليهم ، ولقوله تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » والعرب من أعظم الأمم وكأنه لتطاول الأمد ، بين بعثته** عليه السلام وبعثة نبينا ﷺ حتى قيل انها نحو ثلاثة آلاف سنة واندراس شرعه وعدم وقوف الأكثرين فى أغلب هذه المدة على حقيقته

قبل ذلك • وقيل ان ذلك لما صرحوا به من أن حكم بعثة اسماعيل قد انقطع بموته ، وأنه لم يرسل اليهم بعده نبى سوى النبى ﷺ •

وقال الوالد : عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى : « قيل ان موسى وعيسى عيهما السلام كما أرسلا لبنى اسرائليل أرسلا للعرب فالمراد بنفى هذا الاتيان : الفترة التى بين عيسى وبين نبينا عليهما السلام وزمنهما على ما روى البخارى عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ستمائة سنة وفى كثير من الكتب انه خمسمائة وخمسون سنة ، ونفى اتيان نبى بين زمانى اتيان نبينا واتيان عيسى عليهما السلام هو ما صححه جمع العلماء لحديث : «لا نبى بينى وبين عيسى». وقيل : ان بينهما أربعة أنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب • وهو خالد بن سنان • واختار بعضهم أن المراد بهؤلاء القوم المعاصرون له ﷺ اذ هم الذين يتصور انذارهم عليه الصلاة والسلام اياهم دون أسلافهم الماضين والمراد بعدم اتيان النذير اياهم : عدم وصول ما أتى به على الحقيقة اليهم • وقال فى تفسير قوله تعالى : « لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون » المراد بالانذار الاعلام أو التخويف والمراد بآبائهم الأدنون ، والا فالأبعدون قد أنذرهم اسماعيل عليه السلام وبلغهم شريعة ابراهيم عليه السلام • وقد كان منهم من تمسك بشرعه على أتم وجه ثم تراخى الأمر وتطاول المدد ، فم يبق من شريعته عليه السلام الا الاسم وعلى ما عرف فى البحر أن المعنى ما أنذر آباؤهم رسول أى لم يباشرهم بالانذار ولا آباؤهم الأقربين ، لا أنه لم ينذرهم منذر أصلا فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبى كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة • فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » وليس فى ذلك انكار الفترة المذكورة فى قوله تعالى : « على فترة من الرسل » لأنها فترة ارسال وانقطاعها زمانا لا فترة انذار مطلقا انتهى •

وروى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن الله

تعـالى بعث فى زمن الفترة بين عيسى ومحمـد ﷺ الى أهل الرس (والرس البئر) نبيا منهم من ولد اسـماعيل يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فأوحى الله تعالى الى نبى كان مع بخت نصر يقـال له ارميا بن برخيا مر بخت نصر يغزو العرب الذين لا اغـلاق لبيوتهم ، فليقتلهم بما صنعوا بنبيهم ، وكان فيهم خالد بن سنان العبسى فقد روى أن النبى ﷺ قال : « ذاك نبى أضاعه قومه » وذلك أنه قال لقومه وأهله لـما حضرته الوفاة : اذا دفنت فانـه سـتجيء عانة من حمر الوحش يقدمهما عير أبتر ، فيضرب قبرى بحافره ، فاذا رأيتم ذلك فانبشـوا عنى ، فانى سأخرج اليكم وأخبركم بجميع ما هو كائن بعد الموت وأحوال البرزخ والقبر ، فلما مات ودفنوه رأوا ما قال • فأبى أولاده نبشـه ، وقالوا نخاف أن يشيع بين العرب أنا نبشنا ميتا لنا • فتركوه •

وروى أن ابنته أتت رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه فآمنت وقال لها : أهلا ببنت خير نبى ضيعه قومه فسمعت رسـول الله ﷺ يقرأ : « قل هو الله أحد » فقالت : كان أبى يقول هذا • وذكر أهل الأخبار : أنه كان من معجزاته : أن نارا ظهرت من أرض العرب كانت تخرج من مغارة على النـاس فتأكل النـاس والدواب ولا يسـتطيعون ردها ، فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون فخرج خالد ومعه راعى غنم ، يقال له ابن راعية المعزى • فقال له خالد : امسك ثيابى • فأخذ خالد عصـاه ودخل النار حتى توسطها ففرقها وهو يقـول : بدا بدا كل هـدى لله مؤدى لأدخلنها وهى تتلظى ولأخرجن منهـا ثيابى تندى ، ثم انهـا طفئت وهو فى وسطها •

وأما قوله : « لم يبعث فى العرب نبى قط » فيرد عليه بعد دعواه هذه أنه ينبغى حينئذ أن يكون المسلمون من العرب الى الآن لم يأتهم نبى من الله تعالى لا محمد ﷺ ولا غيره من الأنبياء ، فاللازم اذن أن لا يعذبهم سبحانه وتعالى اذ عيسى عليه السلام بعث للخراف الضالين من بنى اسرائيل كما فى الانجيل وموسى عليه السلام أيضا كان مبعوثا

اليهم فقط ، والتعذيب قبل الانذار لا يطابق حكمة الحكيم القهار ٠

ويرد عليه أن المسيح عليه السلام الذى هو الاله بزعم النصارى لم يرسل الى العرب رسـولا يأمرهم بالايمان حينما كان الها واحـدا ولا أمرهم أيضا بالاقرار بألوهيته ولم يعرفهم أنه صار ثلاثة عنـدما دخـل فى بطن مريم ، وخرج اليهم وحل بينهم ، فأى تقصـير للعرب بعدم ايمانهم به ؟ فهذا الههم بزعم النصارى لمـا كان فى السـماء لم يرسل الى عبيده العرب رسولا ، ثم انه لمـا نزل وصار بصورة انسان وسكن معهم فى الأرض ، لم يعرفهم حاله ولا تفضل عليهم بالرسالة ، ولم يبعث اليهم من رسله أحدا قط الى هذا الآن ٠ مع أنـه نزل الى الأرض وصار ملعونا بدل خلقته — على ما زعم بولس فى رسـالته الى أهل غلاطية (ص ٣) ونـزل الى الجحيم ودخلها بدلهم لخلاصـهم ، والعرب لم يفوزوا بشىء من ذلك ، فيلزم على الحكيم العادل الرحيم الرحمن أن لا يعذبهم ولا يدينهم ، ولا سـيما النـازل الصـاعد هو بزعمهم الديان ٠

فعلى هذا ينبغى أن لا يعذب العرب بالنيران وأن يدخلهم بعدله ورحمتـه الجنان ، لمـا قررناه من عدم الدعوة ، وأنه المخلص للانس والجان ٠ فتدبر ما قلناه بانصاف ولا تجعل العرب كالخراف ، فانهم ليوث لا تهاب ولا تخـاف ٠ ويذكر أيضـا ما قلنـاه أولا مما يتعلق بكلماته هذه ٠ والله سبحانه ولى الألطاف ٠

وأما قوله : « وكان ذلك من تعليم الرجل المـلقن له » الى آخره يعنى به بحيرا — كما سيصرح به فى كتابه هذا ٠ وهذا كلام سـبقه اليه اخوانه المشركون الذين حكى الله سبحانه قولهم فى كتابه فقـال عز من قائل : **« قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ٠ ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ، لسـان الذى يلحـدون اليـه أعجمى ، وهـذا لسـان عربى مبين »**

قال المفسرون(١) : عنوا بهـذا البشر حبرا الرومى ، غلام عامر بن الحضرمى كان قد قرأ التوراة والانجيل وكان ﷺ يجلس اليه اذا آذاه أهل مكة ، فقالوا ما قالوا • وقيل : مولى لحويطب بن عبد العزى اسمه عائش أو يعيش ، كان يقرأ الكتب وقد أسلم وحسن اسلامه • وقيل : أبو فكيهة مولى لامرأة بمكة قيل اسمه يسار ، وكان يهوديا وعن عبـد الله ابن مسلم الحضرمى قال : كان لنا عبدان نصرانيان من أهل عين التمر ، يقال لأحدهما يسار وللآخر جبر ، وكانا يصنعان السـيوف بمكة وكانا يقرآن الانجيل فربما مر بهما النبى ﷺ وهما يقرآن فيقف ويستمع • فقال المشركون : انما تعلم منهما • • وفى بعض الروايات : انـه قيل لأحدهما : انك تعلم محمدا ﷺ فقـال : لا بل هو يعلمنى • وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : بمكـة غلام أعجمى رومى لبعض قريش ، يقال له بلعام وكان رسول الله ﷺ يعلمه الاسلام • فقالت قريش : هذا يعلم محمدا من جهة الأعاجم •

قال الشيخ الامام الوالد فى تفسيره روح المعانى : « وأخبرنى من أثق بـه عن بعض النصـارى أنه كان نبيكم ﷺ يتردد اليه فى غـار حراء رجلان نصرانى ويهودى يعلمـانه ، ولم أجد هذا عن أحـد من المشركين • وهو كذب بحت لا منشأ له وبهت محض لا شبهة فيـه ؛ وانما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه عليه الصلاة والسـلام مع أنـه أدخل فى ظهـور كذبهم للايذان بأن مداد خطأهم ليس نسـبته ﷺ الى التعلم من شخص معين ، بل من البشر كائنا من كـان ، مع كونه عليه الصلاة والسلام معدنا لعلوم الأولين والآخرين • ومحصل معنى الآية : ولقد نعلم أن هؤلاء الكفار يقولون ليس القرآن من عند الله تعالى وانما يعلم محمدا بشر من بنى آدم غير ملك • وقد اختـلف

---

(١) يظن المفسرون : ان القائل فرد واحد كان فى زمان محمـد ﷺ . وهذا خطأ منهم . فان « بشر » معناها : البشر . أى يقول الكافرون انمـا يعلم محمدا البشر . أى انه جمع قرآنه من كتب هى أسـاطير الأولين . والقائل ليس فردا بعينه ، فى زمان بعينه . بل هذا هو قـول الكفار فى كل زمـان ومكـان .

أهل العلم فى تعيين هذا البشر الذى زعموا عليه ما زعموا كما قدمنا . ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال : « لسان الذى يلحدون اليه » أى لغته وكلامه « أعجمى » والا لحاد الميل . والمعنى لسان الذى يميلون اليه ويشيرون ويزعمون أنه يعلمك أخبار القرون الأولى لكونك أميا أعجمى والعجمة عدم الافصاح ، والعرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بها أعجميا . « وهذا » أى القرآن لسان أى كلام عربى مبين . وسماه لسانا لأن العرب تقول للقصيدة والبيت : لسانا . أو أراد باللسان البلاغة ، فكأنه قال : وهذا قرآن ذو بلاغة عربية وبيان واضح ، فكيف تزعمون أن بشرا يعلمه من العجم ؟ وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذى تشيرون اليه وقد عجزتم أنتم عن معارضة سورة منه ، وأنتم أهل الفصاحة وقادة البلاغة . وهو عليه الصلاة والسلام أمى لا يقرأ ولا يكتب . فثبت بهذا : أن الذى جاء به وحى من الله سبحانه لا بتعليم بشر ولا من تلقاء نفسه . والله سبحانه الهادى الى سواء الطريق » .

قال النصرانى : « ثم انه استصحب قوما فراغا أصحاب غارات ممن يصيب الطريق على سنة البلد ، وعادة أهله الجارية عندهم الى هذه الغاية . فانضم اليه هذا الضرب وأقبل يبث الطلائع ويدسس العيون ويبعث الى المواضع التى ترد القوافل اليها من الشام بالتجارات، فيصيبونها قبل وصولها فيغيرون عليها فيأخذون العير والتجارات ويقتلون الرجال والدليل على ذلك : أنه خرج فى بعض أيامه فرأى جمالا مقبلة من المدينة الى مكة وكانت الجمال لأبى جهل بن هشام ويسمى ذلك غزوا على سبيل ما تسميه أعراب البادية اذا خرجت للغارة على السابلة ، واصابة الطريق . وكان أول خروجه من مكة الى المدينة بهذا السبب . وهو حينئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، بعد أن ادعى ما ادعاه من النبوة بمكة ثلاث عشرة سنة ، ومعه من أصحابه الذين قد ألفوا معه ولصقوا به أربعون رجلا وقد لقى كل جهد وكل أذى من أهل مكة ، لأنهم كانوا به عارفين ، فأظهروا أن طرده لادعائه النبوة

وعقد باطنهم ، لمـا صح عندهم من اصابته الطريق ، فصار مع أصحابه الى المدينة ، وهى يومئذ خراب يباب ليس فيها الا قوم ضعفاء أكثرهم يهودى لا حراك بهم ، فكأن أول ما افتتح به أمر فيها من العدل واظهار نصفة النبوة وعلامتها : انه أخذ المربد الذى للغلامين اليتيمين من بنى النجـار وجعله مسجدا • ثم انه بعث أول بعث حمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين راكبا الى العيص من بلد جهينة يعترض عير قريش ، وقد جاءت من الشام ، فلقى أبا جهل بن هشام فى ثلاثمائة رجل من أهل مكـة ، فافترقوا لأن حمزة كان فى ثلاثين فخاف لقاء أبى جهل وفزع منه ، فلم يكن بينهم قتال • فأين شروط النبوة — أصلحك الله — فى هذا الموضع من قول الله تبارك وتعالى فى التوراة المنزلة من عنـده لموسى ، حيث وعده أن يدخل بنى اسرائيل الذين أخرجهم من مصر الى أرض الجبابرة المسماة أرض الميعاد • وهى أرض فلسطين والشام وأن الواحد يهزم ألفـا والاثنين يهزمان ربوة لمـا ألقيت فى قلوبهم من الفزع والرعب ، وكذلك كان فعله جل وعز بهم على يدى يشوع بن نون المتولى ادخال بنى اسرائيل أرض الميعاد ومحاربة فلسطين ؟ فهذا — اكرمك الله حـد ما يطالب به فى هذا الموضع من علامات النبوة والرسالة لصاحبك » انتهى •

فأقول : قوله « ثم انه استصحب قوما فراغا أصـحاب غـارات ممن يصيب الطريق » الى آخره • كلام زور وكذب وتمويه على ضعفاء العقول لأن الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام وآمنوا بـه لم يكن همهم المـال ، ولا مقصدهم الغنى ، كما هو معلوم لمن عرف سيرهم وسبر تراجمهم بالروايات المتواترة الصحيحة المتسلسلة بالرواة الثقات ، بل الأمر بالعكس ، فان أغلب الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام كانوا يقدمون الى حضرته العلية أموالهم لانفاقها فى سبيل الله تعالى وصرفها لنفقة المجاهدين وتقوية الدين المبين وكلام هذا النصرانى لا يجديه نفعا لأنا قد أثبتنا فى كتابنا هـذا نبوة نبينا محمد ﷺ بالبراهين القاطعة العقلية والنقلية فحينئذ لا يتوجه عليه الصلاة والسلام طعن طاعن فى

غزوه وجهاده وتعاطى الأسباب الموجبة الى اتباع دعوته وتوحيد البارى سبحانه والاقرار بالهيته وربوبيته ، اذ هو عليه الصلاة والسلام فى ذلك متبع لأوامر رب العالمين مأمور بقوله سبحانه : « **فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين** » وسالك فى جهاده مسلك اخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فكم قد قتلوا من الكفار نفوسا وأسروا منهم عروسا ، وأماتوا صغارا ، وسلبوا نضارا ، وأبادوا بلادا وأيتموا أولادا ، وحرقوا مواشيا وأشجارا وأغرقوا عبادا فجارا فأدخلوهم نارا كما تحكيه عنهم الكتب السماوية والزبر الاسرائيلية . وكل ذلك بأمر الهى ومدد سماوى . والآمر سبحانه يفعل ما يختار ويشاء ويحكم ما يريد فى الأرض والسماء ، فلا راد لحكمه ولا معقب لأمره ، فلا تخلو أفعاله جل وعز عن حكم علية ومصالح لا تصل الى معرفتها العقول البشرية . فله سبحانه الأمر ، بين الكاف والنون ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

قوله : « وكانت الجمال لأبى جهل بن هشام » الى آخره واسمه عمرو وكان يكنى أبا الحكم بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، وقتل فى غزوة بدر ، وكان يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان منى
بازل عامين حديث سنى
لمثل هذا ولدتنى أمى

ولما فرغ رسول الله ﷺ من القتال فى بدر ، أمر بأبى جهل لعنه الله تعالى أن يلتمس فى القتلى . قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلى على عنقه ، وقلت له : هل أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزانى ؟ أعار على رجل قتلتموه ؟ أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت لله ولرسوله . ثم اجتززت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل قال :

فقال رسول الله ﷺ الله الذى لا اله غيره . قال وكانت يمين رسول الله ﷺ قال : قلت : نعم والله الذى لا اله غيره . قال : فألقيت رأسه بين يدى رسول الله ﷺ فحمد الله تعالى . قال ابن هشام : وكان قد ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم ترك وبه رمق ، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود فاجتز رأسه حين أمر رسول الله ﷺ به أن يلتمس فى القتلى . وكان من أعظم أعداء النبى ﷺ المصرين على كفرهم والمؤذين له والطاعنين فى دينه ، والمثبطين للناس على اتباعه والجامعين على محاربته الجموع . وكان عليه الصلاة والسلام يناله منه ومن رفقائه ما لم ينله من غيرهم ، فهو فرعون هذه الأمة .

قال ابن اسحق : كان رسول الله ﷺ ثلاث سنين من بعد مبعثه يخفى أمره ويستتر به ، الى أن أمره الله تعالى باظهار دينه بقوله سبحانه : **« فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »** وقوله تعالى : **« وانذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »** وقل : **« انى أنا النذير المبين »** لما دخل الناس فى الاسلام أرسالا من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة ، وتحدث به .

قال ابن اسحق : وكان أصحاب رسول الله ﷺ اذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى شعب من شعاب مكة ، اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه ، فكان أول دم أهريق فى الاسلام ولما بادى رسول الله ﷺ قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله تعالى لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها . فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا على خلافه وعداوته ، الا

من عصم منهم بالاسلام ، وهم قليل مستخفون وحدب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ولما رأت قريش أن النبى ﷺ لا يترك ذكر آلهتم وعيبها ، وأن أبا طالب قد حدب عليه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش الى أبى طالب وفيهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأبو سفيان ابن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البخترى واسمه العاص والوليد ابن المغيرة وغيرهم • فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا • فاما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيننا وبينه • فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه • فنكفيكه •

فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه• ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه ثم اشتد الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها ، وحض بعضهم بعضا عليه ، ثم انهم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا • وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا باسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه ، فبعث أبو طالب الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال له : يا ابن أخى ان قومك قد جاءونى • فقالوا لى كذا وكذا للذى كانوا قالوا ، فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق •

قال رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته • ثم قال أبو طالب : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فو الله ما أسلمك لشىء أبدا ، ثم ان قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى

خذلان رسول الله ﷺ واسلامه اليهم واجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا ، فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك فنقتله ، فانما هو رجل برجل قال : والله لبئس ما تسوموننى • أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله ما يكون أبدا •

فحقب الأمر بينهم وبينه وحميت الحرب وتنابذ القوم • ثم ان قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبى طالب• وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه ، وأجابوه الى ما دعاهم اليه ، الا ما كان من أبى لهب عدو الله ورسوله •

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش — وقد حضر الموسم — فقال لهم : يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا • قالوا : فانت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا ، نقل به • قال بل أنتم فقولوا استمع ، قالوا نقول كاهن قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول مجنون • قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته • قالوا : فنقل شاعر قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله فما هو بالشعر • قالوا : فنقول ساحر • قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ،

قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة وأن أصله لعذق ، وان فرعه لجناة • وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل وان أقرب القول فيه : لأن تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته • فتفرقوا عنه بذلك •

فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره ، فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة قوله سبحانه : **« ذرنى ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد • كلا انه كان لآياتنا عنيدا »** أى خصيما • قال ابن اسحق ان أبا جهل لعنه الله تعالى مر برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه • ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ فسمع بذلك عمه حمزة بن عبد المطلب ، فأتى أبا جهل فقام على رأسه ، ورفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه ؟ أقول ما يقول • فرد على ان استطعت فبقى حمزة على اسلامه ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ولما رأوا ذلك وأن أصحابه عليه السلام يزيدون ويكثرون ، قال لهم عتبة بن ربيعة وكان سيدا يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ويكف عنا فقالوا : بلى يا أبا الوليد • فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها • فقال له رسول الله ﷺ :

قل يا أبا الوليد اسمع . قال : يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيا أى جنيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال له . حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم . قال : فاستمع منى . قال : فقال : « **بسم الله الرحمن الرحيم : حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا : قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه** » .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد . ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . فقام عتبة الى أصحابه . فقال بعضهم لبعض : يحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ . فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال : هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

قال ابن اسحاق : ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين . ثم ان أشراف قريش من كل قبيلة

اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، وفيهم عتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وأبو جهل وغيرهم ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه ﷺ فجاءهم وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، حتى جلس اليهم . فقالوا : يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين ، وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة ، فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك . وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ، فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك ، حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك . فقال لهم رسول الله ﷺ ما بى ما تقولون . ما جئت بما جئتكم أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم . فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم. وطال بينه وبينهم الكلام . ثم انصرف رسول الله ﷺ الى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم اياه .

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل لعنه الله تعالى : يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وانى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدالهم . قالوا : والله لا نسلمك لشىء أبدا فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو

جهل أخذ حجرا كما وصف . ثم جلس رسول الله ﷺ ينتظره وغـدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، فقام يصلى عند الكعبة وقد غدت قريش ، فجلسوا فى أنديتهم ينظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قـذف الحجر من يـده .

وقامت اليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قـال : قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فحـل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامتـه ولا قصرته أى عنقـه ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بى أن يأكلنى فلما قال لهم ذلك ، قام النضر ابن الحارث بن كلدة فقال : يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمـر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السـحرة ونفثهم وعقدهم . وقلتم كاهن . لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شـاعر ، لا والله مـا هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتم مجنـون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم ، فانه والله لقد نزل بكم . أمر عظيم .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد وصفا لهم صفاته واخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهـود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهما

أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم .

سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشـارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح مـا هى ؟ فان أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبى ، وان لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر بن الحارث وعقبـة بن أبى معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بهـا ، فان أخبرنا عنها فهو نبى ، وان لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم . فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب . وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . وأخبرنا عن الروح ما هى ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ أخبركم بما سألتم عنه غدا . ثم بعد ذلك جاءه جبرائيل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، وفيها الأجوبة عن أسئلتهم .

ولمـا جاءهم صلى الله تعالى عليـه وسـلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب ، حين سألوه عما سألوا عنه ، حال الحسـد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليـه من الكفر ، فقال قائلهم : **«لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون»** أى اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك ، فانكم ان ناظرتموه يوما غلبكم ثم ان الله سبحانه أظهره عليهم حتى هلكوا فى غزوة بدر ، وقتلوا أشر قتلة ونصره الله تعالى عليهم نصرا عزيزا وآمنت به القبائل ، ودخلوا فى دينه أفواجا .

واتبعه من النصارى واليهـود والمجوس والمشركين أكثرهم وعم

دينه أهل المشرق والمغرب بأقصر زمن وأقل مدة • وما ذلك الا عن امداد الهى ونصر ربانى وتأييد رحمانى ، قاض بصدق نبوتـــه ، ودال على حقية رسالته ، وحاكم بعموم دعوته عند كل ذى قلب سليم ولب مستقيم ، والحمد لله على التوفيق وهدايته الى أقوم طريق •

قوله : « وكان أول خروجه منمكة الى المـــدينة بهذا الســـبب » الى آخره • هذا وما بعده أيضا من جملة افتراء هذا النصرانى وكذبه وبهتانه وتمويهه على ضعفة العقول لأن النبى عليه الصلاة والســـلام هاجر الى المدينة ، لكن لا لهذا السبب بل هجرته لأسباب أخر تذكرها ان شاء الله تعالى قريبا •

والعجب من هذا النصرانى ولا عجب كيف نسى ما فى انجيـــل يوحنا فى الأصحاح الرابع ما نصه : « وبعد اليومين خرج من هنـــاك ومضى الى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه » انتهى ونسى ما فعلته اليهود على زعمه بالمسيح من اهانته وضربه ورميه بأشياء عظيمة وصلبه • وهو الهم ولم يقدر على خلاص نفســـه منهم وينادى « ايل ايل لم شـــبقتنى ؟ أى الهى الهى لم تركتنى ؟ » فكيف نسى ما حل بالهه على زعمـــه وذكر ما فعلتـــه قريش مع النبى ﷺ مما هى بالنسبة الى ما فعله اليهود بالمسيح عليه السلام كنسبة مســـألة الشعيرة ؟ فكما أن ذلك لا يزرى بالمسيح عليه السلام وكذا ما فعـــله بنو اسرائيل بأنبيائهم كزكريا ويحيى وغيرهما لا يخل بجلالة نبوتهم ، كذلك ما فعله قريش بنبينا عليه الصلاة والسلام لا يزرى بمقامه الرفيع ولا يشين وجه دعوته الصادقة ، ورســـالته العالية عنـــد كل ذى لب وانصـــاف •

واعلم : أن قريشا لما فتنوا الذين أسلموا وعذبوا كثيرا منهم بأنواع العذاب الأليم ، ومع ذلك فلا يرجعون عن اسلام ولا ينتهى غيرهم عن الدخول فيه ، ورأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قـــد نزلوا بلاد الحبشة وأصابوا أمنا وقرارا ، وأن النجاشى قـــد منع من لجأ اليـــه

منهم ، وأن عمر رضى الله تعالى عنه قد أسلم وحمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه مع رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل الاسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم •

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم ، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل اليهم شىء الا سرا مستخفيا به ، ممن أراد صلتهم من قريش • وقد كان أبو جهل لقى حكيم ابن حزام بن خويلد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله ﷺ فتعلق به ، وقال : أتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ؟ فجاءه أبو البخترى بن هشام بن الحرث • فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام الى بنى هاشم • فقال أبو البخترى : طعام كان لعمته عنده بعثت اليه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل • فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخترى لحى بعير فضربه فشجه ووطأه وطأ شديدا •

ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مناديا بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحدا من الناس •

ثم ان النبى ﷺ قال لأبى طالب : يا عم ان الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته فيها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ، أى أكلته ، فقال : أربك أخبرك بهذا ! قال : نعم قال : فو الله ما يدخل عليك أحد • ثم خرج الى قريش فقال : يا معشر قريش ان ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا ، وأنزلوا عما فيها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخى • فقال القوم : رضينا فتعاقدوا على ذلك ،

ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شرا وكان نفر منهم يؤذون رسـول الله ﷺ في بيته وهم جاره ، وكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحـدهم يطرحها في برمتـه ، اذا نصبت له ، حتى اتخذ عليه الصلاة والسلام حجرا يستتر به منهم اذا صلى ، وكان اذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق .
ثم ان أبا طـالب وخديجة رضى الله تعالى عنها ماتا في عـام احـد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصـائب بهلكهما .

قال ابن اسحاق : ولمـا هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تنال منه في حياته ، فخرج رسول الله ﷺ الى الطائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعـة بهم من قومه رجـاء أن يقبلوا منـه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج اليهم وحـده ، ثم خرج منهم وقد يئس من خيرهم ، فانصرف راجعا الى مكة ، فلما قدمها وجد قومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به . فكان عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه في المواسم اذا كانت على قبائل العرب ، يدعوهم الى الله تعالى ويخبرهم أنـه نبى مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله تعالى ما بعث به ، وكان عليه الصلاة والسـلام يقف بمنى على منازل القبـائل من العرب ، فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله تعـالى مـا بعثنى بـه .

قال ابن اسحاق : فلمـا أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه عليه الصلاة والسلام وانجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذى لقى فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله تعالى بهم خيرا قـال لهم : من أنتم ؟ قـالوا نفر من الخزرج ،

قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم • قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى • فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن ، وكان مما صنع الله تعالى لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا اذا كان بينهم شىء قالوا لهم : ان نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم ، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم الى الله تعالى ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، فأجابوه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله تعالى بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك •

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا ، فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ •

حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه عليه الصلاة والسلام بالعقبة — وهى العقبة الأولى — فبايعوه على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف ، فان وفوا فلهم الجنة ؛ وان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم الى الله عز جل ان شاء غفر وان شاء عذب •

ولما انصرف عنه القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم وأمره أن يقرأهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين،فكان يسمى المقرىء بالمدينة مصعب •

قال ابن اسحاق : ثم البيعة الثانية الكبيرة بالعقبة فان مصعب ابن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله تعالى بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله ، واذلال الشرك وأهله فناموا مع قومهم المشركين فى رحالهم تلك الليلة التى واعدوا بها رسول الله ﷺ حتى اذا مضى ثلث الليل خرجوا من رحالهم لميعاد رسول الله ﷺ يتسللون تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبة ، وهم ثلاثة وسبعون رجلا من الخزرج والأوس ، ومعهم امرأتان من نسائهم •

فاجتمعوا ينتظرون رسول الله ﷺ حتى جاءهم ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه عليه الصلاة والسلام ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس • فقال : يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، مما هو على رأى مثلنا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده • فقالوا للعباس : قد سمعنا ما قلت • وقالوا للنبى عليه الصلاة والسلام فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت • فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب فى الاسلام •

ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون به نساءكم وأبناءكم • فأخذ البراء بن معرور بيده • ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أذرنا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر •

ثم قال أبو الهيثم بن التيهان : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال

حبالا وانا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ • فتبسم رسـول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى أحـارب من حاربتم وأسالم من سالمتم — أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم —

ثم قال عليه الصـلاة السـلام : أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا اثنى عشر نقيبا تسـعة من الخزرج وثلاثة من الأوس • فقال عليه الصلاة والسلام للنقباء : أنتم على قومكم بمـا فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى ؟ — يعنى المسلمين — قالوا : نعم •

قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لمـا اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضـلة : يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم • قال : انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن فهـو والله ان فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف ، فخذوه • فهو والله خير الدنيا والآخرة • قالوا : فانا نأخذه على مصـيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسـول الله ، ان نحن وفينا ؟ قـال : الجنة • قالوا ابسط يده فبايعـوه •

قال الزهرى : حدثنى معبد بن كعب بن مالك فحدثنى فى حديثـه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قـال : كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بعده القـوم ، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سـمعته قط : يا أهل الجباجب — أى المنازل — هل لكم فى مذمم ؟ أى محمد عليه الصلاة والسلام لأن المشركين كانوا يسمونه به والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم ، قال فقال رسول الله ﷺ : هذا أزب العقبة ،

هذا ابن أزيب ، أى عدو الله أما والله لأفرغن لك • ثم قال رسول الله ﷺ : ارفضوا الى رحالكم ، فقال له العباس بن عبادة : والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا • فقال رسول الله ﷺ : لم نؤمر بذلك،ولكن ارجعوا الى رحالكم،فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها ،حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا فى منازلنا • فقالوا : يا معشر الخزرج انه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وانه والله ما من حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء وما علمناه •

قال الراوى : وقد صدقوا ، لم يعلموه • فلما قدموا المدينة أظهروا الاسلام وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح ، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ وكان عمرو المذكور من سادات بنى سلمة ، وكان قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الأشراف يصنعون تتخذ الها تعظمه ، فلما أسلم قوم عمرو كانوا يدلجون بالليل مع ولده معاذ على صنم عمر فيحملونه فيطرحونه فى بعض الحفر ، وفيها عذر الناس منكسا على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه ، ثم اذا أمسى ونام عمرو فعلوا به مثل ذلك حتى فعلوا به ذلك مرارا فلما أكثروا عليه استخرجه فغسله وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه • ثم قال له : انى والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك • فلما أمسى ونام عمرو ، غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه فى بئر فيها عذر ، وغدا عمرو فلم يجده فى مكانه فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن

اسلامه رضى الله تعالى عنه فقال حين أسلم وعرف من الله تعالى : ما عرف ، وهو يذكر صنمه وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة قوله :

والله لو كنت الها لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن
الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين
أف لملقاك الها مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتهن
بأحمد المهدى النبى المؤتمن

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحلل له الدماء انما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجهل ، وكانت قريش قد اضطهدت على من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فهم بين مفتون فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد فرارا منهم بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفى كل وجه ، فلما عتت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أراد بهم من الكرامة وكذبوا نبيه عليه الصلاة والسلام وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله عليه الصلاة والسلام فى القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم • فكانت أول أية أنزلت فى اذنه له فى الحرب واحلاله له القتال لمن بغى عليهم قوله تعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله قوى عزيز • الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** » •

ثم انزل الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » أى حتى لا

يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره .

قال ابن اسحاق : فلما أذن الله سبحانه له عليه الصلاة والسلام فى الحرب تابعه هذا الحى من الأنصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه وآوى اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الأنصار . وقال ان الله تعالى قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة .

وكان أول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله . وكان قبل ذلك مهاجرا الى الحبشة ، ثم خرج عمر بن الخطاب ومعه أهله وقومه وصهيب لما أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك ؟ فقال لهم صهيب . أرأيتم أن لو جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال : فانى قد جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

وخرج حمزة بن عبد المطلب والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وغيرهم وأقام عليه الصلاة والسلام بمكة بعد الصحابة من المهاجرين ينتظر أن يأذن الله تعالى له فى الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين الا من حبس أو فتن ، الا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما . وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن فى الهجرة ، فيقول له عليه الصلاة والسلام : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكونه .

قال ابن اسحاق : ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له أصحاب وشيعة من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دار وأصابوا منهم منعة ، فحذروا

خروج رسول الله ﷺ اليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار الندوة ، وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى امرا الا فيها يتشاورون ما يصنعون فى أمر النبى ﷺ حين خافوه ، ولما أرادوا أن يدخلوها اعترضهم ابليس عليه اللعنة فى هيئة شيخ جليل ، فوقف على باب الدار ، وقالوا : من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ، ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا • قالوا : أجل فادخل ، فدخل لعنه الله تعالى معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش منهم عتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب وطعيمة بن عدى وأمية بن خلف وابو جهل وغيرهم •

قال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا ، فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا فتشاوروا • ثم قال قائل منهم : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم • فقال لشيخ : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم كاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ثم قال قائل آخر منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فو الله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، اذا غاب وفرغنا منه •

قال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يبايعوه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد دبروا رأيا غير هذا • فقال أبو جهل : والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه

بعد • قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا • فيرضوا منا بالعقل أى الدية • فنعقله لهم فقال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره • فتفرق القوم على ذلك ، وهم مجمعون له ، فأتى جبرائيل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه • فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى نام ، فيثبون عليه فقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى وتسج ببردى ، فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم ، ولما اجتمعوا وفيهم أبو جهل قال — وهم على بابه — : إن محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنات ، وان لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فى يده الشريفة ثم قال : نعم أنا أقول ذلك • أنت أحدهم •

وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه ، فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس الى قوله تعالى : ((**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**)) حتى فرغ عليه الصلاة والسلام من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا • ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب •

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم • فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا محمدا قال : خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته • أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كل منهم يده على رأسه ، فاذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش مسجيا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون :

والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على رضى الله تعالى عنه عن الفراش . فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى كان حدثنا .

قال ابن اسحاق وكان مما أنزل الله تعالى من القرآن فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » وقوله جل وعز : « **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** » المنون الموت . وريب المنون ما يريب ويعرض منها .

قال ابن اسحاق : ثم أذن لرسول الله ﷺ فى الهجرة فأخبر أبا بكر بذلك . فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله . قال : الصحبة . فبكى أبو بكر رضى الله تعالى عنه من شدة فرحه ، وكان أبو بكر ابتاع راحلتين فاحتبسهما فى داره اعدادا لذلك ، حينما استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فقال له : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فطمع بأن يكون عنى نفسه عليه الصلاة والسلام . ثم قال : يا نبى الله ان هاتين راحلتين قد كنت اعددتهما لهذا ، فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج مع أبى بكر خرجا الى غار بثور ، جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ولم يعلم بخروجهما الا على بن أبى طالب وآل أبى بكر الصديق .

أما على فان رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان عليه الصلاة والسلام ليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ، فأقام عليه الصلاة والسلام فى الغار ثلاثا ، ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم ، وكان عبد الله بن أبى بكر يأتيهما اذا أمسى فيخبرهما بأخبار قريش ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يرعى فاذا

أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا • حتى اذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس سارا الى المدينة ، فقدم عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر قباء لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، فأقام ﷺ بقباء وأسس مسجده وخرج يوم الجمعة ، فدخل المدينة واحتمل أبو أيوب الأنصارى رحله فوضعه فى بيته ، ونزل عليه رسول الله ﷺ وكانت قد بركت الناقة على باب مسجده وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار ، وهما فى حجر معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابنى عمر ، فسأل عليه الصلاة والسلام عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجدا يا رسول الله • فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجدا ونزل عليه الصلاة والسلام على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، ثم انتقل اليها ، وأقام على كرم الله وجهه فى مكة بعده ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى الودائع فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة •

انتهى باقتصار •

وقد ظهر فى هذه الهجرة من المعجزات النبوية والمصالح الالهية وخير العباد والمنافع العامة التى ليس لها نفاد الى يوم التناد ، ما يضيق عنه نطاق هذا الكتاب ، فلذا اقتصرنا على أقل القليل فى هذا الباب ، وقد تبين لكل منصف وعاقل غير متعسف بطلان ما سطره « عبد المسيح » من كل بهتان صريح ، وانبلج صبح الحق والصواب عن ليل ما موه من افتراء وكذاب • والحمد لله الذى أرسل نبيه بفصل الخطاب ، حتى نلنا بهما السعادة العظمى فى البدأ والمآب •

قوله : « ثم أنه بعث أول بعثة حمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين راكبا الى العيص » الى آخره • فيقال له بعد ما أثبتنا نبوته عليه الصلاة والسلام • بما تقدم من الأدلة التى ليس لك عنها محيص ، فكل ما تقوله سراب أو هباء اذ ما فعله عليه الصلاة والسلام فى أمر

الجهاد لابد أن يكون عن أمر ربانى أو القاء فى روعــه رحمانى ؛ وهو نظير ما فعله اخوانه المرسلون عليهم الصلاة والسلام مما سنذكره فى محله ان شاء الله تعالى مفصلا فلا عتاب ولا ملامة ولا اعتراض عليهم وعليه فى ذلك ، عند كل مؤمن بكتاب سماوى :

فقسى ليزدجروا ، ومن يك حازما فليقس أحيــانا على من يرحم

وأما ما ذكره من سرية حمزة رضى الله تعالى عنه .

فقد ذكر أهل السير والأخبار الصحيحة : أن أول غزواته عليــه الصلاة والسلام غزوة ودان وهى غزوة الأبواء ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا ثم سرية عبيدة بن الحارث وهى أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ؛ ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية ، وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى وعتبة ابن غزوان بن جابر ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا يتوصلان بالكفار وكان على القوم عكرمة بن أبى جهل ثم سرية حمزة رضى الله تعــالى عنــه الى ســيف البحر .

وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبــل من غزوة الأبواء قبل أن يصل الى المدينة وبعث فى مقامه ذلك حمزة الى ســيف البحر من ناحية العيص ، فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بذلك الســاحل فى ثلثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى ، وكــان موادعا للفريقين جميعا وانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رســول الله ﷺ لأحد من المسلمين .

وأما قول هذا النصرانى « فأين شروط النبوة » الى آخره فيقال

له : سنذكر ان شاء الله تعالى فيما بعد من المحال المناسبة لهذا البحث، كلاما وافيا كافيا شافيا فى بيان نصرته وغلبته على المشركين وتأييد الله سبحانه له : ونذكر جهاد غيره من الأنبياء عليهم السلام غير أنا نقول الآن : أمن شروط ألوهية المسيح التى تزعمونها أن يؤخذ المسيح وهو اله بالحالة التى تنسبونها له الصادرة من اليهود ؟ فانظروا بعين الانصاف الحالتين ، ولا تنسبوا شيئا ولا نقصا للنبيين المكرمين عليهما الصلاة والسلام •

قال النصرانى : « فلنرجع الآن اذ ليس عندك فى هذا جواب وكنت من ذلك صفرا مفلجا أنت وجميع من يعتقد مثل مقالتك ، فنقول : اما أن يكون حمزة هذا رسول نبى مبعوث • وهو ابن عمه وعن أمره خرج ومعه ثلاثون راكبا وهو على حق عند نفسه ، فانحاز فرقا من أبى جهل • وهو كافر مشرك • وانما معه ثلثمائة رجل كفار مشركين عباد أوثان ولم يحاربه بل سالمه ، أو يكون هذا خلاف ما تدعيه أنت أنه نبى مرسل ، وان الملائكة تؤيده وتقاتل دونه كما كانت تقاتل مع يشوع بن نون فانه رأى ملكا فى زى فارس ، فلم يعرفه يشوع فقال له : أمن أصحابنا أنت أم من أعدائنا ؟ فقال له الملك : أنا عظيم جيوش الرب وساعة اقبلت فخر يشوع بوجهه على الأرض ساجدا ، وقال : ما يأمر السيد عبده ؟ فقال رئيس جيوش الرب انزع خفيك من قدميك لأن المكان الذى أنت فيه مكان مقدس • ففعل يشوع ذلك • وفى هذا القول من الملك ليشوع سر ليس هذا موضعه ، وكان يشوع فى ذلك الوقت محاصرا أريحا ، فلما أتى على ذلك سبعة أيام فتح يشوع أريحا على غير عقد ولا عهد فقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى ، كما أمره ملك الرب ، فما أظنك — أيدك الله — انك تجد فى ذلك جوابا لأنك خلو من ذلك ، انتهى كلامه •

فأقول هذا كلام يدل على حماقة قائلة من وجوه عديدة ، لا تخفى على الناقد البصير ، منها : أنه متى ثبت افحامه للمسلمين بهذه المقالة

الفاسدة ، حتى يحكم أنهم صفر وليس لهم جواب عن باطل كلامه المردود المزيف سابقا ولاحقا . فكيف سولت له نفسه هذه الدعوة العظيمة أن المسلمين خاو عن جواب سفسطته وعاجزون عن رد ترهاته وغير مطلعين على هناته ؟

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الحرب وحده والنزالا

مع أنهم ولله الحمد كم لهم من مؤلف حافل وتصنيف كالصاعقة على المناضل أجابوا به عن شبهات النصارى واحتوى على طعون جعلتهم فى ميدان البحث حيارى ، وأبانوا زيف اليهود والمسيحيين وأطفأوا بزلال تحريرهم وتقريرهم نار المجوسيين ، وأبادوا بصوارم بحثهم جيوش المشركين ، وهزموا عسكر الزنادقة الملحدين ، مع أن الواقعة لم تكن كما حرر كما قدمنا شرحها آنفا .

على أنا لو سلمنا خوف المستمين من كثرة الكافرين ، واختاروا المتاركة المؤقتة ، فأى بأس فى ذلك وهم ناوون للرجعة والحرب كما قيل خدعة ؟ على أن الحواريين الذين هم فى زعم النصارى أفضل من موسى وسائر الأنبياء الاسرائيلية عليهم السلام فروا فى الليلة التى أخذت اليهود فيها عيسى عليه السلام وتركوه فى أيدى أعدائه ولم يخلص نفسه ، ولا حواريوه خلصوه من كيد اليهود . فان كانوا علموا أن عيسى الههم وفروا عنه خوفا على أنفسهم ، فكيف لم يعلمهم الههم أن القتل عليه فقط ، وأنهم ناجون من قتل اليهود لهم ؟ لاسيما وهو كان يطلب منهم أن يسهروا معه تلك الليله . وقال لهم كما فى الانجيل ؟ « ان نفسى حزينة جدا امكثوا ههنا واسهروا معى » ثم تقدم يصلى وجاءهم فوجدهم نياما . فقال لبطرس : «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة»؟ وان كان أعلمهم فلم فروا ؟ ولم لم يسهروا معه ؟ ولم طلبوا الحياة دونه ؟ .

فهذا على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه لما اجتمع المشركون على

اغتيال النبى ﷺ فى دار الندوة كما تقدم تفصيل ذلك آنفا أمره المصطفى ﷺ فنام على فراشــــة وأخبره بأنه ناج من قصــد المشركين ، وأنه لا تصل اليه أيديهم بسوء ؛ فكان كما قال عليه الصلاة والســلام فهــذا من أعظم الأدلة على نبوة نبينا عليــه الصــلاة والســلام وما فعــله الحواريون من أعظم الأدلة على عدم ألوهية عيسى عليه الســلام ، بل دليل واضح على العبودية عند كل منصف خال من العصبية •

هذا ومن المشهور بل المتواتر الذى يفيــد العلم أن الملائكة كانت تقاتل المشركين فى بعض غزوات سيد المرسلين ، كما سنذكره ان شــاء الله تعالى فى محــله •

فان قيل : لم لم تقاتل فى جميعها ؟ فالجواب : أن الله سبحانه جعل لكل شىء قدرا وأجلا وزمانا بمقتضى حكمته التى أخفاها على عبــاده فلا يسئل سبحانه عما يفعل لأنه لا يفعل ما يسئل عنه ؛ فهو المتصرف فى ملكه كما يشاء ويختار ، ألا ترى أنه قدر القتل على زكريا ويحيى وكثير من الأنبياء عليهم السلام فلا يقال انهم لو كانــوا أنبياء لمــا قتلوا ، ولا يقال مثلا : لم خلق ابليس وســلطه على كثير من عبــاده فأضلهم وأغواهم ؟ وهو سبحانه أرسل لهم رسلا يدعونهم الى توحيــده فمــا هداهم ، ثم يعذبهم على عدم ايمانهم ، ولا يقال : لم قدر عليهم الكفر ؟ ولم لم يهدهم ؟ ولم سلط عليهم ابليس ؟ ولم يعذبهم ؟ ولا يقــال : ان نوحا بقى ألف سنة يدعو قومه الى التوحيــد فلم يؤمنــوا ، فلم أغرقهم ؟ ولم لم يغرقهم قبل هذه المدة حتى لا يلدوا الكفــار ويهلــك هذا المقدار ؟ ولم لم يجعل الايمان فى قلوبهم ؟ فكل اعتراض من هذه الاعتراضات ونحوها على البارى الحكيم ســبحانه وتعالى ، أو على رسله عليهم السلام لا تصدر عن مؤمن به عز شأنه وبرسله ؟ وهــذا أمر ظاهر لدى كافة الكتابيين والمطلعين على سيرة الأنبياء والمرسلين ، لا يحتاج الى اقامة البراهين • ولعل لنا عودة الى هذه الأبحــاث ان شــاء الله تعــالى •

غير أنا ننبه على كلمتين من سقطاته هنا أيضا وهى قوله : « سر ليس هذا موضعه » فلعله قصد به اثبات التثليث فما أبعده من قصد ، وما أبطله من مراد لا يخفى بطلانه حتى على النساء وصغار الأولاد • وقوله : « فلما أتى على ذلك سبعة أيام فتح يوشع أريحا » فيقال له : لم لم يفتحها فى يوم واحد أو أقل منه لأن قوة الملائكة تقلع المدائن والقرى فى آن واحد كما فعلت ملائكة الرب فى قرى لوط وغيرها ؟ فهلا أهلكوا أهل اريحا بيوم واحد أو أقل ؟ وهلا جعلهم يقاتلون مع كل نبى من الأنبياء ؟ فما أظنه يجد الى نزول عيسى عليه السلام جوابا عن هذا وغيره مما ذكرناه ، وسيأتيك ان شاء الله تعالى زيادة على ما حررناه هنا مما يتعلق فى هذه الأبحاث ، فانتظره فى محله • والله سبحانه الموفق •

قال النصرانى : « ولنذكر أيضا غزوة صاحبك الثانية لعله يكون لك فيها أدنى جواب : ثم بعث فى الثانية كما علمت عبيدة بن الحارث بن المطلب فى ستين راكبا ، ليكون ضعف العدة الأولى فتقوى قلوبهم الى بطن رابغ بين الأبواء والجحفه ، فلقى أبا سفيان بن حرب • وأبو سفيان فى مائتى راكب فكان بينهم من الدماء ما قد علمت ثم رجعوا فما رأيت أحدا من الملائكة أعانهم على أمرهم بشىء ، وقد شهدت أنت أن جبريل كان فى صورة رجل راكب رمكة شهباء ، عليه ثياب خضر ، وقد ركب فرعون بجنوده أربعمائة ألف حصان فى طلب بنى اسرائيل ، فلما توسط بنو اسرائيل البحر قحم جبرئيل على الرمكة فى اثرهم قائلا : قدم خير ، فتبعته الخيل التى كان عليها فرعون وأصحابه ، فنجا بنو اسرائيل وغرق فرعون وأصحابه • هذه شهادتك واقرارك ببعض علامات موسى النبى الذى أتى بنى اسرائيل وأنت صاحبك خلو من هذا كله » انتهى •

فنقول : هذا كلام فيه من الكذب ما تسمع بيانه ، وقد علمت جواب بعضه فيما تقدم قريبا ، فتذكر فما فى العهد من قدم ، غير أنا نذكر ما فى كتاب المواهب اللدنية • قال : « ثم سرية عبيدة بن الحارث الى بطن

رابغ فلقى أبا سفيان بن حرب ، وكان على المشركين وقيـل مكرز بن حفص وقيل عكرمة بن أبى جهل فى مائتين ، ولم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبى وقاص رمى بسهم فكان أول سهم رمى فى الاسلام . قال ابن اسحاق : فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت فى الاسلام . وبعض الناس يقول راية حمزة قال : وانما اشـكل أمرهما انه عليـه الصلاة السلام بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس » انتهى .

فقول النصرانى : « فكان بينهم من الدماء ما قد علمت » لم نر أحدا من الاخباريين ذكر ذلك . ولو سلمنا وقوعه فأى بأس فيما هنالك ؟ فالحرب سجال والعاقبة للمتقين كما وقع أمثال ذلك لاخوانه المرسلين .

وقوله : « فما رأيت أحدا من الملائكة أعانهم » فنقول : نعم أن الملائكة قد أعانتهم كما تواترت به الأنباء فى غير ما مرة من غزواته عليه الصلاة والسلام . ومن ذلك فى غزوة بدر الكبرى التى أعز الله سبحانه بها الاسلام وأذل بها الكفرة وعبدة الأصنام .

قال فى المواهب اللدنية : « غزوة بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتـال وهى مشهـورة ونسبت الى بدر بن مخـلد كان نزلها وقيل بدر بن الحارث حافر بئرها . وقيل بدر اسـم البئر التى بهـا سميت بدرا لاستدارتها ولصفائها ورؤية البدر فيها . وقـال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذى أعز الله سبحانه فيه الاسلام وأهله ودمغ فيـه الشرك وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العـدو ، مع سـوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة ، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى عليه الصـلاة والسـلام وقبيله ، وأخزى الشيطان وجيله ؛ ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين : « ولقـد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة »أى قليـل عـددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد » انتهى .

فقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره ،

وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره • ومن حين وقوعها أذل الله تعالى الكفار وأعز المسلمين الأبرار •

وكان خروجهم من المدينة يوم السبت لثنتى عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا ، واستخلف عليه الصلاة والسلام أبا لبابة الأنصارى ، وخرج معه الأنصار ولم تكن قبل ذلك خرجت وكان عــدة من خرج معه ثلاثمائة وخمسة وثمانين ، لم يحضرها كلهم ، وانما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم ، فكانوا كمن حضرها وكــان معهم ثلاثة أفراس وكان معهم سبعون بعيرا ، وكان المشركون ألفا ويقال تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير ، وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان • وقيل يوم الاثنين وكانت من غير قصد للمسلمين ولا ميعــاد كما قال تعــالى : ((**ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا**)) وانما كان المقصد أبا سفيان وكان بالشام فى ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاص ، فأقبلوا فى قافلة عظيمة فيهــا أموال قريش الذين عملوا ما عملوا بالنبى صلى الله تعالى عليه وســلم وفعلوا ما فعلوا بالذين أسلموا فى مكة ، ويريدون اطفــاء دين الله حتى اذا كانوا قريبا من بدر ، فبلغ النبى ﷺ ذلك فأمر أصحابه بالخروج اليهــم •

فلما سمع أبو سفيان بسير النبى ﷺ اســتأجر ضمضم الغفارى أن يأتى قريشا فيخبرهم ويستنفرهم فنهضوا فى قريب من ألف مقنــع ولم يتخلف أحد من أشراف قريش الا أبا لهب وبعث مكانه العاص بن هشام وخرج رسول الله ﷺ فى أصحابه حتى بلغ الروحــاء ، فأتــاه الخبر عن قريش بمسيرهم ، فاستشار النبى ﷺ الناس فى طلب العير وحرب النفير ، فقال : ان الله تعالى وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش • فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله امض لمــا أمرك الله تعالى

فنحن معك • والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معك مقاتلون • فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له ﷺ خيرا ودعا له بخير ، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى اليوم انظر الى مصارع القوم •

روى أنس رضى الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام : هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ههنا وههنا ، قال فما ماط أى ما تنحى أحدهم عن موضع يده عليه الصلاة والسلام ، ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام قريبا من بدر ، ونزل المشركون بالعدوة القصوى من الوادى ، ونزل المسلمون على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب ، وسبقهم المشركون الى ماء بدر ، فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم ، وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء ، ووسوس الشيطان لبعضهم ، وقال : تزعمون انكم على الحق وفيكم نبى الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين ، وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم ، فيحكموا فيكم كيف شاءوا فأرسل الله سبحانه عليهم مطرا سال منه الوادى فشرب منه المسلمون ، واغتسلوا وتوضئوا وسقوا الركاب وملأوا الأسقية وأطفأ الغبار ولبد الارض ، حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله تعالى « **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به** » أى من الأحداث « **ويذهب عنكم رجس الشيطان** » وسوسته « **وليربط على قلوبكم** » **بالصبر** «**ويثبت به الأقدام**» حتى لا تسوخ فى الرمل بتلبيد الأرض •

وعن سعيد بن منصور عن عبد الله بن عتبة قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ الى المشركين وكاثرهم ، والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وأبو بكر عن يمينه فقال عليه السلام وهو فى صلاته : اللهم لا تخذلنى ، اللهم أنشدك ما وعدتنى • وفى صحيح مسلم قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لما كان يوم بدر نظر ﷺ الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، دخل العريش فاستقبل القبلة ، ومد يده فجعل يهتف بربه : اللهم انجزلى ما وعدتنى • فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداءه عن منكبيه ، فأخذ أبو بكر رداءه ، فألقاه على منكبيه فأنزل الله تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » متتابعين بعضهم فى اثر بعض وعلى قراءة فتح الدال معناه أردف الله تعالى المسلمين وجاءهم بهم مددا ، ثم زادهم سبحانه وتعالى والألف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين ، وهم الذين قيل لهم : « فثبتوا الذين آمنوا » وكانوا فى صور الرجال ويقولون للمؤمنين : اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم •

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جاء ابليس عليه اللعنة يوم بدر ، مع رايته فى صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، فقال للمشركين : لا غالب لكم اليوم « وانى جار لكم » فلما أقبل جبريل عليه السلام والملائكة كانت يده فى يد رجل من المشركين ، فانتزع يده ، ثم نكص على عقبيه،فقال يا سراقه أتزعم أنك لنا جار ؟ فقال : «انى أرى مالا ترون انى أخاف الله • والله شديد العقاب » وأن جبريل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رءوسهم عمائم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ، ويوم حنين عمائم خضر •

قال ابن الانبارى : وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميين

فعلمهم الله تعـالى بقـوله : « **فاضربوا فوق الأعناق** » أى الـرءوس « **واضربوا منهم كل بنان** » أى كل مفصل وما وقعت ضربة يوم بـدر الا فى رأس أو مفصل وكانوا يعرفون قتلاء الملائكـة من قتلائهم باثار سود فى الأعناق والبنان • وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : حدثنى رجل من بنى غفار قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر ، ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فننتهب مع من ينتهب ، فبينما نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فيهـا حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقـول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسـكت • والدبرة بالموحدة الهزيمة فى القتال • وحيزوم اسم فرس جبريل •

قال الشيخ تقى الدين السبكى عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يرفع الكفار بريشة من جناحه فعـل • ذلك لارادة أن يكون الفعل للنبى ﷺ وأصحابه ، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب التى اجراها الله تعالى فى عباده ، والله سبحانه فاعل الجميع •

انتهـى •

ولمـا التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفا من الحصباء فرمى به فى وجوههم وقال : شاهت الوجوه • فلم يبق مشرك الا دخـل فى عينيه ومنخريه منها شىء ، فانهزموا وقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم ، ونزل قوله تعالى : « **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** » وقـد فعل مثل ذلك يوم حنين أيضـا • قال أصحاب السير : استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصـار ، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ، وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب ، وكان العباس فيما قاله أهل العلم قد أسلم قديما وكان يكتم الاسلام

وخرج مع المشركين ، فقال النبى ﷺ : من لقى العباس فلا يقتله ، فانه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة •

ونقل أهل السير أنه لما قدم سفيان بن الحارث بن عبد المطلب واسم أبى سفيان المغيرة ، فقال له أبو لهب : هلم الى فعندك لعمرى الخبر ، فجلس اليه الناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله لا يقوم لها شىء •

فقال له أبو رافع — غلام العباس بن عبد المطلب ، وكان الاسلام قد دخله وهو فى مكة — : تلك والله الملائكة • فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجه أبى رافع ضربة شديدة •

فقامت أم الفضل الى عمود فضربته به ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده • فقام موليا ثم انه ما عاش بعدها الا سبع ليال ، حتى رماه الله تعالى بالعدسة ، وهى قرحة كانت العرب تتشاءم بها • وقيل انها تعدى أشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله تعالى ، وبقى بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم رفعوه بعود فى حفرة وقذفوه بالحجارة من بعيد ، حتى داروه • وأهلك الله سبحانه صناديد المشركين بأقصر زمان ، وجعل كثيرا منهم أسراء بأيدى المسلمين ، وأنجز وعده لسيد الأكوان وقوى الاسلام واشتد ساعده ، وذل الكفر وباد معاضده •

ومما ينسب لحمزة بن عبد المطلب فى هذه الغزوة قوله :

الم تر أمرا كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك الا أن قوما أقادهم ... فخانوا تواصوا بالعقوق وبالكفر
عشيه راحوا نحو بدر بجمعهم ... فكانوا رهونا للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها ... فساروا الينا فالتقينا على قدر

فلما التقينا لم تكن مثنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها ... مشهرة الألوان بينة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا ... وشيبة فى قتلى تجرجم فى الجفر
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤى بن غالب ... كرام تعز عن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا فى ضلالهم ... وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد ابليس أهله ... فخاس بهم أن الخبيث الى غدر
وقال لهم اذ عاين الأمر واضحا ... برئت اليكم ما بى اليوم من صبر
فانى لأرى ما لا ترون وانني ... أخاف عذاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البئر ألفا وجمعنا ... ثلاث مئين كالمسدمة الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهم تجرى

وقد انتهى بيان غزوة بدر على وجه الاختصار ، وتبين فيها من دلائل النبوة والمعجزات ما يكفى لذوى الاستبصار ولا يحتاج الى غيرها من المعجزات ، اذ هذه الغزوة وما انطوى فيها من الآيات كافية فى اثبات نبوته ، وحاكمة بصدق رسالته ، على أنها بعض من معجزاته عليه الصلاة والسلام كما بينا جملة منها فيما سبق ، فلا تغفل .

قال النصرانى : « ولا بد لنا أن نأتيك بالثالثة فاصبر لها طائعا أو مكرها . ثم سعد بن أبى وقاص الى الخرار خارج الجحفة فى عشرين رجلا فورد الموضع وقد سبقته العير قبل ذلك ، ففاته أمله ورجع خائبا من رحلته ، فهذا أكرمك الله خلاف آيات النبوة وعكس ما فعله نبى الله صموئيل بشاول . ولست شاكا فى معرفتك بالقصة على ما حكيت أنك دارس بالكتب المنزلة دارس لها حق دراستها . وذلك أن قيسا أبا شاول غربت له أتن فوجه ابنه شاول فى طلبها وصار شاول الى صموئيل النبى فقال له فى بعض قوله وهو يخاطبه قبل أن يعلمه خبر ما جاء لأجله : أما الأتن فرجعت الى بيت أبيك ، وأما أبوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الأتن . فهكذا تكون شروط النبوة — أصلحك الله تعالى — التى هى علم الغيب الماضى وعلم الغيب المستقبل فتخبر الأنبياء عنه ، وتذكر كونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه ، بما يظهر لهم الروح القدس.

معطى علم الغيب الذى هو نهاية الدلالات على النبوات . وقد قال المسيح الرب فى انجيله النبي الطاهر المقدس ان الشهادة العادلة الصادقة هى الكائنة من قبل رجلين عدلين صادقين ، أو ثلاثة عدول . فتلك واجب قبولها وقد أنبأناك فى فصل كتابنا هذا بثلاث شهادات عدل ، لك فيهن مقنع .

فلتنظر الآن بعد الغزوات الثلاث التى خرج فيها هؤلاء النفر ومن خرج معهم بأمر صاحبك فانصرفوا فرغا فى الغزوات التى خرج هو بنفسه فيها مع أصحابه ، فخرج أولا يريد عيرا لقريش ، فانتهى الى ودان ، فوافاه مجشى بن عمرو الضمرى ، فلم ينل منها شيئا ورجع صفرا ، ثم خرج ثانيا الى بواط وهى فى طريق الشام ، فى طلب عير لقريش فيها أمية بن خلف الجمحى ورجع ولم يصنع شيئا ، ثم خرج ثالثا الى أن وصل الى ينبع فى طلب عير لقريش أيضا يريد الشام ، وهى العير التى كان القتال ببدر بسببها فى رجعتها ، فرجع صفرا ولم يصنع شيئا . فانصف — أصلحك الله — فى هذه المواضع وأنت أهل لذلك . ان كان صاحبك نبيا كما تدعى فما للأنبياء وشن الغارات والخروج لاصابة الطريق والتعرض لأخذ أمتعة الناس ؟ وما الذى ترك صاحبك هذا للصوص وقطاع الطريق ؟ وما الفرق بينه وبين أتابك الخرمى هذا الذى قد تناهى الى سيدنا أمير المؤمنين والينا خبره بما عمل وارتكب من ظلم الناس ؟ فأجبنا ان يكن عندك فى هذا جواب واضح وانى لأعلم أنه لا جواب عندك ولا عند غيرك ، ممن اعتقد مثل اعتقادك ، ما لم يكن عندك فى غيره مما سلف » .

أقول : هذا الكلام لظهور جوابه من كل سامع لا يحتاج فى الحقيقة الى جواب ، على أنا نقول كما فى المثل « الجواب فى قذال الدمستق » أما اخبار غيره من الأنبياء عليهم السلام بالمغيبات فقد أتى عليه الصلاة والسلام بأمثال جميع ما أتوا به :

وكل آى أتى الرسل الكرام بها ∴ فانما اتصلت من نوره بهم

وقدمنا لك من بعض ذلك ما فيه مقنع ، فلا حاجة الى الاعادة والتطويل لئلا يمل السامع • وأما عدم ظفره بأعداء الله ورسوله فى هذه الغزوات فقد قدمنا أيضا ما يشعر بجوابه آنفا •

ونرجع أيضا الى ذكر نظير ما وقع لغيره من الأنبياء عليهم السلام من عدم الظفر بأعدائهم ، ومن قتل أعدائهم لعسكرهم ، ثم نصرة الأنبياء عليهم كما اتفق لنبينا عليه الصلاة السلام فى وقعة بدر ، وقتله للمشركين ونصره عليهم • ثم فى وقعة أحد كانت الغلبة الظاهرة للمشركين، ثم بعدها للمسلمين وكذا غزوة خيبر ونصرته عليه الصلاة والسلام عليهم •

ولنذكر ما فى العهد القديم ففى الأصحاح العشرين من سفر القضاة من التوراة المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٧ فى بحث مقاتلة بنى اسرائيل مع بنى بنيامين بأمر الرب سبحانه ما نصه : « فنهضوا وصعدوا الى بيت ايل وطلبوا من الله ، وقالوا بنو اسرائيل : من يصعد منا أولا لمقاتلة بنى بنيامين ؟ فقال لهم الرب يهوذا يكون أولا فنهض بنو اسرائيل من باكر ، ونزلوا على جبعة وخرج رجال اسرائيل لمحاربة بنيامين ، واصطف رجال اسرائيل للحرب عند جبعة ، فخرج بنو بنيامين من جبعة وقتلوا من بنى اسرائيل فى ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل الى الأرض ، وتقوى الشعب رجال اسرائيل ، وعادوا فاصطفوا للحرب فى الموضع الذى حاربوا فيه فى اليوم الأول ، وصعد بنو اسرائيل فبكوا أمام الرب الى المساء ، وسألوا من الرب وقالوا : أنعود فى محاربة بنى بنيامين اخوتنا ؟ فقال لهم الرب : اصعدوا اليهم وحاربوهم • فتقدم بنو اسرائيل فى اليوم الثانى لمحاربة بنى بنيامين ، وخرج بنو بنيامين اليهم من جبعة فى اليوم الثانى ، فقتلوا أيضا من بنى اسرائيل ثمانية عشر ألف رجل الى الأرض وكان جميع الذين قتلوا أبطالا ، فصعد جميع بنى اسرائيل كل الشعب ، وأتوا بيت ايل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب ، وصاموا ذلك اليوم الى المساء ، وقربوا وقودا وذبائح مسلمة قدام الرب • وسأل بنو اسرائيل الرب فى أحوالهم وكان تابوت عهد

الله فى تلك الأيام هناك ، وكان فنحاس بن اليعازر بن هرون واقفا أمامه فى تلك الأيام ، فسأل بنو اسرائيل الرب وقالوا : نعم نخرج لمحاربة بنى بنيامين اخوتنا أم نكف عنهم ؟ فقال لهم الرب : اصعدوا لأننى فى الغد أدفعهم بأيديكم » الى أن قال : « وكسر الرب بنى بنيامين قدام بنى اسرائيل وقتل بنو اسرائيل من بنى بنيامين فى ذلك اليوم خمسة وعشرين ألفا ومائة رجل مقاتلة أبطالا بأجمعهم ، وقتلوا من بنى بنيامين ثمانية عشر ألف رجل ، جميع هؤلاء أبطال مقاتلة . والذين بقوا من بنى بنيامين هربوا الى البرية ، وقتلوا منهم أيضا ألفى رجل ، ورجع بنو اسرائيل الى بنى بنيامين وضربوهم بحد السيف ، من الناس حتى البهائم ، حتى كل ما وجد ، وجميع مدن بنيامين ودساكرها أحرقوهن بالنار » انتهى .

فانظر كيف قتل بنو بنيامين بنى اسرائيل وغلبوا على بنى اسرائيل فى المحاربتين ، مع أن قتال بنى اسرائيل لبنى بنيامين كان بأمر الهى لفسقهم ، ثم ان بنى اسرائيل غلبوا بنى بنيامين فى الثالثة . فلا يقال : ان كان الله سبحانه أمر بنى اسرائيل بقتالهم ، فلم غلب بنو بنيامين بنى اسرائيل وقتلوهم فى المحاربتين المتقدمتين ؟! فكذلك لا يقال : ان كان نبينا محمد ﷺ نبيا ومأمورا بمقاتلة المشركين فلم لم ينصر عليهم فى هذه المحاربة ؟ كما لا يخفى لأن الله سبحانه قدر الأشياء بأوقاتها التى يشاؤها فلا يسأل عما يفعل .

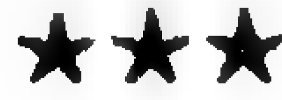
على أن ذلك حكما ذكرنا بعضها فى كتابنا هذا ، فلا تغفل .

وأما قوله : « ... الأنبياء وشن الغارات » ؟ الى آخره . فكلام عدو جاهل أو غبى ... ل بالباطل اذ التوراة مملوءة بقتل الأنبياء لأعدائهم ونهب أموالهم وقتل ذراريهم ونسائهم ومواشيهم واحراق دورهم ، فان كل خبير من أهل الكتاب يعرف أن نبينا عليه الصلاة والسلام فى جهاده لم يفعل بقومه وعدوه معشار ما فعله أنبياء بنى اسرائيل بمن

حاربهم وبأعدائهم وسنستمع قريبا ان شاء الله تعالى الى بعض ذلك •

فاعلم أولا : أن النصارى يعدون مسئلة الجهـاد من أعظم المطاعن على دين المسلمين ويقرونه فى كتبهم وتمويه عجيب ويحررونه مخلوطا بالكذب الغريب ، مع علمهم بأن ذلك فى شريعة موسى أشد منه فى شريعة محمد ﷺ وقد اتبعوا فى الطعن أهواءهم وأضلهم الله على علم ، فلبسوا لذلك جلباب العنـاد المزق ، وروجوا كلامهم على ضـعفة العقـول ، ولبسوا على كل أحمق •

ثم اعلم أن الكلام فى هذه المسألة محتو على فصلين :



الفصـــل الأول

ان علماءنا رحمهم الله تعالى قد أجابوا عن هذا الطعن بأجوبة واقعة حقة صحيحة فى ردودهم العديدة وأجوبتهم المفيدة • ولنذكر بعضا من ذلك سالكين مهيع المسالك •

فمنه : ما قاله العلامة المـاوردى فى كتابه دلائل النبوة ونصه : « فان قيل مجىء الأنبياء عليهم السلام موضوع لمصالح العالم ، وهم مأمورون بالرأفة والرحمة ، ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس ، فصار منافيا لمـا جاء به موسى وعيسى ، فزال عن حكمهما فى النبوة لمخالفتهما فى السيرة • فعنه ثلاثة أجوبة •

احدها ان الله تعالى بعث كل نبى بحسب زمانه فمنهم من بعثـه بالسيف لأن السيف أنجع ، ومنهم من بعثه باللطف لان اللطف أنفع كما خالف بين معجزاتهم بحسـب زمانهم ، فبعث موسى بالعصـا فى زمان السحر وبعث عيسى باحياء الموتى فى زمان الطب ، وبعث محمدا ﷺ بالقرآن فى زمان الفصاحة ، لأن الناس فى بـدء أمرهم يتعاطفون مع

القلة ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة . ولذلك قال رسول الله ﷺ « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ، وهلك آخرها بالبخل والأمل » .

والجواب الثانى : ان السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا ، واللطف اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا ، لأن الشرع موضوع لاقرار الفضائل الالهية والحقوق الدينية ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ، ليستقر به الخير ويتقى به الشر ، لأن النفوس الأشرة لا يكفها الا الرهبة فكان القهر لها أبلغ فى انقيادها من الرغبة ، وكانت العرب أكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم ، فلذلك كان السيف فيهم أنفع من اللطف .

والجواب الثالث : انه لم يكن فى جهاده بالسيف بدعا من الرسل ولا أول من أثخن فى أعداء الله تعالى وقبل هذا ابراهيم عليه السلام جاهد الملوك الأربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغارة على أهلها وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه وأتباعه ، وهذا يوشع بن نون قتل نيفا وثلاثين ملكا من ملوك الشام وأباد مدنها ما لم يبق له أثر ولا من أهله صافر ، من غير أن يدعوهم الى دين أو يطلب منهم اتاوة ، وساق الغنائم . وغزا داود من بلاد الشام ما لم يدع فيها رجلا ولا امرأة الا قتلهم ، وهو موجود فى كتبهم ومحمد ﷺ بدأ بالاستدعاء وحارب بعد الاباء .

روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظلمة ظلمها قط ، ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شىء فاذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك غضبا ، وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما » وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أحث الناس على الصفح والتعاطف . روى أسيد بن عبد الرحمن عن فروة ابن مجاهد عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله ﷺ فقال لى يا عقبة : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك » فهل

يكون أحنى على الخلق ممن يأمرهم بمثل هذا ؟ وانما تطلبت الملاحدة بمثل هذا الاعتراض التدح فى النبوات ، فانهم لم يعفوا نبيا من القدح فى معجزته والطعن على سيرته . حتى قال منهم فى عصرنا ، ما طعن به على موسى وعيسى ومحمد ﷺ بشعر نظمه فقال :

ومدع يدعى الأشياء خالقته … ما باله زال والأشياء لم تزل
وفالق البحر لم يفلق جوانبه … اذ ضاع فيه ضياع الحر فى السفل
وآخر يدعى بالسيف حجته … هل حجة السيف الا حجة البطل ؟

فحضرنى حين حضرت هذه الأبيات الى بعض أهل العلم فأجاب عنها فقال :

قل للذى جاء بالتكذيب للرسل … ورد معجزهم بالزيغ والدغل
وقال فى ذاك ابياتا مزخرفة … ليوقع الناس فى شك من الملل
ضياع موسى دليل من ادلته … من بعد ما صار فرق البحر كالجبل
ليعلم الناس أن الله فالقه … وان موسى ضعيف تاه فى السبل
والمعجز الحق فى فلق المياه له … وجعله البر ما يحتاط بالحيل
وابن البتول فان الله نزهه … عما ذكرت من الدعوى على الجمل
ما كان منه سوى طير يقدره … طينا وربى احياه ولم يزل
وقال انى باذن الله فاعله … وان ربى يحيى الخلق لا عملى
وصاحب السيف كان السيف حجته … بعد البيان عن الاعجاز والمثل
وجاء مبتدا بالنصح مجتهدا … بمعجزات لها حارت أولو النحل
منها كتاب مبين نظمه عجب … فيه من الغيب ما اوحى الى الرسل
فافحم الشعراء المفاتمين به … لما تحداهم بالرفق فى مهل
وانبع الماء عذبا من أنامله … من فى ما صخرة كانت ولا وشل
وشارف القوم وافاه وكلمه … وقال : انى من قتلى على وجل
والذئب قد خبر الراعى بمبعثه … فجاء يشهد بالاسلام فى عجل
والجذع حن اليه حين فارقه … حنين ذات حوار ساعة الوهل
وأخبر الناس عما فى ضمائرهم … مفصلا بجواب غير محتمل
وأنبأ الروم عن نصر يكون لها … من بعد سبعة أعوام على جدل
والفرس اخبرها عن قتل صاحبها … برويز اذ جاءه فيروز فى شغل
وان تقصيت ما جاء النبى به … طال النشيد ولم آمن من الملل

انتهى .

★★★

الفصــــل الثـــانى

فـــى

ما أجاب به بعض المؤلفين الأفاضل

قال : وانا امهد لتحرير الجواب خمسة أمور : الأول أن الله سبحانه يبغض الكفر ويجازى عليـه فى الآخرة يقينا • وكذا يبغض العصيـان وقد يعاقب الكفار والعصاة فى الدنيا أيضا فيعاقب الكفار تارة بالاغراق عموما كما فى عهد نوح عليه السلام فانه سبحانه أهلك بالطوفان كل ذى حياة على وجه الأرض غير أهل السفينة ، وتارة بالاغراق خصوصا كما فى عهد موسى عليه السلام حيث أغرق فرعون وجنوده ، وتارة بالاهلاك مفاجأة كما أهلك أكبر الأولاد لكل انسان وبهيمة من أهل مصر فى ليلة خروج بنى اسرائيل من مصر كما هو مصرح به فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج وتارة بانزال الكبريت والنار من السماء وقلب المـدن كما فى عهد لوط عليه السلام فانه أهلك سادوم وعامورة ونواحيهما بذلك ، وتارة باهلاكهم بالأمراض كمـا أهلـك الاشـدوديين بالبواسير كمـا صرح به فى الاصحاح الخامس عشر من سفر صموائيل ، وتارة بارسال الملك كما فعل بعسكر الأشوريين ، حيث أرسل عليهم ملكا فقتل منهم فى ليلة واحدة مائة ألف وثمانين ألفا • ولمـا أصبحوا اذا هم جميعـا جثثا ميتة كما صرح به فى الاصحاح التاسـع عشر من سـفر الملوك الثانى ، وتارة يكون بجهاد الأنبياء ومتبعيهم كما سـتعرفه فى الأمـر الثانى • وكذا يعاقب العصاة أيضا بالخسف تارة ، وبالنار ، كما أهلك قورح وداثان وأبيرم وغيرهم ، لمـا خالفوا موسى عليه السلام فانفلقت الأرض وابتلعت قورح وداثان وأبيرم ونساءهم وأولادهم وأثقالهم ، ثم خرجت نار فأكلت مائتين وخمسين رجلا كما صرح به فى الاصـحاح السادس عشر من سفر العدد ، وتارة بالاهلاك مفاجـأة بالوباء كمـا أهلك أربعة عشر ألفا وسبعمائة لمـا خالف بنو اسرائيل فى عد هلاك

قورح وغيره • ولو لم يقم هرون عليه السلام بين الموتى والأحياء ولم يستغفر للقوم ، هلك الكل بغضب الرب سبحانه فى هذا اليوم ، كما هو مصرح به فى الاصحاح المذكور ، وكما أهلك خمسين ألفا وسبعين رجلا من أهل بيت الشمس على أنهم رأوا تابوت الله ، كما صرح به فى الاصحاح السادس من سفر صموئيل الأول ، وتارة بارسال الحيات المؤذية كما وقع لبنى اسرائيل لما خالفوا موسى عليه السلام مرة أخرى ، فأرسل الله تعالى عليهم الحيات المؤذية ، فمات كثير منهم بلدغها ، كما صرح به فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر العدد ، وكما أهلك سبعين ألفا فى يوم واحد زمن داود ، ففى سفر صموائيل الثانى فى الاصحاح الرابع والعشرين : « فجعل الرب وباء فى بنى اسرائيل من الصباح الى الميعاد فمات من الشعب من دان الى بئر سبع وسبعون ألف رجل » وقد لا يعاقب الكفار والعصاة فى الدنيا ألا ترى أن الحواريين الذين هم على زعم المسيحيين كانوا أفضل من موسى وسائر الأنبياء الاسرائيليين ومن تابوت الله ، وان قاتليهم عند المسيحيين أسوء من الكفار الذين فى عهد نوح ولوط وموسى عليهم السلام • قد قتل نيرون الظالم المشرك الذى كان ملكا عن ملوك الروم الحوارى بطرس وزوجته ، وبولس وكثيرا من المسيحيين بأشد أنواع القتل ؟ وكذا قتل الكفار أكثر الحواريين وتابعيهم ، مع أن الله سبحانه وتعالى لم يهلكهم بالاغراق • ولا بانزال كبريت ونار ولا بقلب مدن ولا بقتل أكبر أولادهم ولا بابتلائهم بالأمراض ولا بارسال الملك ولا بالحيات ولا بوجه آخر مما قتل به الظالمين السالفين •

الأمر الثانى : ان الأنبياء السابقين عليهم السلام أيضا جاهدوا الكفار وقتلوهم وسبوا نساءهم وذراريهم ونهبوا أموالهم • ولا تختص هذه الأمور بشريعة سيد الأنبياء محمد ﷺ كما لا يخفى على من طالع كتب العهدين ، ولهذا شواهد كثيرة نكتفى ههنا على ذكر البعض منها :-

فى الاصحاح العشرين من سفر الاستثناء ما نصه : « واذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم أولا الى الصلح ، فان قبلت وفتحت

لك الأبواب فكل الشعب الذى بها يخلص ويكونون لك عبيدا يعطونك الجزية ، وان لم تعمل معك عهدا وتبتدىء بالقتال معــك ، فقاتلها أنت واذا سلمها الرب الهك بيدك اقتل جميع من بها من جنس الذكر بحـد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطـاك الرب الهك » وفى بعض نسخهم المطبوعة : « واقسم للعسكر الغنيمة بأسرها » ثم قال : « وهكذا فافعل بكل القرى البعيدة منك جدا • وليست من هذه : القرى التى ستأخذها ميراثا • فأما القرى التى تعطى أنت اياها فلا تستحيى بها نفسا البتة ، ولكن أهلكهم اهــلاكا كلهم بحـد السـيف ، الحبشى والأمورى والكنعانى والفرزى والحوارى واليابوسى كما أوصاك الرب الهك » انتهى •

فظهر من هذه العبارة أن الله تعالى أمر أن تقتل هذه القبائل الســت بحد السيف ولا يستثنى منها الذكر والأنثى أو الطفــل ، وأمر فيمـا عداهم أن يدعوا أولا الى الصلح ، فان رضوا به وقبلوا الاطاعة وأداء الجزية فبها ونعمت ، وان لم يرضوا يحاربوا فاذا حصل الظفر عليهم يقتل كل ذكر منهم بالسيف وتسبى نساؤهم وأطفالهم وتنهب مواشيهم ودوابهم وأموالهم وتقسم على المجاهدين • وهكذا يفعل بكل القــرى التى هى بعيدة من قرى الأمم الست •

وهذه العبــارة الواحدة من كتب أنبيائهم تكفى فى جوابهم والــرد عليهم فى اعتراضهم المموه الواهى الظاهر بطلانــه لهم كالشــمس فى ربعــة النهــار •

وقد نقل هذه العبارة كمــا نقلناها من عهــدهم القديم علمــاء المسلمين ســلفا وخلفا فى الرد عليهم لكنهم يتعامون عنهــا ويســكتون كأنهم لم يروها فى كتبهم ولم يسمعوها من المسلمين ، ولا يجيبون عنها لعدم وجود جواب لا بالتسليم ولا بالتأويل ، واو بالباطل كما هى عادتهم « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » ولا يبصرون •

ومنها : ما فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد ما نصه :
« كلم الرب موسى وقال له : مر بنى اسرائيل وقل لهـم : اذا عبرتم الأردن وأنتم داخلون أرض كنعان فأبيدوا كل سـكان تلـك الأرض ، واسحقوا مساجدهم واكسروا أصنامهم المنحوتـة جميعهـا ، واعقروا مذابحها كلها لتطهروا الأرض وتسكنوها من أجـل أنى قـد وهبتها لكم ميراثا • واقترعوا عليها بالسهم الكثيرون أعطوهم الاوسـع والقليلون الأضيق كل واحد كما يقع السهم هكذا يعطى الميراث • ثم ان أنتم لم تبيدوا سكان الأرض ، فالذين يبقون منهم يكونون لكم كأوتاد فى أعينكم ورماح فى أجنابكم ويشقون عليكم فى الأرض التى تسكنونها • وما كنت عزمت أن أفعل بهم ، سأفعله بكم » •

ومنها : : ما فى الاصحاح السابع من سفر الاستثناء : « أضربهم حتى أنـك لا تبقى منهم بقيـة ، فلا تواثقهم ميثاقا ، ولا ترحمهم » انتهى •

فعلم أن الله سبحانه أمر باهلاك كل ذى حياة من الأمم المذكـورة وعدم رحمتهم وعدم المعاهدة معهم ، وشدد فى ذلك حتى قال : « ان لم تهلكوهم أفعل بكم ما كنت عزمت أن أفعله بهم » ومن المعلوم : أن هؤلاء الأمم كانوا أكثر عددا وأشد قوة من بنى اسرائيل الذين كانـوا صالحين لمباشرة الحروب ، فيكون عددهم على ما يستفاد من كتب اليهود والنصارى ثمانية كرورا ، أى ثمانين مئونا من ذى حياة •

ومنها : ما فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج ما نصه :
« وفعل بنو اسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أوانى فضة وذهب وشيئا كثيرا من الكسوة ، فأما الرب فوهب نعمة لشـعبه أمام المصريين أن يعيروهم واستلبوا المصريين » انتهى فاذا كان عـدد بنى اسرائيل الكثير استعار رجالهم ونساؤهم من المصريين هذا المـال العظيم وأجاز البارى سبحانه لهم السـلب بحيلة الاسـتعارة ، التى هى فى الظاهر حيلة وخديعة ، وتقدم لك أيضا الأمر بالجهاد والقتل والسـبى

وغير ذلك ، فلم لم يجز للنبى عليه الصلاة والسلام الجهاد وكسر الأصنام وأخذ الأموال وقسمتها على ما فى كتاب الله تعالى ؟ فما الفرق بين موسى ومحمد عليهما السلام ودعوتهما واحدة ؟ فكل ما ثبتت به نبوة موسى عليه السلام ثبتت به نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وله من المعجزات ما يوف بها عليه كما تقدم ، وكذلك ما أبيح لموسى ولغيره من الأنبياء أبيح له عليه الصلاة والسلام ولا يكون فى ذلك بدعا من الرسل عليهم السلام عند كل ذى لب وانصاف •

ومنها : ما فى الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج فى بحث عبادة بنى اسرائيل للعجل ما نصه : « فنظر موسى الشعب أنه قد صار عريانا انما عراه هارون لعار النجاسة ، وجعله عريانا بين الأعداء ، فقام فى باب المحلة وقال : من كان من حزب الرب فليقبل الى ، فاجتمع اليه جميع بنى لاوى ، وقال لهم : هذا ما يقول الرب اله اسرائيل لتتقلد كل رجل منكم سيفه ، فيجوزوا فى وسط المحلة من باب الى باب ، وارقدوا وليقتل الرجل منكم أخاه وصاحبه وقريبه ، فصنع بنو لاوى كما أمرهم موسى ، فقتلوا فى ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة وعشرين ألف رجل فقال لهم موسى : كملتم أيديكم يومكم هذا للرب ، الرجل منكم بابنه وباخيه لتحل عليكم البركة ، فلما كان من الغد من ذلك اليوم كلم موسى الشعب وقال لهم : أنتم قد أخطأتم خطيئة عظيمة فأما الآن فانى أصعد الى الرب لعلى أستطيع أتضرع اليه من أجل خطيئتكم فرجع موسى الى الرب ، وقال لهم ربى حقا لقد أخطأ هذا الشعب وارتكب اثما عظيما واتخذوا آلهة من ذهب ، فالآن ان أنت غفرت لهم هذه الخطيئة ، والا فامحنى من سفرك الذى كتبت • فقال الرب لموسى : من أخطأ الى فانى أمحوه من سفرى • فأما أنت فانطلق بهذا الشعب الى حيث قلت لك ، وملاكى ينطلق أمامك ، فأما أنا فى يوم النقم أنبئهم أيضا بخطيئتهم هذه ، فضرب الرب الشعب لعبادتهم العجل الذى صنعه هارون » انتهى •

فقتل موسى ثلاثة وعشرين ألفا على عبادة العجل ، ولم تغفر لهم

هذه الخطيئة بالتوبة ، مع أنه فى شريعة نبينا عليه الصلاة والسلام تقبل توبة المرتد . فانظر كيف كان ارساله عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين . وما ذاك الا لحكم الهية ومصالح مرضية .

وفى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد : أن بنى اسرائيل لما زنوا ببنات موآب وسجدوا لآلهتن أمر الرب بقتلهم فقتلهم موسى فقتل أربعة وعشرين ألفا منهم .

ومن طالع الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد ، ظهر له أن موسى عليه السلام لما أرسل اثنى عشر ألف رجل مع فنيحاس بن ألعازار لمحاربة أهل مديان ، حاربوا وانتصروا عليهم ، وقتلوا كل ذكر منهم والخمسة ملوكهم وبلعام وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم كلها وأحرقوا القرى والدساكر والمدائن بالنار فلما رجعوا غضب عليهم موسى عليه السلام وقال : لم استحييتم النساء ؟ ثم أمر بقتل كل طفل مذكر وكل امرأة ثيبة وابقاء الأبكار ففعلوا كما أمر ، وكانت الغنيمة من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين ألفا ، ومن البقر اثنين وسبعين ألفا ، ومن الحمير أحدا وستين ألفا ، ومن الأبكار اثنين وثلاثين ألفا وكان كل مجاهد ما نهب من غير الدواب والانسان ، وأعطوا رؤساء المجاهدين الذهب لموسى والعازار ستة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين مثقالا . واذا كان عدد النساء الأبكار اثنين وثلاثين ألفا فكم يكون مقدار المقتولين من الذكور مطلقا شيوخا كانوا أو شبابا أو صبيانا ومن النساء الثيبات ؟

ومنها : أن يوشع عليه السلام عمل بعد موت موسى عليه السلام على الأحكام المندرجة فى التوراة فقتل الملبونات الكثيرة . ومن شاء فليطالع هذا الحال فى سفره من الاصحاح الحادى عشر . وقد صرح فى الاصحاح الثانى عشر من كتابه أنه قتل أحدا وثلاثين سلطانا من سلاطين الكفار ، وتسلط بنو اسرائيل على مملكتهم .

ومنها ما فى الاصحاح الثانى عشر من سفر صموائيل الثانى ونصه :

« فجع داود كل الشعب وسار الى رابة فحارب أهلها وفتحها وأخذ تاج ملكهم عن رأسه وكان وزنه قنطارا من الذهب ، وكان فيه جواهر مرتفعة وضعوه على دؤاد ، وغنيمة القرية أخرجها كثيرة جدا ، والشعب الذين كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير ، وداسهم بموارج حديد وقطعهم بالسكاكين ، وأمرهم فى آتون الآجر ، وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون ، ثم رجع داود وجميع الشعب الى أورشليم » انتهى بحروفه •

فانظروا كيف قتل داود عليه السلام بنى عمون قتلا شنيعا وأهلك جميع القرى بمثل هذا العذاب العظيم الذى لا يتصور فوقه ؟

ومنها : ما فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الأول : أن ايليا عليه السلام ذبح أربعمائة وخمسين رجلا من الذين يدعون أنهم أنبياء البعل •

ومنها : غير ذلك تركناه خشية سآمة القارئين ؛ من أراده فليرجع الى كتب العهد القديم •

والعجب : أن صاحب ميزان الحق وغيره من علماء البروتستنت يقولون : ان جهاد داود عليه السلام كان لأجل السلطنة والملك ، وهذا مع أنهم يؤمنون بكافة أنبياء بنى اسرائيل وبكتبهم طعن فى داود عليه السلام الذى هو مسلم النبوة عندهم ، وأنه بزعمهم الباطل والد الههم عيسى عليه السلام ، لأنهم يقولون الهنا عيسى بن داود ؛ ثم ينسبون لداود قتل النفوس لأجل السلطنة مع انا لو فرضناه كان لأجل السلطنة فلا يخلو اما أن يكون مرضيا لله تعالى وحلالا أو غير مرضى ، بل حراما ومبغوضا له سبحانه ، فان كان الأول ثبت مطلوبنا ؛ وان كان الثانى لزم كذب قوله ، ولزم أن يكون دماء ألوف من المعصومين غير واجبى القتل فى ذمته ، ودم البرىء الواحد يكفى لهلاك القاتل ، فكيف تحصل له النجاة الأخروية ؟ مع ما ورد فى العهد القديم من أن القاتلين نصيبهم فى البحيرة الموقدة بالنار والكبريت وحاشا داود أن يكون كذلك • وقد

عد داود عليه السلام جهاده من الحسنات حيث قال فى الزبور الثامن عشر ما نصه : « ويجازينى الرب مثل برى ، ومثل طهارة يدى يكافئنى ، لأنى حفظت طرق الرب ، ولم أكفر بالهى لأن جميع أحكامه قدامى ، وعدله لم أبعده عنى وأكون معه بلا عيب لأنه حفظنى من اثمى ويجازينى الرب مثل برى ، ومثل طهارة يدى قدام عينيه » انتهى •

وقد شهد الله سبحانه أن جهاده وسائر أفعاله الحسنة كانت مقبولة عنده تعالى كما فى الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول ما نصه : « داود عبدى الذى حفظ وصاياى وتبعنى من كل قلبه ، وعمل بما حسن أمامى » انتهى •

فالمسلمون — والحمد لله — يعتقدون أن جميع ما فعله الأنبياء عليهم السلام فى جهادهم كان من جنس البر لا من جنس الاثم ، وكان صادرا عن قوة ايمان ونيل مواعد الرحمن ، ولم يصدر عن هوى نفس أو قساوة قلب جنان ولم يكن ما فعلوه ظلما للنساء والأطفال ، ولا حبا للملك والمال ، بل اتباعا لأمر ذى الجلال الذى لا يسئل عن فعل من الأفعال هو العالم بأحوال العبيد فى المبدأ والمآل •

الأمر الثالث : لا يشترط أن تكون الأحكام العملية الموجودة فى الشريعة السابقة باقية فى الشريعة اللاحقة بعينها بل لا يشترط أن تكون هذه الأحكام العملية باقية فى شريعة واحدة من أولها الى آخرها بل يجوز أن تختلف هذه الأحكام بحسب اختلاف المصالح والأزمنة والمكلفين كمسألة الختان ، فان حكمه كان أبديا فى شريعة ابراهيم كما صرح به فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، وبقى فى شريعة موسى عليه السلام وختن عيسى عليه السلام كما صرح به فى الاصحاح الثانى من انجيل لوقا ثم نسخه الحواريون فى عهدهم ، كمسألة تعظيم السبت كان حكما أبديا فى الشريعة الموسوية ، وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل ، ومن لم يحفظه كان واجب القتل ، وكمسألة الحيوانات المأكولة وغيرها مما سنذكره ان شاء الله تعالى فى بحث جواز النسخ

والمقصود هنا : أن الجهاد كان مشروعا فى الشريعة الموسوية على طريق هو أشنع أنواع الظلم عند منكرى النبـوات ، ولم تبق مشروعيته فى الشريعة العيسوية ، وما كان بنو اسرائيل مأمورين بالجهاد قبل خروجهم من مصر ، وانما أمروا به بعد الخروج ، وعيسى عليه السلام سـوف يقتل الدجال وعسكره بعد نزوله كما صرح به فى الاصحاح الثانى من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى وفى الاصـحاح التاسـع عشر من المشـاهدات •

وكذا لا يشترط أن تكون معاملة تنبيه الكفار والعصاة على طريقة واحدة كما علمت فى الأمر الأول ، فلا يجوز لمن يعتقد النبوة والوحى أن يعترض فى مثل هذه الأمور على شريعة من الشرائع الالهية ، فلا يجوز له أن يعترض على ما قدمنا ذكره من أنواع الهلاك •

نعم من لا يكون معتقدا بالنبوة والشرائع ويكون ملحدا وزنديقا ويحكم عقله الفاسد ورأيه الكاسد وينكر أمثال هذه الأمور ، لم يستبعد منه الانكار على الأنبياء عليهم السلام فى جهادهم وأنواع اهلاكهم لمن كفر بخالقه سبحانه وتعالى وجحد نبوة أنبيائه وارسال رسله وخالف أوامره ولم يجتنب عن مناهيه ، فلا كلام لنا معه فى هـذا الكتـاب ، اذ كلامنا فيه مع أهل الكتاب ولاسيما علماء البروتستنت والله تعالى الهادى الى الصـواب •

الأمر الرابع : ان علمـاء البروتستنت يشيعون أراجف كاذبـة ويموهون على الجهال منهم بأقوال غير صائبة ويذيعون أن دين الاسلام انما صار بالسيف وقام بالسهام ، ولولا الخوف والجبر والغلبة والقهر لـما اتبع المصطفى أحد ولا آمن به من غير أهل بيته فرد ولا وحـد • وهذا زور صرف وبهتان وقول تكذبه الأخبار والوجدان • فالنبى عليـه الصلاة والسلام لم يؤمر بالقتال الا بعد الهجرة ، مع أنه قد آمن بـه من أهل مكة ومن أهل المدينة جم غفير قبل الهجرة حتى أن قسيسهم المدعو « سيل » مترجم القرآن قال فى نسخته المطبوعة سنة ١٨٥٠ : « قلما يخرج بيت من بيوت المدينة أن لا يوجد فيه مسلم من أهله قبل

الهجرة » ثم قال : « ومن قال ان الاسلام شاع بقوة السيف فقط فقوله تهمة صرفة لأن بلادا كثيرة ما ذكر فيها اسم السيف أيضا ، وشاع فيها الاسلام » انتهى .

ومن راجع تراجم الصحابة وكتب السير يعلم أن كثيرا من الناس والقبائل أسلموا بالرغبة والطوع ، وأسلم على يدهم أيضا طوائف كثيرة ممن لم يحارب ولم يقاتل ولم يخف فمن ذلك أن أبا ذر أسلم هو وأخوه أنيس وأمهما فى مبدأ الاسلام فلما رجعوا الى قبيلتهم أسلم نصف قبيلة غفار بدعوة أبى ذر وهاجر فى السنة السابعة من النبوة من مكة الى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة . وقد بقى فى مكة أيضا أناس من المسلمين . وكذلك أعلم نحو عشرين رجلا من نصارى نجران وقصتهم مشهورة وكذا أسلم ضماد الأزدى قبل السنة العاشرة من النبوة وأسلم الطفيل بن عمرو الدوسى قبل الهجرة ، وكان شريفا مطاعا فى قومه ، وأسلم أبوه وأمه بدعوته بعد ما رجع الى قومه ، وكذا قبيلة بنى الأشهل رجالا ونساء أسلمت كلها فى يوم واحد ، جمنما وعظهم قبل الهجرة مصعب ، وكانت قد تواترت لهم معجزات النبى عليه الصلاة والسلام وبعد اسلامهم كان مصعب رضى الله تعالى عنه يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار الا ما كان من دور عوالى المدينة أى قراها من جهة نجد .

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة أسلم بريدة الأسلمى مع سبعين رجلا من قومه فى طريق المدينة طائعين . وأسلم النجاشى ملك الحبشة قبل الهجرة ، ووفد أبو هند وتميم ونعيم وأربعة آخرون من الشام ، وأسلموا قبل الهجرة ، وهكذا أسلم بالطوع والحب التام جماعات كثيرة يضيق وقتنا وكتابنا هذا عن ذكرهم . ثم ان الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فى حياته عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته وفى أيام الخلفاء الراشدين دخلوا راغبين بعدهم الى حالنا هذه وزماننا هذا لازالوا داخلين بالرغبة التامة والمحبة الكاملة فى دين الاسلام من اليهود والنصارى والمجوس والهنود وعباد الأصنام من غير سيف

ولا حرب وكثير من أتباع الدول الأجنبية البعيـــدة حتى أن الجرائد الأجنبية المحررة فى هذه السنة يذكر فيها عدة من أسلم فى هذه الأعصار ألوفا كثيرة •

من ذلك ما حرره فى جريدة تايمس وغيرها من جرائـــد الافرنج ما لفظه المعرب : « قد تبين أن ستة ملايين من النفوس اهتدوا للاسلام وخرجوا عن المجوسية فى الهند ، نظرا لتحرير النفوس المجرى سنة ألف وثمانمائة واحدى وسبعين وسنة احدى وثمانين » ونقل أيضا فى جريدة الطريق المحررة فى هذه الســـنة الخامسة بعد الثلاثمائة وألف هجرية عن جرائد أوربا أن من عادة رهبان الانكليز أن يعقدوا جمعية فى كل سنة بعنوان « قونضره جرج » أى مؤتمر الكنيسة وتباحثوا فيها عن الأمور المذهبية وقد عقدت هذه الجمعية فى هذه الأيام فقرأ فيهـــا رجـــل من رهبانهم يسمى « كنون ازاق طيلر » خطبـــة بخصـــوص ترقى الدين الاسلامى • وهى أن الدين الاسلامى ينتشر فى قسم عظيم من الكرة الأرضية بتوفيق زائد الحد بالنسبة الى الدين المسيحى ، والذين يدخلون فى الدين الاسلامى من المجوس أكثر من الذين يتنصرون منهم ، والاسلام يزداد بدرجة خارقة للعادة فى أفريقيا كما أنه انتشر من فاس ومراكش الى جاوى ومن زنجبار الى بلاد الصين ، ومع أن البـــلاد من البحـــر المتوسط الى خط الاستواء جميعها من البلاد الاسلامية ، نرى الدين الاسلامى يتقدم تقدما سريعا فى جنوب افريقيا أيضـــا لأنـــه مر من الصحراء الكبيرة واستوى على بحيرات افريقيا وما جاورها من الأقطار وأهالى توميوفتو وجاوى وسنغال وغائيتا وســـواحل نهر ينك ونهـــر النيل ودار فور والسودان وما جاورها جميعهم مسلمون •

وقد انتشر الاسلام أيضا فى سواحل نهرى الكونغو وزائيرى وما جاورهما من الأقطار حتى أن حكومة أوغندة التى جميـــع رعاياها من الزنج والمجوس قبلت فى هذه الأيام الأخيرة أن تعتنق الدين الاسلامى أيضا والأورباويون الموجودون فى الهند يخدمون ترقى الدين الاسلامى، مع أنهم يجتهدون بالغاء المذهب المجوسى تدريجا • وفى هندســـتان من

النفوس مائتان وخمسون مليونا منهم مسلمون • وأهالى افريقيا أكثر من نصفهم مسلمون أيضا • وينبغى أن نعترف أن الدين الاسلامى يخدم التمدن ويحث على محاسن الأخلاق ويأمر بالانصاف بفضائل جليلة كالعدل والطهارة والعفة والحق والشجاعة والصدقة والسخاء واكرام الضيف والصدق والقناعة ، وهذه الفضائل توافق مشارب أقوام افريقيا موافقة تامة ، حال كون المذاهب البروتستانتى لم ينجح فى افريقيا أصلا • واباحة تعدد الزوجات والأسر أصبحت فى المذهب الاسلامى فى حالة ترضى لأن الشريعة الاسلامية توصى بالرفق بالأسارى وتحض على عتقهم وبسبب اباحة تعدد الزوجات قد انتفى الاعتياد على اسقاط الأجنة من بطون الزوجات ، وغدت كل النساء تحت أزواج يحمونهن •

ومن فوائد تعدد الزوجات عدم الانكباب على الزنا فى البلاد الاسلامية الذى يسود وجوه البلاد النصرانية وكان اباحة تعدد الزوجات من أصل الشريعة عندهم لا يرى فيه ذل على النساء ، كما أنه لا يضر بالرجال أيضا ، وبناء عليه لا وجود فى البلاد الاسلامية للمحلات المعدة للفسق ، التى لا تخلو بلدة من أوروبا عنها •

والحاصل : المساعى المصروفة بدعوة أهل أفريقيا للمذهب المسيحى ذهبت سدى • والذى نرى أن الشريعة الاسلامية لا محل للاعتراض عليها انتهى بحروفه •

فانظر كيف أنطق الله تعالى هذا القسيس فى بلادهم فى هذه الجمعية العظيمة المخصوصة لهم بهذا الكلام الحق وانطق الصدق « **يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » وهذه البلاد التى ذكرها القس وهى أن دين الاسلام دخلها يعنى من أيام قريبة ، ولم يقصد البلاد التى دخلها الاسلام من السابق فى غابر الزمان كما لا يخفى •

فيقال لهذا المصنف عبد المسيح : هل أسلمت هذه البلاد التى ذكرها القس بالسيف ثم أسلمت بطوعها واشتياقها الى الدخول فى دين الاسلام ؟ فالحمد لله تعالى على ذلك . نعم ان نبينا عليه الصلاة والسلام يقال له نبى السيف لأن قبله عيسى عليه السلام لم يك مأمورا بالقتال والجهاد ، بل كان مأمورا بالدعوة الخالصة للعباد ، وشريعة نبينا كشريعة كثير من الأنبياء فى أمر الجهاد . وسنبين الحكم فى ذلك فى الأمر الخامس ان شاء الله تعالى لكننا الآن نذكر شيئا قليلا من فعل النصارى وجبرهم لغيرهم على اتباع ملتهم ومذهبهم ، ليستدل به على مخالفتهم للمسيح وقساوة قلوبهم ، وأنهم يعترضرن على المسلمين فى أمر الجهاد ، مع أنهم يفعلون أشياء لم تفعلها ارم ذات العماد . فهم يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون .

فأما فعلهم بالمسلمين فى الأندلس وغيرها قديما وحديثا وجبرهم لهم على التنصر وقتلهم لهم على ذلك بأشنع ما يتصور ، فأشهر من أن يذكر ، وقد ملئت منه بطون الدفاتر فى زماننا هذا وفى الغابر ، وكل من طالع التواريخ يعرف ذلك .

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح

غير أنا الآن ننقل من كتبهم ما فعلوه فى اليهود ، وما فعله الكاثوليك بالبروتستنت وما فعله البروتستنت بالكاثوليك . وكيف قتل بعضهم بعضا .

ففى كتاب كشف الآثار فى قصص بنى اسرائيل للقسيس مريك المطبوع سنة ١٨٣٦ ميلادية الموافقة سنة ١٢٦٧ هجرية فى الصحيفة السابعة والعشرين ما لفظه : « القسطنطين الأعظم الذى كان قبل الهجرة بثلثمائة سنة قريبا أمر بقطع آذان اليهود واجلائهم الى أقاليم مختلفة ، ثم أمر ملك الملوك الرومى فى القرن الخامس من القرون

المسيحية باخراجهم من البـلدة الاسكندرية ، التى كـانت مأمنهم من مدة • وكانوا يجيئون اليها من كل جانب ، فيستريحون فيها ، وأمر بهدم كنائسهم وعدم قبول شهادتهم ، وعدم نفاذ الوصية ان أوصى أحد منهم لأحد فى ماله • ولمـا ظهر منهم بغارة ما لأجل هذه الاحكام نهب جميع أموالهم ، وقتل كثيرا منهم ، وسفك الدماء بظلم ارتعد به جميع يهود هـذا الاقليم •

ثم قال فى الصحيفة الثامنة والعشرين : « أن يهود البلد انطيوح لمـا أسروا بعد ما صاروا مغلوبين ، قطع أعضـاء البعض وقتل البعض وأجلا الباقين منهم كلهم ، وظلم ملك الملوك فى جميـع مملكتـه على هؤلاء المساكين بأنواع الظلم ، ثم أجلاهم من مملكته أخيرا لأمر وهيج ولاة الممالك الأخرى ، على أن يعاملوا اليهود هذه المعاملة ، فكان حالهم أنهم تحملوا الظلم من آسيا الى أقصى حدود أوربا ، ثم بعد مدة قليلة كلفوا فى مملكة اسبنيول لقبول شرط من شروط ثلاثة وهى : أن يقبلوا المـلة المسيحية فان أبوا عن قبولها يكونون محبوسـين ، وان أبوا عن كليهما يجلون من أوطانهم وصارت مثل هذه المعاملة معهم فى ديار فرانس فهؤلاء المساكين كانوا ينتقلون من اقليم الى اقليم ولا يحصـل لهم موضع القرار ولم يحصل لهم الأمن فى آسيا الكبير أيضا ، بل قتلـوا فى كثير من الأوقات كما قتلوا فى ممالك الافرنج » •

ثم قال فى الصفحة التاسعة والعشرين : « ان أهل ملة الكاثوليك كانوا يظلمونهم لاعتقاد أنهم كفار ، وعظماء هذه المـلة عقدوا مجلسا للمشاورة وأجروا عليهم عدة أحكام : الأول : من حمى يهوديا على ضد مسيحى يكون ذا خطأ ويخرج عن المـلة • والثـانى : أنـه لا يعطى اليهودى منصبا فى دولة من الدول • والثـالث : لو كان مسيحى عبـد اليهودى فهو حر • الـرابع : لا يأكل أحد مع اليهودى ولا يعامله • والخـامس : أن ينزع الأولاد منهم ، وتربى فى المـلة المسيحية وهكذا كانت أحكام أخر » •

★ ★ ★

فصـــــل

واذا عرفت حال ظلمهم لليهود خصوصا ، وفى حــق المســلمين عموما ، وما فعلوا بهم عند تسلطهم على بيت المقدس وتســلطهم على بلاد المغرب والأندلس وغيرها مما فصلته التواريخ فى ذلك • فنذكر الآن نبذة يسيرة مما فعله الكاثوليك بالنسبة الى غيرهم من المسيحيين ، عن كتاب من كتبهم مسمى بثلاث عشر رســالة الذى طبــع فى بيروت سنة ١٨٣٩ من الميلاد باللسان العربى فقد قال فى الصفحة الخامســة عشرة ما لفظه : « أما الكنيســة الرومانية فقد اســتعملت مرات كثيرة الاضطهات والطــرد المزعج ضــد البروتستنت فى ممالك أوروبا ويظن أنها أحرقت فى النار أقل ما يكون مائتين وثلاثين ألفا من الذين آمنــوا بيسوع دون البابا ، واتخذوا الكتب المقدسة وحدها ، هدى وارشــادا لايمانهم وأعمالهم • وقد قتلت أيضا منهم ألوفا وربوات بحد السيف والحبوس والكلبتين وهى آلة من حديد لتخليع المفاصل بالجذب وأقطع العذاب المتنوع • ففى فرانسا قتلت فى يوم واحد ثلاثين ألف رجل • وذلك فى اليوم الملقب مار برتولمــاوس • وعلى هذا الأسلوب أذيالها مختضبة بدماء القديسين » انتهى •

وفى الرسالة الثانية عشر من الكتاب المذكور ما لفظه : « يوجــد قانون وضع فى المجمع الملتئم فى توليد وفى سبانيا يقول : اننا نضــع قانونا أن كل من يقبل الى هذه المملكة فيما بعد ، لا نأذن له أن يصــعد الى الكرسى ، ان لم يحلف أولا أنه لا يترك أحدا غير كاثوليكى يعيش فى مملكته،وان كان بعد ما أخذ الحكم يخالف هذا العهد،فليكن محروما قدام الاله السرمدى وليصر كالحطب للنار الأبدية » وفيها أيضا يقول وفى سنة ١٧٧٤ وضع المــلك لويس الحادى عشر ثمانية عشر قانونا أولها : اننا نأمر الديانة الكاثوليكية وحدها تكــون مأذونة فى مملكتنا • وأما الذين يتمسكون بديانة أخرى ، فليذهبوا الى الاعتقال طول حياتهم ،

والنساء فلتقطع شعورهن ويحبسن الى الموت • وثانيها : اننا نأمر أن جميع الواعظين الذين جمعوا جماعات على غير العقائد الكاثوليكية والذين عملوا ومارسوا عبادة مخالفة لها ، يعاقبون بالموت • وفى سنة ١٦٨٦ تجددت الاضطهادات عليهم فى أوربا بيد مونت لان الملك لويس الرابع عشر ، باشارة من البابا تقدم اليه بجيشه ، وهم فى بيوتهم بغاية الطمأنينة فذبح العسكر خلقا كثيرا منهم ، ووضعوا فى الحبس أكثر من عشرة آلاف ، فمات أكثرهم من الزحام والجوع • والذين سلموا أخرجوهم لكى ينزحوا من تلك البلاد • وكان ذلك اليوم شديد البرد والأرض مغطاة بالثلج والجليد • فكان كثير من الأمهات وألاودهن فى أحضانهن موتى على جانب الطريق من البرد » انتهى •

وقد ذكر أمثال ذلك وأشد حالا تركناه خشية التطويل واذا عرفت حال ظلم فرقة الكاثوليك فاعلم أن حال ظلم فرقة البروتستنت قريب منه ، وننقل بعض ما عملوه من كتاب مرآة الصدق الذى ترجمه القسيس طامس انكلس من علماء الكاثوليك من اللسان الانكليزى الى لسان أورد وأى الهندى سنة ١٨٥١ من الميلاد فى الصفحة الحادية والأربعين ما لفظه : « سلب البروتستنت فى ابتداء أمرهم ستمائة وخمسة وأربعين رباطا وتسعين مدرسة وألفين وثلثمائة وستة وسبعين كنيسة ، ومائة وعشر مارستانات من ملاكها ، فباعوها بثمن بخس وقسموها الأمراء فيما بينهم ، وأخرجوا ألوفا من المساكين المفلوكين عريانين من هذه الأمكنة » ثم قال فى الصفحة الثانية والخمسين ما لفظه : « فنلاحظ الآن أفعال الجور التى فعلها البروتستنت فى حق فرقة الكاثوليك الى هذا الحين أنهم قرروا أزيد من مائة قانون كلها خلاف الرحمة والعدل لأجل الظلم • ونحن نذكر بعضها : لايرث كاثوليكى تركة أبويه ولا يشترى أحد منهم أرضا بعد ما يجاوز عمره ثمانى عشرة سنة الا أن يصير بروتستانتيا ولا يكون لهم مكتب • ومن كان من هذه الملة يؤدى ضعف الخراج ، وان صلى أحد من قسوسهم فعليه أداء ثلثمائة وثلاثين ربية من ماله ، وان أرسل أحدهم ولده خارج انكلترا للتعلم ، فتنل هو

وولده ، وتسلب أمواله كلها . ومن لم يحضر منهم يوم الأحد فى كنيسة البروتستنت توخذ منه مائتا ربية فى كل شهر ، ولا تنفــذ أنكحتهم ولا تجهز موتاهم . ولا تعمــد اولادهم . الا اذا كانت هــذه الأمور على طريقة كنيســة انكلترا . ثم صدر الحكم ان لم يصيروا كلهم بروتستنت يسجنون ، ثم يجلون من أوطانهم مدة حياتهم » .

ثم قال فى الصفحة الحادية والستين الى السادســة والســتين ما لفظه : « حمل كثير من رهبانهم وعلمــائهم بأمر الملكة أليصاب فى المراكب ، ثم أغرقوا فى البحر وجاء عسكرها الى ايرلاند ليدخلوا أهل الكاثوليك فى ملة البروتستنت ، فأحرقوا كنائس الكاثوليك وقتلوا علماءهم وكانوا يصطادونهم كاصطياد الوحوش البرية ، وكانوا لا يؤمنون أحدا ، وان آمنوا أحدا قتلوه أيضا بعد الأمان وذبحوا العســكر الذى كان فى حصن سمروك وأحرقوا القرى والبلاد ، وأفسدوا الحبوب والمواشى ، وأجلوا أهلها » .

ثم قال : « ان البروتستنت يجمعون فى كل سنة مقدار مائتى ألف وخمســين ألف ربيــة وكراء أكثر المكانات الكبيرة ويشترون بها أولاد فرقة الكاثوليك الذين هم من المساكين المفلوكين ، ويرسلونهم فى العربيات الى اقليم آخر بالخفية ، لئلا يرى آباؤهم وأمهاتهم ويقع كثيرا أن هؤلاء الأشقياء اذا رجعوا الى أوطانهم تزوجوا بأخواتهم وأمهاتهم للجهــل وعدم الامتياز » انتهى .

وقد أطنب فى ذكر جورهم على فرقة الكاثوليك واكتفينا على هذا القدر ، اذ البعرة تدل على البعير .

فاذا أحطت خبرا ببعض ما فعله الفرقة الكاثوليكية من النصارى بالفرقة الأخرى منهم المسماة البروتستنت بالكاثوليكية وما فعله عموم النصارى بالمسلمين فى بيت المقدس ، وفى بلاد الأندلس وفى غير ذلك من بلاد المسلمين من القتل والنهب والجور الذى لا يخطر فى فكر انســان ، علمت شفقة المسلمين ورحمتهم على كافة المخلوقين ، بأى درجة من الرحمة

والانصاف ، وعلمت أن طعن النصارى على المسلمين فى مسألة الجهـاد ظلم واعتساف . فتأمل الحق واتبعه ، لئلا تحيف مع من حاف ، والله سبحانه ولى الألطاف .

الأمر الخـامس : ان حكم الجهـاد فى الشريعة الأحمدية هو أن يدعى الكفار أولا بالموعظة الحسنة الى الاسلام ، فان قبلوه فبها ونعمت ويكونـون مثلنا وان لم يقبلوا فان كانوا من مشركى العـرب فحكمهم القتل كما كان مثل هذا الحكم فى الشريعة الموسوية فى حق الأمم السبعة ، والمرتد والذابح للأوثان والداعى الى عبادتها . وان كانوا من غيرهم يدعون الى الصلح بقبول الجزية والاطاعة ، فان قبلوا فتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، وان لم يقبلوا فيحاربون مع مراعاة الشروط المصرح بها فى الكتب الفقهية ، كما كان مثله فى الشريعة الموسـوية فى حق الأمم السبعة المتقدم ذكرها . ولا تقتل النساء ولا الأطفـال بل يؤسرون ولا يحرقون بالنار ولا يمثل بهم ولا يعذبون بأنواع العذاب .

والخرافات والأكاذيب والمفتريات والهذيانات التى نقلتها علمـاء البروتستنت فى هذه المسـألة لا يلتفت اليها لأن كتب المسلمين والحمد لله تعالى منشورة فى البلدان والأحكام الالهية معلومة من القرآن والأفعال النبوية مسطورة فى هذا الشأن ، وعمل الصحابة وكتبهم مثبتة فى غـير ديوان . فكيف يروج الزور والبهتان ، وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان شديدا فى الاسلام وكان جهاد الشام من أعظم فتوحاته وكان حاضرا بنفسه عند محاصرة ايلياء ، ولمـا تسلط على ايلياء وقبل المسيحيون الجزية ما قتل أحدا ولا اكره على الايمان بالله ورسوله فردا واشترط عليهم شروطا حسـنة . وهذا بخلاف النصـارى عنـد استيلائهم عليها سنة ١٠٩٩ مسـيحية وقـد اعترف بذلك مؤرخوهم ومفسروهم أيضا فقد قال طامس نيوتن فى تفسيره المطبوع سنة ١٨٠٣ فى بلدة لندن فى الصفحة الخامسة والستين من المجلد الثانى فى بيـان تسلط أهل التثليث على أورشليم هكذا : فتحوا أورشليم فى الخامس عشر من شهر تموز الرومى سنة ١٠٩٩ بعد ما حاصروها خمسة أسـابيع

وقتلوا غير المسيحيين • فقتلوا أزيد من سبعين ألفا من المسلمين ؛ وجمعوا اليهود وأحرقوهم ، ووجدوا فى المساجد غنائم عظيمة » انتهى •

والفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية فى مسألة الجهاد أن الشريعة المحمدية يدعى الكافر فيها أولا بالموعظة الحسنة الى الاسلام بخلاف الشريعة الموسوية ، وظاهر أن الدعوة الى الايمان قبل القتل هى عين الانصاف • ففى الآية الحادية عشرة من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر حزقيال ما نصه : « يقول الرب الاله : است أريد موت المنافق بل أن يتوب المنافق من طريقه » •

والثانى : انه كان حكم النساء والصبيان القتل اذا كانوا من الأمم السبعة فى الشريعة الموسوية ، بخلاف الشريعة الأحمدية ، فان هؤلاء لا يقتلون وان كانوا من مشركى العرب ، كما كانوا لا يقتلون فى الشريعة الموسوية أيضا اذا كانوا من غير الأقوام السبعة •



الفصل الثالث : اذا تمهدت هذه الأمور الخمسة فنقول : لا شناعة فى مسألة الجهاد الاسلامى نقلا وعقلا • أما نقلا فلما عرفت فى الأمور المذكورة وأما عقلا فلأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن اصلاح القوة النظرية مقدم على اصلاح القوة العملية ؛ فاصلاح العقائد مقدم على اصلاح الأعمال وهذه مقدمة مسلمة عند كافة المليين • ولذلك لا تفيد الأعمال الصالحة بدون الايمان عندهم ، ولا يعاندنا المسيحيون أيضا فى هذه الباب ، لأن الاعمال الصالحة بدون الايمان بالمسيح لا تنجى عندهم أيضا ، وأن الجواد الحليم المتواضع الكافر بعيسى عليه السلام أشر عندهم من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان قد يتنبه على خطئه وقبحه بتنبيه الغير وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان لا يطيع الحق غالبا لأجل وجاهة قومه وشوكتهم ولا يصغى الى قول رجل من صنف

آخر بل يأنف من سماع كلامه ولاسيما اذا كان هذا القول مخالفا لطبائع صنفه وأصولهم ، ويكون فى قبوله مشقة فى أداء العبادات البدنية والمالية بخلاف ما اذا انكسرت وجاهة قومه وشوكتهم ، فلا يأنف من الاصغاء .

وكذا قد ثبت بالتجربة أن العدو اذا رأى أن مخالفه مائل الى الدعة والسكون يطمع فى التسلط على مملكته ، وهذا هو السبب الأغلبى فى زوال الدول القديمة ، وبعد تسلطه تحصل المضرة العظيمة للدين والديانة ، ولذلك اضطر المسيحيون كافة الى ما يخالف انجيلهم المتداول . فقال الكاثوليكيون : ان الكنيسة الرومانية لها سلطان حقيقى على كل مسيحى بواسطة العماد ، لكون كل معتمد خاضعا للكنيسة الرومانية ومرؤسا منها ، وهى ملتزمة بقصاص العصاة بالعقوبات الكنائسية وبأن تسلم للمصرين على ضلالهم والمضرين للجمهور الى ذوى الولاية ليعاقبوهم بالموت . وبالتالى يمكنها الزامهم بحفظ الايمان الكاثوليكى والشرائع الكنائسية تحت أى قصاص كان » انتهى .

وقد نقله عنهم صاحب الرسائل الثلاثة عشر من علماء البروتستنت فى الرسالة الثالثة عشر . وقال علماء البروتستنت من أهل انكلترا : « سعادة الملك له الحكم الأعلى فى مملكة انكلترا هذه ، وله ولاياته الأخر وله السلطنة الأولى على جميع متعلقات هذه المملكة ، سواء كانت كنائسية أو مدنية فى كل حال ، وما هى خاضعة ، بل لا يصح أن تخضع لحاكم أجنبى ، ويجوز للمسيحيين أن يتقلدوا السلاح بأمر الحكام ويباشروا الحروب ، كما هو مصرح به فى العقيدة السابعة والثلاثين من عقائد دينهم » .

فترك كلا الفريقين ظاهر أقوال عيسى عليه السلام وهو « لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، وان أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه » انتهى .

فان هذه الأقوال تخالف ما مهدوه •

واذا ثبت ما ذكرناه فلا شك فى استحسان الجهاد عقلا ، اذا كان جامعا للشروط المذكورة فى الكتب الشرعية المحمدية ، ومن تدبر ما سردناه ونبذ العصبية الجاهلية وراءه ، علم أن التشدد فى مسألة الجهاد وقتل المرتد والمرغب الى عبادة الأوثان فى الشريعة الموسوية أشد وأكثر من التشدد الذى فى الشريعة الأحمدية ، وتبين له أن طعن المسيحيين خلاف ، واعتراضهم أوهى من بيت العنكبوت ، وجوابنا أقوى من جبل قاف •

والعجب منهم أنهم لا ينظرون الى أسلافهم الذين أشاعوا ملتهم بالظلم والجور ، وكيف قرروا القوانين التى كلها جور بعد الجور ، ولم يمتثلوا قول المسيح الذى نقل متى فى الاصحاح السابع من انجيله وهو : « لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ؟ أم كيف تقول لأخيك : دعنى أخرج القذى من عينك ، وها الخشبة فى عينك ؟ يا مرائى أخرج الخشبة أولا من عينك ، وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك » • ولقد أحسن القائل :

واعجبا للمرء مع علمه •:• ان ليالى عمره سارية
يبصر فى عين أخيه القذى •:• ولا يرى فى عينه السارية

ولنرجع الى ما نحن بصدده فقد طال الكلام وان كان ما بقى تضيق عنده الأرقام ولعل لنا عودة الى هذا البحث ان شاء الله تعالى •

قال النصرانى : « ثم لم يزل كذلك أن وجد القوم الذين خرج فى طلبهم فى ضعف استاق عيرهم ، وأخذ تجارتهم وقتل من أمكنه قتله من رجالهم ، وان وافاهم وهم فى منعة وقوة انحاز عنهم،وولى هاربا الى أن مات فكانت مغازيه بنفسه ستا وعشرين غزوة ، سوى السرايا التى كانت تخرج فى الليل والسوارى الخارجة نهارا ، والبعوث قاتل منها فى تسع غزوات ، والباقية كان يبعث فيها أصحابه •

ثم أعجب من هذا فى قبح الأحدوثة والشناعة فى الفعل والفظاظة ،

توجيهــه الى واحد واحد يقتله بالغيلة كتوجيــهه عبــد الله بن رواحة لقتل أسير بن دارم اليهودى بخيبر ، فقتله غيلة ، وكبعثه سالم بن عمير العمرى وحده الى أبى عفك اليهودى وهو شيخ كبير ما به حراك فقتله بالغيلة ، ليــلا وهو نائم على فراشه آمنا مطمئنا • واحتج بأنــه كان يعيبــه •

فأعلمنا — أكرمك الله — فى أى كتاب قرأت هذا ؟ وأى وحى نزل عليه به ؟ ومن أى حكم حكم على من أعاب أن يقتل ؟ فقد كان فى تأديب هذا الشيخ على ذنبه شىء دون القتل ، وخاصــة ليلا وهو نائم مطمئن آمن على فراشه • فان كان أعابه بما كان فيه فقد صدق ، وليس يجب على من صدق قتل ، وان كان كذب عليه فى قوله فليس يجب على من أكذب القتل ، بل يؤدب لئلا يعود •

وأنت تعلم — أصلحك الله — أنه ما ساغ لأحــد أن يؤذى الطــير فى وكرها ليلا وهى آمنة مطمئنة ، فكيف انسان يبعث اليه من يقتله وهو على فراشه لأنه كان يعيبه ؟ ألم يكن دون القتل شىء آخر •

أما فى أحكام الله فلا نجد هذا مطلقا لأحد ، ولا فى أحكام العقــل والطبيعة ، بل هذا لعمرى فعل الشيطان قديما بآدم وذريته منذ نزل به ما نزل ، فأين قولك — أصلحك الله — أنه بعث بالرحمة والرأفة الى النــاس كافة • وأما بعثه لعبد الله بن جحش الأسدى الى نخلة وهو بستان ابن عامر فى اثنى عشر رجلا من أصحابه ليأتيه بأخبار قريش ، فلقوا بها عمرو بن الحضرمى فى عير قريش وتجارة قد أقبــل بهــا من اليمن ، فقتلوا عمرا واستاقوا العير الى المدينة ، فلما وردوا أخــرج عبد الله بن جحش مما أغار عليه هو وأصحابه الخمس فدفعه اليــه ، فهذا لا أقول انه حلال أو حرام ، حتى اذا ما نظر فيه العــادل يقول ما يوجبه العدل والانصاف • وكذلك ما فعل فى قينقاع حيث صار اليهم بغير ذنب ولا علة الا الرغبــة فى أمــوالهم فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه ، واستوهبهم منه عبد الله بن أبى بن سلول فوهبهم له ، وأخرجهم

الى أذرعات ، بعد أن أخذ أموالهم فقسمها بين أصحابه • وأخـذ هو الخمس قائلا : هذا ما أفاء الله على نبيه ، فليت شعرى كيف طـاب له هذا ؟ وبماذا استحل أن يأخذ أموال قوم لم يـؤذوه ، ولم يكن بينهم وبينه غل وانما استضعفهم وكانوا كثيرى الأموال ؟ فما هكـذا تفعـل الأنبياء ولا من يؤمن بالله واليـوم الآخر ، وغير هؤلاء ممن لا أحـب تطويل كتابى بذكرهم ، فيمل منه القارىء ويسـأمه • وفيما وصـفنا كفاية ليستدل به على غيره من مناقبه » انتهى •

فأقول : ان أجوبة هذه الكلمات الساقطة عن حيز القبول تستفاد من مفصل ما سبق فى أمر الجهاد ، وأن النبى ﷺ بعد أن ثبتت نبوته ، فلا يعترض على حضرته العلية بمثل هذه المسـائل الجزئية ، مع أنا لا نترك كلامه هذا خـاليا عن الجـواب ، ولا نهمل رده وان كان معلوما لذوى العلم والألباب • ولنقدم بين يدى التفصيل ما ورد فى الاصحاح الثانى من سفر المـلوك الثانى فى بحث اليشاع بعد أن ظهـرت منـه المعجزات فى أريحا ما نصه : « ثم صعد من هناك الى بيت ايل وفيمـا هو صاعد فى الطريق اذ بصـبيان صـغار خرجوا من المدينة وجعلوا يستهزؤن به ، ويقولون : اصعد يا أصلع اصعد يا أقرع ، فالتفت الى ورائه ونظر اليهم • ولعنهم باسـم الرب فخـرج دبتان من الغيض فافترستا منهم اثنين وأربعين صبيا ، وانصرف من هنـاك الى جبـل الكرمل ، ومن هناك رجع الى السامرة » انتهى •

فانظر بعين الانصـاف ان أمر نبينا عليه الصلاة والسلام بقتـل بعض الكفرة الذين فى وجودهم ضرر على الاسلام وتحققت منهم الاعانة والتحريض ، على عدم اعلاء كلمة الله • ويخشى من كيدهم • ويلاحظ من مكـرهم (هل يكون مسيئا ؟) اذ فى اتلافهم ازدياد المؤمنين وذل الكفرة الطاغين وحقن دماء كثير من المسلمين • لا سيما وقد اجتمـع مع ذلك استهزاء بعضهم برسول الله ﷺ وتعييبه • وفى ذلك تثبيط لمن يريد الدخول فى الدين وتعويق عن اتبـاع المصطفى الأمين • ولا ريب أنه عليه الصلاة والسلام مأمور بذلك من رب العالمين •

ولنضرب لك مثلا لما نحن فيه وهو أن الملك اذا أرسل من خاصته رجلا الى أهل بلد من البلاد التى هى فى حوزته ليبلغهم عنه بعض الأوامر ، فاذا دخل البلد وكذبه وأعابه واستهزأ به أحد ، وأراد الناس أن يسمعوا كلامه ويفهموا مرامه • فقال لهم هذا العائب : ان هذا الرسول مفتر كاذب • ثم رجع الرسول الى مرسله وعرض له جميع قول المكذب مجملة ومفصلة • فهلا يحسن بالملك اعدامه ؟ وهل يكثر على قتله لوامه ؟ ولا يشك عاقل أنه لا يقال فى حقه الا ملك مسيس غير غافل وهذا دون ما فعله « اليشاع » بالصبية الصغار ، اذ لا يخلو فعله من وجهين : اما أن يكون لعن الصبية وطردهم عن رحمة الله تعالى — مع أنهم غير مكلفين — وأخرج عليهم الحيوان — لأجل استهزائهم به — فأكلهم بدعائه : مباحا له ذلك أو غير مباح له • ولكن الله جل وعز اغتار عليه فأخرج بلا طلبه ولا دعائه الدبتين فافترستا منهم اثنين وأربعين صبيا صغيرا لا يميزون بين الخير والشر ، وليسوا فى سن التكليف •

فان كان مباحا له ذلك ، فعلى هذا القول منهم — والذى لم يضر شيئا لأنه ان كان أصلع فقد صدقوا ، وان لم يكن أصلع فقد كذبوا •

ولا يوجب الكذب على الكبير المكلف القتل فى مثل ذلك ، فضلا عن الصغير (يكون الدعاء على الكافر مباحا) ويثبت • مطلوبنا • وان لم يكن مباحا بل البارىء جل وعز اغتار عليه عندما استهزءوا به فلا شك ولا ريب أنه اغتار على سيد المرسلين ﷺ وعليهم أجمعين فسلط على أبى عفك ونحوه ممن يعيبه عليه الصلاة والسلام ويضر بقوله وفعله : الاسلام من يشفى غليل المسلمين وينتقم من الظالمين الساعين بين العباد بالفساد ، المفسدين فى البلاد المعوقين عن الرشاد • الذين هم مثل الفارة الفاسقة فى البنيان تسعى فى نقض قوى الدعائم وهد الأركان • فقتلها بأى صورة كانت لازم عند كل عارف بالأديان • ولا يعترض على الأنبياء فى جميع ما فعلوه الا الشيطان أو ابن الشيطان • ولنرجع الى رد أقواله وتفصيلها • أما قوله « كتوجيهه عبد الله بن رواحة

لقتل أسير بن دارم اليهودى بخيبر فقتله غيلة » فاعلم أنه كان من حديث اليسير بن رزام ويقال ابن رازم كما قال ابن هشام « أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ فبعث عليه السلام اليه عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له . وقالوا له : انك ان قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفر من يهود فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى اذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله ﷺ ففطن به عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله وضربه اليسير بمخراش فى يده من شوحط فأمه ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله الا رجلا واحدا أفلت على رجليه ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته فلم تقح ، ولم يؤذه » انتهى .

وقوله : « وكبعثة سالم بن عمير العمرى وحده الى أبى عفك اليهودى فقتله بالغيلة » الى آخره .

قال ابن اسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبى عفك أحد بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى عبيد وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله ﷺ الحرث بن سويد بن صامت فقال :

لقد عشت دهرا وما ان ارى ... من الناس دارا ولا مجمعا
ابر عهودا واوفى لمن ... يعاقد فيهم اذا ما دعا
من أولاد قيلة فى جمعهم ... يهد الجبال ولن يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم ... حلال حرام لشىء معا
فلو ان بالعز صدقتم ... أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله ﷺ : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير أخو بنى عمرو بن عوف وهو أحد البكائين فقتله . فقالت أمامة المربدية فى ذلك :

تكــذب دين الله والمــرء احمــدا لعمر الذى أهنــاك أن بئس يمنى
حبــاك حنيف آخر الشــيخ ضعنــه ابا عفك خذها على كبر الســن

وقال فى المواهب : « قد بلغ عشرين ومائة ســـنة وكان يحرض الناس على رسول الله ﷺ ويقول فيه الشعر » انتهى •

فعلم أنه من المنافقين والمحرضين على النبى عليه الصلاة والسلام • وقوله : « فأين قولك — أصلحك الله — انه بعث بالرحمــة والرأفة الى الناس كافة » يعلم جوابه أيضا مما مر ، على أن رحمته ورأفته ثابتتان بأقواله وأفعاله عليه الصلاة السلام •

وقوله : « واما بعثه لعبد الله بن جحش الأســدى الى نخــلة » الى آخره فاعلم : أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رباب الأسدى فى رجب مقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانيـــة رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضى لمــا أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا • وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بنى عبد شــمس ابن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، ومن حلفائهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن بن حرثان أحــد بنى أسد بن خزيمة حليف لهم ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان ابن جابر حليف لهم ومن بنى زهرة بن كلب سعد بن أبى وقاص ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم ، وغيرهم •

فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فنظر فيــه فاذا فيــه : اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله فى الكتاب قال سمعا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رســول الله ﷺ أن أمضى الى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطــلق ، ومن كــره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ •

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران ، أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما ، كانا يعتقبانه ، فتخلفا عليه فى طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فاشرف لهم عكاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب ، فقال القوم . والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالبعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة .

فلما قدموا قال عليه الصلاة والسلام : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام . فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سقط فى أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا . وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا فأنزل الله تعالى على رسوله قوله : **« يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل : قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل »** أى ان كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . والفتنة أكبر من القتل أى قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه ويعذبونه حتى يردوه الى الكفر بعد ايمانه ، فذاك أكبر عند الله من القتل **« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن**

دينكم ان استطاعوا » أى ثم هم مقيمون على أخبث من ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين •

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق أمر رسول الله ﷺ بقبض العير والأسيرين وبعثت اليه قريش فى فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، ففداهما رسول الله ﷺ منهم • فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى استشهد يوم بئر معونة •

وقد ذكر ابن اسحاق أن الله عز وجل قسم الفىء حين أحله فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه الله ، وخمسه الى الله ورسوله فوقع على ما كان عبد الله صنع فى تلك العير ، قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم •

ثم أنشد عبد الله بن جحش خاطبا لقريش قوله :

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله فى البيت ساجد ؟
فانا وان عيرتمونا بقتله ... وارجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا ... بنخلة لما اوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غل من القد عاند

انتهى •

وقوله : **« وكذلك ما فعل فى قينقاع »** الى آخره قينقاع بتثليث النون والضم أشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر قال فى المواهب اللدنية : « وكانت الكفار بعد الهجرة مع النبى ﷺ على ثلاثة أقسام : قسم وادعهم على أن لا يحاربوه لا يؤلبوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة ونضير وبنى قينقاع • وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش • وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول اليه أمره كطوائف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره فى الباطن كخزاعة وبالعكس كبنى بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا ، وهم المنافقون •

وكان أول من نقض العهد بنى قينقاع فحاربهم عليه الصلاة والسلام قال ابن هشام فى سيرته : وكان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع . ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله تعالى ، مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم . قالوا : يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فاصبت منهم فرصة . انا والله ائن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس . قال ابن عباس : ما نزل هؤلاء الآيات الا فيهم : **« قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا »** أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش **« فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين . والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »** وكان حربهم فما بين بدر وأحد .

وسببه : ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست الى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها . فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها . فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وكان يهوديا . فشدت اليهود على المسلم فقتلوه . فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، على أن له الأموال ولهم النساء ، ويجلون عن المدينة فقام اليه عبد الله بن أبى بن سلول حين أمكنه الله تعالى ، منهم فقال : يا محمد أحسن فى موالى ، فأعرض عنه ، فألح على رسول الله ﷺ من أجلهم . وقال : هم أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والأصفر ، تحصدهم فى غداة واحدة ؟ انى والله امرؤ ، أخشى الدوائر فقال عليه الصلاة والسلام : هم لك وتركهم من القتل ، وأمر بأن

جلوا من المدينة ، فلحقوا باذرعات ، فما كان أقل بقائهم فيها ، وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة . وكانوا أيضا حلفاء لعبادة بن الصامت. فتبرء عبادة من حلفهم . فقال : يا رسول الله أتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرء من حلف الكفار ، وولايتهم ، ففيه وفى عبد الله بن أبى نزلت القصة من المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض » أى كعبد الله بن أبى . وقوله : انى أخشى الدوائر « يسارعون فيهم يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة . فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ؟ » ثم القصة الى قوله تعالى : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وذلك لتولى عبادة ابن الصامت الله ورسوله ، والذين آمنوا وتبرئه من بنى قينقاع وحلفهم وولايتهم « من يتول ومن الله رسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » .

قال النصرانى : « فاما غزوة أحد ، وما أصيب فيها من كسر رباعيته السفلى اليمنى ، وشق شفته ، وثلم وجنته وجبهته ، الذى ناله من عتبة ابن أبى وقاص ، وما علاه به ابن قمية الليثى بالسيف على شقه بحضرته على رجل سيفا فضربه به على اذنه فاقتلعها . فلما نظر المسيح فهذا خلاف الفعل الذى فعله الرب مخلص العالم ، وقد سل رجل بحضرته على رجل سيفا فضربه به على اذنه فاقتلعها . فلما نظر المسيح مخلصنا الى ذلك ، من فضله عمد الى الأذن فردها الى موضعها فعادت صحيحة كالأخرى ، والا حيث أصاب يد طلحة ما أصابها ، وقد وقاه بنفسه ، فلو دعا ربه فرد يده الى ما كانت عليه من صحتها ، لكانت هذه من احدى علامات النبوة وأين كانت الملائكة عن معونته ووقايته من كسر ثنيته وشق شفته ودمى وجهه ؟ وهو نبى من الأنبياء وصفى من

الأصفياء ورسول الله . كما كانت الأنبياء توقى قبله . كتوقية ايليا النبى من أصحاب أخآب الملك ، ودانيال من أسد داريوس ، وحنانيا واخوته الفتية البررة من نار بخت نصر ، وغيرهم من الأنبياء وأولياء الله . سيما ولم يخلق الله جل اسمه آدم الا لأجله ومكتوب على سرادق العرش اسمه كما تدعون » انتهى .

فأقول : ان هذا الكلام يعلم جوابه أيضا مما تقدم فى بحث الجهاد ، لكنا لا نتركه هنا بلا جواب ، خشية أن يموه فيه على ضعفة العقول الجاهلين بالمعقول والمنقول .

والذى يلقم الخصم حجرا : أن كثيرا من الأنبياء قتلهم بنو اسرائيل ونشرتهم بالمناشير ونبينا عليه الصلاة والسلام نزل عليه **« والله يعصمك من الناس »** فعصمه كما وعده ، والأعظم من قتل الأنبياء : أن الاله بزعم النصارى قتل وصلب ، ولو كان مخلص العالم لخلص نفسه ، ولما قال عند صلبه : « الهى الهى لم تركتنى » ؟ بزعم النصارى . فاذا كسرت رباعية النبى عليه الصلاة والسلام فى الجهاد ، فلا ثلم فى رسالته ، ولا عجب . على أن فى قصة أحد وما أصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية والغايات المحمودة أشياء عظيمة منها : تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهى بما وقع من بعض الرماة الذين أمرهم النبى ﷺ أن لا يبرحوا فانصرفوا عن محلهم كما سيأتى تفصيله .

ومنها عادة الرسل أن تبتلى وتكون لهم العاقبة ، فهذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبى سفيان فى القصة المشهورة : هل قاتلتموه ؟ قال : نعم . قال : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجال ندال عليه المرة ويدال علينا الأخرى . قال : كذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة والحكمة فى ذلك : أن لو انتصروا دائما لدخل فى المسلمين من ليس منهم ولم تميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة . كما قدمناه لك مما فى الاصحاح العشرين من سفر

القضاة فى مقاتلة بنى اسرائيل مع بنى بنيامين بأمر الرب سبحانه ، فانكسروا وقتلوا مرتين ، ثم فى اليوم الثالث انتصروا على بنى بنيامين . فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين ليتميز الصادق من الكاذب . وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا على المسلمين ، فلما جرت هذه القصة ، وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول ، عاد التلويح تصريحا ، وعرف المسلمون أن لهم عدوا فى دورهم واستعدوا لهم ، وتحرزوا منهم .

ومنها : أن فى تأخير النصر فى بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لسماجتها . فلما ابتلى المسلمون صبروا وجزع المنافقون . ومنها أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته فلا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ، ليصلوا اليها . ومنها : : ان الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقهم اليها . ومنها : أنه أراد اهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التى يستوجبون بها ذاك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم فى أذى أوليائه ، فمحص ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين .

ولنذكر غزوة أحد على سبيل الاختصار ليتميز الحال لذوى الأبصار :

قال ابن هشام : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب وهم كبار قريش ورجع الباقون منهم الى مكة ، فقال بعضهم لبعض : ان محمدا قتل خياركم فأعينونا بهذا المال أى العير التى لم تؤخذ فى يوم بدر على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا . ففعلوا فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ومن أطاعها من القبائل كنانة وأهل تهامة وخرجوا بالظعن أى الأهل التماس الحفيظة ، وأن لا يفروا .

فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس بزوجته هند ابنة عتبة وعكرمة بن أبى جهل بأم حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة وعمرو بن العاص بزوجته ريطة بنت منبه وغيرهم ، فجاءوا ونزلوا مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ قال للمسلمين : انى قد رأيت — والله — خيرا . رأيت بقرا تذبح ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة . فأولتها المدينة . وأما البقر فهى

ناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها •

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله تعالى بالشهادة يوم أحد ممن كان فاته يوم بدر : يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ، فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته • وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذاك ، فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقعد — صلى الله عليك — فقال عليه الصلاة والسلام لهم : ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل • فخرج رسول الله ﷺ فى ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، وهو جبل عن المدينة نحو فرسخ ، انخزل عنه عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم اذكركم الله لا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم • فلما استعصوا عليه قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عز وجل عنكم نبيه ﷺ وقال الأنصار لرسول الله ﷺ : ألا تستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم • وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار ، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا الى نسائهم • فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذى أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه • وقالوا : يا قوم الغنيمة الغنيمة فذكرهم أميرهم عهد النبى ﷺ فلم يسمعوا ، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا فجازوا منه وتمكنوا حتى أقبل آخرهم ، فأحاطوا بالمسلمين واستشهد من المسلمين سبعون وتولى كثير من الصحابة وخلص المشركون الى رسول الله عليه الصلاة والسلام

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل غير واحد ، فترصد له وحشى فضربه بحربته،ثم استشهد رضى الله تعالى عنه وهذا تأويل رؤيا رسول الله ﷺ •

ثم ان وحشى أسلم وضرب مسيلمة الكذاب بتلك الحربة ثم شد عليه انصارى من الأنصار فضربه بالسيف • قال : وحشى فربك أعلم أينا قتله • فان كنت قتلته • فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ أى حمزة • وقد قتلت شر الناس وهو مسيلمة •

والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله • فقال رسول الله ﷺ : ان حنظلة لتغسله الملائكة • ثم انهم سألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت زوجته عنه • فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة أى الصيحة والفزع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : غسلته الملائكة •

قال ابن اسحاق : وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص حتى خلص العدو الى رسول الله ﷺ فدث بالحجارة فأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة ابن أبى وقاص ، فجعل الدم يسيل على وجهه الشريف ، وجعل يمسح الدم وهو عليه الصلاة والسلام يقول : كف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم ؟ فأنزل الله سبحانه فى ذلك : **« ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون »** •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وأن عمرو بن قمئة جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته عليه الصلاة والسلام •

وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبى وقاص :

اذ الله جازى معشرا بفعالهم ونصرهم الرحمن رب المشارق

فاخــزاك ربى يا عتيب بن مــالك ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بســطت يمينــا للنـبى تعمــدا فادميــت فــاه قطعــت بالبــوارق
فهلا ذكــرت الله والمنــزل الذى تصير اليــه عند احــدى البوائق

وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل فى ظهره ، وهو منحن عليه ، حتى كثر فيــه النبل ، ورمى ســعد بن أبى وقاص دونه ، ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه ، حتى اندقت سيتها ، وأصيبت يومئــذ عين قتــادة بن النعمــان ، حتى وقعــت على وجنتــه فردها رسول الله ﷺ بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا .

وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فســأله عمــر من أنت ؟ فقــال :

انا ابن الذى سالت على الخد عينه فــردت بكف المصــطفى أيمــا رد
فعــادت كمــا كــانت لأول مــرة فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز :

تلــك المكــارم لا قعبــان من لبن شــيبا بمــاء فعــادا بعــد أبوالا

فوصله عمر بن عبد العزيز وأحسن جائزته .

ثم ان النبى عليه الصلاة والسلام قصد الشعب ومعــه ابو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيــد الله والزبير بن العوام — رضى الله تعالى عنهم — والحرث بن الصمة ورهط من المسلمين ، فلما أسند رســول الله ﷺ فى الشــعب أدركه أبى بن خلف . وهو يقول : أى محمد لا نجوت ان نجوت . فقــال القــوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال عليه الصلاة السلام دعوه . فلما دنى منه تناول رســول الله ﷺ الحربــة من الحرث بن الصمة ، ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا ، أى تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج وحملة قومه . وكان أبى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد ان عندى العود فرسا أعلفه كل يــوم فرقا من ذرة ، أقتلك عليه . فيقول رســول الله ﷺ بل أنا أقتلك ان

شاء الله تعالى فلما رجع الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمد . قالوا له : ذهب والله فؤادك والله ما بك من بأس . قال : انه كان قال لى بمكة أنـا أقتـلك . فوالله لو بصق على لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف ، وهم قافلون به الى مكة .

ولمـا انتهى رسول الله ﷺ الى أهله ناول سيفه ابنتـه فاطمـة فقال : اغسلى عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم . وكان يقال لسيفه : ذو الفقار . وقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا ، وكان يوم وقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال ، فلما كان الغد يوم الأحـد أذن مؤذن رسول الله ﷺ فى الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنـا أحد الا أحد حضر يومنا بالأمس ، فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى الى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أيام ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم رجع الى المدينـة .

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة أن أبا سـفيان بن حرب لمـا انصرف يوم أحد أراد الرجوع الى المدينة ليستأصلوا فيما زعموا بقية أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف : لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتـال ، غير الذى كان فارجعوا فرجعوا فقال النبى ﷺ وهو بحمراء الأسـد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بهـا لكانوا كأمس الذاهب . وأخذ رسول الله ﷺ فى وجهه ذلك قبل رجوعه الى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبـد شمس وأبا عزة الجمحى وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر ، ثم من عليه . فقال . يا رسول الله أقلنى فقال رسول الله ﷺ : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها . وتقول : خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه وفى رواية قال له : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . ويقـال : أن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد كان لجأ الى عثمان بن عفان،فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه ، على أنه ان وجد

بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبى ﷺ وقال : انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه .

وقد أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أحد من القرآن ستين آية من سورة آل عمران فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك ، ومعاتبه من عاتب منهم ، منها قول الله عز وجل لنبيه ﷺ : « **وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم** » أى واذكر يا محمد اذ غدوت من أهلك أى المدينة تبوىء أى تنزل المؤمنين مقاعد أى مراكز يقفون فيها للقتال « والله سميع » لأقوالكم « عليم » بأحوالكم .

قال المفسرون : وهو يوم أحد خرج رسول الله ﷺ بألف أو الا خمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب وجعل ظهره وعسكره الى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشا من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، بسفح الجبل وقال : انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا ، غلبنا أو نصرنا ، فترك بعضهم المركز لطلب الغنيمة كما تقدم تفصيله .

ومنها قوله تعالى : « **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** » وهذا تعزية للمؤمنين وتعريف لهم فيما صنعوا . وفيما هو صانع بهم ، أى قد مضت منه سبحانه وقائع

فيما صنعوا . وفيما هو صانع بهم ، أى قد مضت منه سبحانه وقائع

وأصحاب مدين ، فانه أمهلهم لوقتهم ه وقوله سبحانه : « **ولا تهنوا** » أى لا تضعفوا عن قتال الكفار « **ولا تحزنوا** » على ما أصابكم بأحد « **وأنتم الأعلون** » بالغلبة عليهم « **ان كنتم مؤمنين** » حقا « **ان يمسسكم قرح** » أى ان يصبكم بأحد جهد من جرح ونحوه « **فقد مس القوم قرح مثله** » أى مس الكفار يوم بدر « **وتلك الأيام نداولها بين الناس** » أى نصرفها بينهم ، يوما لفرقة ويوما لأخرى ، لتعظوا « **وليعلم الله الذين**

آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ٠ وليمحص الله الذين آمنوا» أى يطهرهم من الذنوب « ويمحق » يهلك الكافرين ٠ فكان الأمر كما وعد سبحانه المؤمنين من نصرهم على الكافرين فكانت العاقبة والحمد لله تعالى للمتقين ٠

وتفسير بقية الآيات النازلة مفصلة فى كتب التفسير ، وزاد المعاد للعلامة ابن القيم وكتب السير النبوية ، تركناها خشية التطويل ، فليرجع اليها من أراد التفصيل ٠



فصـــل

وأما قوله : « فهذا خلاف الفعل الذى فعله الرب مخلص العالم » الى آخره لا يخفى عليك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام لا يلزم أن تكون متوالية ، وفى زمن ومحل أرادوا لأن هذا لم يتفق لأحد منهم ، فهذا عيسى عليه السلام طلب من الله أن يؤخر عنه كأس الموت فما فعل ، كما هو مسلم عند النصارى ، وطلبت منه بنو اسرائيل معجزة فقال : ليس لى معجزة وانما معجزتى كمعجزة يونان أى يونس تظهر بعد موتى ثلاثة أيام كما سنذكره لك فى محله ٠

فالمعجزات انما تكون بخلق الله تعالى عند ارادته كما لموسى عليه السلام ولنبينا ﷺ مما عددنا لك من ذلك فى كتابنا هذا ٠ وأما ما وقع لسيدنا المسيح عليه السلام فى القصة المذكورة فقد حذف منها النصرانى ما هو دليل على عبودية المسيح لا على ألوهيته ، لأن قطع الأذن المذكورة كان فى الليلة التى أخذ فيها وقتل على دعوى النصارى ، فقد قال يوحنا فى الاصحاح الثامن عشر من انجيله : « وكان مع سمعان الصفا سيف فسله وضرب عبد عظيم الكهنة فقطع أذنه اليمنى » انتهى وليس فيه أنه ردها ولا فى غيره من الأناجيل الا لوقا فانه قال : « ولمس أذنه فأبرأه »

فتبين أن رد الاذن لم يتفق أصحاب أناجيلهم ، ولم ينقله الا واحد منهم مع أنه لو كان صحيحا لذكره غيره أيضا لأنه ، أمر مهم ، مع أن حال أناجيلهم معلوم •

ثم انهم ذكروا كلهم أنه بعد أن قطعت الأذن وهى أذن العبد الذى جاء لأخذ يسوع المسيح عليه السلام فأخذه ليلا الى عظيم الكهنة للقتل • فاليهود يقولون : لو كان المسيح يقدر على رد أذن العبد الذى جاء لأخذه وقتله لم لم يخلص نفسه من يد مقطوع الأذن ؟ مع أنه خالقه وراد أذنه • فاذن ما حكاه النصارى فى أناجيلهم باطل لا أصل له فتدبر وانصف •

وأما قوله : « سيما ولم يخلق الله جل اسمه آدم الا لأجله • ومكتوب على ساق العرش اسمه كما تدعون » فنقول له : ان هذا وان كان مذكورا فى بعض كتب الحديث ، الا أن النقاد ضعفوه ، ولم يصححوه ، فهو حديث غير متواتر ولا مشهور ، على أنا لو فرضنا صحته وشهرته وقلنا : ان اسمه مكتوب على ساق العرش ، فليس لوجه هذا القول خدش • وهذا مثل ما قالت النصارى : ان فى الانجيل أن الله تعالى نادى بين السماء والأرض : « ان هذا ابنى الحبيب » يعنى المسيح كما نذكره فى محله مفصلا ان شاء الله تعالى •

ثم أنا لا نقول : ان خلق آدم انما كان لأجله بالمعنى الذى تفهمه أنت وأمثالك ، بل نقول ما قاله العلماء الثقات أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام أشرف المخلوقات وأفضلها • وهو سيد ولد آدم وأكرمهم عليه :

ومبلغ العلم فيه أنه بشر ∴ وأنه خير خلق الله كلهم

ولا نقول فى حقه كما قالت النصارى فى المسيح عليه السلام أنه الخالق البارىء للأنام :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ∴ واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ونقول : ان قول من قال : ان الله تعالى خلق من أجله العالم أنــه لولاه عليه الصلاة والسلام لـما خلق عرشا ولا كرسـيا ولا سـماء ولا أرضا ولا شمسا ولا قمرا كلام ثم يروه أحد حديثا عن النبى ﷺ لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث ، بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدرى قائله • وتقديمه عليه الصلاة والسـلام على غيره من الأنبياء فيــه اشــارات كثيرة فى البشــارات التى قدمناها من الكتب السـماوية ، مثل مـا فى سـفر التكـوين : « **حتى يجىء الذى له الكل واياه تنتظر الامم** » وأنــه أدكون العالم كما تقدم فيمكن أن يقال : ان من كان كذلك ، فكأن العالم خلق لأجله • على أن الامام الأشعرى مذهبه أن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض ، وان كان مذهب السلفيين أنها لا تعلل لكن لا تخلو عن الحكم والمصالح أفعاله عز وجل كما هو مفصل فى مجمله • ويمكن أن يفسر أيضا بوجه صحيح ، كقوله سبحانه : « **سخر لكم ما فى السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلـك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليـل والنهار وآتكم من كل ما سـألتموه • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » وأمثال ذلك من الآيات التى يبين فيهـا أنه خلق المخلوقات لبنى آدم ومعلوم أن لله فيها حكمـا عظيمـة غير ذلك • وأعظم من ذلك • ولكن يبين لبنى آدم ما فيها من المنفعـة ، وما أسبغ عليهم من النعمة •

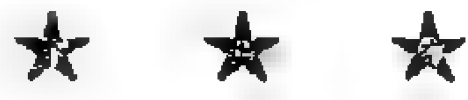
فاذا قيل : فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى وكذلك قول القائل : لولا كذا لـما خلق كذا لا يقتضى أن يكون من تلك المخلوقات حكم أخرى عظيمة • ولـما كان خلق آدم آخر ما خـلق ، وكان يوم الجمعة بعد العصر ، وكان خلق نبينا عليه الصلاة والسلام الذى هو أفضل بنى آدم منه • وقال عليه الصلاة والسلام انى عند الله لمكتـوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ، أى كتبت نبوتى وأظهرت لـما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كمـا يكتب الله عز وجل

رزق العبد وأجله وعملة اذا خلق جنينا قبل خلق الروح فيه • فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد عليه الصلاة والسلام انسان هذا العين وقطب هذه الرحا ، وأقسام هذا الجمع كان كأنه غاية الغايات فى المخلوقات ، فما ينكر أن يقال : انه لأجله خلقت جميعها ، وأنه لولاه لما خلقت ، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه مما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك • واما اذا حصل فى ذلك غلو من جنس غلو النصارى باشراك بعض المخلوقات فى شىء من الربوبية كان ذلك مردودا غير مقبول • فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » • وقد قال تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحدا » والله سبحانه هو الموفق للصواب •

قال النصرانى : « ولكنا ندع ذكر هذا الآن ونأخذ فى قول ثان • فنقول : ان صاحبك هذا أفعاله خلاف قولك انه بعث بالرحمة والرأفة الى الناس كافة لانــه كان الرجل الذى لم يكن له فكر واهتمام الا فى امرأة حسنة يتزوجها أو قوم يغير عليهم ، فيسفك دماءهم ويأخذ أموالهم وينكح نساءهم ، وشهد على نفسه أنه حبب اله الطيب والنساء ، وأنه من علامات نبوته أنه جعل فى ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة أربعين رجلا ناكحا ، فلعمرى ان هذا بعض آيات الأنبياء التى لا تكون الا فى مثله ، فأما تلك الهناة التى كانت بينــه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد ، فانى أكره ذكر شىء منها اجلالا لقدر كتابى هذا عن ذكرها ، غير أنى آتى بشىء مما حكاه فى كتابه الذى يزعم أنه أنزل عليه من السماء وأقر بلسانه اذ يقول : « واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس•والله أحق أن تخشاه،فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى

لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له • سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (أحزاب) ويكتفى كل ذى عقل من القصة بنموذجها ، اذ لا يخيل ذلك على المميزين » انتهى •

فأقول وبالله سبحانه الاستعانة : الكلام على هذا الزيف الذى لا يروج الا على ذى العقل السخيف فى مقدمة وسبعة فصول ، يستفاد منها الجواب المقبول المطابق للمعقول والمنقول •



المقـــدمة
فـــى
اعتراضـــاتهم

اعلم : أن للنصارى طعونا خمسة عائدة الى مسألة تزوجه عليه الصلاة والسلام نذكر ههنا جملة ثم نجيب عنها أيضا مفصلا ان شاء الله تعالى ، لينكشف صبح الحق عما فيها من الظلام • قالوا : الأول أنه عليه الصلاة والسلام لم يجوز لأمته التزوج بأكثر من أربع زوجات ، وهو جمع بين تسع وأظهر أن ذلك من خصائصه والثانى : أن أمته يجب العدل عليهم بين نسائهم ، وهو لا يجب عليه • والثالث : أنه دخل بيت زيد ابن حارثة رضى الله تعالى عنه فلما رفع الستر رأى زينب بنت جحش زوجة زيد فوقعت فى نفسه • وقال سبحان الله • فلما أطلع زيد على هذا الأمر طلقها فتزوجها عليه الصلاة والســلام وأظهر أن الله سبحانه زوجه اياها • والرابع : انه خلا بمارية القبطية رضى الله تعالى عنهــا فى بيت زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعــالى عنهما فى يوم نوبتها ، فغضبت حفصة ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : حرمت مارية على نفسى • ثم انه لم يقدر أن يبقى على التحريم ، حتى قال : ان الله تعالى أجازه لابطال اليمين بأداء الكفارة • والخامس : انــه

أمر أمته اذا مات أحد منهم وكان متزوجا يباح أن تتزوج امرأته بعد انقضاء عدتها بآخر ، وادعى أنه لا يجوز لأحد أن يزوج باحدى زوجاته من بعده •

وهذا غاية جهد علمائهم فيما وجدوه بزعمهم من الطعون فى أمر التزوج ، وذكرها منهم صاحب ميزان الحق ودافع البهتان ودلائل اثبات رسالة المسيح ، ودلائل النبوة ، ورد اللغو وغيرها • وزاد عليهم هذا المؤلف شيئا آخر سيأتى أيضا جوابها فى محلها ان شاء الله تعالى •



الفصل الأول

ان بعض علماء النصارى • ومنهم هذا الملفق كما سيأتى يعترض على نبينا عليه الصلاة والسلام بسبب تزوجه النساء ، ويعد ذلك نقيصة والعياذ بالله حيث ان عيسى لم يتزوج ، وكان رجل من مشهورى مدرسيهم يدعى « فرسنك » كان ورد بغداد سنة ألف ومائتين وتسع وستين ، وسأل من الشيخ الامام الوالد عليه الرحمة أسئلة من جملتها ما كان من تزوجه عليه الصلاة والسلام النساء • فأجابه عليه الرحمة بقوله : أما أمر التزوج والنكاح فهو عليه الصلاة والسلام ليس بدعا فيه من الأنبياء والمرسلين ، فمعظمهم قد تزوج ، وما امتنع عن النكاح ولا تحرج ، وليس ذلك مما ينافى النبوة بوجه من الوجوه ، اذ هو عليه الصلاة والسلام فى كمال البشرية • ولما كانت البشرية فى النبى أكمل كانت عبادته أفضل ، وسيدنا عيسى عليه السلام كانت جانب ملكيته أقوى من جانب بشريته ، اذ هو عندنا مخلوق من ماء واحد ، وكان بارد المزاج ، فلذا لم يمل الى النساء ، وأخوه نبينا محمد ﷺ كان كامل الملكية كما كان كامل البشرية يشهد الثانى كثرة نكاحه عليه الصلاة والسلام ، فقد صح أنه كان يطوف على جميع نسائه

فى الليلة الواحدة ، ويشهد للأول ما صح أنه ﷺ كان تمضى الأيـــام والليالى ولا يأكل شيئا وتوته قوته • ومضى عليه حين من الدهر وليس له الا زوجة واحدة وكان نام مع بعض زوجاته فى فراش واحد ، وهى ذات عذر ، فلا يقرب منها ما حرم الله تعالى عليه ، الى أمـــور أخـــر تشهد بكمـــال ملكيتـــه •

والعجب من النصارى حيث يقولون : ان عيسى على نبينا وعليـــه أفضل الصلاة والسلام اله كامل وبشر كامل ، مع زعمهم أن عدم ميله للنكاح مما ميزه على غيره من اخوانه وادعى أنه عليه السلام كانت له شهوة قوية للنكاح ، لكنه منع نفسه منه : دون اثباتها خرط القتـــاد • وبتقدير التسليم وجود تلك الشهوة ينافى قوة الاقدس بزعمهم •

والحاصل : « أن قوة الشهوة كمال فى البشرية ولا ينافى النبوة أصـــلا » انتهى •

ومما أنشدنيه لنفسه شاعر البســـيطة عبد الباقى أفندى العمرى الموصلى حينما أجاب بجواب آخر نظمه بقوله :

قـــل للفرســـل قـــدوة الرهبـــان … الجـــاثليق البتـــرك الربـــانى
انت الذى زعـــم الزواج نقيصـــة … فيمـــن حمـــاه الله عـــن نقصـــان
ونســـيت تـــزويج الالـــه بمـــريم … فى زعـــم كـــل مثـــلث نـــصرانى

انتهى •

وانا عودة لهذا البحث ان شاء الله تعالى •

★ ★ ★

الفصل الثانى

ان تزوج أكثر من امرأة واحدة كان جائزا فى الشرائع السابقة ، لأن ابراهيم عليه السلام تزوج بسارى ، ثم بهاجر فى حياة سارى . ولو لم يكن جائزا لما أقر عليه ، ويعقوب عليه السلام تزوج بأربع نسوة ليا وراحيل وبلها وزلفا . فالأوليان منهن أختان ابنتا لابان خاله والأخريان جاريتان ، والجمع بين الأختين حرام قطعى فى شريعة موسى عليه السلام كما صرح بالجمع فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين ، وصرح بالحرمة فى الآية الثامنة عشر من الاصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار بما نصه : « ولا تتزوج أخت امرأتك فى حياتها ، فتحزنها ولا تكشف عورتها جميعا فتحزنهما » .فلو لم يكن الجمع بينهما جائزا فى شريعة يعقوب ، للزم أن يكون أولادهما أولاد الزنا والعياذ بالله تعالى ، مع أن أكثر أنبياء بنى اسرائيل من نسلهما . فابتناء الله تعالى يعقوب عليه السلام على نكاح تلك الأربعة ، ولاسيما الأختين دليل ظاهر على جوازه فى شريعته .

وداود عليه السلام الذى هو أبو الاههم بزعمهم تزوج نساء كثيرات فتزوج أولا بيحال بنت شاؤول وكان مهرها على مائة غلفة من غلف الفلسطانيين ، فوفى له بهما على زعمهم . وتزوج بست أخريات وهن على ما فى الاصحاح الثالث من سفر صموائيل الثانى أخينعام والازد عائليه بيغال ومعكا وابنة تلمى ملك جاشور وأبيطال وعجلا . ثم تزوج بغيرهن من النساء ، وأخذ السرارى ولم يصرح بعددهن كما فى الاصحاح الثانى ما نصه : « وأخذ داود أيضا نساء وسرارى من أورشليم من بعد أن أتى من حبرون وولد له بنون وبنات منهن » .

ثم انه زنا بامرأة أوريا وقتل زوجها بالحيلة ، ثم أخذها بعد أن

حملت منه بالزنا ، فعاتبه الله تعالى على الزنا ، ولم يعاتبه على تزوج الجم الغفير من النســاء .

ولنذكر لك عبارة توراتهم حتى تســتدل بالقليل على الكثير من نسبتهم الأنبياء الى القتل ظلما والزنا بذوات الأزواج وعبادة الاصنام بعد نبوتهم . والعياذ بالله تعالى ، لتعرف كتب النصارى واليهود التى يدعون أنها كتب سماوية ، ويطعنــون فى القرآن الكريم والأفعــال المحمدية ، بأى درجة وفرية .

ففى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى الذى هو معبر عند النصارى من الكتب الالهية كاليهود ما نصه : « قام داود ، من فراشه بعد الظهر فأبصر امرأة تغتسل على ســطحها وكانت جميلة المنظر جدا ، فأرسل داود وسأل عن المرأة . فقال واحد : انهــا بنت شيباع امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها ونام معهــا ثم رجعت الى بيتها فحبلت وأخبرته ، وقالت : انى قد حبلت فأرســل داود الى يوآب قائلا له : أرسل الى أوريا ، فأرسل يوآب أوريا وسأل داود أوريا عن سلامة يوآب وعن سلامة الشعب ، وعن الحــرب ، ثم قال : انزل الى بيتك فخرج فرقد بباب بيت المــلك ولم ينحــدر الى بيته . وأخبروا داود أن أوريا لم ينزل الى بيته . فقال داود : لمــاذا لم تنحدر الى بيتك ؟ فقال أوريا تابوت الله واسرائيل ويهوذا فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى فى القفر وأنا أنطلق الى بيتى وآكل وأشرب وأنام مع امرأتى ؟ لا وحياتك وحياة نفسك انى لا أفعل هذا . وقــال داود : اقم اليوم أيضا ههنا . واذا كان الغد أرســلك . وبقى أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وفى اليوم الآخر دعاه داود ليأكل قدامه ويشرب ، فسكره وخرج وقت المســاء فنام مكانه على جانب عبيد سيده ، ولم ينحدر الى بيته ، فلمــا كان الصــباح كتب داود صحيفة الى يوآب وأرسلها بيد أوريا وقال : صيروا أوريا فى أول الحرب ، واذا اشتبك الحرب ارجعوا واتركوه وحده ليقتل ، فلمــا نزل يوآب حول القريــة أقام أوريا فى المكان الذى يعلم أن الرجال الشــجعان هنــاك ، فخرج

أهل القرية فقاتلوا يوآب . فسقط من الشـعب قوم من عبيد داود وأوريا فمات . وأرسل يوآب الى داود وأخبره وسمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات فناحت عليه ، فلما انقضت أيام مناحتها أرسـل داود فأدخلها بيته . وصارت له زوجة ، وولدت له ابنا ، وأساء هذا الفعل الذى فعل داود أمام الرب » انتهى .

وفى الاصحاح الثانى عشر من سفر صموائيل الثانى حكم الرب لداود على لسان ناثان النبى عليهما السلام ما نصه : « لمـا أزريت بوصية الرب وارتكبت القبيح أمـام عينى وقتلت أوريا الحيثانى فى الحرب وامرأته أخذتها لك امرأة ، وقتلته بسيف بنى عمون ؟ ولكن لأنك أشمت بك أعداء الرب بهـذه الفعلة ، فالابن الذى ولدك — أى من الزنا بها — موتا بموت » انتهى .

فصدر عن داود النبى بمقتضى توراة النصارى واليهود فى هذه الواقعة ثمانى خطيئات من أكبر الكبائر المنصـوص على تحريمها فى التوراة . والمقصود هنا : بيان تعدد نسائه وأما بيان ارتكاب كثير من الأنبياء للزنا على زعم أهل الكتابين ، وارتكاب بعضـهم للزنا بسرارى أبيه أو بناته بعد النبوة . فنذكره ان شاء الله تعالى فى محله وقول الله تعالى فى حق داود على لسان ناثان النبى عليهما السلام فى الاصحاح الثانى عشر من سفر صموائيل الثانى فى الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٤ وغيرها ما نصه : « ووهبت لك بيت مولاك ونساء سيدك ، اضطجعت فى حضنك ووهبت لك بيت اسرائيل ويهوذا . واذا كانت هذه قليـلة فأذيدك ومثلهن » انتهى .

فانظره فانه عين ما نحن فيه . وكذا سليمان عليه السلام عندهم قد تزوج النساء الكثيرات ففى الاصحاح الحادى عشر من . فر الملـوك الأول ما نصه : « وكان سليمان المـلك قد أحب نساء كثيرة غريبـة : وابنة فرعون ونساء من بنات الموآبين ومن بنات عمون ومن بنات أروم ، ومن بنات الصيداتين ومن بنات الحيثانيين ، من الشعوب الذين قال

الرب لبنى اسرائيل لا تدخلوا اليهم ولا يدخلوا اليكم لئلا يميلوا قلوبكم الى آلهتهم • وهؤلاء التصق بهن سليمان بحب شديد وصار له سبعمائة امرأة حرة وثلثمائة سرية ، وأغوين نساؤه قلبه • فلما كان عند كبر سليان أغوين نساؤه قلبه الى آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه سليما لله ربه ، مثل قلب أبيه داود ، وتبع سليمان عشتروت اله الصيدانيين ، وملكوم صنم بنى عمون ، وارتكب سليمان القبح أمام الرب ، ولم يتم أن يتبع الرب مثل داود أبيه ، ثم نصب سليمان نصبته لكاموش صنم موآب فى الجبل الذى قدام أورشليم ، ولملكوم وثن بنى عمون • وكذلك صنع لجميع نساء الغرباء ، وهن ينحرن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان حيث مال قلبه عن الرب اله اسرائيل الذى ظهر له مرتين ونهاه عن هذا الكلام أن لا يتبع آلهة الغرباء ، ولم يحفظ ما أمره به الرب ، فقال الرب لسليمان : لأنك فعلت هذا الفعل ولم تحفظ عهدى ووصاياى التى أمرتك بهن أشق شقا ملكك وأصيره الى عبدك » انتهى •

فصدر عن سليمان على زعم النصارى واليهود خمس خطيئات وأعظمها الكفر والارتداد فى آخر عمره ، وجزاء المرتد فى شريعتهم الرجم • ولو كان نبيا كما هو مصرح به فى توراتهم وقد صرح فى التوراة أن سليمان تزوج بألف امرأة سبعمائة منهن من بنات السلاطين ، وثلثمائة من الجوارى ولا يفهم من التوراة ولا اشارة حرمة التزوج بأزيد من امرأة واحدة • ولو كان ذلك حراما ولاسيما على الأنبياء لصرح به موسى عليه السلام كما صرح بحرمة غيره ، بل الذى يفهم منها ومن فعل الأنبياء عليهم السلام جوازه كما لا يخفى على كل ذى عقل • وفى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الاستثناء ويسمى أيضا سفر تثنية الاشتراع ما نصه : « وان كان لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة ، ويكون له منهما بنون وكان ابن المبغوضة بكرا ، وأراد أن يقسم رزقه بين أولاده ، فلا يستطيع أن يعمل ابن المحبوبة بكرا ويقدمه على ابن المبغوضة » انتهى الى غير ذلك مما تركناه مخافة التطويل •

فظهر لك اثبات ما ادعينـــاه من جواز كثرة الأزواج فى الشريعـــة الموسوية التى تؤمن بها النصارى فلذلك أخذ جدعون وداود وغيرهما من صالحى الأمة الموسوية نساء كثيرات مجتمعات • فاقتنـــع بما بيناه من الحق ودع عنك الترهات • والله سبحانه ولى التوفيق •



الفصـــل الثـــالث

فـــى

بيان تزوجه عليه الصلاة والسلام بزينب بنت جحش

وهى بنت عمته • وكانت عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه • وبعد أن طلقها وانقضت عدتها تزوجها رســـول الله ﷺ بأمر الهى • ولنذكر تفسير الآية النازلة لذلك الذى استشهد بها النصرانى على مقصده ، ملخص من روح المعانى تفسير والدنا الشيخ الامام عليه رحمة العلام • وهو . « واذ تقول » خطاب للنبى ﷺ أى اذكر وقت قولك « للذى أنعم الله عليه » بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحســـن تربيتـــه وعتقه ومراعاته وتخصيصه بالتبنى ومزيـــد القرب « وانعمت عليه » بالعمل بما وفقك الله تعالى له من فنون الاحســـان التى من جملتهـــا تحريره « أمسك عليك زوجك » زينب بنت جحش • وذلك أنها كـــانت ذات شدة ولازالت تفخر على زيد بشرفها ويسمع منها ما يكره فجاء رضى الله تعالى عنه يوما الى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ان زينب قد اشتد على لسانها وأنا أريد أن أطلقها • فقال له عليـــه الصـــلاة والسلام : « امسك عليك زوجك • واتق الله » فى أمرها ولا تطلقهـــا ضرارا وتعللا بتكبرها واشتداد لسانها عليك « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » عطف على تقول • وجوزت الحالية بتقـــدير وأنت تخفى أو بدونه والمراد بالموصول وهو ما على ما أخرج غير واحـــد عن على بن

الحسين رضى الله تعالى عنهما ، والجمهور ما أوحى الله تعالى به اليه أن زينب سيطلقها زيد وتتزوجها بعده • واليه ذهب أهل التحقيق من المفسرين « وتخشى الناس » اى تخافه من اعتراضهم ، وقيل أى تستحى من قولهم ان محمدا ﷺ تزوج زوجة مولاه • والمراد بالناس الجنس أو المنافقون « والله أحق أن تخشاه » أي والله وحده أحق أن تخشاه فى كل أمر فتفعل ما أباحه سبحانه لك يأذن لك فيه : وأنت قد خشيت الله وخشيت الناس ، من أن يقولوا تزوج امرأة الغير أو من كان تبناه والعتاب عند من سمعت على قوله عليه الصلاة والسلام « امسك » مع علمه بأنه سيطلقها ويتزوجها هو ﷺ بعده وهو عتاب على ترك الأولى • وكان الأولى فى مثل ذلك أن يسكت عليه الصلاة والسلام أو يفوض الأمر الى رأى زيد رضى الله تعالى عنه •

وحاصل العتاب : لم قلت أمسك عليك زوجك • وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ؟ وهو مطابق التلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه مبدى ما أخفاه عليه الصلاة والسلام ولم يظهر غير تزويجها منه • فقال سبحانه : « زوجناكها » فلو كان المضمر محبتها ، وارادة طلاقها ونحو ذلك كما يشير اليه كلام النصرانى لأظهره جل وعلا •

واما غير هذا مما يزعمه من فى قلبه مرض أو الجهال القصاص أو من ينقل الغث والسمين ، فانه خارج عن حيز القبول ورده العلماء العارفون بصحيح المنقول •

وقال كثير من المحققين : الظاهر أن الله تعالى لما أراد نسخ تحريم زوجة المتبنى أوحى اليه عليه الصلاة والسلام أن يتزوج زينب اذا طلقها زيد ، فلم يبادر له ﷺ مخافة طعن الأعداء • وهو توجيه وجيه •

ثم ان القصة شبيهة بقصة داود عليه السلام من جهة ، لاسيما • وقد كان النزول عن الزوجة فى صدر الهجرة جاريا بينهم ، من غير حرج فيه » انتهى •

وقوله تعالى : « **فلما قضى زيد منها وطراً** » أى طلقها وهو كناية عن ذلك • ومعنى الوطر الحاجة المهمة ، وقيل أن زيداً لم يتمكن من الاستمتاع بها • وروى أبو عصمة باسناد يرفعه اليها أنها قالت : ما كنت امتنع منه ، غير أن الله عز وجل منعنى منه • وفى الكلام تقدير أى فلما قضى زيد وطرا وانقضت عدتها • وقيل ان قضاء الوطر يشعر بانقضاء العدة ، فكأنه قيل فلما قضى زيد حاجته من نكاحها ، فطلقها وانقضت عدتها ، فلم يكن فى قلبه ميل اليها ولا وحشة من فراقها « زوجناكها » أى جعلناها زوجة لك • فقد صح من حديث البخارى والترمذى أنها رضى الله تعالى عنها كانت تفتخر على أزواج النبى ﷺ تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات • وأخرج ابن جرير عن الشعبى قال : كانت تقول للنبى ﷺ انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد ، وانى أنكحك الله اياى من السماء ، وان السفير لجبرائيل عليه السلام أى سفارته بين الله تعالى وبين رسوله عليه الصلاة والسلام • وأما السفير بينه عليه الصلاة والسلام وبينها فزيد رضى الله تعالى عنه فقد أخرج الامام أحمد ومسلم والنسائى وغيرهم عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : اذهب فاذكرها على فانطلق • فقال : يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى • فقامت الى مسجدها ونزل القرآن بالتزوج « لكيلا يكون على المؤمنين حرج » أى ضيق • وقيل اثم « فى أزواج ادعيائهم » أى فى حق تزوج أزواج الذين تبنوهم كما كانت تفعل العرب ، فانهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبى عليه الصلاة والسلام قد تبنى زيد ابن حارثة وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليهم نساء من تبنوه • والأدعياء جمع دعى • وهو الذى يدعى ابنا من غير أن يكون ابنا على الحقيقة وفى تعليل الحكم السابق بقوله سبحانه : « لكى لا يكون » الى آخره اشارة الى أن التزويج منه عليه الصلاة والسلام لم يكن لقضاء شهوة بل لبيان شريعة بفعله ﷺ فأخبرهم الله تعالى أن نساء

لأدعياء حلال لهم اذا قضوا منهن وطرا ، بخــلاف ابن الصلب ، فان امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليهــا **« وكان أمر الله مفعولا »** أى قضاؤه فى أمر زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضــاء ماضــيا موجودا فى الخارج لا محالة • وعن عائشة رضى الله تعالى عنهــا أن رسول الله ﷺ لمــا تزوج زينب قال المنافقون : تزوج حليلة ابنــه • فأنزل الله تعالى **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين »** — **« ما كان على النبى من حرج فيمــا فرض الله له »** أى ما استقام فى الحكمة أن يكون له حرج فيما أحل الله له وقــدره وقضاه « سنة الله » أى سن الله ذلك سنة « فى الذين خلوا » أى مضوا من قبلك من الأنبياء عليهم السلام حيث لم يحرج جل شأنه عليهم فى الاقدام على ما أحل لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره • وقــد كانت تحتهم المهائر والسرارى المتعددات **« وكان أمر الله قدرا مقدورا »** أى قضاء مقضيا وحتما مبتوتا • والقضاء الارادة الأزلية المتعــلقة بالأشياء على ما هى عليه • والقــدر عبارة عن ايجاده اياها على تقدير مخصوص معين ، لكن كل منهما يستعمل بمعنى الآخر •

انتهى ملخصا •

وأقول : ان هذه الآية من الأدلة التى ترغم أنف المخالف على أن القرآن كلام الله سبحانه • ولو كان النبى عليه الصلاة والسلام تقوله لمــا تقول هذه الآية الكريمة ، فهى من الأدلة القاطعة عند كل ذى فهم على صحة مسألة امرأة زيد كما قصها الله تعالى علينا وبينا لك معناها ، وأنها ليست كما يزعم النصرانى • والله سبحانه ولى التوفيق •

★ ★ ★

الفصـل الـرابع

أن الأمور الشرعية لا يجب أن تكون متحدة فى جميـع الشرائع أو مطابقة لعادات الأقوام وآرائهم ، أما الأول فمنه يعقـوب عليـه السلام جمع بين الأختين ليا وراحيل ابنتى خـاله كمـا صرح به فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين كما تقدم آنفا • وهذا الجمع حرام فى الشريعة الموسوية كمـا فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار ، وأن عمران أبا موسى عليـه السـلام تزوج بعمتـه يوخابذ ، وهو أيضا حرام فى الشريعة الموسوية ولو لم يكن هذا النكاح جائزا قبل شريعة موسى ، لزم أن يكون موسى وهارون ومريم أختهما من أولاد الزنا والعياذ بالله تعالى ، ولزم أن لا يدخلوا جماعة الرب الى عشرة أحقاب كما سنفصله ان شاء الله تعالى فى بحث النسخ •

وفى الاصحاح الخامس والاصحاح الخامس عشر من انجيل لوقا أن جميع العشارين والخطاة يدنون من المسـيح ليسـمعوه ، فتذمر الفريسيون والكتبة ، قائلين : هـذا يقبـل الخطـاة ويأكل معهم • والفريسيون كانوا يشنعون على عيسى عليه السـلام أنـه يأكل مع الخطاة ويقبلهم •

وفى الأصحاح الحادى عشر من سـفر الأعمال : « ولمـا صـعد بطرس الى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان قائلين انك دخلت الى رجال ذوى غلفة وأكلت معهم » انتهى • وأمثـال هـذا كثير • ولمـا كان زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنـه متبنى نبينا محمد ﷺ ونكاح زوجة المتبنى بعد الطلاق كان مستقبحا عند مشركى العرب ، كان عليه الصلاة والسلام يخـاف أولا من طعن عوام المشركين اذا نكح زينب رضى الله تعالى عنها ، فلما أمره الله سبحانه بذلك تشريعا لأمته ، قدم عليه ولم يبال بعادة المشركين •

* * *

الفصـــل الخـــامس

ان الأنبياء عليهم السلام لهم خصائص يخصهم الله تعالى بهـا ولا تكون لغيرهم من أمتهم آلا ترى أن هارون عليـه السلام وأولاده كانوا مخصوصين بأمور كثيرة من خدمة قبة الشهادة وما يتعلق بها • وما كانت هذه الأمور جائزة لبنى لاوى الآخرين فضلا عن غيرهم من بنى اسرائيل كما صرح به فى العهد القديم •

والعجب من هؤلاء النصـارى ولاسـيما البرتستانت منهم أنهم اذا رأوا أمرا لا تستحسـنه عقولهم وآراؤهم فى الشريعة المحمـدية ، يقولون : هذا الأمر لا يجوز أن يكون من الله سبحانه وتعالى الحكيم العادل أو يقولون ان هذا ليس بلائق بمنصب النبوة • واذا وجدوا أمرا شنيعا فى شريعتهم وحكما فظيعا فى كتبهم ، يسلمون أنه من الله سبحانه ، وأنه لائق بمنصب النبوة ، ويقبلونه ولا يظنون فيه التحريف والتبديل وذلك كأمر الله سبحانه لحزقيال عليه السلام أن يحمـل اثم اسرائيل وآل يهوذا على نفسه ، وأن يأكل الى ثلثمائة وتسـعين يوما خبزا ملطخا ببراز الانسان وكذا أمر الله تعالى لأشعيا عليه السـلام أن يمشى مكشوف العورة الغليظة عريانا بين النسـاء والرجال ، الى ثلاث سنين مع كونه فى قيد العقل • وكذا أمره ليوشع أن يأخذ لنفسه زوجة زانية ، وأن يتعشق بامرأة فاسـقة محبوبة لزوجها • ويعدون اجازة نكاح زينب بعد طلاق زوجها وانقضاء عدتها غير ممكن أن يكون من جانب الله تعالى ، وأنه غير لائق بمنصب النبوة • فهذا عيسى عليه السلام على ما يحكيه الاصحاح السابع من انجيل لوقا بما نصـه : « جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون : هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة ؟ » انتهى • كان شريبا للخمر بزعمهم وحال شريب الخمر معلوم ففى الاصحاح الثالث عشر من سفر القضاة

ما نصه : « اياك من شرب الخمر والمسكر ، ولا تأكل شيئا نجسا • فقال ملاك الرب لنوح : فليحرز عن جميع ما قلت لامرأتك ، ولا تأكل شيئا مما يخرج من الكرم ولا تشرب خمرا ولا مسكرا » ولذلك لما بشر الملك زكريا بولادة يحيى عليهما السلام بين من أوصاف تقوى يحيى أنه لا يشرب خمرا ولا مسكرا كما فى الاصحاح الأول من انجيل لوقا ما نصه : « لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب » ومعلوم أن الخمر كيف عمل بالأنبياء على زعم النصارى واليهود ، فهذا نوح شرب الخمر وزال عقله ، وصار عريانا ، وأن لوطا لما شرب الخمر وزال عقله ، فعل بابنتيه ما فعل ، وكثير من دينه الاعتراض على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعترض أيضا على عيسى وحاشاه بأشياء بعدها أيضا غير لائقة بالأنبياء تحكيها عنه الأناجيل •

ففى الاصحاح السابع من انجيل لوقا ما نصه : « وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه • فدخل بيت الفريسى واتكأ ، واذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة اذ علمت أنه متكىء فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب ، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية ، وابتدأت تبل قدميه بالدموع ، وكانت تمسحهما بشعر رأسها ، وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك تكلم فى نفسه قائلا : لو كان هذا نبيا علم من هذه الامرأة التى تلمسه ؟ وما هى ؟ انها خاطئة ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان : انتظر هذه المرأة انى دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تعط ، وأما هى فقد غسلت رجلى بالدموع ومسحتها بشعر رأسها • قبلة لم تقبلنى ، وأما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى ، بزيت لم تدهن رأسى ، وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلى ، من أجل ذلك أقول لك : قد غفرت خطاياها الكثيرة ، لأنها أحبت كثيرا • والذى يغفر له قليل يحب قليلا • ثم قال لها : مغفورة لك خطاياك ، فابتدأ المتكئون معه يقولون فى أنفسهم :

من هذا الذى يغفر خطايايا أيضا ؟ فقال للمرأة : ايمانك قد خلصك اذهبى بسلام » ٠

وفى الاصحاح الحادى عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « وكان انسان مريضا وهو لعازر من بيت عنيا قرية مريم ومرثا أختها وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا ٠ هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ، وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر » وفى الاصحاح الثالث عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون فيمن قال عنه ٠ وكان متكئا فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه ، فأومأ اليه سمعان بطرس أن يسأل من هو عيسى أن يكون الذى قال عنه ؟ فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له يا سيدى من هو ؟ » ٠

وفى الاصحاح الثالث عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ٠ ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ بغسل أرجل التلاميذ ، ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها » انتهى ٠

فالمعترضون ممن لا يعرف عصمة الأنبياء عليهم السلام يقولون : تبين أن عيسى عليه السلام لما كان أكولا شريبا للخمر وكان شابا عزبا ، فاذا بلت مريم قدميه بدموعها ومسحتهما بشعرها وقبلتهما وهى الفاحشة المشهورة كيف نسى عيسى عليه السلام حال أسلافه يهوذا وداود وسليان وروبيل ؟ فقد زنى على زعم أهل الكتاب يهودا بكنته ، وداود بامرأة أوريا ٠ وسليمان من اختلاطه بالنساء وحبه لهن كفر فى آخر عمره ، فشرب عيسى للخمر واختلاطه بالنساء وخدمتهن له ودوراهن معه فى القرى ، وهو شاب عزب ، وغفره لخطايا الفاحشة بسبب دهنها لرجليه مع اشتهار حبه لها لا يليق بالعالم ، فضلا عن النبى ﷺ انتهى ٠

★ ★ ★

الفصـــل الســـادس

وأما قوله : « ويشهد على نفسه أنه حبب اليه الطيب والنســـاء الخ كأنه جعل هذه المنقبة الجليلة معدودة بعداد الرذيلة :

أيهـــا العـــائب طيب المصطفى ⁘ ان طيب الـــورد مؤذ بالجعـــل

ولعمرى انه كلام صدر من مزكوم لم يشـــم رائحة الايمان بالله تعالى ورسله الذين يحبون المشموم لأنهم عليهم السلام يلاقون الملك • والطيب يقوى الحواس وملائكة الرب عز وجل اتحبـــه وتكره الرائحة الخبيثة ، بعكس الشياطين • حتى أن النبى ﷺ كـــان يحث النـــاس ويحرضهم على استعمال ذلك ، لمـــالهم فيـــه من الفوائد ولحضـــور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم ، ولمـــلاقاتهم له بما يحبه • ومن مروءة الانسان نظافته وطيب رائحته • ولذلك يأمرهم بالسواك ونظافة أبدانهم وبيوتهم ، وورد : « نظفوا أفنيتكم فان اليهود لا ينظفون أفنيتهم » وهذه الامرأة الزانية كما فى الاصحاح الســـابع من انجيل لوقا لمـــا دخل بيتها المسيح ، غفرلها ذنوبها بسبب الطيب ، الذى طيبتـــه به • وكان النبى ﷺ يقول : « حبب الى من دنياكم النساء الطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وفى بعض الروايات : لفظ ثلاث قـــال العلامة الخفاجى فى شرحه للشفاء فان محبة النساء من هدى الأنبياء — عليهم السلام — وكان فيه ﷺ من قوة الجمـــاع ما ليس فى غيره وكـــذا سماحته وشجاعته وشدة بطشه ، وكان فيه ﷺ قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ، هذا مع قلة أكله وشربه عليه الصـــلاة والســـلام وهذا الحديث أخرجه أصحاب الكتب الستة •

وروى الامام أحمد عن عائشة رضى الله تعالى عنهـــا : « كـــان يعجب رسول الله ﷺ من الدنيا ثلاث أشياء النساء والطيب والطعام ، فاصاب اثنين ولم يصب واحدة • أصاب النساء والطيب ، ولم ، يصب

الطعام » واسناده صحيح الا أن فيه رجلا لم يسم • وقال « حبب » بالبناء للمجهول • ودنياكم بالاضافة اليهم ، ولم يقل أحببت من دنياى اشارة الى أن محبته ﷺ لذلك ليست باختياره لشهوات نفسه ، بل بفعل الله سبحانه ، فحبه انما هو لله وذاته ، لما أراده ورضيه له ، لأنه ﷺ بشرى الظاهر ، ملكوتى لا يتجلى بأحوال البشر الا اذا أمره الله تعالى ، لتتأسى به أمته ، وتتشرف بما رضيه له • فعده ﷺ من البشر كعد الياقوت من الأحجار ، وكان اذا دخل فى الصلاة يشتغل ظاهره وباطنه عن الخلق ، لوقوفه بين يدى خالقه ، فيزداد قربا ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور بصيرته • فلذا جعلها قرة عينه • ولذا شرع السلام عند اكمالها لعوده الى من عنده من معراجه •

قال القاضى عياض : فدل على أن حبه ﷺ لما ذكر من النساء والطيب اللذين من أمور دنيا غيره ، واستعماله لذلك ، ليس لدنياه والتلذذ بها ، بل لآخرته أى استمالها بنية العبادة التى هى من أمور الآخرة للفوائد التى ذكرت فى التزوج وهى تحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن ، فكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره أى للزوجات والملائكة ، لا لمجرد التلذذ والتنعم ، وان كان قادرا على ذلك وكان حبه الحقيقى المختصر بذاته فى مشاهد جبروت مولاه ، ومناجاته ، ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين العالمين ، فقال : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » فأوردها جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها تعظيما لشأنها وتفخيما لأمرها لكونها محبوبة لذاتها •

★ ★ ★

الفصـــل الســـابع

قولهم لم يجوز التزوج لأمته بأكثر من أربع وهو جمع بين تسع
فأجـاب بأجـوبة :

منها : ما ذكرناه آنفا أن الله تعالى قـد يخص أنبياءه وأولياءه بخصائص ألا ترى أن هارون وأولاده كانوا مخصوصين بأمور كثيرة من خدمة قبة الشهادة ، وما يتعـلق بهـا • ولم يجوزها لبنى لاوى الآخرين ، فضلا عن غيرهم من بنى اسرائيل •

ومنها : أن الطبع البشرى يميل الى النساء سواء كان نبيا أو غير نبى • والحكمة فى ذلك حصول التناسل لعبادة الله تعـالى ، فجوز له عليه الصلاة والسلام التزوج بأكثر مما أبيح للأمة ، لئلا يصرف نظره الى النساء الأجنبيات ، اذ الانسان اذا كانت له زوجـات وسرارى عديدة ، لا يلتفت الى غيرهن ، فالنبى وان كـان معصوما من الخطـأ ولاسيما فى مثل هذا الأمر لكن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه • ولاسيما فالرسول عليه الصلاة والسلام مرجع لأمتـه من الخـاص والعام ، وأن النظر الى الأجنبيات سـماه نبينا عليه الصلاة والسلام زناء العين ، وعده فى الانجيل عيسى عليه السلام مثل الزنا المحـرم ، فلخشية الوقوع ، وان كان النبى معصوما أبيح له أكثر من أمتـه •

ومنها : أن النبى ﷺ لمـا كان شارعا ومبينا للناس ما يحتاجونه فى معاشهم ومعادهم وحلالهم وحرامهم ، وكانت النساء لهن أحكام خاصة بهن كالحيض ونحوه ولا تعرف أسبابها الا من جهتهن ، وكانت مختلفة فيهن • والأجنبيات يمنعهن الاستحياء من بيانه له عليه الصلاة والسلام فأبيح له عليه الصلاة والسلام التزوج بما زاد على الأربع ، ليطلع على اختلاف الأسباب بتعدد الأشخاص ، ويبتنى على ذلك أحكام شرعية كمـا لا يخفى على من له خبرة بالمســائل الفقهية • ولذا كان

تزوجه عليه الصلاة والسلام معدودا من أمور الآخرة كما سيأتى قريبا ان شـاء الله تعـالى .

وأما قولهم : ان أمته يجب العدل عليهم بين نسائهم وهو لا يجب عليـه . فهذا خلاف ما رأيناه فى الكتب الحديثية ، بل ورد أن من كان له زوجتان ولم يعدل بينهما يأتى يوم القيامة وأحد شقيه مائل . وكان عليه الصلاة والسلام يقسم لياليه بين نسائه ، ويعـدل بينهن فى كل شىء يجب فيه العدل . وفى السنن عن عائشة رضى الله تعالى عنهـا : كان رسول الله ﷺ يقسم أى بين نسائه فيعدل ، ويقول : اللهم ان هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » يعنى القلب . وفى الصحيحين أنه ﷺ كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه . وما هذا الا لتطييب قلوبهن ، والا فلا حـق لهن بذلك . فاذا كان يعدل فيما ليس لهن به حق ، فكيف لا يعدل فيما لهن بـه حـق .

على أنا لو سلمنا ذلك فأى بأس فيما هنالك لأن النبى معصوم فلا يصدر منه خلاف العدل ، فلذا لا يجب عليه العدل لأنه محقق منه مركوز فى طبيعته مجبول بطينته ، فلا ينفك عنه ، لملازمته له عليه الصلاة والسلام . وأى بأس اذا كان للنبى خصائص دون أمتـه ؟ والعجب من النصارى أنهم يعترضون بزعمهم على من عصمه الله تعـالى من ذلك ، ويدعـون اعتقادهم فى البابا أنه معصوم ، وأنه عادل غير ظلوم ، وينسبون الى الأنبياء صدور الكبائر كما أسلفناه لك .

وأما قولهم انه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية القبطية فى بيت زوجته حفصة فقال لها : حرمت مارية الى آخره .

فهذه المسألة وقصتها وأحكامها مذكورة فى سورة التحريم . وهى قوله جل وعز : **« يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغى مرضات أزواجك ؟ والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم . واذا أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلمـا**

نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت : من أنبأك هذا ؟ قال نبأني العليم الخبير » الآيات .

اعلم : أن العلماء لهم قولان فى سبب نزول هذه الآيات الكريمات :

فالأول : ما رواه الامام البخارى وجمهور المحدثين والمفسرين أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواصت هى وحفصة أن أيتنا دخل عليهـا النبى ﷺ فلتقل له : انى أجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له . فقال لا بل شربت عسلا عند زينب ، ولن أعود . وفى رواية : وقد حلفت فلا تخبرى بذلك أحدا ، فنزلت . وفى رواية قالت سودة : أكلت مغافير ؟ قال : لا . قالت : فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال : سقتنى حفصة شربة عسل . فقالت : جرست نحله العرفط . فحرم العسل . وفى رواية والله لا أشربه . فنزلت . والمغافير بفتح الميم والغين المعجمة وبياء بعد الفاء وبعدها الراء المهملة جمع مغفور بضم الميم شىء له رائحة كريهة ينضحه العرفط . وهو شجر ونبات له ورق عريض . وقيل شوك له نور يأكل منه النحل . وكان عليه الصلاة والسلام يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة للطافة نفسه الشريفة ولأن الملك يأتيه وهو يكرهها فشق عليه فحرمه أو حلف على أنه لا يشربه .

والقول الثانى : أنها نزلت فى سريته . والمشهور انها مارية وأنه عليه الصلاة والسلام وطئها فى بيت حفصة فى يومها أو فى يوم عائشة فعلمت بذلك حفصة فعاتبته فقال عليه الصلاة والسلام : ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها ؟ قالت : بلى . فحرمها . وقال غير واحد : أنه حلف لا يقربها . ويدل عليه : قوله تعالى **« قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم »** فأعتق رقبة فى تحريمها والأخبار فى هذا القول متعارضة ، فلذا قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم ان الآية فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ، ولم تأت قصة مارية فى

طريق صحيح • وقوله سبحانه : **« واذا أسر النبى الى بعض أزواجه »** هى حفصة **« حديثا »** وهو قوله عليه الصلاة والسلام : لكنى كنت أشرب عسلا عند زينب فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا **« فلما نبأت به »** أى أخبرت بالحديث عائشة لأنهما كانتا متصافيتين ، **«وأظهره الله عليه»** أى أطلعه عليه «عرف» النبى حفصة «بعضه» وهو قوله لها : كنت أشرب عسلا عند زينب ، فلن أعود **« وأعرض عن بعض »** وهو حلفت • فلم يخبرها تكرما لما فيه من مزيد خجالتها • وما زال التغافل من فعل الكرام كما قال الشاعر :

ليس الغبى بسـيد فى قـومه ∴ لكن سـيد قـومه المتغـابى

وقيل : اخباره أيضا لها أن أبا بكر وعمر يليان أمر الناس بعده • وفى هذه الآية معجزة • وهى اخباره عليه السلام بالغيب كما لا يخفى •

وأما قولهم : ان أمته اذا مات أحد منهم وكـان متزوجا يباح أن تتزوج امرأته بعد العدة وادعى انه لا يجوز لاحد أن يتزوج باحدى نسائه من بعـده •

فيقال لهم : ان هذا من الحكمة الجليلة • ويجاب عنـه بوجـوه : الأول : قد قدمنا أن الله سبحانه قد يخص أولياءه ببعض الأحكام كما فى آل هرون • وكما قد كان فرض على النبى عليـه الصلاة والسلام صلاة الليـل ونافلته ، ولم يفرض ذلك على أمته • وكما خصه بمسألة عدم الارث ، وأن النبى اذا مات تكون تركته المسلمين • وفيها حكمة بديعة

والثانى : ان النبى فى قومه بمنزلة الأب لأولاده •

الثالث : انه اذا يباح لهم ذلك بالنسبة الى نسـائه ربما يختلج فى ذهن أحدهم وقلبه حب بعض نسـائه ، فيتمنى موت النبى حتى يتزوجها بعده ، فاذا تمنى موت نبيه يخشى عليه الهلاك والنبى قد أسدى الى أمته معروفا ، فيلزم شكره لاتمنى موته • ثم ان كثيرا من الأنبياء

وعدهم الله تعالى أن لا يخرج الملك من يد أولادهم تطييبا لهم وكذلك الزوجات . ومما سردناه لك تبين زيف ما موه به عبد المسيح لدى كل ذى عقل سالم صحيح ، فتدبر هذا وذاك والله سبحانه يتولى هدانا وهداك .

قال النصرانى : « وكذلك هناته مع عائشة وما كان من أمرها مع صفوان بن المعطل السلمى فى رجوعهم من غزوة المصطلق بتخلفها عن العسكر معه ، وقدومه بها من الغد نحو الظهيرة ، راكبة على راحلته ، يقودها . وما قذفها به عبد الله بن أبى بن سلول وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ابن خالة أبى بكر ، وزيد بن رفاعة ، وحمنة بنت جحش أخت زينب ، وتبليغ على بن أبى طالب اليه كلام المتكلمين وعيب العائبين ، وأن فيه مساغا للقول والظنة . وختم كلامه بعد التقريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشىء قائلا يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثيرة ، فلم يلتفت الى ذلك كله لشدة اعجابه بها لأنه لم يكن فى من نكح من نسائه بكر غيرها ولا أحدث سنا منها . فكان لها من قلبه مكان ، وكانت خلابة ، فرضى بما كان من ذلك الأمر كله . وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين على الى آخره حياتهما . ثم ادعى نزول براءتها فى السورة المعروفة بسورة النور ، من قوله : « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم » الخ فهذه القصة نعرفها كمعرفتك ، والخبر بها مستفاض وعندنا مشروح مفسر لا يجب كشفه » انتهى .

فأقول : « سبحانك هذا بهتان عظيم » ولنتكلم مع هذا النصرانى وأمثاله ممن يهذى هذا الهذيان ويتهم أزواج الأنبياء وأمهاتهم بمثل هذا البهتان بالمعقول والمنقول والانصاف المطلوب المقبول . ولنذكر المعقول أولا ثم نذكر المنقول مفصلا .

فيقال للنصارى : انه من الأمور البديهة الثابتة عند كل ذى رؤية أن صفوان كان مؤمنا بالنبى عليه الصلاة والسلام ولم يكن ايمانه

بالجبر ، بل بالطوع ، والحب الكامل ، بعد أن اعتقد نبوته مصدقا برسالته ومعجزاته التى من جملتها أنه يعلم الغيب باطلاع الله سبحانه له ، بواسطة الوحى • وأن الصلاح والتقوى التى كانت عنده وعند أمثاله من الصحابة فوق ما يتصور المتصورون وامتثالهم لأوامره عليه الصلاة والسلام واجتنابهم لمناهيه أعظم مما يتخيله المتخيلون ، حتى أنهم يفدون أنفسهم وأولادهم وآباءهم وأموالهم لأجله ، بل بعضهم يقتل أخص أهله وأقربائه لأجله ، وأن الزنا والخيانة فى ذلك من الأشياء المستقبحة عندهم جاهلية واسلاما • وصفوان ذو غيرة عربية وحمية اسلامية ، مع أنه خارج فى هذه الغزوة للتقرب الى الله ورسوله • وليس بينه وبين عائشة تلاق واجتماع فى المدينة ولا يمكن أخذ موعد منها وحاشاها فى ذلك • ولو فرض أن بين امرأة ورجل تكون مواعدة على مكروه ، ولم يتمكنا فى مثل هذه الغزوة العرمرمية • وفيها سيد البرية ﷺ ولا يعلم نزولهم وظعنهم متى يكونان ؟ وان يكن فى قلبهما سوء ، فالبلاد أوسع لهم ، وعائشة رضى الله تعالى عنها ليست بغير زوج ، وهى أيضا ممن يعتقد رسالة النبى ﷺ وعلم الغيب بواسطة الوحى فكيف يساور الظن به وبها • وهى العربية الخالصة والمؤمنة العالمة والتقية النقية الصديقة ، ولم ير ذلك أحد منها ولا ولدت ولدا ، ليحقق الأمر عنها • لكن الحر كما يقال ممتحن بأولاد الزنا • فهذه الصديقة الأخرى سيدة نساء العالمين فى زمانها والدة الرسول المسيح عليه الصلاة والسلام التى برأها سبحانه فى كتابه العزيز ، رماها اليهود أيضا وحاشاها بالزنا مع يوسف النجار ، وأن حملها بعيسى دليل على ذلك ، كما تدل الشمس على النهار •

فالمسيح على زعمهم الباطل انما تولد من الزنا الحاصل فهل للعاقل مساغ بعد أن برأها الله سبحانه فى القرآن الكريم أن يتهم مريم فى هذا الأمر الفظيع العظيم ؟ وان كان الأمر بعيدا عن العقل والعادة أن تلد امرأة بغير وطء زوج لها ، وان كان اليهود أيضا أجمعوا على ذلك • فاجماعهم مردود عليهم ، لورود الفرقان بتكذيبهم ،

فكما أننا لولا وجود القرآن ببراءتها لقلنا كما قالت بنو اسرائيل فى حقها • والعياذ بالله تعالى ، لبعد العادة عن مجىء ولد بلا أبوين ، لكنا آمنا بالقرآن وصدقناها • وعائشة الصديقة لو لم يرد القرآن ببراءتها لما جوز العقل أيضا رميها بذلك ، لأنه لم ير أحد منها ما هنالك ، بل هو الظن الباطل الناشىء من مجىء صفوان معها لاسيما والمسيح قال : لا تقبلوا قولا بغير شهود ، يعنى يشاهدون الأمر فيشهدون • لأن الانسان اذا لم يشاهد الشىء قد يظنه وهو على خلاف نفس الأمر كما تشهد بذلك التجارب • وأمر عائشة رضى الله تعالى عنها لم يكن كذلك ، كما سيأتى تفصيله فى المنقول • ومع هذا فالله سبحانه قد برأها من هذا البهتان واتضح الكذب فى العيان ، كما برأ ابنة عمران ، فتبرأتهما متلازمتان • على أنه قد بانت حصورية صفوان ، لكن النصارى واليهود ولاسيما هذا المؤلف لم يراقبوا الديان فرموا الأنبياء ، ونساءهم بأشياء لا تحب سماعها الآذان ، كما فصلناه فى بحث سليمان ، وغيره عليهم السلام •

وأما المنقول فلنذكر هذه الغزوة من أولها الى آخرها حتى تتضح مسألة الافك على أتم وجه •

قال العلماء والمحدثون وأهل السير أجمعون : غزوة بنى المصطلق — بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المشالة المهملة واللام بعدها قاف — وهو لقب واسمه خزيمة بن سعد بن عمرو ، بطن من خزاعة ويقال لها أيضا غزوة المريسيع — بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين وآخرها عين مهملة — وهو ماء بين خزاعة وبين الفرع يومئذ وسببها : أنه يبلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحرث زوج رسول الله ﷺ فلما سمع عليه الصلاة والسلام بهم ، خرج اليهم وكان معه بشر كثير من المنافقين ، وخرجت معه عائشة وأم سلمة حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد ، الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وقتل منهم من قتل •

وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابة من بنى كلب بن عوف ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ ، فبينا الناس على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أجير له من بنى غفار ، يقال له جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبى بن سلول المنافق وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث . فقال أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ما أحدنا وجلابيب قريش هذه ، الا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك . أما والله « **لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** » ثم أقبل على من حضره من قومه . فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به الى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغه عليه الصلاة والسلام من عدوه ، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ ولكن أذن بالرحيل فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس . وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول الى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به وكان فى قومه شريفا عظيما . فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدبا على ابن أبى بن سلول ، ودفعا عنه . فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبى الله . والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها . فقال له

رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبى . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الأعز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله تخرجه منها ان شئت . هو والله الذليل وأنت العزيز .

ثم قال : يا رسول الله ارفق به . فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا ثم مشى رسول الله ﷺ يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما . وانما فعل ذلك عليه الصلاة والسلام ليشتغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز ، حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء ، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها . فقال رسول الله ﷺ : لا تخافوها . فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة ابن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين ، مات فى ذلك اليوم ونزلت السورة التى ذكر الله عز وجل المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذى أوفى لله بأذنه . وبلغ عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه . فان كنت لابد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه . فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، وانى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر الى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : بل نرتفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا وجعل بعد ذلك اذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين بلغه

ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لى اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته • فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى •

وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك لعائشة رضى الله تعالى عنها • وذلك أن عائشة كانت قد خرج بها رسول الله ﷺ معه فى هذه الغزوة بقرعة أصابتها وكانت تلك عادته مع نسائه رضى الله تعالى عنهن ، فلما رجعوا من الغزوة نزلوا فى بعض المنازل فخرجت عائشة لحاجتها ، ففقدت حينما أخذ الناس بالرحيل عقدا لأختها كانت أعارتها اياه • فرجعت تلتمسه فى الموضع الذى فقدته فيه فى وقتها ، فجاء النفر الذين كانوا يرحلون لها البعير خلافها ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنها فيه كما كانت تصنع فاحتملوه وشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنها فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا لأن النساء اذ ذاك خفيفات لأنهن انما يأكلن العلق ولم يهبجهن اللحم ، فيثقلن • ولاسيما عائشة لأنها فتية السن لم يغشها اللحم الذى كان يثقلها ، على أن النفر لما تساعدوا على حمل الهودج لم ينكروا خفته ، فالتمسته فوجدته ، فرجعت الى العسكر ، فاذا ليس لها داع ولا مجيب ، فقعدت فى المنزل وهى تظن أنهم سيفقدونها ، فيرجعون فى طلبها • فالتفت فى جلبابها فغلبتها عيناها فنامت . فلم تستيقظ الا بقول صفوان بن المعطل : انا لله وانا اليه راجعون • زوجة رسول الله ﷺ لأنه كان راها قبل أن يضرب الحجاب وكان صفوان فى أخريات الجيش نائما لأنه كان كثير النوم ، كما ورد أن أمه اشتكت مرة عند رسول الله ﷺ أنه لا يقعد يصلى الفجر لكثرة نومه • وقال لها : ما خلفك يرحمك الله ؟ فلم ترد له جوابا • ثم قرب البعير ، فقال اركبى واستأخر عنها فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس حتى قدم بها • وقد نزل الجيش فى نحر الظهيرة ، فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ووجد الخبيث عدو الله ابن أبى بن سلول متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد ، الذى بين ضلوعه فجعل يستحكى الافك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه

ويجمعه ويفرقه ، وكان أصحابه يتقرون به اليه . فلما قدموا المدينة أفاض أهل الافك فى الحديث ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم ، وعائشة لم يبلغها من ذلك شىء ، ولم تلبث أن اشتكت شكوى شديدة ، فأنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه ، لأنها كانت اذا اشتكت لطف بها فلم يفعل ذلك بها فى شكواها . فأنكرت ذلك منه ، ولم تعرف السبب ، ولم يذكر أبواها لها شيئا من ذلك . فلما رأت من جفائه قالت له . لو أذنت لى يا رسول الله فانتقلت الى أمى فمرضتنى فأذن لها فانتقلت الى أمها ثم استشار رسول الله ﷺ أصحابه فى فراقها فأشار عليه على رضى الله تعالى عنه أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحا ، وأشار عليه أسامة وغيره بامساكها وأن لا يلتفت الى كلام الأعداء . ولا نعلم الا خيرا . وهذا الكذب والباطل .

وقال له على : سل الجارية فانها ستصدقك فدعا رسول الله ﷺ جاريتها فقالت : والله ما أعلم الا خيرا وأنها لكالذهب الخالص بيد الصائغ ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا . الا أنى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله وعائشة لا علم لها بشىء مما قاله أهل الافك ولا من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حتى نقهت من وجعها بعد بضع وعشرين ليلة ، وكانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن فى فسح المدينة لأنهم كانوا قوما عربا لا يتخذون الكنف التى تتخذها الأعاجم لأنهم يعافونها ويكرهونها ، فخرجت عائشة ليلة لبعض حاجتها ومعها أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وكانت أمها بنت صخر خالة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكانت تمشى مع عائشة ، فعثرت فى مرطها . فقالت تعس مسطح . ومسطح لقب . واسمه عوف . فقالت لها عائشة : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا . قالت : أوما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ فقالت عائشة لها : وما الخبر ؟ فأخبرتها بالذى كان من قول أهل الافك ، فرجعت وما قدرت أن تقضى حاجتها وما زالت تبكى حتى كاد البكاء أن يصدع كبدها . فقالت لأمها يا أماه يغفر الله لك تحدث الناس بما

تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ؟ قالت : أى بنية خفضى عليك الشأن . فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها ضرائر الا كثرن وكثر الناس عليها .

وقام رسول الله ﷺ فى الناس يخطبهم وعائشة لا تعلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها النــاس ما بال رجـال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق . والله ما علمت منهم الا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه الا خيرا وما يدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى .

قال العلمــاء والراوون : وكان كبر ذلك عبد الله بن أبى بن سلول المنافق وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن من نسائه امرأة تناصب عائشة فى المنزلة عنده غيرها.فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل الا خيرا وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضاد عائشة لأختها فشقيت بذلك . وعلى كرم الله تعالى وجهه لمـا رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة الى اليقين بقول الجارية ليتخلص رســول الله ﷺ من الهم والغم الذى لحقه من كلام المنافقين ، ومن اغتر بكلامهم وأشـار بحسم الداء . وأسامة لمـا أعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ما هى فوق ذلك وأعظم منه ، وعرف من كرامة رسول الله ﷺ على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربه نبيه وحبيبته من النساء وبنات صديقه بالمنزل الذى أنزلها به أرباب الافك ، وأن رسول الله ﷺ أكرم على ربه من أن يبتليها بالفاحشة ، وهى تحت رسوله . ولذا قــال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة لمـا سمعوا ذلك : « سبحانك هــذا بهتان عظيم » وتأمل ما فى تسبيحهم لله ســبحانه وتنزيهه له فى ذلــك التام من المعرفة به وتنزيهه عما لا يليق به أن يجعل لرسوله وخليــله وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا ، فمن ظن به سبحانه هــذا الظن فقد ظن به السوء وعرف أهل المعرفة بالله ورســوله أن المرأة الخبيثة لا تليق الا بمثلها كما قال تعالى« **الخبيثات للخبيثين** » فقطعوا قطعــا

لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم ، وفرية ظاهرة .

قال العلامة ابن القيم فى الهدى النبوى : فان قيل : فما بال رسول الله ﷺ توقف فى أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله تعالى وبمنزلته عنده فيما يليق به ؟ وهلا قال : « سبحانك هذا بهتان عظيم » كما قال فضلاء الصحابة ؟ .

فالجواب : أن هذا من تمام الحكم الباهرة التى جعل الله تعالى هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسوله عليه الصلاة والسلام ولجميع الأمة الى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين ، « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » وايمانا ولا يزيد الظالمين الا خسارا .

واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحى شهرا فى شأنها لما يوحى اليه فى ذلك شىء ليتم حكمته التى قدرها وقضاها ويظهر على أكمل الوجوه ، ويزداد المؤمنون الصادقون ايمانا وثباتا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده ويزداد المنافقون افكا ونفاقا ، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبيها رضوان الله تعالى عليهما وتتم نعمة الله تعالى عليهم ، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبيها والافتقار الى الله تعالى والذل له وحسن الظن به والرجاء له ولينقطع رجاؤها من المخلوقين ، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق . ولهذا وفت لهذا المقام حقه لما قال لها أبوها : قومى اليه ، وقد أنزل الله تعالى براءتها قالت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله الذى أنزل براءتى . وأيضا : فكان من حكمة حبس الوحى شهرا : أن القضية نضجت وتمحضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف الى ما يوحيه الله سبحانه الى رسوله فيها وتطلعت الى ذلك غاية التطلع ، فوافى الوحى أحوج ما كان اليه رسول الله ﷺ

وأهل بيته ، والصديق وأهل بيته وأصحابه والمؤمنون . فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت اليه فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم غاية الهناء فلو اطلع الله سبحانه رسوله ﷺ على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحى على الفور بذلك ، لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها .

وأيضا : فان الله تعالى أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عندهم وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى سبحانه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب اليه ، بل يكون هو سبحانه وحده المتولى لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته .

وأيضا : فان رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى والتى رميت زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد على براءتها مع علمه ، اذ ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها . ولم يظن بها سوءا قط وحاشاه وحاشاها . وعنده عليه الصلاة والسلام من القرائن على براءتها أكثر مما عند المؤمنين ، ولكن لكامل صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه سبحانه وثقته به وفى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتى جاءه الوحى وبما أقر عينيه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه . قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : دخل على رسول الله ﷺ وعندى أبواى وامرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى معى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : يا عائشة انه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فاتقى الله . فان كنت قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبى الى الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله ما هو الا أن قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئا وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ فلم يتكلما قالت : وأيم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأنا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المساجد ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى أو يخبر خبرا .

فأما القرآن ينزل فى فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك .
قالت فلما لم أر أبوى يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ؟ قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام . قالت : فلما أن استعجما على استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبدا . والله انى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لأقولن مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى . قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت ولا باليت قد عرفت أنى منه بريئة وأن الله عز وجل غير ظالمى وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، ثم سرى عن رسول الله ﷺ فجلس وانه ليتحدر منه مثل الجمان فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : ابشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك قالت : قلت بحمد الله . ثم خرج رسول الله ﷺ الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله تعالى عليه من القرآن فى ذلك ثمانى عشرة آية .

قوله سبحانه : « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » ومنها قوله سبحانه : « لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون » .

ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم ثمانين ثمانين ، وأما عبد الله بن أبى بن سلول المنافق الذى تولى كبره ، فلم يحد ، لأن الحد تخفيف

للمحدود وكفارة له ، وليس الخبيث كذلك ، لأن الله سبحانه وعده بالعذاب العظيم فى الآخرة ، فيكفيه ذلك عن الحد • وقيل : لم يحد لأنه كان يستوشى الحديث ويجمعه ويحكيه ، ولم يصرح بالافك بين المؤمنين ولم يشهد به عليه أحد • ثم انهم بعد ذلك سألوا عن صفوان ابن المعطل ، فوجدوه رجلا حصورا ما يأتى النساء رضى الله تعالى عنه • فقال بعض الصحابة فى ضرب حسان وصاحبيه :

لقد ذاق حسان الذى كان أهله ... وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ... وسخطة ذى العرش الكريم فاترحوا
وآذوا رسول الله فيها فجللوا ... مخازى تبقى عمموها وفضحوا
وصبت عليهم محصدات كأنها ... شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

ثم ان حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه انكف بصره ، واعتذر من الذى كان قاله فى شأن عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله :

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حى من لؤى بن غالب ... كرام المساعى مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم ... فلا رفعت سوطى الى اناملى
وكيف وودى ما حييت ونصرتى ... لال رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم ... تقاصر عنه سورة المتطاول
فان الذى قد قيل ليس بلائط ... ولكنه قول امرىء بى ماحل

انتهى •

فتبين لكل منصف غير غاش لنفسه : أن براءة عائشة رضى الله عنها ثابتة بما ثبتت به براءة مريم ، وزادت على براءة مريم بالدلائل العقلية التى أسلفناها لك ، فلا حاجة الى التكرار •

وأما عداوتها مع على رضى الله تعالى عنه فكذب ، اذ كيف تكون العداوة بينهما وهى أمه لأن نساء نبينا عليه الصلاة والسلام أمهات أمته كما ثبت فى كتابنا الكريم •

وأما ما جرى بعد ذلك بينهما بعد وفاة النبى ﷺ فى وقعة الجمل

فذلك لأسباب أخر ليس لها مدخل فى هذه المسألة ، فلذا نضرب عنها صفحا فى كتابنا هذا ، لأنها ليست مما نحن بصدده ولو سلمنا أنه كان بينهما شىء فى القلوب — وحاشاها — فأى دليل فى ذلك على صحة بهتان هذا المؤلف ؟ بعد أن سقنا لك الأدلة العقلية والنقلية فى براءتها • والله المستعان على عباد الصور والتماثيل والحاكين للأباطيل • وهو حسبنا ونعم الوكيل •

قال النصرانى : « وكانت نساؤه فيما ظهر كما علمت خمسة عشر حرة وأمتين أولاهن : خديجة بنت خويلد • ثم عائشة بنت أبى بكر ، وهو عبد الله المعروف بعتيق بن أبى قحافة ، وسودة بنت زمعة ، وحفصة بنت عمر ، وهى التى كان بينها وبين عائشة تلك الهنات العجيبة ، وأم سلمة واسمها هند بنت أبى أمية وهى المخدوعة أم الأطفال التى زعم أنه يذهب عنها الغيرة عندما امتنعت عليه ، واحتجت بأنها امرأة غيرى ، وأنه يعول صبيتها لما اعتذرت أنها ذات صبية ، وأنها تخاف ألا يرضاه أهلها فتضمن لها أن يكفيها ذلك ، حتى أجابت اليه ، ثم لم يف لها من ذلك الضمان بحرف واحد ، وهى التى نحلها جرتين ورحى ووسادة من أدم حشوها ليف ، فحصلت منه على هذا فى الدنيا والآخرة • وزينب بنت جحش امرأة زيد التى بعث اليها نصيبها من اللحم ثلاث مرات فردته فى وجهه فهجرها وهجر نساءه بسببها ، وحلف أنه لا يدخل عليهن شهرا ، فلم يصبر ، فدخل لتسعة وعشرين • وزينب بنت خزيمة الهلالية ، وأم حبيبة واسمها رملة بنت أبى سفيان أخت معاوية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصفية اليهودية بنت حيى بن أخطب التى علمها أن تفخر على نسائه عند تعييرهن اياها وتقول أنا التى هرون أبى ، وموسى عمى ، ومحمد زوجى • والكلابية وهى فاطمة بنت الضحاك وقيل انها بنت يزيد عمرة الكلابية ، وهنة بنت ذى اللحية ، وبنت النعمان الكندية ، التى أنفت منه حين قال لها هبى لى نفسك ، فقالت : وهل تهب الملكية نفسها للسوقة ؟ وملكية بنت كعب

الليثية ذات التنخيص ، ومارية أم ابراهيم ابنه ، وريحانة بنت شمعون القريظية اليهودية فهؤلاء نساؤه اللواتى كن له وأمتان •

قال بولس رسول الحق رسول المسيح مخلص العالم : « ان الذى له زوجة انما غايته أن يصرف عنايته الى رضى زوجته ، والذى لا امرأة له فعنايته مصروفة الى رضى ربه » وقد صدق وقوله الحق لأنه يحتاج أن يتشاغل بما يرضى امرأته ، وكما قال الرب المسيح : « لا يقدر العبد أن يخدم ربين فى وقت واحد ، ولا بد له من أن يلازم الواحد ويحتقر الآخر » فاذا كان لا يمكن للرجل أن يخدم امرأة واحدة ويرضيها ولا يسخط خالقه ، فكم أحرى من يريد أن يصرف عنايته كلها الى رضى خمس عشرة امرأة وأمتين ، مع ما أنت عارف من شغله بغيرهن الذى كان منغمسا فيه من تدبير الحروب والتقدير على قتل الرجال وسبى الحريم وسلب الأموال وتوجيه الطلائع وتعبيته الكراديس ، لاصابة الطرقات وشن الغارات ، فمتى كان له مع الشغل الدائم المتصل بهذه الأمور الفراغ للصوم والصلاة والعبادة وجمع الفكر وصرفه الى أمر الآخرة وما شاكل ذلك من أعمال الأنبياء ، ولست أشك فى أنه لا نبى قبله ابتدع مثل هذا •

ولكن فلندع الآن ذكر هذا ونأخذ فى ذكر أعلام النبوة التى يجب معها الاقرار لمن أتى بها بأن يسمى نبيا ورسولا وننظر فيما أتى به صاحبك • وهل يوافق أو يشبه شيئا مما جاءت به الأنبياء ويشاكله ؟ وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو رده عليه » ؟ انتهى •

فنقول ومنه عز وجل الهداية الى أقوم طريق :

قوله : « وكانت نساؤه فيما يظهر كما قد علمت خمس عشرة حرة وأمتين » •

أما نساؤه عليه الصلاة والسلام فهن بنص القرآن أمهات المؤمنين وذلك فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن ، لا فى نظر وخلوة •

واختلف فى عدة أزواجه عليه الصلاة السلام والمتفق عليه أنهن احدى عشرة امرأة ، ومات ﷺ عن تسع . و فى شرح المواهب للزرقانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما تزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئا من بناتى الا بوحى جاء به جبريل عن ربى عز وجل » قوله « أولاهن خديجة » هى أول من أسلم بالاتفاق . وقد تقدم الكلام فى تزوجه عليه الصلاة والسلام اياها ولها من العمر أربعون سنة ، وكان سنه يومئذ خمسا وعشرين سنة على القول المشهور ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، فلا حاجة بنا الى الاعادة . قوله « ثم عائشة » الخ تزوجها بمكة وأصدقها أربعمائة درهم سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث وأعرس بها بالمدينة فى شوال ، ولها من العمر تسع سنين ، وكانت فقيهة عالمة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب وأشعارها ، ومات عنها عليه الصلاة والسلام ولها ثمان عشرة سنة ، ولم يتزوج بكرا غيرها . وتوفيت بالمدينة وهى ابنة لست وستين سنة ، وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلا ، صلى عليها أبو هريرة رضى الله تعالى عنه .

واختلف العلماء فى المفاضلة بينها وبين خديجة وفاطمة الزهراء ومريم العذراء رضى الله تعالى عنهن على أقوال . وأخرج الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه أنه ﷺ قال : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون » قوله « وسودة بنت زمعة » أسلمت قديما وبايعت وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران ، أسلم معها وهاجرا جميعا الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل انه مات بالحبشة ، ثم تزوجها ﷺ بعد موت خديجة رضى الله تعالى عنها قبل أن يعقد على عائشة ، وقيل تزوجها بعد عائشة . ويجمع القولين بأنه عليه الصلاة والسلام عقد على عائشة قبل سودة ، ودخل بسودة قبل عائشة رضى الله تعالى

عنها ، ولما كبرت جعلت يومها لعائشة ، وتوفيت بالمدينة سنة أربع وخمسين •

قوله : « وحفصة بنت عمر » الى آخره هى بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أسلمت وهاجرت مع زوجها جنيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة ومات عنها بعد غزوة بدر ، فلما تأيمت خطبها رسول الله ﷺ فأنكحه اياها عمر بن الخطاب فى سنة ثلاث من الهجرة ثم طلقها تطليقة واحدة ، فنزل عليه الوحى « راجع حفصة فانها صوامة قوامة ، وانها زوجتك فى الجنة » فراجعها عليه الصلاة والسلام وماتت سنة خمس وأربعين •

وأما اشارة هذا النصرانى أنه وقع بينها وبين عائشة هنات عجيبة ، فكذب عجيب وزيف غريب ، وليت شعرى أى هنات وقعت بينهما ؟ وهذا تمويه منه على ضعفة العقول • انه وقع أمر غريب بين زوجتى الرسول • وليته بينه حتى يسمع الجواب الشافى والبيان الكافى لرد سنوقته وتكذيب أعجوبته •

على أنا لو سلمنا وقوع شىء بين الضرتين فأى شين يلحق من ذلك برسول الثقلين أو يكون سببا لعدم قبول رسالته • فهذا ابراهيم خليل الرحمن وقع بين زوجتيه سارة وهاجر من الغيرة ما وقع ، كما هو محرر فى التوراة •

وقوله : « وأم سلمة » الى آخره اسمها هند وقيل رملة وكانت تحت أبى سلمة بن عبد الأسد وكانت هى وزوجها أول من هاجر الى أرض الحبشة وقيل هى أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة ، وروى فى المواهب عن أم سلمة أنها قالت كنت سمعته عليه الصلاة والسلام يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم آجرنى فى مصيبتى وأخلفنى خيرا منها • الا أخلف الله تعالى له خيرا منها » • فلما مات أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم عندك

احتسب مصيبتى هذه ، ولم تطب نفسى أن أقول : اخلفنى خيرا منها وقلت أى المسلمين خير من أبى سلمة أى فى قيامه بأمرى على الوجه الذى أريده • ثم انى قلتها فأخاف الله تعالى لى رسول الله ﷺ ثم خطبها رسول الله ﷺ فقالت : مرحبا برسول الله ﷺ ان فى خلالا ثلاثا أنا امرأة شديدة الغيرة ، وأنا امرأة مصبية ، وأنا امرأة ليس لى هنا أحد من أوليائى فيزوجنى • فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما ذكرت من غيرتها فانى أدعو الله أن يذهبها عنها ، وأما ما ذكرت من صبيتها فان الله عزوجل سيكفيكيهم ،وأما ما ذكرت من أوليائها فليس أحد من أوليائها يكرهنى ، فقالت لابنها : زوج رسول الله ﷺ فزوجه وأصدقها متاعا قيمته أربعون درهما،وتوفيت سنة تسع وخمسين ، ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة فحصلت فى الدنيا أنها صارت زوجة نبى وفى الآخرة تكون معه فى الجنة ، فحصل لها خير الدارين وخلد ذكرها من المشرقين الى المغربين ، على رغم أنف مموه الحق بالمين •

وأما ما زعمه هذا النصرانى أنه لم يف لها من ذلك الضمان بحرف واحد ، فهو كذب وبهتان ، فقد نقل الرواة كما فى شرح المواهب اللدنية وغيره أنه عليه الصلاة والسلام دعا فكانت فى النساء كأنها ليست منهن لا تجد من الغيرة شيئا • وأما الصبية فقد قال لها عليه الصلاة والسلام فيهم : « وأما العيال فالى الله ورسوله » فكان الأمر كذلك • وأما مسألة أوليائها فصاروا مستبشرين فرحين بما هنالك • وليت شعرى من أين علم هذا النصرانى أنه عليه الصلاة والسلام لم يف لها بحرف واحد ، وهو خلاف ما فى كتب المسلمين ، وليس للنصارى كتب وسير ، حتى تقول انه نقله من كتبهم ، فما هذا الا اختلاف ودور وقع على رده الاتفاق •

قوله : « وزينب بنت جحش » الى آخره قد بينا فيما سبق كيفية تزوجه عليه الصلاة والسلام رابها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكانت تحت زيد بن حارثة فلما طلقها وانقضت عدتها وتزوجها رسول الله ﷺ بأمر الله جل وعز قال المنافقون : حرم محمد نساء

الولد وقد تزوج امرأة ابنه أى الذى تبناه — ولم يكن ابنــه — فأنزل الله تعالى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رســول الله وخاتم النبيين » الآية وكان اسمها بره فسماها عليه الصلاة والســلام زينب وكان تزوجها له ﷺ ســنة خمس من الهجـرة وهى أول من مات من أزواجه بعده ، وتوفيت فى المدينة سنة عشرين ، ولها ثلاث وخمســون سنة ، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قالت عائشة فى شأنها : ولم تكن امرأة خيرا منهــا فى الدين ، وأتقى لله وأصــدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى •

ثم اعلم : أن فى سبب عدم دخوله عليه الصلاة والسلام على زينب وبقية نسائه شهرا ، خلافا • ففى شرح البخارى للقسطلانى أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية القبطية فى بيت حفصة فجاءت فوجدتهــا معه ، فقالت : يا رسول الله تفعل هذا معى دون نسائك ؟ فقال : لا تخبرى أحدا هى على حرام ، فأخبرت عائشة فاعتزل النبى ﷺ نســاءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة الى عائشة ، تسعا وعشرين ليــلة ، اذ الشهر قد يكون تسعا وعشرين أو السبب تحريم العسل الذى كان شربه وعن عائشة قالت أهدى لرسول الله ﷺ هديه فأرسل الى كل امرأة من نسائه نصيبها فلم ترض زينب بنت جحش بنصيبها فزادها مــرة أخرى ، فلم ترض فقال رسول الله ﷺ لا أدخل عليكن شهرا •

وفى مسلم من حديث جابر أن أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما دخلا على رســول الله وحوله نساؤه ، يســألن النفقة فقام أبو بكر الى عائشة أى يوبخها • وقام عمر الى حفصــة أيضــا • ثم اعتزلهن شهرا وهو تسع وعشرون ليلة ، فيحتمل أن يكون جميــع ما ذكر ، كان سببا لاعتزالهن » انتهى •

فأى منقصة على رسول الله ﷺ ؟ حاشاه فى ذلك ، وأى طعن فى هذا بنبوته عليه الصلاة والسلام فيما هنالك ؟ واذا تتبعت نساء الأنبياء

عليهم السلام وجدتهن قد صدر منهن بمقتضى الطبع البشرى أزيد من هذا ، مع أزواجهن عليهم السلام مما هو خلاف الأولى ، الذى ليس فيه على الجميع نقص ولا ملام ، فافهم •

قوله : « وزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية » كانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لاطعامها اياهم ، فكانت تحت عبد الله بن جحش ثم بعد وفاته تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث وأصدقها أربعمائة درهم ولم تلبث عنده الا نحو شهرين وتوفيت فى حياته عليه الصلاة والسلام ودفنت بالبقيع • **قوله « وأم حبيبة واسمها رملة »** الى آخره • وقيل اسمها هند بنت أبى سفيان كانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم ارتد عن الاسلام ومات هناك ، وثبتت أم حبيبة على الاسلام فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ست • قال المحدثون : ان النبى عليه الصلاة والسلام بعث عمرو ابن أمية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشة ليخطبها عليه ، فأرسل النجاشى جاريته أبرهة اليها • فقالت : ان الملك يقول لك ان رسول الله ﷺ كتب الى أن أزوجك منه فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطت أبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به ، فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هنالك من المسلمين فحضروا ، فخطب النجاشى فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون •

أما بعد •

فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار ذهبا •

ثم سكب الدنانير بين يدى القوم •

فتكلم خالد بن سعيد ٠ فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورســوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ٠

أمـا بعـد ٠

فقد أجبت الى ما دعا رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن العاص وقبضها ٠ ثم أرادوا أن يقوموا فقال : احبســوا ، فان ســنة الأنبياء اذا تزوجو أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا ، وكان أبوها حين تزوجت بمكة قبل أن يسـلم ، ثم جاءت الى المدينة وبقيت عند النبى ﷺ وماتت بالمدينة سة أربع وأربعين رضى الله تعـالى عنهـا ٠

قوله : « **وميمونة بنت الحارث** » تزوجها رسول الله ﷺ ســنة سبع ، وهى التى وهبت نفسها للنبى عليه الصلاة والســلام وتوفيت سنة احدى وخمسين بسرف وصلى عليها ابن عباس ، ودخل قبرها رضى الله تعـالى عنهمـا ٠

قوله : « **وجويرية** » الى آخره قال المحدثون : كانت قد وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى رضى الله تعالى عنه فى غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق فى سنة خمس ، فكاتبته على نفسها ، ثم جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث وكان من أمرى مالا يخفى عليك ، ووقعت فى ســهم ثابت بن قيس ، وانى كاتبت نفسى فجئت أسألك فى كتابتى ٠ فقال رســول الله ﷺ : فهل لك الى ما هو خير ؟ قالت : وما هو يا رســول الله ؟ قــال : أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك ٠ قالت : قد فعلت ، فتسامع النــاس أن رســول الله ﷺ قد تزوج جويرية ، فأرسلوا ما فى أيديهم من السبى فأعتقوهم ، وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، قالت عائشــة : فما رأينا امرأة كانت

أعظم بركة على قومها منها أعتق فى سببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق •

وقال ابن هشام : ويقال اشتراها ﷺ من ثابت وأعتقها وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم ، وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة ، فانظر الى رأفة ورحمة هذا النبى الرءوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم فان جويرية هذه بنت الحارث بن أبى ضرار ، وهو الذى كان قائد بنى المصطلق لما بلغ النبى عليه الصلاة والسلام أنهم يجمعون له ، فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع ، فتزاحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله تعالى بنى المصطلق ، فقتل من قتل وسبى من سبى منهم ، كيف عمل مع بنت قائدهم من الاحسان واللطف وحسن الصنيعة والعفو حتى أعتقها وتزوجها وأمهرها ؟ وصار هذا الحال سببا لعتق من سبى واطلاق من أخذ من هذه العشيرة • وهذه حسنة من حسنات تزوجه عليه الصلاة والسلام ، ومكرمة لا ينكرها الا من لا يفرق بين النور والظلام • والحمد لله على دين الاسلام •

قوله : « وصفية اليهودية » الى آخره • هى سيدة قريظة ، والنضير ، من بنى اسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام كانت تحت كنانة بن أبى الحقيق ، فقتل يوم غزوة خيبر ، ولما سبيت أخذها رسول الله ﷺ وأعتقها وتزوجها وحجبها كسائر نسائه رضوان الله تعالى عليهن ، وكان قد خيرها عليه الصلاة والسلام بين أن يعتقها فترجع الى من بقى من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه • فقالت : اختار الله ورسوله وفى حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال لها : هل لك فى ؟ قالت : يا رسول الله لقد كنت أتمنى ذلك فى الشرك ، فكيف اذا أمكننى الله منه فى الاسلام • ومن حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ رأى بعين صفية خضرة ، فقال : ما هذه الخضرة ؟ فقالت : كان رأسى فى حجر أبى الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت قمرا وقع فى حجرى ، فاستيقظت فأخبرته بذلك ، فلطمنى وقال : تتمنين ملك يثرب ؟ يعنى

رسول الله ﷺ وماتت سنة خمسين ، ودفنت بالبقيع رضى الله تعـالى عنها • وكان تزوجها طبق ما أخبر به فى العهد القديم أن بنات الملوك يخدمنـه •

قوله : « والكلابية وهى فاطمة بنت الضحاك » الى آخـره قـال المحدثون وغيرهم : تزوجها ﷺ فتعوذت منه حين أدخلت عليه ، فقال لها : عذت بمعاذ • فطلقها وأمر أسامة بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب •

قوله : «وحنة بنت ذى اللحية » لم أقف فى الكتب الموجودة بين يدى أنها كانت من نسائه عليه الصلاة والسلام ، ولعل هـذا النصرانى وجد قولا ضعيفا ونقلا مهجورا أنها من زوجاته اللاتى لم يدخل بهن ، فحرر اسمها ليروج ما هو بصدده كما هى عادته •

قوله : « وبنت النعمان الكندية » هى أسماء بنت النعمان بن الجون ابن الحرث ، وأجمعوا أن رسول الله ﷺ تزوجها • واختلفوا فى سبب فراقه لها ، فقيل لـما دعاها • قالت : تعال أنت وأبت أن تجىء ، وقيل علمها بعض الناس كراهة أنها أن تقول عند دخولها عليه : أعوذ بالله منك فقالت ذلك • فقال عليه الصلاة والسلام قد عذت بمعاذ ، فسرحها الى أهلها • وكانت تسمى نفسها بعد ذلك الشقية •

وقيل كان بها وضح ، فقال لها : ألحقى بأهلك • وقيل فى اسـمها أميمة بالتصغير ، وقيل أمامة بالضم ، فهى واحدة اختلف فى اسمها •

وترجم فى الاصابة أميمة بنت النعمان بن شراحيل الكندية بكسر الكاف نسبة الى كندة قبيلة من اليمن ، ذكرها البخارى فى كتاب النكاح ، تعليقا عن أبى أسيد وسهل بن سـعد ، قالا : تزوج ﷺ أميمـة بنت شراحيل فلما أدخلت عليه بسط يده اليهـا ، فكأنها كرهت ذلـك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين • وأخرجه موصولا قبله من وجوه آخر عن أبى أسيد قال : خرجنا مع النبى ﷺ حتى انتهينا الى حائطين فجلسنا بينهما ، ودخل وقد أتى بالجونية فأنزلت فى بيت نخـل فى بيت

أميمة بنت النعمان بن شراحيل ، ومعها دايتها حاضنة لها • فلما دخل عليها ﷺ قال : هبى لى نفسك • قال : وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى بيده يضعها لتسكن ، فقالت : أعوذ بالله منك • فقال : عذت بمعاذ ، ثم خرج علينا • فقال : يا أبا أسيد اكسها ثوبين وألحقها بأهلها •

وقد رجح البيهقى أنها المستعيذة لهذا الحديث • وتقدم فى أسماء بنت النعمان بن الجون شبيه بقصتها • فالله أعلم •

انتهى •

وقد اضطرب هنا كلام العلماء • فمنهم من يقول ان المستعيذة أسماء بنت النعمان • ومنهم من يقول المستعيذة أميمة •ومنهم من يقول ان اسمها أمامة ومنهم من يقول انهما واحدة • ومنهم من يقول انها نسبت مرة الى جدها ومرة الى أبيها•ومنهم من يقول المستعيذة مليكة بنت كعب الكنانية • ومنهم من ينكر تزوجه عليه الصلاة والسلام بمليكة أصلا • كما سيأتى قريبا • وليت شعرى أى بأس على النبى ﷺ فى استعاذتها منه ، وأى شىء فيها يخدش شأن النبوة الجليلة المسددة أو يوهى أركانها المشيدة ، وأى وصمة تلحق جنابه الرفيع ومقامه الشريف وشريعته المطهرة ، اذا كان النكاح بلفظ الهبة جائزا فى شرعه المبين ، أو خصه الله سبحانه بأشياء كما خص بأحكام بعض اخوانه النبيين كما بيناه سابقا ، فتذكر •

ثم ان هذه الامرأة الناقصة العقل اذا كانت لم تعرف أن هبة النفس للنبى عليه الصلاة والسلام بمنزلة النكاح ، فقالت ما قالت ، فهل يقدح فى النبوة أو يشين الفتوى والفتوة ؟ فالجاهل الحقير اذا أساء الأدب لدى الكبير ، ولاسيما النبى البشير النذير لا يحط من جليل قدره أو شرف نبوته بمقدار قطمير ، وقد وقع من الجهلة مع الأنبياء أعظم من هذا بكثير فافهم •

قوله : « ومليكة بنت كعب الليثية ذات الأقاصيص » لا يخفى أنها

مليكة لا ملكية قال بعضهم هى التى استعاذت من النبى ﷺ وكثير من العلماء ينكر تزوجه بها أصلا • وقال غير واحد : انه لم يتزوج كنانيــة قط • وقد موه وبهرج هذا النصرانى كلامه ، لينال بزعمه مرامه ، وقال ذات الأقاصيص ليروج على ضعفة العقول وعديمى الاطلاع على المنقول أن لهذه الامرأة أعاجيب فى تزوجها بالنبى ﷺ أو أنها وقع منها أمور غريبة أو صدر منه عليه الصلاة والسلام وحاشاه فى أمر نكاحها مسائل عجيبة ، مع أنه ان صح أمر تزوجها فلم يكن شىء فى ذلك ، سوى أنها لمــا كانت امرأة ناقصــة العقل ولم تر قبــل ذلك هيبة النبوة وجلالة الرسالة ، فدهشت أو خافت ، فاستعاذت أو حسدت فعلمت ، وغشت ولم تعلم ما يترتب على هذه الكلمة ، ولعلها بزعمها أنها تكلمت بأحسن القول والمحبب من الكلام ، ولمــا صدرت منها الاستعاذة أعاذها عليــه الصلاة والسلام وانصرمت من خدمته أى انصرام •

قوله : « ومارية أى القبطية بنت شمعون » أهــداها له المقوقس القبطى صاحب مصر والاسكندرية ، وأهدى معها أختها سيرين ، وخصيا يقــال له مأبور ، وألف مثقــال ذهبــا وعشرين ثوبا لينا ، من قباطى مصر ، وبغلة شهباء ، وحمارا أشهب وعســلا من عســل بنها ، ووهب عليه الصلاة والسلام سيرين لحسان ، وماتت مارية فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع •

قوله : « وريحانة » وقيل اسمها ربيحة بالتصغير ماتت قبل وفاته عليه الصلاة والسلام سنة عشر ودفنت بالبقيع ، وطأها عليه الصــلاة والسلام بملك اليمين ، وقيل أعتقها وتزوجها رضى الله تعالى عنها •

قوله : « قال بولس : ان الذى له زوجة انما غايته أن يصرف عنايته الى رضى زوجته » الى آخره •

فنقال لهذا النصرانى : ان هذا مردود عقلا ونقلا ومستهجن فطرة وشرعا وحكمة ، وباطل بالبداهة من وجوه عديدة ، لأن الله سبحانه لمــا

خلق آدم خلق زوجته حواء من ضلعه ونفســه ، ليسكن اليهـا ويجعل التوالد والتناسل منهما ومن ذريتهما ليتم ما أراده الله سبحانه فى سابق علمه ، من وجود هذا العالم ، وعبادة بنى آدم فترجيحنا الترهيب على التزوج مفض الى خلاف ما أراده الله سبحانه من خلق البشر ، ولانقطع النسل وبطل النهى والأمر ، ولو كان كما زعم لما تزوج الأنبيـاء والمرسلون وعبـاد الله الصـالحون ، مع أنا رأينا أن بعضهم لم يكتف بواحدة ولا اثنتين ، بل تزوج مئين من النساء وتسرى بمئات من الجوارى والاماء كما قدمنا لك مفصل ذلك • ولو كان التزوج مستقبحا والحصورية أمرا مرجحا ، لما امتن الله تعالى على ابراهيم أنه يجعل نسله كتراب الأرض ، ويبارك فى اســحاق واسماعيل ويكثر نسلهما جــدا • ولو كان عدم التزوج أولى وأحسن من التزوج ، لأمر الله سبحانه عباده بذلك ، ولجعله دينا وشريعة عامة ، أو حكمـا خاصـا بأنبيائه وأصفيائه ، مع أنا رأينا الأمر بخلاف ما زعمت وبضد ما حررت •

وينبغى على زعمك أن الأنبيـاء لم يعبدوا ربهم جـل وعز ، ولم يخدموه ، لأنهم خدموا أزواجهم ونبينا عليه الصلاة والسلام لم تكن عنده الخمس عشرة امرأة والأمتان كلهن فى زمن واحـد ، كما تبين لك سابقا بل بعضهن لم يدخل بهن وبعضهن توفين ولم يبقين عنده ســوى شــهر وشهرين • وسيرته عليه الصــلاة والســلام وسيرتهن معلومتان وعبادته وتقواهن مشهورتان • وهذا من الدلائل على نبوته ﷺ أنه توقى عن تسع من نسائه ، مع شكرهن له وعدم نقصان عبـادته ومع كثرة صومه وصلواته فى آنـاء الليل وأطراف النهــار حتى تورمت قدمـاه الشريفتان من كثرة قيامه فى صلواته وتهجده فى محرابه ، وحتى أنــه كان عليه السلام يشــد الحجر على بطنه من الجــوع مع قيامه بأمر النبوة وما تقتضيه الرسالة والدعوة العامة والارشــاد والتعليم لكافة الأمــم •

ولنذكر لك أيضا بعض الحكم المتعلقة بشأن الزواج وتزوجه عليه الصلاة والسلام مثل ما تقدم لك غير مرة مع زيادة عليه من كلام الحافظ

ابن حجر ، ثم نردفه بكلام بعض النصارى الموافق لمـا ادعيناه وتعقبنا به على « عبد المسيح » فيما ادعاه •

وقال الحافظ ابن الحجر فى الكلام على قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لسعيد بن جبير « هل تزوجت ؟ » قلت : لا قال : « فتزوج ، فان خير هذه الأمة أكثرها نساء » ما نصه : « وكأنه أشار الى أن ترك التزويج مرجوح ، اذ لو كـان راجحا ما آثر النبى ﷺ غيره وكان مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به يكثر التزويج لمصـلحة تبليغ الأحكام التى لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة فى خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يشبع به من القوت غـالبا • وان وجد كان يؤثر بأكثره ويصوم كثيرا ، ويواصل • ومع ذلك كان يطوف على نسـائه فى الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن ، وقوة البدن تابعة لمـا يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب ، وهى عنده عليه الصلاة والسلام نادرة أو معدومة • ووقع فى الشفاء : « أن العرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية » الى أن قال : « ولم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن وكأنه أراد بالتحصين قصر طرفهن عليه ، فلا يتطلعن الى غيره ، بخلاف العزبة ، فان العفيفـة تتطلع بالطبـع البشرى الى التزويج ، وذلك هو الوصف اللائق بهن •

والذى تحصل من كلام أهل العـلم فى الحكمـة فى استكثاره من النسـاء عشرة أوجـه :

أحـدها : أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفى عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك •

ثانيهـا : لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم •

ثالثهـا : للزيادة فى تألفهم لذلك •

رابعهـا : للزيادة فى التكاليف حيث كان ، أن لا يشـغله ما حبب اليه منهن عن المبالغة فى التبليغ •

خامسها : لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه ٠

سادسها : نقل الأحكام الشرعية التى لا يطلع عليها الرجال لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفى مثله ٠

سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة ٠ فقد تزوج أم حبيبة وأبوها اذ ذاك يعاديه ، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها فلو لم يكن أكمل الخلق فى خلقه لنفرن منه ، بل الذى وقع أنه كان أحب اليهن من جميع أهلهن ٠

ثامنها : ما تقدم من خرق العادة له فى كثرة الجماع مع التقليل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال ، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم فى قوله عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » فأشار الى أن كثرة الصيام تكسر شهوته فانخرقت هذه العادة فى حقه ﷺ ٠

تاسعها وعاشرها : ما تقدم من تحصينهن والقيام بحقوقهن انتهى ٠

ولننقل لك شيئا من كتاب البراهين الانجيلية ضد الاباطيل البابلوية للمعلم البرتستانى ميخائيل مشاقه المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٣ ما لفظه : « وأما قذفه زيجة لوثارس فهو فى غير محله لأنه عمل الأفضل لأن الرسول علمنا بأن الزواج هو خير من التوقد بنار الشهوة ٠ ومن المعلوم أن الاكثرين من رسل المسيح كانوا ذوى نساء تجول معهم كما هو واضح من كلام بولس الرسول ٠ وأما الاحتجاج بنذره ، فاذا كان يلزمه حفظه ، فلا تكون المخالفة أكثر جرما من مخالفة أية وصية كانت من وصايا الكنيسة غير العادلة ، هذا وان النذر يلزم أن يكون عادلا وممكنا وجائزا ومقدورا عليه ، وله ثمرة صالحة ٠

ومن المعلوم أن الطبيعة البشرية تغصب الانسان على استيفاء حقها ، ومن العدل أن تستوفيه وليس بمحرم عليها استيفاؤه حسب الشريعة ولا استطاعة لجميع البشر على حفظ البتولية ولذلك ترى كثيرين من الأساقفة والقسوس والشمامسة ، بل من الباباوات المدعين بالعصمة قد تكردسوا فى هوة الزنا لعدم تحصينهم بالزواج الشرعى ، هذا وان ذات النذر بالاقتناع عن الزواج ، هو غير عادل لتضمنه سلب حقوق الطبيعة وكونه يضع الانسان تحت خطر السقوط فى الزنا ويفتح بابا واسعا لدخول الشيطان أن يجربه ، وبنوع ما كان الراهب ينذر على نفسه مقاومة كلمة الله الذى قال لآدم وحواء « أيمنا وأكثرا » وأنه يمنع أن يأتيه نسل يسبح الله تعالى •

وبالجملة انه يعدم وجود ألوف ألوف ، ربما كانت تتولد من ذريته فكأنه قد قتلها • وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيليه قط ، بل ترى أن شريعة موسى التى أباحت تعدد الزوجات خلافا للحق الطبيعى قد نقضها السيد المسيح بقوله : « لم يكن فى البدء هكذا ان الله خلقهما ذكرا وأنثى » •

فالآن كنيسة رومية تريد أن نتعلم منها بأن الله لم يخلق أنثى لذلك الراهب ولا ذكرا لتلك الراهبة لكى لا يتناسلا ويتعاونا على المعيشة ، فاذا كان لا يحق للزوج أن ينذر العفة بدون سماح زوجته كونها معه جسدا واحدا بمعنى مجازى • وبالحقيقة هى منفصلة عنه ، فكيف يلتزم بهذا النذر ضد طبيعته التناسلية التى على الدوام تطلب منه حقها ؟ وهى معه جسد واحد بالحقيقة لا بالمجاز ، ولها عليه الاستيلاء التام ، الذى نالته من الخالق تعالى •

فأقول : ان طريقة الرهبانية هى اختراع شيطانى قبيح ، لم يكن له رسم فى الكتب المقدسة ولا فى أجيال الكنيسة الأولى ، وهو مضر على أنفس الرهبان • وعلى الرهبان • وعلى الشعب • فمن يقاومه يقاوم الشيطان • وهؤلاء الرهبان لا نفع لهم للرعية ، انما هم كالذين يتخذون

لأنفسهم قصورا خارج العمران ، فيتنعمون وحدهم فى أديرتهم ويسلبون أموال الشعب بالحيل والمخادعات . وهم كسالى بطالون يعيشون من أتعاب غيرهم ، خلافا لسلوك رسل المسيح والمبشرين » انتهى بحروفه .

وقد قدمنا لك سابقا ما يزيدك وضوحا فى الأجوبة عن مسألة التزوج بواحدة أو أكثر فتذكره فليس فى العهد من قدم .

وأما قوله : « قال الرب المسيح لا يقدر العبد أن يخدم ربين » الخ . فالعجب من هذا الاستدلال ، لأنه هو قد عبد ربين باعترافه ، لأنه جعل المسيح هنا ربا وعبده مع الله رب العالمين . بل قد عبدت النصارى ثلاثة أرباب بل أكثر ، كما فصلنا لك فى كتابنا هذا . فلا تغفل .

وأما بقية كلام هذا النصرانى « عبد المسيح » المتقدم هنا الذى سرد أمثاله فيما سبق فتعرف أجوبته وبيان خلطه وكذبه مما قدمناه لك فى موضعه آنفا . ولا حاجة بنا الى الاعادة كعادته خشية من سآمة التالين . والله سبحانه الموفق والمعين وهادى الضالين .

قال النصرانى : « ولكن فلندع الآن ذكر هذا ونأخذ فى ذكر أعلام النبوة التى يجب معها الاقرار لمن أتى بها بأن يسمى نبيا ورسولا وننظر فيما أتى به صاحبك . وهل يوافق أو يشبه شيئا مما جاءت به الأنبياء ويشاكله ؟ وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو رده عليه ؟ فنقول : ان النبى معناه المنبىء أى المخبر بالأمر الذى لم يكن أتى به مخبر قبله ، فيخبر به قبل وقوعه ، أو بالأمر الذى كان ولم يعرف كيف حدوثه ، وانما يوثق باخباره عن صحة ما يخبر به بالآيات التى تصدق حكايته وتشهد على صحة اخباره ، وذلك مثل موسى نبى الله الذى أخبرنا فى السفر الأول من التوراة المدعو سفر الخليقة كيف كان خلق السموات والأرض وما فيهما . وكيف كان خلق آدم وحواء ، وما كان من قصتهما وقصة قابيل وهابيل وقوم نوح والطوفان وقصة ابراهيم وولده ، ولم يزل ينسق تلك الأخبار خبرا بعد خبر ، حتى انتهى الى خبره ، وكيف كان تجلى الله له فى

العوســجة ، ثم خبره مع بنى اسرائيل وفرعون ومصر ، الى أن توفاه الله ، ويخلط مع أنبيائه ما وعد الله من ادخال بنى اسرائيل أرض الميعاد ، وأنه مزمع أن يورثهم أرض الجبابرة التى هى بلاد الشام • وكان ذلك على ما أنبأ به وحقق ما أخبرنا به من الخبر المــاضى بالآيات والأعاجيب التى فعلها ، فعلمنا أنه كان صادقا بكل حكاياته وما جاء به عن الله جل وعز فهذه شريطة النبى بما كان وما يكون من الأمور ، وعرفنا صــدق ما قاله من الخبر المستقبل بصحة ما رأينا من وقوع الأمر وتمامه عنــد دخول بنى اسرائيل أرض الجبابرة بالأيدى القوية فحصــلت له بذلك شريطة المنبىء بالخبر الذى لم يكن قبل حدوثه ، فقــد وجب من هاتين الشريطتين أن موسى نبى بالحقيقة •

فأما المنبىء بالخبر الذى لم يكن قبل وقوعه فيكون ذلك على وجهين اما مع قرب الزمان وحضور الوقت ، واما على بعد الزمان وطول الأيام • والدليل على ذلك وتصحيحه : الآيات والمعجزات والعجائب والغرائب التى هى أعلام النبوة ، الى أن يصح القول والانباء ، مثل الذى تنبأ به أشعياء النبى لحزقياء الملك حيث ورد عليه السخاريب ، ملك الموصل بجيشة محاصره وكتبه بما كاتبه به من البغى عليه والوعيد والاستطالة ، فشكا حزقياء ما دهمه به الى الرب ، فأوحى الله الى أشعياء النبى : انى قد سمعت دعاء حزقياء فامض اليه وقل له يقول لك الرب اله اسرائيل الليلة تكفى مؤنة ســخاريب • فلما كانت الليلة بعث الله ملاكه فقتل من عسكر سخاريب مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل مدجج ، فلما أصبح سخاريب ورأى ما نزل بأصحابه ولى هاربا •

ومثل قول أشعياء أيضا لحزقياء حين كان مريضا وقد اشفى ان الله قد أقالك من هذه المرضة وقــد زاد فى أجلك خمس عشرة ســنة • ودليلك على ذلك : أن الشمس راجعــة فى مســيرها عشر درجات وكان ذلك كما قال النبى ، ورجعت الشمس وبرأ حزقياء من مرضــه ذلك ، وما توفى الا لتتمة خمس عشرة سنة ، فهذا انباء مع آية ودليل فى وقت واحد • ومثله ما أنبأ به عن أمر الرب المسيح السيد جل وعز أنه يولد

من العذراء ويدعى اسـمه عمانوئيل وتفسـير ذلك « الهنا معنا » وأنبأ أيضا بأشياء كثيرة وأخبر بها على بعد العهـد وطول الأيام من خراب بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل الى بابل ، وكان ذلك على بعد العهد وتأخره وصـح كله وتم كما قـال • ومثل ذلك ما أخبر به ارمياء النبى عن لخراب بيت المقدس أيضا ودخول بخت نصر اليه وهدمه اياه وسبيه بنى اسرائيل ونقله اياهم الى بابل ، وأنهم ماكثون ببابل فى ذلك السبى وفى تلك العبودية سبعين سنة ، ثم يرجعون فيبنون بيت المقدس ويقيمون فى مساكنهم ، فكان بعض ذلك وهو حاضر ، ثم تمت نبوته وظهر صدق قوله وصحة ما حكاه عن الله عز وجل فى ذلك الوقت ، عند تمام السبعين سـنة التى حدها لمقامهم ببابل •

مثلما تنبأ دانال النبى عن رجـوع بنى اسرائيل الى بيت المقدس وكان ذلك على ما حكاه • وتنبأ لبيلشاصر المـلك عن الرؤيا التى رآها بيلشاصر فخبره بالوحى عما كان مزمعا أن يحل به ، فحل به ودانيـال حـاضره •

ومثلما تنبأ أيضا على قتل المسيح وأنه لا تقوم لليهود بعـد قتله قائمـة ، وأنهم يمزقون فى البـلاد كل ممزق ، ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلك كما قال • وكذلك فعل جميع الأنبياء ومن اسـتحق اسم النبوة بالحقيقة ، وكذلك كانت المـلوك والأمم يفعـلون بمن ادعى عندهم شيئا من النبوة لا يقبل منه ذلك الا بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالبة بالدليل والبراهين فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه ، ومن لم يأت بشىء من هذا كذبوه ونكلوا بـه • والا كان كل من أتى بهذيان أو بكلام منثور أو كهانة أو زجرا ، وقال ، كان داخلا فى جملة من تنبأ وكانت المـلوك تفعل ذلك بتوفيق الله •

فأما المسيح الرب مخلص العالم فان قدره يجـل عن النبوة لأن مرتبته أعلى وأشرف وأرفع من مرتبة الأنبياء فان الأنبياء عبيد الله تبارك

وتعالى والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الأنبياء والموحى اليهم والموجد الرسل والمؤيد لهم بالكلمة المتجسدة فيه ، وقد تنبأ لليهود والحواريين بما يدل دلا قاطعا على أنه يعلم الغيب ويكتنه الضمائر وأنه لا تخفى خافية وأنه خبير بالسرائر وبما هو مزمع أن يكون قبل كونه فى الوقت الذى كان مقيما معهم مترددا بينهم • مثل قوله لهم وقد اجتمعوا حوله يرونه بناء هيكل بيت المقدس ويعجبونه من جودة بنائه وصحته وحسنه وتمامه « الحق الحق أقول لكم انه لا يبقى من هذا البناء حجر على حجر الا وينقض » •

ومن اخبارهم بما هو مصيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبى ، فكان ذلك كقوله بعد صعوده مجدا الى السماء بأربعين سنة ، ومثلما كان يخبرهم أيضا بما فى ضمائرهم وما يكتمونه فى أنفسهم من تدبيرهم فى قتله ، ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون فى بيت المقدس « ان ألعازر صديقنا قد رقد » وكان العازر هذا نازلا فى موضع يعرف ببيت عنيا على فراسخ من بيت المقدس « فامضوا بنا نيقظه » فقال له تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض العازر : أيها السيد ان كان قد رقد فقد برىء على عادة المرضى ، انهم اذا ناموا بعد السهر المقلق من شدة المرض ، فذلك دليل على عافيتهم ، فلما لم يفهموا كلامه صرح لهم القول معلنا : « ان العازر صديقنا قد توفى ، فأنا ماض لأبعثه حيا من بين الأموات » فمضى وهم معه فبعثه حيا ودفعه الى أختيه مريم ومرثا • وذلك بعد أربعة أيام من موته •

وكقوله لسمعان الصفا • فقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به ان جميعكم فى هذه الليلة يخذلنى • فقال له سمعان : سيدى ان خذلك الناس كلهم فلا أخذلك أنا أبدا • فقال له السيد المسيح : الحق أقول لك ستجحد معرفتى الليلة ثلاث مرات قبل صياح الديك ، فجزع سمعان لذلك جزعا شديدا ونفر نفورا عظيما لقوله ذلك ، فلم يصح الديك فى تلك الليلة حتى جحد سمعان معرفته ثلاث مرات فى ثلاثة مواضع مختلفة ، حالفا بغليظ الأيمان على جحوده وانكاره ، ونظر المسيح السيد اليه ، ففكر سمعان

كلامه فبكى وندم على ما كان منه فى جحوده وانكاره . راجع الاصحاح التاسع الآية الثالثة والعشرين من متى والاصحاح السابع والحادى عشر من يوحنا » انتهى .

فأقول وبالله التوفيق هذا الكلام الطويل الذى مزج فيه الحق بالأباطيل قد تقدمت لمثله أجوبة كثيرة ، وامتحنا زيف عجره وبجره ، ونحن والحمد لله تعالى فى غنى عن تكرار رده اذ ما أبقينا سابقا فى القوس منزعا ولا فى الكأس مترعا . وبينا دلائل نبوة نبينا المصطفى المكرم والرسول الصادق الأمين المعظم ﷺ بحيث لم يبق لكل ذى عقل منصف مجال الا الايمان برسالته الثابتة بمعجزات الأقوال الغيبية والأفعال .

وأما المعجزات التى سردها للأنبياء فانا مؤمنون بصحيحها الذى تواترت به الأنباء . وأما ما ذكره من ألوهية المسيح بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقد أثبتنا آنفا ابطالها وبينا فى بداهة العقل محالها وأكدنا ذلك بالبراهين النقلية وأن القول بها سفسطة لا تخفى على ذوى الرؤية ، بل تستحق بالقائل بها (الخزى من) كافة ذوى العقول والأديان الا عباد الصور المنقوشة فى الجدران ، الذين لعب بعقلهم والعياذ بالله تعالى الشيطان :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الشهد من سقم

غير أنا نذكر ما يتعلق ببعض كلماته .

فمن ذلك : ما يتعلق بلفظ « النبى » من كلام اللغويين والشرعيين . قال الراغب فى مفرداته : النبى بغير همز فقد قال النحويون أصله الهمزة فترك همزه واستدلوا بقولهم مسيلمة نبى سوء وقال بعض العلماء هو من النبوة أى الرفعة وسمى نبيا لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله تعالى « **ورفعناه مكانا عليا** » فالنبى بغير همزة أبلغ من نبىء بالهمز لأنه ليس كل منبىء رفيع المحل والنبوة والنباوة الارتفاع ، ومنه نبأ بفلان مكانه كقولهم أقض عليه مضجعه » . انتهى .

وقال غيره : النبى فعيل بمعنى فاعل من النبأ وهو الخبر لأنه مخبر عن الله عز وجل أو بمعنى مفعول لأنه مخبر ، فهو من المهموز عند المحققين منهم سيبويه ، غير أنهم تركوا الهمز فى النبى كما تركوه فى الذرية والبرية والخابية الا أهل مكة ، فانهم يهمزون هذه الأحرف يعنى هذه الكلمات ولا يهمزون فى غيرها ويخالفون العرب فى ذلك .

وفى المصباح والابدال والادغام لغة فاشية . وقيل من النبوة بمعنى الرفعة لأنه رفيع المرتبة فأبدلت الواو ياء لسبقها وسكونها . ويعرف : بأنه انسان حر ذكر أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فان أمر فهو رسول أيضا . كما هو المشهور . وقيل : هما مترادفان . والمشهور أيضا : أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر ، وقيل غير ذلك .

ومن ذلك قوله : « ومثله ما أنبأ عن أمر الرب المسيح السيد ــ جل وعز ــ أنه يولد من العذراء ، ويدعى اسمه عمانوئيل تفسير ذلك « الهنا معنا » .

اما نحن المسلمون فلا نجادلكم فى المبشرات بالمسيح عليه السلام الواردة فى العهد القديم ، مما يوافق القرآن العظيم فى شأن المسيح عليه الصلاة والسلام لأنا معترفون بعبوديته . ورفعه الى السماء من غير أن تمسه أيدى اليهود بسوء ، ونقول ببشائر الأنبياء عليهم السلام به وبأخيه السيد المصطفى من خلق الله تعالى صلى الله تعالى عليهما وسلم لكنا لا نسلم لكم قتل اليهود له بل شبه لهم .

وما ورد بزعمكم فى الكتب السماوية من الاشارة الى قتله فخلاف الواقع كما سنبسطه ان شاء الله تعالى ، غير أن اليهود ينازعونكم فيما استدللتم به من العهد القديم على نبوته ، اذ عندهم له محامل أخر ولا يسلمونه لكم وبأسكم بينكم فلأجل ما حررته لا يسعنى البحث عن هذه البشائر المشيرة بزعم النصارى الى حال المسيح عليه السلام ولا

الكلام هنا عليها ، كما لا يخفى وسيأتى ان شاء الله تعالى فى محـله أن عمانوئيل ليس هو المسيح ، فانتظره ولا تغفل •

ومن ذلك قوله : « ومثل ما تنبأ أيضا على قتل المسيح وكان ذلك كما قال » الى قوله « فان المسيح مخلص العـالم يجل عن النبـوة » فيقال لهذا النصرانى : يالله العجب من اله يحل فى الأرحـام ويحتاج الى الغذاء والفطام ويجوع ويشبع ويهان ويصفع ويتغوط ويبـول ويفر من الآلام ويستغيث عند صلب اليهـود ويقـول : الهى الهى لم تركتنى ؟ فاليهود تقتله والنصارى تأكله ، وملائكته لا تخلصه من أولئك الأقوام • وليت شعرى لو كان هو الاله فكيف يستغيث بنفسه ؟ ولم لم يخلصها من يد اليهود وهم من جملة مخلوقاته وليسوا من جنسـه ؟ وكيف كان هذا الاله ثلاثة أجزاء ، فأى جزء منه كان عند القتل فى الأرض وأيها كان فى السماء ؟ مع أن الثلاثة لا تقسم على السواء • ولقد أحسن البوبصيرى حيث يقـول :

ليت شـعرى ذكـر الثلاثة والـ ... واحـد نقص فى عدكم أم نماء ؟
كيف أوجدتم الها نفى التوحيد ... عنـه الآبـاء والأبنـاء
ءالـه مركـب ؟ مـا سـمعنا ... بالـه لـذاتـه أجـزاء
أهـو الـراكب الحمـار فياعجـ ... ـز الـه بمسـه الاعيـاء
أم جميع على الحمار ؟ لقد ضلـ ... حمـار بجمعهـم مشـاء
أم سـواء هـو الالـه فمـا ... نسـبة عيسى اليـه والانتمـاء ؟
أم أردتم بـه الصـفات فـلم ... خصت ثلاث بوصـفه وثنـاء ؟
أم هـو ابن الله مـا شـاركته ... فى معـانى النبـوة الأنبيـاء
قتلتـه اليهـود فيمـا زعمـ ... تم ولأمـواتكم بـه أحيـاء
ان قـولا أطلقتمـوه عـلى اللـ ... ـه تعـالى ذكـر القـول هـراء

ولنتكلم على كلمـاته هذه الباطلة بفصـول :

★ ★ ★

الفصـــل الأول

فـــى

اثبات نبوته ورسالته بما أظهر من معجزاته وآياته

وهذا مخالف لاعتقاد اليهود والنصارى • وهما فيـه على طرفى النقيض • فأما اليهود فيرمونه وحاشاه بأنه ابن يوسف النجار وبالكذب والسحر والنيرنجات واستسخار الشـياطين فى أغراضه ، وقالوا انه لم يحى ميتا قط ولا أبرأ ذا علة وعاهة ولكنه واطأ صديقا له يقـال له « العازر » فتماوت ثم انه دخل عليه فى جماعة معه فوجد أمه تبكى فقال لها لا تبكى ثم وضع يده فقام وادعى فى البلد أنه أحياه ، وكـانت أمه تهتف بذلك لشغفها به • قـالوا : وواطأ آخـر فجلس على الطريق كأنه زمن فلمـا طال مقامه وعرف بالزمانة والاستعطاء مر به فى أنـاس معه كأنه لا يريده ، فناداه : ارحمنى يا ابن داود فأجابه ما الذى تريد ؟ فقال : أريد أن أنهض فأخذ بيده وأقامه ، فقام وقد تعقـدت رجلاه من طول الجلوس • وكانت أمه تشنع أن يسوع أقامه • واستبعد آخرون منهم هذا • فقالوا : لا ولكن لطفت معرفتـه بالطب الى أن أبرأ الأكمه والأبرص وأقام الزمناء ونسبوه الى بنوة الزنا كما شهد به الانجيـل اذ يقولون له فى محاوراتهم كما فى الاصحاح الثامن من يوحنا « أما نحن فلسنا من أولاد الزنا » واذ قد ثبتت معجزاته وآياتـه عليه السـلام بالطرق التى ثبتت بها معجزة الأنبيـاء قبله ، وصـح التـواتر باحيائه الأموات وخوارقه للعادات وادعائه للنبوة ، فلم يبق للقدح فى نبـوته سبيل وكان ما يعترض به اليهود على المسيح عليه السلام منعكسا عليهم فى معجزات أنبيائهم ، وكل سؤال انعكس على سـائله فهو باطل من أصله كما لا يخفى • وأما النصـارى فهم مجمعون الا من شـذ منهم على ألوهيتـه واعتقاد ربوبيتـه وأنه الاله الذى خلق العـالم وجبل بيديه طينة آدم ، وأنه هو الذى يرزق سائر الحيوان ويدبر أمر الأكوان

منذ كان فهو المتصرف فى الكائنات وديان للأحيـاء والأموات • وهو المجازى يوم الدين والمحاسب للمكلفين • والمسلمون يعتقـدون نبوته ويثبتون عبوديته وينفون صلبه وألوهيته ويعترفون أنه ولد من مريم بلا والد وخلق بواسطة النفخ من ماء واحد • ولنثبت ان شاء الله تعالى الآن عبوديته ونبوته من كتبهم التى بأيديهم •

فأما اثبات عدم ألوهيته : فقد أسلفناه لك غير مرة ورجعنا عليـه الكرة بعد الكرة ، فلا حاجة الى كثرة التكرار ، فقد ظهرت الشـمس وأسفر النهار وقال يوحنا فى الاصحاح الثالث عشر حاكيا ما قاله المسيح عن نفسه ما نصه : « وأعطاه السلطان أن يحكم أيضا لأنه ابن البشر » وقال أيضا فى الاصحاح الرابع : « قال المسيح لتلاميذه طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » وقول يوحنا أيضا فى هذا الاصحاح : « لأن يسوع نفسـه شـهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه » وقـال فى الاصحاح الخامس : « أقول لكم ان من يسـمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية » وقول يوحنا فيه أيضا : « الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى » وقول يوحنا فى الاصحاح السابع عشر : ان المسيح قال : « وهذه هى حياة الأبد أن يعرفوك أنت الاله الحق وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح » وقـال أيضـا فى الاصحاح السادس : « قال المسيح لا أعمل مشيئتى بل مشـيئة الذى أرسلنى • وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئا » وقال يوحنا فى الاصحاح السابع : « أجابهم يسوع وقال : تعليمى ليس لى بل الذى أرسلنى ان شاء أحد أن يعمل مشـيئته يروم التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى ؟ من يتكلم من نفسه ، مجد نفسه يطلب وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم » وقول يوحنا فى الاصحاح السـابع عشر : « ويعلم العـالم أنك أرسلتنى ، وأنت أحببتهم كما أحببتنى » فهذا دليل واضح على أنه مرسل وأنه غيره لأن المحب غير المحبـوب •

وقال أيضا فى الاصحاح الثامن : « قال لهم يسوع لأنى لم آت

من نفسى بل ذاك أرسلنى » وقول يوحنا أيضا فى الاصحاح التاسع فى بحث الأعمى الذى أبرأ عينيه عيسى عليه السلام واختلف اليهود حينئذ فى عيسى ما نصه : « قالوا أيضا للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك ؟ فقال : انه نبى » انتهى • وقال لوقا فى الاصحاح التاسع : « من قبل هذا الولد يقبلنى ومن قبلنى يقبــل الذى أرســلنى » وفى الاصحاح الثالث عشر من انجيل متى ما نصه : « وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته » • انتهى •

وهذا تصريح منه عليه السلام بأنه نبى لا يكرم فى وطنه وبيته ، بل اذا هاجر فانه يكرم فى دار هجرته ، وأمثال هذه الآيات الواردة فى أناجيلهم المصرحة بنبوته وبأنه بشر كثيرة تركناها خشية الملــل •

فان قالوا : نسلم أن الله تعالى أرسله وأنه بشر من جهة ناسوته لكن لاغرو أن يرسل كلمته رحمة لخلقه ولطفا بهم فأرسل ابنه الحقيقى الذى هو الكلمة وتجسد من مريم ليتهيأ الناس للسماع منه والأخذ عنه • قلنا : قد بينا مرارا أن هذا ترويج للباطل وتقريب للمستحيل ، وفاسد بالبداهة ، وجمع بين الأضداد واشراك بالله عز وجل وتجزئة للخــالق ومكابرة فى المحسوسات وجعل القديم حادثا والحــادث قديما والمتعدد فردا والفرد متعددا ، والصفات أجساما والأجسام صــفات ، والغنى محتاجا والمحتاج غنيا ، والمخلوق خالقا لنفســه وجســمه والعلة لشىء معلولة لذلك الشىء نفسه ، اذ داود علة لوجود عيسى عليه السلام وعيسى خالق لداود عليه السلام • وهل يقول هذا الا من لا يفرق بين المــلك والمــالك والسماك والســمك والفلك والفلك والنــور والحلك والأنثى والذكر والسم والسكر والدرة والمدر والقمر وزحل والعلقم والعســل ؟ وهل القول بهذه السفسطة الا مكابرة مع النفس وانكار لضوء الشمس وخرافات لا يرضاها المغفلون ولا من به عته وجنون ولم يسمع بمثله الأولون ؟ وهل القول بذلك من الانصاف ؟ وقد اتضح الحق لكل ذى لب لا يكتم ما يجب به الاعتراف • فكما طلبه هذا المــؤلف منا فنحن

نطلبه منه ومن أمثاله ونؤمل من طالب الحق أن يتأمل ما قلنا وأن لا يخالف بين أقواله وأفعاله •

على أن الكلمة قديمة أزلية لأنها على ادعائهم اما العلم أو النطق فكيف يصح ارسالها ؟ أفيزعم أن الآب بعد ارسالها بقى أخرس جاهلا بغير علم ولا نطق ؟ ثم الكلمة هى صفة العلم فكيف تفارق الصفة ذات البارى سبحانه وتعالى والصفة لا تفارق موصوفها ؟ أو يزعم أن الصفة تقوم بمحلين • وكيف قدر الخلائق على رؤية الكلمة القديمة ، وثبتوا عند مواجهتها • والتوراة تشهد أن موسى عليه السلام لم يثبت عند جلال التجلى بل خر صعقا وغيره مات عند سماع الكلام ، والكتب السماوية تنادى على أن الله سبحانه لا يرى • ولما كلم الله تعالى موسى من العوسجة أضاء له الوادى • والعجب أن عيسى لم يضىء نيفا وثلاثين سنة فى ذلك النادى وكيف تجسدت الكلمة فصارت لحما ودما وشعرا وعظما وتجوع وتظمأ وتخرج منها الفضلات وتحلها الآلام والمصيبات وأن الله سبحانه ولد علمه فصار انسانا ثم يقتله أذل مخلوقاته من بنى آدم ظلما وعدوانا ، ثم تأكله فى كل يوم بالعشاء الربانى النصارى كما يأكل الصيادون الضبى والحبارى ويشربون كأس الخمر المقدس فينقلب الى دم فهم منه سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ؟



الفصل الثانى

قال العلامة شمس الدين محمد المعروف بابن قيم الجوزية من فصل أن الروح حادثة مخلوقة ، ما لفظه : « ثم ان الجهمى ادعى أمرا أنا نجد آية فى كتاب الله تعالى ما يدل على أن القرآن مخلوق قول الله تعالى : « **انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه** » وعيسى مخلوق • قلنا له : ان الله تعالى منعك الفهم

للقرآن • ان عيسى عليـه السـلام تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن لأنا نسميه مولودا أو طفلا وصـبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهى يجرى عليه الخطاب والوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ، فلا يحل لنا أن نقول فى القرآن ما نقول فى عيسى ، فهل سمعتم الله تعالى يقـول فى القرآن ما قال فى عيسى ؟ ولكن المعنى فى قوله : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته » قال : كلمته التى ألقاها الى مريم حين قال له كن فكـان عيسى بكن ، وليس عيسى هو كن ، ولكن كـان بكن ، فكن من الله قـول وليس كن مخلوقا • وكذبت النصارى والجهمية على الله سبحانه فى أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا أن كلمته مخلوقة • وقالت النصارى : عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب •

قلنا نحن : ان عيسى بالكلمة كان ، وليس عيسى هو الكلمة ، وانما الكلمة قول الله وقوله « وروح منه » يقـول روح من أمره كأن الروح فيه كقوله : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » يقول من أمره وتفسيره روح الله انما معناه بكلمة الله خلقها كما يقال عبد الله وسماء الله وأرض الله ، فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الأرواح ، وقد أضاف الله تعالى اليه الروح الذى أرسـله الى مريم وهو عبده ورسوله ، ولم يدل ذلك على أنه قـديم غير مخلوق • فقال تعالى : « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال : انما أنا رسـول ربك لأهب لك غلاما زكيا » فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله •

واعلم أن الروح فى القرآن العظيم جاء على عدة وجوه :

احدها الوحى كقوله تعالى : « **أوحينا اليك روحا من أمرنا** » وقوله سبحانه « **يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده** » وسمى الوحى روحا لأجل ما يحصل به من حياة القلوب والأرواح •

والثانى : القوة والثبات والنصرة التى يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين كما قال تعالى « **أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منـــه** » .

الثالث : جبريل عليه السلام كقوله تعالى « **نزل به الروح الأمين على قلبك** » وهو روح القدس قال تعالى « **قل نزله روح القدس** » .

الرابع : الروح التى سأل عنها اليهود من النبى ﷺ فأنزل عليـــه قوله تعالى : « **ويسألونك عن الروح . قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » أى من خلق ربى . وقد قيل : انها الروح المذكورة فى قوله تعالى « **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون** » وانهـــا الروح المذكورة فى قوله عز وجل « **تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم** »

وقيل : انما كان السؤال عن روح الانســـان فأنزل قوله تعالى « **قل الروح من أمر ربى** » الآية يعنى لو سئلتم عن خلق أنفسكم وعن مدخل الطعام والشراب ومخرجهما ما وصفتم ذلك حق صـفته ومـــا اهتديتم لصفتهما .

الخامس : المسيح قال الله تعالى : « **انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه** » .

وأما أرواح بنى آدم فقد قال كثيرون انه لم يقــع تســميتها فى القرآن الا بالنفس قال تعالى : « **يا أيتها النفس المطمئنة** » وقال تعالى : « **فلا أقسم بالنفس اللوامة** » وقال عــز وجــل : « **ان النفس لأمارة بالســـوء** » وقـــال تعالى : « **كل نفس ذائقة الموت** » وقـــال تعالى : « **اخوا أنفسكم** » وقال تعالى : « **ونفس وما ســـواها** » انتهى .

ثم قال : وأما استدلالهم باضافتها اليه سبحانه بقوله : « **ونفخت فيه من روحى** » فينبغى أن يعلم أن المضاف اليه سبحانه نوعان :

(الأول) صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع

والبصر ، فهذه اضافة صفة الى الموصوف بها : فعلمه وكلامه وارادته وقدرته وحياته عز وجل صفات له غير مخلوقة •

(الثانى) اضافة أعيان منفصلة كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح قلت : وكذا الرجل كما فى الكتب السماوية رجل الله • فهذه اضافة مخلوق الى خلقه ومصنوع الى صانعه ، لكنها اضافة تقتضى تخصيصا أو تشريفا يتميز به المضاف اليه عن غيره كبيت الله وان كانت البيوت كلها ملكا له جل وعز ، وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه لكن هذه اضافة الى ألهيته تقتضى محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضى خلقه وايجاده • فالاضافة العامة تقتضى الخلق والايجاد والخاصة تقتضى الاختيار ، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه كما قال : « **وربك يخلق ما يشاء ويختار** » واضافة الروح اليه من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات فتأمل هذه المواضع فانه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله تعالى من الناس •

فان قيل : فما تقولون فى قوله تعالى : « **ونفخت فيه** » فأضاف النفخ الى نفسه وهذا يقتضى المباشرة منه تعالى كما فى قوله عز وجل : « **خلقت بيدى** » ولهذا فرق بينهما فى الذكر فى الحديث الصحيح فى قوله عليه الصلاة والسلام : « فيأتون فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شىء » فذكروا لآدم أربع فضائل اختص بها عن غيره ، ولو كانت الروح التى فيه انما هى من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك ، وكان بمنزلة المسيح بل وسائر أولاده • فان الروح حصلت فيهم من نفخة الملك • وقد قال تعالى : « **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى** » وهو الذى سواه بيده وهو الذى نفخ فيه من روحه •

قيل : هذا الموضع هو الذى أوجب هذه الطائفة أن قالت بقدم

الروح وتوقف فيهـا آخرون ولم يفهموا مراد القرآن ، فأمـا الروح المضافة الى الرب سبحانه فهى روح مخلوقة أضافها الى نفسه اضافة تخصيص وتشريف كما بينـا •

وأما النفخ فقـد قال تعـالى فى مريم : ((**والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**)) وقد أخبر فى موضع آخر أنه أرسل اليها المـلك فنفخ فى فرجها فكان النفخ مضافا الى الله أمرا واذنا والى الرسـول مباشرة • ويبقى ههنا أمران :

أحدهما : أن يقال فاذا كان النفخ حصل فى مريم من جهة المـلك ، وهو الذى ينفخ الأرواح فى سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله ؟ واذا كان سائر الناس تحدث أرواحهم من هذه الروح فما خاصية المسـيح ؟ •

الثانى : أن يقال : فهل تعلق الروح بادم بواسطة نفخ هذا الروح أى هو الذى نفخها فيـه باذن الله تعالى كما نفخها فى مريم ، أم الرب سبحانه هو الذى نفخها فى نفسـه كما خلقه بيـده اللائقة بذاته التى ليست كيد مخلوقاته ؟ قيل : لعمر الله انهما سؤالان مبهمان •

فأما الأول : فالجواب عنه أن الروح الذى نفخ فى مريم هو الروح المضاف الى الله تعالى الذى اختصه لنفسـه ، وأضافه اليـه وهو روح خاص من بين سـائر الأرواح وليس بالمـلك الموكل بالنفخ فى بطـون الحوامل من المؤمنين والكفار ، فان الله سبحانه وكل بالرحم ملكا ينفخ الروح فى الجنين فيكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، وأما هذا الروح المرسل الى مريم فهو روح الله الذى اصطفاه لنفسـه فكان لمريم بمنزلة الأب لسائر النوع ، فان نفخته لـمـا دخلت فى فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأنثى من غير أن يكـون هناك وطء وأمـا ما اختص به آدم فهو أنه لم يخلق كخلقة المسيح من أم ولا كخلقـة سائر النوع من أب وأم ولا كان الذى نفخ الله فيه منه هو المـلك الذى

ينفخ الروح فى سائر أولاده ، ولو كان كذلك لم يكن لآدم فيه اختصاص وانما ذكر فى الحديث ما اختص به لى غيره وهو أربعة أشـياء خلق الله له بيده الالائقة به سبحانه اذ ليس كمثله شيء ونفخـه فيـه من روحه واسجاد ملائكته له وتعليمه أسماء كل شيء • فنفخه من روحه يستلزم نافخا ونفخا ومنفوخا منه • فالمنفوخ منه هو الروح المضـافة الى الله تعالى فمنها سرت النفخة فى طينة آدم • والله تعالى هو الذى نفخ فى طينته من تلك الروح • هذا هو الذى دل عليه النص • وأما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره كما حصلت فى مريم ، فهذا يحتاج الى دليل •

والفرق بين خلق الله تعالى له بيده ونفخه فيه من روحه : أن اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من أفعال الرب سبحانه ، وأما النفخ فهل هو من أفعاله القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القـائمة بغيره المنفصلة عنه سبحانه ؟ هذا مما يحتاج الى دليل • وهذا بخلاف النفخ فى فرج مريم ، فانه مفعول من مفعولاته واضافة اليه لأنه باذنه وأمره عز وجل ، فنفخه فى آدم هل هو فعل أو مفعول ؟ وعلى كل تقدير فالروح التى نفخ منها فى آدم مخلوقة غير قديمة وهى مادة روح آدم ، فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة وهو المراد » انتهى •



الفصل الثالث

قال المفسرون فى تفسير قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » الآيات •

انها اعتزلت وانفردت من أهلها وأتت مكانا شرقيا من بيت المقدس أى من دارها لتتخلى هناك للعبادة •وقيل قعدت فى شرفه لتغتسل من الحيض

محتجبة بحائط أو بجبل أو بثوب . وروى بعضهم : أنه كان موضعها فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد ، فبينما هى فى مغتسلها أتاها الملك عليه السلام فى صورة شاب أمرد وضىء الوجه جعد الشعر والأكثر على أنه جبريل عليه السلام وعبر عنه بما فى الآية لأن الدين يحيى به وبوحيه فهو مجاز ، والاضافة للتشريف كبيت الله . وقرأ أبو حيوة وسهل « روحنا » بفتح الراء . والمراد به جبريل أيضا لأنه سبب لما فيه روح العباد . وقيل : تمثل فى صورة قريب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته اذ لو بدا على ذلك الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته . وانما تمثل على الحسن الفائق والجمال الرائق لأن عادة الملك اذا تمثل أن يتمثل بصورة بشر جميل كما كان يأتى النبى ﷺ فى صورة دحية رضى الله تعالى عنه أو لابتلائها وسبر عفتها . ولقد ظهر منها من الورع والعفاف مالا غاية وراءه .

فان قلت : ان جبريل عليه السلام شخص عظيم الجثة جسما تعلقت به الأخبار ولكذا غيره من الملائكة الذين ورد فى الكتب السماوية أنهم تصوروا بصورة الانسان عند مجيئهم الى بعض الأنبياء عليهم السلام فمتى صار فى مقدار جثة الانسان يلزم أن لا يبقى جبريل ان تساقطت الأجزاء الزائدة على جثة الانسان ، وأن تتداخل الأجزاء ان لم يذهب شىء وهو محال . وأيضا : لو جاز التمثيل ارتفع الوثوق وامتنع القطع بأن هذا الشخص الذى يرى الآن هو زيد الذى رأى أمس لاحتمال التمثيل . وأيضا : لو جاز التمثل بصورة الانسان فلم لا يجوز تمثله بصورة أخرى غير صورة الانسان ؟ ومن ذلك البعوض ونحوه ومعلوم أن كل مذهب يجر الى ذلك فهو باطل . وأيضا : لو جاز ذلك ارتفع الوثوق بالخبر المتواتر كخبر مقاتلة النبى ﷺ يوم بدر لجواز أن يكون المقاتل هو المتمثل به .

قلنـــا :

أجيب عن الأول بأنه لا يمتنع أن يكون لجبريل عليه السلام أجزاء أصلية قليلة وأجزاء فاضلة فبالأجزاء الأصـــلية يكون متمكنا من التمثل بشرا . هذا عند القائلين بأنه جسم . وأما عند القائلين بأنه روحانى ، فلا استبعاد فى أن يتدرع تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالهيكل الصغير .

وعن الثانى بأنه مشترك الالزام بين الكل ، فان من اعترف بالصانع القادر يلزمه ذلك أيضا اذ يجوز أن يخلق سبحانه مثل زيد مثلا ، ومع هذا الجواز يرتفع الوثوق ويمتنع القطع على طرز ما تقدم . وكذا من لم يعترف وأسند الحوادث الى الاتصالات والتشكلات الفلكيـــة يلزمه ذلك ، لجواز حدوث اتصال يقتضى حـــدوث مثل ذلك ، وحينئذ يمتنع القطـــع أيضـــا ولعـــله لمـــا كـــان مثل ذلـــك نـــادرا لم يلزم منـــه قدح فى العلوم العادية المستندة الى الاحساس ، فلا يلزم الشـــك فى أن زيد الذى نشاهده الآن هو الذى شاهدناه بالأمس .

أجيب عن الثالث بأن أصل التجويز قائم فى العقل وانمـــا عرف فساده بدلائل السمع وهو الجواب عن الرابع ، كذا قال الامام الرازى عليـــه الرحمة .

ثم انه عليه السلام دنا منها فنفخ فى جيبها فدخلت النفخـــة فى جوفها فحملت بعيسى عليه السلام . وقيل : انه لم يدنو بل نفخ عن بعد ، فوصل الريح اليها فحملت . وقيل ان النفخة كانت فى كمها . وقيل : كانت فى ذيلها وقيل كانت فى فمها . واختلف فى ســـنها اذ ذاك فقيل ثلاث عشرة سنة وقيل : أقل . وقيل : قد كانت حاضت حيضتين . وقيل : انها لم تكن تحيض أصلا بل كانت مطهرة من الحيض . وكـــذا اختلفـــوا فى مـــدة حملهـــا . فعـــن ابن عبـــاس والبـــاقر رضى الله تعالى عنهما كانت ساعة واحدة كما حملته نبذته ، واستدل لذلك بالتعقيب فى قوله تعالى « **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** » وقيل انها كانت سبعة أشهر وقيل ستة أشـــهر وقيـــل

حملته فى ساعة ، وصور فى ساعة ، ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها . والمشهور أنها كانت ثمانية أشهر قيـــل ولم يعش مولود لثمانية أشهر غيره عليه السلام .

ثم لـــا نفخ جبريل عليه السلام فى جيبها وحملت حتى اذا أثقلت اعتزلت بعيدا من أهلها وراء الجبل ، لأنها كانت فى بيت النبوة فاستحيت وهربت حياء من قومها ، فأخذت نحو المشرق وخرج قومها فى طلبها ، فجعلوا يسألون عنها فلا يخبرهم أحـــد . وروى الثعلبى فى العرائس أن مريم لـــا حملت كان معها ابن عم لها يسمى يوسف النجار ، وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكانا معـــا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم أن أحدا من أهل زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما . وأول من علم أمرها يوسف فتحير فى ذلك لعلمه بكمال صلاحها وعفتها ، وأنها لم تغب عنه ساعة ، فقال لها : قد وقع فى نفسى شىء من أمرك لم أستطع كتمانه . وقد رأيت الكلام فيه أشـــفى لصدرى . فقالت : قل قولا جميلا . فقال : يا مريم أخبرينى هل ينبت زرع بغير بذر ؟ وهل تنبت شجرة من غير غيث ؟ وهل يكون ولد من غير ذكر ؟ فقالت : نعم . ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خـــلقه من غير بذر ؟ ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث ؟ وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر ، بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة . تقول : ان الله سبحانه لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى يستعين بالمـــاء ؟ قال : لا أقول هذا . ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء ، يقول : « كن فيكون » فقالت : ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى ؟ فعنـــد ذلك زال ما يجده . وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب .

فلما دنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن اخرجى من أرض قومك ؛ لئلا يقتلوا ولدك ، فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له ؛ فلما

بلغت تلك البلاد أدركها النفاس ، فكان ما نصه سـبحانه فى القرآن الكريـم .

وقيل : انتبذت أقصى الدار . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولما اشتد عليها الطلق نظرت الى أكمة فصعدت مسرعة ، فاذا عليها جذع نخلة نخرة ، ليس عليها سعف ، وكان الوقت شـتاء ، فقالت : « **ياليتنى مت قبل هذا** » استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم ، والا فهى تعلم ما جرى بينها وبين جبريل من الوعد الكريم .

وقيل : انها تمنت الموت لأنها سمعت نداء : اخرج يا من يعبـد من دون الله فحزنت لذلك ، وتمنت الموت ، فناداها جبريل وكان فى مكان أسفل منها « **لا تحزنى قد جعل ربك** » **اسفل منك جدول ماء** .

وروى أن جبريل ضرب برجله الأرض فظهرت عين مـاء عـذب ، فجرى جدولا « **وهزى اليك بجذع النخلة ، تساقط عليك رطبا جنيا** » فجعل الرطب يقع بين يديها وكان برنيا وقيل عجوة وانما كان رطبا لأنه ورد أنه ما للنفساء خير من الرطب ، ولا للمريض خير من العسل .

ثم قال لها جبريل « **فاما ترين من البشر أحـدا فقولى انى نذرت الرحمن صوما** » أى امساكا عن الكـلام . وقيـل وعن الأكل أيضـا « **فلن أكلم اليوم انسيا** » .

وبعد انقضاء نفاسها جاءت الى قومها تحمل عيسى ، فلمـا دخلت عليهم تباكوا وقيل هموا برجمها ، فأشارت الى عيسى أن كلموه فقالوا « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » وكان عيسى عليه السلام يرضع ، فلما سمع ما قالوا ترك الرضاع وأقبل بوجهه عليهم واتكأ على يساره وأشار بسبابته . وقيل : ان زكريا أقبل يستنطقه . قال « **انى عبـد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا** » أى نفاعا « **أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا**

شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا »
ثم ان مريم عليها السلام بعد أن فطمته وصلح للتعلم جعلته مع صبيان اليهود ، ليتعلم ، ثم بعد ذلك بمدة سنين أتاه الوحى وادعى النبوة وآمن به البعض وكفر به الأكثرون من بنى اسرائيل ، ثم انه رفع الى السماء فاختلف الأحزاب فيه •

فأما اليهود فطعنوا فيه وحاشاه وصلبوه بزعمهم وأما النصارى فاختلفوا أيضا فيه ، فقال نسطور : هو ابن الله — تعالى عن ذلك — أظهره ثم رفعه • وقال يعقوب : هو الله تعالى هبط ثم صعد • وقال ملكا : هو عبد الله ونبيه • وفى الملل والنحل أن الملكانية قالوا ان الكلمة يعنى أقنوم العلم اتحدت بالمسيح عليه السلام وتدرعت بناسوته • وقالوا أيضا : ان المسيح عليه السلام ناسوت كلى لا جزئى وهو قديم وقد ولدت مريم الها قديما أزليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا • وقد قدمنا من أمر النصارى ما فيه كفاية فليتذكر •



الفصل الرابع

فى
الأدلة على أن المصلوب الشبه
وأنه عند قتله على قاتليه اشتبه
والدلالة على رفعه اليه
لشرفه عنده ومكانته لديه

قال النصارى : القول بالقاء الشبه على عيسى عليه السلام قول يفضى الى السفسطة والدخول فى الجهالات وما لا يليق بالعقلاء لأنا اذا جوزنا ذلك ، فينبغى اذا رأى الانسان ولده أو زوجته لم يثق بأنه ولده ولا بأنها زوجته • وكذلك سائر المعارف لا يثق الانسان بأحد منهم ولا يسكن اليه • ونحن نعلم بالضرورة أن الانسان يقطع بأن ولده

هو ولده ، وأن كل واحد من معارفه هو من غير شـك ولا ريبـة ، بل القول بالشبه يمنع من الوثوق بمدينة الانسان ووطنه اذا دخله • ولعله مكان آخر ألقى عليه الشبه ، بل اذا غض الانسان عينه عن صديقه بين يديه لحظة ثم فتحها ينبغى أن لا يقطع بأنه صديقه لجواز القاء الشبه على غيره • وكل ذلك خلاف الضرورة • فالقول بالقاء الشبه على غير عيسى خلاف الضرورة ، كالقول بأن الواحد نصف العشرة مثلا ، فلا يسمع على أنه قد اجتمعت أمتان وهما اليهود والنصارى على أنه صلب بنفسه ، فيكون ذلك متواترا • وأيضا : ان النصارى يدعون على اليهود صلبه ، واليهود يعترفون بذلك ، فقول المسلمين ان المصلوب غيره لا يلتفت اليه لأنه انكار للمتواتر وتكذيب لتصديق الخصم المقر بدعوى خصـمه •

انتهى •

فنقول : ان هذا سؤال بحسب الظاهر فيه شبهة مؤثرة فى النفوس تصدق دعواهم وكلام باطل • وسيظهر عند الامتحان زيف كلامهم • والجواب عنه من وجوه :

أحدها : ان هذا تهويل ليس عليه تعويل ، بل البراهين القاطعـة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الانسـان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشىء حكم مثله•فما من شىء خلقه الله تعالى فى العالم الا وهو قادر على خلق مثله ، اذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه فى نفسه فيلزم أن يكون خلق الانسان مستحيلا ، بل جملة العالم • وهو محال بالضرورة • واذا ثبت أن الله تعالى قادر على خـلق مثل لكل شىء فى العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال فى حيز الامكان فى العدم ، يمكن خلقها فى محل آخر غير جسد المسيح ، فيحصل الشبه قطعا • فالقول بالشبه قول بأمر ممكن لا بما هو خـلاف الضرورة • ويؤنس ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما الحية فى عصا موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فان جعل حيوان يشبه

حيوانا وانسان يشبه انسانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا .

وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى كما أجمعوا على قلب النار بردا وسلاما ، وعلى قلب لون يد موسى عليه السلام وعلى انقلاب المـاء خمرا وزيتا للأنبياء عليهم السلام واذا جوزوا مثل هذا فليجوز القاء الشبه من غير استحالة على أن عيسى عليه الســلام قـد خولفت عادة الله تعالى الأغلبية فى خلقه من ماء واحـد ونفخ جبريل فى جيب مريم ، فجعل شبهه على غيره ليس بأبعد عن العادة من خلقه ، على أن احياء للموتى وابراءه للأبرص والأكمه أعظم من القاء شبهه على غيره . على أن عروجه الى السماء بناسوته وخـرق الســماء والتئامها ، ليس بأهون من ذلك.على أن رد الشمس ليشوع بن نون ومشى عيسى وحواريوه على المـاء وسائر معجزات أنبياء بنى اسرائيل ليس بأهون مما هنالك . واذا صح عند النصارى انقلاب الخبز الى جسد المسـيح والخمر الى دمه فى العشاء السرى ، لم لا يمكن أن يوقع شبهه على أحدهم ؟ كمـا لا يخفى .

وثانيها : ان الانجيل ناطق بان المسيح عليه الســلام نشـأ بين ظهرانى اليهود ، وحضر مرارا عديدة فى مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظهم ويعلمهم ويناظرهم ويتعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى أنهم كما فى الانجيل يقولون : « أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس اخوته عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟ » واذا كـان فى غـاية الشهرة والمعرفة عندهم . وقد نص الانجيل على أنهم عند ارادة الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لتلميذه ثلاثين درهما ليدلهم عليه ، فما حاجتهم حينئذ أن يكتروا رجلا من تلاميذه ليعرفهم شخصه لولا وقوع الشـبه الذى نقول به ؟ .

ولنسرد لك ما وقع فى أناجيلهم مما يدل على ذلك ، وعلى أن المسيح عبـد الله ورسـوله :

فقد قال يوحنا فى الأصحاح الثامن عشر من انجيله ما لفظـه :

« خرج مع تلاميذه الى عبر وادى قدرون وكان هناك بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا الذى أسلمه يعرف ذلك الموضع ، لأن يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا ، وان يهوذا أخذ الجند من عظماء الكهنة والفريسين شرطا ، وجاء الى هناك بسرج ومصابيح وسلاح ، ويسوع كان عارفا بكل شىء سيأتى عليه ، فخرج وقال لهم : من تطلبون ؟ فأجابوه يسوع الناصرى • قال لهم يسوع : أنا هو • وكان أيضا يهوذا دافعه واقفا معهم ، فلما قال لهم أنا هو ، رجعوا الى ورائهم وسقطوا على الأرض فسألهم أيضا : من الذى تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى • أجاب يسوع : قد قلت لكم انى أنا هو ، فان كنتم تطلبوننى دعوا هؤلاء يذهبون » انتهى •

وقال مرقس فى الأصحاح الرابع عشر من انجيله ما لفظه : « وقال لهم : ان نفسى حزينة حتى الموت ، فأقيموا هنا واسهروا ، ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى ان كان يستطاع تعبر عنى الساعة » وفى نسخة « ان كان تتعداه الساعة ، فقال : أيها الآب كل شىء بقدرتك أجز عنى هذه الكاس لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت • وجاء فوجدهم نياما » الى أن قال : « وجاء ثالثة وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا قد جاءت الساعة ، ها ان ابن الانسان يسلم فى يدى الخطاة ، قوموا نذهب • ها هو الذى يسلمنى فهو قريب ، وبينما هو يتكلم جاء يهوذا الاسخريوطى واحد من الاثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والمشيخة ، وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله فهو هو ، فأمسكوه وسوقوه باجتهاد فلما جاء دنا منه سريعا ، وقال : السلام يا معلم وقبله ، فألقوا أولئك أيديهم عليه وأمسكوه » انتهى •

وفى الأصحاح السادس والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « فحينئذ قال لهم : ان نفسى حزينة حتى الموت ، امكثوا ههنا واسهروا معى ، وبعد قليلا وخر على وجهه وصلى قائلا : يا أبتاه ان كان يستطاع فلتعبر عنى هذه الكاس ، ولكن ليس تكون كارادتى بل كارادتك » الى أن

قال : « وأيضا ثانية مضى وصلى وقال : يا أبتاه ان لم يكن يستطاع أن تعبر هذه الكأس ألا أشربها فلتكن مسرتك » الى أن قال : « حينئذ جاء الى تلاميذه وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا ، ها قد اقتربت الساعة وابن الانسان يسلم فى أيدى الخطاة قوموا ننطلق ، ها قد قرب الذى يسلمنى ، وفيما هو يتكلم اذ جاء يهوذا واحد من الاثنى عشر ، ومعه جمع كبير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة ومشائخ الشعب . والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله هو هو فأمسكوه ، وللوقت تقدم الى يسوع وقال له : سلام يا معلم ، وقبله . فقال له يسوع : يا صاحب لأى شىء جئت ؟ حينئذ تقدموا ووضعوا أيديهم على يسوع وأمسكوه » انتهى .

وفى الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه :

خرج كالعادة ومضى الى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه ، فلما انتهى الى المكان قال لهم : صلوا لئلا تدخلوا التجارب . وهو انفرد عنهم كرمية حجر ، فخر على ركبتيه وصلى وقال يا أبتاه ان كنت تشاء أعبر عنى هذا الكأس ، لكن ليس كمشيئتى بل مشيئتك لتكن ، فظهر له ملاك من السماء يقويه وصار يتضيق وكان يصلى متواترا وصار عرقه كنقطات دم نازلا على الأرض وقام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن فقال لهم : لماذا أنتم نيام ؟ قوموا صلوا لئلا تدخلوا التجارب . وفيما هو يتكلم واذا جمع ، والمسمى يهوذا الذى من الاثنى عشر قدامهم ، فدنا من يسوع ليقبله ، فقال له يسوع : يا يهوذا بقبلة تسلم ابن الانسان ؟ » الى أن قال : « والرجال الذين أمسكوا يسوع كانوا يهزءون به ويضربونه ويغطونه ويضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبأ من الذى ضربك ؟ وكانوا يقولون وعليه أشياء أخرى كثيرة مجدفين ، فلما كان النهار اجتمع مشائخ الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأدخلوه الى مجمعهم ، وقالوا له : ان كنت أنت المسيح فقل لنا . قال لهم : ان قلت لكم لم تؤمنوا لى ، وان سألتكم لم تجيبونى ولم تخلونى » الى أن قال فى الأصحاح الثالث والعشرين : « صلبوه هناك . واللصين أحدهما

عن يمينه والآخر عن شماله وواحد من اللصين المصلوبين كان يجدفه ويقول ان كنت أنت المسيح فنج نفسك ونجنا ، وصاح يسوع بصوت عال وقال : يا أبتاه فى يديك أسلم روحى • قال هذا وسلم الروح » انتهى •• فهذا اللبس العظيم مع تلك الشهرة والمعرفة نحو مدة ثلاثين سنة ، وكثير منها انقضى فى المجادلات والمحاورات معهم ، يدل دلالة واضحة على وقوع الشبه •

وثالثها : انه كما تقدم فى الأناجيل أخذ فى حنادس من الليل المظلم فى حالة شوهت صورته وغيرت محاسنه وهيئته بالضرب والسحب وأنواع النكال الموجبة لتغير الحال • ومثل ذلك يوجب اللبس بين الشيء وخلافه ، فكيف يباين الشيء وشبهه ؟ حتى ان رئيس الكهنة عند احضاره أقسم عليه هل هو يسوع المسيح ابن الله ؟ فلم يجبه•ولو كان هو لأجابه ، فمن أين للنصارى واليهود القطع بأن المصلوب هو عيسى عليه السلام دون شبهه ؟ بل انما يحصل الظن والتخمين كما قال الله تعالى فى كتابه المبين : « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » •

رابعها : قد تقدم فى الأناجيل أنه لما جاء اليهود الى مدله خرج اليهم وقال : من تريدون ؟ قالوا : يسوع • وقد خفى شخصه عليهم ، ففعل ذلك مرتين وهم ينكرون صورته • وهذا دليل الشبه ورفع عيسى عليه السلام ، ولاسيما وقد نقل غير واحد من العلماء عن بعض النصارى القول بأن المسيح عليه السلام كان قد أعطى قوة التحول من صورة الى صورة •

خامسها : قول متى فى الأصحاح الخامس والعشرين من انجيله ما لفظه : « حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فى هذه الليلة لأنه مكتوب انى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية ، ولكن بعد قيامى أسبقكم الى الجليل فأجاب بطرس وقال له : وان شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبدا • قال له يسوع : الحق أقول لك انك فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات » انتهى •

فقد شهد عليهم بالشك بل خيرهم « بطرس » الذى هو خليفته عليهم شك ، فقد انخرمت الثقة بأقوالهم وصح قوله تعالى : **« وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن »** •

سادسها : ان فى الأصحاح السابع والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة • الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا : قد أخطأت اذ سلمت دما بريا ، فقالوا : ما علمنا أنت أبصر ، فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه » انتهى • فهذه الأناجيل ليست قاطعة فى صلبه ، بل فيها اختلافات فيحتمل أن يهوذا كذب عليهم فى قوله : هو هذا • ويدل على وقوع ذلك ويقربه : ظهور ندمه بعد هذا ولاسيما وهو من جملة الاثنى عشر الذين شهد المسيح لهم بالسعادة الأبدية ، والسعيد لا يتم منه مثل هذا الفساد العظيم ، فيلزم اما أن يهوذا ما دل عليه أو كون المسيح ما شهد لهم بالسعادة الدائمة ، أو أن أناجيلهم محرفة مبدلة ، ويحتمل أن أحد أتباع المسيح باع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام وادعى أنه هو ، ومثل هذا كثير فى أتباع الأنبياء حيث يريدون أن يفدوا أنفسهم بدل أنبيائهم لاسيما والمسيح اله بزعم النصارى ، ويحتمل أن الأعوان أخذوا عليه رشوة وأطلقوه وأخذوا بدله ، كما أن يهوذا مع أنه صديقه ورسوله أخذ رشوة ودلهم عليه ، ويحتمل أن عيسى لما كان الها بزعمهم أرسل أحد ملائكته بدله وخلقه على صورته ، كما أنه خلق آدم على صورته ، ويحتمل أن الله تعالى أرسل شيطانا على صورته وصلبوه ويحتمل أن الملك الذى نزل عليه ليقويه كما تقدم فى انجيل لوقا بزعمهم ، صار فداء له ، ويحتمل أن هذا الملك الذى نزل انما نزل لرفعه لأنه لو كان نازلا لتقويته لقواه فلما لم نر أنه قواه ، فيقتضى أنه رفعه الى السماء أو فدى نفسه له •

وقال بعض الأفاضل : **« ومن الأدلة على رفعه وصلب شبهه :** ما فى الأصحاح التاسع من انجيل لوقا ما لفظه : « ان المسيح صعد الى جبل ليصلى وأخذ بطرس ويوحنا ويعقوب معه وفيما هو يصلى صارت

هيئة وجهه متغيرة ولباسه مضيئا لامعا ، واذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وايليا اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه الذى كان عتيدا أن يكمله فى أورشليم ، وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد ثقلوا بالنوم ، فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه ، وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع يا معلم جيد أن نكون ههنا فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة ، وهو لا يعلم ما يقول • وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظللتهم ، فخافوا عند ما دخلوا فى السحابة وصار صوت من السحابة قائلا : هذا هو ابنى الحبيب له اسمعوا ، ولما كان الصوت وجد يسوع وحده ، وأما هم فسكتوا ولم يخبروا أحدا فى تلك الأيام بشىء مما أبصروه » انتهى •

وهذا فيه دلالة على رفعه وحصول الشبه الذى نقول به اذ لا معنى لظهور موسى وايلياء عليهما السلام ووقوع النوم على أصحابه وتغير وجهه واضاءة لباسه الا رفعه • ورؤيتهم له بعد ذلك انما هو من تطور روحه لأنه عليه السلام كان له قوة التطور ، وهذا من أحكام الروح والنفس ولأن قلنا : انه لا يدل على الرفع بالوجه التام ، غير أنا نتنزل ونقول : ما دام فى هذه المرة تغيرت هيئة وجهه ولباسه ، واجتمع بالأنبياء ، وسمع من الغمامة هذا الصوت فلا أقل أن يكون ذلك مقدمة لرفعه ومقياسا ومبدأ لتقويته وايناسا • واليهود لم يتحققوا من أنفسهم أنه هو المسيح ، بل اعتمدوا على قول يهوذا كما تقدم لك • ويهوذا قوله قول فرد وغير صالح للاحتجاج للاحتمالات والأدلة التى ذكرناها لك ، فلم يبق فى قول الفرقتين حجة أن المصلوب هو المسيح عليه السلام لا شبهه ، وأناجيلهم حالها معلوم لديك وبيان اشتباههم المحكى لك فى القرآن الكريم لا يخفى عليك •

★ ★ ★

الفصـــل الخــامس

قال القرافى : اعلم أن النصارى قالوا انهم واليهود أمتان عظيمتان طبقوا مشارق الأرض ومغاربها وكلهم يخبر أن المسيح عليه السلام صلب ، وهم عدد يستحيل تواطئهم على الكذب ، والانجيل أيضا مخبر عن الصلب ، وكذا كتب الأنبياء المتقدمين ، فان جوزتم كذبهم وكذب ما يدعى أنه الانجيل وأن مثل هؤلاء ممكن تواطئهم على الكذب ، لزم المحـــال من وجـــوه •

أحدها : أنه يتعذر عليكم أيها المسلمون جعل القرآن متواترا •

وثانيها : ان قاعدة التواتر تبطل بالكلية فان غاية خبر التواتر يصل الى مثـــل هـــذا •

وثالثها : ان انكار الأمور المتواترة جحد للضرورة فلا يسمع ، فلو قال انسان الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب لم يسمع ذلك منه وعد خارجا عن دائرة العقلاء ، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حـــق وأن اخبار المسلمين والقرآن عن عدم ذلك مشكل •

والجواب من وجوه :

احدها : ان جميع النصارى واليهود يوردون هذا الســـؤال ولا يعلمون حقيقة التواتر ولا شروطه ، وانما فهم ذلك وغيره هذه الأمـــة المحمدية والمـــلة الاسلامية لعلو قدرها وشرفها واختصاصها بمعـــاقد العلوم وأزمتها دون غيرها ، كما هو مسلم عنـــد كل درى منصـــف • وهانحن نوضح ذلك ان شاء الله تعالى فنقول : ان التواتر له شروط :

الشرط الأول : أن يكون المخبر عنه أمر محسوســـا ، ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا الجسيمة وهى

باطلة كاخبار المعطلة عن عدم الصانع والفلاسفة عن قدم العــالم ، مع بطلان ذلك عند أمم كثيرة ، وسببه : ان مجال النظر يكثر فيــه وقوع الخطأ فلا يثق الانسان بالخبر عن العقليات ، حتى ينظر فيجد البرهان العقلى يعضد ذلك الخبر ، فحينئذ يقطع بصحة ذك الخبر ، أما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ ، وانمــا يقع الخلل من التواطىء على الكذب ، فــاذا كــان المخبرون يســتحيل تواطئهم على الكذب ، حصل القطع بصحة الخبر ٠

الشرط الثانى : استواء الطرفين والواسطة ، وتحرير هذا الشرط : أن المخبرين لنا اذا كانوا يســتحيل تواطئهم على الكذب وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه ، حصل العلم بخبرهم ، وان لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك المحسوس بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك ، فلابد أن يكون الغير المباشر عددا يستحيل تواطئهم على الكذب ، فانه ان جاز الكذب عليه وهو أصل هؤلاء المخبرين لنــا ، فاذا لم يبق الأصل لم يبق الفرع عليه ٠ فلا يلزم من كون المخبر لنا يستحيل تواطئهم على الكذب حصول العلم بخبرهم ، لجواز فســاد أصــلهم المعتمدين عليه ، فيتعين أن يكون الأصل عددا يســتحيل تواطئهم على الكــذب ٠

فهذا معنى قولنا : استواء الطرفين فى كونهما عــددا يســتحيل تواطئهما على الكذب : شرط ٠ فان كان المخبر لنا عددا يستحيل تواطئهم على الكذب وأصلهم الذى ينقلون عنه كذلك ، لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس ، بل ينقل عن غيره أيضا ، فأفضل ذلك الأصل يجب أن يكون عددا يستحيل تواطئهم على الكذب أيضا ، لمــا تقدم ٠ وفى هذه الصورة حصل طرفان وواسطة ، فالطرفان المخبر لنــا والمباشر الأول والواسطة التى بينهما فيجب استواء الطرفين والواسطة والوســائط تكثرت فى كونهم عددا يستحيل تواطئهم على الكذب ، فينقسم بهــذا التحرير التواتر الى طرف فقط والى طرفين بلا واسطة ، والى طرفين وواسطة ٠ والثلاثة أقسام مشتركة فى هذا الشرط ٠ فاذا تقرر حقيقة

التواتر . فنقول :

الحس انما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة ، وأما أنه عيسى عليه السلام نفسه أو غيره ، فهذا لا يفيده الحس البتة ، بل انما يعلم بقرائن الأحوال ان وجدت أو باخبار الأنبياء عليهم السلام عن الله تعالى الذى أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا . والذى يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات : أنا لو وضعنا فى اناء رطلا من الماء مثلا وأريناه لانسان ثم رفعنا ذلك الماء ووضعنا فيه رطلا آخر من ذلك الماء ، ثم أريناه لذلك الانسان وقلنا له : هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله ، فانه اذا أنصف يقول : الذى أدركه بحسى أن هذا ماء بالضرورة أما أنه عين الأول أو غيره مماثلا له فلا أعلم ، لكون الحس لا يحيط بذلك . هذا فى المائعات . وكذلك كف من تراب أو أوراق الأشجار أو أنواع الحبوب كالحنطة مثلا اذا أخذ منها حفنتان ونحو ذلك . وكذلك الحيوانات الوحشية والطيور شديدة الالتباس على الحس ، اذا اتحد النوع فى اللون والسن والغلظ ، وانما كثرت الفروق فى الحيوانات الانسية كالفرس ونحوها . وسر ذلك أن أسباب النشأة فى الوحشية مشتركة بالمياه والمراعى والبرارى والحيوان الانسى يختلف ذلك فيه بحسب مقتنيه اختلافا كثيرا ، فينشأ بحسب دواعى بنى آدم فى السعة والضيق ، وايثار نوع من العلف على غيره ومكان مخصوص على غيره ، والزام الحيوان أنواعا من الأعمال والرياضة دون غيرها ، فيختلف الحيوان الانسى بحسب ذلك .

ثم يتصل ذلك بالنطف فى التوليد مضافا الى ما يحصل للولد من داعية مربيه فيعظم الاختلاف . والحيوان الوحشى سالم عن جميع ذلك فتشابهت أفراد نوعه ، ولا يكاد الحس يفرق بين اثنين منه البتة ، فاذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثلين ولا التمييز بين الشيئين فيجب القطع أن كون المصلوب هو خصوص عيسى عليه السلام دون شبهه أو مثله ، ليس مدركا بالحس ، واذا لم يكن مدركا بالحس ،

جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى عليه السلام شبهه فى غيره ، كمـا خرق له العادة فى احيائه الموتى وغيره ، ثم يرفعه ويصـونه عن اهانة أعدائه ، وهو اللائق بكريم آلائه فى احسانه لخاصـة أنبيائه وأوليائه ، واذا جوز العقل مثل هذا ، مع أن الحس لا مدخل له فى ذلك ، بقى اخبار القرآن الكريم عن عدم الصلب سالمـا عن المعارض ، مؤيدا بكل حجة ، وسقط السؤال بالكلية •

وثانيها : سلمنا أن الحس يتعلق بالتفرقة بين المثلين والتمييز بين الشبهين ، لكن لا نسلم أن العدد المباشر للصلب كانوا بحيث يسـتحيل تواطئهم على الكذب • ويدل على أنهم ليسـوا كذلك : أن الحواريين فروا عنه لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود ، فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى عن أسلافهم لا يفيد علمـا بل هو ظن وتخمين لا عبرة به • ولذلك قال الله سبحانه فى قرآنه المبين : ((وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليـه)) أى هم لا يتيقنـون ذلـك بل يحـرزون بالظن والتخمين ، وأما من جهة المـاة اليهودية فلأن المباشر منهم للصلب انما هو الوزعة وأعوان الولاة وذلك فى مجرى العادة يكون نفرا قليلا كالاثنين أو الثلاثة ونحوها يجوز عليهم الكذب ولا يفيد خبرهم العلم بكون العادة خولفت ، وتخريج الصلب عدد يستحيل تواطئهم على الكذب يفتقر الى نقل متواتر ، فانه لو وقع ونقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالصلب فان المتواترات اذا نقلت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها فى افادة العـلم لجواز كذب الناقل ، فلا يكون عدد التواتر حاصلا فى نفس الأمر •

والنصارى واليهود انمـا يعتمدون على التوراة والانجيل ولا يوجد يهودى ولا نصرانى على وجه الأرض يروى التوراة والانجيل ، عدلا عن عدل الى موسى أو عيسى عليهما السلام ، واذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل ، فأولى أن يتعذر التواتر ، ولم يبق فى الكتابين الا أخبار وتواريخ بعيدة الزمان جدا ، بحيث أن التواريخ الاسلامية أصح منها لقرب عهدها ، مع أنه لا يجوز الاعتقـاد فى فروع الديانات على شىء من التواريخ فضلا عن أصول الأديان • واذا ظهر أن مستند

هاتين الأمتين العظيمتين فى العدد فى غاية الضــعف ، كانت اخبارها فى نفسها فى غاية الضعف لأن الفرع لا يزيد على أصله •

وثالثها : ان نصوص الانجيل مشعرة بعدم صــلب عيسى عليــه السلام بخصوصه • كما نقلنا بعضها آنفا •

وسننقل أيضا قريبا ان شاء الله تعالى نحوها مما يؤيد ذلك ••

قــال فى تخجيل الأناجيل : « فيقال للنصــارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواترا أم آحادا ؟ فان زعموا أنه آحاد لم يقم بذلك حجة ، ولم يثبت العلم الضرورى ، اذ الآحاد لم تأمن عليهم فيها السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب ، واذا كان الآحــاد يعرض عليهم ذلك فلا يحتج بهم فى القطعيات ، وان عزوا ذلك الى التواتر قلنا لهم : شرط التواتر استواء الطرفين فيه والوسط ، وهو أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير الذين شاهدوا المشهور به وهو المصلوب ، وعلموا أنه هو ضرورة ، فان اخل شىء من ذلك فلا تواتر ، فان زعم النصارى أن خبرهم فى قتل المسيح وصلبه بهذه الصفة ، أكذبتهم نصوص أناجيلهم التى بأيديهم اذ قال لهم نقلتها الذين دونوها لهم وعليهم معولهم أنــه لمــا آخذ فقتل كان فى شرذمة يسيرة من تلاميذه ، فلمــا أقبل عليــه هربوا بأسرهم ولم يتبعه الا بطرس من بعيد ، ولمــا دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم الى بطرس فعرفته ، فقالت : هذا كان مع يسوع ، فحلف أنه لا يعرف يسوع ولا يقول بقــوله ، وخادعهم حتى تركوه وذهب ، ولم يكد يذهب وان شابا آخر تبعه وعليه ازار فتعلقوا به ، فترك ازاره بأيديهم وذهب عريانا •

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منهم ولا رجل واحد بشــهادة أناجيلهم ، وأما أعداؤه اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عدد التواتر بل كانوا آحادا وأفرادا ، لأن عموم النــاس الذين حضروا لا يرون الا شخصا على خشبة ومعه لصان مصلوبان • ولا شك أن هيئتهم وصفتهم متغيرة عن الحالة التى قبل أخذهم • وامــا

المشائخ ونحوهم فلم يعرفوه أيضا • ففى الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه : « فلمــا كان النهار اجتمع مشائخ الــشعب ورؤساء الكهنة وأدخلوه الى مجمعهم وقالوا له : ان كنت أنت المســيح فقل لنا • قال لهم : ان قلت لكم لم تؤمنوا لى ، وان سألتكم لم تجيبونى ولم تخلونى » انتهى • وهذا يحتمل أنهم يسـألونه عن ذاتــه أو عن رسالته • على أنا لو سلمنا كثرة عددهم وصدق معرفتهم ، فيمكن تواطئهم على الكذب لأنهم لـــا لم يجدوه هو ولم يعلموا محل المسيح وكان ذلك من تلاميذه ، واستحلوا قتله أيضا أشاعوا أنه هو المسيح ليترك الناس متابعته ، ولئلا يتخذوا المسيح نبيا وصمموا أنهم اذا وجدوا المســيح بعد هذا أيضا يعملون به كما عملوا بصاحبه • ويؤيد هذا : أنهم جعلوا على القبر حراسا لئلا ينبش ، ويرى أنه غير المسيح •

ومما يزيد الأمر وضوحا : قول انجيــل متى فى الأصحاح الثامن والعشرين ان مريم لـــا جاءت لزيارة القبر رأت ملكا قد نزل من السماء برجة عظيمــة فدحرج الحجر عن فم القبر وجلس عنده فكاد الحراس أن يموتوا من هيبتــه ، وبادروا من فورهم الى المشــائخ فأعلموهم بالقصة ، فأرشاهم المشائخ برشوة أن يستروا القصة ، وأن يشيعوا أن التلاميذ سرقوه ونحن نيام ، فما يؤمنكم أن تكون هــذه العصــابة من اليهود ؟ كما أنهم ستروا الآية التى ذكرتم صلبوا شخصــا من أتباعه وأوهموا الناس أنه المسيح فاذا تبين عدم الاحتجاج باجماع اليهــود والنصارى الآن على صلبه ، فنرجع الى **القرائن العقلية والنقلية** •

فأما العقل : فلا يجوز أن الاله القادر على كل شيء يقتله أذل عباده وهم اليهود ويضربونه ويعملون به ما هو محرر فى أناجيل النصــارى المضطربة المحرفة المكتوبة بعد رفعه بسنين عديدة وأعوام مديدة ، مع أنه يفر منهم مرات كثيرة ويستغيث ويطلب من الله تعالى تأخير أجله بقوله « أجز عنى هذا الكأس » ويصرخ ويقول : « الهى الهى لم تركتنى » ويسلم روحه وعند الصلب يطلب منهم المـــاء لكثرة عطشــه فيعطونه

خلا بدله ، وأى خلاص لعباده فى هذه الحالة ، وهو بزعمهم أتى ليخلص العالم من الخطيئة ؟ بل صار موقعا لهم فى الاثم بسبب عـدم ايمانهم به ، فكيف يكون مخلصا بنفسه ؟ .

وأما النقل : فقد تبين لك تهافت أناجيلهم واضطرابها . والـدلالة على عدم المعرفة به وعدم وجوده فى قبره . والأعظم من ذلك عند كل ذى عقل سليم : قوله تعالى : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » وأما قول متى فى الأصحاح السابع والعشرين : « فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح . واذا حجاب الهيكل قد انشق . الى اثنين من فوق الى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من الأجساد القديسيين الراقدين وخرجوا من القبور بعـد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين » فهو قول بهت ومحال لا يخفى بطلانه على ذوى العقول من النساء والرجال ، لأنـه لو كـان صحيحا لأطبق الناس على نقله ولم يتفق اخفاء مثله ، ولزال الشـك عن تلك الجموع فى أمر سيدنا يسـوع فحيث داموا على الجحـد له والتكذيب ، دل ذلك على كذب ما نقله عباد الصليب . واذا كان اليهود أعطوا دراهم رشوة كما علمت سـابقا لحراس القبر حتى لا يخبروا القائد وسائر الناس بملك نزل من السماء على قبر يسوع ، كى لا يظن براءته مما نسب اليه أعداؤه ، فكيف تكون هذه الآية العظيمة وتقـوم الأموات من قبورها ويدخلون المدينة ولا يكـون ذلك حجـة على من لا يؤمن بـه اذ ذاك ؟ .

وأيضا : ما معنى تفتح القبور وقيـام القديسين من قبورهم ؟ فهـل كان استبشارا بمصابه ؟ فهم اذ ذاك ليسـوا من أحبابه أو كـان جزعا على مماته ، أو خرجوا اعانة له قبل فواته . فواعجبا لرب أحياهم بعد أن كانوا رفاتا ، ولم يعينوه حتى قضى ومات ، وأحيا الدمن وصرخ عند تسليم الروح ، ولم يقدر على ابراء ما فيـه من جروح . وليت

شعرى ما عمل هؤلاء القديسون أبقوا فى المدينة المقدسة أم كروا الى قبورهم ؟ وهل التئم الهيكل والصخور أم دامت على انشقاقها • الى كثير من الدهور ؟ •

فان قيل : انما لم يشتهر ذلك لأن أصحاب المسيح لم يحضر منهم أحد خوفا من اليهود ، والذين شاهدوا هذه الآيات من اليهود وتواطئوا على الكتمان حسدا وبغيا •

قلنا : مثل هذه الآيات العظيمة اذا وقعت علمها من حضر ومن غاب من الأعداء والأحباب لانها آيات نهارية ومعجزات تشتهر فى البرية ، ويتناقلها أهل البلدان وتبقى مؤرخة بكل لسان فى سائر الملل بكل أرض وزمان ، فعلم أن هذه الأقوال مما اخترعها يحررها أئمة الضلال ليخدعوا بها ضعفاء العقول ، ويتوصلوا الى جذب الدنيا بالكذب على هذا النبى الرسول •

وقال المفسرون فى قوله تعالى : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » الآيات روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن رهطا من اليهد سبوه عليه السلام وأمه فدعا عليهم فمسخوا قردة وخنازير ، فبلغ ذلك يهوذا رأس اليهود ، فاتفقوا على قتله فساروا اليه ليقتلوه ، فأدخله جبريل عليه السلام بيتا ورفعه منه الى السماء ، ولم يشعروا بذلك ، فدخل عليه طيطانوس لقتله فلم يجده ، وأبطأ عليهم وألقى الله تعالى عليه شبه عيسى عليه السلام ، فلما خرج قتلوه وصلبوه • وقال ابن المنذر : أتى عيسى عليه السلام ومعه سبعة وعشرون من الحواريين فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى عليه السلام فقالوا لهم : سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا • فقال عيسى لأصحابه : من يشترى نفسه منكم بالجنة • فقال رجل منهم : أنا عيسى فقتلوه وصلبوه ، ورفع الله تعالى عيسى عليه السلام من بينهم • وقال أبو على الجيانى : ان رؤساء اليهود أخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ، ولم يمكنوا

أحدا من الدنو منه ، فتغيرت حليته ، وقالوا انا قتلنا عيسى ، ليوهموا بذلك على عوامهم ، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذى به عيسى عليه السلام فلما دخلوه لم يجدوه ، فخافوا أن يكون ذلك سببا لايمان اليهود ففعلوا ما فعلوا .

وقيل : كان رجل من الحواريين ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه وأخذ على ذلك ثلاثين درهما ، فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عليه الصلاة والسلام الى السماء وألقى شبهه على المنافق ، فدخلوا عليه وقتلوه ، وهم يظنون أنه عيسى عليه السلام ، وقيل غير ذلك .

ثم اختلفوا فقال بعضهم : انه كان كاذبا فقتلناه حقا . وتردد آخرون فقال بعضهم : ان كان عيسى فأين صاحبنا ؟ وان كان صاحبنا فأين عيسى ؟ وقال بعضهم : الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا . وقال من سمع منه ان الله تعالى يرفعنى الى السماء : انه رفع الى السماء .

وقالت النصارى الذين يدعون ربوبيته صب الناسوت وصعد اللاهوت . ولهذا لا يعدون القتل نقيصة حيث لم يضيفوه الى اللاهوت ويرد هؤلاء أن ذلك يمتنع عند « اليعقوبية(١) » القائلين أن المسيح قد

---

(١) فى هذه السنة أخذ عميد كلية أصول الدين فى « شبين الكوم » بعض طلبة الكلية الى الكنيسة الأرثوذكسية فى « شبين الكوم » للقاء أعده فى الكنيسة راعيها وطلبته . وفى أول اللقاء استهل راعى الكنيسة الحفل بما معناه : اننا نرحب بكم فى هذا المكان ، الذى جمع لأول مرة فى تاريخ « مصر » من يدنيون بأن خالق السماء والأرض هو الله وحده . واذ قال : هو الله وحده ، نظر بعضهم الى بعض . وتهامس طلاب كلية أصول الدين هل هو صادق فى قوله هذا ؟ أليس عندهم أن الأقانيم ثلاثة ؟ هل هو يجاملنا ؟ ولم يطق بعضهم الصبر على كلامه الذى استمر فيه على اثبات أن النصارى موحدون لا مثلثون . فصاحوا فى وجهه : أنت تعترف بالوحدانية ؟ أنتم مثلثون . ألستم مثلثين ؟ فرد عليهم : نحن نعترف بالوحدانية مثل اعتراف اليهود بها والمسلمين . نحن نعترف بأن خالق العالم هو الله وحده . فنظروا الى عميد الكلية وهم مندهشون . ثم حدث هرج ومرج . طلب على أثره راعى الكنيسة من عميد الكية أن يشرح لطلبته عقائد النصارى =

صار بالاتحاد طبيعة واحدة ، اذ الطبيعة الواحدة لم يبق فيها ناسوته

= فوقف وقال : أنتم أيها النصارى مثلثون لا موحدون . فقاطعه راعى الكنيسة بقوله : تمهل . انتظر . وأشار الى الحاضرين : اسكتوا . ثم وضع شريط فيديو فى فيديو ، وأظهره على شاشة التليفزيون . وقال : انظروا واسمعوا . هذا من ؟ هذا هو البابا شنوده الثالث راعى الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر وأفريقيا وآسيا . هذا هو صوته . هذه هى صورته . اسـمعوا لقوله . انه يقول : ان خالق العالم هو الله وحده . وبعد ما سـمعوا . قال لهم : لماذا تقولون علينا اننا مثلثون ؟ وحار الجمع وانفضوا حيارى .

وبعد أيام حدثنى عميد الكلية بهذا اللقاء وسألنى هل هم موحدون أم مثلثون ؟ فقلت له : الأرثوذكس يقولون بأن خالق العالم هو الله وحـده . فقال : اذن هم موحدون ؟ فقلت له : نعم هم موحـدون . ولكنهم خدعوك فى هذا اللقاء . فقال : كيف ؟ فقلت له : ان الأرثوذكس يعتقدون : أن الله الخالق وحده . قد نزل من على عرشه فى السماء ودخل بطن مريم بمساعدة روح القدس . ثم تدرج فى بطنها من نطفة الى علقة الى مضغة ثم خـرج طفلا هو يسوع المسيح . فالله هو يسوع ، ويسـوع هو الله . هـذا هو اعتقادهم . أى أن الله انقلب الى انسـان . وأخذ صورة انسان وحل بينهم على الأرض ومشى وأكل وجاع وتعرى وظمأ وأهين بالضرب والسب والقتل على الصليب . هذا هو اعتقادهم : اله تجسـد ، وأهين ، ثم صـعد الى السماء وجلس كما كان فى البدء .

فماذا لم تطلب منهم شرح العقيدة بالتمام والكمال ؟ اليس هـذا هو ما عناه الله بقوله : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم » ؟ فقد اعترف بأن طائفة منهم قالت : ان الله انقلب الى مسيح . وليس هـو واحد من الثلاثة فى نظر الطائفة الأخرى التى كفرها بقوله : « لقـد كفـر الذين قالوا : أن الله ثالث ثلاثة » وهى طائفة الكاثوليك — والبروتستانت معها فى هذه العقيدة —

وقلت لعميد الكلية : انه فى سنة الف وتسعمائة وتسـعة وستين فى مدينة « المنصورة » كنت أجلس وحدى على شاطىء النيل . فمر على رجل وحيانى وجلس بجوارى . ثم تجـاذب معى أطراف الحـديث ودعانى الى النصرانية . وكنت سنتئذ مدرسا فى معهد المنصورة الدينى — ولا يعرف هو عنى شيئا — وقد سألته عن عقائد النصـارى فشرحها لى — وكان هو من طائفة الأدفنتست — فقـال العميد : اليسـوا مثلثين ؟ فقلت له : تثليث الأرثوذكس . ليس تثليث ذوات منفصلة . بل هو تثليث مراحل لذات واحدة . فالله هو نفسه الابن ، وهو الروح القدس . وقبل تجسد الله فى بطن مريم ، سموه أقنوم الاب ، وبعد خروج الله من بطن مريم سموه اقنوم الابن ، وبعد قتل الله سموه اقنوم الروح القدس . فهم يقولون بالتوحيـد ، ولا يقولون بالتنزيه . هذا هو مذهبهم — وهو مذهب اليعاقبة — ويمكنك مراجعته فى كتـاب الفصـل لابن حزم ، والملـل للشهرستانى . فتعجب العميـد من حيلهم على المسلمين .

متميز عن لاهوت والشيء الواحد يقـال مات ولم يمت ، وأهين ولم يهن • وأما الروم القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعتين ، فيقال لهم : هل فارق اللاهوت ناسوته عند القتل ؟ فان قالوا فارق ، فقد أبطلوا دينهم ، فلم يستحق المسيح الربوبية عندهم الا بالاتحاد ، وان قالوا لم يفارقه فقد التزموا ما رد على اليعقوبية وهو قتل اللاهوت مع الناسوت ، وان فسروا الاتحاد بالتدرع ، وهو أن الاله جعله مسكنا وبيتا ، ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت أبطلوا الهيته فى تلك الحالة وقلنا لهم : أليس قد أهين ؟ وهذا القدر يكفى فى اثبات النقيصة ، اذ لم يأنف اللاهوت لمسكنه أن تناله هذه النقائص ، وان كان قادرا على نفيها • فقد أساء مجاورته ورضى بنقيصته ، وذلك عائد بالنقص عليه فى نفسه • وان لم يكن قادرا فذلك أبعد له عن الربوبية ، وهؤلاء ينكرون القاء الشبه ويقولون : لا يجوز ذلك لأنه اضلال • ورده أظهـر من أن يخفى •

على أنا قد بيناه أيضا فى محله من هذا الكتاب ، ويكفى فى اثباته : أنه لو لم يكن ثابتا لزم تكذيب المسيح وابطال نبوته ، بل وسائر النبوات • على أن مرقس فى الأصحاح الخامس عشر قال ان المصلوب صرخ بصوت عظيم قائلا ايلى ايلى لمـا شبقتنى ؟ أى الهى الهى لمـاذا تركتنى ؟ أو خذلتنى • وهو ينافى الرضا بمر القضاء ، وينافى زعمهم بأنـه نزل الى الأرض ليخلص العالم من الخطيئـة ، ويفدى نفسـه ، ويناقض التسـليم لأحكام أبيه الحكيم ، وأنه شـكى العطش وطـلب المـاء • والانجيل مصرح بأن المسيح كان يطوى أربعين يوما وليـلة ، الى غير ذلك مما ينادى على أن المصلوب هو الشبه وأنه رفع الى السماء ، وهو على ما صح من الأحاديث فى السماء الثانية • وهو هنـاك مقيم حتى ينزل الى الأرض ويقتل الدجال والخنزير ويمحو الصليب ويحج ويعتمر • ويملأها عدلا كما ملئت جورا ، ثم يحيا فيها أربعين سـنة أو تمامهـا من سنى رفعه ، وكان اذ ذلك ابن ثلاثين سنة ، ويموت كما تموت البشر ، ويدفن فى حجرة النبى ﷺ أو فى بيت المقدس •

وقال قتادة : رفع الله تعالى عيسى عليه السلام اليه فكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش ، فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا • وهذا الرفع على المختار كان قبل صلب الشبه • وفى انجيل لوقا ما يؤيده • وأما رؤية بعض الحواريين له عليه السلام بعد الصلب، فهو من باب تطور الروح ، فان للقديسين قوة التطور فى هذا العالم ، وان رفعت أرواحهم الى المحل الأسنى ، وقد وقع التطور لكثير من أولياء هذه الأمة ، وحكاياتهم فى ذلك يضيق عنها نطاق الحصر • قاله الوالد عليه الرحمة فى تفسيره : ولقد أحسن القائل :

عجب للمسيح بين النصارى ... والى اى والد نسبوه ؟
اسلموه الى اليهود وقالوا ... انهم بعد ضربه صلبوه
واذا كان ما يقولون حقا ... وصحيحا • فأين كان ابوه ؟
حين خلى ابنه رهين الأعادى ... أتراهم أرضوه أم أغضبوه ؟
فلان كان راضيا بأذاهم ... فاعمدوهم لأنهم عذبوه
ولان كان ساخطا فاتركوه ... واعبدوهم ، لأنهم غلبوه

ولعل لنا عودة الى هذا البحث ان شاء الله •



الفصل السادس

وأما قوله : « المسيح مخلص العالم » الى آخره •

يريد ما زعمته النصارى من أن آدم عليه السلام لما خالف ما أمر به فى الجنة من عدم قربان الشجرة والأكل منها ، فأكل هو وحواء منها ، فاستحق العقاب فأشفق من ذنبه فرحمه الله تعالى ولطف به وفداه بابنه المسيح ، فكان كلما نزل به من أعدائه فهو فداء لآدم وقضاء عنه : فضرب عوضا عن رفاهية آدم وأهين بدلا عن عزه الذى أمله فى الجنة ، وصلب على خشبة لتناوله من الشجرة ، وسمرت يداه لامتدادهما الى الثمرة ، وسقى الخل عند عطشه وهو على الخشبة

لاستطعام حلاوة ما أكله ، ومات بدلا عن موت المعصية الذى كان آدم يتوقعه لولا موت الهه المسيح بدله • وذلك اظهارا لشرف المسيح اذ جعله خروف العالم وقربانا عن آدم وذرية آدم ، فصبر ولم يمانع واستسلم ولم ينازع • فهو الاله الخروف الذى فى الكتب السماوية بهذا اللقب معروف • فهو الله وابن الله وخروف العالم وابن داود ابن البشر وفداء آدم والداخل بدلا عن العاصين الى جهنم ، فهو الاله المقتول المصلوب وابن الله وابن آدم وابن مريم ، فهو الله والله هو ، ولا يقال اثنان ولا ثلاثة ، بل يقال الآب والابن وروح القدس اله واحد ، فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد • وهذا خلاصة زعم المؤلف النصرانى فى حق المسيح المخلص ، غير أنه فاته أن يذكر أيضا ما قاله رسولهم بولس فى الأصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية أن المسيح ملعون أيضا لأنه تحمل اللعنة عن ذرية آدم وعبادته : « ولكن المسيح قد اشترانا من لعنة الناموس ، وصار هو لعنة عنا لأنه مكتوب : ملعون كل من يعلق على خشبة » انتهى بلفظه •

قال المفسر الخورى فى الصحيفة (٣٥٥) : « قد افتدى المسيح الذين يؤمنون به من اللعنة حيث صار لعنة من أجلهم ، وذلك بتحمله على نفسه ما كان على الناس من اللعنة والخطيئة ، كما قال أشعياء (ص ٥٣) ان الرب وضع عليه اثم جميعنا وقد أوفى عنهم بموته وصار لعنة من أجلهم بتعلقه على الصليب ، لأن كل من علق على خشبة ملعون • فالمسيح بتعلقه على خشبة الصليب جلب على نفسه هذه اللعنة أى صار ملعونا • وذلك لينجى الذين يؤمنون به من اليهود من لعنة الناموس • فالواجب اذن ترك الناموس واتباع المسيح والاقامة على ايمانه ، ولكن المسيح لم ينج اليهود فقط ، بل قد أنجى جميع الناس من لعنة الخطيئة كما يظهر مما يلى » انتهى بلفظه •

فيقال لهم فى الجواب عن التخليص : ألستم تقولون ان آدم عليه السلام استرجع وتاب ، فأى شىء أبقت التوبة من ذنبه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فصار حينئذ قتل المسيح عبثا تعالى الله منه

ثم يقال لهم : أخبرونا عن هذا القضاء أليس هو استدراك مصلحة الأداء ، وهو أن يأتى القاضى بمثل ما فوت ؟ فان قالوا : نعم . قلنا : فالذى فوته آدم الانكفاف عن الأكل فيكون قضاؤه بصوم المسيح ووصى له الأربعينيات فلا حاجة الى قتله ، فان قالوا : ان آدم وجب عليه موت المعصية وهو الخلود فى النيران أبدا وهو أعظم الميتين فجاء موت المسيح قضاء عن ذلك الموت ، فصار من جنسه . قلنا : هذا باطل لأنه لو كان موت المسيح من جنس موت آدم لكان اماتــه الله تعالى موت الخطيئة ، وكان مخلدا فى النار بدلا عن آدم فموت الطبيعة ليس بدلا عن موت الخطيئة ، واذا بطلت دعواكم بطل قتل المسيح اذا صار ساذجا عن المعنى فارغا عن الفائدة . والرب يتعالى عن العبث . وقلنا لهم أيضا : ان ولد الصلب أولى من ولد البنت فى كثير من الأحكام فولد صلب آدم أولى فى الفداء من ولد بنته ، وهو المسيح ، فان قالوا : هو ابن الله فلا يصلح لفداء الخلائق غيره . قلنا أليس عندكم فى التوراة أن اسرائيل هو بكر الله والبكر أولى وأفضل عند أبيه ؟ فهلا فداه به ولم يدع الناس فى عذاب الى مجىء المسيح ؟ ثم نقول : المسيح عندكم هو الاله الأزلى . وعند طائفة منكم هو ابن الله فكيف يستقيم أن يكون الله تعالى نفسه أو ابنه بدلا عن عبيده ؟ والله سبحانه هو الذى يتوفى الأنفس وبأمره وارادته ، فيتحد حينئذ القاتل والقتيل فيكون قاتلا قتيلا . ثم نقول : أرأيتم أن رجلا أمر عبده بأمر فخالف العبد فغضب عليه ووعده فخاف العبد وأشفق من عقوبته وراجع خدمته وشمر فى مرضاته ، فعطف عليه مولاه رحمة منه ، ثم التفت الى ابنه فقال : هذا فداؤك فتسلم روحه أو الى نفسه فقتل نفسه عن عبده . أكنتم تعدونه حكيما أو عاقلا ؟ فاعترفوا بالحق ولا تغالطوا أنفسكم . ثم نقول ألستم عبتم قول ربنا تبارك وتعالى فى القرآن العظيم : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وقد بشر عيسى بمحمد ﷺ وشهد بنبوته ، وكذلك جميع الأنبياء عليهم السلام فى كتبهم شهدوا بنبوته كما بيناه ونقلناه وأثبتناه سابقا ، والنبى محال عليه الكذب وقد أخبر عن الله سبحانه أنه يقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ففى تكذيبه تكذيب لكل نبوات

الأنبياء ، عيسى فمن فوقه عليهم السلام ، وقد زعمتم أن قتل الشبيه فداء عن المسيح عليه السلام ظلم وحيف لا يليق بالحكمة ، فكيف نسيتم نفوسكم ههنا وجوزتم أن قتل الله تعالى نفسه أو ابنه وينكل به عن يد أعدائه فداء عن آدم ولم تجعلوا ذلك ظلما وحيفا والجور لا يجوز على العبد ؟ ثم يقال لهم : هل جعلتم هابيل بن آدم عليه السلام الذى قتله قابيل هو كان فداء لأنه من جوهر أبيه واما المسيح فهو ابن الاله وهما من جوهر واحد ، فكان الفداء بهابيل أولى ولاسيما أنكم توجبون على الله تعالى الأصلح لعباده • فالاصلح فى حقهم أن لا يعذبوا مدة خمسة آلاف سنة الى ارسال المسيح وصيرورته فداء • وله مندوحة عن ذلك بقتل هابيل • ثم يقال لهم : ألستم رويتم فى توراتكم أن الله سبحانه قد فدى ولد عبده ابراهيم بذبح عظيم ؟ فان قالوا بلى قلنا لهم فكان ولد عبده أزكى لديه وأعز عليه من ولده المسيح الذى هو واياه شىء واحد وجوهر واحد أم تقولون أعوزته الغنم فلم يقدر على كبش يذبحه ويريح العالم من فتنة المسيح ؟ وقد رويتم فى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين فى التوراة : ان الله تعالى قدم الى ابراهيم كبشا بدل ولده لما أمر بذبحه فعزم على ذلك رحمة منه سبحانه ولطفا ، فلعله قد أمر المسيح فى حق نفسه بما أمر به ابراهيم فى حق ولده ، فاستسلم وصار يخبر بذلك تلاميذه كما كان ابراهيم يخبر به ولده ، ثم لما صح ، عزم على تجرع كأس المنية لطفا به وفداه برجل قد حضر أجله ، فان عناية الله تعالى بالمسيح لا تقصر عن عنايته بولد ابراهيم عليهما السلام • وقد أوحى الله تعالى الى أشعياء أن يقول لحزقيا ملك اليهود انه زيد فى عمره خمس عشرة سنة الى آخر ما ذكره هذا المؤلف عن مسألة حزقيا •

واذا كان هذا وشبهه غير مستحيل عند النصارى ، فما الذى أحاله فى حق المسيح ؟ وقد تضرع الى الله غير مرة فى صرف كأس المنية عنه ، كما شهدت به أناجيلكم التى ذكرنا بعضها ، والمسيح لا ترد له دعوة • ولعل الله قد استجاب دعاءه وحال بين اليهود وبين ما أرادوا منه ، ورفع اليه • والدليل على ذلك : ما ذكره فى الانجيل •

وقد قدمناه لك أنه حينما أراد امساكه نزل عليه ملك من السماء لتقويتـه فافهم ذلك وأنصف . ويقال لهم : لم تنكرون ان الله تعالى تاب على عبده آدم وعاق عبده المسيح فى فداه بكافر أو بمؤمن عجله الى الجنة لاسيما وقد استعمل المسيح الحيدة فى الجواب وعدم الافصـاح لما سأله رئيس الكهنة أهو المسيح كما تقدم ؟ ويقال لهم : كل تقولون ان أحدنا الأيوم اذا عصى ربه أتجزئه التوبة أم لابد أن يقتل ويصـلب ؟ فان قالوا تجزئه التوبة ، فيقال لهم : فهل هو أولى من صفى الله آدم اذ قلتم لابد فى توبته من قتل المسيح لأجله ؟ وان قلتم لا تجزئه أكذبتم بولس حيث يقول فى رسالته : « أولا تعلم أن اهمال الله لك من العقوبة انما هو ليقبل بك الى التوبة مجزية فلا حاجة الى قتل وصـلب . وكذا رويتم عن المسيح فى الانجيل أنه قال : « اقترب ملكـوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشرى » فقد شهد المسيح أن التوبة مسـتقلة بمحو الآثام فلا حاجة الى شىء آخر ، ويقال لهم : ما تقولون فيمن مات قبل مجىء المسيح عليه السلام ؟ أكانوا كفارا أم مؤمنين ؟ فان قالوا مؤمنين فقد سلموا أن لا حاجة الى قتل المسيح فى تخليصهم اذ ايمانهم مخلصهم لا غيره ، وان قالوا كانوا كفارا كذبهم المسيح اذ قال فى الانجيل « انى لم أرسـل الا الى الذين ظلموا من بنى اسرائيل ، وان الأصـحاء لا يحتاجون الى الدواء » وأنتم قلتم : ان المسيح نزل من السماء لخلاص كل الناس فان قالوا نعم قلنا فما تقول فيمن مات قبل نزوله عليـه السلام ؟ وكيف الطريق الى بلوغ دعوته اليهم ؟ فان قالوا تعـذر تلافى أمره وفات استدراكه بموته . قلنا : فاذن حينئذ تكونون قد نسبتموه الى الظلم حيث لم ينزل لخلاصهم قبـل ذلك ، فلم أخر نزوله حتى ماتوا على الضلالة والكفر ، وكيف صار الأحياء أحق بالرحمة منهم ؟ وفى هذه المقالة هدم أصلكم وان تحامقوا وقالوا : ان المسيح دعا الأحياء وهو حى ثم مات فدعا الأموات فى قبورهم ، فمن أجابه نجى ومن أبى هلك . فنقول لهم أدعاهم فى قبورهم وهو حى أم دعاهم وهو ميت ؟ فان قالوا : دعاهم وهو ميت سقطت مكالمتهم وتبين جنونهم ، وان قالوا دعاهم وهو حى فقد نقضوا قولهم انه مات . ثم يقال لهم : أدعا المؤمنين

والكفار أم اقتصر على المؤمنين ؟ فان قالوا : دعا الجميع . قلنا لهم : فلعله دعا فرعون ونمروذ فآمنا ودعا جماعة من الموحدين ولم يجيبوا ، فهل تشكون فى أحد الفريقين ؟ فان توقفوا فى ذلك فيكونوا قد جوزوا أن يكون فرعون وأشباهه فى الجنان ، ومن مات على التوحيد فى دركات النيران ، لاحتمال تغير الحال وان قالوا بل كل على ما مات عليه من كفر وايمان . قلنا : فدعاء المسيح عليه السلام اياهم وكونه مات بسببهم وقع عبثا بلا فائدة . فان قالوا : لابد من صورة الدعوة لهم لاقامة الحجة عليهم فى القيامة قلنا : قد دعتهم أنبياؤهم الذين تزعمون أنهم أنبياء المسيح أرسلهم اليهم لأنكم تزعمون الوهيته ، فالرسل الذين كانوا قد دعوهم الى الايمان كموسى وغيره هم رسل المسيح ، وأقاموا الحجة عليهم ، فما حاجته الى تجشمه واحتماله أمرا قد فرغ منه ، الا أن يقولوا بأن أنبياءه ورسله لم يخبروه بما فعلت أممهم ، ولم يدر هو ما أحدثوا فى التبليغ عنه ، فنزل ليعلم حقيقة الأمر ويقال لهم : أليس قد دعاهم فى حال حياته فزعمتم أنهم وثبوا عله فقتلوه ، أفترون أنه فى حال مماته أقوى منه فى حال حياته ؟ فما يؤمنكم ويدريكم أنه حين دعاهم فى القبور وثبوا عليه وفتكوا به كما فعلوا به وهو حى ؟ اذ كان لا يستحيل من الأموات الدعوة والاجابة ، فلا يستحيل منهم القتل والاهانة ويقال لهم : أليس عندكم أن اللاهوت والناسوت اتحدا فصار مسيحا . فان قالوا بلى قلنا : فأيهم الميت ؟ فاذا قالوا : الناسوت . قلنا : فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميت وعجز عنه لاهوت حى ؟ فتقولون أن ناسوت المسيح أقدر على الهداية من لاهوته ؟ وأيضا : فان الناسوت فى حال اتحاده أقام فوق الثلاثين سنة بالناصرة وأورشليم ولم يتجاوز ذلك ، فلما فارق لاهوته يوما وليلة قلتم انه أتى الأموات وهم فى أكتاف الأرض متفرقون فدعاهم ، فما ترى الناسوت على مقتضى ذلك الا أعظم احاطة من اللاهوت ، وما نرى لاهوته الذى كان متحدا بجسده الا حبسه عن خير كثير ، اذ عطله عن الانبعاث ونشر الدعوة ، فكيف يكون اله حى نهض منه جسد ميت ففعل ما فعل ؟ .

وان قالوا ان اللاهوت مات فقد كفروا من قريب ، ويقال لهم : من أماته ؟ ومن أحياه وهو اله واحد ؟ فان قالوا أحياه غيره قلنا : فذلك الغير الذى تولى موته واحياءه أحى هو أم ميت ؟ فان قالوا : ميت ، كان ذلك محالا اذ الميت لا يحيى ولا يميت ، وان قالوا كان حيا قادرا أمات المسيح ثم أحياه • قلنا : فقد اعترفتم حينئذ أن المسيح عبد من عبيد الله تجرى عليه الأحكـام من الموت والاحياء ، وفى ذلك بطلان شريعة أمانتكم ، اذ تقولون ان المسيح اله حق غير مخلوق ، وأنه أتقن العوالم وخلق كل شىء ، ثم يقال لهم : خبرونا لو لم يتب آدم هل كان قتل المسيح يستقل بخلاصه دونها ؟ فان قالوا نعم فى دم المسيح خلاص وان لم يتب ، فحينئذ خلت التوبة عن الفائدة ، ولزم أن يكـون كل فاجر وكافر قد خلصوا ، فان التزموا ذلك يقال لهم : فاليهود ويهوذا وفرعون ونمرود قد خلصوا أيضـا وأنتم لا تقولون بذلك ، لكنه لازم لكم • فان قالوا بل الخلاص بمجموع الأمرين قلنا : فاذن لا يكـون دما كافيا لآدم عليه السلام ما لم ينضم اليه التوبة ، فهو حينئذ ينقص عن مقابلة آدم • وفيه العجز من خلاصه لولا التوبة ، ومن عجز عن خلاص عبد واحد ، فانه عن خلاص سائر العباد أعجز •

وقال مرقس فى خاتمة انجيله ان المسـيح حين ودع تلاميـذه صاعدا الى السماء قال لهم : « اكرزوا الانجيل فى الخليقة ، فمن آمن خلص ومن لم يؤمن فانه يدان ويجازى » فالايمان هو المخلص بشهادة المسيح لا قتل المسيح ولا صلبه •

ويقال لهم : هل كان خلاص آدم من غير أن ينال المسيح عليـه السلام سوء ممكنا فى قدرة الله تعالى أم كان سبحانه عاجزا عن سلامة عباده ؟ فان قالوا لا يمكن ، جعلوا الله تعالى عاجزا مضطرا وسـائر كتب الله تعالى تكذبهم ، اذ هى شاهدة له بالقدرة الكاملة على كل مؤمن • وان قالوا : كان قادرا فانهم يكونون قد نسـبوه اذ ذاك الى الجـور والظلم ، سبحانه وتعالى ، اذ عذب آدم أو قتل المسيح وهو قادر على سلامته ، وذلك مشوش على أصولهم بالتحسين والتقبيح •

وخلاصة الكلام أن مسألة التخليص كيفما قلبوها فهى باطلة وخيوط أدلتها عاطلة لا يوافقها عقل ولا يطابقها نقل •

فأجل فى ميدان ما أتينا به خيول الأفكار ، وتأمل ما حررناه من الأدلة على بطلانه ، تأمل منصف يميز الزيف من النضار • والعجب من النصارى الخفش أنهم قد تعاموا عن الشمس فى رابعة النهار :

تبا لقوم حيث خصوا ربهم ... فى زعمهم بقبائح الأقوال
جعلوه مقهورا لأدنى خلقه ... واخسهم فى سائر الاحوال
قرنوه باللصين ساعة صلبه ... ظلموه بالأقوال والافعال
عجبا • وهل يبقى الوجود وربه ... فى لحده متقطع الأوصال ؟
هذا لعمركم الصغار بعينه ... لا يرتضيه سوى عديم البال
قوم تسربل بالخبال عقولهم ... هذا لعمرى غاية الاضلال
عبدوا الصليب لأجل ان الهم ... صلبت عليه يداه فى اغلال
اهو العدو ، ام الاله ؟ فبينوا ... فتراهم فى حيرة وعقال
قد زين الشيطان فى افكارهم ... معنى يبدل هديهم بضلال
ان الاله أتى يخلص آدما ... وكذا ذراريه من الأهوال
لولا الاله فداهم فى زعمهم ... دآموا على حر الجحيم الصالى
قولوا لهم قد تاب آدم فاعتنى ... بالعفو والغفران والافضال
لم يدر ما مس الجحيم وحرها ... وماله الفردوس خير مآل
واعجز رب لم ينج عبيده ... فى زعمهم ويخصهم بنوال ,
الا بانهاب الحياة وروحه ... ويبينها بالقتل والاذلال
ويصير ميتا لا حراك لجسمه ... فيبوء عند نجاتهم بوبال
ان امانوا ميتا تحقق ظنهم ... بنجاتهم ، يا خيبة الامال
حاشا وكلا ، فالاله منزه ... سبحانه وهو العزيز العالى
تعسا لقوم حيث صاروا ضحكة ... فى كذب اقوال وسوء فعال

ولقد أحسن القائل :

هذا لعمركم الهوات فبئسما ... نقل العداة بزعمهم فى ربها
جعلوه يفدى عبده بمماته ... يا عجز ذات نفعها فى ضرها
لعن الاله الزاعمين بانهم ... قتلوه من فئة اليهود وهزئها
وكذاك من فئة الضلال وكلهم ... سفها تساووا فى المقالة كلها
سحقا لهم ضلوا السبيل وزينت ... آراؤهم ما زينت • تعسا لها

قال النصرانى : « فهذه — أصلحك الله — شروط النبوة ودلائلها وعلاماتها فعرفنا هذا الذى اقررت له بماذا تنبأ ؟ وما نبوته التى

ظهرت ؟ وبماذا استحق عندك أو عند غيرك اسم النبوة ؟ وما الدليل على دعواه ؟ فان قلت : انه أخبرنا بأقاصيص الأنبياء الذين كانوا قبله فى الزمان السالف كنوح وابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وسائر الأولين الذين ذكرهم فى كتابه فجوابنا : أكرمك الله الذى لا تقدر أنت ولا غيرك أن ينكره أو يدفعه : هو أنه انما أخبرنا بما سبقت معرفتنا به ، ودرسته صبياننا وأطفالنا فى المكاتب ، فان ذكرت قصة عاد وثمود والناقة وأصحاب الفيل ونظائر هذه القصص ، قلنا لك : هذه أخبار باردة وخرافات عجائز الحى اللواتى كن يلهين بها ليلهن ونهارهن ، وليس ذكرها دليلا على نبوته . فقد سقطت عنه شريطة من الشريطتين اللتين توجبان النبوة . فان قلت : انه أخبر بما يكون قبل كونه ، ألزمناك توضيح ذلك لأن هذه نيف ومائتا سنة قد مضت من ذلك الوقت ، وكان يجب أن يصح ويتحقق عندك شىء مما أخبرك أنه سيكون . وأنت تعلم ونعلم بالحقيقة انه لم يات فى هذا الباب بشىء ولا نطق فيه بكلمة ولا تفوه بحرف واحد ، فسقطت عنه الشريطة الثانية من شريطتى النبوة . واذ قد خلا من الشريطتين اللتين توجبان اسم النبوة ، وأصفر منهما . وهما متضمنتان للآيات والعجائب الممتنعة ، فلننظر فى الآيات : هل أتى من ذلك بشىء ؟ فنقول : انه زعم فى كتابه أنه قيل له : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » (الاسراء الآية الحادية والستون) أى لولا أن يكذبوا بآياتك كما كذبوا بالآيات التى جاءهم بها الأولون من قبلك لأعطيناك الآيات . فلعمرى ان هذا من الأشياء المتناقضة التى تتعدى كلام الناظرين فى قوانين حدود المنطق . وأنت عالم — أعزك الله — وكل من يسمع هذا الجواب أن صاحبك أبرأ نفسه به من اسم النبوة لأنه لم يقدر عليها . وليس من مثلك فى الانصاف أن يميل عن الحق » انتهى .

فأقول : انا بعد أن أثبتنا لك معجزات النبى عليه الصلاة والسلام وسردنا لك الكثير منها ، يتبين لك أن ما أطال به هذا النصرانى هنا لا طائل تحته ، اذ قد استبان لك مرارا رد أمثاله من كلامه المشتمل

على قعقعة خالية عن سلاح ، وشبه لا ينادى عليها بالفلاح ، وذكر أشياء يكذبها الظاهر والحال المتواتر ، ويظهر زيفها بلا محك عند كل صيرفى ماهر ، وكذبها لا يحتاج الى تنبيه ، لأن شقشقتها لا يخفى بطلانها على كل نبيه ، فلذا نعرض عن رد ما لا طائل تحته من الألفاظ لعدم ما يتعلق غرض معتد به من الأغراض ، ونتكلم على ما يلزم عليه الكلام خشية ملل من اراد بلوغ المرام • فنقول :

من كان فى المعجزات الغر فى ظما ففى كتاب الشفا رى من الغلل
فالله يجعلنا من خير أمته ومؤمنين بلا روع ولا وجل

لاخفاء أن معجزات سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآياته قد كثرت لا مطمع لأحد فى حصرها واستيفاء جميعها لكن على المكلف أن يحفظ من ذلك ما يرسخ به التصديق فى قلبه ، ويأمن به ان شاء الله تعالى المتزلزل على نفسه • ولا شك أن القاضى عياض رحمه الله تعالى ذكر من ذلك فى كتابه الشفاء ما يحصل هذا المعنى ، ويقتضى بفضل الله تعالى مزيد المحبة التى تحمل على الاقتداء بهذا النبى الشريف ، وتتبع آثاره صلوات الله تعالى وسلامه عليه • وقد أوردنا شيئا من ذلك فيما تقدم •

واعلم : أن المعجزات والآيات وأدلة الصدق ، وان تكاثرت مرجعها الى طريقين : عقلى ونقلى اما العقلى فوجوه ستة :

أحدها : معجزات بلاغة القرآن على ما سبق وسيأتى أيضا ان شاء الله تعالى •

وثانيها : اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات فى الكتاب العزيز وفى الأخبار ، وذلك بحر لا ساحل له •

الثالث : انه عليه الصلاة والسلام قد بلغ فى الحكمة النظرية كمعرفة الله تعالى وصفاته وأسمائه وأحكامه وفى الحكمة العملية وهى علم الأخلاق وسياسة المدن وتدبير أمر الخلق المبلغ العظيم ، الذى

لا يمكن العقلاء الوصول اليه فى مئين من السنين ، ووصل اليه بغتة من غير تعلم ولا مخالطة لأحد معروف بالعلم .

الرابع : انه نقل عنه معجزات خارقة للعادة كانشقاق القمر وتسليم الحجر وانقياد الشجر الى غير ذلك ، مما لا يحصر .

الخامس : الاستدلال بسيرته وأوصافه التى تواترت الينا وهى كثيرة جدا :

احدها : ملازمة الصدق من أول عمره عليه الصلاة والسلام الى آخره ، فان أحدا ما سمع منه كذبة قط ، وقد اعترف له أعداؤه بذلك ، وأيضا لو صدر منه الكذب ولو مرة فى عمره لنبزه أعداؤه بذلك .

وثانيها : ترك الدنيا والأعراض عنها وعن زخارفها على الدوام ، حتى أن قريشا عرضوا عليه المال والزوجة والرئاسة لترك هذه الدعوى ، فلم يلتفت اليها .

وثالثها : كان فى أعظم الدرجات فى السخاء ، حتى أنه سبحانه وتعالى قال له «ولا تبسطها كل البسط» وفى الشجاعة حتى أنه لم يفر قط فى الحروب ولا تزحزح للفرار ولا هم به قط ، ولا تزيده كثرة العدو وقلة من معه الا قوة وزيادة شجاعة واقدام .

ورابعها : أنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى غاية الفصاحة والبلاغة ، حتى أن فصاحته قد أعيت بلغاء الخطباء من العرب العرباء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « أوتيت مجامع الكلم » .

وخامسها : أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تحمل فى أداء الرسالة أنواعا من المشاق والمتاعب لا يثبت معها الا من هو على الحق من الله تعالى وهو عليه الصلاة والسلام مع ذلك مصر على دعوى الرسالة ، ولم يظهر فى عزمه فتور ولا فى اصراره قصور .

وسادسها : انه عليه الصلاة والسلام كان مع أهل الدنيا فى غاية الترفع ومع الفقراء والمساكين فى غاية التواضع •

وسابعها : ما كان عليه عليه الصلاة والسلام من حسن الخلق حتى انه لا يزداد مع الغضب الا حلما •

وثامنها : حسن ذاته الكريمة وما اشتملت عليه من المحاسن التى هى خرق عادته ولم توجد لبشر سواه • وما أحسن قول عبد الله بن رواحة الأنصارى رضى الله تعالى عنه فى ذلك يشير الى محاسنه ﷺ خلقا وخلقا ، وأنها وحدها كافية فى الدلالة على صدقه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة   لكان منظره ينبيك بالخبر

ولهذا أسلم أبو ذر رضى الله تعالى عنه بمجرد رؤية ذاته عليه الصلاة والسلام وقال : لما رأيت وجهه عرفت أنه ليس وجه كذاب ولا يخفى أن مجموع هذه الأوصاف بل بعضها لا يكون لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام •

وتاسعها : أنه عليه الصلاة والسلام انتصب مع ضعفه وقلة ذات يده وعدم الملك فى آبائه عليه الصلاة والسلام وقلة أعوانه وأنصاره حربا لجميع أهل الأرض ذات الطول والعرض آحادهم وأوساطهم وأكاسرتهم وجبابرتهم ، فقلل آراءهم وسفه أعلامهم وأبطل ملكهم وهدم دولهم وظهر دينه عليه الصلاة والسلام كما وعده ربه تعالى على جميع الأديان وزاد على ممر الأعصار والازمان وانتشر فى الآفاق والأقطار وشاع فى المشارق والمغارب ، من غير أن يقدر الأعداء مع كثرة عددهم وقوة عددهم وشدة شوكتهم وحدة شكيمتهم من فرط حميتهم وعصبتهم ، وبذلهم غاية الوسع فى اطفاء نوره وطمس آثاره على اخماد شرارة من ناره • فهل يكون ذلك على القطع الا بعون الهى وتأييد سماوى •

وليس لما تبنى يد الله هادم

السادس : أنه عليه الصلاة والسلام ظهر فى زمان أحوج ما كان الناس فيه الى من يهدى الى الصراط المستقيم ويدعو الى الدين القويم ، وينظم الأمور وضبط حال الجمهور ، لكونه زمان فترة من الرسل وتفرق السبل وانحراف فى الملل واختلاف للدول واشتعال للضلال واشتغال بالمحال • فالعرب على بكرة أبيها عاكفة على عبادة الأوثان ، ووأد البنات • وادعى كثير منهم أن الملائكة هم بنات الله عز وجل والفرس مع كثرتها دائمة على ايقاد النيران واتخاذها آلهة من دون الرحمن ، واباحتها وطء الأمهات وتحليلها نكاح الاخوة للأخوات ، والأتراك جاهدة جهدها فى تخريب البلاد وتعذيب العباد ، والهند جاثمة على عبادة البقر والسجود للشجر والحجر ، واليهود قد أولعت بالجحود واخماد الحق وتمسكت بحب الرئاسة وقول الباطل واعتقاد الجسمية والصورة ونحوهما لمن تنزه عن النقائص وسمات الخلق ، وتدينت بالغش حتى فى تبديل الدين والشرائع ، وصفات الرسل وسيرها ، وما تقرر من عصمتها التى كانت مكتوبة عندهم فى الألواح والورق • والنصارى أصبحت حيارى سكارى فى خبط عظيم وتناقض يلعب فيه بعقولها الشيطان الرجيم ، حتى تجرأت ونسبت الولد للمولى الذى جل أن يكون والدا أو مولودا وثلثت الآلهة ، وفاهت بهذيان لا يرضى به ذو عقل وأمست لغير مولانا جل وعز ركعا وسجدا • وهكذا سائر الفرق • كل يخوض فى أودية الضلال ، وقد غمرته لجج الجهالات وتخطآت الخيال ، وبلغت أنواع الشرور حدها وتناهى فى الأرض الباطل وكمل وعم الأمصار والقرى والسهل والجبل ، ولا شك أنه قد ألف من حال الكريم جل وعز أن عباده اذا بلغوا هذا المبلغ فى الفساد المتناهى المبين ، يبعث اليهم بمحض فضله من يجدد لهم ما عفى عنهم من أمر الدين ، ويرسل حينئذ الرسل رحمة للعالمين • كما قال جل من قائل : «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» •

ومن المعلوم ضرورة : أنه لم يظهر أحد يؤسس الله سبحانه به منهدم هذا البنيان سوى سيدنا ومولانا محمد ﷺ أفيليق أن يختلف بعد فى رسالته اثنان ؟ فهو الذى أصلح الله تعالى به ما فسد من شأن الناس وميز به الحق من الباطل ، وأشاد به الدين الحق على أمتن أساس ، وانجلى به عن القلوب ظلماتها وأنقذت به من لجج الفساد ، وطلعت على آفاقها شموس المعارف ، وانتشرت بركة أنواره فى البلاد والعباد ، وارتجت الأرض بذكر الله تعالى حق ذكره وظهر سفه من أسند على سبيل الحقيقة أثرا من الآثار الى غيره وارتفعت بتحميده جل وعلا وتوحيده وتقديسه عن سمات الحدوث والافتقار ، الأصوات فى المساجد والصوامع والمنابر ، ونبعت ينابيع الحكم الجمة والمعارف النورانية،وفاضت على القلوب والألسنة ، حتى امتلأ ببعضها ما لا يحاط به ولا يحصى من عدد الأوراق والدفاتر فلمولانا جل وعلا — الحمد على نعم عجز عن احصاء القائل منها الأوائل والأواخر ، وعلى نبيه ومصطفاه من خلقه الذى أنعم جل وعلا به علينا بمحض فضله سيدنا ومولانا محمد ﷺ أفضل الصلوات وأكمل التحيات ما امتدت لاشارة محاسنه وافادة معارفه الأقلام من المحابر ، وتزينت بحلى أوصافه طروس الدفاتر •

وأما الدليل النقلى على نبوته عليه الصلاة والسلام فهو نصه تعالى على نبوته فى الكتب الماضية وذكر الأنبياء عليهم السلام له وايصاؤهم على اتباعه وهذا الدليل وحده كاف فى اثبات نبوته ﷺ بدون المعجزة فان شهادة من ثبتت نبوته لمن ادعى النبوة دليل قاطع على ثبوت نبوته وان لم تظهر معجزة على يده • وقد تواتر عن الأخبار الأخبار عن كتبهم وأنبيائهم بنبوته عليه أفضل الصلاة والسلام قبل مبعثه معينين اسمه الشريف وبلده وصفته ، وأيضا فلم تزل نصوص نبوته ﷺ والحمد لله على ذلك من وجوده فى التوراة والانجيل والزبور الى الآن مع مبالغة الكفرة فى تبديلها • وذلك يدل على عظيم اعتناء الله تعالى بأمره عليه الصلاة والسلام فيها ، وكثرة ترديد ذكره

ﷺ فيها على وجه لا يزيل جميعه التبديل ، وقد اطلع علماؤنا رحمهم الله تعالى على كثير من تلك النصوص فيما فى أيدى اليهود والنصارى من الكتب ، فذكروه فى كتبهم ، غير أنهم الآن رفعوا البعض منها لأنهم لازالوا يبدلون ويحرفون ويزيدون وينقصون فيما يكتبون من كتبهم ويطبعون • وشاهد الوجود أعظم شاهد على ما وصفناهم به ، وقد ذكرنا فى كتابنا هذا ما هو مثبت الآن فى عهديهم الموجودين ، ولا حاجة الى الاعادة هنا فراجعه فى محله ، تكن قرير العين • والله سبحانه الموفق •

وأما قوله : انه زعم فى كتابه أنه قيل له « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » الى آخره •

لا يخفى أن معنى الآية ليس كما زعم هذا النصرانى حتى يبتنى عليه ما زخرفه من باطله • فلنذكر سبب نزولها وتفسيرها • ثم نتبع ذلك بعبارة من انجيله تفى بمقصدنا من رده ونردفه بفصل يكمل ذكر أدلتهم وما يرد عليهم أيضا من كتبهم ان شاء الله تعالى : قال كثير من المفسرين ان أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم جبال مكة فيزرعوا ، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال : ان شئت كان ما سأله قومك • ولكنهم ان لم يؤمنوا لم يمهلوا ، وان شئت استأنيت بهم • فأنزل الله جل وعز « **وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها • وما نرسل بالآيات الا تخويفا** » وقال غير واحد من المحدثين قال الناس لرسول الله ﷺ لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح والنبيون ؟ فقال رسول الله ﷺ ان شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم ، فقالوا لا نريدها • والمعنى وما منعنا من ارسال الآيات التى سألوها الا تكذيب الأولين بجنسها • فان أرسلناها وكذب بها هؤلاء ، عوجلوا بالعذاب ولم يمهلوا كما هو سنة الله سبحانه فى عباده فالمنع مستعار للترك والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء أى ما تركنا ارسالها لشىء من الأشياء الا تكذيب الاولين ،

فان كذب بها هؤلاء كما كذب بها أولئك لحل بهم ما حل بهم لاشتراكهم في الكفر والعناد ، وفعل ذلك بهم مخالف لما كتب في لوح القضاء بمداد الحكمة من تأخير عقوبتهم .

والحاصل : أن المانع من ارسال الآيات التي اقترحوها هو أن الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلي ، هو الاستئصال . وقد عزمنا على أن نؤخر أمر من بعث اليهم محمد ﷺ الى يوم القيامة لحكم نعلمها . قيل : منها اظهار مزيد شرف النبي عليه الصلاة والسلام ولأنه بعث رحمة للعالمين . وقيل : العناية بمن سيؤمن من بعضهم من المؤمنين . وغير ذلك وقيل : معنى الآية هو أن هؤلاء الكفار من قريش ونحوهم مقلدون لآبائهم ، فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمن أوائك فيكون ارسال الآيات ضائعا .

قال الشيخ الامام الوالد : « وفسرت الآيات بالمقترحة لأن ما بها اثبات دعوى الرسالة من مقتضيات الارسال ، وما زاد على ذلك ولم يكن من اقتراح هو لطف من الملك المتعال ، ثم انه سبحانه استشهد على ما ذكر بقصة صالح عليه السلام وناقته ، فانهم لما اقترحوا عليه ما اقترحوا من الناقة وصفتها التي قد بينت في محلها وأعطاهم الله تعالى ما اقترحوا فلم يؤمنوا ، استؤصلوا بالعذاب ، وانما خص قوم صالح بالاستشهاد لأن آثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من قريش ، وأمثالهم يبصرها صادرهم وواردهم . فقال تعالى : « **وآتينا ثمود الناقة مبصرة** » أي ذات ابصار يدركها للناس بأبصارهم كقوله تعالى : «وجعلنا آية النهار مبصرة» أو أسند اليها حال من يشاهدها مجازا ، أو أنها جعلتهم ذوى ابصار من أبصره اذا جعله بصيرا « **فظلموا بها** » أي بتكذيبها أو فجحدوا بها وكفروا بها ظالمين ، مع أنهم اقترحوها على نبيهم صالح ، وأخرجناها لهم من الصخرة ، ولم يكتفوا بمجرد الكفر أو الجحد فعقروها فعاجلناهم بالعقوبة « وما نرسل **بالآيات** » المقترحة « **الا تخويفا** » من نزول

العذاب المستأصل ، فان لم يخافوا ، أنزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعـذاب الآخرة • فان أمر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة •

وقد اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآيات على وجوه :

الأول : ان المراد بها العبر والمعجزات التى جعلها الله تعالى على أيدى الرسل من دلائل الانذار تخويفا للمكذبين •

الثانى : انها آيات الانتقام تخويفا من المعاصى •

الثالث : تقلب الأحوال من صغر الى شباب ثم تكمل ثم شـيب ، ليعتبر الانسان بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره •

الرابع : آيات القرآن •

الخامس : الموت الذريع •

قيل : والمناسب للمقام تفسيرها بالآيات المقترحة كما تقدم •

قلت : ولهذه الآية نظير فى الأصحاح الثانى عشر والأصـحاح السادس عشر من انجيل متى ما لفظه : « حينئذ أجابه قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية ؟ فأجابهم وقـال لهم : الجيل الشرير الفاسـق يطلب آية فلا تعطى آية الا آية يونان النبى ، لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كذلك يكون ابن الانسـان فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليـال » انتهى فتلخص من هذا القول الذى يدعون أنه قول المسيح عليه السلام أنهم لـما طلبوا منه آية ومعجزة لتصدق دعواه النبوة أجابهم أنه ليس له آية ولا معجزة فى حياته ، بل معجزاته انما تكون بعد موته بثلاثة أيام ، بزعم النصارى • فهذا هو الآية والدليل على صدقه • وأما حال حياته فليس له معجزة وآية كما أن معجزة يونس عليه السلام لم تظهر الا بعد أن بقى فى بطن الحوت ثلاثة أيام ، ثم لـما رأى قومه وهم أهل

نينوى العذاب الذى وعدهم به آمنوا فكشف الله تعالى عنهم ، فكذلك هو لم تظهر آيته الا بعد رفعه من قبره وعروجه الذى هو بعد ثلاثة أيام من صلبه بزعم النصارى •

فيقول المنكر المجادل لهذا المؤلف : ان عيسى عليه السلام بمقتضى انجيلهم قد اعترف أنه ليس له آية ومعجزة فى حياته ، وأنه انما تظهر آيته بعد موته ، ولو كان له آية من احياء الموتى وابراء الأبرص والأكمة وغير ذلك لقال لهم : انى قد أريتكم آيات عديدة فكيف تطلبون الآن منى آية ؟ فاذا لم تؤمنوا بالسابقات لم تؤمنوا باللاحقات • فان خصصتم الآية المطلوبة فى الانجيل بالآية السماوية كانزال نار ، ونحو ذلك من السماء كما قال مفسركم الخورى يوسف الياس فى تفسيره المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٨ ما لفظه : « كيف يقول ولا تعطى له آية ؟ مع أنه فعل بعد ذلك آيات كثيرة فيجيب فم الذهب واوتيميوس أن تلك الآيات لم تصنع للمصرين بل لمن يستفيدون منها • وأجاب بعضهم : انه صنع بعد ذلك آيات ولكن لا كما طلبوا أى آية من السماء كالنار التى أنزلها ايلياء بل آيات فى الأرض • والأظهر أن المعنى لا تعطى آية لمن يطلبونها بنية ردية ، فهؤلاء وأمثالهم لا يعطون آية » انتهى بحروفه •

فالآيات التى وردت فى قوله تعالى : **« وما منعنا أن نرسل بالآيات »** هى جعل الصفا وهو المحل الذى بمكة ذهبا وتنحية جبال مكة ورفعها منها ليزرعوا كما تقدم فى سبب النزول • فما كان جوابا لكم فهو جواب لنا بل جوابنا أقوى وأوضح كما لا يخفى على من له أدنى المام بالعلوم العربية ، لأن لفظة آية الواردة فى كلام المسيح نكرة فى سياق النفى ، وهى تفيد العموم ، أى ليس تعطى للجيل الفاسق كل آية سواء كانت سماوية أو غيرها • وهذا بمقتضى القواعد أن عيسى عليه السلام لم يعط آية من الآيات مطلقا فى حال حياته • وأما لفظ الآيات الواردة فى القرآن العظيم فهو محلى بالألف واللام العهدية ، أى ما منعنا من ارسال

الآيات المطلوبة المعهودة للمشركين الا تكذيب الأولين ، وأما الآيات الأخرى فلم ينفها • فثبت المطلوب •

ونطلب من هذا المؤلف وشبهه الانصاف ، وأن لا تأخذهم العصبية الجاهلية فيكتموا الحق والاعتراف • ونحن ولله الحمد نؤمن بآيات كلا النبيين ونقبلها واضعين على الرأس والعين ، ولا نرد شيئا من معجزات هذين الرسولين الأكرمين عليهما الصلاة والسلام •



فصـــل

مكمل لايراداتهم وناقل لما يرد عليهم

قال المحقق صاحبنا سلمه الله تعالى فى اظهار الحق ما خلاصته :

ومن طعنهم ان من شروط النبوة ظهور المعجزات على يد من يدعيها • ولم تظهر معجزة على يد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما يدل عليه فى سورة الأنعام من قوله : « ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » وكذا ما وقع فيها من قوله : « واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون » وكذا فى سورة بنى اسرائيل : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » والجواب : ان الأمور الثلاثة التى ذكرها السائل هى تغليطات •

أما الأول : فلأن صدور المعجزة ليس من شروط النبوة على حكم هذا الانجيل المتعارف ، فعدم صدورها لا يدل على عدم النبوة ، ففى الأصحاح العاشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « فأتى اليه كثيرون • وقالوا : ان يوحنا لم يفعل آية واحدة » وفى الأصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « يوحنا عند الجميع نبى » وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٧٥ ما لفظه : « كلهم يحسبون يحيى نبيا » وفى الأصحاح الحادى عشر من انجيل متى قول عيسى عليه السلام فى حقه « انه أفضل من نبى » فهذا الأفضل من الأنبياء لم تصدر عنه معجزة من المعجزات ، على شهادة كثيرين ، مع أن نبوته مسلمة عند المسيحيين •

وأما الأمر الثانى : فغلط بحت كما تقدم لك فى دلائل نبوته وبيان معجزاته عليه الصلاة والسلام وما يتأتى من معجزة الاسراء وانشقاق القمر والاخبار بالمغيبات ، وغير ذلك •

وأما الأمر الثالث : فاما غلط منهم أو تغليط لأن المراد بما فى **قوله عز وجل « ما تستعجلون به » هو العذاب الذى استعجلوه بقولهم « فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ومعنى الآية : « ما عندى ما تستعجلون به » أى العذاب الذى تستعجلون به « ان الحكم الا لله » فى تعجيل العذاب وتأخيره « يقص الحق » أى يقضى الحق من تعجيل وتأخير « وهو خير الفاصلين » أى خير** القاضين • **فحاصل الآية : أن العذاب** ينزل عليكم فى الوقت الذى أراد الله تعالى انزاله ولا قدرة لى على تقديمه أو تأخيره • وقد نزل عليهم يوم بدر وما بعده فلا تدل هذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام لم تصدر عنه معجزة •

وأما الآية الثانية فتفسيرها انهم « لئن جاءتهم آية » من مقترحاتهم « ليؤمنن بها • قل انما الآيات عند الله » هو قادر عليها يظهر منها

ما يشاء متى شاء « وما يشعركم » استفهام انكار « انها اذا جاءت لا يؤمنون » بها . وهذا القول يدل على أنه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بأنها اذا جاءت لا يؤمنون . قلت : وهذا كما تقدم فى تأويلهم لآية الانجيل فلا تغفل .

وأما الآية الثالثة : فمعناها «وقالوا» تعنتا « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض » أى أرض مكة « ينبوعا » أى عينا غزيرة لا ينضب ماؤها « أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا » يعنون قوله تعالى : « ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء » « أو تأتى بالله والملائكة قبيلا » أى شاهدا على صحة ما تدعيه ، ضامنا لدركه « أو يكون لك بيت من زخرف » أى من ذهب « أو ترقى فى السماء » أى فى معارجها « ولن نؤمن لرقيك » وحده « حتى تنزل علينا كتابا » من السماء فيه تصديقك . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال عبد الله بن أبى أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه ، وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول « نقرؤه قل سبحان ربى » تعجبا من اقتراحاتهم « هل كنت الا بشرا رسولا » كسائر الرسل ، ولم يكن مقصودهم بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج . ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال الله عز وجل : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس » « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء » وكذا حال بعض آيات أخرى يفهم منه فى الظاهر نفى اظهار الآية لكن المقصود به نفى المعجزة المقترحة ، ولا يلزم من هذا النفى نفى المعجزات مطلقا . ولا يلزم على الأنبياء عليهم السلام أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون ، بل هم لا يظهرون اذا طلب المنكرون عنادا أو امتحانا أو استهزاء .

ولنورد لهذا الأمر شواهد من العهد الجديد : منها ما فى الأصحاح الثامن من انجيل مرقس ولفظه : « فخرج الفريسيون وابتدءوا

يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه فتنهد بروحه ، وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية » فانظر أنه عليه السلام لما طلبوا منه على سبيل الامتحان معجزة لم يأت بها ولا أحالهم على معجزاته التى صدرت عنه قبل ذلك ولا وعدهم بشىء يظهره لهم فيما بعد ، بل أتى بلفظ يدل على عدم اعطائه ما دام هذا الجيل موجودا • وذلك الجيل بقى الى رفعه عليه السلام بل بعده •

ومنها ما فى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا ولفظه : « وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى آية تصنع منه ، وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد ، فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ورده الى بيلاطس » انتهى فعيسى عليه السلام لم يظهر معجزة فى ذلك الوقت • وقد كان هيرودس يترجى أن يرى منه آية والأغلب أنه لو رأى آية لألزم اليهود على اشتكائهم ، ولما احتقره مع عسكره ولما استهزءوا به •

قلت : فهذا ونحوه مما سيأتى عنه أنه لم يرهم آية بعد طلبهم لا يخلو من أجوبة ثلاثة للنصارى : فأما ان يقولوا انما قال هذا من ألقى عليه الشبه لا عيسى عليه السلام فيكونوا قد وافقوا المسلمين فى وقوع الشبه ، وأما أن يجيبوا بما قدمنا من أجوبة المسلمين عن طلب الآية من نبينا عليه الصلاة والسلام وحينئذ لم يبق لهم معنا كلام فى استدلالهم على انكارهم المعجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام ، واما أن يعترفوا بتحريف أناجيلهم وفساد تأويلهم كما لا يخفى على كل متصف •

ومنها ما فى الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه : « والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزءون به وهم يجلدونه

وغطوه ، وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبــأ من هو الذي ضربك ؟ وأشياء آخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين » ومنها ما في الأصحاح السابع والعشرين من انجيل متى ولفظه : « وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رءوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك ٠ ان كنت ابن الله فانزل الآن عن الصــليب ، وكذلك رؤساء الكهنة أيضا ، وهم يستهزءون مع الكتبة والشــيوخ ، قالوا : خلص آخرين واما نفسه فما يقدر أن يخلصها ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل عن الصليب ، فنؤمن بــه ، قــد اتكل على الله فلينقذه الآن ان أراده ، لأنه قال : انا ابن الله ٠ وبذلك أيضــا كان اللصــان اللذان صلبا معه يعيرانه » ٠

فما خلص نفسه ولا أراهم آية ولا نــزل عن الصــليب ٠ وكان عليه بحسب الظاهر أن ينزل ويصعد ويريهم آية ولو مرة واحــدة ، لكنه لم يفعل ذلك لـــا قدمناه آنفا ٠

ومنها ما في الأصحاح الثاني عشر من انجيل متى ولفظه : « قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية ؟ فأجاب وقال لهم : جيل شرير فاسق يطلب آية ولا تعطى لهم آية الا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الانســان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » انتهى ٠

فانظر كيف لم يرهم عيسى عليه السلام آية بعد طلبهم بل سبهم ووعد بالمعجزة التي لم تصدر عنــه لأن قوله « كما كان يونان » الى آخره غلط بلا شبهة ، لأن عيسى على زعم الاناجيل المختلفة لم يبــق سوى يوم وليلتين أو ليلة واحدة كما فصلناه في محله ، وان قطعنـــا النظر عن غلطه ، فمطلق قيامه لم يره الكتبة والفريسيون بأعينهم ولو قام عليه السلام من الأموات كما ينبغي أن يظهــر نفســه على هؤلاء المنكرين الذين وعدهم بالآية أو على اليهود الآخرين ولو مرة واحدة ، ولذلك فان اليهود الى الآن يعتقدون أن تلاميذه في الليل سرقوا جثته

من القبر والحفظة ارتشوا على ذلك وأشـاعت التلاميـذ ما لم يكن هنالك ، ولذا ترى أناجيلهم فى هذا البحث مضطربة متخالفة كحالهـا فى سائر مطالبها المتناقضة المتعسفة .

ومنها ما فى الأصحاح الرابع من انجيل متى ولفظه : « فتقـدم اليه المجرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصـير هذه الحجارة خبزا ، فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل لأنه مكتوب أن يوصى ملائكتـه بك ، فعلى أيديهم يحملونك ، لكى لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع : مكتوب أيضا : لا تجرب الرب الهك » انتهى .

فطلب ابليس عليه اللعنة على سبيل الامتحان من عيسى عليـه السلام معجزتين ، فما أجاب الى واحدة منهما واعترف أنـه لا يليق بالمربوب أن يجرب ربه ، بل مقتضى العبودية مراعاة الأدب وعـدم تجربـة الرب .

ومنها ما فى الأصـحاح السـادس من انجيـل يوحنا ولفظـه : « أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنـوا بالذى هـو أرسـله ، فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ مـاذا تعمـل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب : أنهم أعطـاهم خبـزا من السماء ليأكلوا فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم » انتهى .

فاليهود طلبوا معجزة فما أظهرها عيسى عليه السلام ولا أحالهم الى معجزة فعلها قبل هذا السؤال بل تكلم بكلام مجمل لم يفهمه أكثر

السامعين ، بل ارتد كثير من تلاميذه بسببه كما صرح بـه فى هـذا الأصحاح بقوله : « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه ، فقال يسوع للاثنى عشر : ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا » ؟ وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٧٥ « ومن ثم ارتد كثيرون من تلاميذه على أعقابهم ولم يماشوه • بعد ذلك أبدا » وفى الأصحاح الأول من الرسالة الى أهل قورنثيوس ما لفظه : « فان اليهود يسألون معجزة واليونانيون يطلبون حكمة ، ونحن نكرز فى المسيح المصلوب وذلك معثرة لليهود وحماقة لليونانيين » انتهى •

فاليهود كما كانوا يطلبونها من المسيح عليه السلام وكانوا يطلبونها من الحواريين أيضا واقر مقدسهم بولس بأنهم يطلبون المعجزة • مع أننا نكرز بالمسيح المصلوب •

فظهر من هذه العبارات المتقدمة : أن عيسى عليه السلام والحواريين لم يظهروا معجزة بين يدى طالبها ولا أحالوهم الى متقدم ، فلو استدل أحد بما نقلناه عن المسيح والحواريين لم تكن للنصارى قدرة على اثبات معجزة والا لصدق عنه وعنهم فى زمن ما طلب المنكرون أو احالتهم على شىء متقدم منها ، لو كان ، فلما لم يظهر أحد الأمرين ثبت مراد المستدل وهو أنه لم تكن له قدرة على اظهار معجزة ويكون ادعاء النصارى أن له معجزة لا أصل له ، لأنه تكون دعواه مناقضة لحال المسيح من عدم اظهار آية بعد الطلب مرات عديدة ، غير أن القسيسين يعدون هذا من المستدل تعسفا لأن مراد عيسى عليه السلام أنه لا يظهر لهم آية طلبوها ونحو ذلك من محالهم المتقدمة ، فيقال لهم : ما كان جوابا لكم فهو جواب لنا ، كما تقدمنا • اذ اعتراضهم علينا بما ذكروه من الآيات القرآنية بعد اطلاعهم على مشابهه فى الأناجيل ركوب على متن عشواء الاعتساف وسلوك فى غير طريق الانصاف ، كيف لا والمعجزات النبوية متواترة والآيات القرآنية

متضافرة على صدور المعجزات المحمدية والخوارق الأحمدية والأحاديث الصحيحة مادحة بثبوتها عنه وصدورها مرات عديدة منه ، واخباراته الغيبية فى كل زمن تصدقها الحوادث الكونية بحيث لا يمترى فيها من له من العلم أو الفهم أدنى رؤية ، أو عاقل مطلع على الكتب الحديثية والتاريخية تارك العصبية الجاهلية .

وقد جاء فى الكتاب المبين ذكرها فى بعض المواضع تفصيلا وفى بعضها اجمالا : فمن ذلك غلبة الروم على الفرس والاسراء الى البيت المقدس ، وانشقاق القمر(١) ، ودخول مكة وغير ذلك مما بينا بعضه

---

(١) معجزة انشقاق القمر فى القرآن الكريم وردت بطريق المحكم والمتشابه . فالمحكم هو « أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » ؟ وقوله « وانشق القمر » نص متشابه يحتمل الانشقاق الحقيقى ويحتمل الانشقاق بمعنى وضوح أمر الاسلام . والمتفق مع المحكم هو المعنى الثانى . وقد رد أحاديث انشقاق القمر علماء الخوارج والمعتزلة لأنهم يردون المعجزات الحسية كلها ولا يأخذون بالأحاديث النبوية فى العقائد . وقد تابعهم فى رد الحديث الشيخ محمد الغزالى فقد قال فى كتابه الطريق من هنا : « ولا يصدنك عن دين الله خبر راو من الرواة حفظ أم نسى . واعلم : ان مفكرى المسلمين ومفسرى دينهم من اعتبر الانشقاق من أشراط الساعة ، وأن من المتكلمين من توقف فى أخبار الاحاد كما قال ابراهيم النظام : ان القمر لا ينشق لابن مسعود وحده هو الذى روى عنه الحديث المذكور » ا . هـ

مســـألة

وههنا مسألة دقيقة يجب التنبيه عليها . وهى أن كثيرين ممن طعنوا فى الأحاديث لروايتها بالمعنى ، ولان توثيق الرجال والنســاء الذين رووها تم بحثه بعد ما تم تدوينها ، ولأن المحدثين قالوا : انه لم تكن الاحاديث مكتوبة قبل مائة وخمسين عاما تقريبا من موت النبى ﷺ كمـا روى ابن حجر فى مقدمة فتح البارى . هؤلاء الذين طعنوا فى ابى هريرة وابن مسعود وكثيرين من الصحابة . وقد تتبعت أقوالهم ، فوجدت أنهم ما طعنوا فى الصــحابة ولا فى التابعين ، بل ولا فى النبى نفسه . وانما طعنوا فى الذين كذبوا على الصحابة والتابعين والنبى نفسه . فاذا قال ابراهيم بن ســيار النظام ــ مثلا ــ ان ابن مسعود كاذب فى روايته حديث انشقاق القمر . فهو يعـلم ان ابن مسعود لم يقل هذا الحديث حتى يصدق او يكذب . ويعلم أيضا كذب بعض الرواة المجروحين على ابن مسعود . فاذا قال ان ابن مسعود كاذب ، فهو لا يعنى ابن مسعود ، بل يعنى الراوى الذى كذب عليه . وهكذا فى سائر الصحابة . واذا قال محمود أبو رية : ان ابا هريرة كان يأكل على مائدة =

سابقا ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الصافات : **« واذا رأوا آيــة يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين » قال المفسرون : كانــوا** اذا رأو آية منه عليه الصلاة والسلام يستهزءون لاعتقادهم أنــه من **السحر وفى سورة القمر « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا : ســحر مســتمر »وفى سورة آل عمران « كيف يهدى الله قوما كفروا بعــد**

= معاوية ، ويصلى خلف على . فهو لا يقصد الاساءة الى أبى هريرة . لأنــه برىء مما ننسب اليه . وانما يقصد بعض الرواة الذين قولوا أبا هريرة ما لم يقله.والمدافعون — فى عصرنا هذا — عن الحديث فى أثناء الأخذ والرد.نسوا هذه الحقيقة المتفق عليها . وقالوا : ان منكرى الأحاديث يطعنون فى الصحابة.

وكيف يطعنون فى الصحابة بكلام بعض رواة يعلمون أنهم كاذبون فيه ؟ اذ انهم يرفضون المرويات كلها ولا يوثقون حملتها . حتى ولو كان فيها مدح أو ذم . فانه لديهم مرفوض . ويقول الرادون للاحاديث : اذا رددنا حديثا لعائشة أم المؤمنين ، فنحن لم نرده لأنها كاذبة فيه ، بل نرده على الراوى الذى قاله ونسبه اليها . وكذلك النبى ﷺ اذا قلنا فى حــديث من احاديثه انه ضعيف . فليس معناه : أننا نكذبه — ﷺ — وانما معناه أننا نكــذب بعض الرواة الذين كذبوا عليه .

وهذا مثال للايضاح :

(أ) قال الراوى : وقف النبى ﷺ على قليب بدر ، ونــادى على الكافرين الذين قتلوا فى غزوة بدر وقال لهم : « هل وجدتم ما وعــد ربكم حقا ؟ » فقال عمر رضى الله عنه : أتنادى قوما قد جيفوا ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع لمــا اقول منهم » قال قتــادة : أحياهم الله حتى أســمعهم قوله ، توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما (البخارى — كتاب الجنائز) .

(ب) وقال الراوى : أن عائشة — رضى الله عنها — لمــا ســمعت الراوى يروى « ما أنتم بأسمع ... » قالت : أخطأ الراوى . فانما قــال النبى ﷺ : « انهم الان ليعلمون : أن الذى كنت أقــول لهم هو الحق » . ثم قرأت : « انك لا تسمع الموتى » .

(ت) وقال الراوى : ذكر عند عائشــة — رضى الله عنها — ان ابن عمر ، رفع الى النبى ﷺ « ان الميت يعذب فى قبره » فقــالت : وهل — أى أخطأ — انما قال رسول الله ﷺ « انه ليعــذب بخطيئتــه وذنوبه ، وان أهله ليبكون عليه الان » .

أيمانهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات » والبينــات هى الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التى تثبت بمثلهــا النبــوة • ومثله قوله تعالى : « وآتينا عيسى بن مريم البينات » ومثل هذا كثير فى القرآن الكريم •

واعلم أن البابا الكرند وكان يعتقد أن نبينا محمدا ﷺ صاحب الالهام وان لم يكن ذلك الالهام عنده واجب التسليم ، فقــد قال فى المجلد الخامس من كتابه المسمى بدســنيد هذه الفقرة « يــا محمد ان الحمامة عند أذنك » وذلك لأن عند المسيحيين ان الالهــام يكــون بواسطة روح القدس وقد نزل على عيسى بعد الفراغ من الاصطباغ على صورة الحمامة كما هو مصرح به فى الأصحاح الثالث من انجيل متى ؛ فظن هذا البابا أن الهام نبينا عليه الصلاة والسلام أيضا يكون بواسطة الحمامة ، فتأمل ما قلناه ، وأنصف تسلم والله تعالى أعلم •

قال النصرانى : « فان ادعيت أن من الدلائل على نبوته : ظفره وظفر أصحابه على ما كانوا عليه من القلة والضعف بملك فارس ، على عظمه وجلالة قدره وجودة تدبير أصحابه وحسن سياسة ملوكه ، مع كثرة العدد والسلاح والرجال •

اجبناك بكلام الله وقوله لبنى اسرائيل « ليس لأن الله أحبكم أكثر من محبته لسائر الشعوب سلطكم على الأموريين والفرزانيين ، تقتلونهم وتخربون ديارهم وترثون بلادهم ، بل لآثام لهؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم ، سلطكم عليهم ، وأظفركم بهم وكفعله ببيت المقدس أيضا • وقد اختاره من بين سائر الأرض كلها وأحل فيه اسمه وأيده بالآيات والعجائب والجرائح المعجزة وأسكنه أنبياءه المصطفى ، وكــان يرتل فيه اسمه بالتهليل والتسبيح ، ليلا ونهارا ، وتستجاب فيــه الدعوات لأنه محل البركات •

فعندما طغى أهله وجعلوا لله أندادا وغمطوا نعمه وجحدوا آياته ،

وظنوا عند نفوسهم أن الذى هم فيه انما نالوه وصاروا اليه بأياديهم وقوتهم ، فذل شكرهم لله جل اسمه ، سلط عليهم شر خلقه ، وأرذلهم بخت نصر عابد الصنم المشرك بالله عز وجل ، فقتل الرجال الذين كانوا أولاده وصفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه ، وسبى ذراريهم ، وأخرب البيت الذى كان معروفا باسمه ، ونقل الآنية التى كانت فيه الى بابل النجسة بعبادة الأصنام • فهل تقول : ان « بخت نصر » انما ظفر ببيت المقدس وبلغ منه ومن أهله ما بلغ لأنه كان نبيا أم للسبب الذى ذكرناه آنفا ؟ فكذلك أيضا كانت قصة صاحبك وأصحابه مع ملك فارس لأن أهل فارس كانوا مجوسا أنجاسا أرجاسا من أسقاط الأمم وجهالهم ، يعبدون الشمس والنار وينكحون البنات والأخوات والأمهات وكانوا قد عتوا وعاندوا الحق وتكبروا فوق القدر ، بجهلهم وقلة معرفتهم بأقدارهم ، وادعوا الربوبية التى لم يجعلها الله لهم ، وابتذلوا نعمه كفرا وعدوا وسعوا فى الأرض فسادا وظلما وارتكبوا العظائم ، وتوهموا أن الذى هم فيه انما هو من صحة تدبيرهم وكثرة قوتهم وشدة نجدتهم وبطشهم ، فسلبهم الله نعمته وسلط عليهم من أخرب بلادهم وقتل رجالهم ، وأخلى مساكنهم منهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم ، فلم يبق لهم امرأة الا نكحت ولا ولدا الا استعبد ، وبادوا بسخط الله ورجزه • كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين » انتهى •

فأقول ومنه سبحانه النصر والعناية والتوفيق والظفر والهداية : أن دلائل نبوته عليه أفضل الصلاة والسلام لم تنحصر فى فتحه لبلاد العرب والأعجام شرقا وغربا ولا بالاستيلاء على الشام وبيت المقدس ، والنصارى واليهود ، عنوة وحربا ، ولا باسلام الروم والترك والهنود ولا باسلام كثير من أولئك ، طائعين ، ودخول كافة الملل أفواجا أفواجا فى دينه ، حتى الآن غير مكرهين ، بل بأمور عديدة وأفعال سديدة واخبارات غيبية ومعجزات مرئية • وقد تقدم لك منها جملة ملجمة للخصوم ، وبقى منها كثير مفرق فى سماء هذا الكتاب ، كالنجوم التى هى للشياطين رجوم ، وأما فتح بلاد فارس واسلام سكانها وتبدد

ملك سلطانها فهو قطرة من دأماء ونجمة فى سماء وهذه الكتب فى البين • وفى الحقيقة لا أثر بعد عين •

فأما ما كان من أمر غزواته عليه الصلاة والسلام ، ونصرته واسلام أكثر العرب بأقصر مدة وفتح خيبر وبعض الحصون والبلاد ، فأمر مشهور ، وفى كتب السير مسطور • وأما ما وقع فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه من الفتوحات وقتل أهل الردة فيطول ذكره ، وربما يفضى الى الملل سيرة كمسير خالد بن الوليد الى العراق وفتحه لكثير من أماكنه وحصونه ووقعاته المشهورة ، كوقعة المثنى ووقعة الولجة ، وما أصاب خالد من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس ، ووقعة اللبس على الفرات ، ووقعة يوم فرات بادقلى وفتح الحيرة وحصونها ، ولما قاتلهم المسلمون وافتتحوا الدور والدير ، أن نادى أهل القصور المسلمين : قد قبلنا واحدة من ثلاث • وهى اما الاسلام أو الجزية أو المحاربة فكفوا عنهم • وكان فيهم عمرو بن عبد المسيح بن قيس فخرج الى خالد بن الوليد ، وكان معه خادم معه كيس فيه سم ، فأخذه خالد منه ونثره فى يده ، وقال : لم تستصحب هذا ؟ قال : خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت فكان الموت أحب الى من مكروه أدخله على قومى • فقال خالد : انه لن تموت نفس حتى تأتى على أجلها • وقال بسم الله خير الأسماء رب الأرض والسماء الذى لا يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم ، وابتلع السم • فقال عمرو بن عبد المسيح لتبلغن ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا • وأبى خالد رضى الله تعالى عنه أن يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح الى شويل رضى الله تعالى عنه ، فسلموها له ، وافتدت نفسها منه بألف درهم • وكان سبب تسليمها اليه : أن النبى ﷺ لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة سأله شويل أن يعطى كرامة ابنة عبد المسيح وكان رآها شابة ، فمال اليها • فوعده النبى ﷺ ذلك ، فلما افتتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبى ﷺ أن يسلمها اليه ، فسلمها اليه خالد •

وهذا أمر محفوظ وخبر مسطور فى سائر كتب السير والتواريخ ، وكتب أهل العلم والحديث ، وهو من جملة معجزات النبى ﷺ واخباراته الغيبية ، وكذا ما فعله خالد رضى الله عنه من أكل السم فلم يضره لأن هذه الكرامة أيضا داخلة فى جملة معجزات النبى المصطفى ﷺ كما لا يخفى .

ومثل ما تقدم فتح الأنبار وفتح عين التمر ، وأمر دومة الجندل ، ووقعة حصيد والخنافس ووقعة مضيح والثنى والزئيل ووقعة الفراض ، وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة ، لما سار اليها خالد أيضا ، وانهزمت الروم ، ومن معهم ، وأمر خالد رضى الله تعالى عنه المسلمين أن لا يرفعوا عنهم ، فقتل فى المعركة وفى الطلب منهم مائة ألف نفس . وما وقع لأبى بكر رضى الله تعالى عنه من فتوح الشام لما وجه اليهم خالد بن الوليد من العراق ، وكان عسكر المسلمين نحوا من أربعين ألفا . وكان الروم فى مائتى ألف وأربعين ألف مقاتل ، فهزم الله تعالى الروم وانتصر المسلمون .

وأما ما وقع فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من الفتوحات ، فأمر يطول الكتاب بذكره ويعجز القلم عن سطره ، فمنه فتح أبى عبيدة وخالد رضى الله تعالى عنهما دمشق وأرسل أبو عبيدة الى عمر رضى الله تعالى عنه بالفتح ، فوصل كتاب عمر الى أبى عبيدة يأمره بارسال جند العراق نحو العراق الى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه ، فأرسلهم وكان من أمر القادسية ما يطول شرحه . ومنه فتح بلاد ساحل دمشق كصيدا ، وعرقة وجبيل وبيروت ومنه فتح بيسان وطبرية وفحل والواقعة بمرج الروم ، وفتح حمص وبعلبك ومعرة النعمان واللاذقية وانطرطوس وقنسرين . وكل ذلك من الروم . وكذا حلب فان أهلها صالحوا وطلبوا الأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم ، فأعطوا ذلك وكذا انطاكية وغيرها من العواصم . وكذا قيسارية وبيسان وبيت المقدس وهو ايلياء وغزة ونابلس والموصل

وتكريت وماسيذان وقرقيسيا ونهاوند والجزيرة وأرمينيـة والأهواز والسوس ، وغير ذلك مما افتتحه المسلمون فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه بأقل أيام من بلاد الفرس والروم وغيرهم • ومن أيـام المسلمين مع الفرس الشهيرة فى التواريخ وكانت الدائرة فيهـا على المشركين يوم عماس ، وليلة الهرير التى قتل فيها رسـتم وغيره من رؤساء الفرس وعسكرهم اثر قتله ، وهزمهم الله تعالى حتى رؤى شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا من أسرى الفرس • وكان الرجل من المسلمين يشير الى الفارسى فيأتيه ، فيقتله لامتناعه عن الاسـلام ، وربما أخذ سلاحه فقتله به ، وربما أمر رجلين فيقتل أحدهما صاحبه ، وهذه الواقعة قبل فتح المدائن الغربية وهى بهرشير ، وقبل فتح المدائن الشرقية التى فيها ايوان كسرى •

ولنذكر مجمل ذلك : وهو أن سنة ست عشرة للهجرة فى شـهر صفر ، دخل المسلمون بهرشير وكان سعد محاصرا لها ، واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شـدة الحصار على أمر عظيم ، فبيناهم يحاصرونهم اذ أشرف عليهم رسـول الملك • فقال الملك : يقول لكم هل لكم الى المصالحة على أن لنـا ما يلينا من دجـلة الى جبلنا ولكم مـا يليكم من دجـلة الى جبلكم ما شبعتم ؟ — لا أشبع الله بطونكم — فقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدرى ما هو ولا من معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المدائن الشرقية التى فيها الايوان • فقال له من معه : يا أبا مقرن ما قلت له ؟ قال : والذى بعث محمدا بالحق ما أدرى وأنا أرجو أن أكون قد نطقت بالذى هو خير ، وسأله سعد والنـاس عما قال فلم يعلم ، فنادى سعد فى الناس ، فنهدوا اليهم ، فما ظهـر على المدينة أحد ولا خرج رجل الا رجل ينادى بالأمان ، فأمنوه فقال لهم ما بقى بالمدينة : من يمنعكم ؟ فدخلوا فما وجدوا فيها شيئا ولا أحدا الا أسارى وذلك الرجل • فسألوه لأى شىء هربوا ؟ فقال : بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه أنه لا يكون بيننا وبينكم صلح

أبدا ، حتى نأكل عسل أفريدون بأترج كوثى فقال الملك : ياوليته ان الملائكة تتكلم على ألسنتهم ، ترد علينا ، فساروا الى المدينة القصوى . فلما دخلها المسلمون وأرادوا العبور الى المدائن ، وجدوا المعابر قد أخذوها ، وأقام سعد رضى الله تعالى ببهرشير أياما من صفر ، فأتاه علج فدله على مخاضة ، فأبى وتردد . وكانت السنة كثيرة المدود فى الماء ، ودجلة تقذف بالزبد ، فرأى سعد رؤيا : أن خيول المسلمين اقتحمت دجلة ، فعبرت . فعزم لتأويل الرؤيا فجمع الناس وحمد الله وأثنى عليه وشوقهم الى العبور ، فركبوا خيولهم وعامت بهم ، وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه ، ان لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الفارسى : لقد ذل لهم البحور كما ذل لهم البر ، أما والذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا أفواجا ، فخرجوا منه كما قال سلمان ، لم يفقدوا شيئا الا قدح ذهبت به جرية الماء ، فلما عبروا ألقته الريح الى الشاطىء فأخذه صاحبه ، ولم يغرق منهم أحد ، فلما رأى الفرس ذلك ، وأتاهم أمر لم يكن فى حسابهم ، خرجوا هاربين نحو حلوان وخرجوا بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه من بيت المال وبالنساء والذرارى ، وتركوا فى الخزائن مالا يدرى قيمته من النقود والثياب والمتاع والآنية والفصوص وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة ، فدخل المسلمون فى سكك المدائن لا يلقون أحدا يخشونه الا من كان فى القصر الأبيض فأحاطوا بهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمة ، فتراجع اليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ، ونزل سعد رضى الله تعالى عنه القصر الأبيض واتخذ ايوان كسرى مصلى ، ولما دخله قرأ قوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين » وصلى فيه صلاة الفتح ثمانى ركعات ، ثم أرسل جماعة من المسلمين وراء الفرس لأنهم لما هربوا من المدائن قصدوا حلوان ، فاحتفروا خندقا وأحاطوه بحسك

الحديد ، فبلغ ذلك سعدا فأرسل الى عمر رضى الله تعالى عنه فكتب اليه أن سرح هاشم بن عتبة الى جلولا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وان هزم الله تعالى الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل ، وليكن الجند اثنى عشر ألفا ، فجاء القعقاع الى جلولا فحاصرهم فى خنادقهم ، ثم انهم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا ، وأرسل الله تعالى عليهم الريح ، حتى أظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم فى الخندق ، وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا • ثم دخل القعقاع الى باب خندقهم فانهزم المشركون عن المجال يمنة ويسرة ، فهلكوا فيما أعدوه من الحسك ، فعقرت دوابهم ، وعادوا رجالة واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا من لا يعد ، وقتل منهم يومئذ مائة ألف فجللت القتلى المجال ، وما بين يديه وما خلفه ، فسار القعقاع فى الطلب حتى بلغ « خانقين » ولما بلغت الهزيمة « يزدجرد » سار من « حلوان » نحو « الرى » وقدم القعقاع حلوان فنزلها وكتبوا الى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه فى اتباعهم ، فأبى فأورث الله تعالى أرض الفرس وديارهم للمسلمين ، كما أخبر النبى ﷺ بذلك فى أحاديث صحيحه كثيرة •

وأما ما تضمنه كلام هذا النصرانى المتقدم من أن الله سبحانه سلط المسلمين على الفرس لآثامهم وكفرهم ، فهذا حق أريد به باطل وهو مأخوذ من كلام المسلمين للفرس عند مجيئهم الى القادسية ومحاربتهم لهم ، فقد نقل المؤرخون ومنهم ابن الأثير فى الكامل : أن رستم لما أرسله « يزدجرد » كسرى فارس الى محاربة سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وكان نازلا فى « القادسية » فوصل « رستم » الى « كوثى » فأتى برجل من العرب فقال له : ما جاء بكم ؟ وماذا تطلبون ؟ فقال : جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم ان أبيتم أن تسلموا • قال رستم : فان قتلتم قبل ذلك ؟ قال : من قتل منا دخل الجنة ، ومن بقى منا أنجزه الله عز وجل ما وعده ، فنحن على يقين ، فقال رستم : قد وضعنا اذن فى أيديكم ، فقال : أعمالكم وضعتكم ،

فأسلمكم الله بها • فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تحاول الانس انما تحاول القدر ، فضرب عنقه ، ثم سار فنزل البرس فغصب أصحابه الناس أبناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور ، فضج أهلها الى « رستم » فقال : يا معشر فارس والله لقد صــدق العربى والله ما أسلمنا الا أعمالنا • والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم فى البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء والاحسان ، فاذا تغيرتم فلا أرى الله الا مغيرا ما بكم ، وما أنا بآمن من أن ينزع الله سلطانه منكم ، وأتى ببعض من يشتكى منه ، فضرب عنقه •

ولمــا نزل رستم بالنجف رأى كأن ملكا من السماء ومعــه النبى ﷺ وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأخذ الملــك ســلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبى ﷺ فدفعه النبى ﷺ الى عمــر ، فأصبح رستم حزينا • ثم أنه بعد أن تقرب الى محل المسلمين أرسل اليهم أن ابعثوا الينا رجلا نكلمه ويكلمنا ، فدعا سعد جماعة ليرسلهم اليهم فقال له ربعى بن عامر : متى نأتيهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم ، فلا تزدهم على رجل ، فأرسله وحده فسار اليهم فحبسوه على القنطرة • وأعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته وجــلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب ، وأقبــل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب وقــد ، فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبل فيهما ، فلم ينهوه وأروه التهاون • وعليــه درع وأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه ، فقالوا : ضع سلاحك • فقال : لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم ، أنتم دعوتمونى •

فأخبروا رستم فقال : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه ، فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا أفسده وهتكه فلما دنى من رستم جلس على الأرض وركز رمحه على البسط ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : انا لا نستحب القعود على زينتكم • فقال له ترجمان

رستم : ما جاء بكم ؟ قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه ، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة ، أو الظفر فقال رستم : قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم وان مما سن لنا رسول الله ﷺ أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر فى أمرك . واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل اما الاسلام وندعك وأرضك ، أو الجزية فنقبل ونكف عنك ، وان احتجت الينا نصرناك ، أو المنابذة فى اليوم الرابع ، الا أن تبادئنا وأنا كفيل بذلك عن أصحابى . قال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم .

فخلا رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم كلاما قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن نميل الى دين هذا الكلب . اما ترى الى ثيابه ؟ فقال : ويحكم لا تنظروا الى الثياب ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة ، ان العرب تستخف باللباس وتصون الأحساب ، ليسوا مثلكم ، فلما كان من الغد أرسل رستم الى سعد أن ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن ، فتكلم معه ورجع فلما كان الغد أرسل أيضا أن ابعثوا الينا رجلا ، فبعث المغيرة ابن شعبة ، فأقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم ، حتى يمشى عليها ، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه ، وقال : قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم ، انا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، فان هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد وانى لم آتكم ولكن دعوتمونى . اليوم علمت أنكم مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه

السيرة ، ولا على هذه العقول • فقالت السفلة : صـــدق والله العربى • وقالت الدهاقين : والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون اليه ، قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة •

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال : لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الأعداء ، أشرافا فى الأمم ، فليس لاحـــد مثل عزنا وســـلطاننا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا الا اليـــوم واليومين والشهر ، للذنوب ، فاذا انتقم الله منا ورضى علينا ، رد لنا الكرة • على عدونا ، ولم يكن فى الأمم أمة أصغر عنـــدنا أمرا منكم • كنتم أهـــل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئا وكنتم تقصدوننا ، اذ قحطت بلادكم ، فنأمر لكم بشىء من التمر والشعير ، ثم نردكم وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم ، الا الجهد فى بلادكم ، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم ، وآمر لكل منكم بوقر تمر ، وتنصرفون عنا • فانى لست أشتهى أن أقتلكم ، فتكلم المغيرة رضى الله تعالى عنه فحمد الله تعالى وأثنى عليه • وقال : ان الله خالق كل شىء ورازقه • فمن صنع شـــيئا فانما هو يصنعه ، وأما الذى ذكرت به نفســـك وأهل بلادك ، فنحن نعرفه • فالله صنعه بكم ووضعه فيكم ، وهو له دونكم • وأما الذى ذكرت فينا من سوء الحال والضيق ، فنحن نعرفه ولسنا ننكره ، والله تعالى ابتلانا به ، والدنيا دول ، ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا اليه ، ولم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ، ولو شكرتم ما أتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتم ، وأسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال • ولو كنا فيما ابتلينا به أهل الكفر لكان عظيم ما ابتليا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ، ان الله تبـــارك وتعالى بعث فينا رسولا •

ثم ذكر ما تقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال ، وقال رستم . انكم ستموتون ولا تنالون منا شيئا • فقال المغيرة يدخل من قتل الجنة ، ومن قتل منكم النار ، ويظفر من بقى منا بمن بقى منكم ، فاستشـــاط

« رستم » غضبا ثم حلف أن لا يرفع الصبح غدا حتى نقتلكم أجمعين •

وانصرف المغيرة رضى الله تعالى عنه • ثم قال رستم : أطيعونى يا أهل فارس انى لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها • ثم أرسل اليه سعد ونصحه بأن يقبلوا دين الاسلام ، ويرجع عنهم • فلم يقبلوا • ثم اقتتلوا فقتل رستم وأكثر عسكره ونصر الله تعالى المسلمين ، وأورثهم أرض الفرس • كما تقدم •

تنبيه : العجب من هذا النصرانى المؤلف ، والموه المزخرف • لأنه اذا علم أن الغلبة كانت للمشركين فى بعض الغزوات كمسألة أحد يجعل ذلك بزعمه دليلا على عدم صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ويقول : أين كانت الملائكة عن معونته ؟ كما تقدم لك ردنا لذلك ، وجوابنا الكافى ولله الحمد • واذا علم أن المسلمين كانوا قد انتصروا على المشركين والكافرين كوقعة بدر والقادسية والمدائن الكسروية وغيرها من البلاد والعباد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، لا يعد ذلك من دلائل نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ولا يراه فتحا ونصرا من العزيز المؤيد به دين الاسلام ، بل يعد ذلك بزعمه أنه من قبيل أن الله سبحانه قد يجعل الانتقام من الكفرة على يد من لم يكن من المؤمنين البررة • واستدل بأدلة لا تفى عند المحك بمراده ، ولا يجعلها العاقل من قوى عماده • لأنا قد بينا وأثبتنا لك سابقا أن عادة الله تعالى جرت مع النبيين أن يغلبوا أحيانا ويغلبوا مرارا ، وتكون عاقبة النصر والغلب للمؤمنين • اذ العاقبة كما قال تعالى للمتقين •

ولنذكر لك تأييدا لما أسلفناه : ما رواه الامام البخارى فى صحيحه بسنده أن أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، قال ان هرقل ملك الروم أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه بإيلياء — أى بيت المقدس — فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه • فقال : أيكم أقرب

نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال أبو سفيان : قلت أنا أقربهم نسبا . قال ادنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم انى سائل عن هذا الرجل فان كذبنى فكذبوه قال فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا على كذبا كذبت عليه ، ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا ذو نسب قال : هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال أبو سفيان : ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم قال فكيف كان قتالكم اياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الايمان حين يخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم فزعمت أنه قد فعل وان

حربكم وحربه يكون دولا ، يدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى ، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لهم العاقبة ، وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف •

فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى اعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه •

ثم دعا كتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم •

سلام على من اتبع الهدى •

أما بعد •

فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الأريسيين • « ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا • فقلت لأصحابى حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن أبى كبشة يعنى محمدا أنه يخافه ملك بنى الأصفر • قال أبو سفيان : مازلت ذليلا مستيقنا بأن أمره سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام وأنا كاره • وكان ابن الناطور صاحب « ايلياء » وهرقل أسقف على نصارى الشام ، يحدث أن « هرقل » حين قدم « ايلياء » أصبح خبيث النفس أى مهموما • فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك • قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء ينظر فى النجوم ، فقال لهم حين سألوه : انى رأيت الليلة حين نظرت

فى النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هـذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن الا اليهود فلا يهمنك شـأنهم ، وكتب الى مدائن مدنك فيقتلوا من فيهم من اليهود .

فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا مختتن هو أم لا ؟ فنظروا اليه ، فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب فقال . هم يختتنون . فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهـر . ثم كتب هرقل الى صاحب له برومية وكان نظيره فى العلم وسـار هرقل الى حمص ، فلم يرم حمص — أى لم يبرح من مكانه — حتى أتـاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبى ﷺ وأنه نبى ، فأذن هرقل لعظمـاء الروم فى دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابهـا فغلقت ثم اطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبى ؟ فحاصوا حيصـة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قـد غلقت . فلمـا رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان ، قال : ردوهم على . وقال : انى قلت مقالتى آنفا اختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شـأن هرقل » انتهى .

وأخرج أبو عبيد فى كتاب الأموال من مرسل عمر بن اسـحاق قال : كتب رسول الله ﷺ الى كسرى وقيصر ، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه ، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ، ثم رفعـه ، فقـال رسول الله ﷺ : « أما هؤلاء فيزقون ، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية » ويؤيده : ما روى أن النبى ﷺ لـما جاءه جواب كسرى قال : « مزق الله ملكه » ولـما جاءه جواب هرقل قال : « ثبت الله ملكه » انتهى .

قال المنصرانى : « فلنرجع الآن الى ذكر الآيات الموجبة لكل من أظهرها صحة ما يدعى من نبوة أو رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر فى ذلك نظرا شـافيا .

فنقول : أما كتاب صاحبك الذى ادعى أنه منزل عليه من عند الله فليس فيه شيء من ذكر الآيات ، بل كما قلنا آنفا : زعم أنه لولا أنهم كذبوا بآيات الأنبياء الأولين لآتاه الله الآيات ، ولكنه كره أن يؤتيه بشيء منها فيكذبون به ولعمرى هذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجوز عند ذوى العقل ويرضى به العلماء والفلاسفة والمنتقدون للكلام ، والباحثون عن الأصول والأخبار • فهذا ما شهد به كتابك • نعم ان الاولين من اليهود كذبوا بايات الأنبياء وردوها • وأما الأعراب فبآيات من كذبوا ؟ ولم يبعث فيهم نبى قط ولا وجه اليهم رســول لا بآية ولا بغير آية • ولعله لو كان جاءهم بشيء من الآيات لكانوا صــدقوه ولم يكذبوه • ألم تر أن كثيرين منهم أجابوا دعوته ولم يروا منه آية ولا ســمعوا عنه أعجوبة ، ولكن أنت تعلم ـــ حفظك الله ـــ أن هذه حجة مبهرجة تتلاشى عند المحك ، فأما غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخبارا وقصصا هى كخرافات العجائز •

منها زعمهم أنه كان من آياته العجيبة أنه وقف بين يديه ذئب فعوى وبكى ، فالتفت الى أصحابه قائلا لهم : هذا وافد السباع ، فان أحببتم أن تفرضوا له شيئا لا يعدوه الى غيره ، وأن أحببتم تركتموه وتحرزتم منه • قالوا : ما نطيب له بشيء • فأوما اليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم ، فولى وهو غائل ، فهذا لعمرى آية عجيبــة لم يســمع السامعون بمثلها قط ، ولم ير الرائون أعجب منها • تضل عندها عقول الفلاسفة والحكماء ، وتتحير منها العلماء وذوو الحيل والفطن الدقيقة أنه عرف عواء الذئب ، وأنه وافد السباع • فليت شعرى لو كان قال لهم : ان هذا الذئب رسول رب العالمين اليه ، من كان يرد عليه قوله ؟ فواضح ان هذا الخبر يا أخى وضعه قوم لا محنــة لهم ولا منتقــد بصائرهم فيهم •

ومنها : زعمهم أيضا أن الذئب كلم أهبــان بن أوس الأسـلمى فأسلم ، ولو ادعى أن أهبان ذكر أن الأســد كلمه لكان عندى أعجب ،

على أنه ساوى بينه وبين نفسه فيهما ، بل فضله على نفسه ، اذ الذئب معه عوى ، فادعى هو معرفة ما قال فى عوائه أنه وافد السباع ، فأما أهبان فانه زعم أن الذئب ناطقه بلسان عربى بين •

والأعجب فى ذلك : أن هاتين لم تجريا الا بواسطة الذئب الذى يعرف بالخاطف من السباع ، وهذا لقبه فى كتب الله المنزلة ، فمثلك أيدك الله لا يحيل عليه مثل هذا الكلام ، وليست لنا حاجة الى الاطالة فيه •

وكذلك قصة ثور ذريح وادعاؤهم مخاطبته ذريحاً عند ضربه اياه وكتابه يشهد أن الأعراب أشد كفرا ونفاقا •

أما شاة أم معبد ومسحه يده على ضرعها وما يلى ذلك من الخرافات الأخرى كدعائه الشجرة فأسرعت اليه مقبلة مجيبة تجهد ، فهذا أمر نؤخره اذ فيه نظر •

مع أن أكثر المسلمين الراسخين فى العلم لا يقبلونه بل يردونه ولا يصححونه ، وكذلك السم الذى سمت به زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلام بن مشكم اليهودى فى شاة مصلية أى مشوية فكلمته الذراع وأكل معه بشر بن البراء بن معرور فمات ، وأن السم الذى لم يزل يدب فى بدنه كان سبب موته ، فليت شعرى هل هو سمع الكلام من الذراع وحده أم سمعته الجماعة الذين كانوا بحضرته ؟ فان كان سمعه هو وحده فلم لم يمنع ابن البراء من أكل طعام مسموم حتى لا يموت ، وابن البراء رجل من أصحابه قد اختصه بالأكل معه ، وكيف استحل ذلك واستجاز كتمان قول الذراع له أنها مسمومة ؟ وان كان سمع ذلك من الذراع جميع من حضر ، فكيف لم يمتنع ابن البراء من الأكل وهو يسمع الذراع تقول : لا تأكل منى ، فانى مسمومة ؟ وكيف امتنع هو من الأكل وترك ذلك الشقى يأكل من طعام مسموم فقتله ؟ وليس يخلو من أحد وجهين : اما أن يكون سمعه هو وحده وكتم ذلك عذرا ،

واما أن تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع البراء من ذلك الأكل حيث سمع ولا يموت • وحيث مات ابن البراء من أكله السم • ولعله انما أكل ثقة منه بأنه يأكل مع نبى مستجاب الدعوة ورسول رب العالمين مشفع عند ربه فى جميع ما سأله لم لم يدع ربه فيجيب ؟ كعهدنا بالأنبياء المشفعين فى احياء الموتى • فان ايلياء النبى قد أحيا ابن الأرملة بصرفة (ملوك أول ١٧) وهكذا أليشع تلميذ ايلياء قد أقام ابن الشوغية من الموت حيا (ملوك ثان ٣) وقد فعلت الأنبياء مثل هذا مرارا كثيرة وهم أحياء ، وفعلت أيضا القوة الحالة فى عظامهم ، كفعل عظام أليشع النبى حيث وضع الميت عليها فعاش (ملوك ثان) •

وأنت تعلم أن هذا خبر صحيح فى كتب الله المنزلة قرأته فى سفر كتب الملوك مفسرا ، ليس فيه اختلاف بين النصارى أصلا ولا بين اليهود • وهما ملتان مختلفتان اجتمعنا نحن وهم على صحة ذلك • وكيف لم يأكل هو منها أيضا ولم يصبه شىء ؟ فيكون ذلك آية له وشاهدا على صحة ما يدعى من النبوة ان كان نبيا كما تقول • لأن الأنبياء بأسرهم موفون معصومون بالوقاية الحالة عليهم من الله جل ثناؤه من الآفات التى تحتال الكفرة بها عليهم ، وعلى أولياء الله • كقول الرب المسيح لتلاميذه فى انجيله المقدس ووعده لهم بما وفى لهم به اذ يقول : « ان أنتم شربتم السم القاتل لم يضركم » يعنى اذا أردتم اظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتى كان ذلك جائزا مطلقا ، فقد كانوا يمتحنون بمثل هذا وشبهه • فتظهر صحة دعواهم على ا[illegible]ة والتجربة ، فانقادت لهم الملوك الجبابرة والعلماء الفلاسفة والحكماء أصحاب الحيل والقضاة بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا رمح ولا عشيرة ولا ناصرة ولا حكمة دنيوية ، ولا فصاحة بديعة الألفاظ ولا حذق بحجة ولا ترغيب فى شىء ولا تسهيل فى شريعة ، بل لما كانوا يرون من اظارهم الأفعال المعجبة التى يمتنع امكانها فى عقول الآدميين •

فكانوا يرفضون ملكهم وعتوهم ويدعون فلسفتهم ويزهدون فى

علمهم وحكمتهم ويخرجون عن نعمهم وايثارهم ويتبعون اناسا فقراء الظاهر صيادى سمك وعشارين لا حسب لهم ولا نسب ، غير انتمائهم الى طاعة المسيح الذى أعطاهم السلطان والقدرة على أفعال تلك العجائب . فهذه — أصلحك الله — دلائل النبوة وعلامات الرسالة وصحة الدعوة الى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لا حقيقة له » انتهى .

فاقول : قد بينا زيف كلامه هذا آنفا وتفسير الآية القرآنية أى تأولها حسب هواه ونبهنا على أن المراد بالآيات الآيات المقترحة ، وأتينا بعبارة من انجيلهم مطابقة للآية التى أوردها المؤلف المشعرة بمراده على زعمه ، فلا حاجة الى التكرار ، وقد انسلخ الليل من النهار ، وقدمنا لك أيضا من معجزات النبى المصطفى ﷺ ما فيه كفاية لطالب الحق ، ولا حاجة الى اعادة تفصيلها . غير أنا نذكر بعضا مما ورد فى القرآن الكريم من الاخبار فى المغيبات ، وشيئا نزرا من المعجزات والكرامات .

فمن ذلك : قوله جل وعز فى سورة الروم « غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء . وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . وهم عن الآخرة هم غافلون ».

قال المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات : : ان الفرس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى فغلبوا عليهم ، فبلغ ذلك النبى ﷺ وأصحابه ، وهم اذ ذاك بمكة فشق ذلك عليهم ، وكان ﷺ يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح الكفار بمكة وشمتوا ، فلقوا أصحاب النبى ﷺ فقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب ، وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله تعالى

هذه الآيات التى فيها أن الروم ستغلب الفرس بعد بضع سنين ، فخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى الكفار ، فقال أفرحتم بظهور الفرس ، فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ .

فقام اليه أبى بن خلف فقال : كذبت . فقال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أنت أكذب يا عدو الله أنا أراهنك على عشر قلائص منى وعشر قلائص منك ، فان ظهرت الروم على فارس غرمت ، وان ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين . فراهنه . ثم جاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى النبى ﷺ فأخبره فقال عليه الصلاة والسلام : ما هكذا ذكرت ؟ انما البضع ما بين الثلاث الى التسع ، فزايده فى الخطر وماده فى الأجل ، فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال : لعلك ندمت قال لا فقال أزايدك فى الخطر وأمادك فى الأجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين . قال : قد فعلت ، فلما علم أبى أن أبا بكر يريد الهجرة طلب منه كفيلا بالخطر ان غلب ، فكفل به ابنه عبد الرحمن ، ولما كانت وقعة أحد ، وأراد أبى الخروج من مكة طالبه عبد الرحمن بالكفيل فأعطاه كفيلا ثم لما طعنه رسول الله ﷺ فى أحد ومات فى طريقه كما قدمناه فى غزوة أحد ، وظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة كما أخبر القرآن بذلك ، طلب أبو بكر رضى الله تعالى عنه الخطر من ورثة أبى فأعطوه ذلك . وجاء به الى النبى عليه الصلاة والسلام وأخبره . فقال النبى ﷺ له « هذا السحت تصدق به » .

وقال ثقاة المؤرخين : انه لما مضى من سلطنة « خسرو » أربعة عشر سنة غدر الروميون بملكهم وقتلوه مع ابنه بناطوس وهرب ابنه الآخر الى خسرو ، فجهز معه ثلاثة رؤساء أولى قدر رفيع مع عسكر عظيم ، فدخلوا بلاد الشام وفلسطين والبيت المقدس وأسروا من فيها من الأساقفة وغيرهم ، وأرسلوا الى « خسرو » والصليب الذى كان مدفونا عندهم فى تابوت من ذهب . ولذلك استولوا على الاسكندرية

وبلاد النوبة الى أن وصـلوا الى نواحى « القسطنطينية » وأكثروا الخراب وجهدوا على طاعة الروميين لابن قيصر ، فلم تحصل •

قيل : ان الروميين جعلوا عليهم حاكما شخصا اسمه « هرقل » وكان سلطانا عادلا يخاف الله تعالى ، فلما رأى تخريب فارس قد شاع فى بلاد الروم من النهب والقتل ، تضرع وبكى وسأل الله تعالى تخليص الروميين ، فصادف دعاءه هدف الاجابة ، فرأى فى ليال متعـددة فى منامه : أنه قد جىء اليه بخسرو ، وفى عنقه سلسلة • وقيل له : عجل بمحاربة بترويز ، لأنه يكون لك الظفر والنصرة ، فجمع هرقل عسكره بسبب تلك الرؤيا وتوجه من « قسطنطينية » الى « نصيبين » فسمع « خسرو » فجهز اثنى عشر ألفا مع أمير من أمرائه ، فقاتلهم هرقل ، فكسرهم وقتل منهم تسعة آلاف مع رؤسـائهم ، وربطوا خيولهم فى « المدائن » ونصرهم الله تعـالى على فارس • وجـاء الخبـر ففرح المسلمون • وكان ذلك من الآيات البينات الباهرة الشـاهدة بصـحة النبوة ، وكون القرآن من عند الله عز وجل ، لمـا فى ذلك من الاخبار عن الغيب الذى لا يعلمه الا الله العليم الخبير •

وقد صح أنه أسلم عند ذلك ناس كثير •

ونقل العلامة أبو حيان فى البحر عن أبى الحكم بن برجان « أنه استخرج من قوله تعالى « الم غلبت الروم » الى قوله تعالى « سنين » افتتاح المسلمين بيت المقدس ، معينا زمانه ويومه • وكان اذ ذاك بيت المقدس قد غلب عليه النصارى ، وأن « ابن برجان » مات قبل الوقت الذى عينه للفتح ، وأنه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون فى الوقت الذى عينه أبو الحكم من غير تقدم ولا تأخر ، وكان أبو جعفر يعتقد فى أبى الحكم هذا أنه كان يتطلع على أشـياء من المغيبات يستخرجها من كتاب الله تعالى » انتهى نقله الوالد •

ثم قـال : « واستخراج بعض العارفين كمحيى الدين بن عربى

والعراقى وغيرهم المغيبات من القرآن العظيم أمر شهير ، وهو مبنى على قواعد حسابية وأعمال حرفية ، غير أنــه لم يرد شىء منهــا عن سلف الأمة . ولا حجر على فضل الله عز وجل ، وكتاب الله تعالى فوق مــا يخطــر للبشر » .

قلت : ونحو هذا ما كان من فتح مصر القاهرة والاستيلاء عليها زمن السلطان المرحوم سليم خان تاسع ملوك بنى عثمان — أيــد الله تعالى ملكهم الى نهاية الزمان — فقد ذكر الوالد عليه الرحمة فى كتابه شرح البرهان « أن السلطان سليم خان لــا أراد الذهاب الى الحج وزيارة النبى ﷺ وكان سلطان مصر قانصوه الغورى ومنعه من الذهاب على طريق مصر ، وكان « الغورى » أيضا معاضدا للشاه اســماعيل الصفوى ، مع أنه محارب للسلطان سليم ، فاستخرج العلامة بن الكمال من قوله تعالى : « **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** » أن السلطان ســليم يســتولى على مصر ســنة تسعمائة وعشرين . فقال السلطان : « ولقــد » بالجمل الكبير مائــة وأربعون . ولفظ « ســليم » كذلك مائة وأربعون . ولفظ « ذكــر » تسعمائة وعشرون . وهذه الســنة كذلك ، وتطــلق الأرض على مصر والعباد الصالحون سلطاننا وعساكره ، فكأنه تعــالى قال : ســليم « **كتبنا فى الزبور من بعد** » سنة تسعمائة وعشرين أن مصرا يملكها هو وجنوده . فسر السلطان بذلك ، وتحارب مع « الغورى » فهلك الغورى فى المحــاربة . واستولى الســلطان على مصر ونواحيها . وأكرم ابن الكمال على ما أبدى من الكمال .

ومن المعجزات النبوية : معجزة الاسراء الى ايلياء التى حكاهــا الله سبحانه فى كتابه الكريم بقوله « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المســجد الأقصى الذى باركنا حــوله لنريــه من آيتنــا** » فقد أسرى به عليه الصلاة والسلام يقظة ليلا من مكــة الى بيت المقدس ببدنه الشريف ، وعاد فى تلك الليــلة ، وأخبر أصحابه

بذلك صبيحتها وبصفة البيت المقدس ، وأنكر ذلك المشركون وأثبته لهم بحيث لم يبق للجاحد منهم مجال — كما تقدم بيان ذلك مفصلا — ثم عرج به الى السماء كما عرج بيعسى بن مريم العذراء وكيفية العروج مفصلة فى سورة النجم من كتب التفسير وأمرها شهير ، فلذلك نقتصر فيها على هذا التحرير اليسير •

ومنها : أيضا انشقاق القمر قال الله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر ، » أى انفصل بعضه عن بعض ، وصار فرقتين • فقد ورد فى الروايات الصحيحة بل المتواترة أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آية • وقالوا : ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفا على قينقاع • فقال لهم النبى ﷺ « ان فعلت تؤمنوا » ؟ قالوا نعم • وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر كما طلبوا ليلة أربع عشرة ، فنزلت هذه الآيات وهذا أمر متواتر مجمع عليه • وقال كثير من العلماء : ان الانشقاق وقع مرتين • ثم انهم قالوا ما هذا الا سحر • ولله در « البوصيرى » حيث يقول :

شق عن صدره ، وشق له البدر ... ومن شرط كل شرط جزاء

قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره : « أنكر الفلاسفة أصل الانشقاق بناء على زعمهم استحالة الخرق والالتئام على الأجرام العلوية • ودليلهم على ذلك أوهن من بيت العنكبوت • وقد خرق بأدنى نسمة من نسمات أفكار أهل الحق العلويين • خرقا لا يقبل الالتئام ، كما بين فى موضعه • وقال بعض الملاحدة : لو وقع لنقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم فى معرفته ولم يختص بها أهل مكة لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء ، والطباع حريصة على رواية الغريب ونقل ما لم يعهد • ولا أغرب من انشقاق هذا الجرم العظيم ، ولم يعهد أصلا فى الزمن القدم • ولو كان له أصل لخلد فى كتب التنجيم ، ولذكره أهل الأرصاد ، فقد كانت موجودة قبل البعثة بكثير ،

واطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره مما لا تجوزه العادة • وأيضا : لا يعقل سبب لخرق هذا الجرم العظيم • وأيضا : خرقه يوجب صوتا هائلا أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضعاف مضاعفة لا يبعد هلاك أكثر أهل الأرض منه • وأيضا : متى خرق وصار قطعتين ذهبت منه قوة التجاذب ، كالجبل اذا انشق فيلزم بقاؤه منشقا ولا أقل أن يبقى كذلك سنين كثيرة •

والجواب عن ذلك : أنه وقع فى الليل وزمان الغفلة وكان فى زمان قليل ، ورؤية القمر فى بلد لا تستلزم رؤيته فى جميع البلاد ، ضرورة اختلاف المطالع ، فقد يكون القمر طالعا على قوم غائبا عن آخرين ومكسوفا عند آخرين • والاعتناء بأمر الأرصاد لم يكن بمثابة اليوم ، وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد • والانشقاق لا تختلف به منازله ولا يتغير به مسيره • غاية ما فى الباب : أن يحدث فى القطعة الشرقية قوة سير لتلحق أختها الغربية ، وأى مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق سبحانه فى ضوء الشمس ؟ فقد قال أهل الحكمة الجديدة : ان بين الأرض والشمس ثلثمائة ألف فرسخ وأربعون ألف فرسخ ، وأن ضوءها ليصل الى الأرض فى مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية ، فيقطع الضوء فى كل ثانية سبعين ألف فرسخ ، ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث ، بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها • كرؤية الكواكب قريبة مع بعدها المفرط • فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه ويكفى فى ذلك : عدم وقوفهم على سبب الابصار بالعين على الحقيقة • ولو أخبرهم مخبر بفرض أن لم يكن لهم أبصار بخواص البصر مع كونه قطعة شحم صغيرة ، معروفة أحوالها عند أهل التشريح لأنكروا عليه غاية الانكار وكذبوه غاية التكذيب ، ونسبوه الى الجنون •

ومن سلم تأثير النفوس الى حد أن يصرع الشخص بمجرد النظر اليه وتوجيه نفسه نحوه ، لم يستبعد أن يكون هناك سبب نحو ذلك •

وقد صح فى اصابة العين : أن بعض الأعراب ممن له عين صائبة يفلق سنام الناقة فلقتين • وربما تصور له من رمل فينظر اليه ويفلقه فينفلق سنامها مع عدم رؤيته لها نفسها • وهذا كله من باب المماشاة ، والا فارادة الله تعالى كافية فى الانشقاق • وكذا فى كل المعجزات وخوارق العادات • ولو كان لكل حادث سبب ، لزم التسلسل • وقد قامت الأدلة على بطلانه • وكون الخرق يوجب صوتا هائلا ممنوع فيما نحن فيه • ومثله ذهاب التجاذب • والأجسام مختلفة من حيث الخــواص • فلا يلزم اتحاد جرم القمر والأرض فيها • ويمكن أن يكون احدى القطعتين كالجبل العظيم بالنسبة الى الأرض اذا ارتفع عنها بقاسر ، مثلا جذبته اليه اذا لم يخرج عن حد جذبها — على ما زعموه — ويلتزم فى تلــك القطعة عدم الخروج عن الجذب • على أنا فى غنى عن كل ذلك أيضا بعد اثبات الامكان وشمول قدرته عز وجل ، وأنه سبحانه فعــال لمــا يريد • والحاصل : أنه ليس عند المنكر سوى الاستبعاد ولا يستطيع أن يأتى بدليل على الاستحالة الذاتية ولو انشق • والاستبعاد فى مثل هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل سليم » انتهى •

أقول : والعجب من استبعاد النصارى ذلك ، وانكارهم أيضــا مسألة عروجه عليه السلام بعــد ادعائهم واقرارهم أن عيسى عليــه السلام صعد بناسوته ولاهوته الى السماء ، وجلس عن يمين أبيــه ، وأنه نزل على الحواريين بعد رفعه بناسوته وأراهم تأثير المسامير فى يديه ، ثم عرج أيضا • ودعوى بولس عروجه الى السماء الثالثة كما فى رسالته ، ويعترفون أن الشمس ردت ليوشع عليه الســلام فكيف يعدون عروج المصطفى ﷺ وانشقاق القمر محالا ولا يعدون ما ادعوه من المحالات ؟ ولا قولهم : ان الله سبحانه هو عيسى ، وعيسى هو الله • فهما شىء واحد ولا اثنينية فى البين • ثم يزعمون أنهم فى كل يــوم يأكلون فى العشاء الربانى حقيقة الالهين • وأين هذا عن مسألة انشقاق القمر وصيرورته قطعتين ؟ فالبعد بينهما كما بين المشرقين والمغربين • والله سبحانه ولى التــوفيق •

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام التى قدمنا تفصيل بعضها وأثبتناه بمثل ما ثبت به معجزات أخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام: تسبيح الحصا فى كفه الشريفه ، واتيان الشجر اليه ، وحنين الجذع عليه . ومثل تكثير الشراب والطعام مرات كثيرة كما أشبع فى الخندق العسكر من قدر طعام ، وهو لم ينقص . وروى العسكر فى غزوة خيبر من مزادة ماء ، ولم ينقص ، ولما هموا بنحر الظهور جمع الأزواد ، ودعا الله تعالى فما بقى فى القوم الا من ملأ وعاءه وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ، ولم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفا . ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى تكفى الناس الذين كانوا معه كما كان فى غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة . ورده لعين قتادة لما سالت على خده فرجعت أحسن عينيه ، ولما انكسرت رجل محمد بن مسلمة مسحها بيده الكريمة ، فبرأت . وأطعم من سواد بطن شاة مائة وثلاثين رجلا كل منهم حز له قطعة فأكلوا جميعهم ، ثم فضل فضلة . ودين عبد الله الذى لليهودى وهو ثلاثون وسقا فسأل ابنه جابر صاحب الدين أن يأخذ التمر جميعه بالذى له ، فأبى فأمره النبى ﷺ بجذه فجذه وجعله بيادر فجاءه النبى ﷺ ومشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجذون كل سنة ، وكان الغرماء يهودا فتعجبوا من ذلك غاية العجب . ومثل هذه المعجزات شىء كثير قد جمعت ألف معجزة بصحيح النقول المعتبرة التى لا مرية فيها ولا اشتباه ولا تحريف ولا تبديل .

ومن جملة معجزاته : ما وقع لصلحاء أمته من الكرامات الخارقة للعادة ، وذلك شىء كثير لا يمكن حصره ولا انكاره ولا سيما فهى واقعة فى كل عصر من الأعصار فى زمن حياته عليه الصلاة والسلام الى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم وتابعى تابعيهم طبقة بعد طبقة وعصرا بعد عصر ، وقلما خلت بلد من بلاد المسلمين من صالح يكرمه الله تعالى بأن يجرى على يده خارق العادة فيكون عند الحقيقة هذا الخارق أيضا معجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام لأنه صدر من أحد صلحاء أمته :

مثلما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة ، فيها أمثال السرج ، وهي الملائكة تنزل تسمع لقراءته ، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن الحصين • وكان سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضى الله تعالى عنهما يأكلان فى صحفة ، فسبحت الصحفة وسبح ما فيها • وعباد بن بشير وأسيد بن حضير رضى الله تعالى عنهما خرجا من عند رسول الله ﷺ فى ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف السوط ، فلما افترقا افترق الضوء معهما •رواه الامام البخارى وغيره • وقصة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى الصحيحين لما ذهب معه ثلاثة أضياف الى بيته وجعل لا يأكل لقمة الا ربى من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا وصارت أكثر مما هى قبل ذلك ، فنظر اليها أبو بكر وامرأته فاذا أهى أكثر مما كانت فرفعها الى رسول الله ﷺ فجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها • وخبيب بن عدى رضى الله تعالى عنه كان أسيرا عند المشركين محبوسا بمكة وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة واحد • وعامر بن فهيرة رضى الله تعالى عنه التمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما استشهد رفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع ، قال عروة رضى الله تعالى عنه : فيرون أن الملائكة دفنته احتراما له • وخرجت أم أيمن رضى الله عنهما مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت عطشا ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسا على رأسها فنظرته فاذا دلو برشا أبيض معلق ، فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها • وهذا أمر مشهور فيما بين أهل عصرنا • وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد لما صادفه فى طريقه أنه مولى رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله الى مقصده والبراء بن مالك كان اذا أقسم على الله أبر قسمه • وكانت الحرب اذا اشتدت على المسلمين فى الجهاد يقولون : يابراء أقسم على ربك • فيقول : يارب أقسمت عليك لما منحتنا اكتافهم ، وجعلتنى أول شهيد • فمنحوا اكتافهم وقتل البراء شهيدا ، ونصروا على الكفار وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما حاصر حصنا للكفار أخذ السم بحضورهم والعسكر ينظره ، فشربه كله فلم يضره ، فسلموا •

وسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه كان مستجاب الدعوة ما دعا قط الا استجيب له ، وهو الذى هزم جنود كسرى وفتح العراق • وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أرسل جيشا الى « نهاوند » وأمر عليه رجلا يدعى سارية ، فبينما عمر رضى الله تعالى عنه يخطب على المنبر فى المدينة والناس يستمعون جعل يصيح : يا سارية الجبل يا سارية الجبل ، فتعجب الحاضرون من ذلك • ثم ان رسول الجيش قدم بعد أيام فسأله عن الجيش وما عمل ، فقال : يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا فاذا بصائح يا سارية الجبل يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله تعالى وانتصرنا عليهم • ولما عذبت الزبيرة فى الله على الاسلام وذهب بصرها • قال المشركون : ما أصاب بصرها الا اللات والعزى • قالت : كلا والله • فرد الله تعالى عليها بصرها • ودعا سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه على أروى لما كذبت عليه ، فقال اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها • فعميت ووقعت فى حفرة من أرضها ، فماتت • والعلاء بن الحضرمى رضى الله تعالى عنه كان عامل النبى ﷺ على البحرين — وكان يقول فى دعائه : يا عليم يا حليم يا على يا عظيم ، فيستجاب له — دعا الله تعالى بأن يسقوا لما عدم الماء ولا يبقى بعدهم فتوضأ ودعا فأجيب ، ودعا الله اتعالى لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور ، فمروا كلهم هو والعسكر بخيولهم على الماء وما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا الله تعالى أن لا يروا جسده اذا مات فلم يجدوه فى اللحد •

وجرى مثل ذلك لأبى مسلم الخولانى الذى ألقى فى النار فانه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهى ترمى بالزبد من مدها • فالتفت الى أصحابه فقال : هل تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة • فقال : اتبعنى فاتبعه فوجدها قد علقت بشىء فأخذها • وطلبه الأسود العنسى لما ادعى النبوة • فقال له : أتشهد أنى رسول الله • فقال : ما أسمع • فقال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال نعم فأمر بنار فألقى فيها

فوجدوه قائما يصلى ، وقد صارت عليه بردا وسلاما • وقدم المدينة بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام فأجلسه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى من آمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله • ووضعت له جارية السم فى طعامه فأكله فلم يضره • وحبثت عليه امرأة فدعا عليها فعميت ، فجاءت وتابت ، فدعا الله تعالى فرد عليها بصرها • وكان عامر ابن قيس رضى الله تعالى عنه يأخذ عطاءه ألفى درهم فى مكة ، وما يلقاه سائل فى طريقه الا أعطاه بغير عدد ، ثم يجىء الى بيته فلم يتغير عددها ولا وزنها •

ومر بقافلة وقد حبسهم الأسد فجاءه حتى مس بثيابه فم الأسد ، ثم وضع رجله على عنقه ، وقال : انما أنت كلب من كلاب الرحمن ، وأنا أستحى من الله عز وجل أن أخاف شيئا غيره • ومرت القافلة • وتغيب الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه عن الحجاج فدخلوا عليه البيت مرات وهو فيه فدعا الله تعالى فلم يروه • ودعا على بعض الخوارج وكان يؤذيه فخر ميتاً فى حينه • وصلة بن أشيم رضى الله تعالى عنه مات فرسه وهو فى الغزو فقال : اللهم لا تجعل لمخلوق على منة ودعا الله تعالى فأحياه له ، فلما وصل الى بيته قال يا بنى خذ سرج الفرس ، فانه عارية فلما أخذ سرجه مات وجاء مرة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب فى ثوب حرير ، فأكل وبقى الثوب عند زوجته زمانا •• وجاء الأسد وهو يصلى فى غيضة بالليل ، فلما سلم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع • فولى الأسد وله زئير • وكان سعيد بن المسيب فى أيام الحرة يسمع الأذان من قبر النبى ﷺ أوقات الصلاة • وكان المسجد قد خلا فلم يبق فيه غيره • وعبد الله النخعى كان له حمار فمات فى الطريق ، فقال أصحابه : نتوزع متاعك ؟ فقال : امهلوا هنيهة • ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا له حماره فحمل عليه متاعه ، وكان عمرو بن عتبة يحميه السبع ، وهو يرعى

ركاب أصحابه لأنه كان يشترط على أصحابه فى الغزو أن يخدمهم وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير هو وصاحب له يسيران ، فأضاء لهما طرف السوط . وكان ابراهيم التيمى يتيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئا : وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يجد ، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها وحمله فى وعائه ورجع الى أهله ففتحوه ، فاذا هو حنطة حمراء ، فزرعوا منها فخرج سنبلها من أصلها الى فرعها حبا متراكبا .

قال شيخ الاسلام تقى الدين فى كتابه « الفرقان » بعد نقله لما تقدم : « وهذا باب واسع ، وأما ما نعرفه فى هذا الزمان من نحو هذا فكثير ، ومما ينبغى أن يعرف : أن الكرامات قد تكون بحسب حاجات الرجل ، فاذا احتاج اليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يقوى ايمانه ، ويسد حاجته . ويكون من هو أكمل ولاية لله تعالى مستغنيا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته . ولهذا كانت الأمور فى التابعين أكثر منها فى الصحابة ، بخلاف من تجرى على يديه الخوارق لهداية الخلق أو لحاجتهم ، فهؤلاء أعظم درجة ، وهذا يخالف الأحوال الشيطانية ، اذ بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة .

منها : أن كرامات أولياء الله تعالى سببها الايمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية يكون سببها ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ » انتهى . وقد أطال وأطاب كعادته ، ومن أراده فليرجع اليه .

واما قوله « **فأما غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخبارا وقصصا كخرافات العجائز ، منها زعمهم أنه كان من آياته العجيبة المعجزة أنه وقف بين يديه ذئب فعوى** » الى آخره فاقول : ان العجب من تمويهات هذا النصرانى وخياناته فى النقل من تدليس فى الأقوال وترك للحسن من الحديث الصحيح فى كتب المسلمين من الأخبار والاستشهاد بالضعيف الغريب منها . والتغافل عن الكثير المتواتر والتنقير عن الخبر

الشاذ النادر ، والتفيير برواية المتروك من الأصاغر فخبر الذئب مروى بروايات عديدة وطرق مشـيدة ، وهو قد روى أحدها الذى لم يذكر فى أغلب الكتب المؤلفة فى أحواله عليه الصلاة والسلام ونحن نذكر ما ذكره صاحب الشفا وشراحه ان شاء الله تعالى :

قال العلامة القاضى عيـاض فى شـفائه ، والخفاجى فى شرحه : « ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة • وقد وقعت مرارا عديدة على أنحـاء مختلفة ، والتى رواها الامام أحمد بن حنبل والبزار والبيهقى وصححها عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه بينا راع واسمه أهبان • وقيل رافع يرعى غنما له ، عرض الذئب لشاة منهـا فأخذها الراعى منه فأقعى الذئب وقال للراعى الا تتقى الله حـلت بينى وبين رزقى قال الراعى أتعجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك : ؟ رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق ، فأتى الراعى النبى ﷺ فأخبره وأخبر أصحابه وأسـلم وقـال :

رعيت الضـان احميهـا زمـان — مـن الضـبع الخفى وكـل ذيـب
فلمـا أن سـمعت الذئب نـادى — يبشرنى بأحمـد مـن قريـب
سـعيت اليـه قـد شمرت ثوبى — مـن السـاقين قاصـدة الركيـب
فألفيـت النبى يقـول قـولا — صـدوقا ليس بالقـول الكـذوب
فبصـرنى لـدين الحـق حـتى — تبينـت الشريعـة للمنيـب
وأبصرت الضـياء يضئ حـولى — أمامى ان سـعيت وعـن جنوبى
الا أبـلغ بنى عمـرو بن عـوف — واخـوتهم جـذيلة أن أجيـبى
دعـاء المصـطفى لا شـك فيـه — فانـك ان أجبـت فـلن تخيـبى

وروى حديث الذئب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا وفى بعض طرق عنه فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيـا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا ، قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك وبينه الا هـذا الشعب ، فتصير فى جنود الله تعالى •

قال الراعي : من لي بغنمي ؟ قال الذئب : أنا أرعاها حتى ترجع • فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى • وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي ﷺ بقائل فقال له النبي ﷺ عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك : وذبح للذئب شاة منها • وروى أيضا عن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب هذه القصة أيضا وكانت سبب اسلامه •

وقد روى عن ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم ، فانصرف الذئب عنه احتراما للحرم الممنوع صيده ، فانصرف الذئب ، فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار ؟ فقال أبو سفيان : واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركها خلوا — بضم الخاء المعجمة واللام — أي خالية من أهلها بأن يسلموا جميعا ويرتحلون له عليه الصلاة والسلام • وقد روى مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه فقد شاهدوا مثله وتعجبوا منه ، ولكن الله تعالى أشقاه وأشقاهم ، مثل فرعون وقومه رأوا معجزات موسى ولم يؤمنوا . واليهود رأوا كثيرا من معجزات عيسى ولم يؤمنوا » انتهى •

فهذه الروايات التي في كلام الذئاب لم يقع فيها شيء من كلامه عليه الصلاة والسلام معها ، ولم تكن تكلمت بحضوره لكنهم ذكروها في بيان معجزاته لأنها أقرت بنبوته ﷺ وهذه الرواية التي ذكرها النصراني لم يذكرها في الشفاء مع أنه مخصوص ، لبيان أحوال المصطفى ﷺ ولا شراحه ولا غيرهم من المؤلفين في هذا الشأن ، ولو كانت هذه الرواية معتبرة لذكرها ولذكروها فعدم ذكرهم لها دليل واضح على عدم الاعتداد بها • نعم ذكرها العماد بن كثير في تاريخه ، واقتدى به القسطلاني في كتاب المواهب من غير سند معتبر ولا تصحيح عند أهل الأثر بقوله : « روى سعيد بن منصور في سننه عن أبي هريرة قال جاء الذئب فأقعى بين يدي النبي ﷺ وجعل يبصبص بذنبه فقال عليه الصلاة والسلام هذا وافد الذئاب جاء يسألكم ان تجعلوا له من

أموالكم شيئا قالوا : والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا رماه به ، فأدبر الذئب وله عواء ، فقال ﷺ : الذئب وما الذئب » انتهى .
وأما العلامة عماد الدين ابن كثير فذكر له طرقا كلها واهية مطعون فى أسانيدها ، لأنه رواه عن سعيد بن منصور عن حيان بن على عن عبد الملك بن عمير عن أبى الأوس الحارثى عن أبى هريرة ، فسعيد وان كان ثقة لكنه كان اذا رأى فى كتابه خطأ لم يرجع عنه كما قال الحافظ الذهبى فى الميزان . وعبد الملك بن عمير وان كان من أوعية العلم الا أنه قال الحافظ الذهبى فى الميزان : طال عمره وساء حفظه . وقال الامام أحمد بن حنبل : ضعيف يغلط . وقال ابن معين : مخلط . وكان شعبة لا يرضاه ، ورواه الحاكم بسند يتصل برجل لم يسمه ، فقال عن رجل عن أبى هريرة ، ورواه عن محمد بن اسحاق أيضا ، وحال محمد مضطرب عند المحدثين ، فمنهم معدلون له ومنهم طاعنون فيه الا اذا وافقه غيره من الثقاة فى الرواية ، فتكون مقبولة ، ورواه الواقدى عن رجل سماه عن المطلب بن عبد الله ، فحال الواقدى مضطرب وروايته اذا لم يوافقه غيره من الثقاة غير منظورة بنظر الصحيح ، لا سيما ولم يعرف اسم ذلك الرجل ورواه أبو نعيم بألفاظ أخر وزيد الذباب عن سليمان بن أحمد عن معاذ بن عيسى عن محمد بن كثير عن سفيان عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن رجل من مزينة أو جهينة ، فسليمان كما قال الذهبى كذبه يحيى ، وضعفه النسائى ، ومحمد بن كثير ضعفه ابن معين ، ولاسيما فلم يسم الرجل كونه من مزينة أو جهينة ، فتبين أن حديث مجىء الذئب أو الذئاب الى النبى ﷺ حديث مضطرب الأسانيد واهى الطرق معلول الرجال ، ويكفينا فى هذا الباب الأحاديث الصحيحة الثابتة عند النقاد فى بيان معجزاته عليه الصلاة والسلام التى ذكرنا كثيرا منها فى هذا الكتاب ، على أن هذه الرواية لو صحت فأى بأس فيها ؟ وأى ذم يعتريها ؟ وأى غبار يكدر صافيها ؟ فمعجزات الأنبياء عليهم السلام ولاسيما معجزات نبينا خير الأنام ﷺ جاءت على أنحاء شتى وأقسام كما لا يخفى على

من له فى العلم أدنى المسام •

هذا ولنزيدك فوائد فى رد ما اعترض به « عبد المسيح » من كتاب اظهار الحق فقد قال بعد كلام طويل ما نصه : « لكن الانصاف أن عادة المنكرين أنهم يغمضون عين الانصاف ويحكمون على كل شىء يرى مستبعدا فى آرائهم أنه محال ، وتعلم علماء البروتستنت هذه العادة من أبناء صنفهم الذين يسمونهم الملاحدة • لكن العجب من هؤلاء العلماء أنهم لا يرون أن كتبهم مملوءة بالأغلاط الصريحة كما نقلنا لك غير مرة شيئا كثيرا منها » •

ومن المواضع التى تستهزىء عليها الملاحدة : ما فى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر العدد ما لفظه : « ففتح الرب فم الأتانة وقالت لبلعام : ما الذى فعلت بك ؟ هذه ثلاث مرات قد ضربتنى فقال بلعام للأتان : لأنك استأهلت ذلك منى ، فقالت الأتانة لبلعام : لست أنا أتانك التى تركب منذ كنت غلاما الى يومك هذا ؟ فهل فعلت بك مثل هذا ؟ فقال : لا » •

قال هورن فى الصفحة ٦٣٦ من المجلد الثانى من تفسيره : « ان الكفار يستهزءون على تكلم أتان بلعام » انتهى •

ووقع فى الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول أن الغربان كانت تجلب اللحم والخبز لايلياء الرسول الى مدة ، وهذا الأمر مضحكة عند أبناء صنفهم » انتهى باختصار • قلت : ولكن كلام الذئب ونحوه من كلام الأتان كما لا يخفى على انسان فليفهم •

تتمة لبحثنا هذا اعلم أن الاسناد للأحاديث والأخبار وعنعنة الروايات وتفقد أحوال الراوين وبيان تاريخ ميلادهم وأعمارهم ووفياتهم وأوطانهم وتنقلاتهم فى حلهم وارتحالهم وسيرهم وعمن أخذوا ، ومن أخذ عنهم ومذاهبهم وتقواهم وتراجمهم وأنسابهم ، كل ذلك خاص بالمسلمين ولم يشاركهم من الأمم فى ذلك أحد ولله الحمد ، ولذا لا ترى

لأحد من أهل الملل والنحل شيئا من الاسناد فى احكامهم فاختلفت واضطربت وزادت ونقصت وحرفت وغيرت وبدلت وقطعت وما تراها وصلت ، وترى المسلمين اذا قال أحد منهم قولا عن نبينا ﷺ أو عن صحابته أو عن مجتهدى علماء أمته لا يقبل ذلك من ناقله الا باسناد صحيح متصل ، وقالوا : لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء • وقد ألفوا لأجل ذلك كتبا كثيرة واستنبطوا له قواعد غزيرة وأصولا وفيرة • كل ذلك حرصا على بقاء دينهم ودوام صافى شريعتهم لئلا يدخل فيها شىء من كلام الكذابين ، ويختلط بعذبها آجن الدجالين ، فبينوا العدل المقبول من الراوين ، ونبهوا على المردودين والمطعونين وبينوا الأثر المعلول المنقطع والموصول •

ومن فوائد ذلك : ما ذكرناه من حال رواة هذا الحديث ، فتبين من تتبع كتبهم عدم مقبوليته ، واتضح من حال تراجم الرجال رد صحته ، فلا يعول على تصحيحه ، ولا يعرج على ترجيحه • • وأنا غنى عن المعلول بغيره من الصحاح ، ولا يستضاء بالمصباح عند ضوء الشمس فى الصباح ، والله سبحانه الهادى الى الصواب ، والمنطق للجماد ، وهو أعظم من الذئاب •

قوله : « وكذلك قصة ثور دريخ وادعائهم مخاطبته دريخا عند ضربه اياه وكتابه يشهد أن الأعراب أشد كفرا ونفاقا » انتهى فاقول : أن هذه المعجزة كما قدمناهالك فى تعداد الآيات والمعجزات مما نقله العلامة الماوردى فى كتابه دلائل النبوة ، عن بردة عن مكحول قال : بينا أهل « دريخ » من العرب — عرب اليمن — فى مجلسهم اذ أقبل عجل فتبسم ، وقال : « أهل دريخ أمر نجيح ببطن مكة يصيح بلسان فصيح شهادة أن لا اله الا الله فأجيبوه » فلو سلمنا أن فى هذه الرواية ضعفا فأى مثلبة فيها بالنسبة الى سيد المرسلين ﷺ لأنه لم يكن بحضرة النبى • ولو قلنا : انها قوية فأى بأس فيها ومعجزاته عليه الصلاة والسلام التى تحدى بها كثيرة جدا ؟ وهذه لم يتحد بها

ولا ادعاها ولم تكن بحضرته الشريفة ، ونحن والحمد لله تعالى فى غنى عن هــذه المعجزة .

ومن ركب البحر استقل السواقى .
وفى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل .

قوله : « وأما شاة أم معبد ومسحه يــده على ضرعها وما يلى ذلــك من الخرافات الأخرى كدعائه الشجرة فأسرعت اليه مقبلة » الى آخره

فاقول : عد المحدثون هذه فى نــوع بركته ﷺ وأم معبد بفتــح الميم والموحدة وقصتها مشهورة وهى على ما فى شروح كتاب الشــفاء وغيرها ما رواه ابن سعد والطبرانى عن أبى معبد الخزاعى أنــه ﷺ لمــا هاجر ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبــد الله بن الأريقط ، وهذا كان على دين كفار قريش ، فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوه ، فرأوا عندها شاة خلفها الجهد ، أى الهزال عن الغنم فسألها هل بهــا من لبن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلــك . فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط — أى يشبع الجماعة — فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا ، فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا هزالا فرأى اللبن ، فتعجب ، فقال : أنى لك هذا . والشاء عازب ولا حلوب بالبيت ؟ فقالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك ففعل هذا . فقال : صفيه يا أم معبد . فوصفته .

وفى حديث آخر : أن آل أبى معبد كانوا يؤرخون بذلــك اليــوم ويسمونه يوم الرجل المبارك ، ثم انها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله ، ومعها ابن لها صغير قد بلغ السعى ، فمر فى المدينة على مسجد رسول الله ﷺ وهو يكلم الناس على المنبر ، فانطلق الى أمه يشتد فقال لها : انى رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يا بنى ويحك هو رسول الله ﷺ

وأسلم زوجها أبو معبد ، وله رواية عن رسول الله ﷺ وتوفى فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

وفى الخبر عن هشام بن حبيش الكعبى قال : أنا رأيت تلك الشاة وانها لتأدم أم معبد وجميع أهل ذلك الماء أى استمرت تلك البركة فى الشاة ولم تعد الى حالها » انتهى .

ونعلم : أن لهذه القصة الصحيحة والمعجزة الصريحة نظائر عديدة ذكرها فى كتاب الشفا فمنها شاة أنس وقصتها كقصة شاة أم معبد ومنها غنم حليمة مرضعته ، فانها لما حملته وهو عليه الصلاة والسلام صغير ، فى سنة كان فيها قحط أصاب أرض قومها وقل النبات فيها . فكانت غنمها تأتى من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تأتى عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها ، وما ذاك الا ببركته ﷺ ويمن قدمه . وكذلك ناقتها المسنة لم يكن فى ضرعها قطرة لبن ، فلما أخذت النبى ﷺ لترضعه قام زوجها فوجد ناقتهم حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة ، فقال لحليمة : أنه نسمة مباركة فقالت : انى والله أرجو بركته . ولله در البوصيرى حيث قال :

اصبحت شولا عجافا ، وامست ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل اذ غدا للنبى منها غذاء

ومنها شاة عبد الله بن مسعود لما أتاه بشاة لم ينز عليها الفحل أبدا فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله تعالى وأتاه أبو بكر بصحفة فحلب فيها . فقال لأبى بكر اشرب ، ثم قال للضرع اقلص ، فعاد كما كان . وكان هذا سبب اسلامه . ومنها غير ذلك مما هو مذكور فى الكتب المؤلفة العديدة الجليلة ، وفى هذا الشأن اكتفاء بالطل عن الوابل الهتان ، خشية التطويل على اخوان هذا الزمان . والله سبحانه أعلم .

وأما قوله « كدعاء الشجرة فأسرعت مقبلة » فنقول : نعم هذا أيضا صحيح ومتعدد ، ففى افراد مسلم كما نقله العماد بن كثير

من حديث حاتم بن اسماعيل عن أبى حرزة يعقوب بن مجاهد عن عبادة ابن الوليد عن جابر بن عبد الله قال : سرنا مع رسـول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فاتبعته بادواة من ماء فنظر فلم ير شيئا يستتر به ، واذا شجرتان بشاطىء الوادى فانطلق الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها وقال انقادى باذن الله تعـالى فانقادت منه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها • وقال : انقادى على باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده كذلك ، حتى اذا كان فى المنتصف فيما بينهما ـــ يعنى جمعهما ـــ قال التئما باذن الله تعـالى فالتأمتا • قال جابر فخرجت أحفز مخافة أن يحس بقربى فيبتعد فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى لفتة فاذا أنا برسول الله ﷺ مقبـل ، واذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق •

وقد ورد انقياد الشـجر فى أحاديث كثيرة مرات عديدة • وروى البيهقى من طريق محمد بن أبى عبيـدة عن أبيه عن الأعمش عن أبى طبيان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل من بنى عامر الى رسول الله ﷺ فقال : ان عندى طبا وعلما فما تشتكى ؟ هل يريبك من نفسك شىء الى ما تدعو ؟ قال : أدعو الى الله والاسلام • قال فانك تقول قولا فهل من آية ؟ قال : نعم ان شئت أريتك آيـة • وبين يديه شجرة ، فقال لغصن منها : تعال يا غصن فانقطع الغصن من الشجرة ثم أقبل ينقز حتى قام بين يديه • فقال : ارجع الى مكانك فرجع • وفى رواية :فرجع العامرى وهو يقول يا آل عامر بن صعصعة والله لا أكذبه بشىء يقوله أبدا • وفى رواية أنه قال : ما رأيت كاليوم رجلا أسـحر من هذا • وفى رواية : فقال انك رسول الله وآمن • قال ابن كثير : ولعله قال أولا أنه سـحر ثم تبصر لنفسـه وآمن لمـا هداه الله عز وجل • وأحاديث انقياد الشجر له عليه الصلاة والسلام كثيرة متعددة الطرق • ولله در البوصيرى حيث يقول :

جاءت لدعوته الأشـجار سـاجدة ... تمشى اليـه على سـاق بلا قـدم
كأنهـا سـطرت سطرا لمـا كتبت ... فروعهـا من بديـع الخط فى اللقم

اذا علمت هـذا وأحطت خبرا بدلائل نبوتـه ومسـلم معجزاته ومعجزات اخوانه النبيين من موسى وعيسى وغيرهما عليهم الصلاة والسلام التى تقدم لك منها جملة وافية ، تبين لك : أن كلام هذا النصرانى فى رد هذه المعجزات سراب يحسبه الظمآن ماء ، وأن قبول معجزات سـائر النبيين دون معجزات نبينا المصطفى ﷺ وآله وصحبه أجمعين مكابرة صرفة وترجيح بلا مرجح ، واتباع هوى وجدال بالباطل ، وهذا مثـل انكار اليهود معجزات سيدنا عيسى عليه السـلام • فما كان جوابا من النصارى لليهود عنها فهو جواب لنا عما ينازعونا فيه ، كما لا يخفى والله سـبحانه المـوفق •

قوله « لأن الأنبياء بأسرهم موقون معصومون بالوقاية الحالة عليهم من الله جل ثناؤه » الخ بالله العجب من كلام هذا النصرانى حيث أثبت لجميع الأنبياء قاطبة العصمة من القتل ، ومن تسـلط الكفـار عليهم ، ونسى قتل المسيح الاله بزعمه واهانته وصلبه ونسى ما قاله المسيح فى الأصـحاح الثالث والعشرين من انجيل متى بما لفظـه : « وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لم نشارككم فى دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم بنو قاتلى الأنبياء ، وأنتم آكلوا مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ من أجل هذا هأنذا أرسل اليم أنبياء وحكماء وكتبة فتقتلون منهم وتصـلبون ومنهم تجـلدون فى مجامعكم وتطردونهم من مدينة الى مدينة لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح » انتهى فيقال لهذا النصرانى : كيف قالت ان الأنبياء معصومون من ذلك ؟ وهذه أناجيلكم تصرح بقتلهم ، ثم ان عيسى عليه السلام على زعمك أنه هو الاله وأنه هو يقول لليهود انكم أولاد قاتلى الأنبياء ، وأنتم أيضا ستقتلون رسلى • وقال مفسروكم أى سوف تقتلون تلاميذه الذين يرسلهم المسيح بعد موته اليهم ، فيقتلون منهم كثيرين كاسطفانوس واليعقوبيين وغيرهم وتصـلبون منهم كمـا صنعوا بسمعان أسقف أورشليم خليفة ماريعقـوب ، وتجلدون منهم

كما صنعوا ببطرس والرسل وتطردهم من مدينة الى مدينة كما صنعوا بشاول وبرنابا . قال مفسرهم الخورى يوسف : « وكان المسيح يرى منذ ذلك الوقت أنهم يقتلونهم اذا أرسلهم بعد موته » فيقال لهذا النصرانى : فعلى ما زعمت فى أمر أكل اللحم المسموم الذى قدم لنبينا عليه الصلاة والسلام وأصحابه فمات بعضهم ولم يدع الله تعالى فى احيائه كان ينبغى أن لا تقتل تلك الأنبياء وأن يحييهم المسيح بعد موتهم ، لأنه هو الذى كان أرسلهم قبل أن تلده مريم ، وكان ينبغى أيضا أن لا يرسل بعد موته رسلا ويعرضهم للقتل والصلب ، وهو من حين قوله ذلك يعلم أنه اذا أرسلهم بعد موته الى اليهود ، أنهم سيقتلونهم ويصلبونهم فلم لم يخلصهم أيضا ؟ واذا لم يكن قادرا على خلاصهم لم يرسلهم فيقتلون ؟ مع علمه الآن أنهم سوف يقتلون . وكيف يقول لهم فى انجيله كما نقلته أنت عنه « ان أنتم شربتم السم القاتل لم يضركم ؟ » وهل هذا الا تناقض منكم ؟ وهل بعد قتل رسل المسيح وصلبهم وطردهم نقيصة على موت أصحاب نبينا عليه الصلاة والسلام ؟ بل ندعى اختصاص الغيب بالله سبحانه . وقد يطلع جل وعز ملائكته ورسله على الغيب . وكون الشاة مسمومة من المغيبات فالله سبحانه أنطقها له عندما أكل منها بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم . وقد تبين صدقه عليه الصلاة والسلام فى تكليمها له بأنها مسمومة بموت بشر ، والله سبحانه يفعل ما يشاء بعباده وسائر الأنبياء .

على أنا نذكرلك مسألة سم الشاة مفصلة من كتبنا . قال القاضى عياض عليه الرحمة فى الشفاء : قد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح ، وخرجه الأئمة .. وهو حديث مشهور ، رواه أبو هريرة وأنس وجابر وابن عباس رضى الله تعالى عنهم ، فروى أبو هريرة أن يهودية أهدت للنبى ﷺ بخيبر شاة مصلية ، سمتها ، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم فقال : ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى أنها مسمومة ، فمات بشر بن البراء . وفى رواية الحسن أن فخذها كلمنى أنها مسمومة ، وقال لليهودية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : ان كنت نبيا لم يضرك

ما صنعت ، وان كنت ملكا أرحت الناس منك • قال فأمر بها فقتلت • وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت : أردت قتلك • فقال عليه الصلاة والسلام : ما كان الله يسلطك على ذلك • فقالوا ألا نقتلها فقال : لا وفى رواية ابن عباس أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها • قال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتل اليهودية التى سمته •

واما قوله « وان السم الذى لم يزل يدب فى بدنه كان سبب موته » فنقول : نعم ان هذا من أعظم الشواهد على نبوته عليه الصلاة والسلام والحديث فى ذلك رواه فى المواهب عن الامام البخارى تعليقا عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه ﷺ قال : « ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم » قال العلماء : وهذا بعد ثلاث سنين من أكله • وفى رواية « ما زالت أكلة خيبر تعاودنى أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معلومة ، حتى قطعت أبهرى » والأكلة بالضم اللقمة التى أكل من الشاة والأبهر عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه ، وقد كان ابن مسعود وغيره يرون أنه ﷺ مات شهيدا من السم •

قال الزرقانى : ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه فى وقته لأنهم قالوا ان كان نبيا لا يضره ، وان كان ملكا استرحنا منه ، فلما لم يؤثر فيه تيقنوا نبوته ، حتى قيل ان اليهودية أسلمت ثم نغض عليه بعد ثلاث سنين لاكرامه عليه الصلاة والسلام بالشهادة • وأما قوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » فانها نزلت بعد خيبر على ما قال المفسرون أو عصمه من قتلهم واغتيالهم ، وقد عصم من ذلك كما وعده الله سبحانه وتعالى فافهم •

قال النصرانى : « وأما الميضأة وخبرها وأنه أدخل يده فيها ففاض منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم ، فالخبر بذلك جاء عن محمد ابن اسحق الزهرى • وأمرها ضعيف عند أصحاب الأخبار ولم يجتمع أصحابك على صحته فكيفما أردت ، فاخبار صاحبك — أصلحك الله —

ليس يساغ منها شيء ، ولا يستوى ولا تصح دعوة واحدة مما سواها ٠ على أنه قد سبق فقطع الدعاوى وحذف ذكر الآيات ، بتة ، فسقطت دعوى من ادعى له آية ، وانما بعث بالسيف زعم تصليبا وأن كل من لم يقر أنه نبى مرسل قتله أو يؤدى الجزية ثمنا لكفره ، فبدعة ، فهل تريد — أصلحك الله — دليلا أوضح أو حجة أقنع أو برهانا أصح على بطلان ما جاء به صاحبك أكثر من هذا ان أنت أنصفت نفسك وصدقتها ؟

على أن صاحبك قد أقر وقطع باقراره كل سبب بما نقلته عنه الثقاة الحاملين أخباره ، فانه قال قولا مصرحا غير مكاتم ولا مساتر أنه ليس من نبى الا وقد كذبت أمته عليه ، ولست آثر أن تكذب على أمتى ، فما جاءكم عنى اعرضوه على الكتاب الذى خلفته بين اظهركم ، فان كان له مشاكلا وكان له فيه ذكر فهو عنى وانى قلته وفعلته ، وان لم يكن له ذكر فى الكتاب ، فأنا برىء منه ٠ وهو كذب ممن رواه عنى ، وما قلته ولا فعلته ٠ فانظر — أصلحك الله — فى هذه الأخبار التى ذكرناها مما يقول أصحابك هل تجد لها أصلا فى الكتاب الذى فى يدك ؟ فان كان لها فيه أصل أو ذكر ، فهى لعمرى صحيحة قد فعلها وأتى بها ٠ والا فهو برىء منها وهى أباطيل وأكاذيب تقولوا بها عليه » انتهى ٠

أقول : ان معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام التى لا تحصيها منا الأقلام المتواترة لدى الأنام وصححها العلماء الاعلام قد ذكرنا لك منها جملة صالحة فى هذا الكتاب فلا يستر ضوءها مثل ماموه به هذا المؤلف من الضباب ، وحديث الميضأة قطرة من بحر ورذاذ من وبل ، ودرة من عقد ، وقد رواها النقاد بأسانيد معتبرة وروايات متعددة وطرق عديدة وسلسلة سديدة وليس أمرها ضعيفا عند أحد كما زعم من للمسيح عبد ، فاستمع مانتلوه عليك من كتب الحفاظ المحدثين وثقاة الــراوين :

فقد روى الامام البخارى فى كتابه الصحيح بسنده الى أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال : حضرت الصلاة فقام من كان قريب

الدار الى أهله وبقى قوم فأتى رسول لله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء قليل فصغر المخضب أن يبسط فيه النبى ﷺ كفه لصغره فتوضأ القوم كلهم . قلنا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة . وعنه رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ دعا باناء من ماء فأتى بقدح رحراح فيه شىء من ماء فوضع عليه الصلاة والسلام أصابعه فيه . قال أنس : فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام فحزرت من توضأ منه ما بين السبعين الى الثمانين . قال شارحه العلامة القسطلانى : « وهذا كان فى أماكن مختلفة وأحوال متغايرة ، حتى أنه فى حديث جابر كنا خمس عشرة مائة ولغيره زهاء ثلثمائة » انتهى وقال القاضى عياض فى الشفا : «أما الأحاديث فى هذا فكثيرة جدا . روى حديث نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ جماعة من الصحابة مثل أنس وجابر وابن مسعود وفى الصحيح عن سالم بن أبى الجعد عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماء الا ماء فى ركوتك ، فوضع النبى ﷺ يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . وفيه : فقلت كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . ومثل هذا فى هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به ، لأنهم كانوا أسرع شىء الى تكذيبه ، لما جبلت عليه النفوس من ذلك ، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل ، فهؤلاء وغيرهم ممن يطول الكتاب بذكرهم وسرد رواياتهم قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم ، كما لا يخفى على كل ذى لب متبصر منصف .

وأما قوله : « فالخبر جاء عن محمد بن اسحاق الزهرى » فهو خبط منه ، لأن محمد بن اسحاق المطلبى هو غير الزهرى لأنه محمد بن مسلم عبيد الله بن شهاب الزهرى وابن اسحاق المذكور

يروى عنه • وهو حافظ عمدة بين المحدثين ، فلا تغفل •

قوله « فسقطت دعوى من ادعى له آية وانمـا بعث بالسـيف » الى آخـره •

قد استقصينا لك سـابقا رد هذا الكلام وبينا المـراد بالآيـات وسقنا لك عبارة الانجيل المصرحة بأن المسيح لم يأت اليهـود المنكرين بآية وأحالهم الى انقضـاء أجله ، فحينئذ يرون المعجزة وأثبتنا أن دين الاسلام انما قام بالآيات الباهرات وبشائر الأنبياء السالفين والمعجزات وأن النبى عليه الصلاة والسلام ليس بدعا فى أمر الجهاد وأخذ الجزية من ذوى العنـاد ، بل فعل مثل ذلك وأكثر كثيرا من أنبياء بنى اسرائيل وأن أكثر الأمم لـما دعاهم أسلموا من غير حرب ولا خوف كما بسطناه أولا فلا حاجة الى التكرار ، فتذكر والله سبحانه الموفق •

قوله « يؤدى الجزية ثمنا لكفره فيدعه » لا يخفى عليك جـواب هذا التمويه مما أسلفناه لك مرارا من أن أخذ الجزية من الكفار ، عمله جملة من أنبياء بنى اسرائيل بصورة أشد مما فى دين الاسلام • والجزية عندنا انما تؤخـذ من غير العـرب ، لأن العرب اذا لم يؤمنـوا بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام فليس لهم الا السيف لأن القرآن نزل بلغتهم والرسول بعث منهم وفيهم ، فليس لهم عذر فى كفرهم بـه • والحكمة فى أخذ الجزية من غيرهم الامهال لذلك الغير فلعله يسلم هو أو غيره من اللطف الالهى فى حق الكافر ، كما أن البارى سبحانه يخوفه بعض عباده من عصـاة المؤمنين أو غيرهم بنـوع من البـلاء ليتوبوا ويصطلحوا ، فاذا لم ينجع ذلك ربما أهلكهم بعذاب مستأصل ، فكذلك الكافر ضربت عليه الجزية امهالا له وارهابا وانذارا لغيره ، وربما كانت الجزية أعظم من القتل عند بعض من تأخذه الحمية ، فهـو عين اللطف والحكمـة ، فافهم •

قوله : « على أن صاحبك قد أقر وقطع باقراره كل سبب بما نقلت عنه الثقاة الحاملون أخباره فانه قال قولا مصرحا غير مكاتم ولا مساتر ،

أنه ليس من نبى الا وقد كذبت أمته عليه ، ولســت آثر أن تكذب على أمتى فما جاءكم عنى أعرضوه على الكتاب » الى آخره .

فيقال لهــذا النصرانى : هذا الحديث الذى ذكرته أنت لعله من الأحاديث المكذوبة فكيف عرفت أنه من الأحاديث الصــحيحة ، اذ هــو بحسب الظاهر مغاير لقوله تعالى **« وما ينطق عن الهوى »** وقــوله ســبحانه : **« ما آتاكم الرســول فخذوه ، وما نهاكم عنــه فانتهوا »** لأنه سبحانه بين أن أقوال رسوله عليه الصلاة والسلام أيضا منه عز وجل بطريق الوحى والالهام ، فهى كالقرآن العظيم فى وجــوب الاتبــاع والامتثال وأمرنا عز شأنه أن نمتثل ما أمر به ونجتنب عما نهانا عنه ، لأنه عليه الصلاة والسلام هو الواسطة فى التبليغ فلا يقول شيئا من تلقاء نفسه . وهذا الحديث الذى ذكرته لم يصح عنه ﷺ من حيث هــذه الألفــاظ .

وفى كتاب الموافقات للعلامة القرافى وكتاب ايقاظ الهمم للفاضــل العمرى أن هذا الحديث من وضع الزنادقة والخوارج . قال عبد الرحمن ابن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلــك الحديث يعنى ما روى عنه ﷺ أنه قال : « ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله تعــالى فأنا قلته وان خالف كتاب الله تعالى فلم أقله أنا . وكيف أخــالف كتــاب الله عز وجل وبه هدانى » .

وهذا لم يصح عند أهل العلم النقاد ، وقد عارضه قوم من أهل العلم وقالوا نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شىء . وعلى ذلك قالوا : فلما عرضناه على كتاب الله عز وجل وجدناه مخالفا لكتــاب الله لأنا لم نجد فى كتاب الله سبحانه وتعالى أن لا يقبــل من حــديث رسول الله ﷺ الا ما وافق كتاب الله تعالى بل وجدنا كتــابه يطــلق التأسى به والأمر بطاعته ويحذر المخالف عن أمره على كل حال ، فقــد قــال تعــالى : **« ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا »** وقال تعــالى : **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى »** **وقــال تعــالى :**

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم » وغير ذلك من الآيات الآمرة باتباع أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام ، وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك بأحدكم يقول : هذا كتاب الله ، ما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا من بلغه عنى حديث فكذب به ، فقد كذب الله ورسوله والذى حدثه » وعن المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك رجل منكم متكئا على أريكة يحدث بحديث عنى ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله تعالى فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا من بلغه عنى حديث فكذب به ، فقد كذب الله تعالى ، وانما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله تعالى » انتهى وقد روى هذه الأحاديث أيضا حافظ المغرب الامام أبو عمر بن عبد البر فى كتبه،وقال صاحب قمر الأقمار حاشية نور الأنوار شرح كتاب المنار فى الصفحة ١٧٩ ما لفظه : « قال السيد السند فى رسالة أصول الحديث ، وكذا ما أورده الأصوليون من قوله « اذا روى عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فان وافقه فاقبلوه ، والا فردوه » قال الامام الخطابى : وضعته الزنادقة ، ويدفعه قوله ﷺ : « انى قد أوتيت الكتاب ومثله معه » انتهى فقد اتضح ما نقلناه لك عن المحدثين النقاد : أن هذا الحديث باطل وعن حلى الصحة عاطل • نعم ورد فى أحاديث عديدة صحيحة بلغت حد المتواتر من أن الكذب عليه عليه الصلاة والسلام حرام ، وفيه الوعيد الشديد ، حتى أن بعض العلماء ذهب الى كفر من تعمد الكذب على النبى ﷺ • وقد روى الشيخان أنه عليه الصلاة والسلام قال : « الكذب على ليس ككذب على أحد ، من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وروى البخارى والدارقطنى « من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » وعن ابن عمر — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : « حدثوا عنى ولا تكذبوا على فمن كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وروى الامام أحمد رحمه الله تعالى « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وفى رواية أخرى « فعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » •

وفى كتاب الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة لمعاصرنا الشيخ عبد الحى ناقلا عن أبى محمد الرامهرمزى عن مالك بن عتاهية أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **عليكم بالقرآن وسترجعون الى أقوام يحدثون عنى فمن عقل شيئا فليحدث به ، ومن قال على ما لم أقل فليتبوأ بيتا فى جهنم** » . على أنا اذا قلنا بصحة هذا الحديث الذى أوردته أنت ، فلا نقض علينا به فى شىء أبدا ، وهو مطابق لما نحن عليه فى أمر اثبات معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وليس بين القول بمعجزاته وبين هذا الحديث مخالفة بمقدار شعرة فى الحقيقة . لان الآية التى تستدل بها على مطلوبك وهى قوله تعالى : « **وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الأولون** » قد بينا لك تفسيرها فيما سبق ، وأن المراد بها الآيات الى اقترحها المشركون . وهى مثل قول المسيح : « انه ليس له آية الا بعد موته » حينما طلبوا منه آية ، وفصلنا لك الجواب تفصيلا شافيا ، وفسرنا الآيات القرآنية تفسيرا كافيا وشرحنا عبارة الانجيل شرحا وافيا . فأى مخالفة بين اثبات الآيات والمعجزات له عليه الصلاة والسلام وبين نفى المطلوب للكفرة اللئام ؟ وقد بين سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم من المعجزات لنبينا الرءوف الرحيم كآية المعراج وغلبة الروم واخباره بالمغيبات ونحو هذا مما نقلته الينا الرواة والأئمة الثقاة من الصحابة والتابعين والعلماء المحدثين من المعجزات التى وصلت اليهم بالشروط المعتبرة والأسانيد الموثوقة التى بلغت من حيث المجموع مبلغ التواتر بمحل ، لا يمكن أن يكابر فى رده مكابر .

وليت شعرى اذا قبلتم أنتم أناجيلكم المحررة بعد المسيح بسنين عديدة ، ولم تصل اليكم بسند ولا تواتر صحيح ، مع اضطرابها واختلافها وتناقض بعضها لبعض وتحريفها ومصادمتها لبداهة العقل ومخالفتها لكل كتاب منزل ونقل ، مثل آية العشاء الربانى ونحوها كما أثبتنا عليكم ذلك ، وشرحنا حال ما هنالك فى كتابنا هذا ، بحيث لا مجال لكل منصف انكاره والحمد لله تعالى ، فلم لا نقبل نحن الآثار الواردة فى معجزات نبينا المختار والأحاديث الصحيحة فى سائر الأعصار التى نقلها

الصحابة العدول الذين قال الله تعالى فى حقهم : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وقال فيهم النبى ﷺ « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وقال : « أصحابى كالنجوم » وقال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، حتى يأتى أمر الله » فهم الذين نقلوا عنهم الأخبار ثم نقلها المحدثون طبقة بعد طبقة ، وأثبتوها فى كتبهم الموثوقة بعد التدقيق التام والضبط الكامل بالشروط المعتبرة ، والأصول المقررة التى ألفوا فيها الكتب المفصلة وكشفوا عنها كل معضلة وحققوا أحوال النقلة ونبهوا على الروايات المعللة . فافهم وأنصف .



فصـــــل

لا زال هذا النصرانى يقدح هو وأضرابه فى صحة الأحاديث النبوية ولا يسلمها الا اذا كانت معانيها فى الآيات القرآنية ، فلذلك ينكر ثبوت المعجزات ويعدها من المختلقات لأنها بزعمه منافية لما فى القرآن من قوله سبحانه « **وما منعنا أن نرسل بالآيات** » وسنثبت هنا ان شاء الله تعالى صحة الأحاديث النبوية المروية فى الكتب الصحاح السنية ، مقدمين فى البحث فوائد جليلة :

الفائـــدة الأولى :

قال فى اظهار الحق ان جمهور أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كانوا يعتبرون سلفا وخلفا الروايات اللسانية كالمكتوب ، بل جمهور اليهود يعتبرونها أكثر من المكتوب ، وفرقة الكاثوليك من النصارى تعتبرها مساوية له ، وتعتقد أن كليهما واجب التسليم وأصلان للايمان ؛ وجمهور فرقة البروتستنت من النصارى أنكروها كما أنكرها الصادوقيون من فرق اليهود . وهؤلاء المنكرون من البروتستنت اضطروا الى انكارها

لأنهم لو لم يتذكروها لما أمكن لهم بيان أصول ملتهم وعقائدهم الجديدة المضادة لعقائد الكاثوليك لكنهم مع ذلك يحتاجون اليها فى مواضع كثيرة ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة ، كما ستظهر لك جميع هذه الأمور ان شاء الله تعالى : قال آدم كلارك فى شرح ديباجة كتاب عزرا فى المجلد الثانى من تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ : « قانون اليهود كان منقسما الى نوعين مكتوب ويقولون له التوراة وغير مكتوب ويقولون له الروايات اللسانية التى وصلت اليهم بواسطة المشايخ ، ويدعون أن الله تعالى كان أعطى موسى كلا النوعين على جبل الطور ، فوصل الينا أحدهما بواسطة الكتاب ، وثانيهما بواسطة المشايخ بأن نقلوها جيلا بعد جيل • ولهذا يعتقدون أن كليهما مساويا فى المرتبة ، ومن جانب الله وواجب التسليم ، بل يرجحون الثانى ويقولون : ان القانون المكتوب ناقص مغلق فى كثير من المواضع ، فلا يمكن أن يكون أصل الايمان على الوجه الكامل بدون اعتبار الرواية اللسانية ، وهذه الرواية واضحة وأكمل وتشرح القانون المكتوب وتكمله • ولهذا يردون معانى القانون المكتوب اذا كان مخالفا للروايات اللسانية ، واشتهر فيما بينهم : أن العهد المأخوذ من بنى اسرائيل ما كان لأجل القانون المكتوب ، بل كان لأجل هذه الروايات اللسانية ، فكأنهم بهذه الحيلة نبذوا القانون المكتوب ، وجعلوا الروايات اللسانية مبنى دينهم وايمانهم ، كما أن الرومانيين الكاثوليكيين فى ملتهم اختاروا هذه الطريقة ، ويفسرون كلام الله تعالى على حسب هذه الروايات ، وان كان المعنى الروايتى مخالفا لمواضع كثيرة ، ووصلت حالتهم فى زمان ربنا الى مرتبة ألزمهم الرب فى هذا الأمر بأنهم يبطلون كلام الله لأجل سنتهم • ومن عهد الرب أفرطوا فيه جدا حتى عظموا هذه الروايات أزيد من المكتوب •

وفى كتبهم أن ألفاظ المشايخ أحب من ألفاظ التوراة ، وألفاظ التوراة بعضه جيد وبعضه غير جيد وألفاظ المشايخ كلها جيدة ، وألفاظهم أجود جدا من ألفاظ الأنبياء • ومرادهم بألفاظ المشايخ هذه الروايات اللسانية ، التى وصلت اليهم بواسطة المشايخ •

وأيضا فى كتبهم : أن القانون المكتوب كالمـاء ، ومشـنا وتالمود الذين رواياتهم مضبوطة فيهما مثل الخمر ذات الأباريز • وايضـا فى كتبهم : أن القانون المكتوب كالملح ومشنا وتالمود مثل الفلفل والأباريز العذبة ، ومثلها أقوال أخر يعلم منها أنهم يعظمون الروايات اللسانية أزيد من القانون المكتـوب ، ويفهمون كلام الله على ما يفهم شرحه من هذه الروايات ، فكان القانون المكتـوب عندهم بمنزلة الجسـد الميت والروايات اللسانية بمنزلة الروح الذى به الحـياة ، ويقولون فى كون هذه الروايات أصلا : ان الله لمـا أعطى موسى التوراة أعطـاه معانى التوراة أيضا ، وأمر أن يكتب الأول ويحفظ الثانى ويبلغه بالرواية اللسانية فقط • وهكذا تنقل جيل بعد جيل • ولذلك يطلقون على الأول لفظ القانون المكتوب ، وعلى الثانى لفظ القانون اللسانى • والفتاوى التى تكـون مطابقة لهذه الروايات يسمونها قوانين موسى التى حصلت على جبل سيناء ويذعنون كما أن موسى حصل له التوراة فى الأربعين يومـا التى كانت المكالمة بينه وبين الله تعالى على جبل سيناء فكذلك حصلت له هذه الروايات اللسانية أيضا ، وجاء بهما موسى من الجبل ، وبلغهما الى بنى اسرائيل ، بأن طلب هرون فى الخيمة بعدما رجع عن الجبل فعلمه القانون المكتوب أولا ، ثم الروايات اللسانية التى هى معانى القانون المكتوب كما وجدهما من الله ، وقام هرون بعـد ما تعلم وجلس عن يمين موسى ، ودخـل أليعازر وايثمار ، ابنا هرون وتعلما كما تعـلم أبوهما ، وقاما فجلس أحدهما على يسار موسى ، والآخر على يمين هرون ، فدخل المشـايخ السبعون وتعلموا القانونين وجلسوا فى الخيمة ، ثم تعلم الناس الذين كانوا مشتاقين التعلم ، ثم قام موسى وقرأ هارون ما تعلم ، وقام • ثم قرأ أليعازار وايثمار وقاما ، ثم قرأ المشايخ السـبعون ما تعلموا على الناس ، فسمع كل من هؤلاء الناس هذا القانون أربع مرات وحفظوا حفظا جيـدا •

ثم أخبر هؤلاء بعدما خرجوا سائر بنى اسرائيل فبلغوا القانون المكتوب

بواسطة الكتابة ، ويلغوا معانيها الرواية الى الجيل الثانى وكانت الأحكام فى المتن المكتوب ستمائة وثلثمائة عشر ، فقسموا القانون بحسبها • ويقولون : ان موسى جمع بنى اسرائيل كلهم فى أول الشهر الحادى عشر من خروج مصر ، وأخبرهم بموته ، وأمر أن أحدا ان نسى تولا من القانون الالهى وصل بواسطتى اليه يجىء الى ويسألنى ، وكذلك ان كان لأحد اعتراض على قول من أقوال القانون يجىء الى لأرفع ذلك الاعتراض ، وكان مشتغلا بالتعليم الى آخر حياته ، يعنى من أول الشهر الحادى عشر الى السادس من الشهر الثانى عشر ، وعلم القانون المكتوب وغيرالمكتوب،وأعطى بنى اسرائيل من القانون المكتوب ثلاث عشرة نسخة مكتوبة بيده ، بأن أعطى كل فرقة نسخة نسخة لتبقى محفوظة فيما بينهم جيلا بعد جيل ، وأعطى بنى لاوى نسخة أخرى لتبقى محفوظة فى الهيكل أيضا ، وقرأ القانون الغير مكتوب أعنى الروايات اللسانية على يوشع ، وصعد على جبل نبو فى اليوم السابع من الشهر ومات هناك •

وفوض يوشع بعد موت موسى هذه الروايات الى المشايخ وهم فوضوا الى الأنبياء فكان نبى يوصلها الى نبى آخر الى أن أوصل الى ارميا الى باروخ ، وباروخ الى عزرا وعزرا الى مجمع العلماء الذين كان شمعون صادوق آخرهم ، وهو أوصل الى اينيتى كونوس ، وهو الى بوئى بن يحنان ، وهو الى يوسى بن يوسير ، وهو الى نتهان الأربلى ويوشع بن برخيا ، وهما الى يهودا بن يحيى وشمعو بن شطاه ، وهم الى شمايا وابى طليون ، وهما الى هليل وهو الى ابنه شمعون • والمظنون أن شمعون هذا هو شمعون الذى أخذ ربنا المنجى على اليدين ، اذ جاءت مريم به الى الهيكل بعدما تمت أيام تطهيرها وهو أوصل الى كملئيل ابنه ، وهذا كملئيل هو الذى تعلم منه بولس ، وهو وأوصل الى شمعون ابنه ، وهو الى كملئيل ابنه ، وهو الى شمعون ابنه ، وهو الى رب يهودا حق دوش ابنه • وجمع يهودا هذا هذه الروايات فى كتاب سماه مشنا » انتهى •

ثم قال ان اليهود يعظمون هذا الكتاب تعظيما بليغا ويعتقدون أن

ما فيه هو كله من جانب الله أوحى الى موسى على جبل سيناء ، مثل القانون المكتوب ولهذا هو واجب التسليم مثله • ومنذ صنف هذا الكتاب صار رائجا بينهم رواجا تاما بالدرس والتدريس ، وكتب عليه علماؤهم الكبار شرحين :

أحدهما : فى القرن الثالث فى أورشليم •

والثانى : فى ابتداء القرن السادس فى بابل •

واسم كل من هذين الشرحين جمارا ، لأن معنى جمارا فى اللغة • الكمال وقد حصل التوضيح التام للمتن فى هذين الشرحين — فى ظنهم — واذا جمع الشرح والمتن يقال لهذا المجموع تلمود ، ويقال التميز تلمود أورشليم وتلمود بابل • وكأن مذهبهم الرائج الآن كل مندرج فى هذين التلمودين اللذين كتب الأنبياء خارجة عنهما • ولما كان تلمود أورشليم مغلقا فلذلك الآن اعتبار تلمود بابل عندهم زائد » انتهى •

وقال هورن فى الباب السابع من الحصة الأولى من المجلد الثانى من تفسيره المطبوع سنة ١٨٧٧ « مشنا كتاب مشتمل على روايات اليهود المختلفة وشروح متون الكتب المقدسة ، وظنهم فى حقه أن الله تعالى لما أعطى التوراة على جبل طورسينا أعطاه هذه الروايات أيضا فى ذاك الحين ، ووصلت من موسى الى هرون وأليعازار ويوشع ومنهم الى الأنبياء الآخرين • ومن هؤلاء الأنبياء الى المشايخ الآخرين • وهكذا وصلت من جيل الى جيل الى أن وصلت الى شمعون • وهذا شمعون هو شمعون الذى أخذ ربنا المنجى على يديه ، ووصلت منه الى جمالئيل ومنه الى يهودا حق دوش أى المقدس ، وهو جمعها فى آخر القرن الثانى بمشقة أربعين سنة فى كتاب من هذا الوقت بطنا بعد بطن ، مستعمل فى اليهود ، وكثيرا ما يكون عزة هذا الكتاب زائدا عن القانون المكتوب » انتهى •

ثم قال « على مشنا شرحان يسمى كل منهما جمارا أحدهما جمارا

أورشليم الذى كتب فى أورشليم على رأى بعض المحققين فى القرن الثالث، وعلى رأى قادرمون فى القرن الخامس • والثانى جمارا الذى كتب فى القرن السادس فى بابل ، وجمارا هذا مملوء بالحكايات الواهية ، لكنه عند اليهود معتبر عظيم ودرسه وتدريسه رائجان فيهم ، ويرجعون اليه فى كل مشكل مذعنين بأنه مرشد لهم ، وقال جمارا لأن معنى جمارا الكمال • وظنهم أن هذا الشرح كمال التوراة ولا يمكن أن يكون شرح أفضل منه ، ولا حاجة الى شرح آخر ، واذا انضم بالمتن جمارا أورشليم يقال للمجموع تلمود أورشليم ، واذا انضم جمارا بابل يقال للمجموع تلمود بابل » انتهى •

فظاهر من تحرير هذين المفسرين أربعة أشياء :

الأول : ان اليهود يعتبرون الرواية اللسانية كالتوراة بل كثيرا ما يعظمونها أزيد من التوراة ، ويدعون أنها بمنزلة الروح والتوراة بمنزلة الجسد ، واذا كان حال التوراة هكذا ، فكيف حال الكتب الأخر •

والثانى : ان هذه الروايات جمعها يهودا حق دوش فى آخر القرن الثانى ، وكانت محفوظة بالحفظ اللسانى الى ألف وسبعمائة سنة ، ووقع على اليهود فى أثناء هذه المدة آفات عظيمة ودواهى جسيمة • مثل حادثة بخت نصر وأينتوكس وطيطوس وغيرها ، بحيث انقطع التواتر فى هذه الحوادث ، فضاعت الكتب ، ومع ذلك اعتبارها عندهم أزيد من التوراة •

والثالث : ان هذه الروايات فى أكثر الطبقات مروية برواية واحد واحد ، مثل جملئيل الأول والثانى ، والشمعون الثانى والثالث • وهؤلاء لم يكونوا من الأنبياء عند اليهود ، وكانوا عند المسيحيين من أشد الكفار المنكرين للمسيح ، ومع ذلك هذه الروايات عند اليهود هى مبنى الايمان وأصل العقائد •

والرابع : أن جمارا بابل لما كتب فى القرن السادس فحكاياته

الواهية على قول هورن كانت محفوظة بالرواية اللسانية فقط الى مدة هى أزيـــد من ألفين .

فاذا عرفت حال اليهود باعتراف محققى فرقة البروتستنت فاعلم الآن حال جمهور قدماء المسيحية . قال يوسى بيس الذى تاريخه معتبر عند علماء الكاثوليك والبروتستنت فى الباب التاسع من الكتـــاب الثانى من تاريخه المطبوع سنة ١٨٤٧ فى الصفحة الثامنة والسبعين فى بيـــان حال يعقوب الحوارى : « ان كليمنس نقل حكاية قابلة للحفظ فى كتابه السابع فى بيان حال يعقوب هذا ، والظاهر أن حال كليمنس نقل هذه الحكاية عن الروايات اللسانية التى وصلت اليه من الآباء والأجداد ، ثم نقل فى الباب الثالث والعشرين من الكتاب الثالث قول أربنيوس فى الصفحة الثالثة والعشرين بعد المـــائة « كنيسة أفسس التى بناها بولس وأقام فيها يوحنا الحوارى الى عهد سـلطنة ترجان شـــاهد ذو ايمان لأحاديث الحواريين » ثم نقل فى تلك الصفحة قول كليمنس « اسمعوا فى حق يوحنا الحوارى حكاية ليست بكاذبة بل هى : صادقة محققة ، بقيت فى الصدور محفوظة » ثم قال فى البـــاب الرابـــع والعشرين من الكتاب الثالث فى الصفحة السادسة والعشرين بعد المـــائة « تلاميـــذ المسيح مثل الحواريين الاثنى عشر والسبعين رســـولا وكثير من أناس آخرين لم يكونوا غير واقفين عن الحـــالات المذكـــورة التى كتبهـــا الانجيليون . لكن كتبهـــا منهم متى ويوحنا فقط ، وعـــلم من الرواية اللسانية أن تحريرهما أيضا كان لأجل الضرورة » ثم قال فى الباب الثامن والعشرين من الكتاب الثالث فى الصفحة الثانية والثلاثين بعد المـــائة : « كتب ارينيوس فى كتابه الثالث حالا هو حرى بأن يكتب ، وصل اليه هذا الحال من بولكارب بالرواية اللسانية » ثم قال فى الباب الخامس من الكتاب الرابع « لم أرحال أساقفة أورشليم بالترتيب فى كتـــاب ، لكنه ثبت بالرواية اللسانية أنهم بقوا مدة قليلة » ثم قال فى البـــاب السادس والثلاثين من الكتاب الثالث « وصل الينا بالرواية اللسانية أنهم لمـــا ذهبوا باكناتيوس الى الروم ليقتلوه بالقائه بين أيدى السباع

لأجل كونه مسيحيا ، ومر بايشيا فى حفاظة العسكريين فقوى الكنائس المختلفة فى أثناء الطريق بنصائحه وأقواله ، وأخبرهم عن المبدعات التى كانت منتشرة فى تلك الأيام أو كانت حدثت ووصاهم باللصوق بالروايات اللسانية لصوقا قويا ، واستحسن أيضا لأجل زيادة الحفظ أن كتب هذه الروايات ، وأثبت شهادته عليها ثم قال فى الباب التاسع والثلاثين من الكتاب الثالث : « قال بى بيس فى ديباجة كتابه : أكتب لانتفاعكم بجميع الأشياء التى وصلت من المشايخ الى وحفظتها بعد التحقيق التام ، ليثبت زيادة تحقيقها بشهادتى عليها ، لأنى مارضيت من قديم الزمان بسماع الأحاديث من الذين يلغون كثيرا ويعملون بنصائح أخرى أيضـا ، بل سمعت الأحاديث من الذين لا يعلمون الا النصـائح الحقـة التى هى مروية من ربنا الصادق ومن لقيته من متبعى المشايخ سـألت عنـه : اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو متى أو شـخص آخر من تلاميذ ربنا أو أرستيون أو القسيس يوحنا مريد ربنـا ماذا قال ؟ لان الفائدة التى حصلتها من ألسنة الأحياء ما حصلتها من الكتب ».

ثم قال فى الباب الثامن من الكتاب الرابع : «هجيسى ويس من مؤرخى الكنيسة مشهورة ونقلت عن تأليفاته أشـياء كثيرة نقلها عن الحواريين بالروايات اللسانية ، وكتب هذا المصنف مسائل الحواريين التى وصلت اليه بالرواية اللسانية بعبارة سهلة فى خمس كتب » •

ثم نقل فى الباب الرابع عشر من الكتاب الرابع قول أدينيوس فى بيان حال بوليكارب « فى عـلم بوليكارب دائما ما تعلمه من الحواريين وبلغة الكنيسة بالرواية وكانت مثله صادقة » •

ثم نقل فى الباب السادس من الكتاب الخامس عن قول آرينوس « فهرست أساقفة الروم » وقال فى الصفحة الواحدة بعـد المـائتين « الآن الى تهيروس أسقفها الثانى عشر من السلسلة التى وصل الينا بواسطتها الصدق والروايات اللسانية من الحواريين » ثم نقل فى الباب الحادى عشر من الكتاب الخامس قـول كليمنس « ما كتبت هذه الكتب

لطلب الرفعة ، بل لظن كبرسنى ، ولأن تكون ترقيات لسانى جمعتها على طريق التفسير كأنها شروح للمسائل الالهامية التى صرت بهـا معظما بعد ما تعلمتها من الصادقين المبـاركين ، ومنهم يونى كوس الذى كان فى اليونان والثـانى الذى كان يقيم فى مكينا كريشـيا كان أحـدهما سريانيا والآخر مصريا • وكان الباقون من سكان المشرق • دان واحد منهم أسوديا وواحد عبرانيا من أهل فلسطين • والشيخ الذى وصلت آخر الى خدمته مختفيا فى مصر ، وكان أفضـل من المشـايخ كلهم ، وما طلبت شيخا آخر بعده لأن أحدا ما كان أفضل منه • وهؤلاء المشايخ حفظوا الروايات الصادقة التى هى منقولة من بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس جيلا بعد جيل » •

ثم نقل فى الباب المتمم عشرين من الكتاب الخامس قول أرينيوس : « سمعت بفضل الله هذه الأحاديث بالامعان التام وكتبتها فى صـدرى لا فى القرطاس ، وعادتى من قديم الأيام أنى أكررها بالديانة » •

ثم قال فى الباب الرابع والعشرين من الكتاب الخـامس « كتب بولى كرائيس الأسقف رواية وصلت اليه بالرواية اللسانية فى الكتاب الذى أرسله الى وكتر وكنيسة الروم » ثم قال فى البـاب الخـامس والعشرين من الكتاب الخـامس : « تاركئوس وتهيوفلوس وكاسيوس من أساقفة فلسطين وأسقف كنيسة أشور ، وأسقف تولمـائى كلاروس والأشخاص الآخرون الذين جاءوا مع هؤلاء ، أساقفة قدموا أمورا كثيرة فى حق الرواية التى وصلت اليهم فى باب عيد الفصـح من الحواريين ، منقولة بالرواية اللسانية ، جيلا بعد جيل » وكتبوا فى آخر الكتاب : أن أرسلوا نقله الى الكنـائس ، لئلا يبقى للذين يضـلون عن الصراط المستقيم سريعا موضع الفرار ثم قال فى الباب الثالث عشر من الكتاب السادس فى بيان حال كليمنس اسكندر يانوس الذى كان من أتبـاع تابعى الحواريين أنه قال فى كتابه الذى ألفه فى بيان عيد الفصح « ان الأحباء طلبوا منى أن أكتب لنفع الأجيال الآتية الروايات التى سمعتها من الأساقفة » ثم قال فى الباب الحادى والثلاثين من الكتاب السادس

فى الصفحة الثالثة والستين بعد المائتين ايفريكاتوس فى رسالته التى هى موجودة الى هذا الحين ، وكان أرسلها الى أرستيديس « يبين التطبيق بين بيانى متى ولوقا فى نسب المسيح باعتبار الرواية التى وصلت اليه من الآباء والأجداد » انتهى كلامه • وعلم من أقوال السبعة عشر أن قدماء المسيحيين كانوا يعتبرون الرسالة اللسانية اعتبارا عظيما • وقال جان ملتر الكاثوليكى فى كتابه الذى فى بلد دربى سنة ١٨٦٦ فى رسالته العاشرة التى أرسلها الى جيمس برون « انى كتبت فى ما قبل أيضا : أن مبنى ايمان الكاثوليك ليس كلام الله الذى هو مكتوب فقط ، بل هو أعم ، مكتوبا كان أو غير مكتوب ، يعنى الكتب المقدسة والروايات اللسانية على ما شرحتهما كنيسة الكاثوليك به » ثم قال فى تلك الرسالة « ان آرينيوس قال فى الباب الخامس من المجلد الثالث من كتابه انه لا يوجد لطالبى الحق أمر أسهل من أن يتفحصوا فى كل كنيسة الروايات اللسانية التى هى منقولة عن الحواريين وأظهروها فى العالم كله » ثم قال فى تلك الرسالة : « ان آرينيوس قال فى الباب الثالث من المجلد الأول من كتابه « ان ألسنة الأقوام وان كانت مختلفة لكن حقيقة الرواية اللسانية فى كل موضع متحدة • كنائس الجرمن ليست مخالفة فى التعليم والعقائد لكنائس فرانس ، وأسبانيا والمشرق ومصر وليبيا » •

ثم قال فى تلك الرسالة : ان آرينيوس قال فى الباب الثانى من المجلد الثالث : ولما كان تحرير حال سلاسل الكنائس كلها يفضى الى التطويل ، فلذلك نرجع الى رواية وعقيدة كنيسة الروم التى هى قديمة وعظيمة ومشهورة جدا وبناها بطرس وبولس الكنائس كلها موافقة لها ، لأن الروايات اللسانية المنقولة عن الحواريين جيلا بعد جيل ، كلها محفوظة فيها » ثم قال فى تلك الرسالة : « ان آرينيوس قال فى الباب الرابع والستين من الكتاب الربع : « ولو فرضنا أن الحواريين لم يتركوا الكتب لنا • فنقول : انه اما كان لازما علينا أن نطيع الأحكام التى ثبتت بالرواية اللسانية التى هى منقولة عن الحواريين ، وكانوا سلموها للناس الذين سلموها للكنيسة ، وهذه الروايات هى التى يعمل

بحسبها الوحشيون الذين آمنوا بالمسيح بلا استعمال الحروف والمداد »
ثم قال فى تلك الرسالة : ان ترتولين قال فى كتابه الذى ألفه فى رد أهل البدعة وطبع فى بلد « رهنان » فى الصفحة السادسة والثلاثين « ان عادة أهل البدعة أنهم يتمسكون بالكتب المقدسة ، ويستدلون ويقولون انه ليس غير الكتب المقدسة المكتوبة شيئا قابلا ، لأن يجعل مبنى الايمان ويقال بحسبه ويعجزون بهذه الحيلة الأقوياء ، ويلقون الضعفاء فى شبكاتهم ، ويوقعون المتوسطين فى الشك . ولذا نقول : لا تجيزوا هؤلاء أبدا أن يناظر مستدلين بالكتب المقدسة لانه لا تترتب على المباحثة التى تكون بالكتب المقدسة فائدة ما ، غير أن يصير الدماغ والبطن خاليين ، فلذلك طريقة الرجوع الى الكتب المقدسة غلط ، لأنه لا يحصل انفصال أمر من هذه الكتب . وان حصل شىء يكون على الوجه الناقص ، ولو لم يكن هذا الأمر أيضا كانت طريقة المباحثة فى تلك الصورة أيضا أن يحقق أولا أن الكتب المقدسة علاقتها من أى الناس ؟ وبلغ أى شخص الى أى شخص فى أى وقت الرواية التى صرنا بسببها مسيحيين ؟ لأن الموضع الذى توجد فيه أحكام الدين المسيحى وعقائده ، يوجد فيه صدق الانجيل ومعانيه وجميع روايات الدين المسيحى التى هى لسانية » .

ثم قال فى تلك الرسالة : « كتب باسلوس ان المسائل الكثيرة المحفوظة فى الكنيسة التى يوعظ بها اخذ بعضها من الكتب المقدسة ، وبعضها من الروايات اللسانية ، وقوتهما فى الدين مساوية ، ومن كان له وقوف ما على الشريعة العيسوية لا يعترض على هذا » .

ثم قال فى تلك الرسالة : « ان كريز استم صرح فى شرح الآية الرابعة عشرة من الباب الثانى من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى « ظهر من هذا صراحة أن الحواريين لم يبلغوا الأشياء كلها الينا بواسطة التحرير ، بل لغوا أشياء كثيرة بدون التحرير أيضا . وكلتاهما متساويتان فى الاعتبار ، ولذلك فلنلاحظ أن رواية الكنيسة منشأ الايمان . واذا ثبت شىء بالرواية اللسانية ، فلا نطلب زائدا عليه » .

ثم قال فى تلك الرسالة : « ان أكستاين كتب فى حق الشخص الذى حصل له الاصطباغ من المبتدعين أنه وان لم يوجد السند التحريرى فى هذا الباب ، لكنه فليلاحظ أن هذا الرسم أخذ من الرواية اللسانية لأن الأشياء الكثيرة تسلم الكنيسة العامة أن الحواريين قرروها وهى ليست بمكتوبة » انتهى كلامه •

وعلم من أقواله : أن الروايات اللسانية مبنى ايمان فرقة الكاثوليك وكانت معتبرة عند القدماء ، وفى الصفحة الثالثة والستين من المجلد الثالث من الكاثوليكى هرلد ما عبارته : « أورد الربى موسى قدسى شواهد كثيرة على أن متن الكلام المقدس لا يفهم بدون معونة الحديثة والرواية اللسانية ، واقتدى مشايخ الكاثوليك بهذه القاعدة فى كل وقت » وقال ترتولين : فليرجع لادراك الشىء الذى علم المسيح للحواريين الى الكنائس التى بناها الحواريون وعلموها بتحريراتهم ورواياتهم اللسانية » •

فعلم من هذه العبارات المذكورة : أن اليهود عندهم تعظيم الراويات والأحاديث أزيد من تعظيم التوراة ، وأن جمهور قدماء المسيحية مثل كليمنس وآرينيوس وهجيسى بوس وبوليكارب وبولى كراتيس وناركتوس وتهيوفلوس وكاسيوس وكلاروس وكليمنس اسكندريانوس وايفريكانوس وون سنت الاسقف وغيرهم كانوا يعتبرون الروايات اللسانية ويعظمونها ويقدمونها ويتداولونها • ولا يفرقون بينها وبين الأناجيل • فالانصاف أن رد ما قال جمهور علماء النصارى من اعتبار الروايات اللسانية لا يخلو عن تعصب وجهل ويكذب هذا الأمر انجيلهم أيضا فى آيات متعددة منها الآية الرابعة والثلاثون من الأصحاح الرابع من انجيل مرقس ما عبارتها : « وبدون مثل لم يكن يكلمهم ، وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شىء » ويبعد أن لا تكون هذه التفسيرات كلها أو بعضها مروية ، وأن يكون الحواريون محتاجين الى التفسير ، ومعاصرونا لا يكونون كذلك • ومنها الآية الخامسة والعشرون من الأصحاح الحادى والعشرين من انجيل يوحنا ما عبارتها : « وأشياء أخر كثيرة صنعها

يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » وكلام الانجيلى وان لا يخلو عن المبالغة والغلو ، لكنه لا شك أن قوله « وأشياء أخر كثيرة » يشمل جميع أفعال المسيح عليه السلام . معجزات كانت أو غيرها . ويبعد أن لا يكون شىء منها مرويا بالرواية اللسانية . ومنها : الآية الخامسة عشرة من الأصحاح الثانى من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى ما عبارتها : « فاثبتوا اذن أيها الاخوة وتمسكوا بالتعاليم التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا » فقوله « سواء كان بالكلام أم برسالتنا » يدل صراحة على أن بعض الأشياء وصلت اليهم بواسطة التحرير وبعضها بالكلام مشافهة . فلا بد أن يكون كلاهما معتبرين عند المسيحيين ، كما صرح به غير واحد من علمائهم المتقدمين والمتأخرين . ومنها الآية الثانية من الأصحاح الثانى من الرسالة الثانية الى تيموثاوس ما عبارتها : « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناسا أمناء يكونون كفوا أن يعلموا الآخرين أيضا » ومنها ما فى آخر الرسالة ليوحنا ما عبارتها : « اذ كان لى كثير لأكتب اليكم ، لم أر أن يكون بورق وحبر ، لأنى أرجو أن آتى اليكم وأتكلم فما لفم لكى يكون فرضا كاملا » ومنها ما فى آخر الرسالة الثالثة ما عبارتها : «وكان لى كثير لأكتبه لكننى لست أريد أن أكتب الآن بحبر وقلم ولكننى أرجو أن أراك عن قريب ، فأكلم فما لفم » فهاتان الآيتان تدلان على أن يوحنا قال فى المشافهة أشياء كثيرة على ما وعد ، و بعد أن لا تكون هذه الأشياء كلها أو بعضها مروية برواية .

فظهر مما ذكرنا أن من أنكر من فرقة البروتستنت اعتبار الأحاديث مطلقا فى الملة المسيحية فهو اما جاهل أو متعسف عنيد وقوله مخالف لكتبه المقدسة ، ولجمهور علمائه من القدماء وهو داخل فى زمرة المبتدعين على قول بعض القدماء ، ومع ذلك لابد له من اعتبارها فى كثير من معتقدات فرقته مثل قولهم : ان الابن مساو للأب فى الجوهر ، وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن ، وأن المسيح ذو طبيعتين وأقنوم واحد ، وأنه ذو ارادتين الهية وانسانية ، وأنه بعد ما مات

نزل الجحيم ، وغيرها من هوساتهم ، مع أن هذه الكلمات لا توجد بعينها في العهد الجديد وما اعتقدوا هذه الأمور الا من الأحاديث والتقليدات .

وأيضا يلزم عليه أن ينكر كثيرا من أجزاء كتبه المقدسة مثل انجيل مرقس ولوقا وتسعة عشر اصحاحا من سفر أعمال الحواريين لأنها كتبت بالروايات اللسانية لا بالمشاهدة ولا بالوحى كما ستعرف ان شـــاء الله تعالى فى اثبات هذا فى محله مفصلا .

ولنورد لك دليلا واحدا من تلك الأدلة وهو أن انجيل لوقا لم يكن الهاميا ويظهر ذلك مما كتبه فى ديباجة انجيله ونصه : « لأجل أن كثيرين اجتهدوا بترتيب قصص الأمور التى كملت فينا كما عاهد الينـــا أولئك كانوا منذ القديم يبصرون . وكانوا خداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا اذ كنت تابعا لكل شيء من البدء باجتهاد أن أكتب اليك أيهـــا العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » انتهى .

وغير هذا مما لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل كتاب من كتب العهد العتيق والجديد كتب بالالهام ، وأن كل حال من الأحوال المندرجة فيه الهامى ، لأن هذا الادعاء باطل قطعا كما لا يخفى .

وقال يوسف الخورى فى تفســـيره وصححه : « أن لوقا لم يكن من الاثنين وسبعين مبشرا ، ولم يشـــاهد المسيح ، بل كتب ما ســـمعه من الرسل ومريم العذراء كما شهد عن نفسه فى بداية انجيله بقوله : « حسبما عهد الينا أولئك الذين كانوا منـــذ القـــديم معاينين وكانوا خدام الكلمة » ولهذا دعاه متواترا تلميذ الرسل » انتهى .

ومثل أن ينكر خمسة أصحاحات من الخامس والعشرين الى التاسع والعشرين من سفر الأمثال لأنها جمعت فى عهـــد حزقيـــا من الروايات اللسانية التى كانت جارية بينهم . وما بين زمان الجمع وموت ســـليمان عليه السلام مدة مائتين وسبعين سنة والآية الأولى من الأصحاح الخامس والعشرين من السفر المذكور تصرح بذلك . ونصها : « فهذه أيضا أمثال سليمان التى استكتبها أصدقاء حزقيا ملك يهوذ » انتهى .

وقال آدم كلارك المفسر فى تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ ما عبارته : « يعلم أن فى آخر هذا السفر أمثالا جمعت بأمر حزقيا السلطان من الرواية اللسانية التى كانت جارية من عهد سليمان ، فجمعوا هذه الأمثال منها وجعلوها ضميمة هذا السفر ، ويمكن أن يكون المراد بأحباء حزقيا أشعياء وشنيا وغيرهما من الأنبياء الذين كانوا فى ذلك العهد فتكون تلك الضميمة مثل السفر الباقى سندا والا فكيف ضموها بالكتاب المقدس » انتهى نقوله جمعت بأمر حزقيا السلطان من الرواية اللسانية ، صريح فيما قلناه . وقوله « ويمكن أن يكون المراد » الى آخره مردود ، لأنــه مجرد احتمال لا يتم على المخالف بدون السند الكامل ، وليس عنــده سند بل يقول احتمالا ورجما بالغيب . وقوله « وكيف ضموها بالكتاب المقدس » مردود لأن اليهود كان عندهم اعتبار الروايات أزيد من اعتبار التوراة كما قدمنا . فاذا صار مشنا عندهم معتبرا مع أنــه جمــع من روايات المشايخ بعد ألف وسبعمائة سنة تقريبا . وكذا صــار قصص جمارا بابل ، مع أنها جمعت بعد ألفى سنة ، فأى مانع فى اعتبار الأبواب الخمسة التى جمعت بعد مائتين وسبعين سنة ؟ ولقد أنصف بعض علماء البروتستنت واعترف بأن الرواية اللسانية أيضا معتبرة مثل المكتوب فى الصفحة الثالثة والستين من المجلد الثالث من الكاثوليكى هرلد ما لفظه : « ان الدكتور بريت الذى هو من فضلاء البروتستنت قال فى الصــفحة الثالثة والسبعين من كتابه : « ان هذا الأمر ظاهر من الكتب المقدســة هو أن الدين العيسوى صــار مفوضا الى الأســاقفة الأولين وتابعى الحواريين بالرواية اللسانية ، وكانوا مأمورين بأن يحافظوا عليه ويفوضوه الى الجيل المتأخر ، ولا يثبت من كتاب مقدس سواء كان بولس أو غيره من الحواريين أنهم كانوا متفقين أو منفردين جميع الأشياء التى لها دخل فى النجاة ، وجعلوا قانونا يفهم منه أنه لا يوجد فيه شىء ضرورى لــه دخل فى النجاة غير المكتوب » .

وقال فى الصفحة الثانية والثلاثين من الكتاب المذكور : « يرى بولس وغيره من الحواريين أنهم كما بلغوا الينا الأحاديث بواسطة تحرير ،

كذلك بلغوا بواسطة الرواية اللسانية أيضا • والويل للذين لا يحافظون عليها والأحاديث العيسوية فى أمر الايمان سند كالمكتوب ». انتهى كلام الدكتــور بريت •

وقال أسقف مون نيك : « ان أحاديث الحواريين سند لمكتوباتهم ولا ينكر أحد من البروتستنت أن تقرير الحواريين اللسانى أزيد من تحريرهم » •

وقال جلنك ورتهه : « أن هذا النزاع وهو أن أى انجيل هو قانونى ، وأى انجيل ليس بقانونى يزول بالرواية اللســانية التى هى قاعــدة الانصاف لكل نزاع » انتهى كلام الكاثوليكى هرلد •

وقال القسيس طامس انكلس الكاثوليكى فى الصــفحة الحادية والثمانين بعد المــائة من كتابه المسمى بمرآه الصدق المطبوع سنة ١٨٥١ « يشهد أسقف « مانى ســيك » من علمــاء البروتستنت أن ستمائة أمر قررها الله فىالدين وتؤمر الكنيسة بها ، يقبل فى حقها أن الكتــاب المقدس ما بينها فى موضع وما علمها » انتهى فعلى اعتراف فاضلهم هذا : ستمائة أمر ثبتوا بالرواية اللســانية وواجبة التســليم عنــد فرقــة البروتستنت • انتهى •

فعلم أن الأحاديث التى وصلت من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى أممهم ، فيها أحكــام مشروعة حكمها كحكم الكتب الســماوية فى الاعتبار والامتثال وهى مسلمة الاتباع عنــد ذوى الأديان الثلاثة من غــير جــدال •

فائــدة : قال الامام السيوطى فى شرح ألفيتــه فى علم الحديث •

اول جــامع الحــديث والآثــر ... ابن شــهاب آمــرا لــه عمــر
وأول الجــامــع للابــــواب ... جمــاعة فى العصر ذو اقتــراب
كابــن جــريج وهشــــيم بالــك ... ومعمـــر وولـــد المبــــارك

اعلم : أن الآثار كانت فى عصر الصحابة وكبار التابعين غير مدونة

ولا مرتبة لسيلان أذهانهم وسعة حفظهم ، ولأنهم كانوا نهوا عن كتابتها خشية اختلاطها بالقرآن ، ولأن أكثرهم كان لا يحسن الكتابة . وقد أراد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى زمن خلافته تدوينها ولم يقدر له ذلك . قال ابن سعد فى الطبقات : أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن واستخار الله تعالى شهرا ، ثم أصبح وقد عزم له ، فقال : « ذكرت قوما من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا كتابا ، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا ألبس كتاب الله بشىء » فترك ثم كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق : انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه . وقال الامام مالك : كان يكتب عمر بن عبد العزيز الى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب الى المدينة يسألهم عما مضى ، وأن يعملوا بما عندهم ويكتب الى أبى بكر بن عمرو بن حزم أن يجمع السنن ويكب اليه بها . وقال الهروى : لم تكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الحديث انما كانوا يؤدونها حفظا . وقد وقع تدوين الفرائض زمن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه .

قال الزهرى : لولا أن ازيد بن ثابت كتب الفرائض رأيت أنها ستذاهب من الناس .

وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع فى منتصف القرن الثانى فأول من جمع كذلك ابن جريج بمكة وماك أو ابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ومعمر باليمن وابن المبارك بخراسان والربيع بن صبيح ، أو حماد ابن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثورى بالكوفة والأوزاعى بالشام وجرير ابن عبد الحميد بالرى .

وقال ابن الأثير فى مقدمة جامع الأصول : « ما زال هذا العلم من عهد رسول الله ﷺ أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة والتابعين بعدهم وتابعى التابعين خلفا بعد سلف لا يشرف أحد بعد حفظ كتاب الله تعالى الا بقدر ما يحفظ منه ، ولا يعظم فى النفوس الا بحسب ما يسمع من الحديث عنه ، فتوفرت الرغبات فيه وانقطعت الهمم على

تعلمه • حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذوات العدد ، ويقطع الفيافى والمفاوز ويجوب البلاد شرقا وغربا فى طلب حديث واحد ليسمعه من راويه ، فمنهم من يكون الباعث له على الرحلة طلب ذلك الحديث لذاته ، ومنهم من تعرف بتلك الرغبة سماعه من ذلك الراوى بعينه ، اما لثقته فى نفسه وصدقه فى نقله • واما لعلو اسناده ، فانبعثت العزائم الى تحصيله • وكان اعتيادهم أولا على الحفظ والضبط فى القلوب والخواطر غير ملتفتين الى ما يكتبونه ولا معولين على ما يسطرونه ، محافظة على هذا العلم ، فلما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وتفرقت الصحابة فى الأقطار وكثرت الفتوح ومات معظم الصحابة وتفرقت أتباعهم وقل الضبط ، احتاج العلماء الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة ، بعد أن أخذوه عن العدول والحفاظ المتقنين • فدونه علماء أعلام وألف فيه جهابذة الأنام ، وميزوا صحيحه من سقيمه فى أسفار متعددة ضخام » انتهـى •

وقد ذكرنا لك أيضا فيما تقدم شيئا مما يتعلق بهذا فراجعه ان أردته •

قوله « هل تجد لها أصلا فى الكتاب الذى فى يدك » الخ فنقول : قد مر عليك بطلان الحديث الذى استدل به على فاسد مظنته • ونجيبه هنا أيضا بقولنا : نعم ان لها أصلا فى كتاب الله سبحانه كما مر سابقا من قوله تعالى : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » وقوله عز وجل : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى** » الآية وقوله عز شأنه : « **والله يعصمك من الناس** » وقد عصمه كما قال • وقوله جل وعز : « **الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين** » فكان الأمر كذلك ، وغير هذه الآيات مما تقدم لك فى محله الدالة على ما حصل له عليه الصلاة والسلام من المعجزات والمشتملة على كثير من الاخبار بالمغيبات •

ومن المعلوم عند كل ذى لب أن المعجزة هى عبارة عن شىء خارق

للعادة يخلقه الله تعالى متى شاء على يد من شـــاء من أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام مقرونا بالتحدى فاذا صدرت معجزة واحدة من نبى أو الخبر بالغيب ولو مرة واحدة ، فهى دالة على صدقه وشـــاهد عدل على نبوته ، وكافية فى تأييد دعـــواه ، وكانت أصـــلا لغيرها من المعجزات التى تصدر منه . ومن المعلوم الذى أثبتناه غير مرة أن نفس القرآن معجزة له عليه الصلاة والســـلام وقد تضمن المعجزات العديدة التى تقدم لك ذكر شىء منها فى محله ، فليكن ذلك أصلا لباقى المعجزات التى ذكرها أهل الحديث وتواترها النقلة الثقاة فى القديم والحديث ، كنبع المـــاء وتكثير الطعام وتكليم الوحوش وانقياد الشـــجر وتسليم الحجر وكلام الجماد له ﷺ فيكون حينئذ لتلـــك المعجزات أصـــل فى الكتاب فلا يصادم هذا الحديث على تقديم تسليم صـــحته شـــيئا من المعجزات التى رواها الأصحاب ، كما لا يخفى على كل فطن طالب لاتباع الحق غير مرتاب .

والله سبحانه الهادى الى صوب الصواب . وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد صاحب المعجزات ، وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

نجز الجزء الأول من كتاب رد النصارى المسمى بالجواب الفسيح لمـــا لفقه عبد المسيح فى ١٧ صفر سنة ١٣٠٧ هـ .

فهرس الجزء الأول

من كتاب الجواب الفسيح

لما لفقه عبد المسيح

تم الفهرس

رقم الايداع ٢٩٢٧ / ١٩٩٠